

# كتاب الروح

تأليف

الإمام المحقق شيخ الإسلام

أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي

المعروف بـ: (ابن قيم الجوزية) رحمته الله، ت (٧٥١ هـ)

حَقَّقَ نصوصه وعلَّقَ عليه وخرَّجَ أحاديثه وآثاره

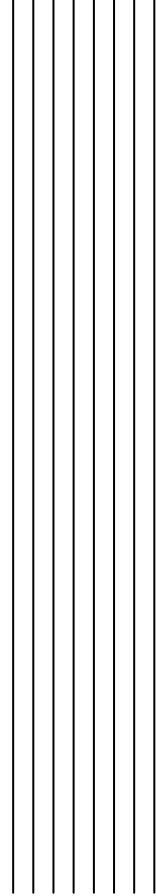
أبو عبد الرحمن رشاد بن أحمد الضالعي



حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مقدمة المحقق

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:

١٠٢].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا \* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ١-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

فإني أحمد الله عز وجل أولاً وآخراً على نعمه الكثيرة التي منَّ بها عليّ فأفضل، وأعطاني منها فأجزل، فأنا أتقلب فيها ليلاً ونهاراً، سفرًا وحضرًا، ولا أستطيع لها حصرًا، ومن ذا الذي يقدر على ذلك: ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ [إبراهيم:

٣٤].

وكان من أجل نعم الله عليّ أن وفقني لطلب العلم، ويسّر لي أسبابه، في زمن رغب الناس فيه عن العلم الشرعي وأهله إلا من أراد الله به خيرا، ومن تمام نعمة الله عليّ في هذا الأمر أن جعلني من طلاب دار الحديث بدماج التي صارت معينًا صافيًا ينهل منه

الناس في شتى فنون العلم على مرّ السنين والأعوام، فنسأل الله أن يحفظ هذا الخير للمسلمين وأن يصرف عنه كل شر ومكروه.

وكان من نعم الله عليّ أن يسّر لي خدمة هذا الكتاب العظيم النافع للإمام المحقق: ابن قيم الجوزية رحمه الله، وكان سبب عنايتي بهذا الكتاب مشورة من شيخنا أبي عبد الله محمد بن حزام البغداني حفظه الله، وبارك فيه وفي علمه وأهله وماله وولده، لَمَّا رأى أن الكتاب - مع أهميته - لم يُخدم خدمة لائقة به، من تحقيق النص، وتخرّيج ما فيه من الأحاديث والآثار، وتعليق على المواضع التي تحتاج إلى تعليق، فلما رأى ذلك أشار عليّ بهذا العمل فاستخرت الله في ذلك وشرعت في العمل فيه، وبعد مُضيّ أسبوع واحد فقط من شروعي في هذا العمل إذ بشيخنا العلامة الناصح الأمين: أبي عبد الرحمن يحيى بن علي الحجوري حفظه الله، وبارك فيه وفي علمه وأهله وماله وولده، يذكر "كتاب الروح" في درسه العامر بين مغرب وعشاء، ويحثُّ على خدمته والعناية به؛ حتى يخرج بصورة تناسب مادته العلمية، مع التنبيه على بعض ما اجتهد فيه الإمام ابن القيم: في هذا الكتاب، وربما قد خالفه في موضع آخر من كتبه، فلما سمعت منه ذلك ذهبت إليه بعد العشاء وأخبرته أنني قد بدأت في تحقيقه فشجعني على ذلك ودعا لي بالتوفيق.

فبدأت فيه بجِدٍّ ونشاطٍ حتى أعان الله على إتمامه، فله الحمد والشكر، ويتلخص عملي فيه فيما يلي:

أولاً: عملي في التحقيق يتلخص فيما يلي:

١ - قابلت الكتاب على نسختين خطيتين ومطبوعة، النسخة الخطية الأولى: هي «النسخة الظاهرية» وإليها الإشارة بالأصل، والنسخة الثانية: هي «نسخة آشتيان» وإليها الإشارة بـ(ش)، والمطبوعة هي الصادرة عن دار عالم الفوائد وإليها الإشارة بـ(ف)، وانظر وصف المخطوطتين والمطبوعة في ص( ).



- ٢- اعتمدت الظاهرية أصلاً للكتاب.
- ٣- ما كان من زيادة صحيحة على الظاهرية أضفته وجعلته بين معقوفين هكذا [].
- ٤- لا أعني كثيراً بإثبات الفوارق بين النسخ في الحاشية حتى لا تثقل حواشي الكتاب، إلا ما كان التنبيه عليه مُهِمًّا.
- ٥- أثبتُّ ما أراه أقرب إلى الصواب في أصل الكتاب، وإن لم يكن موافقاً لما في النسخة الظاهرية (الأصل) وغالبا ما أنبه على ذلك.
- ٦- صححت كثيراً من المواضع التي تتابعت كل النسخ على الخطأ فيها، وكان تصحيحها لها من المصادر التي نقل عنها ابن القيم، سواء كان ذلك في أسماء الرواة، أو في ألفاظ وقعت في بعض الأحاديث والآثار.
- ٧- أثبت الآيات كما ذكرها المصنف فإنه ربما ذكر آية بقراءة أبي عمرو -وهي من القراءات السبع- فأثبتها كما هي، وغالبا ما أنبه على ذلك في الحاشية.
- هذا ملخص ما تضمنه عملي في تحقيق هذا الكتاب وأسأل الله الهدى والسداد إلى سبيل الرشاد، والحمد لله رب العالمين.

ثانياً: عملي في التخريج والتعليق ويتلخص فيما يلي:

- ١- خرجت جميع الأحاديث الموجودة في الكتاب -بدون استثناء- إلا ما لم أقف عليه، فما كان في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بعزوه إلى موضعه منهما، إلا إذا كان في الحديث زيادة ليست في أحد الصحيحين فإني أضيف إليهما من أخرجه، وأما إن كان الحديث في غير الصحيحين فإني أذكر بعض من أخرجه مما يتم به المقصود مع حكمي عليه بما يستحقه من صحة أو حسن أو ضعف، سالكاً في ذلك طريق أهل الحديث في القديم والحديث، ولم أتوسع في ذكر من أخرجه وإنما اقتصر على الأشهر عمداً -لا عن عجز أو قصور- ولا سيما إن لم تكن هناك فائدة مأمولة من التوسع، كتعدد طرق،

أو زيادة في المتن، ومتى وُجدت فائدة من التوسع توسعت، لاسيما بعض الأحاديث التي أكثرت من ذكر ما لها من متابعات وشواهد وكان لذلك أسباب:

منها: أني قد أرى من يضعف ذلك الحديث فأسلك ما تقدم لبيان ثبوته.  
ومنها: أن الحديث يكون مشهوراً ولم أرَ من جمع طرقه وتوسع فيه فأفُضِّل ذلك رجاء النفع، وفي أثناء تخريجي أراجع كتب العلل والمراسيل لأجل الوقوف على ما قد يكون خفياً، وإذا كرر المصنف الحديث فإن كان تخريجه مختصراً - كأن يكون في الصحيحين أو أحدهما - أعدت تخريجه في الغالب، وإلا أحلت على الموضوع الذي تقدم تخريجه فيه.

٢- خرجت جميع الآثار الموجودة في الكتاب - بدون استثناء - إلا ما لم أفق عليه، حتى إن تخريجي كان شاملاً - بحمد الله - لما ذكره ابن القيم رحمته الله من الرؤى والقصص، لأن الناظر فيها يفهم من ذكر ابن القيم رحمته الله لها أنه ساقها مساق تكثير الحجج، مع أنه لا حجة فيها لو صحت أسانيدها - كما سيأتي بيانه - كيف وغالب أسانيدها كانت ضعيفة، فلهذا القصد عني بتخريجها.

٣- علقت على المواضع التي رأيت أنها تحتاج إلى تعليق، فتارة يكون التعليق بكلام لأهل العلم يعاضد كلام ابن القيم ويسانده أذكره تكميلاً للفائدة، وتارة يكون لترجيح ما لم يرجحه المصنف، وتارة يظهر لي أن ابن القيم لم يصب الصواب في مسألة ما، فأنقل من كلام أهل العلم ما يبين الصواب في تلك المسألة، وإن لم أجد لأهل العلم فيها كلاماً علّقت بما فتح الله عليّ وأسأل الله التوفيق والسداد.

٤- ترجمت للأعلام المذكورين في الكتاب بتراجم مختصرة مع الإحالة على مواضع تراجمهم لمن أراد التوسع، وكان غالب اعتمادي في التراجم على كتاب سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي رحمته الله.

٥- عزوت كلام أهل العلم المنقول في هذا الكتاب إلى مصادره من كتبهم.

- ٦- كتبت مقدمة لهذا الكتاب اشتملت على عدة فصول وهي:
- أ- الترجمة للمصنف.
- ب- التعريف بالروح عموماً.
- ج- تحقيق نسبة الكتاب إلى مصنفه -الإمام ابن القيم-.
- د- التعريف بكتاب الروح.
- هـ- المصنفات في موضوع الروح.
- و- وصف النسخ الخطية التي اعتمدت عليها في تحقيق الكتاب.
- ٧- وضعت فهرس متعددة تيسر الانتفاع بموضوعات الكتاب، وتسهّل الوقوف على فوائده.
- وكل ما تقدم فهو من تيسير الله وإعانتة لي، فلولاه سبحانه ما قدرت على شيء من أعمال الخير، وأسأل الله عز وجل أن ينفع بهذا الكتاب الإسلام والمسلمين، وأن يجعل عملي فيه خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعني به يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.
- وأسأله سبحانه أن يغفر لي ولوالدي ولمشايخي ولجميع المسلمين إنه هو الغفور الرحيم.

### كتبه

أبو عبد الرحمن رشاد بن أحمد الضالعي

١٠/ جمادى الآخرة/ ١٤٣٤هـ

في مكتبة دار الحديث بدماج حرسها الله

## ترجمة المصنف رحمه الله

اسمه ونسبه<sup>(١)</sup>:

هو الإمام الفقيه المحدث الأصولي أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن أيوب بن سعد بن حريز بن مكّي زين الدين الزُّرعيّ ثمّ الدمشقي الحنبلي الشهير بـ (ابن قيم الجوزية).

مولده:

ولد رحمه الله في اليوم السابع من شهر صفر لعام واحد وتسعين وستائة (٦٩١) من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتمّ التسليم.

نشأته وطلبه للعلم:

نشأ ابن القيم نشأة علمية منذ صغره فقد كان أبوه من أهل العلم والصلاح والعبادة، وكان يُمثّل الصدارة في بلده لعلماء الحنابلة، وكان قيماً على مدرسة الجوزية بدمشق، وكذلك كان أخوه عبد الرحمن المولود بعده بنحو سنتين، فكانت هذه البيئة مما ساعد هذا الإمام على التوجه إلى العلم والاشتغال به منذ بداية عمره، فإنه قد سمع من بعض مشايخه في نحو عام: (٦٩٧هـ) يعني وله من العمر ما يقارب سبع سنين، وكذلك درس على شيخه أبي الفتح البعلبكي عدداً من كتب النحو من بينها ألفية ابن مالك وكانت وفاة شيخه أبي الفتح سنة: (٧٠٩هـ) يعني: أن دراسة ابن القيم رحمه الله لهذه الكتب قبل أن يكمل تسعة عشر عاماً مع أن الألفية ونحوها من المطولات في علم النحو.

<sup>(١)</sup> وهي ملخصة من كتاب "ابن قيم الجوزية حياته وآثاره" للشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد رحمه الله.

أخلاقه وعبادته:

كان رحمته حسن الخلق، لطيف المعاشرة، طيب السريرة، عالي الهممة، ثابت الجنان، معدوداً من الأكابر في السمت والصلاح والعلم والفضائل والتهجد والتعبد، وقد ذكر مترجموه - عن مشاهدة وعيان - من أمور عبادته وزهده وصدق لهجته ما يبعث الدهشة والاستغراب، وأنا أذكر هنا بعض ما ذكره من صاحبه وعاشه.

\* قال ابن كثير رحمته في "البداية والنهاية" (١٨/٥٢٣): (وَاشْتَغَلَ بِالْعِلْمِ، فَبَرَعَ فِي عُلُومٍ مُتَعَدِّدَةٍ، لَا سِيَّمَا عِلْمَ التَّفْسِيرِ، وَالْحَدِيثِ وَالْأَصْلِينَ، وَلَمَّا عَادَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ وَسَبْعِمِائَةٍ لَزَمَهُ إِلَى أَنْ مَاتَ الشَّيْخُ، فَأَخَذَ عَنْهُ عِلْمًا جَمًّا مَعَ مَا سَلَفَ لَهُ مِنَ الْإِشْتِعَالِ، فَصَارَ فَرِيدًا فِي بَابِهِ فِي فُنُونٍ كَثِيرَةٍ، مَعَ كَثْرَةِ الطَّلَبِ لَيْلًا وَنَهَارًا، وَكَثْرَةِ الصَّلَاةِ وَالِإِتِهَالِ، وَكَانَ حَسَنَ الْقِرَاءَةِ وَالْحُلُقِ، كَثِيرَ التَّوَدُّدِ، لَا يَحْسُدُ أَحَدًا، وَلَا يُؤْذِيهِ، وَلَا يَسْتَعِيْبُهُ، وَلَا يَحْقُدُ عَلَى أَحَدٍ، وَكُنْتُ مِنْ أَصْحَابِ النَّاسِ لَهُ، وَأَحَبَّ النَّاسِ إِلَيْهِ، وَلَا أَعْرِفُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي زَمَانِنَا أَكْثَرَ عِبَادَةً مِنْهُ، وَكَانَتْ لَهُ طَرِيقَةٌ فِي الصَّلَاةِ يُطِيلُهَا جِدًّا، وَيَمُدُّ رُكُوعَهَا وَسُجُودَهَا، وَيَلْوِمُهُ كَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ فَلَا يَرْجِعُ، وَلَا يَنْزِعُ عَنْ ذَلِكَ، رحمته، وَلَهُ مِنَ التَّصَانِيفِ الْكِبَارِ وَالصَّغَارِ شَيْءٌ كَثِيرٌ، وَكَتَبَ بِخَطِّهِ الْحَسَنِ شَيْئًا كَثِيرًا، وَاقْتَنَى مِنَ الْكُتُبِ مَا لَا يَتَهَيَّأُ لِغَيْرِهِ تَحْصِيلُ عَشْرِهِ مِنْ كُتُبِ السَّلَفِ وَالْحَلْفِ، وَبِالْجُمْلَةِ كَانَ قَلِيلَ النَّظِيرِ، بَلْ عَدِيمَ النَّظِيرِ فِي مَجْمُوعِهِ، وَأُمُورِهِ، وَأَحْوَالِهِ، وَالْغَالِبُ عَلَيْهِ الْحَيْرُ وَالْأَخْلَاقُ الصَّالِحَةُ، سَاحِمُهُ اللَّهُ وَرَحِمَهُ).

\* وقال ابن رجب رحمته في "ذيل طبقات الحنابلة" (٥/١٧٢): (وَكَانَ رحمته ذا عبادة وتهجد، وطول صلاة إلى الغاية القصوى، وتأله ولهج بالذكر، وشغف بالمحبة، والإنابة والاستغفار، والافتقار إلى الله، والانكسار له، والاطراح بين يديه على عتبة

عبوديته، لم أشاهد مثله في ذلك، ولا رأيت أوسع منه علماً، ولا أعرف بمعاني القرآن والسنة وحقائق الإيمان منه، وليس هو المعصوم، ولكن لم أر في معناه مثله. وقد امتحن وأوذى مرات، وحبس مع الشيخ تقي الدين في المرة الأخيرة بالقلعة، منفرداً عنه، ولم يفرج عنه إلا بعد موت الشيخ.

وكان في مدة حبسه مشتغلاً بتلاوة القرآن بالتدبر والتفكير، ففتح عليه من ذلك خيرٌ كثيرٌ، وحصل له جانب عظيم من الأذواق والمواجيد الصحيحة، وتسلب بسبب ذلك على الكلام في علوم أهل المعارف، والدخول في غوامضهم، وتصانيفه ممتلئة بذلك، وحجج مرات كثيرة، وجاور بمكة. وكان أهل مكة يذكرون عنه من شدة العبادة، وكثرة الطواف أمراً يتعجب منه).

#### محبه لجمع الكتب:

إن الناظر في تأليف الإمام ابن القيم رحمه الله يرى فيها كلام إنسان واسع الاطلاع على كتب أهل العلم في شتى فنونها، وما ذاك إلا لما من الله به عليه من جمع الكتب الكثيرة التي لم تنتهياً لغيره، حتى لقد كان مغرماً بجمعها وشرائها حتى اجتمع عنده منها الشيء الكثير قال تلميذه الحافظ ابن رجب رحمه الله: (وكان شديد المحبة للعلم وكتابته ومطالعه وتصنيفه واقتناء الكتب، واقتنى من الكتب ما لم يحصل لغيره).

وقال تلميذه الحافظ ابن كثير رحمه الله: (واقنتى من الكتب ما لا يتهيأ لغيره تحصيل عشره من كتب السلف والخلف).

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: (وكان مغرماً بجمع الكتب فحصل منها ما لا يحصى

حتى كان أولاده يبيعون منها بعد موته دهنراً طويلاً سوى ما اصطفوه منها لأنفسهم).

علاقته بشيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله:

لقد منَّ الله على ابن القيم رحمته الله بقاء شيخ الإسلام ومصاحبته حتى كان سبباً في توبته من بعض المخالفات التي كان عليها، كما حكى هذا ابن القيم نفسه فإنه قد ذكر في نونيته بعض ما يقوله الأشاعرة وغيرهم في الصفات من التأويلات وبعض ما في كتب النُّفَاة من الطامات، ثم عقد فصلاً أعلن فيه أنه قد وقع في بعض تلك المهالك حتى أتاح الله له من أخذ بيده وأزال عنه تلك الأوهام وهو شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله - حيث قال في النونية:

يا قوم والله العظيم نصيحة	من مشفق وأخ لكم معوان
جربْتُ هذا كله ووقعت في	تلك الشباك وكنْتُ ذا طيران
حتى أتاح لي الإله بفضلَه	من ليس تجزِيه يدي ولساني
حَبْرٌ أتى من أرض حَرَّانِ فيا	أهلاً بمن جاء من حران
فالله يجزيه الذي هو أهله	من جنة المأوى مع الرضوان
أخذت يداه يدي وسار فلم يَرُم	حتى أراني مطلع الإيمان
ورأيت أعلام المدينة حولها	نُزُل الهدى وعساكر القرآن
ورأيت آثاراً عظيماً شأنها	محبوبة عن زمرة العميان
ووردت رأس الماء أبيض صافياً	حصباؤه كلالئ التيجان
ورأيت أكوازا هناك كثيرة	مثل النجوم لوارد ظمآن
ورأيت حوض الكوثر الصافي الذي	لا زال يشخب فيه ميزابان
ميزاب سنته وقول إلهه	وهما مدى الأيام لا ينيان
والناس لا يردونه إلا من الآ	لاف أفرادا ذوي إيمان
وردوا عذاب مناهل أكرم بها	ووردتم أنتم عذاب هوان

وقد كانت مدة ملازمة ابن القيم لشيخه ابن تيمية رحمهما الله ستة عشر عاماً فإنه قد صحبه من سنة ٧١٢هـ إلى أن توفي شيخ الإسلام رحمته الله سنة ٧٢٨هـ. وكان حين اتصاله بشيخ الإسلام له من العمر ما يقارب اثنين وعشرين سنة، فلازمه طوال هذه المدة، وأخذ عنه علوماً كثيرة وفنوناً غزيرة، وكان لشيخ الإسلام به العناية البالغة حين رأى منه رغبة صادقة في العلم الشرعي، والعناية بالدين فكان يتعاهده بالوصايا والنصائح النافعة بين الحين والآخر، وكم نرى ابن القيم في كتبه يقول: وقال لي شيخ الإسلام يوماً، وقال لي شيخ الإسلام مرة... إلى غير ذلك من العبارات الكثيرة التي توحى بعناية شيخه به، وبالمقابل فقد كان ابن القيم محباً لشيخه ابن تيمية معظماً له عارفاً بالجميل الذي أسداه إليه، حتى إنه امتحن وأوذي من أجل مناصرته لشيخه في ذات الله، واسمع إلى ما قاله ابن رجب رحمته الله: (وقد امتحن وأوذي مرات وحُبس مع الشيخ تقي الدين في المرة الأخيرة بالقلعة منفرداً عنه ولم يفرج عنه إلا بعد موت الشيخ). وقال ابن حجر رحمته الله: (إنه اعتقل مع شيخه ابن تيمية بالقلعة بعد أن أهين وطيف به على جمل مضروباً بالدرة فلما مات أُفرج عنه).

سعة علمه:

لا يخفى ما لابن القيم رحمته الله من منزلة عالية في علوم الشريعة، ومكانة سامية فيها، فإنه قد نال منها الحظ الأوفر، وبلغ فيها مرتبة فاق بها الأقران، وتقدّم بها على كثير من علماء ذلك الزمان، حتى شهد له بذلك العدو والصديق، والبعيد والقريب، وأكتفي هنا بذكر ثلاث شهادات من ثلاثة من تلاميذه تُبيّن ما فتح الله عليه به من العلم الواسع.



\* قال تلميذه ابن رجب رحمته الله في "ذيل طبقات الحنابلة" (١٧١/٥): (تفقه في المذهب، وبرع، وأفتى، ولازم الشيخ تقي الدين، وأخذ عنه، وتفنن في علوم الإسلام. وكان عارفا بالتفسير لا يجارى فيه، وبأصول الدين، وإليه فيها المنتهى، والحديث ومعانيه وفقهه، ودقائق الاستنباط منه، لا يلحق في ذلك، وبالفقه وأصوله، وبالعربية وكله فيها اليد الطولى، وتعلم الكلام والنحو وغير ذلك، وكان عالما بعلم السلوك، وكلام أهل التصوف، وإشاراتهم، ودقائقهم. له في كل فن من هذه الفنون اليد الطولى).

\* وقال تلميذه ابن كثير رحمته الله في "البداية والنهاية" (٥٢٣/١٨): (سمع الحديث، واشتغل بالعلم، وبرع في علوم متعددة، لا سيما علم التفسير، والحديث والأصلين، ولما عاد الشيخ تقي الدين ابن تيمية من الديار المصرية في سنة اثنتي عشرة وسبعمائة لازمه إلى أن مات الشيخ، فأخذ عنه علما جمعا مع ما سلف له من الاشتغال، فصار فريدا في بابيه في فنون كثيرة، مع كثرة الطلب لئلا ونهارا، وكثرة الصلاة والابتغال).

\* وقال تلميذه الذهبي رحمته الله في "المعجم المختص" ص (٢٦٩): (عني بالحديث، ومثونه ورجاله، وكان يشتغل في الفقه ويؤيد تقريره وفي النحو ويديره وفي الأصلين).  
ومما يدل على سعة علمه وطول باعه: أنه ألف عدة من كتبه في حال سفره وبُعده عن مكتبته وهي:

١ - "مفتاح دار السعادة".

٢ - "روضة المحبين ونزهة المشتاقين".

٣- "زاد المعاد في هدي خير العباد".

٤- "بدائع الفوائد".

٥- "تهذيب سنن أبي داود".

٦- "الفروسية المحمدية".

ومما يؤكد هذا أن بعض كتبه كانت أجابه عن سؤال فيتوسع فيها ويفتح الله عليه حتى يصير في مصنف عظيم نافع، من ذلك كتابه: "الداء والدواء" المسمى بـ "الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي".

وقد ذكر نص السؤال في آخر الكتاب، ومنها أيضاً كتابنا هذا "الروح" فإنه عبارة عن أجوبه على أسئلة كما سيأتي بيانه.

مشايخه:

لقد كثر مشايخ ابن القيم رحمه الله ونحن نذكر هنا أشهرهم طلباً للاختصار، فمنهم:

١- قيم الجوزية والده أبو بكر بن أيوب.

٢- شيخ الإسلام ابن تيمية أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام.

٣- الحافظ المزني يوسف جمال الدين بن زكي الدين عبد الرحمن الدمشقي.

٤- ابن مفلح محمد شمس الدين أبو عبد الله بن مفلح بن محمد المقدسي الحنبلي.

٥- البدر بن جماعة محمد بن إبراهيم بن جماعة الكناني الشافعي.

تلاميذه:

وكما أن شيوخه كانوا كثيرين، فكذلك قد كثر تلامذته والآخذون عنه، ونذكر

أشهرهم فمنهم:

- ١- ولده برهان الدين إبراهيم بن محمد بن قيم الجوزية صاحب كتاب: "إرشاد السالك إلى حل ألفيه ابن مالك" مطبوع في مجلدين، وله رسالة مختصرة نافعة في اختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية.
- ٢- ولده شرف الدين عبد الله بن محمد بن قيم الجوزية وهو الذي تولى التدريس في الصدرية بعد والده.

٣- ابن كثير إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الشافعي.

٤- ابن رجب عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن الشهير بـ «ابن رجب الحنبلي».

٥- الذهبي محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي الشافعي.

٦- ابن عبد الهادي محمد بن أحمد بن عبد الهادي المقدسي الحنبلي.

٧- السبكي علي بن عبد الكافي بن علي السبكي.

مؤلفاته:

لقد فتح الله على ابن القيم رحمته الله في باب التأليف حتى جمع الكثير من التأليف النافعة التي صار كثير منها مراجع لأهل الإسلام بعد ابن القيم رحمته الله، وقد ذكر الشيخ بكر أبو زيد رحمته الله في كتابه: "ابن قيم الجوزية حياته وآثاره"، منها ستة وتسعين كتاباً نذكر هنا جملة من أشهرها مرتبه على حروف المعجم:

١- "اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية".

٢- "أحكام أهل الذمة".

٣- "إعلام الموقعين عن رب العالمين".

٤- "إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان".

٥- "إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان".

٦- "بدائع الفوائد".

- ٧- "التبيان في أقسام القرآن".
- ٨- "تحفة المودود في أحكام المولود".
- ٩- "تهذيب مختصر سنن أبي داود".
- ١٠- "جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على محمد خير الأنام".
- ١١- "الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي"، وهو المسمى: ب"الداء والدواء".
- ١٢- "حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح".
- ١٣- "حكم تارك الصلاة".
- ١٤- "الرسالة التبوكية".
- ١٥- "الروح". وهو كتابنا الذي نعمل على إخراجه.
- ١٦- "روضة المحبين ونزهة المشتاقين".
- ١٧- "زاد المعاد في هدي خير العباد".
- ١٨- "شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل".
- ١٩- "الصواعق المرسلّة على الجهمية والمعطلة".
- ٢٠- "الطرق الحكمية في السياسة الشرعية".
- ٢١- "طريق المهجرتين وباب السعادتين".
- ٢٢- "عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين".
- ٢٣- "الفروسية".
- ٢٤- "الفوائد".
- ٢٥- "الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية وهو القصيدة النونية".
- ٢٦- "مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين".

٢٧- "مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة".

٢٨- "المنار المنيف في الصحيح والضعيف".

٢٩- "هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى".

٣٠- "الوابل الصيب من الكلم الطيب".

وفاته:

توفي رحمته الله ليلة الخميس الثالث والعشرين من شهر رجب وقت أذان العشاء سنة ٧٥١هـ، وبه كمل له من العمر ستون سنة، وصُلِّيَ عليه من الغد بعد صلاة الظهر وكانت جنازته حافلة -رحمته الله- شهدها القضاة والأعيان والصالحون من الخاصة والعامة وتزاحم الناس على حمل نعشه، ودفن بدمشق بمقبرة الباب الصغير عند والدته، فـرحمته الله رحمة واسعة وجمعنا به في الفردوس الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.



## التعريف بالروح عموماً

لقد كثر كلام الناس في الروح في قديم الزمان وحديثه، وكان كلامهم فيها تارة بالحق وتارة بالباطل، وغرض الجميع التوصل إلى حقيقة هذه الروح، وكان هذا الأمر من الأمور التي حاول اليهود والمشركون تعجيز النبي ﷺ بها ففي "مسند الإمام أحمد" (٢٣٠٩) و"سنن الترمذي" (٣١٤٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قالت قريش لليهود: أعطونا شيئاً نسأل عنه هذا الرجل، فقالوا: سلوه عن الروح؟... فأنزل الله الآية. الحديث. وإسناده صحيح.

وفي "صحيح البخاري" (١٢٥) و"مسلم" (٢٧٩٤) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: بينا أنا مع النبي ﷺ في حرث وهو متكئ على عسيب إذ مر اليهود فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح... فأنزل الله: ﴿وَسَأَلُوكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ [الإسراء: ٨٥].

فهذا السؤال من المشركين واليهود أرادوا به تعجيز النبي ﷺ واختباره، ولا زال حوض أهل الباطل في شأن الروح بغير علم ولا هدى من الله حتى تعمقوا في شأنها وقالوا فيها أقوالاً لا يسندها كتاب ولا سنة فضلوا وأضلوا، وصدق الله إذا يقول: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

وما أحسن ما قاله الإمام الشوكاني رحمته الله في "فتح القدير" (٣/ ٢٦٠) عند الآية (٨٥) من سورة الإسراء: (وَفِي هَذِهِ آيَةٍ مَا يُزَجِّرُ الْخَائِضِينَ فِي شَأْنِ الرُّوحِ الْمُتَكَلِّفِينَ لِبَيَانِ مَا هِيَ وَإِيضًا حَقِيقَتَهُ أَبْلَغَ زَجْرٍ، وَيَرُدُّعُهُمْ أَعْظَمَ رَدْعٍ، وَقَدْ أَطَالُوا الْمَقَالَ فِي هَذَا الْبَحْثِ بِمَا لَا يَنْبَغُ لَهُ الْمَقَامُ، وَغَالِبُهُ بَلْ كُلُّهُ مِنَ الْفُضُولِ الَّذِي لَا يَأْتِي بِنَفْعٍ فِي دِينٍ وَلَا دُنْيَا).

وَقَدْ حَكَى بَعْضُ الْمُحَقِّقِينَ: أَنَّ أَقْوَالَ الْمُخْتَلِفِينَ فِي الرُّوحِ بَلَغَتْ إِلَى ثَمَانِيَةِ عَشَرَ وَمِائَةِ قَوْلٍ، فَانظُرْ إِلَى هَذَا الْفُضُولِ الْفَارِغِ وَالتَّعَبِ الْعَاطِلِ عَنِ النَّفْعِ، بَعْدَ أَنْ عَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ اسْتَأْثَرَ بِعِلْمِهِ، وَلَمْ يُطْلَعْ عَلَيْهِ أَنْبِيَاءُهُ، وَلَا أُذِنَ لَهُمْ بِالسُّؤَالِ عَنْهُ وَلَا الْبَحْثِ عَنْ حَقِيقَتِهِ، فَضَلَّ عَنْ أُمَّهِمُ الْمُقْتَدِينَ بِهِمْ، فَيَا اللَّهَ الْعَجَبَ حَيْثُ تَبْلُغُ أَقْوَالَ أَهْلِ الْفُضُولِ إِلَى هَذَا الْحَدِّ الَّذِي لَمْ تَبْلُغْهُ وَلَا بَعْضُهُ فِي غَيْرِ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ مِمَّا أُذِنَ لِلَّهِ بِالْكَلامِ فِيهِ، وَلَمْ يَسْتَأْثِرْ بِعِلْمِهِ).

قلت: ولا يفهم من كلام الإمام الشوكاني رحمته الله: أن الكلام في الروح ممنوع مطلقاً، وأن الله لم يأذن به، وإنما المراد الكلام الذي لا يستند إلى كتاب ولا سنة بل يكون بالآراء والظنون والتعمقات الفلسفية ونحوها، فهذا هو الكلام المذموم، وليس هذا خاصاً بالروح، بل الكلام إذا كان على هذه الصفة فهو ممنوع ومذموم على كل حال سواء كان في شأن الروح أو في غيره قال شيخ الإسلام رحمته الله كما في "مجموع الفتاوى" (٤/ ٢٣٠ - ٢٣١) :- (وَأَمَّا قَوْلُ السَّائِلِ هَلِ الْمَفْوُضُ إِلَى اللَّهِ أَمْرٌ ذَاتِهَا أَوْ صِفَاتِهَا أَوْ مَجْمُوعُهُمَا؟ فَلَيْسَ هَذَا مِنْ خَصَائِصِ الْكَلَامِ فِي الرُّوحِ؛ بَلْ لَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَقْفُو مَا لَيْسَ لَهُ بِهِ عِلْمٌ وَلَا يَقُولَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا يَعْلَمُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا آيَاتِنَا آيَاتٍ مُتَنَبِّئِينَ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٩]، وَقَدْ قَالَتْ الْمَلَائِكَةُ لَمَّا قَالَ لَهُمْ: ﴿ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ \* قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ [البقرة: ٣١-٣٢]، وَقَدْ قَالَ مُوسَى لِلْحَضِرِ: ﴿ هَلْ أَتَيْتَكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ﴾ [الكهف: ٦٦]، وَقَالَ الْحَضِرُ لِمُوسَى لَمَّا نَقَرَ

العُصْفُورُ فِي الْبَحْرِ: «مَا نَقُصُّ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا كَمَا نَقَصَ هَذَا الْعُصْفُورُ مِنْ هَذَا الْبَحْرِ»، وَلَيْسَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ هُمُوهَا أَنْ يَتَكَلَّمُوا فِي الرُّوحِ بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ لَا فِي ذَاتِهَا وَلَا فِي صِفَاتِهَا، وَأَمَّا الْكَلَامُ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَذَلِكَ مُحَرَّمٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَلَكِنْ قَدْ ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: «كَانَ فِي بَعْضِ سِكَكِ الْمَدِينَةِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ؟ وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا تَسْأَلُوهُ فَيَسْمِعَكُمْ مَا تَكْرَهُونَ. قَالَ: فَسَأَلُوهُ وَهُوَ مُتَكَيِّئٌ عَلَى الْعَسِيبِ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ. فَبَيَّنَ بِذَلِكَ أَنَّ مُلْكَ الرَّبِّ عَظِيمٌ وَجُنُودُهُ وَصِفَةٌ ذَلِكَ وَقُدْرَتُهُ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُحِيطَ بِهِ الْأَدَمِيُّونَ وَهُمْ لَمْ يُؤْتُوا مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً فَلَا يَظُنُّ مَنْ يَدَّعِي الْعِلْمَ أَنَّهُ يُمَكِّنُهُ أَنْ يَعْلَمَ كُلَّ مَا سُئِلَ عَنْهُ وَلَا كُلَّ مَا فِي الْوُجُودِ فَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ).

ومما يؤيد هذا أنه قد جاء في الكتاب والسنة وصف هذه الروح بصفات كثيرة، ومعلوم أن ذكر ما جاء في القرآن والسنة ليس مذموماً بل هو من العلم الشرعي المرغَّب فيه قال شيخ الإسلام رحمته الله كما في «مجموع الفتاوى» (٣/ ٣١-٣٣): (وَقَدْ أَخْبَرَتِ النُّصُوصُ أَنَّهَا تَعْرُجُ وَتَصْعَدُ مِنْ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ وَأَنَّهَا تُقْبِضُ مِنَ الْبَدَنِ وَتُسَلُّ مِنْهُ كَمَا تُسَلُّ الشَّعْرَةُ مِنَ الْعَجِينَةِ وَالنَّاسُ مُضْطَرِبُونَ فِيهَا؛ فَمِنْهُمْ طَوَائِفٌ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ يَجْعَلُونَهَا جُزْءاً مِنَ الْبَدَنِ أَوْ صِفَةً مِنْ صِفَاتِهِ كَقَوْلِ بَعْضِهِمْ: أَنَّهَا النَّفْسُ أَوْ الرِّيحُ الَّتِي تَرُدُّ فِي الْبَدَنِ وَقَوْلِ بَعْضِهِمْ: إِنَّهَا الْحَيَاةُ أَوْ الْمِزَاجُ أَوْ نَفْسُ الْبَدَنِ وَمِنْهُمْ طَوَائِفٌ مِنْ أَهْلِ الْفَلَسَفَةِ يَصِفُونَهَا بِمَا يَصِفُونَ بِهِ وَاجِبَ الْوُجُودِ عِنْدَهُمْ وَهِيَ أُمُورٌ لَا يَتَّصِفُ بِهَا إِلَّا مُتَنَعُّ الْوُجُودِ فَيَقُولُونَ: لَا هِيَ دَاخِلَةٌ فِي الْبَدَنِ وَلَا خَارِجَةٌ وَلَا مُبَايِنَةٌ لَهُ وَلَا مُدَاخِلَةٌ لَهُ وَلَا مُتَحَرِّكَةٌ وَلَا سَاكِنَةٌ وَلَا تَصْعَدُ وَلَا تَهْبِطُ وَلَا هِيَ جِسْمٌ وَلَا عَرَضٌ وَقَدْ يَقُولُونَ: أَنَّهَا لَا تُدْرِكُ الْأُمُورَ الْمُعَيَّنَةَ وَالْحَقَائِقَ الْمَوْجُودَةَ فِي الْخَارِجِ وَإِنَّمَا تُدْرِكُ الْأُمُورَ الْكُلِّيَّةَ الْمُطْلَقَةَ وَقَدْ يَقُولُونَ: أَنَّهَا لَا دَاخِلَ الْعَالَمِ وَلَا خَارِجَهُ وَلَا مُبَايِنَةٌ لَهُ وَلَا مُدَاخِلَةٌ وَرَبِّهَا



قَالُوا لَيْسَتْ دَاخِلَةً فِي أَجْسَامِ الْعَالَمِ وَلَا خَارِجَةً عَنْهَا مَعَ تَفْسِيرِهِمْ لِلْجِسْمِ بِمَا لَا يَقْبَلُ  
 الْإِشَارَةَ الْحِسِّيَّةَ فَيَصِفُونَهَا بِأَنَّهَا لَا يُمَكِّنُ الْإِشَارَةَ إِلَيْهَا وَخَوَّ ذَلِكَ مِنَ الصِّفَاتِ السَّلْبِيَّةِ  
 الَّتِي تُلْحِقُهَا بِالْمَعْدُومِ وَالْمَمْتَنِعِ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ: إِبْتِثَاتٌ مِثْلُ هَذَا مُمْتَنِعٌ فِي ضَرُورَةِ الْعَقْلِ  
 قَالُوا: بَلْ هَذَا مُمَكِّنٌ بِدَلِيلٍ أَنَّ الْكَلِمَاتِ مُمَكِّنَةٌ مَوْجُودَةٌ وَهِيَ غَيْرُ مُشَارٍ إِلَيْهَا وَقَدْ عَفَلُوا  
 عَنْ كَوْنِ الْكَلِمَاتِ لَا تُوْجَدُ كَلِمَةً إِلَّا فِي الْأَذْهَانِ لَا فِي الْعِيَانِ؛ فَيَعْتَمِدُونَ فِيمَا يَقُولُونَهُ فِي  
 الْمَبْدَأِ وَالْمَعَادِ عَلَى مِثْلِ هَذَا الْخِيَالِ الَّذِي لَا يَخْفَى فَسَادُهُ عَلَى غَالِبِ الْجُهَالِ. وَاضْطِرَابُ  
 النُّفَاةِ وَالْمُثَبِّتَةِ فِي الرُّوحِ كَثِيرٌ وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الرُّوحَ - الَّتِي تُسَمَّى بِالنَّفْسِ النَّاطِقَةِ عِنْدَ  
 الْفَلَسَفَةِ - لَيْسَتْ هِيَ مِنْ جِنْسِ هَذَا الْبَدَنِ وَلَا مِنْ جِنْسِ الْعِنَاصِرِ وَالْمَوْلِدَاتِ مِنْهَا؛ بَلْ  
 هِيَ مِنْ جِنْسٍ آخَرَ مُخَالَفٍ لِهَذِهِ الْأَجْنَاسِ فَصَارَ هُوَ لَا يَعْرِفُونَهَا إِلَّا بِالسُّلُوبِ الَّتِي  
 تُوجِبُ مُخَالَفَتَهَا لِلْأَجْسَامِ الْمَشْهُودَةِ وَأُولَئِكَ يَجْعَلُونَهَا مِنْ جِنْسِ الْأَجْسَامِ الْمَشْهُودَةِ وَكِلَا  
 الْقَوْلَيْنِ خَطَأً وَإِطْلَاقُ الْقَوْلِ عَلَيْهَا بِأَنَّهَا جِسْمٌ أَوْ لَيْسَتْ بِجِسْمٍ يَخْتِاجُ إِلَى تَفْصِيلٍ فَإِنَّ  
 لَفْظَ الْجِسْمِ لِلنَّاسِ فِيهِ أَقْوَالٌ مُتَعَدِّدَةٌ اصْطِلَاحِيَّةٌ غَيْرُ مَعْنَاهُ اللَّغَوِيَّ فَإِنَّ أَهْلَ اللُّغَةِ  
 يَقُولُونَ: الْجِسْمُ هُوَ الْجَسَدُ وَالْبَدَنُ وَهَذَا الْإِعْتِبَارُ فَالرُّوحُ لَيْسَتْ جِسْمًا؛ وَهَذَا يَقُولُونَ:  
 الرُّوحُ وَالْجِسْمُ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ  
 لِقَوْلِهِمْ﴾ [المنافقون: ٤]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، وَأَمَّا  
 أَهْلُ الْكَلَامِ: فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ الْجِسْمُ هُوَ الْمَوْجُودُ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: هُوَ الْقَائِمُ بِنَفْسِهِ  
 وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: هُوَ الْمُرَكَّبُ مِنَ الْجَوَاهِرِ الْمَفْرَدَةِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: هُوَ الْمُرَكَّبُ مِنَ الْمَادَّةِ  
 وَالصُّورَةِ وَكُلُّ هُوَ لَا يَقُولُونَ: إِنَّهُ مُشَارٌ إِلَيْهِ إِشَارَةٌ حِسِّيَّةٌ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: لَيْسَ مُرَكَّبًا  
 مِنْ هَذَا وَلَا مِنْ هَذَا بَلْ هُوَ مِمَّا يُشَارُ إِلَيْهِ وَيُقَالُ: إِنَّهُ هُنَا أَوْ هُنَاكَ؛ فَعَلَى هَذَا إِنْ كَانَتْ  
 الرُّوحُ مِمَّا يُشَارُ إِلَيْهَا وَيَتَّبَعُهَا بَصَرُ الْمَيِّتِ - كَمَا قَالَ ﷺ: «أَنَّ الرُّوحَ إِذَا خَرَجَتْ تَبِعَهَا  
 الْبَصَرُ وَأَنَّهَا تُقْبَضُ وَيُعْرَجُ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ» - كَانَتْ الرُّوحُ جِسْمًا بِهَذَا الْإِصْطِلَاحِ

وَالْمَقْصُودُ: أَنَّ الرُّوحَ إِذَا كَانَتْ مَوْجُودَةً حَيَّةً عَالِمَةً قَادِرَةً سَمِيعَةً بَصِيرَةً: تَصْعَدُ وَتَنْزِلُ وَتَذْهَبُ وَتَحْيِيءُ وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنَ الصِّفَاتِ، وَالْعُقُولُ قَاصِرَةٌ عَنِ تَكْيِيفِهَا وَتَحْدِيدِهَا؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يُشَاهِدُوا لَهَا نَظِيرًا. وَالشَّيْءُ إِنَّمَا تُدْرِكُ حَقِيقَتَهُ بِمُشَاهَدَتِهِ أَوْ مُشَاهَدَةِ نَظِيرِهِ).

فإذا تبين هذا وأن الكلام في الروح في القرآن والسنة ليس مذموماً، وإنما المذموم ما كان بغير علم ولا حجة، فإن ابن القيم -رحمته الله- قد تصدى في كتابه هذا لبيان مسائل عظيمة جليلة متعلقة بهذه الروح، معتمداً في ذلك على الكتاب والسنة وكلام سلف الأمة -إلا ما سيأتي التنبيه عليه في موضعه إن شاء الله-، فصار هذا الكتاب معيناً صافياً في هذه المسألة بالذات، كما سيأتي بيان ذلك -إن شاء الله- في المبحث المتعلق بكتاب "الروح" لابن القيم -رحمته الله-.



### تحقيق نسبة كتاب الروح إلى مصنفه الإمام ابن القيم رحمته الله

لقد اشتهر على ألسن بعض طلبة العلم أن "كتاب الروح" ليس لابن القيم رحمته الله، وأن نسبته إليه غير صحيحة، أو أنه ألّفه قبل اتصاله بشيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله، وكلا الأمرين -عند التأمل- غير صحيح، فإن الكتاب ثابت إلى ابن القيم يقيناً، وتأليفه له إنما كان بعد اتصاله بشيخه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمهما الله، وسأذكر في هذا الفصل -إن شاء الله- دراسة وافية لهاتين المسألتين -مستفيداً في ذلك مما قد كُتِب في هذا الموضوع<sup>(١)</sup> ومضيفاً ما فتح الله عليّ به -بما لا يدع مجالاً للشك بعد هذا في صحة نسبة الكتاب إلى ابن القيم، وأن زمن تأليفه كان بعد اتصاله بشيخ الإسلام رحمهما الله، وقبل البدء في هذا الملح إلى بعض من شكك في نسبة الكتاب إلى ابن القيم رحمته الله فأقول وبالله التوفيق:

ذكر محقق "كتاب الروح" طبعة دار عالم الفوائد: (١/٨): أنه في عام (١٣٨٤هـ) ظهر في "مجلة الهدى النبوي" الصادرة في القاهرة عنوان: (هل كتاب الروح ليس لابن القيم) وذلك في ذيل الحلقة الثالثة من سلسلة مقالات الشيخ محمد نجيب المطيعي رحمته الله، في تعقب أحاديث وحكايات واردة في "كتاب الروح" قال الشيخ: (سألني أخي الأستاذ جميل غازي رئيس قسم الثقافة والتوجيه المعنوي بالعلاقات العامة بمحافظته

(١) ومن المصادر التي استفدت منها:

- ١- "كتاب ابن قيم الجوزية حياته وآثاره" للشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد رحمته الله.
- ٢- مقدمة محقق كتاب "الروح" لابن القيم رحمته الله طبعة دار عالم الفوائد.

الدقهلية عما إذا كان هذا الكتاب "الروح" هو لابن القيم قطعاً أم أنه منسوب إليه؟ وهل هذا الكتاب يتفق مع منهج ابن القيم الذي عرف بالدقة والضبط والتثبت؟ فأقول: إن هذا الكتاب لابن القيم يقيناً وذلك للأسباب الآتية... إلى آخر كلامه.

الشاهد منه: أنه من هذا التاريخ كانت بدايات التشكيك في نسبة الكتاب لابن القيم رحمته الله مع أن هذا الأمر لم يكن معلوماً قبل هذا في غالب الظن. وممن شكك في نسبة الكتاب لابن القيم أيضاً العلامة الألباني رحمته الله في مقدمته لكتاب "الآيات البينات في عدم سماع الأموات عند الحنفية السادات" للآلوسي رحمته الله فإنه قال ص: (٦٠) بعد أن ذكر كلاماً لابن القيم رحمته الله وانتقده عليه: (ولهذا وغيره فإني في شك كبير من صحة نسبة الروح إليه أو لعله ألفه في أول طلبه للعلم، والله أعلم". وسئل رحمته الله كما في كتاب "موسوعة العلامة الألباني في العقيدة" (٩/١٤٥) إعداد: شادي بن محمد بن سالم آل نعمان - كتاب "الروح" الذي ينسب لابن القيم هل تصح نسبته إليه فعلاً وإلا؟

فأجاب: (هو ينسب له فعلاً، لكن ما ندري هل هو ألفه في أول حياته، أم هو منسوب إليه، ولا علم عنده به، الله أعلم).

وسئل رحمته الله كما في نفس المصدر: كتاب الروح لابن قيم الجوزية هل يعتمد عليه يا شيخنا؟

فأجاب: (لا يُعتمد عليه، ولو كان ابن القيم هو عندنا قيم لكن كتابه إن صح نسبته إليه فهو من الكتب التي تشبه ما يؤلفها الناشئون اليوم في العلم والذين يتسرعون فيخبطون الخبط العشواء في الليلة الظلماء فالظاهر - إن صحت نسبة كتاب

ابن القيم - كان هذا الكتاب من أوائل ما ألفه يعني قبل أن يتحرر من التقليد والجمود الفكري والمذهبي والخرافي).

هذا ما وقفت عليه ممن شكك في صحة نسبة هذا الكتاب وهو كما ترى مبني على أن ابن القيم ذكر فيه بعض الأمور التي انتقدت عليه وبعضها خلاف المعهود منه رحمته، فكان من العلامة الألباني أن شك في صحة نسبة الكتاب لابن القيم؛ لاستبعاد أن يكون مثل هذا كلامه، ومما يؤيد هذا ما وقع في كلام العلامة الألباني المذكور سابقاً فإنه قال في أثناؤه: (فو الله لو أن ناقلاً نقل هذا الكلام عنه ولم أقف أنا بنفسني عليه لما صدقته لغرابته وبعده عن الأصول العلمية والقواعد السلفية التي تعلمناها منه ومن شيخه الإمام ابن تيمية فهو أشبه شيء بكلام الآرائين والقياسيين الذين يقيسون الغائب على الشاهد والخالق على المخلوق...).

فهذا كما ترى هو سبب استبعاد صحة نسبة الكتاب إلى ابن القيم:، وهذا مسلك معروف عند أهل العلم أنهم ينكرون نسبة الكتاب أو الكلام إلى فلان من الناس لأنه خلاف الطريقة التي يسير عليها، ومن ذلك إنكار من أنكر من أهل العلم صحة نسبة كتاب الحيدة إلى الإمام عبد العزيز الكناني المكي رحمته وكان من الأمور التي علل بها هذا الإنكار أن الكتاب فيه أشياء تخالف ما كان عليه الإمام عبد العزيز المكي رحمته، وكذلك إنكار من أنكر من أهل العلم صحة نسبة تلك القصيدة المنسوبة إلى الإمام الصنعاني رحمته التي مطلعها:

رجعت عن النظم الذي قلت في النجدي... فقد صح لي عنه خلاف الذي عندي إلى آخرها، التي زعم واضعها أن الإمام الصنعاني رجع بها عن القصيدة التي كان مدح فيها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب النجدي رحمته ودعوته، وكان من الأمور التي علل بها هذا الإنكار أن القصيدة فيها أمور وأقوال تخالف ما كان عليه الإمام

الصنعاني رحمته الله وغير هذا كثير، الشاهد منه أن هذا المسلك معروف عند أهل العلم وليس بغريب، ولكن هذا المسلك إنما يُسلك إذا لم تقم الدلائل الواضحة والقرائن القوية على صحة نسبة كتاب ما أو كلام ما إلى فلان من الناس، وأما إن وجد ما يدل على صحة النسبة فحينئذ لا يُسلك هذا المسلك، وإنما يقال هذا كتاب فلان وهذا كلام فلان وفيه من الخطأ كذا وكذا، ولكل جواد كبوة، والناظر إلى كتاب الروح يجد أنه من النوع الثاني الذي قامت على صحة نسبته إلى ابن القيم دلائل واضحة وقرائن قوية لا يسوغ معها الشك والتردد في صحة نسبته إلى مؤلفه، فما بقي إلا أننا نثبت الكتاب وما كان فيه من خطأ يستحق التنبيه ينبه عليه.

وإلى الشروع في المقصود من هذا الفصل ونبدأ أولاً: ببيان صحة نسبة الكتاب إلى

مصنفه:

كما تقدم أنه قد قامت على صحة نسبة كتاب الروح إلى ابن القيم رحمته الله دلائل واضحة وقرائن قوية فأليك ما يسره الله منها:

١- أن ابن القيم نفسه قد عزا إليه في كتابه "جلاء الإفهام" ص (٥٥٧) فبعد أن ذكر حديث أبي هريرة رحمته الله في خروج الروح قال: (وقد استوفيت الكلام على هذا الحديث وأمثاله في كتاب الروح).

قلت: وكلامه على هذا الحديث وأمثاله هو في المسألة السادسة من كتابنا هذا، وهذا الأمر من أقوى الشواهد على صحة نسبة الكتاب.

٢- أن هذا الكتاب قد أثبتته أكابر طلاب ابن القيم فهذا ابن رجب في كتابه "أهوال القبور" ينقل من "كتاب الروح" وينسبه لابن القيم حيث قال ص (٦٦) (وذكر شيخنا أبو عبد الله ابن القيم رحمته الله في كتاب الروح...).

٣- أن هذا الكتاب قد أثبتته لابن القيم جُلُّ من ترجم له، منهم الحافظ ابن حجر في "الدرر الكامنة" (٢٤٤ / ٣) طبعة دار الكتب العلمية، والسيوطي في "بغية الوعاة" (٦٣ / ١)، وابن العماد في "شذرات الذهب" (٢٩٠ / ٨) طبعة دار ابن كثير، والشوكاني في "البدر الطالع" (٦٠ / ٢) طبعة دار الكتب العلمية، وحاجي خليفة في "كشف الظنون" (١٤٢١ / ٢) طبعة مكتبة المثنى بغداد. وغيرهم.

٤- أن هذا الكتاب قد اعتمده أهل العلم بعد ابن القيم من لدن تلامذته إلى يومنا هذا، وأهل العلم ينقلون عنه وينسبون الكتاب إليه، وسأذكر في هذا الموضوع جملة من العلماء الذين نقلوا عنه مع نسبة الكتاب إليه صراحة فمنهم:

١- تلميذه ابن رجب في "أهوال القبور" ص (٦٦) حيث قال: (وذكر شيخنا أبو عبد الله ابن القيم رحمته الله في كتاب الروح...).

٢- محمد بن محمد بن محمد المنبجي المتوفى سنة (٧٨٥) في كتابه "تسليية أهل المصائب" حيث قال ص (٢٠٣): (قال العلامة ابن القيم في كتاب الروح حدثني صاحبنا أبو عبد الله محمد بن الوزير الحراني...).

ثم قال ص (٢٠٨): (قال العلامة ابن القيم في كتاب الروح: الروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق...).

٣- الحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفى (٨٥٢) في كتابه "فتح الباري" طبعة دار السلام في عدة مواضع منها (٣٠٣ / ٣) حيث قال: (وتعقبه ابن القيم في كتاب الروح...)، ومنها (٥٤١ / ٦) حيث قال: (وزعم ابن القيم في كتاب الروح...)، ومنها (٥١٣ / ٨) حيث قال: (وجنح ابن القيم في كتاب الروح...).

٤- جلال الدين السيوطي المتوفى (٩١١) في "شرح الصدور" حيث قال ص (٤٣٠): (خاتمة في فوائد تتعلق بالروح لخصت أكثرها من كتاب الروح لابن القيم).

٥- الإمام الصنعاني المتوفى سنة (١١٨٢) في "سبل السلام" (٣/٣٨٦) طبعة دار ابن الجوزي حيث قال: (وذهب ابن القيم إلى عموم المسألة وبسط المسألة في كتاب الروح)، وذلك في كلامه عن مسألة: هل سؤال القبر خاص بهذه الأمة أو عام لجميع الأمم.

٦- السفاريني المتوفى سنة (١١٨٨) أكثر من النقل عن كتاب الروح في ثلاثة كتب مما ألفه أذكر من كل كتاب مثلاً.

قال في "لوامع الأنوار" (٢/٢٩): (وقال الإمام المحقق ابن القيم في كتابه الروح...).

وقال في "لوائح الأنوار" (٢/١٦٣): (قال المحقق ابن القيم في الروح...).

وقال في "البحور الزاهرة" (١/٩٨): (اختار هذا القول الإمام المحقق ابن القيم في كتاب الروح...).

٧- نعمان الألوسي المتوفى سنة (١٣١٧) في كتابه "الآيات البيئات في عدم سماع الأموات" حيث قال في آخر كتابه: (خاتمة... قال الحافظ ابن القيم في كتاب الروح...)، ثم لخص عدة فصول من كتاب الروح.

٥- ومن الدلائل على إثبات نسبة الكتاب لابن القيم أن البقاعي إبراهيم بن عمر رحمته الله المتوفى سنة (٨٨٥) اختصر هذا الكتاب في كتاب سماه "سر الروح"، وذكر في مقدمته أنه أخذه من كتاب ابن القيم رحمته الله، وكذلك اختصره -في أوراق قليلة- رجل يقال له إسماعيل بن محمد بن ركين، وعندي مخطوطة من مختصره، ولم أقف له على ترجمة، الشاهد من هذا أن هذه الاختصارات من هؤلاء العلماء تدل على تحققهم من صحة نسبة الكتاب لابن القيم رحمته الله.



٦- أن القارئ لكتاب الروح- إن كانت عنده مطالعة لكتب ابن القيم- لا يتردد في أن الأسلوب في هذا الكتاب هو نفس الأسلوب في سائر كتب ابن القيم وأن الطريقة واحدة في الاستدلال وعرض الأقوال ومناقشتها.

٧- ما أفاده محقق الروح طبعة "دار عالم الفوائد" (١/١٣) من أن نُسخَهُ الخَطِيَّةَ المنتشرة في خزائن الشرق والغرب ويبلغ عددها نحو أربعين نسخة كلها مجمعة على نسبه إلى ابن القيم وأقدمها نسخة الظاهرية المكتوبة سنة (٧٧٤هـ)، بعد وفاة ابن القيم بثلاث وعشرين سنة.

ثانياً: إثبات أن تأليف ابن القيم رحمته الله لهذا الكتاب إنما كان بعد اتصاله بشيخ الإسلام، أو على الأقل أنه أضاف إليه وزاد فيه بعد اتصاله بشيخ الإسلام- والمعتمد عندي الأول، وإنما ذكرت الثاني احتمالاً-، ويتبين هذا بأمور:

١- أنه نقل عن شيخ الإسلام في أكثر من عشرة مواضع من هذا الكتاب تارةً يقول: قال شيخنا، وتارة يقول: قال شيخ الإسلام، وتارة ينقل عنه دون تسمية.

٢- بل إنه قد وقع في بعض النقول ما يفهم منه أنه إنما كتبه بعد وفاة شيخه ابن تيميه رحمته الله حيث، قال: ص ( ) في آخر المسألة الثالثة: (وقد حدثني غير واحد ممن كان غير مائل إلى شيخ الإسلام ابن تيميه أنه رآه بعد موته وسأله عن شيء كان يشكل عليه من مسائل الفرائض وغيرها فأجابه بالصواب).

٣- أنه في المباحث العقديّة في توحيد العبادة وتوحيد الأسماء والصفات يقرر فيها مذهب السلف، وهذا إنما استفاده بعد اتصاله بشيخ الإسلام وإلا فقد كان على غير هذا الطريق كما تقدم في ترجمته.

وانظر لمعرفة هذا والتأكد منه الفصل الأخير في بيان الفروق: (الفرق بين توحيد المرسلين وتوحيد المعطلين)، وما بعده من الفروق التي قرر فيها مذهب السلف.

فمن هذه الأمور والدلائل يتبين جلياً أن هذا الكتاب إنما كتبه ابن القيم بعد اتصاله بشيخ الإسلام رحمهما الله.

### التعريف بكتاب الروح

إن من المهم في هذه المقدمة أن نذكر نبذة مختصرة تكون تعريفاً بهذا الكتاب وبما تضمنه وينحصر ذلك في عدة نقاط:

أولاً: سبب تأليفه:

إن الناظر في كتاب "الروح" يرى أن سبب تأليفه كان إجابة عن سؤال عُرض عليه، ومحمّل أنه سئل عن المسائل الموجودة فيه كلها-وهي إحدى وعشرون مسألة- أو أنه سئل عن بعضها ثم استطرد في الجواب ذاكراً ما يكمل الفائدة في هذا الموضوع، ولم يُثبت في هذا الكتاب نص السؤال إلا أنه أشار إليه في بعض المسائل فإنه قال في آخر المسألة الأولى: (والمقصود جواب السائل وأن الميت إذا عرف مثل هذه الجزئيات...)، وقال في المسألة السابعة والثامنة والتاسعة: (وهي قول السائل...)، وقال في المسألة العاشرة: (وهي قوله: ما هي الأسباب المنجية من عذاب القبر، فجوابها أيضاً من وجهين...).

فهذه الدلائل تشير إلى أن هذا الكتاب كان جواباً عن استفتاء عُرض على المصنف **رحمته**، وبهذا السبب ألف ابن القيم عدة من كتبه ككتاب "الداء والدواء" المسمى بـ"الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي" وكذلك كتاب "الطرق الحكيمة في السياسة الشرعية" فإنه كان جواباً عن أسئلة عاجلة وردت عليه تسمى الطرابلسيات.

وغيرها من الكتب، ومن هنا يستفيد العالم وطالب العلم أنه لا يستهين باستفسارات الناس وما يعرضونه عليه مما يحتاج إلى علاج؛ فإن ذلك ربما صار مرجعاً يستفيد منه المسلمون، وبالله التوفيق.

ثانياً: مكانته:

لا يخفى ما لكتاب الروح من مكانة عظيمة عند أهل العلم قديماً وحديثاً، ويتجلى ذلك بأمرين:

١- أن كثيراً ممن جاء بعد ابن القيم ممن كتب في هذا الموضوع أو بحث مسألة من مسأله، فإنه يُعوّل على هذا الكتاب ويستفيد منه، مع كونهم علماء أجلاء عندهم القدرة على تحرير المسائل وتمحيصها ولكنهم يستقون من هذا الكتاب لما يرون له من الأهمية البالغة، وقد تقدم في الفصل الذي قبل هذا ذكر جملة من العلماء الذين نقلوا عنه واستفادوا منه.

٢- أن كثيراً من العلماء أثنوا على هذا الكتاب وأشادوا به فمنهم على سبيل المثال:  
أ- شمس الدين السفاريني حيث قال في كتابه "البحور الزاهرة" (:): (وكتابه هذا من أجل ما رأينا في هذا الفن بل هو أجلها وأعظمها ولا ينبغي لمن له رغبة في العلوم أن يجهله ولا شيئاً منه فعليك به فإنه مفيد جداً).

ب- آلوسي في "روح المعاني" (٨ / ٥٨٠) طبعة المكتبة التوفيقية عند الآية (٨٥) من سورة الإسراء حيث قال: (وهو كتاب مفيد جداً يهب للروح رَوْحاً ويورث للصدر شرحاً)، وغيرهم.

ومما يبين مكانة هذا الكتاب ما ذكره ابن القيم في الفصل الأخير من هذا الكتاب، وهو فصل الفروق حيث ذكر فروقا كثيرة بين أمور مشتبهة لعلك لا تقف على مثله في أيّ كتاب.

## ثالثاً: موضوعاته:

لقد ناقش ابن القيم في هذا الكتاب مسائل مهمة غالبها تتعلق بأمر الغيب مثل عذاب القبر وأسبابه، والأسباب المنجية منه، والرد على من أنكروه، وكذلك تكلم على الفتنة في القبر وهل هي عامة أو خاصة، وكذلك تكلم على الروح وما يتعلق بها هل هي مخلوقة أو غير مخلوقة، وهل خلقت قبل الجسد أو بعده، وهل تتلاقى أرواح الأموات فيما بينها، وهل تتلاقى أرواح الأموات مع أرواح الأحياء، وهل تموت الروح، وأين مستقر الأرواح بعد مفارقة الأجساد، وكذلك تكلم ضمناً على مسألة أخذ الميثاق، وكذلك مسألة إهداء القرب للأموات وهل تصلهم أو لا، ثم ختم الكتاب بفصل ممتع في الفروق، يعتبر كرامة من الله لهذا الإمام فما كل الناس يستطيع الدخول في هذا الميدان- نسأل الله من فضله-، إلى غير ذلك من المباحث المفيدة والفوائد العزيرة التي حشرها في هذا الكتاب، **فبالحمد لله** رحمة واسعة، وجزاه عن المسلمين خير الجزاء.

## رابعاً: مختصراته:

لم أقف على كل مختصرات هذا الكتاب ولا على أكثرها، ولكن أفاد محقق كتاب "الروح" طبعة دار عالم الفوائد في مقدمته ص (٧٣-٧٨) بذكر مختصرات هذا الكتاب أنقلها هنا من ذلك المصدر باختصار:

١- "سر الروح" للإمام البقاعي إبراهيم بن عمر المتوفى سنة: (٨٨٥).

٢- "الفتوح في حقيقة الروح" لشمس الدين ابن طولون المتوفى سنة: (٩٥٣).

٣- "مختصر كتاب الروح" لإسماعيل بن محمد بن ركين.

٤- "قاعدة مختصره من كتاب الروح" لإسماعيل بن محمد بن بردس.

٥- "نفحة الأرواح وتحفة الأفراح" لعبد الوهاب بن عبد الوهاب بن عبد الله الشافعي.

٦- "أسرار الروح".

٧- "مختصر لمسائل كتاب الروح" إعداد سليمان بن صالح الخراشي.

٨- للعلامة المعلمي اختيار وتلخيص لبعض مسائل الكتاب، لخص كثيراً من الفروق وعلق عليها.

فائدة:

ترجم الشيخ راغب رحمانى كتاب الروح إلى اللغة الأردنية، وقد صدرت طبعتها العاشرة سنة ١٩٨٢ في كراتشي بباكستان.

خامساً: طبعاته:

لقد طبع كتاب الروح طبعات كثيرة منها ما حصل فيها اعتناء من الطابع والمحقق، ومنها ما لم يحصل فيها ذلك، وإلى تاريخ ١٩ شوال ١٤٣٢هـ لم يصل إلينا في دار الحديث بدماج- شيء من النسخ المعنى بها، فشرعت من ذلك التاريخ في العمل في خدمة هذا الكتاب خدمةً تتضمن تخريج ما فيه من الأحاديث والآثار، وتتضمن التعليق على بعض المواضع التي رأيت أنها تحتاج إلى تعليق، وكذلك تتضمن العناية بتصحيح الكتاب وضبط نصه، وكان انتهائي من القسم الأول من هذه العناية -وهو تخريج أحاديث وآثار الكتاب والتعليق عليه- في (٥/ جمادى الآخرة: ١٤٣٣هـ) فله الحمد والشكر، وقد وقفت في هذه الفترة على نسختين مطبوعتين تعتبران أفضل طبعات الكتاب فيما رأيته:

١- النسخة الأولى: هي النسخة التي حققها الدكتور بسام علي سلامة العموش أستاذ العقيدة بالجامعة الأردنية طبعة دار الهدى النبوي مصر ودار الفضيلة السعودية،

تاريخ طباعتها (١٤٣٢هـ)، وقد اعتمد محقق هذه النسخة على ثلاث نسخ خطية، وعلق على الكتاب بتعليق يسيرة - له فيها أخطاء عدة لست في صدد بيانها - وهذه النسخة وصلتني بعد أن قاربت النصف من العمل في هذا الكتاب - فيما يغلب على الظن - وتعتبر هذه النسخة خطوة أولى في خدمة هذا الكتاب.

٢- النسخة الثانية: هي التي النسخة التي حققها: محمد أجمل أيوب الإصلاحي، وخرج أحاديثها: كمال بن محمد قالمي، طبعة دار عالم الفوائد، تاريخ طباعتها ١٤٣٢هـ وهي الطبعة الأولى، وقد اعتمد محقق هذه النسخة على ثمان مخطوطات ذكر أنه حرص على أن تكون من أقدم نسخ الكتاب وأن تكون منقولة من أصول مختلفة.

وتحقيق هذه النسخة لاشك أنه أحسن بكثير من تحقيق النسخة التي قبلها، وفيها أيضاً تخريج للأحاديث لا بأس به، مع أنه قد قصر في بعض المواضع يقف عليها من قابل بين تخريجنا وتخرجه، وفيها عزو للآثار إلى مصادرها، وهكذا توثيق النصوص الواردة في الكتاب، وفيها مقدمة مفيدة وفهارس علمية شاملة، فالحق أنها نسخة حصلت فيها عناية جيدة، وهذه النسخة وصلتني بعد أن انتهيت من العمل في الكتاب بعدة أشهر عن طريق الأخ الفاضل خليل العديني جزاه الله خيراً، فاستفدت منها بعض الأمور التي فاتتني كتخريج بعض الآثار التي لم أكن وقفت عليها، وكزيادة طرق لبعض الأحاديث لم أكن وقفت عليها وهذا في حديثين أو ثلاثة، وهكذا استفدت من المقدمة أموراً أشرت إليها في مواضعها من مقدمتي هذه.

ما امتازت به نسختنا هذه:

وأما هذه الطبعة التي أسعى في إخراجها فأرجو أن أكون قد وُفِّتُ فيها، ولست أشك أن الخطأ والتقصير من شأن بني آدم، ولكن حسبي قول النبي ﷺ: «قاربوا وسددوا»، فمن وقف على خطأ أو تقصير فليفتني به، والله يعلم أني لم أقصد إلا

الإصلاح، وتقريب الفائدة حسب جهدي وطاقتي، وما أحسن ما قاله الحريري في خاتمة ملحة الإعراب:

وإن تجد عيباً فسدَّ الخللَ قد جَلَّ من لا عيب فيه وعلا

فمما امتازت به هذا النسخة:

١- تخريج الأحاديث مع ذكر ما لها من الشواهد والمتابعات بقدر المستطاع.  
٢- تخريج الآثار المذكورة في الكتاب مع الحكم عليها بما تستحقه صحة أو ضعفاً  
تتميماً للفائدة.

٣- تخريج الرؤى التي ذكرها ابن القيم في هذا الكتاب مع بيان ضعف أسانيد أكثرها، لأن الواقف عليها يرى أن ابن القيم رحمته الله ساقها مساق الاستكثار من الأدلة فاحتجت إلى بيان أسانيدها.

٤- مناقشة مسائل الكتاب التي ذكرها ابن القيم رحمته الله، والتعليق عليها من كلام أهل العلم.

٥- التنبيه على بعض المواضع التي هي محل نظر وتأمل، أو مما انتقده أهل العلم على ابن القيم رحمته الله، أو مما قد خالفه ابن القيم نفسه في مواضع أخرى من كتبه.  
هذه بعض الأمور التي امتازت بها هذه النسخة مما لم أجده على الوجه المطلوب في غير هذه النسخة، وعلى الله اعتمادي وإليه تفويض أمري واستنادي، وهو حسبي ونعم الوكيل.

سادساً: المؤاخذات على الكتاب:

رغم ما في هذا الكتاب العظيم من المباحث النفسية، والفوائد العلمية الفريدة، إلا أنه من عمل البشر الذي لا يخلو عن خطأ أو تقصير... وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن الكمال لله ولما جاء عن الله، وما أحسن ما قاله الشافعي رحمته الله: (أبى الله أن يكون

إلا كتابته)، أما عمل البشر فإنه يعتريه الخطأ والتقصير كل بحسبه، وهذا مما يوجب على العبد الاستعانة بالله وسؤاله الهدى والسداد ولذا علم النبي ﷺ علياً أن يقول: «اللهم أهديني وسدني»<sup>(١)</sup>، وكان هذا الكتاب مما وقع لابن القيم رحمه الله فيه أشياء نبه عليها أهل العلم فمن ذلك:

١- ما نبه عليه العلامة الألباني رحمه الله في مقدمته لكتاب «الآيات البينات» للآلوسي ص (٦٠) في الكلام على مسألة سماع الأموات قال العلامة الألباني رحمه الله: «وأغرب ما رأيت لهم من الأدلة قول ابن القيم رحمه الله في «الروح» (ص ٨) تحت المسألة الأولى: هل تعرف الأموات زيارة الأحياء وسلامهم أم لا؟ فأجاب بكلام طويل جاء فيه ما نصه: ويكفي في هذا تسمية المسلم عليهم زائراً ولولا أنهم يشعرون به لما صح تسميته زائراً فإن المزور إن لم يعلم بزيارة من زاره لم يصح أن يقال: زاره هذا هو المعقول من الزيارة عند جميع الأمم، وكذلك السلام عليهم أيضاً فإن السلام على من لا يشعر ولا يعلم بالمسلم محال وقد علم النبي ﷺ أمته إذا زاروا القبور أن يقولوا: «سلام عليكم أهل الديار»، وهذا السلام والخطاب والنداء لموجود يسمع ويخاطب ويعقل ويرد وإن لم يسمع المسلم الرد.

أقول وبالله تعالى التوفيق:

رحم الله ابن القيم فما كان أغناه عن الدخول في مثل هذا الاستدلال العقلي الذي لا مجال له في أمر غيبي كهذا فوالله لو أن ناقلاً نقل هذا الكلام عنه ولم أقف أنا بنفسني عليه لما صدقته لغرابته وبعده عن الأصول العلمية والقواعد السلفية التي تعلمناها منه

(١) أخرجه مسلم: (٢٧٢٥).



ومن شيخه الإمام ابن تيمية فهو أشبه شيء بكلام الآرائين والقياسيين الذين يقيسون الغائب على الشاهد والخالق على المخلوق وهو قياس باطل فاسد طالما رد ابن القيم أمثاله على أهل الكلام والبدع ولهذا وغيره فإني في شك كبير من صحة نسبة "الروح" إليه أو لعله ألفه في أول طلبه للعلم. والله أعلم.

٢- وما نبه عليه أيضاً في "السلسلة الصحيحة" (٤/١٦١-١٦٢) حديث رقم (١٦٢٣) في الكلام على مسألة أخذ الميثاق حيث قال: (ففي ذلك رد على قول ابن القيم أيضاً في كتاب "الروح" ص (١٦١) بعد أن سرد طائفة من الأحاديث المتقدمة: (وأما مخاطبتهم واستنطاقهم وإقرارهم له بالربوبية وشهادتهم على أنفسهم بالعبودية - فمن قال من السلف فإنما هو بناء منه على فهم الآية، والآية لم تدل على هذا بل دلت على خلافه. وقد أفاض جدا في تفسير الآية وتأويلها تأويلا ينافي ظاهرها بل ويعطل دلالتها أشبه ما يكون بصنيع المعطلة لآيات وأحاديث الصفات حين يتأولونها، وهذا خلاف مذهب ابن القيم رحمته الله الذي تعلمناه منه ومن شيخه ابن تيمية، فلا أدري لماذا خرج عنه هنا) إلى أن قال: (وبذلك ننجو من مشكلتين بل مفسدتين كبيرتين: الأولى: رد الحديث بزعم معارضته للآية.

والأخرى: تأويلها تأويلا يبطل معناها، أشبه ما يكون بتأويل المبتدعة والمعتزلة. كيف لا وهم أنفسهم الذين أنكروا حقيقة الأخذ والإشهاد والقول المذكور فيها بدعوى أنها خرجت مخرج التمثيل! وقد عز علي كثيرا أن يتبعهم في ذلك مثل ابن القيم وابن كثير، خلافا للمعهود منهم من الرد على المبتدعة ما هو دون ذلك من التأويل. والعصمة لله وحده).

٣- ما نبه عليه العلامة عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين في نسخته الخاصة من كتاب "الروح" في الكلام على مسألة موت الأنبياء قال **رحمته الله**: «وقول ابن القيم: «إن موت الأنبياء إنما هو راجع إلى أن عُيِّبُوا عَنَّا بِحَيْثُ لَا نَدْرِكُهُمْ، وَإِنْ كَانُوا موجودين أحياء، وذلك كالحال في الملائكة فَإِنَّهُمْ أحياء موجودون وَلَا نراهم». مقتضى هذا الكلام أنهم لم يذوقوا الموت وإنما هو مجرد تعقيب كتعقيب الملائكة عَنَّا وهذا باطل، ونصوص الكتاب والسنة صريحة في أنهم ماتوا.

وابن القيم **رحمته الله** - ردَّ هذا القول في الكافية أحسن ردًّا، وإنما لم يتكلم على ذلك هنا لأنه ليس بصدده هذه المسألة». انتهى كلامه **رحمته الله**. انظر ص ( ).

٤- ومن تلك المآخذ الإكثار من الرؤى التي أكثرها ضعيف الإسناد والتي هي شبيهة بخرافات الصوفية التي كان ينبغي أن لا تُذكر في الكتاب، وقد أكثر منها المصنف **رحمته الله** - في المسألة الأولى والثانية والثالثة وآخر السادسة والتاسعة عشرة.

٥- ومنها: ما ذكره في آخر المسألة الخامسة ص ( ): (أن الأرواح العلوية - وهم الملائكة - متميز بعضهم عن بعض من غير أجسام تحملهم وكذلك الجن)، فهذا فيه أن الملائكة والجن أرواح لا أجساد لهم، والأدلة الكثيرة تدل على خلاف هذا القول. راجعها في تعليقنا على هذا الموضع من الكتاب ص ( ).

٦- ومنها: ما ذكره في المسألة الخامسة عشرة تحت فصل: (وأما قول من قال الأرواح على أفنية قبورها...)، حيث قال: وكان -يعني جبريل- يدنو من النبي **صلى الله عليه وسلم** حَتَّى يَضَعُ رُكْبَتَيْهِ بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ وَيَدِيهِ عَلَى فَخْذَيْهِ وَمَا أَطْنُكَ يَتَّبِعُ بَطَانِكَ أَنَّهُ كَانَ حِينَئِذٍ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى فَوْقَ السَّمَوَاتِ حَيْثُ هُوَ مُسْتَقَرُّهُ وَقَدْ دَنَا مِنَ النَّبِيِّ **صلى الله عليه وسلم** هَذَا الدَّنْوُ». وهذا لا دليل عليه بل الأدلة بخلافه كما هو منه عليه في موضعه، ثم قال بعد هذا الكلام:

(وَمَنْ لَمْ يَتَّسِعْ بَطَانَهُ هَذَا فَهُوَ أَضْيَقُ أَنْ يَتَّسِعَ لِلْإِيَّانِ بِالنُّزُولِ الْإِلَهِيِّ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا كُلِّ كَيْلَةٍ وَهُوَ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ).

وذكر هذه الأدلة بعد ذكر نزول جبريل يوهم القارئ أن المصنف رحمته الله يقيس نزول المخلوق بنزول الخالق، وإن كان لم يُرد ذلك - وهذا هو الظن به - إلا أن هذا الموضوع من جنس المواضع التي نبه عليها العلامة الألباني رحمته الله.

٧- ومنها: ما ذكره في المسألة الأولى من استحسان تلقين الميت مع جزمه أن الحديث ضعيف، وهو قد خالف هذا في زاد المعاد وذكر أنه لم يكن من هدي النبي

صلى الله عليه وسلم

هذا ما ظهر لي من الأمور التي تحتاج إلى تنبيه في هذا الكتاب، وما كان من غيرها فليس مثلها في أهمية التنبيه عليه، وكل هذه الأمور قد ذكرت التنبيه عليها في مواضعها من الكتاب مع أدلتها وكلام أهل العلم فيها، ولم أقصد بذلك شيئاً غير النصيحة، والله سبحانه من وراء القصد، فإن أصبت في ذلك فهو من توفيق الله لي، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان وأستغفر الله وأتوب إليه.

### المصنفات في موضوع الروح

لم يكن ابن القيم رحمته الله أول من صنّف في مسألة الروح بل قد كُتب فيها مؤلفات كثيرة قبل ابن القيم، فمنها:

- ١- "الروح" للإمام محمد بن نصر المروزي. ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية كما في "مجموع الفتاوى" (٢١٧/٤)، وابن القيم في هذا الكتاب، ص (.) .
- ٢- "الروح" لأبي يعقوب الخزاز. ذكره شيخ الإسلام كما في "مجموع الفتاوى" (٢١٧/٤)، وابن القيم في هذا الكتاب، ص (.) .

- ٣- "الروح" لأبي يعقوب النهرجوري. ذكره شيخ الإسلام كما في "مجموع الفتاوى" (٢١٧/٤)، وابن القيم في هذا الكتاب ص (٠).
- ٤- "الروح" للقاضي أبي يعلى. ذكره شيخ الإسلام كما في "مجموع الفتاوى" (٢١٧/٤)، وابن القيم في هذا الكتاب ص (٠).
- ٥- "الروح والنفس" لابن مندة. ذكره شيخ الإسلام كما في "مجموع الفتاوى" (٢١٧/٤) ووصفه بأنه كتاب كبير، ونقل عنه ابن القيم في هذا الكتاب في عدة مواضع، وذكر ابن كثير في تفسيره عند الآية (٨٥) من سورة الإسراء أنه من أحسن من تكلم في ذلك، ونقل عنه ابن حجر في "فتح الباري" تحت حديث رقم (٤٧٢١).
- ٦- "النفس والروح وشرح قوامها" لفخر الدين الرازي. وهو مطبوع.
- ٧- "الروح" لأبي القاسم السعدي. ذكره السيوطي في شرح الصدور باب: من لا يسأل في القبر، والسفارين في "البحر الزاخرة" (٢٠٦/١).
- وهناك كتب تكلمت عن بعض المواضيع التي تكلم عنها ابن القيم في الروح وإن لم يحصل فيها توسُّعٌ في الكلام عن الروح، منها:
- ١- "التذكرة" للقرطبي.
  - ٢- "أهوال القبور" لابن رجب الحنبلي.
  - ٣- "شرح الصدور" للسيوطي.
  - ٤- "البحر الزاخرة" للسفارين.
  - ٥- "الآيات البينات في عدم سماع الأموات على مذهب الحنفية السادات" للآلوسي.
  - ٦- رسالة للحافظ ابن حجر وهي عبارة عن فتاوى في أحوال القبور وأهوال النشور.
  - ٧- "أحكام الجنائز" للعلامة الألباني.

فائدة:

ابن القيم رحمته الله له كتاب في "الروح والنفس" أكبر من هذا الكتاب وأقدم تأليفاً منه، ذكره في أول المسألة الخامسة من كتابنا هذا عند الكلام على أن الروح قائمة بنفسها قال: (وعلى هذا أكثر من مائة دليل قد ذكرناها في كتابنا الكبير في معرفة الروح والنفس)، وذكره أيضاً في كتابه "جلاء الأفهام" ص (٢٩٨) و (٣٧١)، وذكره أيضاً في كتابه "مفتاح درا السعادة" (٣/١٠٥) وسماه: "كتاب الروح والنفس وأحوالها وشقاوتها وسعادتها ومقرها بعد الموت"، وهذا الكتاب لا أعلم عنه الآن شيئاً.



## وصف النسخ الخطية التي اعتمدت عليها في تحقيق الكتاب

اعتمدت في تحقيق هذا الكتاب على نسختين خطيتين، ونسخة مطبوعة، وإليك وصفها:

(١) النسخة الأولى: نسخة الظاهرية، وهي التي جعلتها أصلاً للكتاب، وإليها الإشارة بالأصل.

وهي نسخة جيدة مصححة ومعنى بها وفيها تصويبات ومقابلات وبلاغات التصحيح مما يدل على حصول العناية بها، إلا أن أولها بالنسبة للضبط والتصحيح والتصويب أحسن من آخرها، ووقع فيها في بعض المواضع سقط حرف أو كلمة، وربما وقع سقط سطر بأكمله وهذا قليل، في نحو ثلاثة مواضع، وهكذا بعض الصفحات وهي قليلة صارت شبه مطموسة ولا يستطيع قراءتها إلا بصعوبة.

وهي تقع في (١٨٤) ورقة، في كل ورقة صفتان، وفي كل صفحة (٢١) سطرا. في الورقة الأولى ذكر رقم المخطوطة، واسم القائم بأعمال التصوير في دار الكتب الظاهرية، وتاريخ تصويرها، وأسماء بعض من تملك هذه النسخة. في الورقة الثانية ذكر أسماء بعض من تملك هذه النسخة.

وفي الورقة الثالثة ذكر أسماء بعض من تملك هذه النسخة، وهكذا ذكر بعض من طالع فيها.

وفي الورقة الرابعة عنوان الكتاب ووقع كذا: «كتاب الروح»، وتحتة: «ويشتمل على أحد وعشرين مسألة»، وكُتِبَ بجانب العنوان بخط مغاير وكتابة مائلة: «والنفس» أي فيصير العنوان: «كتاب الروح والنفس». ثم جاء من علق على ذلك فكتب:

قلت: الصواب ترك «والنفس» فإن لمؤلف هذا الكتاب كتاب كبير في معرفة الروح والنفس أشار إليه في جواب المسألة الخامسة من هذا الكتاب والله أعلم. وتحتها: «تأليف الشيخ الإمام العالم العلامة الحجة البارع بقية السلف الكرام أحد الأئمة الأعلام حامل راية التفسير والعلم الشهير بترجمان القرآن وسابق الأقران أبي عبد الله شمس الدين محمد بن الشيخ الصالح أبي بكر بن أيوب الحنبلي المعروف بابن قيم الجوزية قدس الله روحه ونور ضريحه وجعل أبواب الجنان بين يديه مفتوحة آمين يا رب العالمين».

وتحت هذا العبارة ختم لم يتضح لي ما فيه، وأفاد محقق كتاب الروح طبعة دار عالم الفوائد (١/٨٦) أنه ختم دار الكتب الظاهرية الأهلية بدمشق. ثم تحت ذلك أسماء بعض من تملك هذه النسخة وطالع فيها. وفي الورقة الخامسة مقدمة الكتاب في الصفحة الأولى، وفي الصفحة الثانية البدء بالمسألة الأولى من الكتاب، ثم استمر في مسائل الكتاب وما ذكره المصنف فيه من باب الفروق.

ثم في الورقة التي قبل الأخيرة خاتمة الكتاب ثم: «.....<sup>(١)</sup> على يد العبد الفقير المعترف بالزلل والتقصير السائل ربه أن يعيده من عذاب السعير أحمد بن محمد بن أحمد البعلي.....<sup>(٢)</sup> الحنبلي عفا الله عنه وغفر له ولوالده ولجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات إنه على كل شيء قدير، ووافق الفراغ منها يوم السبت ثامن

(١) كلمة غير واضحة.

(٢) كلمة غير واضحة ومحمّل أنها (الميسري) أو (المسيري).

جمادى الأولى....<sup>(١)</sup> وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين جسبنا الله ونعم الوكيل».

وفي آخر ورقة في الصفحة الأول يذكر أسماء من طالع في هذا الكتاب، وفي الصفحة الثانية شعر في الثناء على الشافعي:.

(٢) نسخة آشتيان، وإليها الإشارة بـ(ش).

وهي نسخة خطها جميل وواضح وكلمة «فصل» مكتوبة بالخط الأحمر، وفيها تصويبات وتعديلات في الحاشية، إلا أنها ليست في الصحة كالنسخة الأولى بل فيها بعض السقط والتحريف، وأيضاً فيها بلل ورطوبة في كثير من المواضع غير أن ذلك لم يؤثر على الكتابة التي فيها.

وهي تقع في (٢٣١) ورقة، في كل ورقة صفحتان، وفي كل صفحة (١٧) سطراً، عدا بعض الصفحات الأولى ففي بعضها (١٦) وفي بعضها (١٨) سطراً.

ومعها ورقة مرفقة فيها رقم المخطوطة وبيان أنها من محفوظات الحوزة العلمية بآشتيان، مدينة في شمال إيران.

وفي طرّة المخطوطة من الداخل كتابة باللغة الفارسية وتحتها «وقف»، ثم أول ورقة كُتبت في الحاشية وقفية بالغة الفارسية وبيان أنها مما وقفه الشيخ زين العابدين.

وفي حاشية الورقة (١٣٠) حديث ابن مسعود: «اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك.....».

<sup>(١)</sup> ثلاث كلمات غير واضحة ومتمم أنها (رابع وسبعين وسبعائة). وعلى هذا فيكون الفراغ من هذه النسخة بعد وفاة المصنف بنحو ثلاث وعشرين سنة.



ثم في الورقة (١٣١) إلى الورقة (١٣٧) كتب في حواشي هذه الأوراق الأربعين النووية بتمامها مع مقدمتها وخاتمتها. وفي آخرها: تمت الأحاديث النبوية على يد الفقير الحقير المُقَرَّب بالذنب والتقصير أحوج عباد الله إليه سيف ابن عمر غفر الله [له] ولوالديه والمسلمين والحمد لله رب العالمين.

وفي آخر ورقة خاتمة الكتاب، وبعده ووافق الفراغ من هذا الكتاب المبارك نهار الأحد تاسع شهر ذي الحجة الحرام من شهور سنة ثمانين وسبعمائة أحسن الله خاتمتها بمنه وكرمه على يد أفقر خلق الله تعالى وأحوجهم إلى رحمته المذنب العاصي الراجي عفو ربه وغفرانه أحمد بن عمر بن محمد بن متمام عفا الله عنهم أجمعين وعن ساير المسلمين إنه أهل التقوى وأهل المغفرة.

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل.

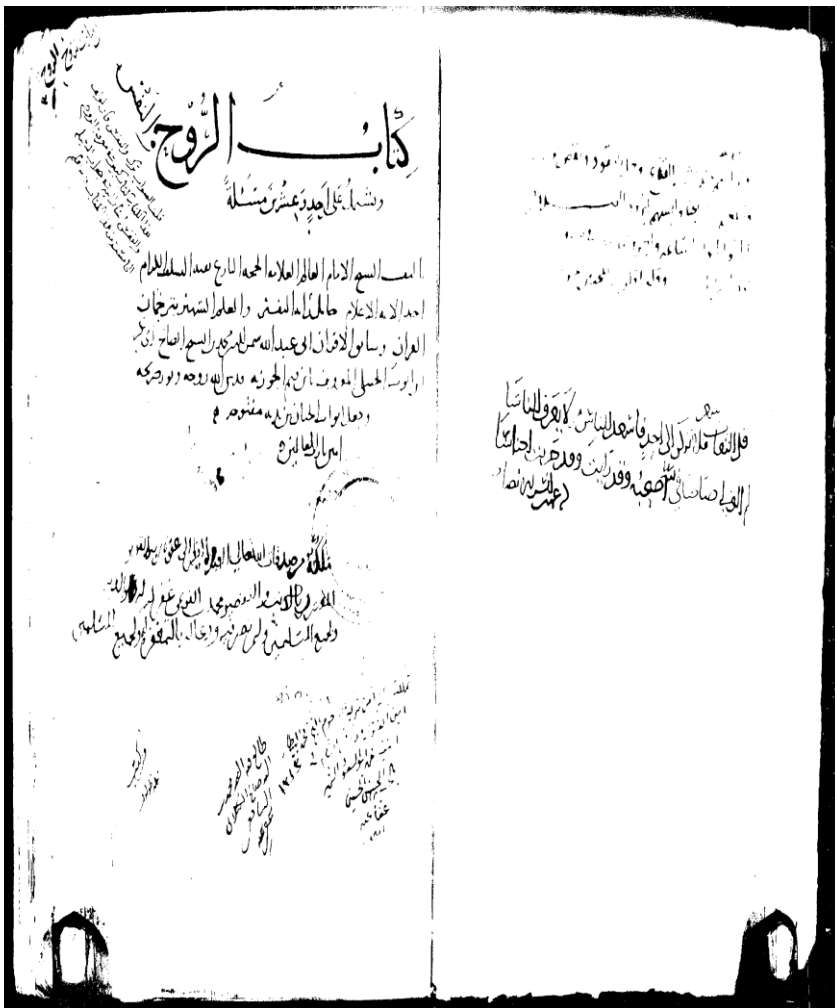
(٣) مطبوعة دار عالم الفوائد، وإليها الإشارة بـ(ف).

وهذه النسخة حققها محمد أجمل أيوب الإصلاحي، وخرج أحاديثها كمال بن محمد قالمي.

ومحقق هذه النسخة ذكر أنه اعتمد في تحقيقها على ثمان نسخ خطية -منها النسختان اللتان تقدمتا- اعتمد ستا منها في تصحيح النص، واثنان كان يرجع إليهما للاستئناس. وقد كنت أرجع إليها أثناء المقابلة في النسختين اللتين عندي وأستفيد منها بعض الأخطاء التي وقعت في المخطوطتين، مما قد يكون صوابه من نسخ أخرى.



صور من المخطوطات التي تمت المقابلة عليها في تصحيح الكتاب



الصفحة التي فيها العنوان من النسخة الظاهرية (الأصل)

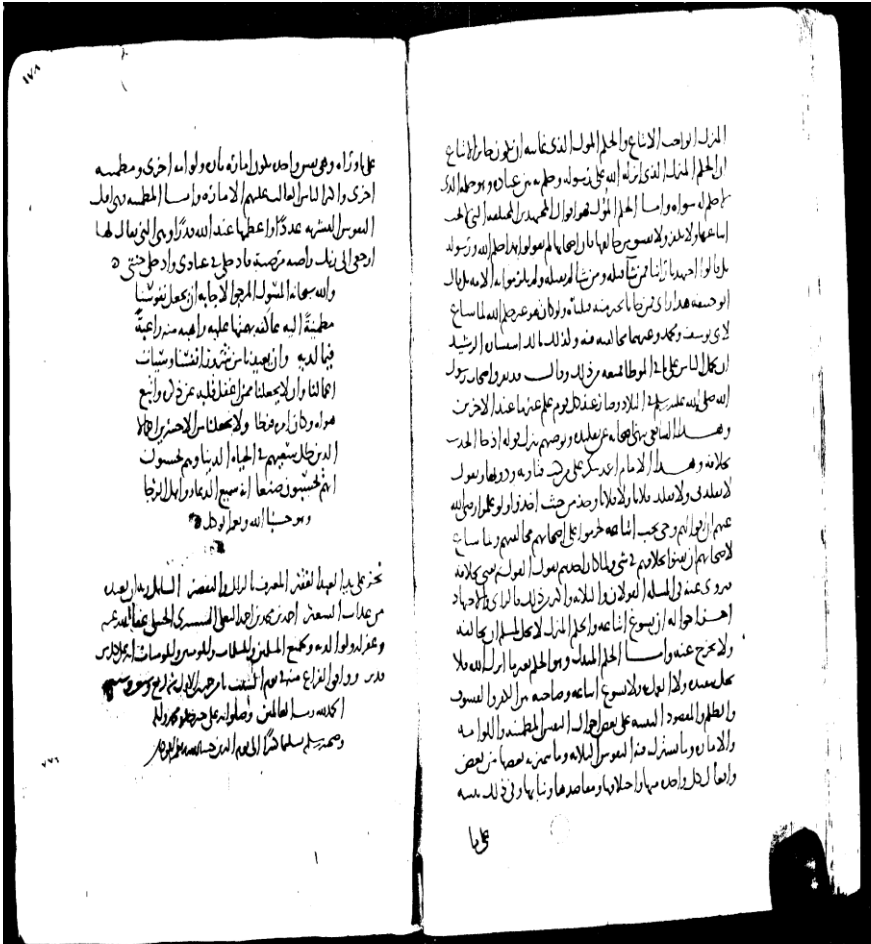
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العلي العظيم الخليم الامير العصور الرحمه مدته  
حامل لجزر الرحمة يدونه به من هذا جليل الاسان رساله من روحه  
عضد في ركنه من طين اصفه عند سدود الناصر من هذا العبد مضعه  
في وضعه من رايه المانع من هذا الناموس من هذا العظام حيا بها  
والسائل اساسه من يد هذا الناموس من هذا العظام حيا بها  
الامر للاس من افضه هذا الخصال الله احسن الطامس  
مصلح من صلح هذه الامه وروحه منسنة اجله من الامور  
من ديان السورة ولا يرحل من افضه الذي صور في الارحام  
كنا سالا له الامور العبر والخسر وسه هذا لا اله الا الله  
وجهه لا شريك له اما على الصلح والظفر وعلى الشرب والغير  
وعدم من سبه حله فليس كسبه سي وهو الصع المصرد  
او بهر من سبه وزيوسه وخبره واسه على وجهه ومحمد على نياه  
ارسله رحمه للعالمين وهدوه للعاملين ومحمد للناس وجهه على  
اهداد اجسر من الله وعلائله ورساله عليه وعلمه السلام  
الله ورساله د اسلم

اسم الشاه الادلي في هذا تزيان الاموات بزبان الاحياء عليهم السلام  
ما اسما عبد البريت على النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من مسلم  
يريقه اخيه كل يوم في الدنيا يسلم عليه الا الله عليه رجمه حتى يرد  
عليه السلام فهذا نص في يد به بعينه وبروحه السلام في الصحيف  
عنه صلى الله عليه وسلم وحي منتهده اندامه حتى يدركه القواذ في حيا  
حي وفي عليهم وزادهم بانسابهم ما كان في نيل واملان اولان هلا في ام  
ما وعادهم في كتابنا في وجوده ما وعاد في حيا ما الك عمار رسول الله  
ما تاطب ايامه فاجيبوا افعال والدي بعض الحق في الام باسمه لما اوليتم  
والتمم لاستطيعوا جوابا ثبت عنه صلى الله عليه وسلم ان النبي في حق  
قال المشيع له اذ انصرفوا عنه وقد شرف على النبي صلى الله عليه وسلم  
لانك اذ شملها على التوراة صلى الله عليه وسلم على غيره فهو السلام  
السلام على اذ يوم موسى وهذا حطاف في اسمه ونطق اولاد الانسان  
هدا الخطاب في ذلك خطاب المدوم والجاهد والشلف مجموع في هذا وقد  
توارت الانا عنهم باليب يعرف بزبانهم له ويستشبهه قال  
ابو جرد الله رحمان عبد الله الذي قال في كتاب الصو باب  
منه في الموق بزبان الاحياء ما نهد عن احد ساجي رعان عن عبد الله  
شعان عن زيد ابراهيم خاتمه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
ما من رجل يزور قبر اخيه ويجلس عنده الا استأنس به وورد عليه حتى يموت  
حدا ما نهد في يومه حتى يموت من عيش القواذ اخرها هنام من بعد  
حدا ما نهد في اسرع ايامه من القواذ اخرها هنام من بعد  
السلام وتزود والامر به لا يعبه فسم اعلمه زد عليه السلام حارسا

هذا هو الروح

الصفحة التي فيها بداية النسخة الظاهرية (الأصل)



الصفحة التي فيها الخاتمة من النسخة الظاهرية (الأصل)



الصفحة التي فيها بداية نسخة آشتيان (ش)



الصفحة التي فيها الخاتمة من نسخة آشتيان (ش)



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### خطبة الكتاب

الحمد لله العلي العظيم، الحليم الحكيم، الغفور الرحيم.  
الحمد لله رب العالمين. الرحمن الرحيم. مالك يوم الدين.  
لقد خلق الإنسان من سلالة من طين، ثم جعله نطفة في قرار مكين. ثم خلق النطفة علقة سوداء للناظرين. ثم خلق العلقة مضغة، وهي قطعة لحم يقدر أكلة الماضعين، ثم خلق المضغة عظاماً مختلفة المقادير والأشكال، أساساً يقوم عليه هذا البناء المتين، ثم كسا العظام لحمًا هو لها كالثوب للأيسين، ثم أنشأ خلقًا آخر، فتبارك الله أحسن الخالقين.

فسبحان من شملت قدرته كل مقدور. وجرت مشيئته في خلقه بتصاريف الأمور. وتفرّد بملك السموات والأرض، يخلق ما يشاء. ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ٦].

وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، إلهًا جلّ عن المثل والنظير. وتعالى عن الشريك والظهير. وتقدس عن شبه خلقه، ف ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وخيرته من خلقه، وأمينه على وحيه، وحجته على عباده؛ أرسله رحمة للعالمين، وقدوة للعاملين، ومحجة للسالكين، وحجة على العباد أجمعين.

فصلى الله عليه، وعليه السلام ورحمة الله وبركاته.

أما بعد: فهذا الكتاب مشتمل على إحدى وعشرين مسألة في الروح وما يتعلق بها.





### المسألة الأولى

وهي: هل تعرف الأموات بزيارة الأحياء وسلامهم عليهم أم لا؟

قال ابن عبد البر<sup>(١)</sup>: ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من مسلم يمر بقبر أخيه كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام»<sup>(٢)</sup>، فهذا نص في أنه بعينه ويرد عليه السلام.

وفي «الصحيحين» عنه ﷺ من وجوه متعددة: «أنه أمر بقتلي بدر فآلقوا في قليب ثم جاء حتى وقف عليهم، وناداهم بأسمائهم: يا فلان ابن فلان ويا فلان ابن فلان هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقاً، فقال له عمر: يا رسول الله ما تخاطب من أقوام قد جيفوا فقال: والذي بعثني بالحق ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يستطيعون جواباً»<sup>(٣)</sup>.

<sup>(١)</sup> هو الإمام، العلامة، حافظ المغرب، شيخ السلام، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البر النمري الأندلسي القرطبي المالكي، ولد سنة (٣٦٨) وتوفي سنة (٤٦٣) انظر «سير أعلام النبلاء» (١٨/١٥٣).  
<sup>(٢)</sup> (ضعيف) أخرجه ابن عبد البر في «الاستذكار» (٢/١٦٥) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفي إسناده عبيد الله ابن محمد شيخ ابن عبد البر قال عنه الحميدي في جذوة المقتبس (ص-٤٢٩): (كان رجلاً صالحاً يضرب به المثل في الزهد). اهـ ولم أجد من وثقه أو ضعفه. وفيه أيضاً فاطمة بنت الريان المستملي لم أجد لها ترجمة. وقد حكم ابن رجب على الحديث بأنه منكر فقال في «أهوال القبور» (ص-٨٠): خرجه ابن عبد البر وقال عبد الحق الأشبيلي: إسناده صحيح يشير إلى أن رواه كلهم ثقات وهو كذلك إلا أنه غريب بل منكر. اهـ وراجع «السلسلة الضعيفة» (٩/٤٧٥). وأما قوله: «إلا رد الله عليه روحه» فليست في الحديث. فهذا الحديث لا حجة فيه على سماع الموتى لأنه حديث ضعيف.

<sup>(٣)</sup> أخرجه البخاري: (٣٩٧٦) ومسلم: (٢٨٧٥) عن أنس بن مالك عن أبي طلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وأخرجه مسلم: (٢٨٧٣) عن أنس بن مالك عن عمر بن الخطاب.

وأخرجه برقم (٢٨٧٤) عن أنس مالك عن النبي ﷺ.



وأخرجه البخاري: (٣٩٨٠) ومسلم: (٩٣٢) عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مختصراً .  
وليس في هذا الحديث دليل على سماع الموتى في كل وقت، بل إن الحديث دليل على عدم سماع الموتى من  
وجوه:

الأول: أن في رواية ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تقييد سماع الموتى بقوله: «الآن» فمفهوماً أنهم لا يسمعون في غير هذا  
الوقت.

الثاني: إقرار النبي ﷺ الصحابة على ما كان متقررًا في نفوسهم من عدم سماع الموتى عندما قالوا: «ما تكلم  
من أجساد لا أرواح فيها!» فلو كان اعتقادهم هذا خطأً لبين لهم النبي ﷺ ذلك، ولكن لم يقع هذا.  
ذكر هذين الوجهين بأوسع من هذا العلامة الألباني رحمته في مقدمة «الآيات البينات» (ص ٤٧-٥٠).  
الثالث: قوله في الحديث: «ما أنتم بأسمع لما أقول منهم» ولم يقل ما أنتم بأسمع لما يقال ونحوه، فتبين أن هذا  
إنما هو لرسول الله ﷺ في تلك الواقعة. أشار إلى هذا الوجه الألويسي في «روح المعاني» (١٢/٨٠).  
فمن هذا يتبين لنا أن هذه واقعة عين لا عموم لها في جميع الموتى وجميع الأوقات، حتى قال القرطبي رحمته في  
«التذكرة» (١/١٨٣): (ولا تعارض بينهما - أي بين الآيتين: ﴿فَأِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى﴾ [الروم: ٥٢]،  
﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنَ فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢]، وبين قصة أصحاب القلب؛ لأنه جائز أن يكونوا  
يسمعون في وقت ما، أو في حال ما، فإن تخصيص العموم ممكن وصحيح إذا وجد المخصص وقد وجد  
هنا...).

والعلماء يجعلون حديث القلب من خصائص النبي ﷺ ومن خوارق العادات، قال ابن عطية تفسيره  
المسمى «المحرر الوجيز» (٤/٢٧٠): «فيشبه أن يكون قصة بدر خرق عادة لمحمد ﷺ في أن الله ردَّ  
إليهم إدراكاً سمعوا به مقاله، ولولا إخبار رسول الله ﷺ بسماعهم لحملنا نداء إياهم على معنى التوبيخ  
لمن بقي من الكفرة وعلى معنى شفاء صدور المؤمنين». اهـ

وقال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٧/٣٨٠): (وقال السهيلي ما حُصِّلَهُ: إنَّ في نفس الخبر ما يدل  
على خرق العادة بذلك للنبي ﷺ لقول الصحابة له: «أَتَخاطب أقبواً قد جيفوا»).

وبنحو هذا قال ابن المهام وابن عابدين كما في «الآيات البينات» (ص ٨٠-٨٤).  
وقد جاء في آيات من القرآن ما يشير إلى أن مثل هذا قد حصل لبعض الأنبياء مع أقوامهم قال الله ﷻ عن  
صالح عليه السلام أنه خاطب قومه بعد أن هلكوا: ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولًا مِّنِّي

وَتَبَّتْ عَنْهُ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: «أَنَّ الْمَيِّتَ يَسْمَعُ قِرَاعَ نَعَالِ الْمُشِيعِينَ لَهُ إِذَا انْصَرَفُوا عَنْهُ»<sup>(١)</sup>.  
 وَقَدْ شَرَعَ النَّبِيُّ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** لِأُمَّتِهِ إِذَا سَلَّمُوا عَلَى أَهْلِ الْقُبُورِ أَنْ يَسَلِّمُوا عَلَيْهِمْ سَلَامَ مَنْ  
 يَخَاطَبُونَهُ فَيَقُولُ الْمُسَلِّمُ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ»<sup>(٢)</sup>.  
 وَهَذَا خِطَابٌ لِمَنْ يَسْمَعُ وَيَعْقِلُ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَكَانَ هَذَا الْخِطَابُ بِمَنْزِلَةِ خِطَابِ  
 الْمَعْدُومِ وَالْجَمَادِ.  
 وَالسَّلْفُ مَجْمَعُونَ عَلَى هَذَا<sup>(٣)</sup>.

وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴿ [الأعراف: ٧٩]، وقال عن شعيب **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: ﴿ فَتَوَلَّى  
 عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾  
 [الأعراف: ٩٣]. قال ابن كثير عند الآية الأولى: (... قال لهم صالح ذلك بعد هلاكهم تقرّيعاً وتوبيخاً وهم  
 يسمعون ذلك كما ثبت في "الصحيحين" (... ثم ذكر قصة القلب). ففي هذا أن الله جعل إسماع الموتى  
 لمن شاء من أنبيائه في أوقات مخصوصة، والله أعلم.

<sup>(١)</sup> أخرجه البخاري (١٣٧٤)، ومسلم: (٢٨٧٠) عن أنس بن مالك **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.  
 وأيضاً هذا الحديث ليس فيه أن الموتى يسمعون مطلقاً في كل وقت، وإنما هو في حالة مخصوصة وهي وقت  
 الانصراف بعد الدفن.

قال المناوي في "فيض القدير" (٣٩٨/٢): (وعُورض -يعني الحديث- بقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّنْ  
 فِي الْقُبُورِ ﴾ [فاطر: ٢٢]، وأجيب بأن السماع في حديثنا مخصوص بأول الوضع في القبر مقدمة للسؤال». اهـ  
 وكذا قال ابن الهمام وابن عابدين كما في "الآيات البينات" (ص ٨١-٨٤).

<sup>(٢)</sup> أخرجه مسلم: (٢٤٩) عن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.  
 وأخرجه أيضاً: (٩٧٤) عن عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**، وسيأتي الكلام عن الاستدلال بهذا الحديث.

<sup>(٣)</sup> وهذا النقل للإجماع غير صحيح؛ فإن الخلاف في هذه المسألة معلوم مشهور، ولا يخفى حديث عائشة  
**رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** في إنكارها على ابن عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**، وأيضاً جاء في مسند أحمد عن عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أنه قرأ الآية: ﴿ فَإِنَّكَ  
 لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى ﴾ [الروم: ٥٢]، واستدل بها على عدم سماع الموتى، وألف الألويسي رسالته "الآيات

وَقَدْ تَوَاتَرَتْ الْآثَارُ عَنْهُمْ بِأَنَّ الْمَيِّتَ يَعْرِفُ بَزِيَارَةَ الْحَيِّ لَهُ وَيَسْتَبْشِرُ بِهِ.  
 قَالَ أَبُو بَكْرٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ أَبِي الدُّنْيَا فِي كِتَابِ «الْقُبُورِ» بَابَ مَعْرِفَةِ  
 الْمَوْتَى بِزِيَارَةِ الْأَحْيَاءِ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَوْنٍ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَمَانَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَمْعَانَ  
 عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ  
 رَجُلٍ يَزُورُ قَبْرَ أَخِيهِ وَيَجْلِسُ عِنْدَهُ إِلَّا اسْتَأْنَسَ بِهِ وَرَدَّ عَلَيْهِ حَتَّى يَقُومَ»<sup>(١)</sup>.  
 حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ قَدَامَةَ الْجَوْهَرِيُّ حَدَّثَنَا مَعْنُ بْنُ عِيسَى الْقَزَازِيُّ أَخْبَرَنَا هِشَامُ بْنُ سَعْدٍ  
 حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ: (إِذَا مَرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ يَعْرِفُهُ  
 فَسَلَّمَ عَلَيْهِ رَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ وَعَرَفَهُ، وَإِذَا مَرَّ بِقَبْرِ لَا يَعْرِفُهُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ رَدَّ عَلَيْهِ  
 السَّلَامَ)<sup>(٢)</sup>.

البيئات في عدم سماع الأموات عند الحنفية السادات " نقل فيها عن الحنفية وغيرهم ممن قال بعد سماع  
 الموتى، وسيأتي في آخر المسألة - إن شاء الله - ذكر من قال بعدم سماع الموتى، والله أعلم.  
<sup>(١)</sup> (ضعيف جداً) يحيى بن بيان ضعيف، وعبدالله بن سمعان - هو عبدالله بن زياد بن سليمان بن سمعان -  
 متروك وكذبه مالك وابن معين وأبو داود وغيرهم.  
 تنبيه: كتاب "القبور" لابن أبي الدنيا الذي بين يدي هو الكتاب الذي ضمن الموسوعة، وقد ذكر محققه أنه  
 سقط منه بعض الأبواب وفي بعضها طمس، وهذا الباب الذي ذكره ابن القيم هنا لم أجده في المطبوع فلعله  
 مما سقط، وعلى كل فأننا أحكم على الإسناد الذي يسوقه ابن القيم هنا إن لم أجده في مصدر آخر، فإن  
 وجدته في مصدر آخر خرجته منه وحكمت عليه، والله الموفق.

<sup>(٢)</sup> (ضعيف) أخرجه البيهقي في "شعب الإيمان" (٩٢٩٦) من طريق ابن أبي الدنيا به، وإسناده ضعيف.  
 محمد بن قدامة الجوهري قال ابن معين: ليس بشيء، وقال أبو داود: ضعيف. وهشام بن سعد متكلم فيه إلا  
 أنه يرويه عن زيد بن أسلم، وقد قال أبو داود: (هو أثبت الناس في زيد بن أسلم)، وفي إسناده انقطاع زيد  
 بن أسلم لم يسمع من أبي هريرة رضي الله عنه قال الترمذي في "سننه" عقب حديث (٣٨٤٦): (ولا نعرف لزيد

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ بَسْطَامٍ الْأَصْفَرُ حَدَّثَنِي مِسْمَعٌ حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ آلِ عَاصِمِ الْجَحْدَرِيِّ قَالَ: رَأَيْتُ عَاصِمًا الْجَحْدَرِيَّ فِي مَنَامِي بَعْدَ مَوْتِهِ بِسِتَيْنَ فَقُلْتُ: أَلَيْسَ قَدِ مَتَّ؟ قَالَ: بَلَى قُلْتُ: فَأَيْنَ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا وَاللَّهِ فِي رَوْضَةٍ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ أَنَا وَنَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِي نَجْتَمِعُ كُلَّ لَيْلَةٍ جُمُعَةٍ وَصَبِيحَتِهَا إِلَى بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَزْنِيِّ فَتَتَلَقَى أَخْبَارَكُمْ، قَالَ: قُلْتُ: أَجْسَادَكُمْ أَمْ أَرْوَاحَكُمْ؟ قَالَ: هِيَاتُ بَلِيَّتِ الْأَجْسَامِ وَإِنَّمَا تَتَلَقَى الْأَرْوَاحَ، قَالَ: قُلْتُ: فَهَلْ تَعْلَمُونَ بَزِيَارَتِنَا إِيَّاكُمْ؟ قَالَ: نَعَمْ نَعْلَمُ بِهَا عَشِيَّةَ الْجُمُعَةِ وَيَوْمَ الْجُمُعَةِ كُلَّهُ وَيَوْمَ السَّبْتِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ، قَالَ: قُلْتُ: فَكَيْفَ ذَلِكَ دُونَ الْأَيَّامِ كُلِّهَا؟ قَالَ: لِفَضْلِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَعَظَمَتِهِ<sup>(١)</sup>.

وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ حَدَّثَنِي بَكْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا حَسَنُ الْقَصَابِ قَالَ: كُنْتُ أَغْدُو مَعَ مُحَمَّدِ بْنِ وَاسِعٍ فِي كُلِّ غَدَاةٍ سَبْتِ حَتَّى نَأْتِيَ الْجَبَانَ<sup>(٢)</sup>، فَتَقِفُ عَلَى الْقُبُورِ فَتَسْلَمُ

ابن أسلم سماعاً من أبي هريرة)، ونفى سماعه منه ابن معين وابن الجنيد كما في «تحفة التحصيل»، وقال الذهبي في «السير» (١٢/٥٩٠): (ما علمنا زيدا سمع أبا هريرة).

\* وقد جاء هذا الحديث مرفوعاً أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٦/١٣٧) من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي هريرة، وهو أيضاً ضعيف عبد الرحمن بن زيد ضعيف، وزيد لم يسمع من أبي هريرة، فالحديث ضعيف موقوفاً ومرفوعاً، فهو والذي قبله لا حجة فيها على هذه المسألة لضعفها.

<sup>(١)</sup> (ضعيف جداً) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المنامات» (٥٨) وفيه يحيى بن بسطام الأصفر، قال أبو داود: تركوا حديثه، وقال أبو حاتم: شيخ صدوق ما بحديثه بأس، وقال ابن حبان: لا تحل الرواية عنه؛ لأنه داعية إلى القدر ولأن في روايته في مناكير، وفيه أيضاً مسمع بن عاصم قال العقيلي: لا يتابع على حديثه، وفيه أيضاً رجل مبهم.

<sup>(٢)</sup> قوله: (حتى نأتي الجبان) الجبان والجبانة المقبرة والصحراء والمنبت الكريم أو الأرض المستوية في ارتفاع.

القاموس «جبن»، قلت: المراد هنا المقبرة.

عَلَيْهِمْ وَنَدَعُوهُمْ ثُمَّ نَنْصَرِفُ فَقُلْتُ ذَاتَ يَوْمٍ: لَوْ صَيَّرْتَ هَذَا الْيَوْمَ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ قَالَ: بَلَّغْنِي أَنَّ الْمَوْتَى يَعْلَمُونَ بَزْوَارِهِمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَيَوْمًا قَبْلَهَا وَيَوْمًا بَعْدَهَا<sup>(١)</sup>.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدٌ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبَانَ قَالَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ قَالَ: بَلَّغْنِي عَنْ الضَّحَّاكِ أَنَّهُ قَالَ: (مَنْ زَارَ قَبْرًا يَوْمَ السَّبْتِ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ عَلِمَ الْمَيِّتَ بَزِيَارَتِهِ فَكَيْفَ لَهُ وَكَيْفَ ذَلِكَ؟ قَالَ: لِمَكَانِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ)<sup>(٢)</sup>.

حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ خِدَاشٍ حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ عَنْ أَبِي التِّيَاحِ [قَالَ: كَانَ مَطْرَفٌ يَعْدُو<sup>(٣)</sup> فَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَدْلَجَ<sup>(٤)</sup>، قَالَ: وَسَمِعْتُ أَبَا التِّيَاحِ يَقُولُ: بَلَّغْنَا أَنَّهُ كَانَ يَنْوِرُ لَهُ فِي سَوْتِهِ فَأَقْبَلَ لَيْلَةً حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ مَقَابِرِ هَوْمٍ<sup>(٥)</sup> وَهُوَ عَلَى فَرَسِهِ فَرَأَى أَهْلَ الْقُبُورِ كُلِّ صَاحِبِ قَبْرٍ جَالِسًا عَلَى قَبْرِهِ فَقَالُوا: هَذَا مَطْرَفٌ يَأْتِي الْجُمُعَةَ قَلْتُ: وَتَعْلَمُونَ

<sup>(١)</sup> (ضعيف) أخرجه البيهقي في "الشعب" (٩٣٠١) من طريق ابن أبي الدنيا به، وإسناده ضعيف. حسن القصاب هو ابن عبدالله مجهول، روى عنه وكيع ولم يوثقه معتبر، ووقع في نسخة (جسر القصاب) وهو جسر بن فرقد القصاب ضعيف جداً، فالأثر ضعيف على كل حال، سواء كان حسن القصاب أو جسر القصاب، ووقع عند البيهقي (جبر القصاب) وما أظنه إلا تصحيفاً.

<sup>(٢)</sup> (ضعيف جداً) أخرجه البيهقي في "الشعب" (٩٣٠٢) من طريق ابن أبي الدنيا به. وإسناده ضعيف جداً؛ عبدالعزیز بن أبان كذبه ابن معين وغيره، ثم هو منقطع الثوري يقول بلغني.

<sup>(٣)</sup> في مصار التخریج "يبدو" بدل "يغدو"، أي يخرج إلى البادية.

<sup>(٤)</sup> قوله: «أدلج» الدلجة - بالضم والفتح - السير من أول الليل. القاموس (دلج).

<sup>(٥)</sup> أي هز رأسه من النعاس. لسان العرب "هوم".

عندكم يَوْمَ الْجُمُعَةِ؟ قَالُوا: نَعَمْ وَنَعْلَمُ مَا يَقُولُ فِيهِ الطَّيْرُ، قُلْتُ: وَمَا يَقُولُونَ؟ قَالُوا: يَقُولُونَ سَلَامَ سَلَامٍ<sup>(١)</sup>.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ أَبِي بَكِيرٍ حَدَّثَنِي الْفَضْلُ بْنُ مَوْفُقِ ابْنِ خَالِ سُفْيَانَ بْنِ عُمَيْيَةَ قَالَ: لَمَّا مَاتَ أَبِي جَزَعْتُ عَلَيْهِ جَزَعًا شَدِيدًا فَكُنْتُ آتِي قَبْرَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ ثُمَّ إِنِّي قَصَرْتُ عَنْ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ إِنِّي أَتَيْتُهُ يَوْمًا فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عِنْدَ الْقَبْرِ غَلَبَتْنِي عَيْنَايَ فَمَتَّ فَرَأَيْتُ كَأَنَّ قَبْرَ أَبِي قَدْ انْفَرَجَ وَكَأَنَّهُ قَاعِدٌ فِي قَبْرِهِ مَتَوَشِّحًا أَكْفَانَهُ عَلَيْهِ سَحْنَةَ الْمَوْتَى قَالَ: فَكَأَنِّي بَكَيتُ لَمَّا رَأَيْتُهُ قَالَ: يَا بَنِي مَا أَبْطَأَ بِكَ عَنِي؟ قُلْتُ: وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ بِمَجِيئِي؟! قَالَ: مَا جِئْتُ مَرَّةً إِلَّا عَلِمْتُهَا وَقَدْ كُنْتُ تَأْتِينِي وَأَسْرُّ بِكَ وَيَسِرُّ مِنْ حَوْلِي بِدَعَائِكَ، قَالَ: فَكُنْتُ آتِيَةً بَعْدَ ذَلِكَ كَثِيرًا<sup>(٢)</sup>.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ بَسْطَامٍ حَدَّثَنِي عُثْمَانُ بْنُ سَوْدَةَ الطِّفَاوِيُّ، قَالَ: وَكَانَتْ أُمُّهُ مِنَ الْعَابِدَاتِ وَكَانَ يُقَالُ لَهَا: رَاهِبَةٌ قَالَ: لَمَّا احْتَضَرَتْ رَفَعَتْ رَأْسَهَا إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَتْ يَا ذَخْرِي وَذَخِيرَتِي وَمَنْ عَلَيْهِ اعْتِمَادِي فِي حَيَاتِي وَبَعْدَ مَوْتِي لَا تَخْذَلْنِي عِنْدَ الْمَوْتِ وَلَا تَوْحِشْنِي فِي قَبْرِي، قَالَ: فَمَاتَتْ فَكُنْتُ آتِيَهَا فِي كُلِّ جُمُعَةٍ فَأَدْعُو لَهَا وَأَسْتَغْفِرُ

<sup>(١)</sup> أخرجه البيهقي في «الشعب» (٨٨٦٤) من طريق ابن أبي الدنيا به، وخالد بن خدّاش قال عنه الحافظ في التقریب: صدوق يخطئ. إلا أنه متابع فقد تابعه محمد بن عبيد بن حساب وهو ثقة أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد ص (٢٤٦) وأبو نعيم في الحلية (٢/٢٠٥) والذهبي في السير (٤/١٩٣) من طريق محمد ابن عبيد بن حساب حدثنا جعفر بن سليمان به. وهذا إسناد حسن من أجل جعفر فإنه صدوق. ومع حسن إسناده ففيه نكارة حيث جاء فيه أن الموتى يعلمون ما يقول الطير يوم الجمعة، فلا يكون مثل هذا حجة على أمر غيبي.

<sup>(٢)</sup> (ضعيف) أخرجه بنحوه ابن أبي الدنيا في «المنامات» (١٩)، وأخرجه البيهقي في «الشعب» (٧٩٠٣) وإسناده ضعيف؛ فيه الفضل بن موفّق ضعيف.

لَهَا وَلَا أَهْلَ الْقُبُورِ فَرَأَيْتَهَا ذَاتَ يَوْمٍ فِي مَنَامِي فَقُلْتُ لَهَا: يَا أُمَّهُ كَيْفَ أَنْتِ؟ قَالَتْ: أَيُّ بَنِي  
 إِنْ لِلْمَوْتِ لِكِرْبَةٍ شَدِيدَةٍ وَإِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ لَفِي بَرْزَخِ مُحَمَّدٍ نَفْرَشٍ فِيهِ الرِّيحَانُ وَتَنُوسِدُ  
 فِيهِ السَّنْدُسُ وَالْإِسْتَبْرَقُ إِلَى يَوْمِ النُّشُورِ، فَقُلْتُ لَهَا: أَلَيْكَ حَاجَةٌ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، قُلْتُ: وَمَا  
 هِيَ؟ قَالَتْ: لَا تَدْعُ مَا كُنْتُ تَصْنَعُ مِنْ زِيَارَتِنَا وَالِدُعَاءِ لَنَا فَإِنِّي لِأَبْشَرُ بِمَجِيئِكَ يَوْمَ  
 الْجُمُعَةِ إِذَا أَقْبَلْتُ مِنْ أَهْلِكَ يُقَالُ لِي: يَا رَاهِبَةَ هَذَا ابْنِكَ قَدْ أَقْبَلَ فَاسْرُ وَيَسْرُ بِذَلِكَ مِنْ  
 حَوْلِي مِنَ الْأَمْوَاتِ<sup>(١)</sup>.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدٌ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ سَلْمَانَ حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ مَنْصُورٍ قَالَ: لَمَّا  
 كَانَ زَمَنُ الطَّاعُونَ كَانَ رَجُلٌ يُخْتَلَفُ إِلَى الْجَبَانِ فَيَشْهَدُ الصَّلَاةَ عَلَى الْجَنَائِزِ فَإِذَا أَمْسَى  
 وَقَفَ عَلَى بَابِ الْمَقَابِرِ فَقَالَ: أَسَى اللَّهُ وَحَشْتَكُمْ وَرَحِمَ غُرْبَتَكُمْ وَتَجَاوَزَ عَن مَسِيئَتِكُمْ  
 وَقَبَلَ حَسَنَاتِكُمْ لَا يَزِيدُ عَلَى هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ، قَالَ: فَأَمْسَيْتُ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَانصرفت إِلَى  
 أَهْلِي وَلَمْ آتِ الْمَقَابِرِ فَأَدْعُو كَمَا كُنْتُ أَدْعُو قَالَ: فَبَيْنَا أَنَا نَائِمٌ إِذَا بِخَلْقٍ كَثِيرٍ قَدْ جَاءُونِي  
 فَقُلْتُ: مَا أَنْتُمْ وَمَا حَاجَتُكُمْ؟ قَالُوا: نَحْنُ أَهْلُ الْمَقَابِرِ، قُلْتُ: مَا حَاجَتُكُمْ؟ قَالُوا: إِنَّكَ  
 عَوَدْتَنَا مِنْكَ هَدِيَّةً عِنْدَ انصرافِكَ إِلَى أَهْلِكَ، فَقُلْتُ: وَمَا هِيَ؟ قَالُوا: الدَّعَوَاتُ الَّتِي  
 كُنْتَ تَدْعُو بِهَا، قَالَ قُلْتُ: فَإِنِّي أَعُودُ لَذَلِكَ قَالَ: فَمَا تَرَكْتَهَا بَعْدَ<sup>(٢)</sup>.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدٌ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ سَهْلٍ حَدَّثَنِي رِشْدُ بْنُ سَعْدٍ عَن رَجُلٍ عَن يَزِيدِ بْنِ  
 أَبِي حَبِيبٍ أَنَّ سَلِيمَ بْنَ عُمَيْرٍ مَرَّ عَلَى مَقْبَرَةٍ وَهُوَ حَاقِنٌ قَدْ غَلَبَهُ الْبَوْلُ فَقَالَ لَهُ بَعْضُ

<sup>(١)</sup> (ضعيف) أخرجه البيهقي في "الشعب" (٧٩٠٦) من طريق محمد بن الحسين به، وإسناده ضعيف يحيى بن بسطام تقدم أنه ضعيف، وعثمان بن سودة الطفاوي لم أجد له ترجمة .

<sup>(٢)</sup> (ضعيف) أخرجه البيهقي في "الشعب" (٩٢٩٨) من طريق ابن أبي الدنيا به، وإسناده ضعيف محمد بن عبدالعزيز لم أجد له ترجمة، وصاحب القصة رجل مبهم.

أَصْحَابِهِ: لَوْ نَزَلَتْ إِلَى هَذِهِ الْمَقَابِرِ فَبَلَّتْ فِي بَعْضِ حَفْرِهَا فَبَكَى ثُمَّ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ! وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَحِي مِنَ الْأَمْوَاتِ كَمَا اسْتَحِي مِنَ الْأَحْيَاءِ<sup>(١)</sup>.  
وَلَوْ لَا أَنَّ الْمَيِّتَ يَشْعُرُ بِذَلِكَ لَمَا اسْتَحِيَ مِنْهُ.

وأبلغ من ذلك أن الميِّت يعلم بِعَمَلِ الحَيِّ من أَقَارِبِهِ وَإِخْوَانِهِ قَالَ عبد الله بن المبارك حَدَّثَنِي ثَوْرُ بْنُ يَزِيدَ عَنْ أَبِي رَهْمٍ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ قَالَ: «تَعْرُضُ أَعْمَالُ الْأَحْيَاءِ عَلَى الْمَوْتَى فَإِذَا رَأَوْا حَسَنًا فَرِحُوا وَاسْتَبَشَرُوا وَإِنْ رَأَوْا سُوءًا قَالُوا اللَّهُمَّ رَاجِعْ بِهِ»<sup>(٢)</sup>.  
وَذَكَرَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي الْخَوَارِيزِيِّ قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ أَخِي قَالَ: دَخَلَ عِبَادُ بْنُ عَبَّادٍ عَلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ صَالِحٍ وَهُوَ عَلَى فِلَسْطِينَ فَقَالَ: عَظَنِي قَالَ: بِمِمْ أَعْظَكَ أَصْلَحَكَ اللَّهُ؟! بَلَّغْنِي أَنَّ أَعْمَالَ الْأَحْيَاءِ تَعْرُضُ عَلَى أَقَارِبِهِمُ الْمَوْتَى فَأَنْظُرُ مَا يَعْرُضُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ عَمَلِكَ فَبَكَى إِبْرَاهِيمُ حَتَّى أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ<sup>(٣)</sup>.

<sup>(١)</sup> (ضعيف) رشدين بن سعد ضعيف، وفي الإسناد أيضًا رجل مبهم.

<sup>(٢)</sup> (منقطع) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٤٤٣) ورجال إسناده كلهم ثقات إلا أنه منقطع بين ثور بن يزيد وأبي رهم. وقد جاء هذا الأثر مرفوعًا وإسناده ضعيف أيضًا كما سيأتي بيانه في المسألة الثانية إن شاء الله. فهذا الأثر لا حجه فيه على سماع الموتى لكونه ضعيفًا.

**تنبيه:** وقع في المخطوطتين وفي كل ما رأيت من المطبوع من كتاب «الروح»: (حدثني ثور بن يزيد عن إبراهيم!) وهو خطأ فالذي عند ابن المبارك: (حدثني ثور بن يزيد عن أبي رهم السماعي)، وكذلك ذكره ابن رجب في «أهوال القبور» (٨٥) من طريق ابن المبارك وسماه أبا رهم، وأبو رهم السماعي ويقال السماعي اسمه أحزاب بن أسيد، قال الحافظ في «التقريب»: «مختلف في صحبته والصحيح أنه مخضرم ثقة»<sup>(٣)</sup> أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢١/١٠) فقال حدثنا عبد الله ثنا عمر قال سمعت أحمد يقول دخل عبَّاد الخواص على إبراهيم بن صالح... فذكره.

وعبد الله هو ابن محمد أبو الشيخ الأصبهاني ثقة حافظ، وعمر هو ابن بحر الأسدي أبو حفص ترجمته في «تاريخ دمشق» (٥٤٥/٤٣) روى عنه أحمد بن إسحاق العسال وأبو الشيخ الأصبهاني والقاسم بن



قَالَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا: وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الحُسَيْنِ حَدَّثَنِي خَالِدُ بْنُ عَمْرٍو الأُموي حَدَّثَنَا صَدَقَةُ بْنُ سُلَيْمَانَ الجَعْفَرِي قَالَ: كَانَتْ لِي شُرَّةٌ سَمِجَةٌ<sup>(١)</sup>، فَمَاتَ أَبِي فَأُبْتُ وَنَدِمْتُ عَلَى مَا فَرَطْتُ، قَالَ: ثُمَّ زَلَّتْ أَيْمَانُ زَلَّةً فَرَأَيْتُ أَبِي فِي المَنَامِ فَقَالَ: أَيُّ بَنِي مَا كَانَ أَشَدَّ فَرَحِي بِكَ، أَعْمَالُكَ تَعْرُضُ عَلَيْنَا فَنَشْبِهُهَا بِأَعْمَالِ الصَّالِحِينَ فَلَمَّا كَانَتْ هَذِهِ المَرَّةُ اسْتَحْيَيْتُ لِدَلِكِ حَيَاءً شَدِيدًا فَلَا تُخْزِنِي فِيمَنْ حَوْلِي مِنَ الأَمْوَاتِ، قَالَ: فَكُنْتُ أَسْمَعُهُ بَعْدَ ذَلِكَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ فِي السَّحَرِ وَكَانَ جَارًا لِي بِالكُوفَةِ أَسْأَلُكَ إِنَابَةَ لَا رَجْعَةَ فِيهَا وَلَا حُورِيَا مُصْلِحِ الصَّالِحِينَ وَيَا هَادِي المُضِلِّينَ وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ<sup>(٢)</sup>.

وَهَذَا بَابٌ فِيهِ آثَارٌ كَثِيرَةٌ عَنِ الصَّحَابَةِ، وَكَانَ بَعْضُ الأَنْصَارِ مِنْ أَقَارِبِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ يَقُولُ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَمَلٍ أَخْزَى بِهِ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ)، كَانَ يَقُولُ ذَلِكَ بَعْدَ أَنْ اسْتَشْهَدَ عَبْدِ اللَّهِ<sup>(٣)</sup>.

صالح الهمداني، وقال أبو عبد الرحمن السلمي: (أبو حفص من كبار مشايخ أصبهان ومتقدميهم... وهو من المذكورين عندهم بالقوة والورع)، وأحمد هو ابن أبي الخواري - أحمد بن عبد الله بن ميمون - ثقة، والأثر الذي ذكره عباد بن عباد بلاغ لم يسنده.

<sup>(١)</sup> قوله: (شُرَّةٌ سَمِجَةٌ) شُرَّةُ الشَّبَابِ يَعْنِي نَشَاطَهُ، وَسَمِجَةٌ يَعْنِي قَبِيحَةٌ. القاموس (سمج)، (شرر).

<sup>(٢)</sup> (ضعيف جدًا) أخرجه ابن أبي الدنيا في "المنامات" (١٧) وفي الإسناد خالد بن عمرو القرشي الأموي معدود في الكذابين والواضعين. ووقع في المنامات وفي ش: (يا راحم المذنبين) بدل (يا أرحم الراحمين).

<sup>(٣)</sup> (منقطع) أخرجه ابن أبي الدنيا في "المنامات" (٤) من طريق عبد الرحمن بن جبير بن نفيير أن أبا الدرداء كان يقول: (إن أعمالكم تعرض على موتاكم فيسرون ويساءون) وكان أبو الدرداء يقول عند ذلك (اللهم إني أعوذ بك أن أعمل عملاً يُخزى به عبد الله بن رواحة)، ورجاله كلهم ثقات إلا أن عبد الرحمن بن جبير الظاهر أنه لم يسمع من أبي الدرداء؛ فقد قال الذهبي في "العبر" (١/١١٤): (ولا أعلمه - يعني عبد الرحمن - روى عن الصحابة وقد رأى جماعة من الصحابة). اهـ

وَيَكْفِي فِي هَذَا تَسْمِيَةَ الْمُسْلِمِ عَلَيْهِمْ زَائِرًا، وَلَوْ لَا أَنَّهُمْ يَشْعُرُونَ بِهِ لَمَا صَحَّ تَسْمِيَتَهُ زَائِرًا فَإِنَّ الْمَزُورَ إِنْ لَمْ يَعْلَمْ بِزِيَارَةِ مَنْ زَارَهُ لَمْ يَصِحَّ أَنْ يُقَالَ زَارَهُ هَذَا هُوَ الْمَعْقُولُ مِنَ الزِّيَارَةِ عِنْدَ جَمِيعِ الْأُمَّمِ وَكَذَلِكَ السَّلَامُ عَلَيْهِمْ أَيْضًا فَإِنَّ السَّلَامَ عَلَى مَنْ لَا يَشْعُرُ وَلَا يَعْلَمُ بِالْمُسْلِمِ مُحَالٌ<sup>(١)</sup>.

ووقعت لعبدالرحمن رواية عند أبي داود عن ثوبان قال الحافظ المزني في "تهذيب الكمال": (والصحيح عن أبيه - يعني جبير بن نفير - عن ثوبان). اهـ.  
قلت: فإذا كان سماعه من ثوبان بواسطة أبيه، وثوبان توفي سنة أربع وخمسين فلأن يكون سماعه من أبي الدرداء منقطعاً أولى لأن أبا الدرداء توفي سنة اثنتين وثلاثين، وعبد الرحمن بن جبير متأخر الوفاة فإنه توفي سنة ثمان عشرة ومائة، والله أعلم. وللأثر طريق أخرى عند ابن أبي الدنيا في "المنامات" (٥) وفيه عمرو ابن أبي سلمة قال الحافظ: صدوق يخطئ، وفي الإسناد سقط ذكر محققه أنه طمس في الأصل لم يستطع قراءته فالله أعلم بحال الساقط.

<sup>(١)</sup> وهذا الاستدلال غير صحيح؛ فإنه لا يلزم من الخطاب، وكذلك الزيارة، وكذلك السلام، كون المخاطب والمزور والمسلم عليه يعقل ويسمع ويفهم الخطاب وقد وردت أدلة كثيرة فيها خطاب من لا يسمع ولا يعقل من ذلك قول النبي ﷺ عند رؤية الهلال: «ربي وربك الله»، ومنه قوله ﷺ وهو يخاطب مكة: «والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ولولا أني أخرجت منك ما خرجت»، ومنه قول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو يقبل الحجر الأسود: (والله إني لأقبلك وأعلم أنك حجر ما تنفع ولا تضر ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك)، وكذلك وردت أدلة في الزيارة والسلام ولا يلزم منها ما ذكره ابن القيم، ومن تلك الأدلة ما سيذكره الشيخ الألباني في كلامه الذي سننقله هنا.

قال العلامة الألباني رَضِيَ اللَّهُ فِي "مقدمة الآيات البينات" (ص ٦٠) بعد أن ساق كلام ابن القيم هذا بنصه قال: رحم الله ابن القيم فما كان أغناه عن الدخول في مثل هذا الاستدلال العقلي، الذي لا مجال له في أمر غيبي كهذا، فوالله لو أن ناقلاً نقل هذا الكلام عنه ولم أقف أنا بنفسني عليه لما صدقته لغرابته وبعده عن الأصول العلمية والقواعد السلفية التي تعلمناها منه ومن شيخه الإمام ابن تيمية فهو أشبه شيء بكلام الآرائين والقياسيين الذين يقيسون الغائب على الشاهد، والخالق على المخلوق، وهو قياس فاسد باطل طالما رد ابن

القيم أمثاله على أهل الكلام والبدع، ولهذا وغيره فإني في شك كبير من صحة نسبة الروح إليه أو لعله ألفه في أول طلبه للعلم، والله أعلم.  
ثم إن كلامه مردود من شطريه بأمرين:

الأول: ما ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ كان يزور البيت في الحج. وأنه كان وهو في المدينة يزور قباء راكبًا وماشيًا، ومن المعلوم تسمية طواف الإفاضة بطواف الزيارة فهل من أحد يقول: بأن البيت وعباء يشعر كل منهما بزيارة الزائر أو أنه يعلم بزيارته؟!!

وأما الآخر: فهو مخاطبة الصحابة للنبي ﷺ في تشهيد الصلاة بقولهم: «السلام عليك أيها النبي...»، وهم خلفه قريبًا منه وبعيدًا عنه في مسجده وفي غير مسجده أفيقال إنه كان يسمعهم ويشعر بهم حين يخاطبونه به، وإلا فالسلام عليه محال اللهم غفرًا... وإذا كان لا يسمع هذا الخطاب في قيد حياته أفيسمعه بعد وفاته وهو في الرفيق الأعلى لا سيما وقد ثبت أنه يبلغه ولا يسمعه...». انتهى المقصود من كلامه.

قلت: أيضًا جاء في الحديث: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين»، ومعلوم أنهم لا يسمعون هذا الكلام، مع أنه قد جاء في الحديث أن المصلي إذا قالها أصابت كل عبد صالح في السماء والأرض فهي تصيبهم ولا يسمعونها.

فعلى هذا فمثل هذا الخطاب يكون بتصوّر المخاطب في القلب وإن لم يكن في الخارج من يسمعه، وقد تكلم شيخ الاسلام في «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/ ٧٨٤) عن حديث الأعمى الذي جاء يستشفع برسول الله ﷺ وكان من ضمن ما قال: قوله: (يا محمد يا نبي الله) هذا وأمثاله نداء يطلب به استحضر المنادى في القلب فيخاطب المشهود بالقلب كما يقول المصلي: «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته». والإنسان يفعل مثل هذا كثيرًا يخاطب من يتصوره في نفسه وإن لم يكن في الخارج من يسمع الخطاب.

وقد يقول قائل: ما فائدة السلام على الموتى وكيف صحّت مخاطبتهم وهم لا يسمعون؟ فأقول: قد أجاب عن هذا العلامة الألبوسي رحمه الله في «الآيات البينات» (١٣١) فقال: لعلهم - يعني الحنفية - أجابوا بأن ذلك أمر تعبدى وبأننا نسلم سرًا في آخر صلاتنا إذا كنا مقتدين وننوي بسلامنا الحفظة والإمام وسائر المقتدين مع أن هؤلاء القوم لا يسمعون لعدم الجهر به فكذا ما نحن فيه على أن السلام هو الرحمة للموتى، وننزله منزلة المخاطبين السامعين وذلك شائع في العربية كما لا يخفى على العارفين، فهذه العرب تسلم على الديار وتخاطبها على بُعد المزار...«إلى أن قال» فتبين لك من كلام الفقهاء المشهورين أن

وَقَدْ عَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ أُمَّتَهُ إِذَا زَارُوا الْقُبُورَ أَنْ يَقُولُوا: «سَلَامٌ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ يَرْحَمُ اللَّهُ الْمُسْتَفْدِينَ مِنَّا وَمِنْكُمْ وَالْمُسْتَأَخِرِينَ نَسْأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَكُمْ الْعَافِيَةَ»<sup>(١)</sup>.

فَهَذَا السَّلَامُ وَالْخُطَابُ وَالنِّدَاءُ لِمَوْجُودٍ يَسْمَعُ وَيَخَاطَبُ وَيَعْقِلُ وَيَرُدُّ وَإِن لَمْ يَسْمَعْ الْمُسْلِمُ الرَّدَّ وَإِذَا صَلَّى الرَّجُلُ قَرِيبًا مِنْهُمْ شَاهَدُوهُ وَعَلَّمُوا صَلَاتَهُ وَغَطُّوهُ عَلَى ذَلِكَ.  
قَالَ يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ: أَخْبَرَنَا سُلَيْمَانُ التَّمِيمِيُّ عَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ أَنَّ ابْنَ مِينَانَ خَرَجَ فِي جَنَازَةٍ فِي يَوْمٍ وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ خَفَافٌ فَانْتَهَى إِلَى قَبْرِ قَالَ: فَصَلَّيْتُ رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ اتَّكَأْتُ عَلَيْهِ فَوَ اللَّهُ إِنْ قَلْبِي لَيَقْطَانُ إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ الْقَبْرِ إِلَيْكَ عَنِّي لَا تُؤْذِنِي فَإِنَّكُمْ قَوْمٌ تَعْمَلُونَ وَلَا تَعْلَمُونَ وَنَحْنُ قَوْمٌ نَعْلَمُ وَلَا نَعْمَلُ وَلِأَنَّ يَكُونُ لِي مِثْلَ رَكَعَتَيْكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كَذَا وَكَذَا»<sup>(٢)</sup>.

فَهَذَا قَدْ عَلَّمَ بِاتِّكَاءِ الرَّجُلِ عَلَى الْقَبْرِ وَبِصَلَاتِهِ.  
وَقَالَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا: حَدَّثَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ الْعَجَلِيُّ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الصَّلْتِ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عِيَّاشٍ عَنْ ثَابِتِ بْنِ سَلِيمٍ حَدَّثَنَا أَبُو قَلَابَةَ قَالَ: أَقْبَلْتُ مِنَ الشَّامِ إِلَى

الميت لا ينوي بالسلام ولا يخاطب وأن القصد بسلامه الدعاء وهذا كله مطابق لما قدمناه، والحمد لله رب العالمين». اهـ

<sup>(١)</sup> أخرجه مسلم: (٩٧٥) عن بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وأما قوله: «يرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين» فليس في حديث بريدة وإنما هو في حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عند مسلم أيضاً (٩٧٤) وقد تقدم.

<sup>(٢)</sup> (ضعيف جداً) أخرجه بنحوه ابن عبد البر في «الاستدكار» (١٦٥/٢)، والبيهقي في «الدلائل» (٤٠/٧) من طرق عن أبي عثمان النهدي عن مينا أو عن مينا به. وهذا إسناد ضعيف جداً؛ مينا هو ابن أبي مينا الخراز مولى عبد الرحمن بن عوف قال الحافظ في «التقريب»: «متروك ورؤي بالرفض وكذبه أبو حاتم».

البَصْرَةَ فَنَزَلَتْ مَنْزِلًا فَتَطَهَّرَتْ وَصَلَّيْتُ رَكَعَتَيْنِ بَلِيلٌ ثُمَّ وَضَعْتُ رَأْسِي عَلَى قَبْرِ فَنَمْتُ ثُمَّ انْتَبَهْتُ فَإِذَا صَاحِبُ الْقَبْرِ يَشْتَكِينِي يَقُولُ: قَدْ آذَيْتَنِي مُنْذُ اللَّيْلَةِ ثُمَّ قَالَ: إِنَّكُمْ تَعْمَلُونَ وَلَا تَعْلَمُونَ وَنَحْنُ نَعْلَمُ وَلَا نَقْدِرُ عَلَى الْعَمَلِ، ثُمَّ قَالَ: الرُّكْعَتَيْنِ اللَّتَيْنِ رَكَعْتَهُمَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، ثُمَّ قَالَ: جَزَى اللَّهُ أَهْلَ الدُّنْيَا خَيْرًا أَفْرِهِمْ مِنَ السَّلَامِ فَإِنَّهُ يَدْخُلُ عَلَيْنَا مِنْ دُعَائِهِمْ نُورَ أَمْثَالِ الْجِبَالِ<sup>(١)</sup>.

وحدثنني الحُسَيْنُ العَجَلِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نَمِيرٍ حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ مَعْوَلٍ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهَبٍ قَالَ: خَرَجْتُ إِلَى الْجَبَانَةِ فَجَلَسْتُ فِيهَا فَإِذَا رَجُلٌ قَدْ جَاءَ إِلَى قَبْرِ فَسِوَاهُ ثُمَّ تَحَوَّلَ إِلَيَّ فَجَلَسَ قَالَ: فَقُلْتُ: مَا هَذَا الْقَبْرُ؟ قَالَ: أَخٌ لِي فَقُلْتُ: أَخٌ لَكَ؟ فَقَالَ: أَخٌ لِي فِي اللَّهِ رَأْيَتُهُ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ فَقُلْتُ: فَلَانَ عَشْتِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ قَالَ: قَدْ قُلْتَهَا لِأَنَّ أَقْدَرَ عَلَى أَنْ أَقُولَهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ثُمَّ قَالَ: أَلَمْ تَرَ حَيْثُ كَانُوا يَدْفَنُونَنِي فَإِنِ فُلَانًا قَامَ فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ لِأَنَّ أَكُونَ أَقْدَرَ عَلَى أَنْ أَصْلِيَهُمَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا<sup>(٢)</sup>.

حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرِ التِّيمِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ حَدَّثَنِي اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ، حَدَّثَنِي حَمِيدُ الطَّوِيلُ عَنْ مَطْرِفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْحَرَشِيِّ، قَالَ: خَرَجْنَا إِلَى الرَّبِيعِ فِي زَمَانِهِ فَقُلْنَا: نَدْخُلُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لَشَهْوَدِهَا وَطَرِيقَنَا عَلَى الْمَقْبَرَةِ، قَالَ: فَدَخَلْنَا فَرَأَيْتُ جَنَازَةً فِي الْمَقْبَرَةِ

<sup>(١)</sup> (ضعيف) في إسناده حسين بن علي العجلي ضعيف، وإسماعيل بن عياش صدوق في روايته عن أهل بلده الشاميين مخلط في غيرهم، وروايته هنا عن غير أهل بلده، وثابت بن سليم هو الكوفي قال الذهبي: ضَعْفٌ.

<sup>(٢)</sup> (ضعيف) أخرجه البيهقي في "الشعب" (٩٣٠٤) من طريق ابن أبي الدنيا به. وإسناده ضعيف فيه الحسين ابن علي العجلي وتقدم أنه ضعيف.

فقلت: لو اغتنمت شهود هذه الجنازة فشهدتها قال: فاعتزلت ناحية قريبا من قبر فركعت ركعتين خففتها لم أرض إتقانها ونعست فرأيت صاحب القبر يكلمني، وقال: ركعت ركعتين لم ترض إتقانها؟! قلت: قد كان ذلك قال: تعلمون ولا تعلمون ولا نستطيع أن نعمل لأن أكون ركعت مثل ركعتيك أحب إلي من الدنيا بحذافيرها فقلت: من هاهنا؟ فقال: كلهم مسلم وكلهم قد أصاب خيرا، فقلت: من هاهنا أفضل؟ فأشار إلي قبر فقلت: في نفسي اللهم ربنا أخرجنا إلى فأكلمه قال: فخرج من قبره فتى شاب فقلت: أنت أفضل من هاهنا؟ قال: قد قالوا ذلك قلت: فبأي شيء نلت ذلك فوالله ما أرى لك ذلك السن فأقول: نلت ذلك بطول الحج والعمرة والجهاد في سبيل الله والعمل؟! قال: قد ابتليت بالمصائب، فرزقت الصبر عليها فبذلك فضلتم<sup>(١)</sup>.

وهذه المراتي وإن لم تصلح بمجرد لاثبات مثل ذلك فهي على كثرتها، وأنها لا يحصيها إلا الله قد تواطت على هذا المعنى، وقد قال النبي ﷺ: «أرى رؤياكم قد تواطت على أمتها في العشر الأواخر»<sup>(٢)</sup>. يعني ليلة القدر فإذا تواطت رؤيا المؤمنين على شيء كان كتواطؤ روايتهم له وكتواطؤ رأيهم على استحسانه واستقباحه وما رآه المسلمون حسنا، فهو عند الله حسن وما رآوه قبيحا فهو عند الله قبيح على أننا لم نثبت هذا بمجرد الرؤيا بل بما ذكرناه من الحجج وغيرها<sup>(٣)</sup>.

<sup>(١)</sup> (ضعيف) أخرجه البيهقي في «الشعب» (١٠١٨٩) من طريق ابن أبي الدنيا به. وإسناده ضعيف فيه عبدالله بن صالح كاتب الليث وفيه ضعف. وأبو بكر التيمي لم أعرفه.

<sup>(٢)</sup> أخرجه بهذا اللفظ البخاري: (١١٥٨) ومسلم: (٢٧٦٣/١١٦٥) عن ابن عمر رضي الله عنهما. وقد جاء بلفظ: «السبع الأواخر» أخرجه البخاري: (٢٠١٥) ومسلم: (٢٧٦١/١١٦٥) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

<sup>(٣)</sup> والكلام عن هذه الفقرة من وجهين:

الأول: أن هذه المرآة التي ساقها إلى الآن كلها ضعيفة الأسانيد لم يصح منها شيء، فكيف يقال: إنها قد تواطأت على هذا المعنى، ثم هي مع ضعف أسانيد بعضها يخالف بعضاً ففي بعضها أنهم يعلمون بزوارهم عشية الجمعة ويوم السبت، وفي بعضها أنهم يعلمون يوم الجمعة ويوماً قبله ويوماً بعده وفي بعضها أنهم يعلمون مطلقاً: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

الثاني: أنها حتى ولو صحت أسانيدها لا تكون حجة في إثبات أمر غيبي، ولا يصح الاستدلال في هذا الموضوع بحديث التواطؤ على رؤيا ليلة القدر؛ لأن هذه أقرهم عليها رسول الله ﷺ، وإقراره أحد وجوه التشريع وأما الرؤيا بعد رسول الله ﷺ فلا تكون حجة حتى ولو تواطأت.

قال شيخ الإسلام - كما في "مجموع الفتاوى" (٤٥٨/٢٧) : (فأما المنامات فكثير منها بل أكثرها كذب وقد عرفنا في زماننا بمصر والشام والعراق من يدعي أنه رأى منامات تتعلق ببعض البقاع أنه قبر نبي أو أن فيه أثر نبي ونحو ذلك ويكون كذباً، وهذا الشيء منتشر فرائي المنام غالباً ما يكون كاذباً وبتقدير صدقه فقد يكون الذي أخبره بذلك شيطان، والرؤيا المحضة التي لا دليل يدل على صحتها لا يجوز أن يثبت بها شيء بالاتفاق).

\* وقال ابن القيم في "مدارج السالكين" (١/٥١) : (وأما رؤيا غيرهم - يعني الأنبياء - فتعرض على الوحي الصريح فإن وافقته وإلا لم يعمل بها).

\* وقال الحافظ ابن حجر في "فتح الباري" (١٠٨/٢) وهو يتكلم عن رؤيا عبدالله بن زيد في الأذان: (وقد استشكل إثبات حكم الأذان برؤيا عبدالله بن زيد لأن رؤيا غير الأنبياء لا يبنني عليها حكم شرعي...).

\* وقال الشاطبي في "الاعتصام" (٧٨/٢) : (... لأن الرؤيا من غير الأنبياء لا يحكم بها شرعاً على حال إلا أن نعرضها على ما في أيدينا من الاحكام الشرعية فإن سَوَّغَتْهَا عَمَلٌ بِمَقْتَضَائِهَا وَإِلَّا وَجِبَ تَرْكُهَا والإعراض عنها وإنما فائدتها البشارة والندارة خاصة، وأما استفادة الأحكام فلا).

- وقال المعلمي في "التنكيل" (٢/٢٥٩) : (ولهذه الأمور اتفق أهل العلم على أن الرؤيا لا تصلح للحجة وإنما هي تبشير وتنبية وتصلح للاستئناس بها إذا وافقت حجة شرعية صحيحة).

فتبين من كلام أهل العلم - وهو اتفاق عندهم - أن الرؤيا ليست بحجة، حتى ولو تواطأت فإن هذا التواطؤ لا يجعلها حجة، ولكن الغالب أنها إن تواطأت تكون صادقة أحسن من غيرها لا سيما إن تواطأت من الصالحين فإنها جزء من النبوة. وأما قياس الرؤيا على الرواية والرأي فهذا قياس غير صحيح لما بينها من الفروق المعلومة.

وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّ الْمَيِّتَ يَسْتَأْنِسُ بِالْمَشِيعِينَ لِحَنَازَتِهِ بَعْدَ دَفْنِهِ فَرَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شِهَابَةَ الْمُهْرِيِّ، قَالَ: حَضَرْنَا عَمْرَوَ بْنَ الْعَاصِ وَهُوَ فِي سِيَاقَةِ الْمَوْتِ فَبَكَى طَوِيلًا، وَحَوْلَ وَجْهِهِ إِلَى الْجِدَارِ فَجَعَلَ ابْنُهُ يَقُولُ: مَا يَبْكِيكَ يَا أَبَتَاهُ؟ أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِكَذَا فَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ فَقَالَ: «إِنْ أَفْضَلَ مَا نَعُدُّ شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَإِنِّي كُنْتُ عَلَى أَطْبَاقِ ثَلَاثٍ لَقَدْ رَأَيْتَنِي وَمَا أَحَدٌ أَشَدَّ بَعْضًا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنِّي وَلَا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَكُونَ قَدْ اسْتَمَكَنْتَ مِنْهُ فَقَتَلْتَهُ فَلَوْ مِتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَكُنْتُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَلَمَّا جَعَلَ اللَّهُ الْإِسْلَامَ فِي قَلْبِي أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: ابْسُطْ يَدَكَ فَلَا بَايِعُكَ فَبَسَطَ يَمِينَهُ قَالَ: فَبَضِضْتُ يَدِي، قَالَ: فَقَالَ: «مَا لَكَ يَا عَمْرُو؟» قَالَ: قُلْتُ: أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ قَالَ: «تَشْتَرِطُ مَاذَا؟» قُلْتُ: أَنْ يَغْفِرَ لِي، قَالَ: «أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ» وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَا أَجَلَّ فِي عَيْنِي مِنْهُ وَمَا كُنْتُ أَطِيقُ أَنْ أَمْلَأَ عَيْنِي مِنْهُ إِجْلَالًا لَهُ وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصْفَهُ مَا أَطَقْتُ لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلَأُ عَيْنِي مِنْهُ وَلَوْ مِتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَرَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ وَلِينَا أَشْيَاءَ مَا أَدْرَى مَا حَالِي فِيهَا فَإِذَا أَنَامْتُ فَلَا تَصْحَبُنِي نَائِحَةٌ وَلَا نَارٌ فَإِذَا دَفَنْتُمُونِي فَسُنُّوا عَلَى التُّرَابِ سِنًّا ثُمَّ أَقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِي قَدْرَ مَا تُنْحَرُ جُزُورٌ وَيُقَسَّمُ لَحْمُهَا حَتَّى اسْتَأْنِسَ بِكُمْ وَأَنْظُرَ مَا أَرَا جَعَلَ بِهِ رَسُلَ رَبِّي»<sup>(١)</sup>. فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْمَيِّتَ يَسْتَأْنِسُ بِالْحَاضِرِينَ عِنْدَ قَبْرِهِ وَيَسِرُّ بِهِمْ.

(١) أخرجه مسلم: (١٢١).

قلت: ولا حجة في هذا على سماع الموتى فإن عمرو بن العاص رضي الله عنه لم يسند إلى النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً مما ذكر في هذا الحديث وإنما هو اجتهاد منه رضي الله عنه، والنبي صلى الله عليه وسلم كان إذا دفن الميت وقف عليه يسيراً مقدار ما



وقد ذكر عن جماعة من السلف أنهم أوصوا أن يُقرأ عند قبورهم وقت الدفن.  
 قال عبد الحق<sup>(١)</sup> يروى أن عبد الله بن عمر أمر أن يُقرأ عند قبره سورة البقرة ومَنْ  
 رأى ذلك العلاء بن عبد الرحمن<sup>(٢)</sup>.  
 وكان الامام أحمد يُنكر ذلك أو لا حيث لم يبلغه فيه أثر ثم رجح عن ذلك<sup>(٣)</sup>.

يقول: «استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فإنه الآن يُسأل». ثم يستغفر له وينصرف ولا يعلم عنه  
 القيام عند القبر بمثل هذا المقدار.  
 قال العلامة ابن عثيمين رحمته الله في تعليقه على «صحيح مسلم» صفحة (٣٩٣): (فالذي يظهر أن هذا من  
 اجتهاد عمرو رحمته الله واتباع السنة أولى).  
<sup>(١)</sup> هو الإمام الحافظ البارع المجدود العلامة أبو محمد عبدالحق بن عبدالرحمن بن عبدالله بن الحسين بن سعيد  
 الأزدي الأندلسي الأشبيلي المعروف في زمانه بابن الخراط توفي سنة (٥٨١). انظر «سير أعلام النبلاء»  
 (١٩٨/٢١).  
<sup>(٢)</sup> (ضعيف) وسيأتي تخريجه في الذي بعده.  
<sup>(٣)</sup> في ثبوت هذه القصة عن أحمد نظر؛ فإن في إسنادها من لا يعرف، وفيه من هو ضعيف كما سيأتي بيانه عند  
 ذكرها. وقد شكك في ثبوت هذه القصة العلامة الألباني في «أحكام الجنائز» صفحة (٢٤٣) وسيأتي من  
 كلام ابن القيم النقل عن أحمد: أنه لا يحفظ في القراءة على القبر شيئاً.  
 ثم إن القراءة عند القبر لم تكن من فعل رسول الله صلوات الله عليه وآله كما ذكره ابن القيم في «زاد المعاد» (١/٥٢٢)، ولم  
 تكن أيضاً من فعل الصحابة والتابعين، قال شيخ الإسلام في «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/٧٣٦):  
 (ولا يحفظ عن الشافعي نفسه في هذه المسألة كلام وذلك لأن ذلك كان عنده بدعة، وقد قال مالك: ما  
 علمت أن أحداً يفعل ذلك، فعلم أن الصحابة و التابعين ما كانوا يفعلون ذلك) انتهى.  
 بل إن القول بكرامية القراءة عند القبر نقله شيخ الإسلام في «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/٧٣٦) عن  
 جمهور السلف، فعلى هذا فالقراءة عند القبر من البدع التي لم تكن في زمن رسول الله صلوات الله عليه وآله ولا في القرون  
 المفضلة وإنما حدثت بعد ذلك.

وَقَالَ الخلال فِي «الجَامِعِ»: «كُتِبَ القِرَاءَةُ عِنْدَ القُبُورِ»: أَخْبَرَنَا العَبَّاسُ بن مُحَمَّدِ الدورِي، حَدَّثَنَا يحيى بن معِين، حَدَّثَنَا مُبَشِّرُ الحَلْبِيِّ، حَدَّثَنِي عبد الرَّحْمَنِ بن العَلَاءِ بن اللِّجْلَاجِ عَنِ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ أَبِي: إِذَا أَنَامْتَ فَضْعِنِي فِي اللَّحْدِ وَقُلْ: بِسْمِ اللَّهِ وَعَلَى سَنَةِ رَسُولِ اللَّهِ وَسُنَّ عِلِّيِّ الثُّرَابِ سَنَا وَاقْرَأْ عِنْدَ رَأْسِي بِفَاتِحَةِ البَقْرَةِ وَخَاتَمَتِهَا فَإِنِّي سَمِعْتُ عبد الله بن عمر يَقُولُ ذَلِكَ<sup>(١)</sup>.

قَالَ عَبَّاسُ الدورِي: سَأَلْتُ أَحْمَدَ بن حَنْبَلٍ قُلْتُ: تَحْفَظُ فِي القِرَاءَةِ عَلَى القَبْرِ شَيْئًا؟ فَقَالَ: لَا<sup>(٢)</sup>، وَسَأَلْتُ يحيى ابْنَ معِينٍ فَحَدَّثَنِي بِهَذَا الحَدِيثِ<sup>(٣)</sup>.

قَالَ الخلال وَأَخْبَرَنِي الحسن بن أَحْمَدَ الوَرَّاقُ حَدَّثَنِي علي بن مُوسَى الحداد، وَكَانَ صَدُوقًا، قَالَ: كُنْتُ مَعَ أَحْمَدَ بن حَنْبَلٍ وَمُحَمَّدَ بن قَدَامَةَ الجوهري فِي جَنَازَةِ فَلَمَّا دَفِنَ المَيِّتَ جَلَسَ رَجُلٌ صَرِيرٌ يَقْرَأُ عِنْدَ القَبْرِ فَقَالَ لَهُ أَحْمَدُ: يَا هَذَا إِنْ القِرَاءَةَ عِنْدَ القَبْرِ بَدَعَةٌ، فَلَمَّا خَرَجْنَا مِنَ المَقَابِرِ قَالَ مُحَمَّدُ بن قَدَامَةَ لِأَحْمَدَ بن حَنْبَلٍ: يَا أَبَا عبد الله مَا تَقُولُ فِي

<sup>(١)</sup> (ضعيف) أخرجه الخلال في «القراءة عند القبور» رقم (١)، وابن معين في «تاريخه» - رواية الدورى - (٣٤٥ / ٢)، ومن طريقه البيهقي (٩٣ / ٤)، فقال - ابن معين - حدثنا مبشر بن إسماعيل الحلبي حدثني عبدالرحمن بن العلاء بن اللجلاج عن أبيه قال: قال لي أبي ... فذكره.

وهذا إسناد ضعيف عبدالرحمن بن العلاء مجهول، وأبوه روى عنه اثنان ولم يوثقه معتبر فهو مجهول حال. \* وقد جاء هذا الأثر مرفوعاً بلفظ: «فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك» أخرجه الطبراني في الكبير (٢٢٠ / ١٩) وإسناده ضعيف أيضاً فإنه من طريق عبدالرحمن بن العلاء عن أبيه.

فتبين بهذا أن الأمر بقراءة القرآن عند القبر لم يثبت مرفوعاً، ولا موقوفاً على ابن عمر رضي الله عنهما.

<sup>(٢)</sup> تاريخ ابن معين (٣٨٠ / ٢).

<sup>(٣)</sup> (ضعيف) «تاريخ ابن معين» (٣٧٩ / ٢) وهو بالإسناد المتقدم من طريق عبدالرحمن بن العلاء عن أبيه وهو إسناد ضعيف كما تقدم.

مُبَشِّرِ الْحَلْبِيِّ؟ قَالَ: ثِقَّةٌ، قَالَ: كَتَبْتَ عَنْهُ شَيْئًا؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي مُبَشِّرَ عَنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْعَلَاءِ اللَّجْلَاجِ عَنِ أَبِيهِ أَنَّهُ أَوْصَى إِذَا دُفِنَ أَنْ يَقْرَأَ عِنْدَ رَأْسِهِ بِفَاتِحَةِ الْبَقْرَةِ وَخَاتِمَتِهَا وَقَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عَمْرِو يُوصِي بِذَلِكَ فَقَالَ لَهُ أَحْمَدُ: فَارْجِعْ وَقُلْ لِلرَّجُلِ يَقْرَأُ<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ الصَّبَّاحِ الزَّعْفَرَانِيُّ: سَأَلْتُ الشَّافِعِيَّ عَنِ الْقِرَاءَةِ عِنْدَ الْقَبْرِ؟ فَقَالَ: لَا بَأْسَ بِهِ<sup>(٢)</sup>.

وَذَكَرَ الْخَلَالُ عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: «كَانَتْ الْأَنْصَارُ إِذَا مَاتَ لَهُمُ الْمَيِّتُ اخْتَلَفُوا إِلَى قَبْرِهِ يَقْرَءُونَ عِنْدَهُ الْقُرْآنَ»<sup>(٣)</sup>.

<sup>(١)</sup> (ضعيف) أخرجه الخلال في «القراءة عند القبور» رقم (٣)، وإسناده ضعيف، الحسن بن أحمد الوراق وشيخه علي بن موسى الحداد لم أجدا لهما ترجمة.

ومحمد بن قدامة الجوهري الذي حدث أحمد بالخبر قال عنه ابن معين: ليس بشيء. وقال أبو داود: ضعيف. وعبدالرحمن بن العلاء وأبوه تقدم أنهما مجهولان.

<sup>(٢)</sup> (صحيح) أخرجه الخلال في كتاب «القراءة عند القبور» (٤) فقال أخبرني روح بن الفرج سمعت الحسن بن الصباح به. وهذا إسناد صحيح إلى الشافعي.

<sup>(٣)</sup> (ضعيف) أخرجه الخلال في «القراءة عند القبور» رقم (٧) من طريق سفيان بن وكيع حدثنا حفص عن مجالد عن الشعبي به. وهذا إسناد ضعيف؛ سفيان بن وكيع ساقط الحديث كما في التقريب، ومجالد وهو ابن سعيد ضعيف.

وقد جاء عن الشعبي بلفظ: «كانت الأنصار يقرؤون عند الميت بسورة البقرة». أخرجه ابن أبي شيبة (١١٣/٧) وهو ضعيف أيضًا من طريق مجالد بن سعيد عن الشعبي.

وانظر للفائدة «أحكام الجنائز» للعلامة الألباني صفحة (٢٤٤).

قَالَ وَأَخْبَرَنِي أَبُو يَحْيَى النَّاقِدُ قَالَ سَمِعْتُ الْحَسْنَ بْنَ الْجُرُومِيِّ يَقُولُ: مَرَرْتُ عَلَى قَبْرِ أُخْتِي لِي فَقَرَأْتُ عِنْدَهَا تَبَارَكَ لِمَا يُذَكَّرُ فِيهَا؛ فَجَاءَنِي رَجُلٌ فَقَالَ: إِنِّي رَأَيْتُ أُخْتِكَ فِي الْمَنَامِ تَقُولُكَ جَزَى اللَّهُ أَبَا عَلَى خَيْرًا فَقَدْ انْتَفَعْتَ بِهَا قَرَأً<sup>(٩)</sup>.

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ الْهَيْثَمِ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرَ بْنَ الْأَطْرُوشِ ابْنَ بِنْتِ أَبِي نَصْرِ التَّمَارِ يَقُولُ: كَانَ رَجُلٌ يَجِيءُ إِلَى قَبْرِ أُمِّهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَيَقْرَأُ سُورَةَ يَسٍ فَجَاءَ فِي بَعْضِ أَيَّامِهِ فَقَرَأَ سُورَةَ يَسٍ ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ قَسَمْتَ لِهَذِهِ السُّورَةِ ثَوَابًا فَاجْعَلْهَا فِي أَهْلِ هَذِهِ الْمَقَابِرِ فَلَمَّا كَانَ فِي الْجُمُعَةِ الَّتِي تَلِيهَا جَاءَتْ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ: أَنْتَ فَلَانُ ابْنِ فُلَانَةٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَتْ: إِنْ بَنَتَا لِي مَاتَتْ فَرَأَيْتَهَا فِي النَّوْمِ جَالِسَةً عَلَى شَفِيرِ قَبْرِهَا فَقُلْتُ: مَا أَجْلَسَكَ هَاهُنَا؟ فَقَالَتْ: إِنْ فَلَانُ ابْنُ فُلَانَةٍ جَاءَ إِلَى قَبْرِ أُمِّهِ فَقَرَأَ سُورَةَ يَسٍ وَجَعَلَ ثَوَابَهَا لِأَهْلِ الْمَقَابِرِ فَأَصَابْنَا مِنْ رُوحِ ذَلِكَ أَوْ غَفَرَ لَنَا أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ<sup>(١٠)</sup>.

<sup>(٩)</sup> (إسناده صحيح) أخرجه الخلال في "القراءة عند القبور" رقم (٩)، ورجال إسناده ثقات أبو يحيى الناقد هو زكريا بن يحيى بن عبد الملك ثقة مترجم في "تاريخ بغداد" (٤٦١/٨)، والحسن بن الجروي هو الحسن بن عبدالعزيز بن الوزير ثقة ثبت من رجال التهذيب. وليس في مثل هذا الأثر حجة على سماع الموتى، ولا على جواز القراءة عند القبور.

<sup>(١٠)</sup> (ضعيف) أخرجه الخلال في كتاب "القراءة عند القبور" رقم (١١) وإسناده ضعيف؛ الحسن بن هيثم محتمل أنه الحسن بن الهيثم بن الخلال بن توبة، ومحتمل أنه الحسن بن الهيثم أبو علي المزني، وكلاهما مجهول ترجم لهما الخطيب في "تاريخه" (٤٥٠/٧)، وأبو بكر الأطروش محتمل أنه أحمد بن السري بن سنان، أو أحمد بن إبراهيم المعروف بأبي بسطام وكلاهما مترجم في "تاريخ بغداد" (١٠/٤) و (١٨٩/٤). الأول ثقة والثاني مجهول.

وَفِي النَّسَائِيِّ وَغَيْرِهِ مِنْ حَدِيثِ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارِ الْمُزْنِيِّ عَنِ النَّبِيِّ أَنَّهُ قَالَ: «اقْرَأُوا  
﴿يس﴾ عِنْدَ مَوْتِكُمْ»<sup>(١)</sup>.

وَهَذَا يَحْتَمِلُ أَنْ يُرَادَ بِهِ قِرَاءَتَهَا عَلَى الْمُحْتَضِرِ عِنْدَ مَوْتِهِ مِثْلَ قَوْلِهِ: «لَقِنُوا مَوْتَكُمْ  
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»<sup>(٢)</sup>.

وَيَحْتَمِلُ: أَنْ يُرَادَ بِهِ الْقِرَاءَةُ عِنْدَ الْقَبْرِ، وَالْأَوَّلُ أَظْهَرَ لَوَجْوه:  
الأول: أَنَّهُ نَظِيرُ قَوْلِهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «لَقِنُوا مَوْتَكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ».

الثَّانِي: انْتِفَاعُ الْمُحْتَضِرِ بِهَذِهِ السُّورَةِ لِمَا فِيهَا مِنَ التَّوْحِيدِ وَالْمَعَادِ وَالْبَشْرِيَّاتِ بِالْجَنَّةِ  
لَأَهْلِ التَّوْحِيدِ وَغِبْطَةِ مَنْ مَاتَ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾\*  
بِمَا عَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿ [يس: ٢٦-٢٧]، فَتَسْتَبِشِرُ الرُّوحَ بِذَلِكَ فَتُحِبُّ  
لِقَاءَ اللَّهِ فَيُحِبُّ اللَّهُ لِقَاءَهَا فَإِنَّ هَذِهِ السُّورَةَ قَلْبُ الْقُرْآنِ وَلَهَا خَاصِيَةٌ عَجِيبَةٌ فِي قِرَاءَتِهَا

<sup>(١)</sup> (ضعيف) أخرجه أحمد: (٢٦/٥)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٨٤٦-١٠٨٤٧)، وأبو داود: (٣١٢١)، وابن ماجه (١٤٤٨)، وغيرهم وفي إسناده أبو عثمان - وليس بالنهدي - مجهول وأبوه كذلك مجهول. وقد اضطرب رواته فيه فتارة يرويه سليمان التيمي عن أبي عثمان عن أبيه عن معقل مرفوعاً، وتارة عن أبي عثمان عن معقل مرفوعاً، وتارة عن رجل عن أبيه عن معقل مرفوعاً.  
وقد نقل الحافظ ابن حجر في «التلخيص الحبير» (١١٥٦/٣) عن ابن القطان أنه أعله بالاضطراب والوقف وبجهالة حال أبي عثمان وأبيه، ونقل الحافظ أيضاً عن أبي بكر ابن العربي أنه نقل عن الدار قطني قوله: هذا حديث ضعيف الإسناد مجهول المتن ولا يصح في الباب حديث. انتهى.  
\* وقد جاء الحديث أيضاً عن أبي الدرداء أخرجه أبو نعيم في «ذكر أخبار أصبهان» (١٨٨/١) وهو ضعيف جداً؛ في إسناده مروان بن سالم الغفاري أبو عبدالله الجزري قال الحافظ في «التقريب»: (متروك ورماه الساجي وغيره بالوضع).

<sup>(٢)</sup> أخرجه مسلم: (٩١٦ و٩١٧) عن أبي سعيد وأبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**.

عند المحتضر، وقد ذكر أبو الفرج بن الجوزي قال: كُنَّا عِنْدَ شَيْخِنَا أَبِي الْوَقْتِ عَبْدِ الْأَوَّلِ وَهُوَ فِي السِّيَاقِ وَكَانَ آخِرَ عَهْدِنَا بِهِ أَنَّهُ نَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ وَضَحِكَ وَقَالَ: ﴿ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ \* بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ [يس: ٢٦-٢٧]، وَقَضَى <sup>(١)</sup>.

الثَّالِثُ: إِنْ هَذَا عَمَلُ النَّاسِ وَعَادَتُهُمْ قَدِيمًا وَحَدِيثًا يَقْرَأُونَ ﴿يس﴾ عِنْدَ الْمَحْتَضِرِ.  
الرَّابِعُ: أَنَّ الصَّحَابَةَ لَوْ فَهَمُوا مِنْ قَوْلِهِ: اقْرَأُوا ﴿يس﴾ عِنْدَ مَوْتَاكُمْ قِرَاءَتَهَا عِنْدَ الْقَبْرِ لَمَا أَخْلَوْا بِهِ وَكَانَ ذَلِكَ أَمْرًا مُعْتَادًا مَشْهُورًا بَيْنَهُمْ.

الخَامِسُ: أَنَّ انْتِفَاعَهُ بِاسْتِمَاعِهَا وَحُضُورِ قَلْبِهِ وَذَهْنِهِ قِرَاءَتَهَا فِي آخِرِ عَهْدِهِ بِالْدُنْيَا هُوَ الْمَقْصُودُ وَأَمَّا قِرَاءَتُهَا عِنْدَ قَبْرِهِ فَإِنَّهُ لَا يُثَابُ عَلَى ذَلِكَ؛ لِأَنَّ الثَّوَابَ إِمَّا بِالْقِرَاءَةِ أَوْ بِالِاسْتِمَاعِ وَهُوَ عَمَلٌ وَقَدْ انْقَطَعَ مِنَ الْمَيِّتِ.

### فصل

وَقَدْ تَرَجَّمَ الْحَافِظُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْحَقِّ الْأَشْبِيلِيُّ عَلَى هَذَا فَقَالَ: «ذِكْرُ مَا جَاءَ أَنَّ الْمَوْتَى يَسْأَلُونَ عَنِ الْأَحْيَاءِ وَيَعْرِفُونَ أَقْوَالَهُمْ وَأَعْمَالَهُمْ»، ثُمَّ قَالَ: ذَكَرَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَا مِنْ رَجُلٍ يَمُرُّ بِقَبْرِ أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ كَانَ يَعْرِفُهُ فَيَسَلِمُ عَلَيْهِ إِلَّا عَرَفَهُ وَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ» <sup>(٢)</sup>.

<sup>(١)</sup> ذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٢٧/١٨) فقال: وحدثني أبو عبد الله محمد بن الحسين التكريتي الصوفي قال: «أسندته إلي فمات فكان آخر كلمة قالها: ﴿ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ \* بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ [يس: ٢٦-٢٧].

<sup>(٢)</sup> (ضعيف) وقد تقدم صفحة: ( ).

ويروى هذا من حديث أبي هريرة مرفوعاً قال: «فإن لم يعرفه وسلم عليه رد عليه السلام»<sup>(١)</sup>.

قال: ويروى من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من رجل يزور قبر أخيه فيجلس عنده إلا استأنس به حتى يقوم»<sup>(٢)</sup>.

وأحتج الحافظ أبو محمد في هذا الباب بما رواه أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من أحد يسلم على إلا رد الله على روعي حتى أرد عليه السلام»<sup>(٣)</sup>.

قال: وقال سليمان بن سحيم: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت: يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك ويسلمون عليك أتفقه منهم؟ قال: «نعم وأرد عليهم»<sup>(٤)</sup>.

(١) (ضعيف مرفوعاً وموقوفاً)، وقد تقدم صفحة ( ).

(٢) (ضعيف) وقد تقدم صفحة: ( ).

(٣) (حسن) أخرجه أحمد: (٥٢٧/٢)، وأبو داود: (٢٠٤١) من طريق عبدالله بن يزيد المقرئ حدثنا حيوة حدثني أبو صخر أن يزيد بن عبدالله بن قسيط أخبره عن أبي هريرة به. ورجال إسناده كلهم ثقات إلا أبا صخر واسمه حميد بن زياد فهو صدوق.

وليس في هذا الحديث دلالة على سماع الموتى، بل فيه دلالة وحجة للقائلين بعدم السماع وذلك أنه قد جاء في حديث ابن مسعود رضي الله عنه الذي رواه النسائي: (١٢٨٢) بإسناد صحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني من أمي السلام». فهذا نص في أن سلام المؤمنين يبلغه إياه الملائكة ولا يسمعه بنفسه، وقد رد شيخ الإسلام - كما في «مجموع الفتاوى» (٢٧/٢٤١) على من يقول إن النبي صلى الله عليه وسلم يسمع بأذنيه صلاة من يصلي عليه ليلة ويوم الجمعة فقال: «فالقول إنه يسمع ذلك من نفس المصلي عليه باطل، وإنما في الأحاديث المعروفة أنه يبلغ ذلك ويعرض عليه وكذلك السلام تبلغه إياه الملائكة» انتهى.

قلت: فإذا كان هذا في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم فغيره لا يسمع من باب أولى.

قَالَ: وَكَانَ يَعْلَمُهُمْ أَنْ يَقُولُوا إِذَا دَخَلُوا الْمَقَابِرَ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ»

الْحَدِيثُ.

قَالَ: وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمَيِّتَ يَعْرِفُ سَلَامَ مَنْ يَسْلَمُ عَلَيْهِ وَدُعَاءَ مَنْ يَدْعُو لَهُ.

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ: وَيَذْكَرُ عَنِ الْفَضْلِ بْنِ الْمُوفَّقِ قَالَ: كُنْتُ آتَى قَبْرَ أَبِي الْمُرَّةَ بَعْدَ الْمُرَّةِ فَأَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَشَهِدْتُ يَوْمًا جَنَازَةَ فِي الْمَقْبَرَةِ الَّتِي دُفِنَ فِيهَا فَتَعَجَّلْتُ لِحَاجَتِي وَلَمْ آتِهِ فَلَمَّا كَانَ مِنَ اللَّيْلِ رَأَيْتُهُ فِي الْمَنَامِ فَقَالَ لِي: يَا بَنِي لِمَ لَا تَأْتِينِي؟ قُلْتُ لَهُ: يَا أَبْتَ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ بِي إِذَا أَتَيْتُكَ؟! قَالَ: أَيُّ وَاللَّهِ يَا بَنِي لَا أَرَاكَ أَطَّلَعُ عَلَيْكَ حِينَ تَطْلُعُ مِنَ الْقَنْطَرَةِ حَتَّى تَصِلَ إِلَيَّ وَتَقْعُدَ عِنْدِي ثُمَّ تَقُومُ فَلَا أَرَاكَ أَنْظُرُ إِلَيْكَ حَتَّى تَجُوزَ الْقَنْطَرَةَ<sup>(١)</sup>.

قَالَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا حَدَّثَنِي إِبرَاهِيمُ بْنُ بَشَارِ الْكُوفِيِّ قَالَ حَدَّثَنِي الْفَضْلُ بْنُ الْمُوفَّقِ

فَذَكَرَ الْقِصَّةَ<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه البيهقي في الشعب (٣٨٦٨) من طريق أبي بكر بن أبي الدنيا، حَدَّثَنِي سُؤَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي الرَّجَالِ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ سُحَيْمٍ بِهِ. وهذا إسناد لا بأس به.

تنبيه: وقع في كل ما رأيت من نسخ الروح المخطوطة والمطبوعة (سليمان بن نعيم) ووقع عند البيهقي في شعب الإيمان وفي كتابه حياة الأنبياء في قبورهم (سليمان بن سُحَيْمٍ) وهو أصوب فسليمان بن سُحَيْمٍ تابعي معروف، وإنما وقع لابن القيم (سليمان بن نعيم) لأنه نقله من العاقبة لعبد الحق الأشبيلي وهو فيه كذلك.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المنامات» (١٩) فقال حدثني محمد بن الحسين حدثنا الفضل بن موفق فذكر القصة. و الفضل بن موفق صاحب القصة قال أبو حاتم: (كان شيخاً صالحاً ضعيف الحديث وكان يروي أحاديث موضوعة).

وفي هذه القصة ما هو منكر حيث جاء فيها أن الميت يطَّلَعُ على ابنه ويراه حين يأتي وحين ينصرف فلا تكون مثل هذه الحكايات حجة في إثبات أمر من أمور الغيب.

(٣) هذا الإسناد ليس للقصة السابقة وإنما ذكره ابن أبي الدنيا في «المنامات» (٢٠) عقب القصة السابقة وذكر به قصة أخرى، ففعل عبد الحق رحمه الله سبق نظره إلى هذا الإسناد، والله أعلم.



وَصَحَّ عَنْ عَمْرٍو بْنِ دِينَارٍ أَنَّهُ قَالَ: «مَا مِنْ مَيِّتٍ يَمُوتُ إِلَّا وَهُوَ يَعْلَمُ مَا يَكُونُ فِي أَهْلِهِ بَعْدَهُ وَأَمَّهُمْ لِيُغْسَلُونَهُ وَيُكْفَنُونَهُ وَإِنَّهُ لَيَنْظُرُ إِلَيْهِمْ»<sup>(١)</sup>.  
وَصَحَّ عَنْ مُجَاهِدٍ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَبْشُرُ فِي قَبْرِهِ بِصَلَاحٍ وَكَدِّهِ مِنْ بَعْدِهِ»<sup>(٢)</sup>.

### فصل

وَيَدُلُّ عَلَى هَذَا أَيْضًا مَا جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُ النَّاسِ قَدِيمًا وَإِلَى الْآنَ مِنْ تَلْقِينِ الْمَيِّتِ فِي قَبْرِهِ وَلَوْلَا أَنَّهُ يَسْمَعُ ذَلِكَ وَيَنْتَفِعُ بِهِ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَائِدَةٌ وَكَانَ عَبَثًا وَقَدْ سُئِلَ عَنْهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَاسْتَحْسَنَهُ وَاحْتَجَّ عَلَيْهِ بِالْعَمَلِ<sup>(٣)</sup>.  
وَيُرَوَّى فِيهِ حَدِيثٌ ضَعِيفٌ ذَكَرَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي مُعْجَمِهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ فَسُوِّتُمْ عَلَيْهِ التُّرَابَ فَلْيَقُمْ أَحَدُكُمْ عَلَى رَأْسِ

<sup>(١)</sup> (صحيح مقطوعاً) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣/٣٤٩) ولفظه: «ما من ميت يموت إلا وروحه في يد ملك ينظر إلى جسده كيف يغسل وكيف يكفن وكيف يمشى به فيجلس في قبره». ورجال إسناده كلهم ثقات، لكنه من كلام تابعي لم يسنده إلى رسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

\* وقد جاء بنحو هذا الأثر مرفوعاً أخرجه أحمد: (٣/٣) عن أبي سعيد مرفوعاً: «إن الميت يعرف من يحمله ومن يغسله ومن يدليه في قبره». وإسناده ضعيف الراوي عن أبي سعيد رجل مبهم.

<sup>(٢)</sup> (ضعيف جداً) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المنامات» (١٦) فقال حدثنا أبو هشام حدثنا يحيى بن بيان عن عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه به. وهذا إسناده ضعيف جداً؛ أبو هشام الرفاعي قال عنه البخاري: «رأيتهم مجتمعين على ضعفه»، وعبد الوهاب بن مجاهد متروك وكذبه الثوري وغيره، ويحيى بن بيان ضعيف.

<sup>(٣)</sup> لم أجد هذا عن أحمد، وقد قال ابن قدامة في «المغني» (٣/٢٧٧): «فأما التلقين بعد الدفن فلم أجد فيه عن أحمد شيئاً ولا أعلم فيه للأئمة قولاً سوى ما رواه الأثرم قال: قلت لأبي عبد الله: فهذا الذي يصنعونه إذا دفن الميت يقف الرجل ويقول الرجل يا فلان ابن فلان... فقال: ما رأيت أحداً فعل هذا إلا أهل الشام...».

قبره ثم يقول: يا فلان ابن فلانة فإنه يسمع ولا يجيب ثم ليقول: يا فلان ابن فلانة الثانية فإنه يستوي قاعدا ثم ليقول: يا فلان ابن فلانة، فيقول: أرشدنا رحك الله ولكينكم لا تسمعون فيقول أذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأنت رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً وبالقرآن إماماً، فإن منكراً ونكيراً يتأخر كل واحد منهما ويقول: انطلق بنا ما يقعدنا عند هذا وقد لقن حجته ويكون الله ورسوله حجيجه دونهما فقال رجل: يا رسول الله فإن لم يعرف أمه قال: ينسبه إلى أمه حواء<sup>(١)</sup>.

<sup>(١)</sup> (ضعيف جداً) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٤٩/٨) فقال حدثنا أبو عقيل أنس بن سلم الخولاني حدثنا محمد بن إبراهيم بن العلاء الحمصي حدثنا إساعيل بن عياش حدثنا عبدالله بن محمد القرشي عن يحيى بن أبي كثير عن سعيد بن عبدالله الأودي قال: شهدت أبا أمامة وهو في النزاع فذكره، وهذا إسناد ضعيف جداً فيه عدة علل:

- ١- محمد بن إبراهيم الحمصي يسرق الحديث، وقال الدارقطني: كذاب.
  - ٢- إساعيل بن عياش روايته عن غير الشاميين ضعيفة.
  - ٣- يحيى بن أبي كثير مدلس وقد عنعن.
  - ٤- سعيد بن عبدالله الأودي لم أعرفه، وقد ذكر ابن أبي حاتم (٧٦/٤) راوياً عن أبي أمامة يقال له سعيد الأزدي فإن كان هو فإنه مجهول.
- فالإسناد تالف كما ترى، وقد قال ابن القيم في تهذيب السنن (٢٥٠/٧): ولكن هذا الحديث متفق على ضعفه فلا تقوم به حجة فضلاً عن أن يعارض به ما هو أصح منه. انتهى.
- \* وقال الصنعاني في «سبل السلام» (٣٨٨/٣): وقال في «المنار»: إن حديث التلقين هذا حديث لا يشك أهل المعرفة بالحديث في وضعه.
- \* وقال العلامة الألباني في «السلسلة الضعيفة» (٦٥/٢): (وجملة القول أن الحديث منكر عندي إن لم يكن موضوعاً).

فَهَذَا الْحَدِيثُ وَإِنْ لَمْ يَثْبِتْ فَاتِّصَالَ الْعَمَلِ بِهِ فِي سَائِرِ الْأَمْصَارِ وَالْأَعْصَارِ مِنْ غَيْرِ انْكَارِ كَافٍ فِي الْعَمَلِ بِهِ وَمَا أَجْرَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْعَادَةَ قَطُّ بِأَنَّ أُمَّةً طَبَقَتْ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا وَهِيَ أَكْمَلُ الْأُمَّمِ عَقُولًا وَأَوْفَرُهَا مَعَارِفًا تَطْبِقُ عَلَى مُحَاظَبَةِ مَنْ لَا يَسْمَعُ وَلَا يَعْقِلُ وَتَسْتَحْسِنُ ذَلِكَ وَلَا يَنْكِرُهُ مِنْهَا مُنْكَرٌ، بَلْ سَنَّهُ الْأَوَّلُ لِلْآخِرِ وَيَقْتَدِي فِيهِ الْآخِرُ بِالْأَوَّلِ فَلَوْلَا أَنَّ الْمُخَاطَبَ يَسْمَعُ وَإِلَّا كَانَ ذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ الْخُطَابِ لِلتُّرَابِ وَالْحَشْبِ وَالْحَجَرِ أَوْ لِلْمَعْدُومِ وَهَذَا وَإِنْ اسْتَحْسِنَهُ وَاحِدٌ فَالْعُقْلَاءُ قَاطِبَةٌ عَلَى اسْتِقْبَاحِهِ وَاسْتَهْجَانِهِ<sup>(١)</sup>.

وَقَدْ رَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي «سُنَنِهِ» بِإِسْنَادٍ لَا بَأْسَ بِهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَضَرَ جَنَازَةَ رَجُلٍ فَلَمَّا دَفِنَ قَالَ: «سَلُوا الْأَخْيَكُمُ التَّثْبِيتَ فَإِنَّهُ الْآنَ يُسْأَلُ»<sup>(٢)</sup>.

<sup>(١)</sup> وهذا غير صحيح أن العمل به قد اتصل في سائر الأمصار والأعصار؛ فقد سبق عن أحمد أنه قال: «ما رأيت أحدًا فعل هذا إلا أهل الشام» ثم على فرض أنه اشتهر العمل به، فإنه لم يثبت فيه الدليل وما لم يثبت فيه الدليل فالعمل به -تعبداً- من البدع وإن كثر من يعمل به، على أن ابن القيم قد ذكر هذا الفعل في غير هذا الموضع منكرًا له، فقال في «زاد المعاد» (١/٥٢٢): (ولم يكن -يعني رسول الله ﷺ- يجلس يقرأ عند القبر ولا يلقن الميت كما يفعله الناس اليوم وأما الحديث الذي رواه الطبراني في معجمه من حديث أبي أمامة (فذكر الحديث)، فهذا حديث لا يصح رفعه.

\* وقال شيخ الإسلام كما في «مجموع الفتاوى» (٢٤/٢٩٧): (تلقينه بعد موته ليس واجبًا بالإجماع ولا كان من عمل المسلمين المشهور بينهم على عهد النبي ﷺ وخلفائه).

\* وقال الصنعاني في «سبل السلام» (٣/٢٨٨): (ويتحصّل من كلام أئمة التحقيق أنه حديث ضعيف والعمل به بدعة ولا يغتر بكثرة من يفعله).

<sup>(٢)</sup> (حسن) أخرجه أبو داود: (٣٢٢١) فقال حدثنا إبراهيم بن موسى الرازي أخبرنا هشام -يعني بن يوسف- عن عبد الله بن بحير عن هانئ مولى عثمان عن عثمان به. وهذا إسناد حسن رجاله ثقات إلا هانئ مولى عثمان فإنه صدوق.

فَأخْبَرَهُ أَنَّهُ يُسْأَلُ حَيْثُئِدٍ وَإِذَا كَانَ يُسْأَلُ فَإِنَّهُ يَسْمَعُ التَّلْقِينَ.

وَقَدْ صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَّ الْمَيِّتَ يَسْمَعُ قِرْعَ نَعَالِهِمْ إِذَا وَلُوا مَنْصَرَفِينَ»<sup>(١)</sup>.

وَذَكَرَ عَبْدُ الْحَقِّ عَنِ بَعْضِ الصَّالِحِينَ قَالَ: مَاتَ أَخٌ لِي فَرَأَيْتَهُ فِي النَّوْمِ فَقُلْتُ: يَا أَخِي مَا كَانَ حَالِكَ حِينَ وَضَعْتَ فِي قَبْرِكَ؟ قَالَ: أَتَانِي آتٍ بِشَهَابٍ مِنْ نَارٍ فَلَوْلَا أَنْ دَاعِيَا دَعَا لِي لَهَلَكْتُ<sup>(٢)</sup>.

وَقَالَ شَيْبِ بْنِ شَيْبَةَ: أَوْصَتْنِي أُمِّي عِنْدَ مَوْتِهَا فَقَالَتْ: يَا بَنِي إِذَا دَفَنْتَنِي فَقُمْ عِنْدَ قَبْرِي وَقُلْ: يَا أُمَّ شَيْبِ قَوْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَلَمَّا دَفَنْتَهَا قُمْتُ عِنْدَ قَبْرِهَا فَقُلْتُ: يَا أُمَّ شَيْبِ قَوْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ثُمَّ انصرفت فلما كان من الليل رأيتها في النوم فقالت: يا بني كدت أن أهلك لولا أن تداركني لا إله إلا الله فقد حفظت وصيتي يا بني<sup>(٣)</sup>.

ليس فيه دليل على سماع الموتى بل إنه من الأدلة على عدم السماع؛ فإن النبي ﷺ أمر بالدعاء له بالتثبيت ولو كان يسمع لأمر بتلقيه فلما لم يكن كذلك أمر بالدعاء له.

<sup>(١)</sup> أخرجه البخاري (١٣٧٤) ومسلم (٢٨٧٠) عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

<sup>(٢)</sup> (ضعيف) ذكره عبدالحق في كتابه «العاقبة في ذكر الموت» صفحة (١٨٢)، وصاحب القصة مبهم لا يُدرى من هو، وكذلك الإسناد قبله الله أعلم بحاله.

<sup>(٣)</sup> أخرجه ابن أبي الدنيا في «المنامات» (١٨) وشيبي بن شيبه صاحب القصة ضعيف، وفي الإسناد من لم أجد له ترجمه .

وذكر ابن أبي الدنيا عن تماضر بنت سهل امرأة أيوب بن عيينة قالت: رأيت سفيان بن عيينة في النوم فقال: جزى الله أخي أيوب عني خيرا فإنه يزورني كثيرا وقد كان عندي اليوم فقال أيوب: نعم حضرت الجبان اليوم فذهبت إلى قبره<sup>(١)</sup>.

وصح عن حماد بن سلمة عن ثابت عن شهر بن حوشب: أن الصعب بن جثامة وعوف بن مالك كانا متواخين قال صعب لعوف: أي أخي أينما مات قبل صاحبه فليترأيا له، قال: أو يكون ذلك؟ قال: نعم فمات صعب فراه عوف فيما يرى النائم كأنه قد أتاه قال: قلت: أي أخي قال: نعم قلت: ما فعل بكم؟ قال: غفر لنا بعد المصائب قال: ورأيت لمعة سوداء في عنقه قلت: أي أخي ما هذا؟ قال عشرة دنائير استسلفتها من فلان اليهودي فهن في قرني فأعطوه إياها وأعلم أي أخي أنه لم يحدث في أهلي حدث بعد موتي إلا قد لحق بي خبره حتى هرة لنا ماتت منذ أيام وأعلم أن بنتي تموت إلى ستة أيام فاستوصوا بها معروفا. فلما أصبحت قلت: إن في هذا معلما فأتيت أهله فقالوا: مرحبا بعوف أهكذا تصنعون بتركة إخوانكم لم تقربنا منذ مات صعب؟! قال: فأتيت فاعتلت بما يعتل به الناس فنظرت إلى القرن فأنزلته فانتثلت ما فيه فوجدت الصرة التي فيها الدنانير فبعثت بها إلى اليهودي فقلت: هل كان لك على صعب شيء؟ قال: رحم الله صعبا كان من خيار أصحاب رسول الله ﷺ هي له قلت: لتخبرني قال: نعم أسلفته عشرة دنائير فنبذتها إليه قال: هي والله بأعيانها قال: قلت: هذه واحدة.

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في "المنامات" (٢٠) عن تماضر بنت سهل قالت: جاءني ابنة سفيان بن عيينة... فجعل الرؤيا لابنة سفيان وليس لتماضر. وهذا إسناد ضعيف فيه ابن أبي المتثد وهو الفضل بن الموفق سبق أنه ضعيف، وتماضر بنت سهل لم أجد لها ترجمه.

قَالَ: فَقُلْتُ: هَلْ حَدَّثَ فِيكُمْ حَدِيثٌ بَعْدَ مَوْتِ صَعْبٍ؟ قَالُوا: نَعَمْ حَدَّثَ فِيْنَا كَذَا حَدِيثٌ قَالَ: قُلْتُ: أَذْكَرُوا قَالُوا: نَعَمْ هَرَّةٌ مَاتَتْ مُنْذُ أَيَّامٍ فَقُلْتُ: هَاتَانِ اثْنَتَانِ.  
 قُلْتُ: أَيْنَ ابْنَةُ أُخِي؟ قَالُوا: تَلْعَبُ فَآتَيْتُ بِهَا فَمَسَسْتُهَا فَإِذَا هِيَ مَحْمُومَةٌ فَقُلْتُ:  
 اسْتَوْصُوا بِهَا مَعْرُوفًا فَمَاتَتْ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ<sup>(١)</sup>.

وَهَذَا مِنْ فِقْهِ عَوْفِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَانَ مِنَ الصَّحَابَةِ حَيْثُ نَفَذَ وَصِيَّةَ صَعْبِ بْنِ جِثَامَةَ بَعْدَ مَوْتِهِ وَعَلِمَ صِحْحَةَ قَوْلِهِ بِالقُرَائِنِ الَّتِي أَخْبَرَهُ بِهَا مِنْ أَنَّ الدَّنَائِرَ عَشْرَةٌ وَهِيَ فِي القَرْنِ ثُمَّ سَأَلَ اليَهُودِيَّ فَطَابِقَ قَوْلُهُ لَمَّا فِي الرُّؤْيَا فَجَزَمَ عَوْفٌ بِصِحْحَةِ الأَمْرِ فَأَعْطَى اليَهُودِيَّ الدَّنَائِرَ وَهَذَا فِقْهُهُ إِثْمًا يَلِيقُ بِأَفْقِهِ النَّاسِ وَأَعْلَمَهُمْ وَهُمْ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَعَلَّ أَكْثَرَ المُتَأَخِّرِينَ يُنْكِرُ ذَلِكَ، وَيَقُولُ كَيْفَ جَازَ لِعَوْفٍ أَنْ يَنْقُلَ الدَّنَائِرَ مِنْ تَرِكَةِ صَعْبٍ وَهِيَ لِأَيْتَامِهِ وَوَرِثَتِهِ إِلَى يَهُودِيٍّ بِمَنَامٍ.

وَنَظِيرُ هَذَا مِنَ الفِقْهِ الَّذِي خَصَّهُمْ بِهِ دُونَ النَّاسِ قِصَّةُ ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ الشَّمَّاسِ، وَقَدْ ذَكَرَهَا أَبُو عَمْرٍو بْنُ عَبْدِ البرِّ وَغَيْرُهُ، قَالَ أَبُو عَمْرٍو أَخْبَرَنَا عَبْدُ الوَارِثِ بْنِ سُفْيَانَ حَدَّثَنَا قَاسِمُ بْنُ أَصْبَغٍ، حَدَّثَنَا أَبُو الزُّبَّاعِ رُوحُ بْنُ الفَرَجِ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَفِيرٍ وَعَبْدُ العَزِيزِ بْنُ يَحْيَى المَدِينِي، حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ عَنِ ابْنِ شَهَابٍ عَنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ ثَابِتِ الأَنْصَارِيِّ عَنِ ثَابِتِ ابْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ: «يَا ثَابِتُ أَمَا تَرْضِي أَنْ تَعِيشَ حَمِيدًا وَتَقْتُلَ شَهِيدًا وَتَدْخُلَ الجَنَّةَ»<sup>(٢)</sup>.

<sup>(١)</sup> (ضعيف) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المنامات» (٢٥) وفي إسناده شهر بن حوشب ضعيف عند الجمهور قاله الحافظ العراقي في «التقييد والإيضاح».

<sup>(٢)</sup> (ضعيف) أخرجه ابن عبد البر في «الاستيعاب» (٢٠١/١)، والطبراني في «الكبير» (٦٧/٢) من طريق أبي الزبئاع رُوح بن الفرج به. وأبو الزبئاع ثق، وسعيد بن عفير هو سعيد بن كثير بن عفير صدوق عالم

قَالَ مَالِك: فَقَتَلَ ثَابِتَ بْنَ قَيْسٍ يَوْمَ الْيَمَامَةِ شَهِيدًا.  
 قَالَ أَبُو عُمَرَ: وَرَوَى هِشَامُ بْنُ عَمَرَ عَنْ صَدَقَةَ بْنِ خَالِدٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ يَزِيدَ  
 ابْنَ جَابِرٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَطَاءُ الْخُرَّاسَانِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي ابْنَةُ ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شِمَاسٍ قَالَتْ:  
 لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢]،  
 دَخَلَ أَبُوهَا بَيْتَهُ وَأَعْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ فَفَقَدَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ يَسْأَلُهُ مَا خَبَرَهُ قَالَ:  
 أَنَا رَجُلٌ شَدِيدُ الصَّوْتِ أَخَافُ أَنْ يَكُونَ قَدْ حَبَطَ عَمَلِي، قَالَ: لَسْتَ مِنْهُمْ بَلْ تَعِيشُ  
 بِخَيْرٍ وَتَمُوتُ بِخَيْرٍ، قَالَ: ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨]،  
 فَأَعْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ وَطَفِقَ يَبْكِي فَفَقَدَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ: يَا  
 رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَحِبُّ الْجَمَالَ وَأَحِبُّ أَنْ أَسُودَ قَوْمِي، فَقَالَ: لَسْتَ مِنْهُمْ بَلْ تَعِيشُ حَمِيدًا

بالأنساب قاله الحافظ، وإسماعيل بن محمد بن ثابت مجهول روى عنه أبو ثابت -رجل من ولد ثابت بن  
 قيس- ولم يوثقه معتبر، وأما رواية الزهري عنه -كما وقع في هذا الإسناد- فهي مرسله قاله البخاري في  
 التاريخ الكبير يعني منقطعة.  
 وأيضاً فيه انقطاع فإن إسماعيل بن محمد لم يلحق ثابتاً قاله الحافظ ابن حجر في "الفتح" (٧٥٨-٧٥٩)  
 فالحديث من هذه الطريق فيه انقطاع في موضعين وفيه رجل مجهول.  
 \* وللحديث طريق أخرى عند الحاكم في "المستدرک" (٢٣٤/٣)، والطبراني في "الكبير" (٦٦/٢) من  
 طريق صالح بن أبي الأخضر وهو ضعيف، وأيضاً الزهري يرويه عن محمد بن ثابت وقد تقدم قول  
 البخاري: رواية الزهري عن إسماعيل بن محمد مرسله، فإذا كانت روايته عن إسماعيل مرسله فلأن تكون  
 روايته عن محمد مرسله أولى، وأيضاً تاريخ ولادة الزهري أقل ما قيل فيه أنه عام خمسين وقال بعضهم  
 ستة وخمسين وقال بعضهم ثمان وخمسين، ومحمد بن ثابت قتل يوم الحرة عام ثلاث وستين.  
 \* وللحديث طرق أخرى أخرجها الطبراني ومدارها على الزهري عن محمد بن ثابت، وفي بعضها الزهري  
 عن إسماعيل بن محمد بن ثابت، وقد سبق الكلام عليها وأنها منقطعة، ومع انقطاعها لا تخلو من ضعف،  
 أو ممن لم أجد له ترجمه، فالذي يظهر لي أن الحديث لا يرتقي إلى الحجية من هذه الطرق والله أعلم.

وَتَقْتُلُ شَهِيدًا وَتَدْخُلُ الْجَنَّةَ، قَالَتْ: فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ خَرَجَ مَعَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ إِلَى مُسَيْلِمَةَ فَلَمَّا التَّقُوا وَانْكَشَفُوا قَالَ ثَابِتٌ وَسَالِمٌ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ: مَا هَكَذَا كُنَّا نُقَاتِلُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ حَفَرَ كُلٌّ وَاحِدٌ لَهُ حُفْرَةً فَبِتْنَا وَقَاتَلْنَا حَتَّى قَتَلْنَا، وَعَلَى ثَابِتٍ يَوْمَئِذٍ دَرَعٌ لَهُ نَفِيسَةٌ فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَأَخَذَهَا فَبَيَّنَّمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ نَائِمٌ إِذْ أَنَاهُ ثَابِتٌ فِي مَنَامِهِ فَقَالَ لَهُ: أَوْصِيكَ بِوَصِيَّةٍ فَإِيَّاكَ أَنْ تَقُولَ هَذَا حَلْمٌ فَتَضَعِيهِ إِلَيَّ لِمَا قَتَلْتَ أَمْسَ مَرَّ بِي رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَأَخَذَ دَرْعِي وَمَنْزَلُهُ فِي أَقْصَى النَّاسِ وَعِنْدَ خَبَائِثِ فَرَسٍ يَسْتَنُّ فِي طَوْلِهِ وَقَدْ كَفَأَ عَلَى الدَّرَعِ بَرْمَةٌ وَفَوْقَ الْبَرْمَةِ رَجُلٌ فَاتَ خَالِدًا، فَمَرَهُ أَنْ يَبْعَثَ إِلَى دَرْعِي فَيَأْخُذَهَا وَإِذَا قَدِمْتَ الْمَدِينَةَ عَلَى خَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَعْنِي أَبَا بَكْرَ الصَّدِيقَ فَقُلْ لَهُ: إِنْ عَلِيَ مِنَ الدِّينِ كَذًا وَكَذَا وَفُلَانٌ مِنْ رَقِيقِي عَتِيقٌ وَفُلَانٌ.

فَأَتَى الرَّجُلَ خَالِدًا فَأَخْبَرَهُ فَبَعَثَ إِلَى الدَّرَعِ فَأَتَى بِهَا وَحَدَّثَ أَبَا بَكْرَ بِرُؤْيَاهُ فَأَجَازَ وَصِيَّتَهُ<sup>(١)</sup>. قَالَ: وَلَا نَعْلَمُ أَحَدًا أُجِيزَتْ وَصِيَّتُهُ بَعْدَ مَوْتِهِ غَيْرَ ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. أَنْتَهَى مَا ذَكَرَهُ أَبُو عُمَرَ.

(١) (ضعيف) أخرجه أبو نعيم في "معرفة الصحابة" (٦/٣٥٩٠) وابن عبد البر في "الاستيعاب" (١/٢٠١) من طريق هشام بن عمار به. وهشام بن عمار قال عنه الحافظ في "التقريب": صدوق مقرئ كبير فصار يتلقن فحديثه القديم أصح، وابنة ثابت سياق القصة يوحي أنها صحابية، وقد ذكرها في الصحابة أبو نعيم في كتابه معرفة الصحابة (٦/٣٥٩٠) وذكر لها هذا الحديث، وعطاء الخراساني نص الأئمة على أنه لم يسمع من أحد من الصحابة، ونصهم مقدم على تصريحه هنا بقوله: حدثني ابنة ثابت، فقد يكون هذا التصريح من بعض الرواة.

\* وللحديث طريق أخرى عند الطبراني في "المعجم الكبير" (٢/٧٠) عن عطاء الخراساني عن ابنة ثابت. فالحديث مداره على هذه الطريق وهي منقطعة بين عطاء وابنة ثابت، وقد أشار البخاري في ترجمة ثابت بن قيس من تاريخه إلى هذه القصة ثم قال: إسناده ليس بالقوي.



فقد اتفق خالد وأبو بكر الصديق والصحابه معه على العمل بهذه الرؤيا وتنفيذ الوصية بها وانتزاع الدرع ممن هو في يده وهذا محض الفقه.

وإذا كان أبو حنيفة وأحمد ومالك يقبلون قول المدعي من الزوجين ما يصلح له دون الآخر لقرينة صدقه فهذا أولى.

وكذلك أبو حنيفة يقبل قول المدعي للحائط بوجوه الأجر<sup>(١)</sup> إلى جانبه وبمعاقده القمط<sup>(٢)</sup>.

وقد شرع الله حد المرأة بأيمان الزوج وقرينة تكولها فإن ذلك من أظهر الأدلة على صدق الزوج.

وأبلغ من ذلك قتل المقسم عليه في القسامة بأيمان المدعين مع القرينة الظاهرة من اللوث<sup>(٣)</sup>.

وقد شرع الله سبحانه قبول قول المدعين لتركة ميتهم إذا مات في السفر وأوصي إلى رجلين من غير المسلمين فاطلع الورثة على خيانة الوصيين فإتھما يلفان بالله ويستحقانه

\* وأما قصة بكاء ثابت وقعوده في بيته وتبشير النبي ﷺ له بالجنة عند نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢]، فقد أخرجها البخاري: (٣٦١٣) ومسلم: (١١٩) عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

\* وأيضاً قتال ثابت يوم اليمامة وأنه تحط للقتال وأنكر انكشاف الناس. أخرجه البخاري: (٢٨٤٥).

(١) (الأجر) هو الطوب الذي يبنى به، فارسيٌّ معرَّبٌ «مختار الصحاح».

(٢) هي جمع قِطاط، وهي الشُرط التي يُشدُّ بها الحُصُّ ويوثق، من ليفٍ أو خوص أو غيرهما. ومعاقد القمط تلي صاحب الحُصِّ. والحُصُّ: البيت الذي يُعمل من القصب. «النهاية».

(٣) اللوث هو البيئنة الضعيفة غير الكاملة. «المصباح المنير».

وَتَكُونُ أَيْمَانُهَا أُولَىٰ مِنْ أَيْمَانِ الْوَصِيِّينَ وَهَذَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي آخِرِ الْأَمْرِ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ وَهِيَ مِنْ آخِرِ الْقُرْآنِ نَزُولًا وَلَمْ يَنْسَخْهَا شَيْءٌ وَعَمِلَ بِهَا الصَّحَابَةُ بَعْدَهُ.  
 وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّهُ يَقْضَىٰ فِي الْأَمْوَالِ بِاللُّوْثِ وَإِذَا كَانَ الدَّمُّ يُبَاحٌ بِاللُّوْثِ فِي الْقِسَامَةِ مَعَ خَطَرِهِ فَإِنَّ يَقْضَىٰ بِاللُّوْثِ وَهُوَ الْقَرَائِنُ الظَّاهِرَةُ فِي الْأَمْوَالِ أُولَىٰ وَأُخْرَىٰ.  
 وَعَلَىٰ هَذَا عَمَلُ وُلاةِ الْعَدْلِ فِي اسْتِخْرَاجِ السَّرَقَاتِ مِنَ السَّرَاقِ حَتَّىٰ أَنْ كَثِيرًا مِمَّنْ يُنْكَرُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ يَسْتَعِينُ بِهِمْ إِذَا سَرَقَ مَالَهُ.

وَقَدْ حَكَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَنِ الشَّاهِدِ الَّذِي شَهِدَ بَيْنَ يُوْسُفَ الصِّدِّيقِ وَامْرَأَةِ الْعَزِيزِ أَنَّهُ حَكَمَ بِالْقَرِينَةِ عَلَىٰ صَدَقِ يُوْسُفَ وَكَذَبَ الْمَرْأَةَ وَلَمْ يُنْكَرِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِ ذَلِكَ بَلْ حَكَاهُ عَنْهُ تَقْرِيرًا لَهُ.

وَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ نَبِيِّ اللَّهِ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ أَنَّهُ حَكَمَ بَيْنَ الْمَرْأَتَيْنِ اللَّتَيْنِ تَدَاعِيَا الْوَلَدَ لِلصَّغْرَىٰ بِالْقَرِينَةِ الَّتِي ظَهَرَتْ لَهُ لَمَّا قَالَ: ائْتُونِي بِالسَّكِينِ أَشَقَّ الْوَلَدَ بَيْنَكُمَا فَقَالَتْ: الْكُبْرَىٰ نَعَمْ رَضِيَتْ بِذَلِكَ لِلتَّأْسِيِ بِفَقْدِ ابْنِ صَاحِبَتِهَا وَقَالَتْ الْأُخْرَىٰ: لَا تَفْعَلْ هُوَ ابْنُهَا، فَقَضَىٰ بِهِ لَهَا لِلشَّفَقَةِ وَالرَّحْمَةِ الَّتِي قَامَتْ بِقَلْبِهَا حَتَّىٰ سَمَحَتْ بِهِ لِلْأُخْرَىٰ وَيَبْقَىٰ حَيًّا وَتَنْظُرُ إِلَيْهِ<sup>(١)</sup>.

وَهَذَا مِنْ أَحْسَنِ الْأَحْكَامِ وَأَعْدَلِهَا وَشَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ تَقَرَّرَ مِثْلُ هَذَا وَتَشْهَدُ بِصِحَّتِهِ.  
 وَهَلِ الْحُكْمُ بِالْقَافَةِ<sup>(٢)</sup> وَإِلْحَاقُ النَّسَبِ بِهَا إِلَّا اعْتِمَادٌ عَلَىٰ قَرَائِنِ الشُّبُهَةِ مَعَ اشْتِبَاهِهَا وَخَفَائِهَا غَالِبًا.

(١) أخرجه البخاري: (٦٧٦٩)، ومسلم: (١٧٢٠) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) في الأصل (بالعاقفة)، وفي (ش) (بالقسامة)، والظاهر أنها خطأ، ووقع في (ف) (القافة).

المَقْصُودُ أَنَّ الْقَرَائِنَ الَّتِي قَامَتْ فِي رُؤْيَا عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ وَقِصَّةِ ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ لَا تَقْصِرُ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ هَذِهِ الْقَرَائِنِ بَلْ هِيَ أَقْوَى مِنْ مُجَرَّدِ وُجُودِ الْآجُرِّ وَمَعَاقِدِ الْقَمَطِ وَصِلَاحِيَةِ الْمَتَاعِ لِلْمُدَّعَى دُونَ الْآخَرِ فِي مَسْأَلَةِ الزَّوْجَيْنِ وَالصَّانِعِينَ وَهَذَا ظَاهِرٌ لِإِخْفَاءِ بِهِ وَفَطَرَ النَّاسَ وَعَقُولَهُمْ تَشْهَدُ بِصِحَّتِهِ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقِ.

وَالْمَقْصُودُ جَوَابُ السَّائِلِ: وَأَنَّ الْمَيِّتَ إِذَا عَرَفَ مِثْلَ هَذِهِ الْجَزِيئَاتِ وَتَفَاصِيلِهَا فَمَعْرِفَتُهُ بَزِيَارَةِ الْحَيِّ لَهُ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَدَعَائِهِ لَهُ أَوْلَى وَأَحْرَى<sup>(١)</sup>.

<sup>(١)</sup> وبهذا يكون قد انتهى ابن القيم رحمه الله من الكلام على المسألة الأولى، وكان الذي انتهى به أن الموتى يسمعون ويعلمون بزيارة الأحياء لهم إلى غير ذلك مما تقدم ذكره.

ومن قال بسماع الموتى أيضًا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في «مجموع الفتاوى» (٤/٢٩٥ وما بعدها)، إلا أنه قيده بالسماع الذي لا انتفاع فيه، وله كلام آخر كما في «مجموع الفتاوى» (٢٤/٢٦٤) خلاصته أنه لا يلزم أنهم يسمعون دائمًا بل قد يكون هذا في حال دون حال. وكذلك نصر هذا القول العلامة الشنقيطي في «أضواء البيان» (٦/٤٢١) وما بعدها. وما استدلل به أصحاب هذا القول أيضًا مما لم يذكره ابن القيم هنا:

١- ما رواه الحاكم (٣/٢٩) من حديث عبد الأعلى بن عبد الله بن أبي فروة عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم زار قبور الشهداء بأحد فقال: «اللهم إن عبدك ونبيك يشهد أن هؤلاء شهداء وأن من زارهم وسلم عليهم إلى يوم القيامة ردوا عليه». وهذا مرسل، وقد جاء بنحوه عن أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه الحاكم (٢/٢٤٨) وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي فقال: أنا أحسبه موضوعًا...، وأيضًا قد اختلف في إسناده كما بينه ابن رجب في أحوال القبور، ص (٨١) ثم قال: «وبالجمله فهذا إسناد مضطرب ومتمنه نخص بالشهداء» انتهى.

٢- واستدلوا أيضًا بما أخرجه العقيلي في «الضعفاء» (٤/١٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ أَبُو رَزِينٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ طَرِيقِي عَلَى الْمَوْتَى فَهَلْ مِنْ كَلَامٍ أَتَكَلَّمُ بِهِ إِذَا مَرَرْتُ عَلَيْهِمْ؟ قَالَ: «قُلِ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْقُبُورِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ، أَنْتُمْ لَنَا سَلَفٌ وَنَحْنُ لَكُمْ تَبِعٌ، وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لِأَحِقُونَ»، قَالَ: أَبُو رَزِينٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَسْمَعُونَ؟ قَالَ: «يَسْمَعُونَ وَلَكِنْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُجِيبُوا»، قَالَ: «يَا أَبَا رَزِينِ أَلَا

تَرَضَى أَنْ يُرَدَّ عَلَيْكَ بَعْدَهُمْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ». وهذا حديث ضعيف؛ في إسناده محمد بن الأشعث قال العقيلي: مجهول في النسب والرواية وحديثه غير محفوظ.  
وقال العلامة الألباني في «الضعيفة» رقم (٥٢٢٥): منكر.

٣- واستدلوا أيضاً بما ذكره ابن رجب في «أهوال القبور» ص (٧٦) قال: وروى أبو الشيخ الأصبهاني بإسناده عن عبيد بن مرزوق كانت امرأة بالمدينة يقال لها أم محجن تقم المسجد، فماتت فلم يعلم بها النبي ﷺ فمر بقبرها فقال: «ما هذا القبر؟» فقالوا: أم محجن فقال: «التي كانت تقم المسجد؟» فقالوا: نعم فصفت الناس فضلى عليها ثم قال: «أي العمل وجدت أفضل؟» قالوا يا رسول الله ﷺ: أتسمع؟! قال: «ما أنتم بأسمع منها» فذكر أنها أجابته قم المسجد، وهذا مرسل». انتهى.

والمرسل ضعيف، ولم أقف على إسناده حتى أنظر فيه، والحديث في الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دون هذه الزيادة، فهذا ما وقفت عليه مما استدل به أصحاب هذا القول وهي كما ترى (صحيحها غير صريح وصریحها غير صحيح).

#### القول الثاني:

وهو قول من يقول إن الموتى لا يسمعون مطلقاً، وإنما فيما ورد به الدليل، وهذا قول جماعة من أهل العلم كما سيأتي النقل عنهم، قال ابن رجب في «أهوال القبور» ص (٧٦): (وقد وافق عائشة على نفي سماع الموتى كلام الأحياء طائفة من العلماء ورجحه القاضي أبو يعلى من أصحابنا...).  
وألف العلامة نعمان الألوسي - ابن المفسر - رسالة بعنوان: «الآيات البينات في عدم سماع الأموات عند الحنفية السادات»، نقل فيه عن الحنفية وغيرهم ممن وافقهم على القول بعدم سماع الأموات وقد نصر هذا القول العلامة الألباني في عدة مواضع من كتبه أوسعها مقدمته لرسالة الآيات البينات، وكذلك رجحه العلامة ابن باز واللجنة الدائمة كما في «فتاوى اللجنة الدائمة» (٨١/٩)، وقد استدل أصحاب هذا القول بأدلة منها:

١- قوله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ [الروم: ٥٢]، ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَن فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢]، وللعلماء في تفسير هذه الآيات قولان لخصها الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٣٨٠/٧) فقال: «وقد اختلف أهل التأويل في المراد بالموتى في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾، وكذلك المراد بمن في القبور، فحملته عائشة على الحقيقة وجعلته أصلاً احتاجت معه إلى تأويل قوله ﷺ: «ما أنتم بأسمع لما أقول منهم» وهذا قول الأكثر، وقيل: هو مجاز والمراد بالموتى وبمن في القبور الكفار شبهوا بالموتى وهم

أحياء، والمعنى من هم في حال الموتى أوفي حال من سكن القبور وعلى هذا لا يبقى في الآية دليل على ما نفته عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، والله أعلم». انتهى.

قلت: وعلى القولين فالآيات دليل على نفي السماع عن الموتى، أما على القول الأول فواضح. وأما على القول الثاني - وهو أن المراد بالموتى وبمن في القبور الكفار ولكن شبهوا بالموتى - فهو أيضًا دليل على نفي السماع عن الموتى، قال العلامة الألباني في مقدمة "الآيات البيّنات" ص (٣٨): «فأقول لا شك عند من تدبر الآيتين وسياقهما أن المعنى ما ذكره الحافظ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تعالى وعلى ذلك جرى علماء التفسير لا خلاف بينهم في ذلك فيما علمت ولكن ذلك لا يمنع الاستدلال بها على ما سبق لأن الموتى لما كانوا لا يسمعون حقيقة وكان ذلك معروفًا عند المخاطبين شبه الله تعالى بهم الكفار الأحياء في عدم السماع فدل هذا التشبيه على أن المشبه بهم - وهم الموتى في قبورهم - لا يسمعون كما يدل مثلًا تشبيه زيد في الشجاعة بالأسد على أن الأسد شجاع بل هو في ذلك أقوى من زيد ولذلك شبه به وإن كان الكلام لم يُسَقِّق للتحدث عن شجاعة الأسد نفسه وإنما عن زيد وكذلك الآيتان السابقتان، وإن كانتا تحدثنا عن الكفار الأحياء وشبهوا بموتى القبور فذلك لا ينفي أن موتى القبور لا يسمعون بل إن كل عربي سليم السليقة لا يفهم من تشبيه الموتى الأحياء بهؤلاء إلا أن هؤلاء أقوى في عدم السماع منهم كما في المثال السابق وإذا كان الأمر كذلك فموتى القبور لا يسمعون...».

قلت: وما قرره العلامة الألباني واضح جدًا لمن تأمله وقد أقرّ بهذا ابن القيم نفسه كما في المسألة السادسة حيث قال: «وقد يقال نفي إسماع الصم مع نفي إسماع الموتى يدل على أن المراد عدم أهلية كلٍ منهما للسمع، وأن قلوب هؤلاء لما كانت ميتة صماء كان إسماعها ممتنعًا بمنزلة خطاب الميت والأصم وهذا حق، ولكن لا ينفي إسماع الأرواح بعد الموت إسماع توبيخ وتقريع بواسطة تعلقها بالأبدان في وقت ما فهذا غير الإسماع المنفي والله أعلم» انتهى.

٢- وما استدلوا به أيضًا قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ \* إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣-١٤]، ومعلوم أنه كان من ضمن ما يعده المشركون موتى الأولياء والصالحين الذين كانوا يمثلونهم في تماثيل وأصنام كما قال ابن القيم في "إغاثة اللفهان" (٢/٣١٩): «فوضع الصنم إنما كان في الأصل على شكل معبود غائب فجعلوا الصنم على شكله وهيأته وصورته ليكون نائبًا منابه وقائمًا مقامه وإلا فمن المعلوم أن عاقلًا لا ينحت خشبة أو حجرًا بيده ثم يعتقد أنه إلهه ومعبوده».

فإذا كان كذلك وأن مما عبده المشركون موتى الصالحين فقد نفى الله السماع عن كل ما كانوا يعبدونه من دونه من موتى الصالحين وغيرهم من الجن والملائكة والجمادات، ولكن المراد بالمعبودين في الآية من كان ممن يبعث يوم القيامة بدليل قوله: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ [فاطر: ١٤]، وأما الجمادات فإنها لا تبعث فظهر جلياً أن الله نفى عن تلك الآلهات سماع من يدعوها فهو دليل على عدم سماع الموتى والله أعلم. وراجع كلاماً جيداً عن هذه الآية في مقدمة "الآيات البينات" ص (٤١ وما بعدها).

٣- وما استدلوا به أيضاً حديث أصحاب قليب بدر.

وقد تقدم تقرير وجه الدلالة منه من عدة أوجه ص ( ).

٤- وما استدلوا به ما أخرجه النسائي: (١٢٨٢) عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني من أمتي السلام». وهو صريح في أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يسمع السلام وإنما تبلغه الملائكة فإذا كان كذلك فغيره من باب أولى لا يسمع، وفي معناه ما أخرجه أبو داود: (١٠٤٧) عن أوس بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق الله آدم وفيه قبض وفيه النسخة وفيه الصعقة فأكثروا عليّ من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة عليّ» قالوا: وكيف تعرض عليك يا رسول الله وقد أرمت؟ -قال يقولون بليت- فقال: «إن الله حرم على الأرض أجساد الأنبياء». ففيه أن صلاة المؤمنين تعرض عليه، يعرضها عليه الملائكة المذكورون في الحديث المتقدم ولا يسمعها بنفسه. وقد سبق الكلام على هذا الحديث ص ( ).

ففي هذه الأدلة أن الميت لا يسمع كلام الأحياء مطلقاً، وإنما يسمع ما شاء الله أن يسمعه مما ورد في الأدلة كما في سماع قرع النعال، وكذلك سماع أهل قليب بدر لخطاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكذلك ما حصل لبعض الأنبياء من إسماع أقوامهم كلامهم بعد إهلاكهم، وغيرها، مع أن الأصل في الميت أنه لا يسمع وهذا القول هو الصواب الذي ترجحه الأدلة.

قال العلامة الألوسي في روح المعاني (٨٧/١٢): «فيقتصر على القول بسماع ما ورد السمع- أي الدليل- بسماعه من السلام ونحوه وهذا الوجه هو الذي يترجح عندي...». قلت: لكن حديث سماع السلام ضعيف كما تقدم بيانه.

\* وقال الإمام الشوكاني في "فتح القدير" (١٤٦/٤): (وظاهر نفى إسماع الموتى العموم فلا يخص منه إلا ما ورد بدليل كما ثبت في الصحيح ... ثم ذكر حديث أصحاب القليب وحديث سماع قرع النعال).

## فصل

## وأما المسألة الثانية

وهي: أن أرواح الموتى هل تتلاقى وتتزاور وتتداكر أم لا ؟  
فهي أيضاً مسألة شريفة كبيرة القدر وجوابها:  
أن الأرواح قسمان:

أرواح معذبة، وأرواح منعمة، فالمعذبة في شغل بما هي فيه من العذاب عن التزاور والتلاقي والأرواح المنعمة المرسلّة غير المحبوسة تتلاقي وتتزاور وتتداكر ما كان منها في الدنيا وما يكون من أهل الدنيا فتكون كل روح مع رفيقها الذي هو على مثل عملها وروح نبينا محمد ﷺ في الرفيق الأعلى: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء: 69]، وهذه المعية ثابتة في الدنيا وفي الدار البرزخ وفي دار الجزاء والمرء مع من أحب في هذه الدور الثلاثة.

\* وقال ابن مفلح في «الفروع» (٣٠٢/٢): «وقال ابن الجوزي في كتابه السر المصون: الذي يوجه القرآن والنظر أن الميت لا يسمع ولا يحس قال تعالى: ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴾ [فاطر: ٢٢]، ومعلوم أن آلات الحس قد فقدت».

\* وقال ابن التين - كما في «فتح الباري» لابن حجر (٢٩٨/٣): (لا معارضة بين حديث ابن عمر والآية؛ لأن الموتى لا يسمعون بلا شك، لكن إذا أراد الله إسعاد ما ليس من شأنه السماع لم يمتنع كقوله: ﴿ إِنَّمَا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ ﴾ [الأحزاب: ٧٢]. وقوله: ﴿ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ إئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ [فصلت: ١١]، وقد طال بنا الكلام في هذه المسألة ولكنها من المسائل المهمة، فالحمد لله رب العالمين.

وروى جرير عن منصور عن أبي الضحى عن مسروق قال: قال أصحاب محمد ﷺ: «ما ينبغي لنا أن نفارقك في الدنيا فإذا مت رفعت فوقنا فلم نرك فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]»<sup>(١)</sup>.

<sup>(١)</sup> (مرسل، وقد جاء مرفوعاً وهو صحيح بشواهده) أخرجه ابن جرير (٧/ ٢١٤) وفي إسناده محمد بن حميد بن حيان الرازي شيخ ابن جرير ضعيف جداً، كذبته جماعة من الأئمة.

\* وأخرجه ابن أبي حاتم (٣/ ٩٩٧) فقال: حدثنا أبي حدثنا يحيى بن المغيرة أنبأنا جرير عن منصور به. وإسناده حسن؛ من أجل يحيى بن المغيرة فإنه صدوق؛ ولكن قد تابعه زائدة بن قدامة عند ابن أبي شيبة (١١/ ٥٠١) وزائدة ثقة، فالإسناد صحيح إلا أنه مرسل.

\* وقد جاء مرفوعاً أخرجه الطبراني في الصغير (١/ ٢٦) وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٢٤٠) والواحدى في أسباب النزول (١٤١) من طريق أحمد بن عمرو الخلال المكي أبي عبدالله حدثنا عبدالله بن عمران العابدي حدثنا فضيل بن عياض عن منصور عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله: «إنك لأحب إلى من نفسي وإنك لأحب إلي من أهلي ومالي، وأحب إلي من ولدي وإني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتيك فأنظر إليك وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وإني إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك فلم يرد عليه رسول الله ﷺ شيئاً حتى نزل جبريل بهذه الآية: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]، أحمد بن عمرو الخلال المكي ذكره الذهبي في تاريخ الإسلام وفيات (٢٩١-٣٠٠) ص (٥٩) ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً، وعبدالله بن عمران العابدي صدوق وباقي رجاله ثقات.

\* وقد أخرجه ابن مردويه - كما في تفسير ابن كثير (٤/ ١٥١) من طريق إسماعيل بن أحمد بن أسيد حدثنا عبدالله بن عمران العابدي به. وهذه متابعة لأحمد بن عمرو الخلال إلا أن إسماعيل هذا لم أجده له ترجمة.

\* وللحديث شاهد عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخرجه الطبراني في الكبير (١٢/ ٨٦) فقال حدثنا العباس بن الفضل الأسفاطي حدثنا ثابت بن عباس أبوبكر الأحذب حدثنا خالد بن عبدالله عن عطاء بن السائب عن الشعبي عن ابن عباس به. وعطاء بن السائب كان قد اختلط، وثابت بن عباس لم أجده له ترجمة.



وَقَالَ الشَّعْبِيُّ جَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ وَهُوَ يَبْكِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «مَا يَبْكُكَ يَا فُلَانُ؟» فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَهْلِي وَمَالِي وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي وَإِنَّا نَذْكُرُكَ أَنَا وَأَهْلِي فَيَأْخُذُنِي كَذَا حَتَّى أَرَكَ فَذَكَرْتُ مَوْتَكَ وَمَوْتِي، فَعَرَفْتُ [أَنِّي] لَنْ أَجَامِعَكَ إِلَّا فِي الدُّنْيَا وَأَنَّكَ تَرْفَعُ بَيْنَ النَّبِيِّينَ وَعَرَفْتُ أَنِّي إِنْ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ كُنْتُ فِي مَنْزِلٍ أَدْنَى مِنْ مَنْزِلِكَ فَلَمْ يَرِدِ النَّبِيُّ ﷺ شَيْئًا فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ﴾ [النساء: ٦٩]، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴾ [النساء: ٧٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً \* فَادْخُلِي فِي عِبَادِي \* وَادْخُلِي جَنَّاتِي ﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠]، أَيِ ادْخُلِي فِي جَمَلَتِهِمْ وَكُونِي مَعَهُمْ وَهَذَا يُقَالُ لِلرُّوحِ عِنْدَ الْمَوْتِ<sup>(١)</sup>.

وَفِي قِصَّةِ الْإِسْرَاءِ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: «لَمَّا أُسْرِى النَّبِيُّ ﷺ لَقِيَ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ فَتَذَكَّرُوا السَّاعَةَ فَبَدَأُوا بِإِبْرَاهِيمَ فَسَأَلُوهُ عَنْهَا فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مِنْهَا عِلْمٌ ثُمَّ بِمُوسَى فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مِنْهَا عِلْمٌ حَتَّى أَجْمَعُوا الْحَدِيثَ إِلَى عِيسَى فَقَالَ عِيسَى: عَهْدَ اللَّهِ إِلَيَّ فِيمَا دُونَ وَجِبَتِهَا فَذَكَرَ خُرُوجَ الدَّجَالِ قَالَ: فَأَهْبَطَ فَأَقْتُلُهُ وَيَرْجِعُ [النَّاسُ] إِلَى بِلَادِهِمْ فَيَسْتَقْبِلُهُمْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ

فمرسل مسروق مع هذين الحديثين يكون الحديث حسناً، مع أنه يشهد له حديث أبي موسى المتفق عليه مرفوعاً: «المرء مع من أحب». وغيره من الشواهد فيكون الحديث بها صحيحاً.

<sup>(١)</sup> (مرسل ضعيف والحديث صحيح كما تقدم) أخرجه البيهقي في «الشعب» (١٣١/٢) وسعيد بن منصور في التفسير من «سننه» (١٣٠٧/٤) وهناد في «الزهد» (١٤٨) من طريق عطاء بن السائب عن الشعبي به. وإسناده ضعيف عطاء بن السائب مختلط، ولكن قد تقدم أن الحديث صحيح.

حَدَبَ يَنْسَلُونَ فَلَا يَمْرُونَ بِمَاءٍ إِلَّا شَرِبُوهُ وَلَا يَمْرُونَ بِشَيْءٍ إِلَّا أَفْسَدُوهُ فَيَجَارُونَ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَيَدْعُونَ اللَّهَ فَيَمِيتُهُمْ. فَتَجَارُ الْأَرْضُ إِلَى اللَّهِ مِنْ رِيحِهِمْ، وَيَجَارُونَ إِلَى اللَّهِ فَادْعُو وَيُرْسِلُ اللَّهُ السَّمَاءَ بِالمَاءِ فَتَحْمَلُ أَجْسَامَهُمْ فَتَقْذِفُهَا فِي الْبَحْرِ ثُمَّ تَنْسِفُ الْجِبَالَ وَيَمِدُّ الْأَرْضَ مَدَّ الْأَدِيمِ فَعَهْدُ اللَّهِ إِلَيَّ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَإِنَّ السَّاعَةَ مِنَ النَّاسِ كَالْحَامِلِ الْمْتَمِّ لَا يَدْرِي أَهْلَهَا مَتَى تَفْجُوهُمْ بَوْلادتها لَيْلًا أَوْ نَهَارًا». ذكره الحَاكِمُ وَالبَيْهَقِيُّ وَغَيْرَهُمَا<sup>(١)</sup>.

وَهَذَا نَصٌّ فِي تَذَاكُرِ الْأَرْوَاحِ الْعِلْمِ.

وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنِ الشُّهَدَاءِ بِأَنَّهُمْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْزُقُونَ وَأَنَّهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ وَإِنَّهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِ وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى تَلَاقِهِمْ مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُمْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَإِذَا كَانُوا أَحْيَاءً فَهُمْ يَتَلَاقُونَ.

الثَّانِي: أَنَّهُمْ [إِنَّمَا] اسْتَبْشَرُوا بِإِخْوَانِهِمْ لِقْدومِهِمْ عَلَيْهِمْ وَلِقَائِهِمْ لَهُمْ.

الثَّالِثُ: أَنَّ لَفْظَ يَسْتَبْشِرُونَ يُفِيدُ فِي اللُّغَةِ أَنَّهُمْ يَبْشِرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا مِثْلَ يَتَبَاشِرُونَ.

<sup>(١)</sup> (ضعيف) أخرجه أحمد: (٣٧٥ / ١)، وابن ماجه (٤٠٨١)، والحاكم (٤٨٨ / ٤)، - ولم أقف عليه في شيء من مصنفات البيهقي المطبوعة - كلهم من طريق مؤثر بن عفازة عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ومؤثر هذا لم يوثقه معتبر وقد ضعف الحديث العلامة الألباني في «الضعيفة» (٣٠٧ / ٩)، ثم إن بعض فقرات هذا الحديث تخالف ما جاء في حديث النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في «صحيح مسلم» (٢٩٣٧) كقوله: «أن الله يرسل عليهم ماءً يحملهم إلى البحر» بينما الذي في حديث النواس: «أن الله يرسل عليهم طيرًا كأعناق البُخْتِ تأخذهم فتطرهم حيث شاء الله».

وَقَدْ تَوَاتَرَتْ الْمَرَاتِي بِذَلِكَ فَمِنْهَا مَا ذَكَرَهُ صَالِحُ بْنُ بَشِيرٍ قَالَ: رَأَيْتَ عَطَاءَ السَّلِيمِي فِي النَّوْمِ بَعْدَ مَوْتِهِ فَقُلْتُ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ: لَقَدْ كُنْتَ طَوِيلَ الْحَزْنِ فِي الدُّنْيَا، فَقَالَ: أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ أَعْقَبَنِي ذَلِكَ فَرَحًا طَوِيلًا وَسُرُورًا دَائِمًا. فَقُلْتُ: فِي أَيِ الدَّرَجَاتِ أَنْتَ؟ قَالَ: مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ: رَأَيْتُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ فِي النَّوْمِ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا فَعَلَ اللَّهُ بِكَ؟ قَالَ لَقِيتُ مُحَمَّدًا وَحِزْبَهُ<sup>(٢)</sup>.

وَقَالَ صَخْرُ بْنُ رَاشِدٍ: رَأَيْتَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْمُبَارَكِ فِي النَّوْمِ بَعْدَ مَوْتِهِ فَقُلْتُ: أَلَيْسَ قَدْ مِتَّ؟ قَالَ: بَلَى. قُلْتُ: فَمَا صَنَعَ اللَّهُ بِكَ؟ قَالَ: غَفَرَ لِي مَغْفَرَةً أَحَاطَتْ بِكُلِّ ذَنْبٍ. قُلْتُ: فَسُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ؟ قَالَ: بَخٍ بَخٍ ذَلِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسَنَ أَوْلِيَّكَ رَفِيقًا<sup>(٣)</sup>.

وَذَكَرَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا: مِنْ حَدِيثِ حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ عَنْ هِشَامِ بْنِ حَسَّانَ عَنْ حَفْصَةَ بِنْتِ رَاشِدٍ قَالَتْ: كَانَ مَرْوَانَ الْمُحَلَمِيَّ لِي جَارًا وَكَانَ قَاضِيًا مُجْتَهِدًا قَالَتْ: فَمَاتَ فَوَجَدْتِ عَلَيْهِ وَجْدًا شَدِيدًا. قَالَتْ: فَرَأَيْتَهُ فِيمَا يَرَى النَّائِمَ قُلْتُ: أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مَا صَنَعَ اللَّهُ بِكَ؟

<sup>(١)</sup> (ضعيف جدًا) أخرجه ابن أبي الدنيا في "المنامات" (٥٦) وأبو نعيم في الحلية (١٧٢/٦) وصالح بن بشير قال عنه البخاري: منكر الحديث، وقال النسائي: متروك.

<sup>(٢)</sup> أخرجه ابن أبي الدنيا في "المنامات" (٤٥) فقال حدثني رجاء بن السندي حدثنا المؤمل عن عبد الله بن المبارك. ولم أجد في الرواة عن ابن المبارك ولا في شيوخ رجاء من يسمى المؤمل. وقد روى رجاء السندي عن ابن المبارك بدون واسطة، فإله أعلم.

<sup>(٣)</sup> أخرجه ابن أبي الدنيا في "المنامات" (٦٣) وأبو نعيم في "الحلية" (٣٨٥/٦) ورجاله الإسناد ثقات إلا صخر بن راشد صاحب الرؤيا، فلم أجد له ترجمة.

قَالَ: أَدْخَلَنِي الْجَنَّةَ. قُلْتُ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: ثُمَّ رَفَعْتَنِي إِلَى أَصْحَابِ الْيَمِينِ. قُلْتُ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: ثُمَّ رَفَعْتَنِي إِلَى الْمُقْرِبِينَ. قُلْتُ: فَمَنْ رَأَيْتَ مِنْ إِخْوَانِكَ؟ قَالَ: رَأَيْتُ الْحَسَنَ وَابْنَ سِيرِينَ وَمَيْمُونُ بْنَ سِيَاهٍ<sup>(٩)</sup>.

قَالَ حَمَّادٌ قَالَ هِشَامُ بْنُ حَسَانَ: فَحَدَّثَنِي أُمُّ عَبْدِ اللَّهِ وَكَانَتْ مِنْ خِيَارِ نِسَاءِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ قَالَتْ: رَأَيْتُ فِيهَا يَرَى النَّائِمَ كَأَنِّي دَخَلْتُ دَارًا حَسَنَةً ثُمَّ دَخَلْتُ بَسْتَانًا، فَذَكَرْتُ مِنْ حَسَنِهِ مَا شَاءَ اللَّهُ، فَإِذَا أَنَا فِيهِ بِرَجُلٍ مَتَكِيٍّ عَلَى سَرِيرٍ مِنْ ذَهَبٍ وَحَوْلَهُ الْوَصْفَاءُ بِأَيْدِيهِمُ الْأَكَاوِيبُ، قَالَتْ: فَإِنِّي لَمَتَعَجِبَةٌ مِنْ حَسَنِ مَا أَرَى إِذْ قِيلَ: هَذَا مَرْوَانَ الْمُحَلَمِيَّ أَقْبَلَ فَوَثَبَ فَاسْتَوَى جَالِسًا عَلَى سَرِيرِهِ، قَالَتْ: وَاسْتَيْقِظْتُ مِنْ مَنَامِي، فَإِذَا جَنَازَةٌ مَرْوَانَ قَدِ مَرَّ بِهَا عَلَى بَابِي تِلْكَ السَّاعَةَ<sup>(١٠)</sup>.

وَقَدْ جَاءَتْ سَنَةَ صَرِيحَةَ بَتْلَاقِي الْأَرْوَاحِ وَتَعَارُفِهَا، قَالَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَزِيغٍ أَخْبَرَنِي فُضَيْلُ بْنُ سُلَيْمَانَ النَّمِيرِيَّ، حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْبَةَ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: لَمَّا مَاتَ بَشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ بْنِ مَعْرُورٍ وَجَدْتُ عَلَيْهِ أُمَّ بَشْرٍ وَجَدَا شَدِيدًا فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَزَالُ الْهَالِكُ يَهْلِكُ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ فَهَلْ تَتَعَارَفُ الْمَوْتَى فَأَرْسَلِ إِلَى بَشْرٍ بِالسَّلَامِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَعَمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ يَا أُمَّ بَشْرٍ إِنَّهُمْ لِيَتَعَارَفُونَ كَمَا يَتَعَارَفُ الطَّيْرُ فِي رُءُوسِ الشَّجَرِ» فَكَانَ لَا يَهْلِكُ هَالِكٌ مِنْ بَنِي

<sup>(٩)</sup> أخرجه ابن أبي الدنيا في "المنامات" (٣٥) ومن طريقه الخطيب في "تاريخ بغداد" (٣٣٨/٥) وابن عساکر في "تاريخ دمشق" (٢٤٣/٥٣) بإسناد رجاله ثقات غير حفصة بنت راشد صاحبة الرؤيا، فلم أجد لها ترجمة.

<sup>(١٠)</sup> ذكره هكذا ابن أبي الدنيا عقب الخبر المتقدم وأم عبدالله هذه لم أعرفها ويحتمل أنها حفصة بنت راشد المتقدمة في السند الذي قبل هذا.

سَلَمَةَ إِلَّا جَاءَتْهُ أُمُّ بَشْرٍ فَقَالَتْ: يَا فَلَانَ عَلَيْكَ السَّلَامُ فَيَقُولُ: وَعَلَيْكَ فَتَقُولُ أَقْرَأَ عَلَى بَشْرٍ السَّلَامُ<sup>(١)</sup>.

وَذَكَرَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا: مِنْ حَدِيثِ سُفْيَانَ عَنْ عَمْرٍو بْنِ دِينَارٍ عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ قَالَ: أَهْلُ الْقُبُورِ يَتَوَكَّفُونَ الْأَخْبَارَ فَإِذَا أَتَاهُمُ الْمَيِّتُ قَالُوا: مَا فَعَلَ فَلَانٌ؟ فَيَقُولُ: صَالِحٌ. مَا فَعَلَ فَلَانٌ؟ يَقُولُ: صَالِحٌ. مَا فَعَلَ فَلَانٌ؟ فَيَقُولُ: أَلَمْ يَأْتِكُمْ أَوْ مَا قَدِمَ عَلَيْكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: لَا. فَيَقُولُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ سَلَكَ بِهِ غَيْرَ سَبِيلِنَا<sup>(٢)</sup>.

وَقَالَ صَالِحُ الْمَرِي: بَلَّغْنِي أَنَّ الْأَرْوَاحَ تَتَلَقِي عِنْدَ الْمَوْتِ فَتَقُولُ أَرْوَاحَ الْمَوْتَى لِلرُّوحِ الَّتِي تَخْرُجُ إِلَيْهِمْ: كَيْفَ كَانَ مَاوَاكُ وَفِي أَيِّ الْجَسَدِينَ كُنْتَ فِي طَيْبٍ أَمْ خَبِيثٍ؟ ثُمَّ بَكَى حَتَّى غَلَبَهُ الْبُكَاءُ<sup>(٣)</sup>.

<sup>(١)</sup> (ضعيف) أخرجه ابن أبي الدنيا في "المنامات" (١٤)، وفضيل بن سليمان ضعيف، ويحيى بن عبدالرحمن قال ابن معين ليس حديثه بشيء وقال أبو حاتم ليس بالقوي. وجده هو أبو لبيبة الأشهلي مترجم في "الإصابة" و"الاستيعاب".

وقد روى الإمام أحمد: (٤٥٥/٣) - بإسناد صحيح - عن عبدالرحمن بن كعب بن مالك قال قالت أم مبشر لكعب بن مالك وهو شاكٍ أقرأ على ابني السلام تعني مبشراً فقال: يغفر الله لك يا أم مبشر أولم تسمعي ما قال رسول الله ﷺ: «إنما نسمة المؤمن طير تعلق في شجر الجنة حتى يرجعها الله عز وجل إلى جسده يوم القيامة قالت صدقت فاستغفر الله».

<sup>(٢)</sup> (صحيح مقطوعاً) أخرجه ابن أبي شيبه (٤٣٩/١٣) وأبو نعيم في "الحلية" (٢٧١/٣) وإسناده صحيح رجاله كلهم ثقات.

<sup>(٣)</sup> (ضعيف) أخرجه ابن أبي الدنيا في "المنامات" (٦٠) وصالح المري هو صالح بن بشير بن وداع ضعيف، ثم هو أيضاً منقطع فإن صالحاً يقول بلغني.

وَقَالَ عبيد بن عُمَيْرٍ: إِذَا مَاتَ الْمَيِّتَ تَلَقَّتهُ الْأَرْوَاحُ يَسْتَخْبِرُونَهُ كَمَا يَسْتَخْبِرُ الرِّكْبُ مَا فَعَلَ فَلَانٌ مَا فَعَلَ فَلَانٌ؟ فَإِذَا قَالَ: تَوَفَّى وَلَمْ يَأْتِهِمْ قَالُوا: ذَهَبَ بِهِ إِلَى أُمِّهِ الْهَآوِيَةِ<sup>(١)</sup>.  
وَقَالَ سعيد بن المسيب: إِذَا مَاتَ الرَّجُلُ اسْتَقْبَلَهُ وَوَلَدَهُ كَمَا يَسْتَقْبَلُ الْغَائِبَ<sup>(٢)</sup>.  
وَقَالَ عبيد بن عُمَيْرٍ أَيضًا: لَوْ إِنِّي آيسُ مِنْ لِقَاءِ مَنْ مَاتَ مِنْ أَهْلِي لِأَلْفَانِي قَدِ مَتَ كَمَدًا<sup>(٣)</sup>.

وَذَكَرَ مُعَاوِيَةَ بن يحيى عَنَ عَبْدِ اللَّهِ بن سَلَمَةَ أَنَّ أَبَارَهُمَ السَّمْعِيَّ حَدَّثَهُ أَنَّ أَبَا أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيَّ حَدَّثَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ نَفْسَ الْمُؤْمِنِ إِذَا قَبِضَتْ تَلْقَاهَا أَهْلُ الرَّحْمَةِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ كَمَا يَتَلَقَّى الْبَشِيرُ فِي الدُّنْيَا. فَيَقُولُونَ: انظُرُوا أَخَاكُمْ حَتَّى يَسْتَرِيحَ فَإِنَّهُ كَانَ فِي كَرْبٍ شَدِيدٍ. فَيَسْأَلُونَهُ مَاذَا فَعَلَ فَلَانٌ؟ وَمَاذَا فَعَلَتْ فُلَانَةٌ؟ وَهَلْ تَزَوَّجَتْ فُلَانَةٌ؟ فَإِذَا سَأَلُوهُ عَنَ رَجُلٍ مَاتَ قَبْلَهُ قَالَ: إِنَّهُ قَدِ مَاتَ قَبْلِي قَالُوا: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ذَهَبَ بِهِ إِلَى أُمِّهِ الْهَآوِيَةِ فَبَسَّتِ الْأُمُّ وَبَسَّتِ الْمَرْيَةُ»<sup>(٤)</sup>.

<sup>(١)</sup> (صحيح) أخرجه ابن أبي شيبة (٤٤٣/١٣)، ومن طريقه أبو نعيم في «الحلية» (٢٧١/٣) ورجال إسناده كلهم ثقات.

<sup>(٢)</sup> (ضعيف) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المنامات» (١٥) وفي إسناده أبو هشام الرفاعي قال البخاري: رأيتهم مجتمعين على ضعفه، وفيه أيضًا يحيى بن بيان ضعيف.

<sup>(٣)</sup> (صحيح) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣٧١/٣) من طريق أبي نوفل قال: قال عبيد بن عمير فذكره. ورجاله كلهم ثقات أبو نوفل هو ابن أبي عقرب مختلف في اسمه ثقة من الثالثة.

<sup>(٤)</sup> (إسناده ضعيف ومعناه ثابت في أحاديث أخرى) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٣٠/٤) فقال حدثنا عمرو بن إسحاق بن إبراهيم بن العلاء بن زبير الحمصي حدثنا محمد بن إسماعيل بن عياش حدثنا أبي حدثنا مضم بن زرعة عن شريح بن عبيد قال كان عبدالرحمن بن سلامة يحدث أن أبارهم حدثهم أن أبا أيوب تحدثهم أن رسول الله ف قال .. فذكره.

وَقَدِمَ تَقْدِمَ حَدِيثِ يَحْيَى بْنِ بَسْطَامٍ حَدِيثِي مَسْمَعِ بْنِ عَاصِمٍ قَالَ: رَأَيْتُ عَاصِمًا الْجَحْدَرِيَّ فِي مَنَامِي بَعْدَ مَوْتِهِ بِسِتَيْنَ فَقُلْتُ: أَلَيْسَ قَدْ مَاتَ؟ قَالَ: بَلَى. قُلْتُ: فَأَيْنَ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا وَاللَّهِ فِي رَوْضَةِ مَنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ أَنَا وَنَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِي نَجْتَمِعُ كُلَّ لَيْلَةٍ جُمُعَةٍ وَصَبِيحَتِهَا إِلَى بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمُزَنِّيِّ فَتَتَلَقَى أَخْبَارَكُمْ. قُلْتُ: أَجْسَامَكُمْ أَمْ أَرْوَاحَكُمْ؟ قَالَ: هَيْهَاتَ بَلِيَّتِ الْأَجْسَامِ وَإِنَّمَا تَتَلَقَى الْأَرْوَاحَ<sup>(١)</sup>.

وهذا إسناد ضعيف. شيخ الطبراني لم أجد له ترجمة، إنما ذكره ابن نقطة في تكملة الاكمال ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً.

ومحمد بن إسماعيل بن عياش ضعيف، وهو يروي الحديث عن أبيه ولم يسمع منه، وأما قوله هنا: (حدثنا أبي) فهذا مما عيب عليه قال الحافظ في التقريب: عابوا عليه أنه حدث عن أبيه بغير سماع، وقال أبو حاتم لم يسمع منه شيئاً حملوه على أن يحدث فحدث، وعبدالرحمن بن سلامة لم أجد له ترجمة.

\* وللحديث طريق أخرى عند الطبراني في "الكبير" (١٢٩/٤) وفي الإسناد مسلمة بن علي الخشني متروك وعبدالرحمن بن سلمة المتقدم في الطريق التي قبل هذه. فالحديث من هذه الطرق ضعيف.

\* وقد جاء الحديث موقوفاً أخرجه ابن المبارك في "الزهدي" (٤٤٣) فقال أخبرنا ثور بن يزيد عن أبي رهم السماعي عن أبي أيوب الانصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فذكره موقوفاً. وهذا الإسناد رجاله ثقات إلا أنه منقطع بين ثور بن يزيد وأبي رهم السماعي.

\* ولكن معنى الحديث ثابت في حديث أبي هريرة الذي أخرجه النسائي: (١٨٣٣) وسيأتي في التعليق الذي بعد هذا.

<sup>(١)</sup> (ضعيف جداً) تقدم ص ( ) وقوله هنا: «رأيت عاصمًا..» ليس من قول مسمع كما يوهمه هذا السياق وإنما هو من قول رجل من آل عاصم كما تقدم.

\* وقد انتهى ابن القيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من هذه المسألة وليس فيها ذكره ما يعتمد عليه في إثبات هذه المسألة، حتى قال العلامة الألباني في تعليقه على "الآيات البيّنات" ص (١٤٥): (وقد ساق -يعني ابن القيم- لها أدلة كثيرة من الكتاب والسنة والآثار عن الصحابة والتابعين لكن الأحاديث التي أوردتها ليس فيها ما يحتج به من قبل إسناده وقد فاتته حديث أبي هريرة...).

قلت: حديث أبي هريرة الذي أشار إليه الشيخ الألباني رحمته الله أخرجه النسائي: (١٨٣٣) ، وابن حبان (٣٠١٤) - بإسناد حسن - عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذكر خروج الروح، وقال في روح المؤمن: «فيأتون به أرواح المؤمنين فلهم أشد فرحاً به من أحدكم بغائبه يقدم عليه فيسألونه: ماذا فعل فلان؟ ماذا فعل فلان؟ فيقولون: دعوه فإنه كان في غم الدنيا. فإذا قال: أما أتاكم؟ قالوا: ذهب به إلى أمه الهاوية». وهذا الحديث صريح في أن الموتى يجتمعون إلى الميت عند قدومه عليهم ويسألونه عن أحوال أهل الأرض ويحصل بذلك تلافيفهم واجتماعهم، وأما إثبات تراورهم مطلقاً وأنهم يجتمعون ويتذاكرون ما كان منهم في الدنيا حتى ولو لم يقدم عليهم ميت من الدنيا فهذا لم يذكر في الحديث ويحتاج في إثباته إلى دليل أصرح من هذا، وقد جاءت أحاديث صريحة في أن الموتى يتزاورون في قبورهم بأكفانهم ولكنها كلها ضعيفة فيما رأيت، ومع ذلك فهذا أمر محتمل وقد جاء في أحاديث كثيرة ما يشير إلى حصول التزاور بين الموتى:

\* فمنها ما أخرجه البخاري: (٣٤٠٩) ، ومسلم: (٦٧٤٣ / ٢٦٥٢) واللفظ له، عن أبي هريرة، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «اِحْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ عِنْدَ رَبِّهِمَا، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، قَالَ مُوسَى: أَنْتَ آدَمُ الَّذِي خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتُهُ، وَأَسْكَنَكَ فِي جَنَّتِهِ، ثُمَّ أَهْبَطْتَ النَّاسَ بِحَظِيَّتِكَ إِلَى الْأَرْضِ، فَقَالَ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلَامِهِ وَأَعْطَاكَ الْاَلْوَاَحَ فِيهَا نَبِيَانُ كُلِّ شَيْءٍ وَقَرَّبَكَ نَجِيًّا، فَبِكُمْ وَجَدْتُ اللَّهَ كَتَبَ التَّوْرَةَ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ، قَالَ مُوسَى: بِأَرْبَعِينَ عَامًا، قَالَ آدَمُ: فَهَلْ وَجَدْتُ فِيهَا وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَعَوَى، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: أَفَتَلُومُنِي عَلَى أَنْ عَمِلْتُ عَمَلًا كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيَّ أَنْ أَعْمَلَهُ قَبْلَ أَنْ يُخَلِّقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى». ففي هذا الحديث أن آدم وموسى عليهما السلام التقيا وحصل بينهما من المحاجة ما ذكر في الحديث، وهذا إنما هو لأرواحهما.

\* ومنها ما أخرجه مسلم: (١٨٨٧) عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في الشهداء: «أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأتي إلى تلك القناديل...» الحديث. فهذا الحديث فيه أن أرواح الشهداء تسرح حيث شاءت من الجنة فليس هناك مانع من أن يلتقى بعضها بعضاً وتجتمع وتتزاور.

\* ومنها حديث الإسراء وما جاء فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم أمَّ الأنبياء في بيت المقدس، ففيه أنهم اجتمعوا وصلوا خلفه مأمومين وهذا إنما هو للأرواح.



\* ومنها ما أخرجه أحمد: (٢٧٧/١) - وهو حديث صحيح - عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله عز وجل أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش فلما وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم وحسن مقيلهم قالوا: يا ليت إخواننا يعلمون بما صنع الله لنا لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب فقال الله أنا أبلغهم عنكم فأنزل الله عز وجل على رسوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]. فهذا الحديث فيه أنهم تلاقوا بعدما نالهم هذا النعيم وتذكروا حال إخوانهم المجاهدين... وهذا إنما هو للأرواح.

\* ومنها ما أخرجه الإمام أحمد: (٢٦٦/١) - بإسناد حسن - عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الشهداء على بارق نهر بباب الجنة في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيًا». فهذا الحديث فيه أن من الشهداء من يكونون مجتمعين على ذلك النهر بباب الجنة، وهذا إنما هو للأرواح كما هو معلوم.

فهذه الأدلة كما ترى فيها أن الشهداء يجتمعون ويتذاكرون حال إخوانهم المجاهدين وغير ذلك مما ذكر في الأحاديث، فعلى هذا فمسألة تراور الموتى وتذاكرهم واجتماعهم أمر محتمل للأحاديث الواردة في ذلك ولا مانع منه والعلم عند الله عز وجل.

وقد سئل شيخ الإسلام كما في «مجموع الفتاوى» (٣٠٣/٢٤): أرواح الموتى هل تجتمع بعضها إلى بعض أم لا؟ فأجاب: «أرواح الأحياء إذا قبضت تجتمع بأرواح الموتى، ويسأل الموتى القادم عليهم عن حال الأحياء فيقولون ما فعل فلان؟ فيقولون: فلان تزوج فلان على حال حسنة، ويقولون ما فعل فلان؟ فيقولون ألم يأتيكم فيقولون لا، ذهب به إلى أمه الهاوية، وأما أرواح الموتى فتجتمع الأعلى ينزل إلى الأدنى، والأدنى لا يصعد إلى الأعلى...».

وقال أيضًا كما في نفس المصدر (٣٦٨/٢٤): (وأما استقرارهم فبحسب منازلهم عند الله فمن كان من المقربين كانت منزلته أعلى من منزلة من كان من أصحاب اليمين لكن الأعلى ينزل إلى الأسفل، والأسفل لا يصعد إلى الأعلى فيجتمعون إذا شاء الله كما يجتمعون في الدنيا مع تفاوت منازلهم ويتزاورون، وسواء كانت المدافن متباعدة في الدنيا أو متقاربة قد تجتمع الأرواح مع تباعد المدافن وقد تفرق مع تقارب المدافن...).

## فصل

### وأما المسألة الثالثة

وهي: أنه هل تتلاقى أرواح الأحياء وأرواح الأموات أم لا ؟  
 فشواهد هذه المسألة وأدلتها أكثر من أن يحصيها إلا الله تعالى، والحس والواقع من  
 أعدل الشهود بها، فتلتقي أرواح الأحياء والأموات كما تلتقي أرواح الأحياء، وقد قال  
 تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا  
 الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الزمر: ٤٢].

قال أبو عبد الله بن مندة: حدثنا أحمد بن محمد بن إبراهيم حدثنا عبد الله بن  
 حسن<sup>(١)</sup> الحراني حدثنا جدي أحمد بن أبي شعيب حدثنا موسى بن أعين عن مطرف عن  
 جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس في هذه الآية قال: بلغني أن  
 أرواح الأحياء والأموات تلتقي في المنام فيتسألون بينهم فيمسك الله أرواح الموتى  
 ويرسل أرواح الأحياء إلى أجسادها<sup>(٢)</sup>.

ومن قال بهذا القول وأثبت وقوع التزاور بين الأموات القرطبي في التذكرة (٩٧/١)، وابن رجب في أحوال  
 القبور ( )، والسيوطي في "شرح الصدور" ص (٢٥٨ وما بعدها)، والسفاري في "البحر الزاخرة"  
 (٢٩٦/١ وما بعدها)، والله أعلم.

<sup>(١)</sup> في المخطوطتين (عبد الله بن حسين)، وما أثبتناه هو الصواب كما في ترجمة جده أحمد بن أبي شعيب -  
 واسمه أحمد بن عبد الله بن مسلم بن أبي شعيب - من تهذيب الكمال، وكما في مجموع الفتاوى (٤٥١/٥).

<sup>(٢)</sup> أخرجه الطبراني في "الأوسط" (١١٦/١) فقال: حدثنا أحمد بن يحيى بن خالد بن حيان قال حدثنا عمرو  
 بن خالد قال حدثنا موسى بن أعين به. وأحمد بن يحيى شيخ الطبراني لم أجده ترجمه، وباقي رجاله ثقات  
 إلا جعفر بن أبي المغيرة فقد قال ابن مندة: ليس بالقوي في سعيد بن جبيرة.

- والطريق التي ساقها ابن القيم مازالت من طريق جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبيرة، ثم إن ابن عباس  
 في هذا الطريق يقول: ولم يسنده إلى رسول الله ﷺ.

وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي "تَفْسِيرِهِ": حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سُلَيْمَانَ، حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ، حَدَّثَنَا عَامِرٌ، حَدَّثَنَا أَسْبَاطُ عَنِ السَّيِّدِيِّ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]، قَالَ: يَتَوَفَّاها فِي مَنَامِها فَتَلْتَقِي رُوحَ الحَيِّ وَرُوحَ المَيِّتِ فَيَتَذَاكَرَانِ وَيَتَعَارِفَانِ قَالَ: فَتَرْجِعُ رُوحَ الحَيِّ إِلَى جَسَدِهِ فِي الدُّنْيَا إِلَى بَقِيَّةِ أَجْلِها وَتُرِيدُ رُوحَ المَيِّتِ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى جَسَدِهِ فَتُحْبَسُ<sup>(١)</sup>.

وَهَذَا أَحَدُ القَوْلَيْنِ فِي الآيَةِ وَهُوَ أَنَّ المَمْسُكَةَ مِنْ تَوَفِيَّتِ وَفَاةِ المَوْتِ أَوَّلًا، وَالمَرسَلَةَ مِنْ تَوَفِيَّتِ وَفَاةِ النُّومِ، وَالمَعْنَى عَلَى هَذَا القَوْلِ: أَنَّهُ يَتَوَفَّى نَفْسَ المَيِّتِ فَيَمْسُكُها وَلَا يَرْسُلُها إِلَى جَسَدِها قَبْلَ يَوْمِ القِيَامَةِ وَيَتَوَفَّى نَفْسَ النَّائِمِ ثُمَّ يَرْسُلُها إِلَى جَسَدِهِ إِلَى بَقِيَّةِ أَجْلِها فَيَتَوَفَّاها الوَفَاةَ الأُخْرَى.

وَالقَوْلُ الثَّانِي فِي الآيَةِ: أَنَّ المَمْسُكَةَ وَالمَرسَلَةَ فِي الآيَةِ كِلَاهُمَا تَوَفَّى وَفَاةِ النُّومِ فَمَنْ اسْتَكْمَلَتْ أَجْلِها أَمْسُكُها عِنْدَهُ فَلَا يَرُدُّها إِلَى جَسَدِها وَمَنْ لَمْ تَسْتَكْمَلْ أَجْلِها رَدُّها إِلَى جَسَدِها لَتَسْتَكْمَلَهُ وَاخْتَارَ شَيْخُ الإِسْلَامِ هَذَا القَوْلَ<sup>(٢)</sup>، وَقَالَ: عَلَيْهِ يَدُلُّ القُرْآنُ وَالسُّنَّةُ. قَالَ: فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ ذَكَرَ إِمْسَاكَ النَّبِيِّ قَضِيَ عَلَيْهَا المَوْتُ مِنْ هَذِهِ الأَنْفُسِ الَّتِي تَوَفَّاها وَفَاةِ النُّومِ، وَأَمَّا الَّتِي تَوَفَّاها حِينَ مَوْتِها فَتَلْكَ لَمْ يَصِفْها بِإِمْسَاكَ وَلَا بِإِرْسَالِ بَلْ هِيَ قِسْمٌ ثَالِثٌ.

وَالَّذِي يَتَرَجَّحُ هُوَ القَوْلُ الأَوَّلُ لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ أَخْبَرَ بِوَفَاتَيْنِ وَفَاةِ كَبْرَى وَهِيَ وَفَاةِ المَوْتِ وَوَفَاةِ صَغْرَى وَهِيَ وَفَاةِ النُّومِ وَقَسَّمَ الأَرْوَاحَ قَسْمَيْنِ: قَسْمًا قَضِيَ عَلَيْها بِالمَوْتِ

<sup>(١)</sup> أخرجه ابن جرير (٢٠/٢١٦) وفي إسناده أسباط بن نصر الهمداني فيه ضعف.

<sup>(٢)</sup> كما في "مجموع الفتاوى" (٥/٤٥٢) قال: وعليه الأكثرون، ويدل عليه الكتاب والسنة.

فَأَمْسَكَهَا عِنْدَهُ وَهِيَ الَّتِي تُوْفَاهَا وَفَاةَ الْمَوْتِ، وَقَسَمَا لَهَا بِقِيَّةِ أَجْلِ فَرْدَهَا إِلَى جَسَدِهَا إِلَى اسْتِكْمَالِ أَجْلِهَا وَجَعَلَ سُبْحَانَهُ الْإِمْسَاكُ وَالْإِرْسَالُ حَكْمَيْنِ لِلْوَفَاتَيْنِ الْمَذْكُورَتَيْنِ أَوْ لَا، فَهَذِهِ مَمْسُكَةٌ وَهَذِهِ مُرْسَلَةٌ وَأَخْبَرَ أَنَّ الَّتِي لَمْ تَمُتْ هِيَ الَّتِي تُوْفَاهَا فِي مَنَامِهَا فَلَوْ كَانَ قَدْ قَسَمَ وَفَاةَ النَّوْمِ إِلَى قَسَمَيْنِ: وَفَاةَ مَوْتٍ وَوفاةَ نَوْمٍ لَمْ يَقُلْ: ﴿وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ﴾، فَإِنَّهَا مِنْ حِينَ قَبِضَتْ مَاتَتْ وَهُوَ سُبْحَانَهُ قَدْ أَخْبَرَ أَنَّهَا لَمْ تَمُتْ فَكَيْفَ يَقُولُ بَعْدَ ذَلِكَ: ﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾.

وَلَمَّا نَصَرَ هَذَا الْقَوْلُ أَنْ يَقُولَ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾ بَعْدَ أَنْ تُوْفَاهَا وَفَاةَ النَّوْمِ فَهُوَ سُبْحَانَهُ تُوْفَاهَا أَوْ لَا وَفَاةَ نَوْمٍ ثُمَّ قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ بَعْدَ ذَلِكَ.

وَالْتَحْقِيقُ أَنَّ الْآيَةَ تَتَنَاوَلُ النَّوْعَيْنِ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ ذَكَرَ وَفَاتَيْنِ وَفَاةَ نَوْمٍ وَوفاةَ مَوْتٍ وَذَكَرَ إِمْسَاكَ الْمَتُوفَاةِ وَإِرْسَالَ الْأُخْرَى وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ يُمْسِكُ كُلَّ نَفْسٍ مَيِّتٍ سِوَا مَا تَمَّ فِي النَّوْمِ أَوْ فِي الْيَقِظَةِ وَيُرْسِلُ نَفْسٍ مَنْ لَمْ يَمُتْ فَقَوْلُهُ: ﴿يَتَوَقَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢] يَتَنَاوَلُ مِنْ مَا تَمَّ فِي الْيَقِظَةِ وَمِنْ مَا تَمَّ فِي الْمَنَامِ<sup>(١)</sup>.

<sup>(١)</sup> قلت: والذي يظهر لي أن قول شيخ الإسلام رحمه الله هو الصواب، ولا منافاة بينه وبين القول الذي اختاره ابن القيم رحمه الله بل هو شامل له.

وحاصل قول شيخ الإسلام أن الله ذكر في الآية نفسين: الأولى هي التي قبضها الله حين موتها وهذه الوفاة الكبرى، سواء كان موتها يقظة أو مناماً. والأخرى هي التي توفاهَا في منامها وهذه الوفاة الصغرى؛ فإن النوم وفاة كما في قول الله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَقَّاكُمْ بِاللَّيْلِ﴾ [الأنعام: ٦٠]، ثم هذه التي توفاهَا في منامها منها ما قضى عليها الموت فيمسكها عنده ولا ترجع إلى البدن الذي كانت فيه، ومنها ما لم يحضر أجلها فإنه يرسلها حتى يأتي أجلها ولا يمنع هذا أن الأولى -وهي التي قبضها الله حين موتها سواء يقظة أو مناماً- أيضاً يمسكها عنده، ولكن سياق الآية يدل على أن الممسكة والمرسلة في الآية هي التي توفاهَا وفاة نوم لأنه

وَقَدْ دَلَّ التَّقَاءُ أَرْوَاحَ الْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ أَنَّ الْحَيَّ يَرَى الْمَيِّتَ فِي مَنَامِهِ فَيَسْتَخْبِرُهُ وَيُخْبِرُهُ الْمَيِّتُ بِمَا لَا يَعْلَمُهُ الْحَيُّ فَيَصَادَفُ خَبْرَهُ كَمَا أَخْبَرَ فِي الْمَاضِي وَالْمُسْتَقْبَلِ وَرُبَّمَا أَخْبَرَهُ بِمَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ بِهِ سِوَاهُ وَرُبَّمَا أَخْبَرَهُ بِدِينِ عَلَيْهِ وَذَكَرَ لَهُ شَوَاهِدَهُ وَأَدْلَتَهُ.

وَأَبْلَغُ مِنْ هَذَا أَنَّهُ يُخْبِرُ بِمَا عَمَلَهُ مِنْ عَمَلٍ لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ.  
وَأَبْلَغُ مِنْ هَذَا أَنَّهُ يُخْبِرُهُ أَنَّكَ تَأْتِينَا إِلَى وَقْتِ كَذَا وَكَذَا فَيَكُونُ كَمَا أَخْبَرَ وَرُبَّمَا أَخْبَرَهُ عَنْ أُمُورٍ يَقْطَعُ الْحَيُّ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُهَا غَيْرَهُ وَقَدْ ذَكَرْنَا قِصَّةَ الصَّعْبِ بْنِ جِثَامَةَ وَقَوْلَهُ لِعُوفِ بْنِ مَالِكٍ مَا قَالَ لَهُ<sup>(١)</sup>.

وَذَكَرْنَا قِصَّةَ ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شِمَاسٍ وَإِخْبَارَهُ لَمَنْ رَأَاهُ بِدِرْعِهِ وَمَا عَلَيْهِ مِنَ الدِّينِ<sup>(١)</sup>.

قال: ﴿ فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ ﴾ [الزمر: ٤٢]. أي لكونها لم تكن قد ماتت قبل ولكن جاء أجلها فقضى عليها الموت فأمسكها عنده، ويدل على هذا حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي أخرجه البخاري: (٦٣٢٠)، ومسلم: (٢٧١٤) أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ فَلْيَتَنَفَّضْ فِرَاشَهُ بِدَاخِلَةِ إِزَارِهِ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُ: بِأَسْمِكَ رَبِّ وَصَعْتُ جَنِّي وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكَتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا، وَإِنْ أُرْسَلَتْهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ». هذا لفظ البخاري، فهذا الحديث صريح في أن نفس النائم إما أن يمسكها الله عنده إذا حضر أجلها وإما أن يرسلها إلى الجسد الذي كانت فيه حتى يحضر أجلها، وعلى هذا التفسير فليس في الآية دليل على تلاقي أرواح الأحياء والأموات لأنه لم يُذكر في الآية، قال شيخ الإسلام كما في «مجموع الفتاوى» (٤٥٢/٢٥) وهو يتكلم عن هذه الآية: «فذكر إمساك التي قضى عليها الموت من هذه الأنفس التي توفاهها بالنوم، وأما التي توفاهها حين موتها فتلك لم يصفها بإمساك ولا إرسال ولا ذكر في الآية التقاء الموتى والنيام». وانظر أيضًا «مجموع الفتاوى» (٤٥٢/٥-٤٥٣).

(١) (ضعيف) تقدم في المسألة الأولى ص ( ).

وقصة صدقة بن سُلَيْمَانَ الجعفري وإخبار أبيه<sup>(٢)</sup> له بِمَا عمل من بعده<sup>(٣)</sup>.  
وقصة شبيب بن شيبَةَ وَقَوْل أمه له بعد المَوْت: جَزَاكَ اللهُ خيراً حَيْثُ لَقَّناها: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ<sup>(٤)</sup>.

وقصة الفضل بن الموفق مع أبيه وإخباره إِيَّاهِ بِعِلْمِهِ بزيارته<sup>(٥)</sup>.  
وَقَالَ سعيد بن المسيب: التقي عبد الله بن سلام وسلمان الفارسي، فَقَالَ أحدهما للآخر: إن مِتَّ قبلي فَالْقِنِي فَأخبرني مَا لِقِيت من رَبِّكَ، وَإِن أنا مت قبلك لِقِيتك فَأخبرتك، فَقَالَ الآخر: وَهل تلتقي الأموات والأحياء؟ قَالَ: نعم أرواحهم في الجنة تذهب حَيْثُ تَشَاء. قَالَ: فَمَاتَ فلان فَلَقِيَهُ<sup>(٦)</sup> فِي المنام، فَقَالَ: توكل وأبشر، فلم أر مثل التَّوَكُّلِ قطَّ<sup>(٧)</sup>.

(١) (ضعيف) تقدم ص ( ).

(٢) وقع في الأصل و(ش) (ابنه) وهو تصحيف صوابه ما أثبتناه، وقد تقدمت القصة ص ( ).

(٣) (ضعيف جداً). تقدم ص ( ).

(٤) ضعيف. تقدم ص ( ).

(٥) (ضعيف)، تقدم ص ( ).

(٦) في الأصل و(ش) (فلقيته)، وما أثبتناه هو الموافق لما في المنامات.

(٧) (ضعيف) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المنامات» (٢١) بإسناد رجاله كلهم ثقات، وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١/٢٠٥) وفيه أن الذي مات أولاً سلمان، وإسناده ضعيف فإنه من طريق أبي معشر المدني وهو ضعيف مختلط، ولكن الواقع موافق له فإن وفاة سلمان كانت سنة (٣٤هـ) بينما كانت وفاة عبد الله بن سلام سنة ٤٣هـ كما في «التقريب».

وَقَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلُبِ: كُنْتُ أَشْتَهِي أَنْ أَرَى عَمْرًا فِي الْمَنَامِ فَمَا رَأَيْتُهُ إِلَّا عِنْدَ قَرَبِ الْحَوْلِ فَرَأَيْتُهُ يَمْسَحُ الْعِرْقَ عَنِ جَبِينِهِ وَهُوَ يَقُولُ: هَذَا أَوْانُ فِرَاعِي إِنْ كَادَ عَرَشِي لِيُهْدُ لَوْلَا أَنِي لَقَيْتُ رَوْوْفًا رَحِيمًا<sup>(١)</sup>.

وَمَا حَضَرَتْ شُرَيْحُ بْنُ عَبْدِ الشَّامِيِّ الْوَفَاةَ دَخَلَ عَلَيْهِ غُضَيْفُ بْنُ الْحَارِثِ وَهُوَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَقَالَ: يَا أَبَا الْحَجَّاجِ إِنْ قَدَرْتَ عَلَيَّ أَنْ تَأْتِيَنَا بَعْدَ الْمَوْتِ فَتَخْبِرُنَا بِمَا تَرَى فَافْعَلْ. قَالَ: وَكَانَتْ كَلِمَةً مَقْبُولَةً فِي أَهْلِ الْفِقْهِ. قَالَ: فَمَكَثَ زَمَانًا لَا يَرَاهُ ثُمَّ رَأَاهُ فِي مَنَامِهِ فَقَالَ لَهُ: أَلَيْسَ قَدِمْتَ؟ قَالَ: بَلَى قَالَ: فَكَيْفَ حَالُكَ؟ قَالَ: تَجَاوَزَ رَبَّنَا عَنَّا الذُّنُوبَ فَلَمْ يَهْلِكْ مِنَّا إِلَّا الْأَحْرَاضُ<sup>(٢)</sup> قُلْتُ: وَمَا الْأَحْرَاضُ؟ قَالَ: الَّذِينَ يَشَارُ إِلَيْهِمْ بِالْأَصَابِعِ فِي الشَّرِّ<sup>(٣)</sup>.

<sup>(١)</sup> أخرجه ابن أبي الدنيا في «المنامات» (٢٢)، وابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٣٧٥) بإسناد رجاله ثقات عن عبدالله بن عبيد الله بن عباس أن العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال فذكره. وعبدالله بن عبيد الله لم أر من ذكر له رواية عن جده العباس، واحتمال سماعه منه بعيد فإن العباس توفي سنة اثنين وثلاثين وعبدالله توفي بعد المائة. \* وللأثر طريق أخرى عند أبي نعيم في «الحلية» (١/ ٥٤) وفي الإسناد جماعة من الرواة لم يتبين لي من هم.

<sup>(٢)</sup> (الأحراض) «الحرص و الأحراض السفلة من الناس، وفي حديث عوف بن مالك رأيت محملاً بن حثامة في المنام فقلت: كيف أنتم؟ فقال: بخير وجدنا ربنا رحيماً غفر لنا. فقلت: ليكلكم؟ فقال: ليكلنا غير الأحراض. قلت: ومن الأحراض؟ قال: الذين يشار إليهم بالأصابع، أي اشتهروا بالشر وقيل هم الذين أسرفوا في الذنوب فأهلكوا أنفسهم وقيل أراد الذين فسدت مذاهبهم» انتهى. من «لسان العرب» «حرض».

<sup>(٣)</sup> (ضعيف) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المنامات» (٢٣) وفي إسناده بقية بن الوليد مدلس وقد عنعن.

وَقَالَ عبد الله بن عمر بن عبد العزيز: رَأَيْتُ أَبِي فِي النَّوْمِ بَعْدَ مَوْتِهِ كَأَنَّهُ فِي حَدِيقَةٍ فَدَفَعْتُ إِلَيَّ تَفَاحَاتٍ فَأَوْلَتْهُنَّ الْوَلَدَ. فَقُلْتُ: أَيُّ الْأَعْمَالِ وَجَدْتَ أَفْضَلَ؟ فَقَالَ: الْإِسْتِغْفَارُ أَيُّ بَنِي <sup>(١)</sup>.

وَرَأَى مُسْلِمَةٌ بِنْتُ عَبْدِ الْمَلِكِ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ بَعْدَ مَوْتِهِ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَيْتَ شَعْرَى إِلَيَّ أَيُّ الْحَالَاتِ صَرْتَ بَعْدَ الْمَوْتِ؟ قَالَ: يَا مُسْلِمَةُ هَذَا أَوْانُ فِرَاعِي وَاللَّهِ مَا اسْتَرَحْتُ إِلَى الْآنِ. قَالَ: قُلْتُ: فَأَيْنَ أَنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: مَعَ أُمَّةٍ الْهَدَى فِي جَنَّةِ عَدْنٍ <sup>(٢)</sup>.

قَالَ صَالِحُ الْبَرَادِ: رَأَيْتُ زُرَّارَةَ بْنَ أَوْفَى بَعْدَ مَوْتِهِ فَقُلْتُ: رَحِمَكَ اللَّهُ مَاذَا قِيلَ لَكَ وَمَاذَا قُلْتَ؟ فَأَعْرَضَ عَنِّي. قُلْتُ: فَمَا صَنَعَ اللَّهُ بِكَ؟ قَالَ: تَفَضَّلَ عَلَيَّ بِجُودِهِ وَكَرَمِهِ. قُلْتُ: فَأَبُو الْعَلَاءِ؟ يُرِيدُ: أَخُو مَطْرَفٍ. قَالَ: ذَلِكَ فِي الدَّرَجَاتِ الْعُلَى. قُلْتُ: فَأَيُّ الْأَعْمَالِ أَبْلَغُ فِيمَا عِنْدَكُمْ؟ قَالَ: التَّوَكُّلُ وَقَصْرُ الْأَمَلِ <sup>(٣)</sup>.

وَقَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ: رَأَيْتُ مُسْلِمَ بْنَ يَسَارٍ بَعْدَ مَوْتِهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَلَمْ يَرِدْ عَلَيَّ السَّلَامَ. فَقُلْتُ: مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَرُدَّ السَّلَامَ؟ قَالَ: أَنَا مَيِّتٌ فَكَيْفَ أَرُدُّ عَلَيْكَ السَّلَامَ. فَقُلْتُ لَهُ: مَاذَا لَقِيتَ بَعْدَ الْمَوْتِ؟ قَالَ لَقِيتُ وَاللَّهِ أَهْوَالًا وَزَلْزَلًا عَظِيمًا شَدِيدًا. قَالَ

<sup>(١)</sup> (ضعيف) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المنامات» (٢٦) وفيه عن عنة ابن جريج وهو مدلس.

<sup>(٢)</sup> (ضعيف) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المنامات» (٢٧) من طريق محمد بن النضر الحارثي يذكر أن مسلمة. ومحمد بن النضر ذكره ابن أبي حاتم ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلاً، وذكر أبو نعيم أنه لم يكن من شأنه الرواية، ثم هو يذكر عن مسلمة وليس فيه أنه حدثه به أو نحو ذلك فظاهره أنه منقطع.

<sup>(٣)</sup> (ضعيف جدًا) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المنامات» (٢٨) وفي إسناده يحيى بن بسطام ويحيى بن ميمون بن عطاء القرشي وكلاهما متروك.



قلت له: فَمَا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ؟ قَالَ: وَمَا تَرَاهُ يَكُونُ مِنَ الْكَرِيمِ قَبْلَ مِنَ الْحَسَنَاتِ وَعَفَا لَنَا  
عَنِ السَّيِّئَاتِ وَضَمَّنَ عَنَّا التَّبَعَاتِ. قَالَ: ثُمَّ شَهَقَ مَالِكُ شَهَقَةً خَرَّ مَغْشِيًا عَلَيْهِ. قَالَ:  
فَلَبِثَ بَعْدَ ذَلِكَ أَيَّامًا مَرِيضًا ثُمَّ انْصَدَعَ قَلْبُهُ فَمَاتَ<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ سُهَيْلُ أَخُو حَزْمٍ: رَأَيْتَ مَالِكَ بْنَ دِينَارٍ<sup>(٢)</sup> بَعْدَ مَوْتِهِ فَقُلْتَ: يَا أَبَا يَحْيَى كَيْتَ  
شَعْرَى مَاذَا قَدِمْتَ بِهِ عَلَى اللَّهِ؟ قَالَ: قَدِمْتُ بِذُنُوبٍ كَثِيرَةٍ مَحَاها عَنِّي حَسَنَ الظَّنِّ بِاللَّهِ  
عَزَّ وَجَلَّ<sup>(٣)</sup>.

وَلَمَّا مَاتَ رَجَاءُ بْنُ حَيَّوَةَ رَأَتْهُ امْرَأَةٌ عَابِدَةٌ فَقَالَتْ: يَا أَبَا الْمُقَدَّامِ إِي لَامَ صَرْتُمْ؟ قَالَ:  
إِلَى خَيْرٍ وَلَكِنْ فَرَعْنَا بَعْدَكُمْ فِرْعَةَ ظَنْنَا أَنَّ الْقِيَامَةَ قَدْ قَامَتْ. قَالَتْ: قُلْتَ: وَمِمَّ ذَلِكَ؟  
قَالَ: دَخَلَ الْجِرَاحُ وَأَصْحَابُهُ الْجَنَّةَ بِأَثْقَالِهِمْ حَتَّى ازْدَحَمُوا عَلَى بَابِهَا<sup>(٤)</sup>.

وَقَالَ جَمِيلُ بْنُ مَرَّةٍ: كَانَ مُورِقُ الْعَجَلِيِّ لِي أَخَا وَصَدِيقًا فَقُلْتُ [لَهُ] ذَاتَ يَوْمٍ: أَيُّنَا  
مَاتَ قَبْلَ صَاحِبِهِ فَلِيَأْتِ صَاحِبَهُ فليخبره بِالَّذِي صَارَ إِلَيْهِ. قَالَ: فَمَاتَ مُورِقُ فَرَأَتْ  
أَهْلِي فِي مَنَامِهَا كَأَنَّهُ أَتَانَا كَمَا كَانَ يَأْتِي فَرَعُ الْبَابِ كَمَا كَانَ يَقْرَعُ قَالَتْ: ففُكِّمْتُ فَفَتَحَتْ لَهُ

<sup>(١)</sup> (ضعيف جدًا) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المنامات» (٣٠) وفي إسناده داود بن المُحَبَّرِ متروك.  
<sup>(٢)</sup> في المخطوطتين (خالد بن دينار)، والصواب ما أثبتناه وهو الموافق لما في المنامات، وحسن الظن بالله لابن  
أبي الدنيا، ومما يؤيد ذلك أن الكنية المذكورة (أبو يحيى) هي كنية مالك بن دينار، وأما خالد بن دينار فهما  
اثنان أحدهما تميمي بصري وكنيته أبو خلدة، والثاني نيلي شيباني وكنيته أبو الوليد.  
<sup>(٣)</sup> أخرجه ابن أبي الدنيا في «المنامات» (٣٢) وفي حسن الظن بالله (٧) بإسناد حسن عن سهيل أخو حزم.  
وسهيل صاحب الرؤيا ضعيف.

<sup>(٤)</sup> (ضعيف جدًا) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المنامات» (٣٧) وفي إسناده بقية بن الوليد مدلس وقد عنعن،  
وفيه أيضًا أبو بكر بن أبي مريم ضعيف جدًا، وفيه أيضًا إبهام المرأة.

كَمَا كُنْتَ أَتْفَحُ. وَقُلْتُ: أَدْخُلْ يَا أَبَا الْمُعْتَمِرِ إِلَيَّ أَنْ يَأْتِيَ أَحِيكَ. فَقَالَ: كَيْفَ أَدْخُلُ وَقَدْ ذُقْتُ الْمَوْتَ إِنَّمَا جِئْتُ لِأُعَلِّمَ جَمِيلًا بِمَا صَنَعَ اللَّهُ بِي، أَعْلَمِيهِ أَنَّهُ قَدْ جَعَلَنِي فِي الْمَقْرِبِينَ <sup>(١)</sup>.  
 وَلَمَّا مَاتَ مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ حَزَنَ عَلَيْهِ بَعْضُ أَصْحَابِهِ حَزَنًا شَدِيدًا فَرَأَاهُ فِي الْمَنَامِ فِي حَالٍ حَسَنَةٍ فَقَالَ: يَا أَخِي قَدْ أَرَاكَ فِي حَالٍ تَسْرِينِي فَمَا صَنَعَ الْحَسَنُ؟ قَالَ: رُفِعَ فَوْقِي بِسَبْعِينَ دَرَجَةً. قُلْتُ: وَلَمْ ذَاكَ وَقَدْ كُنَّا نَرَى أَنَّكَ أَفْضَلُ مِنْهُ؟ قَالَ: ذَاكَ بَطُولُ حَزْنِهِ <sup>(٢)</sup>.  
 وَقَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: رَأَيْتُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ فِي النَّوْمِ فَقُلْتُ: أَوْصِنِي قَالَ: أَقِلَّ مِنْ مَعْرِفَةِ النَّاسِ <sup>(٣)</sup>.

وَقَالَ عِمَارُ بْنُ سَيْفٍ: رَأَيْتُ الْحَسَنَ بْنَ صَالِحٍ فِي مَنَامِي فَقُلْتُ: قَدْ كُنْتُ مَتَمْنِيًا لِلْقَائِكَ فَمَاذَا عِنْدَكَ فَتَخْبِرُنَا بِهِ؟ فَقَالَ: أَبْشُرْ فَإِنِّي لَمْ أَرْ مِثْلَ حَسَنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ شَيْئًا <sup>(٤)</sup>.  
 وَلَمَّا مَاتَ ضَيْغَمُ الْعَابِدِ رَأَاهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ فِي الْمَنَامِ فَقَالَ: أَمَا صَلَّيْتَ عَلَيَّ؟ فَقَالَ: فَذَكَرْتُ عِلَّةَ كَانَتْ. فَقَالَ: أَمَا لَوْ كُنْتُ صَلَّيْتُ عَلَيَّ رَبِحْتُ رَأْسَكَ <sup>(٥)</sup>.  
 وَلَمَّا مَاتَتْ رَابِعَةُ رَأَتْهَا امْرَأَةٌ مِنْ أَصْحَابِهَا وَعَلَيْهَا حَلَّةٌ اسْتَبْرَقَ وَخَمَارٌ مِنْ سِنْدَسٍ [وَكَانَتْ كُفِّنَتْ فِي جُبَّةٍ] وَخَمَارٌ مِنْ صُوفٍ فَقَالَتْ لَهَا: مَا فَعَلْتَ الْجُبَّةَ الَّتِي كَفَّنْتُكَ فِيهَا

<sup>(١)</sup> أخرجه ابن أبي الدنيا في المنامات (٣٨) بإسناد رجاله ثقات إلا أحمد بن سهل الأزدي فلم أجد له ترجمة.

<sup>(٢)</sup> (صحيح) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المنامات» (٤٠) بإسناد صحيح رجاله كلهم ثقات.

<sup>(٣)</sup> (صحيح) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المنامات» (٤٤) فقال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم قال سمعت سفیان بن عيينة به. وهذا إسناد صحيح إسحاق هو ابن راهويه، وأخرجه أيضًا أبو نعيم في «الحلية» (٣٨٣/٦).

<sup>(٤)</sup> أخرجه ابن أبي الدنيا في «المنامات» (٤٨)، وفي حسن الظن بالله (٩) وفي إسناده عبید الله بن موسى لم يتبين لي من هو، وعمار بن سيف صاحب الرؤيا ضعيف.

<sup>(٥)</sup> (ضعيف) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المنامات» (٥٠) وفي إسناده سعيد بن محمد الوراق ضعيف جدًا تركه

والخمار الصوف؟ قالت: والله إنه نزع عني وأبدلت به هذا الذي ترين علي وطويت أكفاني وختم عليها ورفعت في عليين ليكمل لي ثوابها يوم القيامة. قالت: فقلت: لهذا كنت تعملين أيام الدنيا فقالت: وما هذا عند ما رأيت من كرامة الله لأولياته فقلت لها: فما فعلت عبدة بنت أبي كلاب؟ فقالت هيئات هيئات سبقتنا والله إلى الدرجات العلى. قالت قلت: وبم وقد كنت عند الناس أعبد منها فقالت: إنها لم تكن تبالي على أي حال أصبحت من الدنيا أو أمست. فقلت: فما فعل أبو مالك تعنى ضيغما؟ فقالت: يزور الله تبارك وتعالى متى شاء. قالت قلت: فما فعل بشر بن منصور؟ قالت: بخ بخ أعطى والله فوق ما كان يأمل. قالت قلت: مربي بأمر أتقرب به إلى الله تعالى. قالت: عليك بكثرة ذكر الله فيوشك أن تغتبطي بذلك في قبرك<sup>(١)</sup>.

ولما مات عبد العزيز بن سليمان العابد رآه بعض أصحابه وعليه ثياب خضر وعلى رأسه إكليل من لؤلؤ فقال: كيف كنت بعدنا وكيف وجدت طعم الموت وكيف رأيت الأمر هناك؟ قال: أما الموت فلا تسأل عن شدة كربه وعظمه إلا أن رحمة الله وارت عنا كل عيب وما تلقانا إلا بفضلها<sup>(٢)</sup>.

<sup>(١)</sup> أخرجه ابن أبي الدنيا في «المنامات» (٥١) فقال حدثني محمد حدثني عبيس بن مرحوم العطار حدثتني عبدة بنت أبي شوال فذكرت الرؤيا، محمد هو ابن الحسين البرجلاني ثقة، وكذلك عبيس بن مرحوم ثقة، وعبدة بنت أبي شوال قال عنها ابن الجوزي: كانت من خيار إماء الله تعالى، وكانت تخدم رابعة العدوية. انظر وفيات الأعيان لابن خلكان (٢/٢٨٧).

<sup>(٢)</sup> (ضعيف) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المنامات» (٥٣) وفي إسناده يحيى بن بسطام الأصغر تقدم أنه ضعيف.

وَقَالَ صَالِحُ بْنُ بَشْرٍ: لَمَّا مَاتَ عَطَاءُ السَّلِيمِيِّ رَأَيْتُهُ فِي مَنَامِي فَقُلْتُ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ أَلَسْتَ فِي زِمْرَةِ الْمَوْتَى؟ قَالَ: بَلَى. قُلْتُ: فَمَاذَا صَرْتَ إِلَيْهِ بَعْدَ الْمَوْتِ؟ قَالَ: صَرْتُ وَاللَّهِ إِلَى خَيْرٍ كَثِيرٍ وَرَبِّ غُفُورٍ شَكُورٍ. قَالَ قُلْتُ: أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ طَوِيلَ الْحَزَنِ فِي دَارِ الدُّنْيَا فَتَبَسَّمْ وَقَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ أَعْقَبَنِي ذَلِكَ رَاحَةً طَوِيلَةً وَفَرِحًا دَائِمًا. قُلْتُ: فَفِي أَيِ الدَّرَجَاتِ أَنْتَ؟ قَالَ: مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ الصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا<sup>(١)</sup>.

وَلَمَّا مَاتَ عَاصِمُ الْجَحْدَرِيِّ رَأَاهُ بَعْضُ أَهْلِهِ فِي الْمَنَامِ فَقَالَ: أَلَيْسَ قَدِمْتُ قَالَ: بَلَى. قَالَ: فَأَيْنَ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا وَاللَّهِ فِي رَوْضَةٍ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ أَنَا وَتَفَرُّ مِنْ أَصْحَابِي نَجْتَمِعُ كُلَّ لَيْلَةٍ جُمُعَةً وَصَبِيحَتِهَا إِلَى بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَزْنِيِّ فَتَلْقَى أَخْبَارَكُمْ. قَالَ قُلْتُ: أَجْسَادَكُمْ أَمْ أَرْوَاحَكُمْ؟ قَالَ: هَيْهَاتَ بَلِيَّتِ الْأَجْسَادِ وَإِنَّمَا تَتَلَقَى الْأَرْوَاحَ<sup>(٢)</sup>.

وَرَوَى الْفَضِيلُ بْنُ عِيَّاضٍ بَعْدَ مَوْتِهِ فَقَالَ: لَمْ أَرِ لَلْعَبْدِ خَيْرًا مِنْ رَبِّهِ<sup>(٣)</sup>. وَكَانَ مَرَّةً الْهَمْدَانِيُّ قَدْ سَجَدَ حَتَّى أَكَلَ التُّرَابَ جَبْهَتَهُ فَلَمَّا مَاتَ رَأَاهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِهِ فِي مَنَامِهِ وَكَانَ مَوْضِعَ سُجُودِهِ كَهَيْئَةِ الْكَوْكَبِ الدُّرِّيِّ فَقَالَ: مَا هَذَا الْأَثَرُ الَّذِي أَرَى

(١) (ضعيف جدًا) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المنامات» (٥٦) وفي إسناده صالح بن بشير المري قال البخاري وأبو حاتم: منكر الحديث، وقال: النسائي متروك الحديث.

(٢) (ضعيف)، تقدم. ص ( ).

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١٠٤/٨)، وفي إسناده من لم أجده له ترجمة.

بِوَجْهِكَ؟ قَالَ: كُئِي مَوْضِعَ السُّجُودِ بِأَكْلِ التُّرَابِ لَهُ نُورًا. قَالَ قُلْتُ: فَمَا مَنْزِلَتِكَ فِي  
الْآخِرَةِ؟ قَالَ: خَيْرَ مَنْزِلٍ دَارٍ لَا يَنْتَقِلُ عَنْهَا أَهْلُهَا وَلَا يَمُوتُونَ<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ أَبُو يَعْقُوبَ الْقَارِي: رَأَيْتُ فِي مَنَامِي رَجُلًا آدَمًا<sup>(٢)</sup> طَوَّالًا وَالنَّاسَ يَتَّبِعُونَهُ  
قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: أُوَيْسُ الْقُرْنِيِّ فَاتَّبَعْتَهُ فَقُلْتُ: أَوْصِنِي يَرْحَمُكَ اللَّهُ فَكَلَحَ فِي وَجْهِ  
فَقُلْتُ: مَسْتَرِشِدٌ، فَأَرَشَدَنِي رَحِمَكَ اللَّهُ. فَأَقْبَلَ عَلَيَّ فَقَالَ: ابْتَغِ رَحْمَةَ اللَّهِ عِنْدَ مَحَبَّتِهِ وَاحْذَرِ  
نَقْمَتَهُ عِنْدَ مَعْصِيَتِهِ وَلَا تَقْطَعْ رَجَاءَكَ مِنْهُ فِي خِلَالِ ذَلِكَ ثُمَّ وَلَّى وَتَرَكَنِي<sup>(٣)</sup>.

وَقَالَ ابْنُ السَّمَاكِ: رَأَيْتُ مَسْعَرًا فِي النَّوْمِ، فَقُلْتُ لَهُ: أَيُّ الْأَعْمَالِ وَجَدْتَ أَفْضَلَ؟  
قَالَ: مَجَالِسَ الذِّكْرِ<sup>(٤)</sup>.

وَقَالَ الْأَجْلَحُ: رَأَيْتُ سَلَمَةَ بْنَ كَهِيلٍ فِي النَّوْمِ فَقُلْتُ: أَيُّ الْأَعْمَالِ وَجَدْتَ أَفْضَلَ؟  
قَالَ: قِيَامَ اللَّيْلِ<sup>(٥)</sup>.

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المنامات» (٦٥) وفي إسناده بكر بن محمد العابد ذكره ابن أبي حاتم ولم يذكر فيه  
جرحًا ولا تعديلًا، وأيضًا صاحب الرؤيا مبهم.

(٢) قوله: «رجلاً آدم» الأدمَةُ السُّمْرَةُ والآدم من الناس الأسمر والجمع أدمان. مختار الصحاح «آدم»،  
«طوالاً» الطُّوَالُ بالضم الطويل. مختار الصحاح «طول».

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المنامات» (٦٦)، وفي حسن الظن بالله (١٣٥) فقال حدثني محمد حدثني محمد حدثني زيد  
الحميري حدثني أبو يعقوب القاري فذكره. وزيد الحميري وأبو يعقوب القاري لم أجد لهما ترجمة.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المنامات» (٦٩) وابن السماك صاحب الرؤيا لم يتبين لي من هو.

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المنامات» (٧٠) وفي إسناده أبو طالب الهروي لم أجد له ترجمة، والأجلح  
صاحب الرؤيا هو ابن عبد الله بن حجية الكندي ضعيف.

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ: رَأَيْتُ وَفَاءَ بْنَ بَشْرٍ بَعْدَ مَوْتِهِ فَقُلْتُ: مَا فَعَلْتِيَا وَفَاءٌ؟  
قَالَ: نَجُوتُ بَعْدَ كُلِّ جَهْدٍ. قُلْتُ: فَأَيُّ الْأَعْمَالِ وَجَدْتُمُوهَا أَفْضَلَ؟ قَالَ: الْبِكَاءُ مِنْ  
خَشْيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ مُوسَى بْنِ وَرْدَانَ أَنَّهُ رَأَى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي حَبِيبَةَ بَعْدَ مَوْتِهِ  
فَقَالَ: عُرِضْتُ عَلَيَّ حَسَنَاتِي وَسَيِّئَاتِي فَرَأَيْتُ فِي حَسَنَاتِي حَبَاتَ رِمَانٍ التَّقَطُّطُوهُنَّ فَأَكَلْتُهُنَّ  
وَرَأَيْتُ فِي سَيِّئَاتِي خَيْطِي حَرِيرٍ كَانَا فِي قَلَنْسَوْتِي<sup>(٢)</sup>.

وَقَالَ سَنِيدُ بْنُ دَاوُدَ حَدَّثَنِي ابْنُ أَخِي جُوَيْرِيَةَ بْنِ أَسْمَاءَ قَالَ: كُنَّا بَعْبَادَانَ<sup>(٣)</sup> فَقَدِمَ  
عَلَيْنَا شَابٌّ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ مُتَعَبٌ فَمَاتَ بِهَا فِي يَوْمٍ شَدِيدِ الْحَرِّ فَقُلْتُ: نَبْرُدُ ثُمَّ نَأْخُذُ فِي  
جِهَازِهِ فَنَمْتُ فَرَأَيْتُ كَأَنِّي فِي الْمَقَابِرِ، فَإِذَا بِقَبَةِ جَوْهَرٍ تَتَلَأَأُ حَسَنًا وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهَا إِذْ  
انْفَلَقَتْ فَأَشْرَفْتُ مِنْهَا جَارِيَةً مَا رَأَيْتُ مِثْلَ حَسَنَتِهَا فَأَقْبَلْتُ عَلَيَّ فَقَالَتْ: بِاللَّهِ لَا تَحْبِسْهُ  
عَنَّا إِلَى الظُّهْرِ. قَالَ: فَاتَّبَعْتُهَا فَزَعًا وَأَخَذْتُ فِي جِهَازِهِ وَحَفَرْتُ لَهُ قَبْرًا فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي  
رَأَيْتُ فِيهِ الْقَبَّةَ فَدَفَنْتُهُ فِيهِ<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في المنامات (٧١) وفي إسناده ابن المغيرة يرويه عن أبي بكر بن أبي مريم، وابن المغيرة لم يتبين لي من هو، وأبو بكر صاحب الرؤيا تقدم أنه ضعيف جدًا.

(٢) (حسن) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المنامات» (٧٥) بإسناد حسن.

تنبيه: ابن القيم ساق هذه الرؤيا باعتبارها لموسى بن وردان أنه رأى عبد الله بن أبي حبيبة بعد موته، وعند ابن أبي الدنيا أن الراي هو عبد الله بن أبي حبيبة يقول: (أريت حسناتي وسيئاتي...).

(٣) قوله: «كنا بعبادان» في «معجم البلدان» للحموي (٧٤/٤): (عبادان بتشديد ثانيه وفتح أوله... وهو تحت البصرة قرب البحر الملح... وهي موضع رديء سيخ لا خير فيه وماؤه ملح). وسمي بهذا الاسم لأن فيه قومًا مقيمين للعبادة والانقطاع.

(٤) (ضعيف) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المنامات» (٧٧) وفي إسناده سنيد بن داود ضعيف.

وَقَالَ عبد الملك بن عَتَّابِ الليثي: رَأَيْتَ عَامِرَ بن عبد قيسٍ فِي النُّومِ فَقُلْتَ: أَيِ الأَعْمَالِ وَجَدْتَ أَفْضَلَ؟ قَالَ: مَا أُرِيدُ بِهِ وَجَهَ اللهُ عِزَّ وَجَلَّ<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ يزيد بن هَارُونَ: رَأَيْتَ أبا العَلَاءِ أَيُّوبَ بن مِسْكِينَ فِي المَنَامِ فَقُلْتَ: مَا فَعَلَ بِكَ رَبِّكَ؟ قَالَ: غَفِرَ لِي. قُلْتَ: بِمَا ذَا؟ قَالَ: بِالصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ. قُلْتَ: رَأَيْتَ مَنصُورَ بن زَادَانَ؟ قَالَ: هَيْهَاتَ ذَاكَ نَرَى قِصْرَهُ مِن بَعِيدٍ<sup>(٢)</sup>.

وَقَالَ يزيد بن نَعَامَةَ: هَلَكْتَ جَارِيَةً فِي طَاعُونَ الجَارِفِ<sup>(٣)</sup> فَلَقِيهَا أبُوهَا بَعْدَ مَوْتِهَا فَقَالَ لَهَا: يَا بِنْتِةَ أَخْبَرِنِي عَنِ الآخِرَةِ. قَالَتْ: يَا أَبْتَ قَدِمْنَا عَلَى أَمْرٍ عَظِيمٍ نَعْلَمُ وَلَا نَعْمَلُ وَتَعْمَلُونَ وَلَا تَعْلَمُونَ وَاللهُ لِتَسْبِيحِهِ أَوْ تَسْبِيحَتَانِ أَوْ رَكْعَةٍ أَوْ رَكْعَتَانِ فِي صَحِيفَةٍ عَمَلِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا<sup>(٤)</sup>.

وَقَالَ كثير بن مَرَّة: رَأَيْتَ فِي مَنَامِي كَأَنِّي دَخَلْتُ دَرَجَةَ عَلِيَاءِ فِي الجَنَّةِ فَجَعَلَتْ أَطُوفَ بِهَا وَأَتَعَجَّبُ مِنْهَا فَإِذَا أَنَا بِنِسَاءٍ مِن نِسَاءِ المَسْجِدِ فِي نَاحِيَةٍ مِنْهَا فَذَهَبَتْ حَتَّى سَلِمْتَ عَلَيَّهِنَّ ثُمَّ قُلْتَ: بِمَا بَلَغْتَن هَذِهِ الدَّرَجَةَ قُلْنَا: بِسُجُودَاتٍ وَكُسَيْرَاتٍ<sup>(٥)</sup>.

وَقَالَ مُزَاحِمُ مولى عمر بن عبد العَزِيزِ عَن فَاطِمَةَ بنت عبد الملكِ امْرَأَةَ عمر بن عبد العَزِيزِ قَالَتْ: انْتَبَهَ عمر بن عبد العَزِيزِ لَيْلَةً فَقَالَ: لَقَدْ رَأَيْتَ رُؤْيَا مَعْجَبَةً قَالَتْ فَقُلْتَ: جَعَلْتَ فِدَاءَكَ فَأَخْبَرَنِي بِهَا فَقَالَ: مَا كُنْتُ لِأَخْبِرَكَ بِهَا حَتَّى أَصْبِحَ فَلَمَّا طَلَعَ

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المنامات» (٨٠) وفي إسناده عبد الملك بن إبراهيم البارودي لم أجد له ترجمة.

(٢) (حسن) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المنامات» (٨٢) بإسناد حسن إن شاء الله.

(٣) قوله: «طاعون الجارف» قال ابن الأثير في النهاية - مادة جرف - «وفي الحديث ذكر الطاعون الجارف سمي جارفاً لأنه كان ذريعاً جرف الناس كجرف السيل».

(٤) (ضعيف) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المنامات» (٨٦) وفي إسناده فضالة بن حصين ضعيف.

(٥) (صحيح) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المنامات» (٩١) بإسناد صحيح رجاله كلهم ثقات.

الفجر خرج فصلي ثم عاد إلى مجلسه قالت: فاعتنمت خلوته فقلت: أخبرني بالرؤيا التي رأيت قال: رأيت كأني دفعت إلى أرض خضراء واسعة كأنها بساط أخضر وإذا فيها قصر أبيض كأنه الفضة وإذا خارج قد خرج من ذلك القصر فهتف بأعلى صوته يقول: أين محمد بن عبد الله بن عبد المطلب أين رسول الله إذ أقبل رسول الله حتى دخل ذلك القصر قال: ثم إن آخر خرج من ذلك القصر فنأدى أين أبو بكر الصديق أين ابن أبي قحافة إذ أقبل أبو بكر حتى دخل ذلك القصر ثم خرج آخر فنأدى أين عمر بن الخطاب فأقبل عمر حتى دخل ذلك القصر ثم خرج آخر فنأدى أين علي بن طالب فأقبل حتى دخل ذلك القصر ثم إن آخر خرج فنأدى أين عمر بن عبد العزيز قال: عمر فقممت حتى دخلت ذلك القصر قال: فدفعت إلى رسول الله ﷺ والقوم حوله فقلت: بيني وبين نفسي أين أجلس فجلست إلى جنب أبي عمر بن الخطاب فنظرت فإذا أبو بكر عن يمين النبي ﷺ وإذا عمر عن يساره فتأملت رسول الله ﷺ فإذا بين رسول الله ﷺ وبين أبي بكر رجل فقلت: من هذا الرجل الذي بين رسول الله ﷺ وبين أبي بكر؟ فقال: هذا عيسى بن مريم فسمعت هاتفا يهتف وبيني وبينه ستر نور يا عمر بن عبد العزيز تمسك بما أنت عليه وأثبت على ما أنت عليه ثم كأنه أذن لي في الخروج فقممت فخرجت من ذلك القصر فالتفت خلفي فإذا أنا بعثمان بن عفان وهو خارج من ذلك القصر يقول: الحمد لله الذي نصرني ربي وإذا علي بن أبي طالب في أثره خارج من ذلك القصر وهو يقول: الحمد لله الذي غفر لي ربي<sup>(١)</sup>.

(١) (ضعيف) أخرجه ابن أبي الدنيا في "المنامات" (١٢٣) من طريق رجل من ولد عمر بن الخطاب عن مزاحم به، وهذا إسناد ضعيف؛ فيه رجل مبهم، ومزاحم فيه ضعف، وفي الإسناد قبل مزاحم من لم أجده له ترجمة. \* وقد روى نحو هذه القصة أبو نعيم في "الحلية" (٥/٣٣٧-٣٣٨) وفي الإسناد من لم أجده له ترجمة.



وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَةَ عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ جَالِسَانِ عِنْدَهُ فَسَلَّمْتُ [وَجَلَسْتُ] فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ إِذْ أَتَى بَعْلِي وَمُعَاوِيَةَ فَأَدْخَلَا بَيْتَنَا وَأَجِيفَ عَلَيْنَا الْبَابَ وَأَنَا أَنْظَرُ فَمَا كَانَ بِأَسْرَعٍ مِنْ أَنْ خَرَجَ عَلَيَّ وَهُوَ يَقُولُ: قُضِيَ لِي وَرَبِّ الْكَعْبَةِ وَمَا كَانَ بِأَسْرَعٍ مِنْ أَنْ خَرَجَ مُعَاوِيَةَ عَلَى أَثَرِهِ وَهُوَ يَقُولُ: غَفَرَ لِي وَرَبِّ الْكَعْبَةِ<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ حَمَّادٌ عَنْ أَبِي هَاشِمٍ<sup>(٢)</sup>: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَقَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَنَامِ وَأَبُو بَكْرٍ عَنْ يَمِينِهِ وَعُمَرُ عَنْ شِمَالِهِ وَأَقْبَلَ رَجُلَانِ يَخْتَصِمَانِ وَأَنْتَ بَيْنَ يَدَيْهِ جَالِسٌ فَقَالَ لَكَ: يَا عُمَرُ إِذَا عَمَلْتَ فاعْمَلْ بِعَمَلِ هَذَيْنِ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَاسْتَحْلَفَهُ عُمَرُ بِاللَّهِ: أَرَأَيْتَ هَذِهِ الرَّؤْيَا فَحَلَفَ فَبَكَى عُمَرُ<sup>(٣)</sup>.

وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ غَنَمٍ: رَأَيْتُ مَعَاذَ بْنَ جَبَلٍ بَعْدَ وَفَاتِهِ بِثَلَاثِ عَلَى فَرَسٍ أَلْبَقَ وَخَلْفَهُ رِجَالٌ بِيضٌ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ خَضِرٌ عَلَى خَيْلٍ بَلَقَ وَهُوَ قَدَامَهُمْ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴾ \* بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿ [يس: ٢٦-٢٧]، ثُمَّ التَفَتَ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ يَقُولُ: يَا ابْنَ رَوَاحَةَ يَا ابْنَ مَطْعُونٍ: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَّهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوُّهُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ [الزمر: ٧٤]، ثُمَّ صَافَحَنِي وَسَلَّمَ عَلَيَّ<sup>(٤)</sup>.

<sup>(١)</sup> أخرجه ابن أبي الدنيا في «المنامات» (١٢٤) بإسناد رجاله ثقات، إلا أنه يظهر لي أنه منقطع بين سعيد بن أبي عروبة وعمر ولم أجد من نصَّ على هذا إلا أن سعيداً روايته منقطعة عن جماعة ممن مات بعد عمر بنحو أربعين سنة أو أكثر، فلأن تكون روايته عن سعيد منقطعة أولى، والله أعلم .

<sup>(٢)</sup> وقع في الأصل (حماد بن أبي هاشم)، وما أثبتناه من (ش) و(ف) هو الصواب، وهو الموافق لما في المنامات. وحماد هو ابن زيد وأبو هاشم هو الرماني.

<sup>(٣)</sup> (إسناده حسن) أخرجه ابن أبي الدنيا في المنامات (١٢٠) بإسناد حسن.

<sup>(٤)</sup> ذكره عبدالحق الأشيبلي في كتابه «العاقبة في ذكر الموت» ص (٢٢٢) ولم أقف عليه مسنداً.

وَقَالَ قَبِيصَةَ بْنِ عَقَبَةَ: رَأَيْتَ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ فِي الْمَنَامِ بَعْدَ مَوْتِهِ فَقُلْتَ: مَا فَعَلَ اللَّهُ بِكَ؟ فَقَالَ:

نظرت إلى ربي عياناً فقال لي  
لقد كنت قواماً إذا الليل قد دجا  
فدونك فاختر أي قصر تريده  
وزرني فإني منك غير بعيد<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: رَأَيْتَ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ بَعْدَ مَوْتِهِ يَطِيرُ فِي الْجَنَّةِ مِنْ نَخْلَةٍ إِلَى شَجَرَةٍ وَمِنْ شَجَرَةٍ إِلَى نَخْلَةٍ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿لِيُمِثِّلَ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ [الصفات: ٦١]. فقيل له: بما أدخلت الجنة؟ قال: بالورع بالورع قيل له: فما فعل على بن عاصم؟ قال: ما نراه إلا مثل الكوكب.

وَكَانَ شُعْبَةُ بْنُ الْحَجَّاجِ وَمَسْعَرُ بْنُ كَدَامٍ حَافِظَيْنِ وَكَانَا جَلِيلَيْنِ قَالَ أَبُو أَحْمَدَ التِّرْمِذِيُّ<sup>(٢)</sup>: فَرَأَيْتَهُمَا بَعْدَ مَوْتِهِمَا فَقُلْتَ: أَبَا بَسْطَامَ مَا فَعَلَ اللَّهُ بِكَ؟ فَقَالَ: وَفَكَ اللَّهُ لِحَفْظِ مَا أَقُولُ:

حباني إلهي في الجنان بقبة  
وقال لي الرحمن يا شعبة الذي  
تنعم بقربي إنني عنك ذورضا  
كفا مسعرا عزا بأن سيزورني  
لها ألف باب من لجين وجوهرا  
تبحر في جمع العلوم فأكثرها  
وعن عبدي القوام في الليل مسعرا  
وأكشف عن وجهي الكريم لينظرا

<sup>(١)</sup> أخرجه أبو نعيم في "الحلية" (٧/ ٧٤) وفي الإسناد جماعة لم أجد لهم تراجم.

<sup>(٢)</sup> كذا في الأصل (الترمذي)، ووقع في (ش) و(ف) (البيهقي) و كذلك هو في كتاب (العاقبة لعبد الحق الإشبيلي).

وَهَذَا فَعَالِي بِالذِّينِ تَنَسَكُوا وَلَمْ يَأْلَفُوا فِي سَالِفِ الدَّهْرِ مُتَكَرِرًا<sup>(١)</sup>.  
 قَالَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكِنْدِيِّ<sup>(٢)</sup>: رَأَيْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ فِي النَّوْمِ فَقُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ  
 مَا فَعَلَ اللَّهُ بِكَ؟ قَالَ: غَفِرَ لِي ثُمَّ قَالَ: يَا أَحْمَدُ ضَرَبْتَ فِي سِتِّينَ سَوْطًا قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَب.  
 قَالَ: هَذَا وَجْهِي قَدْ أَبْحَثَكَ فَانظُرْ إِلَيْهِ<sup>(٣)</sup>.  
 وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَجَّاجِ حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ طَرْسُوسَ<sup>(٤)</sup> قَالَ:  
 دَعَوْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُرِينِي أَهْلَ الْقُبُورِ حَتَّى أَسْأَلَهُمْ عَنْ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ مَا فَعَلَ اللَّهُ بِهِ  
 فَرَأَيْتُ بَعْدَ عَشْرِ سِنِينَ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ أَهْلَ الْقُبُورِ قَدِ قَامُوا عَلَى قُبُورِهِمْ فَبَادَرُونِي بِالْكَلَامِ  
 فَقَالُوا: يَا هَذَا كَمْ تَدْعُو اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُرِيكَ إِيَّانَا تَسْأَلُنَا عَنْ رَجُلٍ لَمْ يَزَلْ مُنْذُ فَارَقَكُمْ  
 تَحْلِيهِ الْمَلَائِكَةُ تَحْتَ شَجَرَةِ طُوبَى<sup>(٥)</sup>.

<sup>(١)</sup> (ضعيف) أخرجه ابن عساكر في تاريخ "دمشق" (١٦٦/٥٢) من طريق محمد بن تسنيم الدمشقي قال:  
 رأيت شعبة فذكره. وفي الإسناد إليه هناد بن إبراهيم النسفي وكان راوية للموضوعات والبلايا، وقد  
 تكلم فيه.

\* وقد ذكر القصة الذهبية في "السير" (٢١٩/٧-٢٢٠) عن محمد بن عبدالكبير الحبحابي، قال: لما مات  
 شعبة رأيت في النوم فذكره. ومحمد بن عبدالكبير مجهول، ويحتاج إلى نظر في الإسناد قبله حيث لم يذكره  
 الذهبي. فالقصة من هذه الطرق ضعيفة.

وهي كما ترى عند ابن عساكر الرائي فيها محمد بن تسنيم، وعند الذهبي الرائي فيها محمد بن عبدالكبير،  
 وابن القيم ساقها وجعل الرائي فيها أبا أحمد الترمذي، فالله أعلم.

<sup>(٢)</sup> في الأصل (اللبدي) وفي (ش) (الكبدي)، والمثبت من مصادر التخريج.

<sup>(٣)</sup> (ضعيف) أخرجه الخطيب في "تاريخه" (٤/٤٢١)، ومن طريقه ابن عساكر في "تاريخه" (٥/٣٤١) وفي  
 إسناده محمد بن أحمد بن المهدي قال: الدار قطني متروك وقال: مرة ضعيف.

<sup>(٤)</sup> قوله: «طَرْسُوسُ» هي مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم. «معجم البلدان» (٤/٢٨).

<sup>(٥)</sup> (ضعيف) لم أفه عليه، والإسناد الذي ساقه هنا ضعيف فيه رجل مبهم.

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْحَقِّ: وَهَذَا الْكَلَامُ مِنْ أَهْلِ الْقُبُورِ إِنَّمَا هُوَ إِخْبَارٌ عَنْ عُلُوِّ دَرَجَةِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَارْتِفَاعِ مَكَانَتِهِ وَعَظَمِ مَنَزَلَتِهِ فَلَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَعْبُرُوا عَنْ صِفَةِ حَالِهِ وَعَنْ مَا هُوَ فِيهِ إِلَّا بِهَذَا وَمَا هُوَ فِي مَعْنَاهُ.

وَقَالَ أَبُو جَعْفَرِ السَّقَاءِ صَاحِبِ بَشْرِ بْنِ الْحَارِثِ: رَأَيْتُ بَشْرًا الْحَافِيَّ وَمَعْرُوفًا الْكَرْخِيَّ وَهُمَا جَائِيَانِ فَقُلْتُ: مَنْ أَيْنَ؟ فَقَالَا: مِنْ جَنَّةِ الْفَرْدُوسِ زَرْنَا كَلِيمَ اللَّهِ مُوسَى <sup>(١)</sup>.

وَقَالَ عَاصِمُ الْجَزْرِيُّ: رَأَيْتُ فِي النَّوْمِ كَأَنِّي لَقِيتُ بَشْرَ بْنَ الْحَارِثِ فَقُلْتُ: مَنْ أَيْنَ يَا أَبَا نَصْرٍ؟ قَالَ: مِنْ عِلِينَ. قُلْتُ: فَمَا فَعَلَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ؟ قَالَ: تَرَكْتَهُ السَّاعَةَ مَعَ عَبْدِ الْوَهَّابِ الْوَرَّاقِ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَأْكُلَانِ وَيُشْرَبَانِ فَقُلْتُ لَهُ: فَأَنْتَ قَالَ: عَلِمَ اللَّهُ قَلَّةَ رَغْبَتِي فِي الطَّعَامِ فَأَبَاحَنِي النَّظْرَ إِلَيْهِ <sup>(٢)</sup>.

وَقَالَ أَبُو جَعْفَرِ السَّقَاءِ: رَأَيْتُ بَشْرَ بْنَ الْحَارِثِ فِي النَّوْمِ بَعْدَ مَوْتِهِ، فَقُلْتُ: أَبَا نَصْرٍ مَا فَعَلَ اللَّهُ بِكَ؟ قَالَ أَطْلَقَنِي وَرَحِمَنِي وَقَالَ لِي: يَا بَشْرُ لَوْ سَجَدْتَ لِي فِي الدُّنْيَا عَلَى الْجَمْرِ مَا أَدَيْتَ شُكْرَ مَا حَشَوْتُ قُلُوبَ عِبَادِي مِنْكَ وَأَبَاحَ لِي نِصْفَ الْجَنَّةِ فَأَسْرَحَ فِيهَا حَيْثُ

<sup>(١)</sup> (ضعيف) أخرجه ابن عساكر في "تاريخ دمشق" (١٠/٢٢٤) وفي إسناده الحسن بن إسماعيل بن محمد الضراب مجهول، وأحمد بن مروان الدينوري اتهمه الدارقطني.

<sup>(٢)</sup> أخرجه الخطيب في "تاريخ بغداد" (١١/٢٧-٢٨)، ومن طريقة ابن عساكر في "تاريخ دمشق" (١٠/٢٢٣) من طريق أحمد بن جعفر عن عاصم الحربي، وأحمد بن جعفر وعاصم الحربي لم يتبين لي من هما، مع أن هذه القصة فيها ما هو منكر.

شئت ووعدني أن يغفر لمن تبع جنازتي. فقلت: ما فعل أبو نصر التمار؟ فقال: ذاك فوق الناس بصره على بلائه وفقره<sup>(١)</sup>.

قال عبد الحق: لعله أراد بقوله نصف الجنة نصف نعيمها لأن نعيمها نصفان نصف روحاني ونصف جسماني فيتنعمون أولاً بالروحاني فإذا رُدَّتْ الأرواح إلى الأجساد أضيف لهم النعيم الجسماني إلى الروحاني.

وقال غيره: نعيم الجنة مُرتَّب على العلم والعمل وحظ بشر من العمل كان أوفى من حظه في العلم، والله أعلم.

وقال بعض الصالحين: رأيت أبا بكر الشبلي في المنام، وكأنه قاعد في مجلس الرصافة بالموضع الذي كان يقعد فيه وإذا به قد أقبل وعليه ثياب حسان فقممت إليه وسلمت عليه وجلست بين يديه فقلت له: من أقرب أصحابك إليك؟ قال: أهجهم بذكر الله وأقومهم بحق الله وأسرعهم مبادرة في مرضاة الله<sup>(٢)</sup>.

<sup>(١)</sup> (ضعيف) أخرجه الخطيب في "تاريخه" (٤٢٢/١٠) وفي إسناده من لم أجده له ترجمة.

\* وقد رويت هذه القصة من غير هذه الطريق كما في "تاريخ بغداد" أيضًا (٧٨/٧) بإسناد ضعيف فيه رجل مبهم. وعند ابن أبي الدنيا في "المنامات" (٢٧٨) بإسناد ضعيف أيضًا فيه رجل مبهم.

\* وعند أبي نعيم في "الحلية" (٣٣٦/٨) بإسناد ضعيف فيه سفيان بن محمد المصيبي ضعيف جدًا. وهذه القصة أشبه ما تكون بقصص الصوفية المنكرة.

<sup>(٢)</sup> (ضعيف) أخرجه الخطيب في "تاريخ بغداد" (٤٢٨/١٤-٤٢٩) فقال: أخبرني الحسن بن غالب، قال سمعت أبا الحسن بن أنس العطار يقول سمعت الشبلي قيل له: من أقرب أصحابك إليك ... فذكره. وإسناده ضعيف؛ الحسن بن غالب ضعيف، وأبو الحسن بن أنس العطار مجهول.

تنبه: ابن القيم ساقه باعتباره رؤيا ولم أقف عليه كذلك، والذي ذكرناه فيه أنه سُئِل وهو حي.

وَقَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّاحِلِيُّ: رَأَيْتُ مَيْسِرَةَ بْنَ سَلِيمٍ فِي الْمَنَامِ بَعْدَ مَوْتِهِ، فَقُلْتُ لَهُ: طَالَتْ غَيْبَتِكَ فَقَالَ: السَّفَرُ طَوِيلٌ فَقُلْتُ لَهُ: فَمَا الَّذِي قَدِمْتَ عَلَيْهِ؟ فَقَالَ: رُخِّصَ لِي لِأَنَّ كُنَّا نَفْتِي بِالرُّخْصِ فَقُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي بِهِ؟ قَالَ: اتَّبَعَ الْآثَارَ وَصَحْبَةَ الْأَخْيَارِ يَنْجِيانِ مِنَ النَّارِ وَيَقْرَبَانِ مِنَ الْجَبَّارِ<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الصَّرِيرِيُّ: رَأَيْتُ عَيْسَى بْنَ زَادَانَ بَعْدَ مَوْتِهِ فَقُلْتُ: مَا فَعَلَ اللَّهُ بِكَ؟ فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

لَوْ رَأَيْتَ الْحَسَانَ فِي الْخَلْدِ حَوْلِي      وَأَكَاوِيبَ مَعَهُمَ لِلشَّرَابِ  
يَتَرْتَمَنُ بِالْكِتَابِ جَمِيعًا      يَتَمَشِينُ مَسْبَلَاتِ الثِّيَابِ<sup>(٢)</sup>.

وَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِ ابْنِ جَرِيرٍ: رَأَيْتُ كَأَنِّي جِئْتُ إِلَى هَذِهِ الْمُقْبَرَةِ الَّتِي بِمَكَّةَ فَرَأَيْتُ عَلَى عَامَتِهَا سَرَادِقًا وَرَأَيْتُ مِنْهَا قَبْرًا عَلَيْهِ سَرَادِقٌ وَفَسْطَاطٌ وَسَدْرَةٌ فَجِئْتُ حَتَّى دَخَلْتُ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَإِذَا مُسْلِمُ بْنُ خَالِدِ الزَّنَجِيِّ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَقُلْتُ: يَا أَبَا خَالِدٍ مَا بَالَ هَذِهِ الْقُبُورِ عَلَيْهِمَا سَرَادِقٌ وَقَبْرُكَ عَلَيْهِ سَرَادِقٌ وَفَسْطَاطٌ وَفِيهِ سِدْرَةٌ؟ فَقَالَ: إِنِّي كُنْتُ كَثِيرَ الصِّيَامِ. فَقُلْتُ: فَأَيْنَ قَبْرِ ابْنِ جَرِيرٍ [دُلَّنِي عَلَيْهِ]<sup>(٣)</sup> فَقَدْ كُنْتُ أَجَالِسُهُ وَأَنَا

<sup>(١)</sup> ذكره عبدالحق الإشبيلي في «العاقبة» ص (١٧١) بدون إسناد.

<sup>(٢)</sup> أخرجه ابن أبي الدنيا في «المنامات» (١٤٦) مع اختلاف يسير في الأبيات، وفيه أن صاحب الرؤيا هو إسحاق بن إبراهيم الثقفي أبو يعقوب الكوفي وفيه ضعف.

<sup>(٣)</sup> في الأصل (وابن عليّة) وهو تصحيف، والمثبت هنا من (ش) و(ف)، وكذلك هو في العاقبة.

أحب أن أسلم عليه. فَقَالَ: هَكَذَا بِيَدِهِ هَيْهَاتَ وَأَدَارَ أُصْبُعِهِ السَّبَابَةَ وَأَيْنَ قَبْرِ ابْنِ جَرِيحٍ رَفَعَتْ صَحِيفَتَهُ فِي عِلَيْنِ<sup>(١)</sup>.

وَرَأَى حَمَّادُ بْنُ سَلْمَةَ فِي النَّوْمِ بَعْضَ أَصْحَابِهِ فَقَالَ لَهُ: مَا فَعَلَ اللَّهُ بِكَ؟ فَقَالَ: قَالَ لِي: طَالَمَا كَدَدْتَ نَفْسَكَ فِي الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ أُطِيلُ رَاحَتَكَ وَرَاحَةَ الْمُتَعَبِينَ<sup>(٢)</sup>.

وَهَذَا بَابُ طَوِيلٍ جَدًّا، فَإِنْ لَمْ تَسْمَحْ نَفْسَكَ بِتَصْدِيقِهِ، وَقَلْتَ: هَذِهِ مَنَامَاتٌ وَهِيَ غَيْرُ مَعْصُومَةٍ، فَتَأْمَلْ مِنْ رَأْيِ صَاحِبٍ لَهُ أَوْ قَرِيبًا أَوْ غَيْرِهِ، فَأَخْبِرْهُ بِأَمْرٍ لَا يُعْلَمُهُ إِلَّا صَاحِبُ الرُّؤْيَا أَوْ أَخْبِرْهُ بِهَالِ دَفْنِهِ هُوَ أَوْ غَيْرِهِ أَوْ حَذْرِهِ مِنْ أَمْرٍ يَتَّقِعُ أَوْ بَشْرِهِ بِأَمْرٍ يُوجَدُ فَوْقَ كَمَا قَالَ، أَوْ أَخْبِرْهُ بِأَنَّهُ يَمُوتُ هُوَ أَوْ بَعْضُ أَهْلِهِ إِلَى كَذَا وَكَذَا فَيَقَعُ كَمَا أَخْبِرُ، أَوْ أَخْبِرْهُ بِخَصْبٍ أَوْ جَدْبٍ أَوْ عَدْوٍ أَوْ نَازِلَةٍ أَوْ مَرَضٍ يَعْرِضُ لَهُ فَوْقَ كَمَا أَخْبِرُهُ، وَالْوَاقِعُ مِنْ ذَلِكَ لَا يُحْصِيهِ إِلَّا اللَّهُ وَالنَّاسُ مُشْتَرِكُونَ فِيهِ وَقَدْ رَأَيْنَا نَحْنُ وَغَيْرُنَا مِنْ ذَلِكَ عَجَائِبَ<sup>(٣)</sup>.

<sup>(١)</sup> (ضعيف) ذكره عبدالحق في «العاقبة» ص (٢٣٠) قال: ويروى عن عمرو بن عمرو بن صفوان عن بعض مشيخته: رأيت في النوم كأني جئت إلى هذه المقبرة... وهذا إسناد ضعيف؛ لإبهام هؤلاء البعض من مشيخة عمرو بن عمرو.

<sup>(٢)</sup> ذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٣/٣٦٣)، والمزي في «تهذيب الكمال» (٧/٢٦٨) عن أبي عبد الله التيمي عن أبيه رأيت حماد بن سلمة فذكره. وأبو عبد الله التيمي وأبوه لم أعرفهما.

<sup>(٣)</sup> حتى ولو ثبت هذا فليس فيه دليل على تلاقي الأرواح؛ لأن هذه مجرد رؤى ولا يلزم من الرؤيا التقاء روح الرائي مع روح من رآه، ومما يؤيد هذا أن الرائي قد يرى غيره من الأحياء ويكون ذلك المرئي يقظان وروحه لم تفارق جسده فكيف يقال بتلاقي روحيهما؟!، وأيضًا النائم قد يرى نفسه ففي هذه الحالة مع من تلتقي روحه؟!، فكذلك رؤياه لغيره من الأموات سواء من المؤمنين أو الكافرين لا يلزم منها تلاقي الأرواح؛

وأبطل من قال: أن هذه كلها علوم وعقائد في النفس تظهر لصاحبها عند انقطاع نفسه عن الشواغل البدئية بالنوم وهذا عين الباطل والمحال فإن النفس لم يكن فيها قط معرفة هذه الأمور التي يخبر بها الميت ولا خطرت ببالها ولا عندها علامة عليها ولا أمانة بوجهه ما ونحن لا ننكر أن الأمر قد يقع كذلك وأن من الرؤيا ما يكون من حديث النفس وصورة الاعتقاد بل كثير من مرآي الناس إنما هي من مجرد صور اعتقادهم المطابق وغير المطابق؛ فإن الرؤيا على ثلاثة أنواع: رؤيا من الله، ورؤيا من الشيطان، ورؤيا من حديث النفس.

### والرؤيا الصحيحة أقسام:

منها: إلهام يلقيه الله سبحانه في قلب العبد وهو كلام يكلم به الرب عبده في المنام كما قال عبادة بن الصامت وغيره<sup>(١)</sup>.

فإن أرواح المؤمنين في الجنة وأرواح الكافرين في النار فمن أين لنا أن روح هذا النائم تدخل الجنة أو تدخل النار وتجتمع بروح من رآه؟! والله أعلم.

<sup>(١)</sup> (ضعيف) حديث عبادة الذي أشار إليه ابن القيم رحمه الله أخرجه ابن أبي عاصم في "السنة" (٢١٣/١) فقال: حدثنا عمرو بن عثمان حدثنا أبي حدثنا محمد بن مهاجر الأنصاري عن جنيد بن ميمون أبي عبد الحميد عن حمزة بن الزبير يرفع الحديث إلى عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «رؤيا المؤمن من كلام يكلم به العبد ربّه تبارك وتعالى في المنام». وهذا إسناد ضعيف؛ جنيد بن ميمون لم أجده له ترجمة، وحمزة بن الزبير ذكر الشيخ الألباني في "ظلال الجنة" (٢١٣/١) أنه حمزة بن عبد الله بن الزبير بن العوام وأنه نُسب إلى جده.

قلت: ترجمته في "الجرح والتعديل" (٢١٢/٣) ذكر أنه روى عن عائشة وروى عنه جعفر بن عبد الله بن الحكم الأنصاري، وذكره ابن حبان في الثقات، فهو في عداد المجاهيل فالإسناد ضعيف. وقد أخرجه من هذه الطريق أيضًا الحكيم الترمذي في "نوادر الأصول" (٣٤٤/١) الأصل التاسع والسبعون، وضعفه السيوطي في "شرح الصدور" (٣٦٣).



وللحديث طريق أخرى عند ابن عاصم في "السنة" (٢١٣/١) قال: حدثنا الحوطي حدثنا إسماعيل بن عياش حدثنا صفوان بن عمرو عن حميد بن عبد الرحمن: أن رجلاً سأل عبادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن قوله تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٤]، فقال عبادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سألت عنها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن لنفسه أو يُرى له وهو من كلام يكلم به ربك عبده في المنام». الحوطي هو عبد الوهاب بن نجدة ثقة. إسماعيل بن عياش صدوق في أهل بلده الشاميين وهي هنا كذلك؛ فإن صفوان بن عمرو هو السكسكي حمصي ثقة، وحميد بن عبد الرحمن رَجَّحَ الشيخ الألباني في ظلال الجنة أنه خطأً من ناسخ الكتاب وأن الصواب حميد بن عبد الله المزني وذكر أموراً ترجح أنه ابن عبد الله وليس ابن عبد الرحمن وخلصتها:

- ١- أن حميد بن عبد الرحمن لم يذكره في شيوخ صفوان بن عمرو.
  - ٢- أن السيوطي أوردته في "الدر المنثور" (٣/٣١٣) من رواية الحكيم الترمذي وابن مردويه عن حميد بن عبد الله.
  - ٣- أن ابن أبي حاتم ذكر صفوان بن عمرو في الرواة عن حميد بن عبد الله، ولم يذكره في الرواة عن حميد بن عبد الرحمن.
  - ٤- أن ابن جرير - وكذلك الإمام أحمد - أخرج الحديث من طرق أخرى عن صفوان بن عمرو وعن غيره وكلهم سموه حميد بن عبد الله.
- فإذا تبين هذا فحميد بن عبد الله ذكره ابن أبي حاتم (٣/٢٢٤)، والبخاري في "التاريخ الكبير" (٢/٣٥٤)، وابن حبان في "الثقات" (٤/١٤٩) وخلاصة القول فيه أنه روى عنه أربعة، ولم أجد فيه جرْحاً ولا تعديلاً، فمثل هذا قد يقال بقبول حديثه لاسيما وهو من التابعين، وأيضاً قد توبع في الطريق الأولى.
- إلا أن الذي تطمئن إليه النفس هو أن الزيادة المذكورة في الحديث وهي قوله: «وهو من كلام يكلم به ربك عبده في المنام». ليست بمحفوظة، ومما يؤيد هذا ما يلي:

أن الحديث قد أخرجه أحمد: (٥/٣٢٥)، وابن جرير (١١/١٣٧) من طريق أبي المغيرة حدثنا صفوان حدثنا حميد بن عبد الله أن رجلاً سأل عبادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فذكره دون قوله: «وهو من كلام يكلم به ربك عبده في المنام». فأنت ترى أن أبا المغيرة وهو عبد القدوس بن الحجاج الخولاني وهو ثقة قد رواه عن صفوان... الخ، دون ذكر الزيادة، والذي رواه بذكر الزيادة هو إسماعيل بن عياش ولا شك أن أبا المغيرة أرجح منه، وأيضاً أبو المغيرة قد تابعه غيره على هذا فقد أخرجه ابن جرير (١١/١٣٤) من طريق يحيى بن سعيد

وَمِنْهَا: مثل يَضْرِبُهُ لَهُ مَلِكُ الرُّؤْيَا المُوَكَّلُ بِهَا<sup>(١)</sup>.  
وَمِنْهَا: التقاء روح النَّائم بأرواح المَوْتَى من أهله وأقاربه وَأَصْحَابِهِ وَغَيْرِهِمْ كَمَا  
ذَكَرْنَاهُ<sup>(٢)</sup>.

حدثنا عمر بن عمرو بن عبد الأخوشي عن حميد بن عبدالله المزني أتى رجل عبادة بن الصامت فذكره دون  
هذه الزيادة.

ويحيى بن سعيد هو العطار الأنصاري فيه ضعف ووثقه بعضهم، وعمر بن عمرو الأحوسي قال أبو حاتم:  
لابأس به صالح الحديث هو من ثقات الحمصيين. فهذه متابعة قوية لأبي المغيرة مما يزيد الاطمئنان إلى عدم  
ثبوت هذه الزيادة.

ومما يؤكد ذلك أيضاً أن الحديث ذكر له ابن جرير (١١/ ١٣٤ وما بعدها)، وكذلك الإمام أحمد: (٥/ ٣١٥)  
طريقاً أخرى عن عبادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وليس في أي طريق منها ذكر هذه الزيادة.  
وأيضاً الحديث قد جاء عن غير عبادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند ابن جرير وغيره وليس في حديث واحد منهم ذكر هذه  
الزيادة.

فتبين من هذا أن الشطر الأول من الحديث - وهو تفسير البشرى بالرؤيا الصالحة - ثابت عن عبادة وعن  
غيره من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وأن الزيادة المذكورة في حديث عبادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليست بمحفوظة، ويبدو لي أنها  
من قبيل إسماعيل بن عياش والله أعلم.

<sup>(١)</sup> القول بأن الرؤيا هي أمثال تضرب للنائم هو الصواب على ما يأتي بيانه إن شاء الله. وأما إثبات ملك موكل  
بالرؤيا وأنه يأتي بها من أم الكتاب ويضربها مثلاً للنائم فهذا مما وقع الخلاف فيه بين أهل العلم، فمنهم من  
أثبت ملكاً موكلاً بالرؤيا، ومنهم من توقّف فيه؛ لعدم ثبوت ما يدل عليه من كلام الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أو كلام رسوله  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حتى قال أبو العباس القرطبي في "المفهم" (٦/ ٧) بعد أن ذكر أقوالاً في الرؤيا: «قلت: وهذا مثل  
الأول في المعنى غير أنه زاد فيه قضية الملك ويحتاج في ذلك إلى توقيف من الشرع إذ يجوز أن يخلق الله تعالى  
تلك التمثيلات من غير ملك» انتهى.

قلت: وحديث أبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المتفق عليه أن النبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «الرؤيا الصالحة من الله والحلم من  
الشيطان». يشير إلى هذا المعنى الذي ذكره القرطبي، والله أعلم.

<sup>(٢)</sup> سبق الكلام على هذا ص ( ).

وَمِنْهَا: عروج روحه إلى الله سُبْحَانَهُ وخطابها له<sup>(١)</sup>.  
 وَمِنْهَا: دُخُول روحه إلى الجَنَّةِ ومشاهدتها<sup>(٢)</sup>، وَغَيْر ذَلِكَ.  
 فالتقاء أرواح الأحياء والموتى [نوع] من أنواع الرؤيا الصَّحِيحَةِ الَّتِي هِيَ عِنْد  
 النَّاسِ مِنْ جِنْسِ المحسوسات.

وَهَذَا مَوْضِعٌ اضْطَرَبَ فِيهِ النَّاسُ فَمَنْ قَائِلٌ: إِنَّ الْعُلُومَ كُلَّهَا كَامِنَةٌ فِي النَّفْسِ وَإِنَّمَا  
 اشْتَغَلَهَا بِعَالَمِ الْحِسِّ يَجِبُ عَنْهَا مَطَالَعَتُهَا فَإِذَا تَجَرَّدَتْ بِالنَّوْمِ رَأَتْ مِنْهَا بِحَسَبِ  
 اسْتِعْدَادِهَا وَلَمَّا كَانَ تَجَرُّدُهَا بِالْمَوْتِ أَكْمَلَ كَانَتْ عُلُومُهَا وَمَعَارِفُهَا هُنَاكَ أَكْمَلَ وَهَذَا فِيهِ  
 حَقٌّ وَبَاطِلٌ فَلَا يَرُدُّ كُلَّهُ وَلَا يَقْبَلُ كُلَّهُ فَإِنَّ تَجَرُّدَ النَّفْسِ يَطْلُعُهَا عَلَى عُلُومٍ وَمَعَارِفٍ لَا  
 تَحْصُلُ بِدُونِ التَّجَرُّدِ، لَكِنَّ لَوْ تَجَرَّدَتْ كُلُّ التَّجَرُّدِ لَمْ تَطَّلِعْ عَلَى عِلْمِ اللَّهِ الَّذِي بَعَثَ بِهِ  
 رَسُولَهُ وَعَلَى تَفَاصِيلِ مَا أَخْبَرَ بِهِ عَنِ الرَّسْلِ الْمَاضِيَةِ وَالْأَمَمِ الْخَالِيَةِ وَتَفَاصِيلِ الْمَعَادِ  
 وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ وَتَفَاصِيلِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَا  
 يُعْلَمُ إِلَّا بِالْوَحْيِ وَلَكِنَّ تَجَرُّدَ النَّفْسِ عَوْنٌ لَهَا عَلَى مَعْرِفَةِ ذَلِكَ وَتَلْقِيهِ مِنْ مَعْدَنِهِ أَسْهَلُ  
 وَأَقْرَبُ وَأَكْثَرُ مِمَّا يَحْصُلُ لِلنَّفْسِ الْمَغْمَسَةِ<sup>(٣)</sup> فِي الشَّوَاغِلِ الْبَدَنِيَّةِ.

(١) استدلل ابن القيم لهذا بحديث سؤال عمر بن الخطاب لعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن الرؤيا وهو حديث  
 ضعيف، وبأثر عن أبي الدرداء وهو ضعيف أيضاً على ما يأتي بيانه إن شاء الله.  
 (٢) القول بأن روح النائم تدخل الجنة وتشاهد شيئاً مما فيها، يحتاج إلى دليل صريح؛ فإن أرواح المؤمنين لا  
 تدخل الجنة إلا بعد موتهم، وأما ما جاء في بعض الأحاديث أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «دخلت الجنة»، أو  
 «رأيتني في الجنة» أو نحوها، فهذه الرؤيا لا يقاس عليها رؤيا غير الأنبياء؛ إذ رؤيا الأنبياء حق ووحي من  
 الله، ومعلوم ما بين رؤيا الأنبياء ورؤيا غيرهم من الفروق. والله أعلم.  
 (٣) في المخطوطتين (المنعمة)، وما أثبتنا من (ف) وهو الموافق لبعض النسخ المطبوعة.

وَمَنْ قَائِلٌ: إِنَّ هَذِهِ الْمَرَائِي عُلُومٌ يَخْلُقُهَا اللَّهُ فِي النَّفْسِ ابْتِدَاءً بِلَا سَبَبٍ، وَهَذَا قَوْلٌ مَنكَرِي الْأَسْبَابِ وَالْحِكْمِ وَالْقَوَى وَهُوَ قَوْلٌ مُخَالَفٌ لِلشَّرْعِ وَالْعَقْلِ وَالْفِطْرَةِ.

وَمَنْ قَائِلٌ: أَنَّ الرُّؤْيَا أَمْثَالٌ مَضْرُوبَةٌ يَضْرِبُهَا اللَّهُ لِلْعَبْدِ بِحَسَبِ اسْتِعْدَادِهِ وَالْفِيهِ عَلَى يَدِ مَلِكِ الرُّؤْيَا فَمَرَّةً يَكُونُ مَثَلًا مَضْرُوبًا وَمَرَّةً يَكُونُ نَفْسٌ مَا رَأَى الرَّائِي فَيُطَابِقُ الْوَاقِعَ مُطَابَقَةَ الْعِلْمِ لِمَعْلُومِهِ، وَهَذَا أَقْرَبُ مِنَ الْقَوْلَيْنِ قَبْلَهُ وَلَكِنَّ الرُّؤْيَا لَيْسَتْ مَقْصُورَةً عَلَيْهِ بَلْ لَهَا أَسْبَابٌ أُخْرَى كَمَا تَقَدَّمَ مِنْ مَلَاقَةِ الْأَرْوَاحِ وَإِخْبَارِ بَعْضِهَا بَعْضًا، وَمِنْ الْقَاءِ الْمَلِكِ فِي الْقَلْبِ وَالرُّوعِ<sup>(١)</sup>، وَمِنْ رُؤْيَةِ الرُّوحِ لِلْأَشْيَاءِ مَكَافِحَةً<sup>(٢)</sup> بِلَا وَاسِطَةٍ<sup>(٣)</sup>.

<sup>(١)</sup> قوله: (الرُّوع) بضم الراء المشددة معناه القلب والعقل. «مختار الصحاح» (روع).

<sup>(٢)</sup> قوله: (مكافحة) أي: مباشرة. قال في «مختار الصحاح»: (وفلان يكافح الأمور أي: يباشرها بنفسه).

<sup>(٣)</sup> وهذا هو الصواب إن شاء الله وهو الذي قرره شيخ الإسلام ابن تيمية في مواضع من كتبه، فإن الرؤيا ثلاث: رؤيا من الله. ورؤيا تحزين من الشيطان. ورؤيا مما يحدث به الرجل نفسه.

فالرؤيا التي هي تحزين من الشيطان هي من الشيطان، والتي هي من حديث النفس هي مما يحدث به الرجل نفسه في يقظته، والتي هي من الله هي أمثال يضربها الله للنائم في منامه وهي تبشير من الله لعبده المؤمن.

\* قال شيخ الإسلام في «منهاج السنة» (٥/٣٧٨): (والنائم يرى في المنام إنسانًا يخاطبه ويشاهده ويجري معه فصولًا وذلك المرئي قاعد في بيته أو ميت في قبره وإنما رأى مثاله).

\* وقال رحمته الله كما في «مجموع الفتاوى» (١٣/٧٦): (ولهذا النائم يرى شيئًا وتلك الأمور لها وجود وتحقق ولكن هي خيالات وأمثلة فلما عَزَبَ ظَنُّهَا الرَّائِي نَفْسَ الْحَقَائِقِ كَالَّذِي يَرَى نَفْسَهُ فِي مَكَانٍ أُخْرَى يَكَلِّمُ أَمْوَانًا وَيَكَلِّمُونَهُ وَيَفْعَلُ أَمْوَرًا كَثِيرَةً وَهُوَ فِي النَّوْمِ يَجْزِمُ بِأَنَّهُ نَفْسُهُ الَّذِي يَقُولُ وَيَفْعَلُ لِأَنَّ عَقْلَهُ عَزَبَ عَنْهُ وَتَلَتْ الصُّورَةَ الَّتِي رَأَاهَا مِثَالُ صُورَتِهِ وَخَيَالُهَا لَكِنْ غَابَ عَقْلُهُ عَنِ نَفْسِهِ حَتَّى ظَنَّ أَنَّ ذَلِكَ الْمِثَالَ هُوَ نَفْسُهُ فَلَمَّا ثَابَ إِلَيْهِ عَقْلُهُ عَلِمَ أَنَّ ذَلِكَ خَيَالَاتٌ وَمِثَالَاتٌ...).

\* وقال رحمته الله في بيان «تلبيس الجهمية» (١/٧٢): (وقد يكون التوهم والتخيل مطابقًا من وجه دون وجه فهو حق في مرتبته وإن لم يكن ماثلاً في الحقيقة الخارجية مثل ما يراه الناس في منامهم وقد يرى في اليقظة من جنس ما يراه في منامه فإنه يرى صورًا وأفعالًا ويسمع أقوالًا وتلك أمثال مضروبة لحقائق خارجية كما

وقد ذكر أبو عبد الله بن مَنْدَةَ الحَافِظِ فِي كِتَابِ النُّفْسِ وَالرُّوحِ مِنْ حَدِيثِ مُحَمَّدِ بْنِ حَمِيدٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ مَعْرَاءِ الدُّوسِيِّ، حَدَّثَنَا الْأَزْهَرِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَزْدِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَجْلَانَ عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: لَقِيَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا حَسَنِ رَبِّمَا شَهِدْتَ وَغَبْنَا وَرَبِّمَا شَهِدْنَا وَغَبْتَ؛ ثَلَاثٌ أَسْأَلُكَ عَنْهُنَّ فَهَلْ عِنْدَكَ مِنْهُنَّ عِلْمٌ؟ فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: وَمَا هُنَّ؟ فَقَالَ: الرَّجُلُ يَجِبُ الرَّجُلَ وَلَمْ يَرَ مِنْهُ خَيْرًا وَالرَّجُلُ يَبْغِضُ الرَّجُلَ وَلَمْ يَرَ مِنْهُ شَرًّا؟ فَقَالَ [عَلِيُّ]: نَعَمْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (إِنَّ الْأَرْوَاحَ جُنُودَ مَجْنُونَةٍ تَلْتَقِي فِي الْهَوَاءِ فَتَشْتَامُ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ). فَقَالَ عُمَرُ وَاحِدَةً.

رأى يوسف سجود الكواكب والشمس والقمر له فلا ريب أن هذا تَمَثُّلُهُ وَتَصَوُّرُهُ فِي نَفْسِهِ وَكَانَ حَقِيقَتَهُ سَجُودَ أَبَوَيْهِ وَأَخَوْتِهِ كَمَا قَالَ: ﴿ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾ [يوسف: ١٠٠]. وكذلك رؤيا الملك التي عبرها يوسف حيث رأى السنبل بل والبقر فتلك رآها متخيلة متمثلة في نفسه وكانت حقيقتها وتأويلها من الخصب والجذب...

\* وقال القرطبي - كما في "فتح الباري" (٤٨٢ / ١٢): «وقد تقرر أن الذي يراه في المنام أمثلة للمرئيات لا أنفسها غير أن تلك الأمثلة تارة تقع مطابقة وتارة يقع معناها، فمن الأول: رؤياه ﷺ عائشة وفيه: «إذا هي أنت» فأخبر أنه رأى في اليقظة ما رآه في نومه بعينه، ومن الثاني: رؤيا البقر التي تُنَحَّرُ والمقصود بالثاني التنبيه على معاني تلك الأمور».

وهذا القول الذي نقلناه عن شيخ الإسلام والقرطبي رحمهما الله قول بعيد عن أقوال الفلاسفة والمعتزلة ومن نحا نحوهم من أرباب الأقوال الملتبسة والمضطربة التي كثرت في هذا الباب حتى يَمَلُّ القارئ من قراءتها، وما أحسن ما قاله أبو العباس القرطبي في "المفهم" (٦ / ٦): «وقد اختلف الناس في كيفية الرؤيا قديماً وحديثاً فقال: غير المتشرعين أقوالاً كثيرة مختلفة وصاروا فيها إلى مذاهب مضطربة قد عريت عن البرهان فأشبهت الهذيان وسبب ذلك التخليط العظيم الإعراض عما جاءت به الأنبياء من الطريق المستقيم». وراجع كتاب: «الرؤى عند أهل السنة والجماعة والمخالفين» تأليف: سهيل العتيبي ص (٤٤-٦٣).

قَالَ عمر: وَالرَّجُلُ يَحْدِثُ الْحَدِيثَ إِذْ نَسِيَهُ فَبَيْنَا هُوَ قَدْ نَسِيَهُ <sup>(١)</sup> إِذْ ذَكَرَهُ؟ فَقَالَ: نَعَمْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (مَا فِي الْقُلُوبِ قَلْبٌ إِلَّا وَلَهُ سَحَابَةٌ كَسَحَابَةِ الْقَمَرِ بَيْنَا الْقَمَرُ مُضِيءٌ إِذَا تَجَلَّيْتَهُ <sup>(٢)</sup> سَحَابَةٌ فَأَظْلَمَ، إِذْ تَجَلَّتْ عَنْهُ فَأَضَاءَ، وَبَيْنَا الْقَلْبُ يَتَحَدَّثُ إِذْ تَجَلَّيْتَهُ سَحَابَةٌ فَنَسِيَ إِذْ تَجَلَّتْ عَنْهُ فَيَذْكُرُ). قَالَ عمر اثنتان. قَالَ وَالرَّجُلُ يَرَى الرَّؤْيَا فَمِنْهَا مَا يَصْدُقُ وَمِنْهَا مَا يَكْذِبُ؟ فَقَالَ: نَعَمْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَنَامُ [يَمْتَلِئُ] <sup>(٣)</sup> نَوْمًا إِلَّا عَرَجَ بِرُوحِهِ إِلَى الْعَرْشِ فَالَّذِي لَا يَسْتَيْقِظُ دُونَ الْعَرْشِ فَتَلِكِ الرَّؤْيَا الَّتِي تَصْدُقُ وَالَّذِي يَسْتَيْقِظُ دُونَ الْعَرْشِ فَهِيَ الَّتِي تَكْذِبُ» فَقَالَ عمر ثَلَاثَ كُنْتُ فِي طَلَبِهِنَّ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَصْبَتَهُنَّ قَبْلَ الْمَوْتِ <sup>(٤)</sup>.

<sup>(١)</sup> في الأصل (هو ومن نسيه) والمثبت هنا من (ش) و(ف).

<sup>(٢)</sup> قوله: «تَجَلَّيْتَهُ» أي عَطَّيْتَهُ وَعَلَّيْتَهُ.

<sup>(٣)</sup> في الحديث (يستقل).

<sup>(٤)</sup> (ضعيف) أخرجه بتامه الطبراني في «الأوسط» (١٠٥/٦)، وأخرج الحاكم (٣٩٦-٣٩٧/٤) -شطره الأخير ما يتعلق بالرؤيا- من طريق عبدالرحمن بن مغراء قال حدثنا الأزهر بن عبدالله الأودي قال حدثنا محمد بن عجلان عن سالم بن عبدالله بن عمر عن أبيه قال: قال عمر بن الخطاب لعلي بن أبي طالب فذكره. وهذا إسناد ضعيف؛ فإن أزهر بن عبدالله نُكِّلَ فيه كما قاله الذهبي، وقال العقيلي في «الضعفاء» (١٣٩/١): حديثه غير محفوظ من حديث ابن عجلان ثم ذكر هذا الحديث وقال: «هذا الحديث يعرف من حديث إسرائيل عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي موقوف». والحارث هو ابن عبدالله الأعور متهم بالكذب.

وقال الذهبي في «تخليصه»: (حديث منكر لم يصححه المؤلف -يعني الحاكم- وكان الآفة فيه من أزهر) انتهى.

\* وأما قوله: «الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف». فقد أخرجه مسلم:

(٢٦٣٨) عن أبي هريرة رَوَى اللَّهُ عَنْهُ.

وَقَالَ بَقِيَّةُ بْنُ الْوَلِيدِ حَدَّثَنَا صَفْوَانُ بْنُ عَمْرٍو عَنْ سَلِيمِ بْنِ عَامِرِ الْحَضْرَمِيِّ قَالَ: قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: عَجِبْتُ لِرُؤْيَا الرَّجُلِ يَرَى الشَّيْءَ لَمْ يُحْطِرْ لَهُ عَلَى بَالٍ فَيَكُونُ كَأَخَذَ بِيَدِ وَيَرَى الشَّيْءَ فَلَا يَكُونُ شَيْئًا؟ فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزمر: ٤٢].

قَالَ: وَالْأَرْوَاحُ يَعْرِجُ بِهَا فِي مَنَامِهَا فَمَا رَأَتْ وَهِيَ فِي السَّمَاءِ فَهِيَ الْحَقُّ فَإِذَا رُدَّتْ إِلَى أَجْسَادِهَا تَلْقَتْهَا الشَّيَاطِينُ فِي الْهَوَاءِ فَكَذَبَتْهَا فَمَا رَأَتْ مِنْ ذَلِكَ فَهِيَ الْبَاطِلُ قَالَ: فَجَعَلَ عُمَرُ يَتَعَجَّبُ مِنْ قَوْلِ عَلِيٍّ.

قَالَ ابْنُ مَنَدَةَ: هَذَا خَبَرٌ مَشْهُورٌ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ عَمْرٍو وَغَيْرِهِ<sup>(١)</sup>.

وَرَوَى عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ.

وَذَكَرَ الطَّبْرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ قَالَ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَشْيَاءٌ أَسْأَلُكَ عَنْهَا. قَالَ: سَلْ عَمَّا شِئْتَ. قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِمَّ يَذُكُّرُ الرَّجُلُ وَمِمَّ يَنْسَى وَمِمَّ تَصَدَّقَ الرَّؤْيَا وَمِمَّ تَكْذَبُ؟ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: إِنْ عَلَى الْقَلْبِ طَخَاةٌ كَطَخَاةِ الْقَمَرِ<sup>(٢)</sup> فَإِذَا تَغَشَّتْ الْقَلْبَ نَسِيَ ابْنَ آدَمَ فَإِذَا انْجَلَتْ ذَكَرَ مَا كَانَ نَسَى، وَأَمَّا مِمَّ تَصَدَّقَ الرَّؤْيَا وَمِمَّ تَكْذَبُ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ

(١) (ضعيف) أخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه كما في "الدر المنثور" للسيوطي (١٢/٦٦٥).

والإسناد الذي ساقه ابن القيم هنا ضعيف، بقية بن الوليد يدللس تدليس تسوية ولم يصرح إلا عن شيخه فما زال تدليسه محتملاً.

(٢) قوله: (طخاة) الطخا... السحاب الرقيق المرتفع... واحده طخاة... وعلى قلبه طخاة وطخاة، أي غشية وكرب. لسان العرب (طخا).

حِينَ مَوْتِهَا وَآلِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴿ [الزمر: ٤٢]، فَمَنْ دَخَلَ مِنْهَا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاءِ فَهِيَ  
الَّتِي تَصَدَّقُ وَمَا كَانَ مِنْهَا دُونَ مَلَكُوتِ السَّمَاءِ فَهِيَ الَّتِي تَكْذِبُ. <sup>(١)</sup>

وروى ابن لهيعة عن عثمان بن نعيم الرعيني عن أبي عثمان الأصبحي عن أبي  
الذرذاء قال: إذا نام الإنسان عرج بروجه حتى يؤتى بها العرش؛ فإن كان طاهراً أُذِنَ لها  
بالسُّجود وإن كان جنباً لم يؤذن لها بالسُّجود. <sup>(٢)</sup>

وروى جعفر بن عون عن إبراهيم الهجري عن أبي الأحوص عن عبد الله بن  
مسعود أنه قال: إن الأرواح جنود مجنونة تتلقى فتشام كما [تشام] الحليل فما تعارف منا  
اتتلف وما تناكر منها اختلف. <sup>(٣)</sup>

ولم يزل الناس قديماً وحديثاً تعرف هذا وتشاهده قال جميل بن معمر العُدري:

أظُلُّ نهارِي مُسْتَهَامًا وتلتقي مع اللَّيْلِ رُوحِي فِي الْمَنَامِ وروحها <sup>(٤)</sup>

<sup>(١)</sup> (منقطع) لم أقف عليه عند الطبراني، والإسناد الذي ذكر طرفه هنا منقطع؛ فإن علي بن أبي طلحة لم يسمع  
من ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

<sup>(٢)</sup> (ضعيف) أخرجه ابن المبارك في "الزهد" (١٢٤٥) وإسناده ضعيف؛ ابن لهيعة هو عبد الله ضعيف،  
وعثمان بن نعيم مجهول روى عنه ابن لهيعة ولم يوثقه معتبر، وأبو عثمان الأصبحي اسمه عبيد بن عمير قال  
الحافظ في "التقريب": مقبول.

<sup>(٣)</sup> (إسناده ضعيف) أخرجه البيهقي في "شعب الإيمان" (٤٩٧/٦)، وابن عبد البر في "التمهيد"  
(٤٣٧/١٧) من طريق جعفر بن عون به، وتماؤه: «ولو أن مؤمناً جاء إلى مسجد فيه مائة ليس فيهم إلا  
مؤمن واحد حتى يجلس مع المؤمن، ولو أن منافقاً جاء إلى مسجد فيه مائة ليس فيهم إلا منافق واحد  
جاء حتى يجلس معه أو إليه». وإسناده ضعيف؛ لضعف إبراهيم الهجري وهو إبراهيم بن مسلم العبدي  
أبو إسحاق الهجري.

<sup>(٤)</sup> انظر "ديوان جميل" ص (١٧). وفيه: (ويلتقي) بدل (وتلتقي).



فَإِنْ قِيلَ: فَالنائِمُ يَرَى غَيْرَهُ مِنَ الْأَحْيَاءِ يَحْدِثُهُ وَيَخَاطِبُهُ وَرُبَّمَا كَانَ بَيْنَهُمَا مَسَافَةٌ بَعِيدَةٌ وَيَكُونُ الْمُرْتَبِيُّ يَقْظَانُ رُوحَهُ لَمْ تَفَارِقْ جَسَدَهُ فَكَيْفَ التَّقَاتُ رُوحَاهُمَا؟

قِيلَ: هَذَا إِمَّا أَنْ يَكُونَ مِثْلًا مَضْرُوبًا ضَرَبَهُ مَلِكُ الرُّؤْيَا لِلنَّائِمِ أَوْ يَكُونُ حَدِيثَ نَفْسٍ مِنَ الرَّائِي تَجَرَّدَ لَهُ فِي مَنَامِهِ كَمَا قَالَ حَبِيبُ بْنُ أَوْسٍ:

سَقِيًّا لَطِيفِكَ مِنْ زُورِ أَتَاكَ بِهِ حَدِيثَ نَفْسِكَ عَنْهُ وَهُوَ مَشْغُولٌ<sup>(١)</sup>

وَقَدْ تَنَاسَبَ الرُّوحَانُ وَتَشَدَّدَ عِلَاقَةٌ إِحْدَاهُمَا بِالْأُخْرَى فَيَشْعُرُ كُلُّ مِثْلِهِمَا بِبَعْضِ مَا يَحْدِثُ لِصَاحِبِهِ وَإِنْ لَمْ يَشْعُرْ بِهَا يَحْدِثُ لغيرِهِ لِشَدَّةِ الْعِلَاقَةِ بَيْنَهُمَا وَقَدْ شَهِدَ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ عَجَائِبَ.

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ أَرْوَاحَ الْأَحْيَاءِ تَتَلَقَى فِي النَّوْمِ كَمَا تَتَلَقَى أَرْوَاحَ الْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ. قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: إِنْ الْأَرْوَاحُ تَتَلَقَى فِي الْهَوَاءِ فَتَتَعَارَفُ أَوْ تَتَنَاطَرُ فَيَأْتِيهَا مَلِكُ الرُّؤْيَا بِمَا هُوَ لَاقِيهَا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، قَالَ: وَقَدْ وَكَّلَ اللَّهُ بِالرُّؤْيَا الصَّادِقَةَ مَلَكًا عَلَّمَهُ وَأَهْمَهُ مَعْرِفَةَ كُلِّ نَفْسٍ بِعَيْنِهَا وَاسْمِهَا وَمَنْقَلِبِهَا فِي دِينِهَا وَدُنْيَاهَا وَطَبْعِهَا وَمَعَارِفِهَا لَا يَشْتَبِهَ عَلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ وَلَا يَغْلُظُ فِيهَا فَيَأْتِيهِ نُسخَةٌ مِنْ عِلْمِ غَيْبِ اللَّهِ مِنْ أَمِّ الْكِتَابِ بِمَا هُوَ مُصِيبٌ لِهَذَا الْإِنْسَانَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهِ وَيَضْرِبُ لَهُ فِيهَا الْأَمْثَالَ وَالْأَشْكَالَ عَلَى قَدْرِ عَادَتِهِ فَتَارَةً يَبْشُرُهُ بِخَيْرٍ قَدِمَهُ أَوْ يَقْدِمُهُ وَيَنْذِرُهُ مِنْ مَعْصِيَةٍ ارْتَكَبَهَا أَوْ هَمَّ بِهَا وَيَحْذِرُهُ مِنْ مَكْرُوهٍ أَنْعَقَدَتْ أَسْبَابَهُ لِيَعَارِضَ تِلْكَ الْأَسْبَابَ بِأَسْبَابٍ تَدْفَعُهَا وَلِغَيْرِ ذَلِكَ

<sup>(١)</sup> هذا البيت لجران العود ضمن قصيدة طويلة ذكرها البغدادي في "منتهى الطلب" ص (٣٩)، وكذلك نسبه إليه الأمدى في "الموازنة" (٦٢/١) والبروجردى في "الفتح على أبي الفتح" ص (٥٦) ووقع عند الجميع: (سقياً لزورك). ولم أقف على نسبه لحبيب بن أوس عند أحد.

من الحكم والمصالح التي جعلها الله في الرؤيا نعمة منه ورحمة وإحسانا وتذكيرا وتعريفا وجعل أحد طرق ذلك تلاقى الأرواح وتذاكرها وتعارفها.

وكم ممن كانت توبته وصلاحه وزهده وإقباله على الآخرة عن منام رآه أو رئي له وكم ممن استغنى وأصاب كنزا أو دفينا عن منام.

وفي كتاب "المجالسة" لأبي بكر أحمد بن مروان المالكي: عن ابن قتيبة عن أبي حاتم عن الأصمعي عن المعتبر بن سليمان عمّن حدثه قال: خرجنا مرة في سفر وكنا ثلاثة نفر فنام أحدها فرأينا مثل المصباح خرج من أنفة فدخل غارا قريبا منه ثم رجع فدخل أنفه فأستيقظ يمسح وجهه وقال: رأيت عجا رأيت في هذا الغار كذا، قال: فدخلناه فوجدنا فيه بقيّة من كنز كان<sup>(١)</sup>.

وهذا عبد المطلب دُلّ في النوم على زمزم وأصاب الكنز الذي كان هناك<sup>(٢)</sup>.

<sup>(١)</sup> (ضعيف) لم أجده في كتاب "المجالسة"، وقد نبه محقق كتاب المجالسة- مشهور بن حسن آل سلمان- أن عزو ابن القيم هذه القصة إلى كتاب المجالسة وهم، وذكر أنه لم يجده في جميع نسخ كتاب المجالسة. انظر كتاب "المجالسة" (٣١٧/٨) حاشية.

ومع ذلك فالإسناد الذي ساقه ابن القيم هنا ضعيف فيه رجل مبهم، وأيضا أحمد بن مروان الدينوري صاحب كتاب "المجالسة" متكلم فيه، اتهمه الدارقطني وقال: كان يضع الحديث. انظر ترجمته في "لسان الميزان" (٤١٥/١).

<sup>(٢)</sup> قصة حفر البئر أخرجها ابن إسحاق في "السير والمغازي" ص (٢٤)، ومن طريقه البيهقي في "دلائل النبوة" (٩٣/١).. فقال- ابن إسحاق- حدثني يزيد بن أبي حبيب المصري عن مرثد بن عبدالله الزيني عن عبدالله بن زبير الغافقي قال: سمعت علي بن أبي طالب وهو يحدث حديث زمزم فقال: بينا عبدالمطلب نائم في الحجر... فذكر القصة بطولها. وهذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات. - وأما قصة الكنز- وأنه استخرج غزالا وأسيفا من ذهب- فقد أخرجها عبدالرزاق في "المصنف" (٣١٣/٥) من طريق معمر عن الزهري به. وهذا إسناد صحيح إلى الزهري.

وَهَذَا عُمَيْرُ بْنُ وَهْبٍ أُتِيَ فِي نَوْمِهِ فَقِيلَ لَهُ: قُمْ إِلَى مَوْضِعٍ كَذَا وَكَذَا مِنَ الْبَيْتِ فَأَحْفَرَهُ نَجِدَ مَالِ أَبِيكَ وَكَانَ أَبُوهُ قَدْ دُفِنَ مَالًا وَمَاتَ وَلَمْ يَوْصِ بِهِ فَقَامَ عُمَيْرٌ مِنْ نَوْمِهِ فَاحْتَفَرَ حَيْثُ أَمَرَهُ فَأَصَابَ عَشْرَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ وَتَبَّرَا كَثِيرًا فَقَضَى دِينَهُ وَحَسَنَ حَالَهُ وَحَالَ أَهْلِ بَيْتِهِ وَكَانَ ذَلِكَ عَقِيبَ إِسْلَامِهِ فَقَالَتْ لَهُ الصُّغْرَى مِنْ بَنَاتِهِ: يَا أَبْتَ رَبَّنَا هَذَا الَّذِي حَبَانَا بِدِينِهِ خَيْرٌ مِنْ هُبْلِ وَالْعَزَى، وَكَوْلَا أَنَّهُ كَذَلِكَ مَا وَرَّثَكَ هَذَا الْمَالَ وَإِنَّمَا عَبْدتَهُ أَيَّامًا قَلِيلًا<sup>(١)</sup>.

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ الْقَيْرَوَانِيُّ [العابري]<sup>(٢)</sup>، وَمَا حَدِيثُ عُمَيْرٍ هَذَا وَاسْتِخْرَاجُهُ الْمَالَ بِالْمَنَامِ بِأَعْجَبِ مِمَّا كَانَ عِنْدَنَا وَشَاهِدُنَا فِي عَصْرِنَا بِمَدِينَتِنَا مِنْ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ الْبَغَانَشِيِّ وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا مَشْهُورًا بِرُؤْيَا الْأَمْوَاتِ وَسُؤَالِهِمْ عَنِ الْغَائِبَاتِ وَنَقْلِهِ ذَلِكَ إِلَى أَهْلِهِمْ وَقَرَابَاتِهِمْ حَتَّى اشْتَهَرَ بِذَلِكَ وَكَثُرَ مِنْهُ فَكَانَ الْمَرْءُ يَأْتِيهِ فَيَشْكُو إِلَيْهِ أَنْ حَمِيمَهُ قَدْ مَاتَ مِنْ غَيْرِ وَصِيَّةٌ لَهُ وَمَالٌ لَا يَهْتَدِي إِلَى مَكَانِهِ فَيَعِدُّهُ خَيْرًا وَيَدْعُو اللَّهَ تَعَالَى فِي لَيْلَتِهِ فَيُتْرَا لَهُ الْمَيِّتَ الْمَوْصُوفَ فَيَسْأَلُهُ عَنِ الْأَمْرِ فَيُخْبِرُهُ بِهِ.

فَمَنْ نَوَادِرُهُ أَنْ امْرَأَةً عَجُوزًا مِنَ الصَّالِحَاتِ تُوْفِيَتْ وَلا امْرَأَةً عِنْدَهَا سَبْعَةٌ دَنَائِرٍ وَدَيْعَةٌ فَجَاءَتْ إِلَيْهِ صَاحِبَةَ الْوَدَيْعَةِ وَشَكَتْ إِلَيْهِ مَا نَزَلَ بِهَا وَأَخْبَرْتَهُ بِاسْمِهَا وَاسْمِ الْمَيِّتَةِ

وجاء أيضًا عن أبي مجلز لاحق بن حميد من قوله. أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٨٤) فقال أخبرنا خالد بن خدّاش أخبرنا معتمر بن سليمان التيمي سمعت أبي يحدث عن أبي مجلز فذكره. وإسناده حسن خالد بن خدّاش صدوق، وبقية رجاله رجال الشيخين.

(١) لم أقف عليه.

(٢) قوله: «العابري» أي الذي يفسر الرؤيا ويؤولها ويؤولها بما يؤول إليه أمرها ويقال هو عابري الرؤيا. النهاية «عبر».

صاحبها ثمَّ عَادَتْ إِلَيْهِ مِنَ الْعَدِّ فَقَالَ لَهَا: تَقُولُ لَكَ فُلَانَةٌ: عُدِّي مِنْ سَقْفِ بَيْتِي سَبْعَ خَشَبَاتٍ تَجْدِي الدَّنَائِرَ فِي السَّابِعَةِ فِي خِرْقَةٍ صُوفٍ. فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَوَجَدْتَهَا كَمَا وَصَفَ لَهَا.

وَقَالَ: وَأَخْبَرَنِي رَجُلٌ لَا أَظُنُّ بِهِ كَذِبًا: اسْتَأْجَرْتَنِي امْرَأَةٌ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا عَلَى هَدْمِ دَارِ لَهَا وَبِنَائِهَا بِمَالٍ مَعْلُومٍ فَلَمَّا أَخَذْتُ فِي الْهَدْمِ لَزِمَتِ الْفَعْلَةَ<sup>(١)</sup> هِيَ وَمَنْ مَعَهَا فَقُلْتُ: مَا لَكَ؟ قَالَتْ: وَاللَّهِ مَالِي إِلَى هَدْمِ هَذِهِ الدَّارِ حَاجَةٌ، لَكِنَّ أَبِي مَاتَ وَكَانَ ذَا يَسَارٍ كَثِيرٍ فَلَمْ نَجِدْ لَهُ كَثِيرَ شَيْءٍ فَخِئْتُ أَنْ مَالَهُ مَدْفُونٌ فَعَمَدْتُ إِلَى هَدْمِ الدَّارِ لَعَلِّي أَجِدُ شَيْئًا. فَقَالَ لَهَا بَعْضُ مَنْ حَضَرَ: لَقَدْ فَاتَكَ مَا هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْكَ مِنْ هَذَا. قَالَتْ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: فَلَانَ تَمْضِينَ إِلَيْهِ وَتَسْأَلِينَهُ أَنْ يُبَيِّتَ قِصَّتَكَ اللَّيْلَةَ فَلَعَلَّهُ يَرَى أَبَاكَ فَيَدُلُّكَ عَلَى مَكَانِ مَالِهِ بِلَا تَعَبٍ وَلَا كَلْفَةٍ فَذَهَبْتُ إِلَيْهِ ثُمَّ عَادْتُ إِلَيْنَا فَزَعَمْتُ أَنَّهُ كَتَبَ اسْمَهَا وَاسْمَ أَبِيهَا عِنْدَهُ.

فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَدِّ بَكَرْتُ إِلَى الْعَمَلِ وَجَاءَتِ الْمَرْأَةُ مِنْ عِنْدِ الرَّجُلِ فَقَالَتْ: إِنَّ الرَّجُلَ قَالَ لِي: رَأَيْتَ أَبَاكَ وَهُوَ يَقُولُ: الْمَالُ فِي الْحَيَّةِ<sup>(٢)</sup> قَالَ: فَجَعَلْنَا نَحْفِرُ تَحْتَ الْحَيَّةِ وَفِي جَوَانِبِهَا حَتَّى لَاحَ لِي شِقٌّ وَإِذَا الْمَالُ فِيهِ. قَالَ: فَأَخَذْنَا فِي التَّعَجُّبِ وَالْمَرْأَةُ تَسْتَخْفِ بِمَا وَجَدَتْ وَتَقُولُ: مَالُ أَبِي كَانَ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا وَلَكِنِّي أَعُودُ إِلَيْهِ فَمَضَتْ فَأَعْلَمْتَهُ ثُمَّ سَأَلْتَهُ الْمَعَاوِدَةَ.

(١) قوله: «الفعلة» الفعلة صفة غالبية على عملة الطين والحفر ونحوهما. «لسان العرب»، (فعل).

(٢) وقوله: (الحنية) الحنية القوس، والجمع حنيي وحنايا. «لسان العرب» «حنا». والحنية من البناء ما كان منحنيًا كالقوس.

فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَتْ وَقَالَتْ: إِنَّهُ قَالَ لَهَا أَنَّ أَبَاكَ يَقُولُ لَكَ احْفَظِي تَحْتَ الْحَايِيَةِ الْمُرَبَّعَةِ<sup>(١)</sup> الَّتِي فِي مَخْزَنِ الزَّيْتِ قَالَ فَفَتَحْتُ الْمَخْزَنَ فَإِذَا بِخَايِيَةِ مُرَبَّعَةٍ فِي الرُّكْنِ فَأَزَلْنَاهَا وَحَفَرْنَا تَحْتَهَا فَوَجَدْنَا كَوْزًا كَبِيرًا فَأَخَذْتَهُ. ثُمَّ دَامَ بِهَا الطَّمَعُ فِي الْمَعَاوِدَةِ فَفَعَلْتُ فَرَجَعْتُ مِنْ عِنْدِهِ وَعَلَيْهَا الْكَأَبَةُ فَقَالَتْ: زَعَمَ أَنَّهُ رَأَاهُ وَهُوَ يَقُولُ لَهُ: قَدْ أَخَذْتَ مَا قَدَرْنَا لَهَا وَأَمَّا مَا بَقِيَ فَقَدْ جَلَسَ عَلَيْهِ عَفْرِيَةٌ مِنَ الْجِنَّ يَحْرُسُهُ إِلَى مَا قَدَرْنَا لَهُ.

والحكايات في هذا الباب كثيرة جدًا.

وَأَمَّا مَنْ حَصَلَ لَهُ الشُّفَاءُ بِاسْتِعْمَالِ دَوَاءِ رَأَى مِنْ وَصْفِهِ لَهُ فِي مَنَامِهِ فَكَثِيرٌ جَدًّا. وَقَدْ حَدَّثَنِي غَيْرٌ وَاحِدٍ مِمَّنْ كَانَ غَيْرَ مَائِلٍ إِلَى شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ أَنَّهُ رَأَاهُ بَعْدَ مَوْتِهِ وَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ كَانَ يَشْكُلُ عَلَيْهِ مِنْ مَسَائِلِ الْفَرَائِضِ وَغَيْرِهَا فَأَجَابَهُ بِالصَّوَابِ<sup>(٢)</sup>.

وَبِالْجُمْلَةِ: فَهَذَا أَمْرٌ لَا يُنْكَرُهُ إِلَّا مَنْ هُوَ أَجْهَلُ النَّاسِ بِالْأَرْوَاحِ وَأَحْكَامِهَا وَشَأْنِهَا، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.



<sup>(١)</sup> وقوله: (الحايية) الحايية هي الجرة الضخمة والوعاء الذي يحفظ فيه الماء. "تاج العروس".

<sup>(٢)</sup> قلت: وهذا الموضوع من هذا الكتاب يدل على أن ابن القيم إنما كتبه بعد وفاة شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

## فصل

## وأما المسألة الرابعة

وَهِيَ أَنْ الرَّوحَ هَلْ تَمُوتُ أَمْ الْمَوْتُ لِلْبَدَنِ وَحْدَهُ؟  
اختلف النَّاسُ فِي هَذَا: فَقَالَتْ طَائِفَةٌ: تَمُوتُ الرَّوحُ وَتَذُوقُ الْمَوْتَ؛ لِأَنَّهَا نَفْسٌ وَكُلُّ  
نَفْسٍ ذَائِقَةٌ الْمَوْتِ.

قَالُوا: وَقَدْ دَلَّتِ الْأَدِلَّةُ عَلَى أَنَّهُ لَا يَبْقَى إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ قَالَ تَعَالَى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا  
فَانٍ \* وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ  
هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصاص: ٨٨].

قَالُوا: وَإِذَا كَانَتْ الْمَلَائِكَةُ تَمُوتُ؛ فَالنفوس البشرية أولى بِالْمَوْتِ.  
قَالُوا: وَقَدْ قَالَ تَعَالَى عَنْ أَهْلِ النَّارِ أَنَّهُمْ قَالُوا: ﴿رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأُحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾  
[غافر: ١١]، فَالموتة الأولى هَذِهِ الْمَشْهُودَةُ وَهِيَ لِلْبَدَنِ وَالْأُخْرَى لِلرُّوحِ.

وَقَالَ آخَرُونَ: لَا تَمُوتُ الْأَرْوَاحُ؛ فَإِنَّهَا خَلِقَتْ لِلْبَقَاءِ وَإِنَّمَا تَمُوتُ الْأَبْدَانُ. قَالُوا:  
وَقَدْ دَلَّتْ عَلَى هَذَا الْأَحَادِيثُ الدَّالَّةُ عَلَى نَعِيمِ الْأَرْوَاحِ وَعَذَابِهَا بَعْدَ الْمَفَارِقَةِ إِلَى أَنْ  
يَرْجِعَهَا اللَّهُ فِي أَجْسَادِهَا وَلَوْ مَاتَتْ الْأَرْوَاحُ لَانْقَطَعَ عَنْهَا النَّعِيمُ وَالْعَذَابُ وَقَدْ قَالَ  
تَعَالَى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ \* فَرِحِينَ  
بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ [آل عمران:  
١٦٩-١٧٠]، هَذَا مَعَ الْقَطْعِ بِأَنَّ أَرْوَاحَهُمْ قَدْ فَارَقَتْ أَجْسَادَهُمْ وَقَدْ ذَاقَتْ الْمَوْتَ.

وَالصَّوَابُ أَنْ يُقَالَ: مَوْتُ النَّفْسِ هُوَ مَفَارِقَتُهَا لِأَجْسَادِهَا وَخُرُوجُهَا مِنْهَا، فَإِنْ  
أُرِيدَ بِمَوْتِهَا هَذَا الْقَدْرُ فَهِيَ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنْ أُرِيدَ أَنَّهَا تَعْدَمُ وَتَضْمَحِلُ وَتَصِيرُ عَدَمًا  
مُخْضًا فَهِيَ لَا تَمُوتُ بِهِذَا الْإِعْتِبَارِ بَلْ هِيَ بَاقِيَةٌ بَعْدَ خَلْقِهَا فِي نَعِيمٍ أَوْ عَذَابٍ كَمَا سَيَأْتِي إِنْ

شَاءَ اللهُ تَعَالَى بَعْدَ هَذَا، وَكَمَا صَرَحَ بِهِ النَّصُّ أَنَّهَا كَذَلِكَ حَتَّى يَرُدَّهَا اللهُ فِي جَسَدِهَا<sup>(١)</sup>،  
وَقَدْ نَظَّمَ أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْكِنْدِيُّ<sup>(٢)</sup> هَذَا الْإِخْتِلَافَ فِي قَوْلِهِ:

تَنَازَعَ النَّاسُ حَتَّى لَا اتِّفَاقَ لَهُمْ إِلَّا عَلَى شَجَبٍ وَالْخُلْفِ فِي الشَّجَبِ

فَقِيلَ: تَخْلُصُ نَفْسُ الْمَرْءِ سَالِمَةً وَقِيلَ: تَشْرُكُ جِسْمَ الْمَرْءِ فِي الْعَطَبِ

فَإِنْ قِيلَ: فَعِنْدَ<sup>(٣)</sup> النَّفْخِ فِي الصُّورِ هَلْ تَبْقَى الْأَرْوَاحُ حَيَّةً كَمَا هِيَ أَوْ تَمُوتُ ثُمَّ تَحْيَا؟

قِيلَ: قَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيُنْفِخُ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ

شَاءَ اللهُ﴾ [الزمر: ٦٨]، فَقَدْ اسْتَشْنَى اللهُ سُبْحَانَهُ بَعْضَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ

مِنْ هَذَا الصَّعِقِ.

فَقِيلَ: هُمُ الشُّهَدَاءُ هَذَا قَوْلُ أَبِي هُرَيْرَةَ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ<sup>(٤)</sup>.

<sup>(١)</sup> وَمَنْ قَالَ بِهَذَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ كَمَا فِي «مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى» (٢٧٩/٤) حَيْثُ قَالَ: (وَالْأَرْوَاحُ مَخْلُوقَةٌ بِلَا شَكٍّ وَهِيَ لَا تَعْدُمُ وَلَا تَفْنَى وَلَكِنْ مَوْتُهَا مَفَارِقَةُ الْأَبْدَانِ وَعِنْدَ النَّفْخَةِ الثَّانِيَةِ تَعَادُ الْأَرْوَاحُ إِلَى الْأَبْدَانِ) . وَقَالَ أَيْضًا (٢٧٣/٤): (بَلْ قَدْ ثَبَتَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَاتِّفَاقِ سَلَفِ الْأُمَّةِ أَنَّ الرُّوحَ تَبْقَى بَعْدَ فِرَاقِ الْبَدَنِ وَأَنَّهَا مَنَعْمَةٌ أَوْ مَعَذِبَةٌ) .

<sup>(٢)</sup> هُوَ أَبُو الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي، وَالْبَيْتَانِ فِي دِيْوَانِهِ بِلَفْظِ (تَخَالَفَ النَّاسُ) انظُرْ دِيْوَانَ الْمُتَنَبِّي مَعَ شَرْحِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْبَرْقُوقِيِّ ص (١٤٣) . وَالشَّجَبُ الْهَلَاكُ، وَالْخُلْفُ الْإِخْتِلَافُ .

<sup>(٣)</sup> فِي الْأَصْلِ (فَبَعْدَ) وَفِي (ش) (بَعْدَ)، وَالْمَثْبُوتُ مِنْ (ف) .

<sup>(٤)</sup> أَثَرُ أَبِي هُرَيْرَةَ أَخْرَجَهُ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ فِي «سُنَنِهِ» (٢٢٠/٢) وَابْنُ جُرَيْرٍ (٢٠/٢٠) مِنْ طَرِيقِ هَشِيمِ أَنَا الْعَوَامُ عَنْ مَنْ حَدَّثَهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَيَوْمَ يُنْفِخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ﴾ [النمل: ٨٧]، قَالَ: «هُمُ الشُّهَدَاءُ». وَإِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ؛ لِإِبْهَامِ الرَّاوِي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

\* وَقَدْ جَاءَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» (٢٥٣/٢) فَقَالَ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عِيْسَى بْنِ إِبْرَاهِيمَ ثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْقُبَابِيُّ ثَنَا أَبُو بَكْرٍ وَعِثْمَانُ ابْنَا أَبِي شَيْبَةَ ثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ عَمْرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ زَيْدِ

ابن أسلم عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سأل جبريل عن هذه الآية: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ [الزمر: ٦٨]، من الذين لم يشأ الله أن يصعقهم؟ قال: «هم شهداء الله عز وجل». وإسناده صحيح؛ رجاله كلهم ثقات علي بن عيسى بن إبراهيم، قال البيهقي: هو من ثقات شيوخ شيخنا - كما في "تاريخ ابن عساكر" (٤٢/٤١٩) والحسين بن محمد القباني ثقة حافظ من رجال البخاري، وبقية رجاله رجال الشيخين. أبو أسامة هو حماد بن أسامة. وعمر بن محمد هو ابن زيد بن عبدالله بن عمر بن الخطاب.

\* وللحديث طريق أخرى فيها زيادة أخرجه الواحدي في "الوسيط" (٣/٥٩٣) وأبو يعلى - كما في "المطالب العالية" (٤/١٥٠) من طريق إسماعيل بن عياش عن عمر بن محمد به وزاد في آخره بعد قوله هم الشهداء: «يتقلدون أسيافهم حول العرش». وقد ضعيف العلامة الألباني هذه الزيادة بأمرين: ١- أن إسماعيل بن عياش روايته عن غير الشاميين ضعيفة وهي هنا كذلك فإن عمر بن محمد مدني. ٢- ما حُصِّصَ بقوله: (ويبعد جداً أن يكون حدث بها عمر بن محمد ولا يحفظها أبو أسامة، ويحفظها إسماعيل مع ما فيه من القال والقال ولذلك فإن هذه الزيادة منكورة عندي). انظر "السلسلة الضعيفة" (١١/٧٣٩).

\* وأثر ابن عباس لم أقف عليه مستداً. وقد ذكره عنه بدون إسناد الواحدي في "الوسيط" (٣/٥٩٤) وابن الجوزي في "زاد المسير" (٦/٨٨).

\* وأثر سعيد بن جبیر. أخرجه ابن أبي شيبة (٥/٢٩٨) وهناد في "الزهد" (١٦٤) وسعيد بن منصور (٢٥٦٨) من طرق عن عمارة بن أبي حفصة عن حجر الهجري عن سعيد بن جبیر به. وإسناده ضعيف حجر الهجري روى عنه عمارة بن أبي حفصة وسئل عنه أبو زرعة فقال: لا أعرفه كما في الجرح والتعديل (٣/٢٦٧).

\* وأخرجه ابن جرير (٢٤/٣٠) من طريق عمارة عن ذي حجر اليمحمدي عن سعيد بن جبیر به. وذي حجر هذا لم أجد له ترجمة، ولعله تصحف من حجر الذي في الإسناد المتقدم.

\* وأخرجه عبدالرزاق في "تفسيره" (٢/١٧٥) من طريق عمارة بن أبي حفصة عن رجل عن سعيد بن جبیر به. وهذا المبهم محتمل أنه الذي تقدم في الإسنادين قبله.



وَقِيلَ: هُم جِبْرَائِيلُ، وَمِيكَائِيلُ، وَإِسْرَافِيلُ، وَمَلِكُ الْمَوْتِ، وَهَذَا قَوْلُ مَقَاتِلٍ وَغَيْرِهِ<sup>(١)</sup>.

وَقِيلَ: هُم الَّذِينَ فِي الْجَنَّةِ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ وَغَيْرِهِمْ، وَمَنْ فِي النَّارِ مِنْ أَهْلِ الْعَذَابِ وَخَزَنَتِهَا. قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ بْنِ شَاقِلَةَ مِنْ أَصْحَابِنَا<sup>(٢)</sup>.

(١) أثر مقاتل لم أجدّه مسندًا. وقد عزاه إليه الواحدي في «الوسيط» (٣/٥٩٤).

\* وقد جاء هذا التفسير عن السدي أخرجه ابن جرير (٢٤/٢٩) من طريق أسباط ابن نصر عن السدي به. وأسباط بن نصر فيه ضعف.

\* وجاء مرفوعًا أخرجه ابن جرير (٢٤/٢٩) من طريق الفضل بن عيسى عن عمه يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ [الزمر: ٦٨]، فقيل: من هم الذين استثنى الله يا رسول الله؟ قال: «جبريل وميكائيل وملك الموت...». وهذا إسناد ضعيف جدًا؛ الفضل بن عيسى هو ابن أبان الرقاشي قال أبو زرعة وأبو حاتم: منكر الحديث، وقال ابن عيينة: لا شيء، وقال أبو داود: كان هالكًا، وعمه هو يزيد بن أبان الرقاشي ضعيف، وقد ضعفه الحافظ حجر في «فتح الباري» (١١/٤٥١) فقال: «وجاء نحو هذا مسندًا في حديث أنس أخرجه البيهقي... وسنده ضعيف، وله طريق أخرى عن أنس ضعيفة أيضًا عند الطبري...».

(٢) انظر «زاد المسير» لابن الجوزي (٦/٨٨).

وأبو إسحاق بن شاقلة هو إبراهيم بن أحمد بن عمر بن حمدان بن شاقلة البغدادي البزار شيخ الحنابلة توفي سنة (٣٦٩) انظر «سير أعلام النبلاء» (١٦/٢٩٢).

وهذه الثلاثة الأقوال التي ذكرها هنا، هي ثلاثة من عشرة أقوال ذكرها الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١١/٤٥٠).

\* وقال شيخ الإسلام كما في «مجموع الفتاوى» (١٦/٣٦): «وَأَمَّا الْإِسْتِثْنَاءُ فَهُوَ مُتَنَاوِلٌ لِمَنْ فِي الْجَنَّةِ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ فَإِنَّ الْجَنَّةَ لَيْسَ فِيهَا مَوْتُ وَمُتَنَاوِلٌ لِغَيْرِهِمْ وَلَا يُمَكِّنُ الْجَزْمَ بِكُلِّ مَنْ اسْتِثْنَاهُ اللَّهُ فَإِنَّ اللَّهَ أَطْلَقَ فِي كِتَابِهِ... وَبِكُلِّ حَالِ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ تَوَقَّفَ فِي مُوسَى هَلْ هُوَ دَاخِلٌ فِي الْإِسْتِثْنَاءِ فِيمَنْ اسْتِثْنَاهُ اللَّهُ أَمْ لَا؟ فَإِذَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَمْ يَجْزَمْ بِكُلِّ مَنْ اسْتِثْنَاهُ اللَّهُ لَمْ يُمَكِّنَا أَنْ نَجْزِمَ بِذَلِكَ وَصَارَ هَذَا مِثْلَ الْعِلْمِ بِقُرْبِ السَّاعَةِ وَأَعْيَانِ الْأَنْبِيَاءِ وَأَمثال ذلك مما لم يُخبر به وهذا العلم لا يُنال إلا بالخبر والله أعلم». اهـ

وَقَدْ نَصَّ الإِمَامُ أَحْمَدُ عَلَى أَنَّ الحُورَ العِينِ وَالوُلْدَانَ لَا يَمُوتْنَ عِنْدَ النَفْخِ فِي الصُّورِ<sup>(١)</sup>.  
وَقَدْ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ: ﴿ لَا يَدُوقُونَ فِيهَا المَوْتَ إِلَّا المَوْتَةَ الأُولَى ﴾  
[الدخان: ٥٦]، وَهَذَا نَصٌّ عَلَى أَنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ غَيْرَ تِلْكَ المَوْتَةَ الأُولَى فَلَوْ مَاتُوا مَرَّةً ثَانِيَةً  
لَكَانَتْ مَوْتَتَانِ.

وَأَمَّا قَوْلُ أَهْلِ النَّارِ: ﴿ رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ ﴾ [غافر: ١١]، فَتَفْسِيرُ هَذِهِ  
الآيَةِ الَّتِي فِي البَقَرَةِ وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ  
يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٨]، فَكَانُوا أَمْوَاتًا وَهُمْ نَظْفٌ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ وَفِي

قلتُ: قد صح الخبر عن رسول الله ﷺ أنهم الشهداء كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي تقدم ذكره، وقد صحح هذا القول أبو عبدالله القرطبي في "التذكرة" (١/٢٠٩-٢١٠) فقال: «واختلف العلماء في المستثنى: من هو؟ فقيل الملائكة. وقيل الأنبياء. وقيل الشهداء واختاره الحلبي قال: وهو مروى عن ابن عباس أن الاستثناء لأجل الشهداء. فإن الله تعالى يقول: ﴿ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩]. وضعف غيره من الأقوال على ما يأتي. وقال شيخنا أبو العباس: والصحيح أنه لم يرد في تعيينهم خبر صحيح، والكل محتمل. قلت: قد ورد حديث أبي هريرة بأنهم الشهداء وهو الصحيح على ما يأتي» ا.هـ.

وإذا كان هذا ثابتاً للشهداء فلا يمنع أن يكون ثابتاً في حق الأنبياء أيضاً قال الحافظ ابن حجر في "فتح الباري" (٦/٥٠٤): «وَلَا يُعَارِضُهُ مَا وَرَدَ فِي هَذَا الحَدِيثِ أَنَّ مُوسَى مِمَّنْ اسْتَشْنَى اللهُ لِأَنَّ الأَنْبِيَاءَ أَحْيَاءٌ عِنْدَ اللهِ وَإِنْ كَانُوا فِي صُورَةِ الأَمْوَاتِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى أَهْلِ الدُّنْيَا وَقَدْ ثَبَتَ ذَلِكَ لِلشُّهَدَاءِ وَلَا شَكَّ أَنَّ الأَنْبِيَاءَ أَرْفَعُ رُتْبَةً مِنَ الشُّهَدَاءِ وَوَرَدَ التَّصْرِيحُ بِأَنَّ الشُّهَدَاءَ مِمَّنْ اسْتَشْنَى اللهُ».

(١) نقله عنه أحمد بن جعفر بن يعقوب أبو العباس الإصطخري كما في ترجمته من طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى (١/٢٨) ولفظه: (والجنة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء ولا للهلاك وهما من الآخرة لا من الدنيا والحوار العين لا يمتن عند قيام الساعة ولا عند النفخة ولا أبداً لأن الله عز وجل خلقهن للبقاء لا للفناء ولم يكتب عليهن الموت فمن قال خلاف هذا فهو مبتدع وقد ضل عن سواء السبيل).

أَرْحَامَ أُمَّهَاتِهِمْ ثُمَّ أَحْيَاهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ ثُمَّ أَمَاتَهُمْ ثُمَّ يَجْبِيهِمْ يَوْمَ النُّشُورِ وَلَيْسَ فِي ذَلِكَ إِمَاتَةٌ أَوْ أَحْمَهُمْ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَإِلَّا كَانَتْ ثَلَاثَ مَوْتَاتٍ.

وصعق الأرواح عند النفخ في الصور لا يلزم منه موتها ففي الحديث الصحيح: «أَنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَفِيقُ فَإِذَا مُوسَى أَخَذَ بِقَائِمَةِ الْعَرْشِ فَلَا أَدْرَى أَفَاقَ قَبْلِي أَمْ جُوزِي بِصَعْقَةِ يَوْمِ الطُّورِ»<sup>(١)</sup>.

فهذا صعق في موقف القيامة، إذا جاء الله تعالى لفصل القضاء وأشرقت الأرض بنوره فحينئذ تصعق الخلائق كلهم، قال تعالى: ﴿فَدَرَّهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ [الطور: ٤٥]، ولو كان هذا الصعق موتا لكانت موته أخرى<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه البخاري: (٤٦٣٨) ومسلم: (٢٣٧٤) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) ونبه على هذا أيضاً الحافظ ابن كثير في «النهاية» (١/١٥٨) فقال: «وَهَذَا كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ يَقْتَضِي أَنَّ هَذَا الصَّعَقَ يَكُونُ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ صَعَقٌ آخَرَ غَيْرُ الْمَذْكُورِ فِي الْقُرْآنِ، وَكَأَنَّ سَبَبَ هَذَا الصَّعَقِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ لِتَجَلِّي الرَّبِّ تَعَالَى، إِذَا جَاءَ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ، فَيَصْعَقُ النَّاسُ، كَمَا خَرَّ مُوسَى صَعْقًا يَوْمَ الطُّورِ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ». انتهى. ونبه عليه أيضاً ابن أبي العز في شرح «الطحاوية» ص (٤١٢).

قلت: ومما يؤيد هذا:

١- تردده صلى الله عليه وسلم هل موسى أفاق قبله أو جوزي بصعقة الطور عندما سأل ربه الرؤية، ولو كان المراد صعقة الموت لما تردد صلى الله عليه وسلم لأنه يعلم أن موسى قد مات.

٢- ومما يؤيده أيضاً قوله في بعض روايات البخاري: (٢٤١١): «فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأصعق معهم». فقله: «يوم القيامة». يبين أن هذا الصعق في عرصات القيامة، وأما صعقة الموت فليست يوم القيامة بل هي في الدنيا، وأيضاً قوله: «فأصعق معهم». دليل على أنها صعقة في موقف القيامة وأما صعقة الموت عند النفخ في الصور فرسول الله صلى الله عليه وسلم ليس معهم لأنه قد مات قبل ذلك، والساعة لا تقوم إلا على شرار الخلق.

وَقَدْ تَبَهَ لَهُذَا جَمَاعَةٌ مِنَ الْفَضَّلَاءِ.

فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْقُرْطُبِيُّ<sup>(١)</sup>: ظَاهِرُ هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ هَذِهِ صَعْقَةٌ غَشَى تَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا صَعْقَةُ الْمَوْتِ الْحَادِثَةِ عِنْدَ نَفْخِ الصُّورِ. قَالَ: وَقَدْ قَالَ شَيْخُنَا أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو<sup>(٢)</sup>: وَظَاهِرُ حَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الصَّعْقَةُ إِنَّمَا هِيَ بَعْدَ النَّفْخَةِ الثَّانِيَةِ نَفْخَةُ الْبَعْثِ وَنَصَّ الْقُرْآنُ يَقْتَضِي أَنَّ ذَلِكَ الْإِسْتِثْنَاءُ إِنَّمَا هُوَ بَعْدَ نَفْخَةِ الصَّعْقِ وَلَمَّا كَانَ هَذَا قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مُوسَى مِمَّنْ لَمْ يَمِتْ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَهَذَا بَاطِلٌ.

وَقَالَ الْقَاضِي عِيَاضُ<sup>(٣)</sup>: يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهَذِهِ صَعْقَةُ فَرْعٍ بَعْدَ النُّشُورِ حِينَ تَنْشَقُّ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ قَالَ: فَتَسْتَقِلُّ الْأَحَادِيثُ وَالْآيَاتُ<sup>(٤)</sup>.

٣- ومما يؤيده أيضاً قوله: «فأكون أول من يفيق». فإن الإفاقة معناها القيام من غشي لا من موت. وقد أشار إلى بعض هذه الأوجه ابن القيم رحمه الله فيما سيأتي.

<sup>(١)</sup> هو أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي صاحب كتاب: «التذكرة» والتفسير المسمى: «الجامع لأحكام القرآن» توفي سنة (٦٧١) ترجمته في «شذرات الذهب» (٧/٥٨٤). وكلامه هذا في كتابه «التذكرة»: (١/٢١١).

<sup>(٢)</sup> هو أبو العباس القرطبي، وكلامه هذا في كتابه «المفهم» (٦/٢٣٢)، ونقله ابن القيم من «التذكرة» (١/٢١١-٢١٢).

<sup>(٣)</sup> هو أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض اليحصبي الأندلسي المشهور بـ (القاضي عياض)، صاحب كتاب: «إكمال المعلم بفوائد مسلم»، توفي سنة (٥٤٤). انظر «سير أعلام النبلاء» (١٥/٤٩). وكلامه هذا في كتابه: «إكمال المعلم بفوائد مسلم» (٧/٣٥٧).

<sup>(٤)</sup> في الأصل (الأحاديث والآثار)، والمثبت هنا من (ش) وهو كذلك في «إكمال المعلم» للقاضي عياض (٧/٣٥٧).

وردَّ عَلَيْهِ أَبُو الْعَبَّاسِ الْقُرْطُبِيُّ <sup>(١)</sup> فَقَالَ: يرد هذا قَوْلُهُ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «أَنَّهُ حِينَ يَخْرُجُ مِنْ قَبْرِهِ يَلْقَى مُوسَى آخِذًا بِقَائِمَةِ الْعَرْشِ» قَالَ: وَهَذَا إِنَّمَا هُوَ عِنْدَ نَفْخَةِ الْبَعْثِ <sup>(٢)</sup>.

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: وَقَالَ شَيْخُنَا أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو: وَالَّذِي يَزِيحُ هَذَا الْإِشْكَالَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ الْمَوْتَ لَيْسَ بِعَدَمٍ مَحْضٍ وَإِنَّمَا هُوَ انْتِقَالٌ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ الشُّهَدَاءَ بَعْدَ قَتْلِهِمْ وَمَوْتِهِمْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْزُقُونَ فَرِحِينَ مُسْتَبْشِرِينَ وَهَذِهِ صِفَةُ الْأَحْيَاءِ فِي الدُّنْيَا وَإِذَا كَانَ هَذَا فِي الشُّهَدَاءِ كَانَ الْأَنْبِيَاءُ بِذَلِكَ أَحَقَّ وَأَوْلَى مَعَ أَنَّهُ قَدْ صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ الْأَرْضَ لَا تَأْكُلُ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ <sup>(٣)</sup>.

<sup>(١)</sup> هو أحمد بن عمر بن إبراهيم الأنصاري أبو العباس القرطبي صاحب كتاب: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» شيخ القرطبي المتقدم توفي سنة (٦٦٥). انظر «شذرات الذهب» (٧/٤٧٣). وكلامه هذا، وكلام القاضي عياض نقله ابن القيم من «التذكرة» (١/٢١١-٢١٢).

<sup>(٢)</sup> في المخطوطتين (نفخة الفزع)، والمثبت هنا من «المفهم» و«التذكرة».

<sup>(٣)</sup> (صحيح) أخرجه أحمد: (٨/٤)، وأبو داود: (١٠٤٧)، والنسائي: (١٣٧٤)، وغيرهم من طرق عن حسين بن علي الجعفي عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن أبي الأشعث الصنعاني عن أوس بن أوس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مَطْوَلًا فِيهِ: «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ»، وهذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات، أبو الأشعث الصنعاني هو شراحيل بن أدة.

وقد أعلَّ أبو حاتم الرازي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، هذا الحديث - كما في «العلل» لولده (١/١٩٧) بعللة لا تتقدح فيه، وقد دافع عنه ابن القيم في «جلاء الأفهام» (٧٧-٨٧) وذكر له شواهد تدل على ثبوته، وكذلك دافع عنه العلامة الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٤/٢١٤).

وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اجْتَمَعَ بِالْأَنْبِيَاءِ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ فِي بَيْتِ الْمَقْدَسِ وَفِي السَّمَاءِ وَخُصُوصًا بِمُوسَى <sup>(١)</sup>.

وَقَدْ أَخْبَرَ بِأَنَّهُ مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَسْلَمُ عَلَيْهِ إِلَّا رَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ رُوحَهُ حَتَّى يَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ <sup>(٢)</sup>.

إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَحْصُلُ مِنْ جَمَلَتِهِ الْقَطْعُ بِأَنَّ مَوْتَ الْأَنْبِيَاءِ إِنَّمَا هُوَ رَاجِعٌ إِلَى أَنْ غُيِّبُوا عَنَّا بِحَيْثُ لَا نَدْرِكُهُمْ، وَإِنْ كَانُوا موجودين أحياء، وَذَلِكَ كَالْحَالِ فِي الْمَلَائِكَةِ فَإِنَّهُمْ أحياء موجودون وَلَا نراهم <sup>(٣)</sup>.

<sup>(١)</sup> جاء عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم منهم:

أبو هريرة رضي الله عنه أخرجه البخاري: (٣٤٣٧)، ومسلم: (١٦٨).

مالك بن صعصعة رضي الله عنه أخرجه البخاري: (٣٢٠٧)، ومسلم: (١٦٤).

أبو ذر الغفاري رضي الله عنه أخرجه البخاري: (٣٤٩)، ومسلم: (١٦٣).

أنس بن مالك رضي الله عنه أخرجه البخاري: (٧٥١٧)، ومسلم: (١٦٢). وغيرهم.

وقد جمع طرق حديث الإسراء ابن كثير رضي الله عنه في أول تفسير سورة الإسراء من تفسيره، وللعلامة الألباني رضي الله عنه في ذلك رسالة مفردة لم يتمها.

<sup>(٢)</sup> (حسن) أخرجه أحمد: (٥٢٧/٢)، أبو داود: (٢٠٤١)، من طريق عبد الله بن يزيد المقرئ حدثنا حيوه

حدثني أبو صخر أن يزيد بن عبد الله بن قسيط أخبره عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكره.

وإسناده حسن رجال ثقات رجال الشيخين غير أبي صخر وهو حميد بن زياد بن أبي المخارق الخراط فهو صدوق.

<sup>(٣)</sup> ولكنهم قد ذاقوا الموت الذي كتبه الله عليهم، وعاینوه ووجدوا من شدائده، وكونهم أحياء في البرزخ فهذه حياة برزخية الله أعلم بكييفيتها، ولا تماثل الحياة الدنيا.

وللشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين تعليق على هذا الموضوع قال فيه: «وقوله «إن موت الأنبياء إنما هو راجع إلى أن غُيِّبُوا عَنَّا... إلخ» مقتضى هذا الكلام أنهم لم يذوقوا الموت وإنما هو مجرد تغييب كتغييب الملائكة عَنَّا وهذا باطل، ونصوص الكتاب والسنة صريحة في أنهم ماتوا. وابن القيم رضي الله عنه - ردَّ هذا القول

وَإِذَا تَقَرَّرَ أَنَّهُمْ أَحْيَاءُ فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةَ الصَّعْقِ صَعَقَ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ فَأَمَّا صَعَقَ غَيْرَ الْأَنْبِيَاءِ فَمُوتٌ وَأَمَّا صَعَقَ الْأَنْبِيَاءِ فَلَا يَظْهَرُ أَنَّهُ غَشِيَةٌ فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةَ الْبَعْثِ فَمَنْ مَاتَ حَيًّا وَمَنْ غَشِيَ عَلَيْهِ أَفَاقٌ وَلِذَلِكَ قَالَ فِي الْحَدِيثِ الْمُتَّفَقِ عَلَى صِحَّتِهِ: «فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَفِيقُ» فَبَيْنَمَا أَوَّلَ مَنْ يَخْرُجُ مِنْ قَبْرِهِ قَبْلَ جَمِيعِ النَّاسِ إِلَّا مُوسَى فَإِنَّهُ حَصَلَ فِيهِ تَرَدُّدٌ هَلْ بَعَثَ قَبْلَهُ مِنْ غَشِيَتِهِ أَوْ بَقِيَ عَلَى الْحَالَةِ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا قَبْلَ نَفْخَةِ الصَّعْقِ مَفِيقًا لِأَنَّهُ حُوسِبَ بِصَعْقَةِ يَوْمِ الطُّورِ وَهَذِهِ فَضِيلَةٌ عَظِيمَةٌ لِمُوسَى وَلَا يَلْزَمُ مِنْ فَضِيلَةٍ وَاحِدَةٍ أَفْضَلِيَّةٌ عَلَى نَبِينَا مُطْلَقًا؛ لِأَنَّ الشَّيْءَ الْجَزْئِيَّ لَا يُوجِبُ أَمْرًا كَلِيًّا. انْتَهَى.

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْقُرْطُبِيُّ: إِنَّ حُجْلَ الْحَدِيثِ عَلَى صَعْقَةِ الْخَلْقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلَا إِشْكَالَ، وَإِنْ حُجِلَ عَلَى صَعْقَةِ الْمَوْتِ عِنْدَ النَّفْخِ فِي الصُّورِ فَيَكُونُ ذِكْرُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَرَادًا بِهِ أَوَائِلُهُ<sup>(١)</sup>، فَالْمَعْنَى إِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةَ الْبَعْثِ كُنْتُ أَوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ فَإِذَا مُوسَى أَخَذَ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ فَلَا أَدْرَى أَفَاقَ قَبْلِي أَمْ جُوزِي بِصَعْقَةِ الطُّورِ.

قُلْتُ: وَحَمَلُ الْحَدِيثِ عَلَى هَذَا لَا يَصِحُّ لِأَنَّهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تَرَدَّدَ هَلْ أَفَاقَ مُوسَى قَبْلَهُ أَمْ لَمْ يَصَعُقْ بَلْ جُوزِي بِصَعْقَةِ الطُّورِ، فَالْمَعْنَى لَا أَدْرَى أَصَعُقُ أَمْ لَمْ يَصَعُقْ وَقَدْ قَالَ فِي الْحَدِيثِ: «فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَفِيقُ» وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَصَعُقُ فَيَمُنُّ يَصَعُقُ وَأَنَّ التَّرَدُّدَ

في الكافية أحسن ردًّا، وإنما لم يتكلم على ذلك هنا لأنه ليس بصدد هذه المسألة». انتهى. نقلًا عن حاشية «الروح» طبعة دار عالم الفوائد (١٠٢/١).

قلتُ: كلام ابن القيم الذي أشار إليه الشيخ، هو في النونية الأبيات رقم (٢٨٣٩-٢٩٧٣).

<sup>(١)</sup> ليس هذا من كلام القرطبي، وإنما هو كلام الحلبي في «المنهاج» (٤٣٢/١) نقله عنه القرطبي كما تراه في «التذكرة».

حصل في موسى هل صعق وأفاق قبله من صعقته أم لم يصعق ولو كان المراد به الصعقة الأولى وهي صعقة موت لكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد جزم بموته وتردد هل مات موسى أو لم يموت وهذا باطل لوجوه كثيرة.

فعلم أنّها صعقة فزع لا صعقة موت وحينئذ فلا تدل الآية على أن الأرواح كلها تموت عند النفخة الأولى. نعم تدل على موت الخلائق عند النفخة الأولى وكل من لم يذق الموت قبلها فإنه يذوقه حينئذ، وأما من ذاق الموت أو من لم يكتب عليه الموت فلا تدل الآية على أنه يموت موتة ثانية، والله أعلم.

فإن قيل: فكيف تصنعون بالحديث: «إن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من تنشق عليه الأرض فأجد موسى باطشا بقائمة العرش»<sup>(١)</sup>.

قيل: لا ريب أن هذا اللفظ قد ورد هكذا ومنه نشأ الإشكال ولكنه دخل فيه على الراوي حديث في حديث فركب بين اللفظين فجاء هذا، والحديثان هكذا:

أحدهما: «إن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق»<sup>(٢)</sup>.

والثاني هكذا: «أنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة».

ففي الترمذي وغيره من حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ آدم

<sup>(١)</sup> بهذا اللفظ أخرجه البخاري: (٢٤١٢) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

<sup>(٢)</sup> أخرجه البخاري: (٤٦٣٨)، ومسلم: (٢٣٧٤) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأخرجه البخاري: (٢٤١١)، ومسلم: (٢٣٧٣/٦١٥٣) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



فَمَنْ سِوَاهُ إِلَّا تَحْتَ لِيَوَائِي، وَأَنَا أُولُ مِنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ وَلَا فَخْرُ» قَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ<sup>(١)</sup>.

فَدَخَلَ عَلَى الرَّوَايِ هَذَا الْحَدِيثُ فِي الْحَدِيثِ الْآخَرَ، كَانَ شَيْخَنَا أَبُو الْحَجَّاجِ الْحَافِظُ يَقُولُ ذَلِكَ<sup>(٢)</sup>.

فَإِنْ قِيلَ: فَمَا تَصْنَعُونَ بِقَوْلِهِ: «فَلَا أَدْرَى أَفَاقَ قَبْلِي أَمْ كَانَ مِمَّنْ اسْتَشْنَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ»<sup>(٣)</sup>، وَالَّذِينَ اسْتَشْنَاهُمُ اللَّهُ إِنَّهَا هُمْ مُسْتَشْنُونَ مِنْ صَعْقَةِ النَّفْخَةِ لَا مِنْ صَعْقَةِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨]، وَلَمْ يَقَعْ الْإِسْتِشْنَاءُ مِنْ صَعْقَةِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟

<sup>(١)</sup> (صحيح بشواهده) أخرجه الترمذي: (٣١٤٨)، وابن ماجه (٤٣٠٨)، وأحمد: (٢/٣) من طريق علي بن زيد بن جدعان عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وهذا إسناد ضعيف؛ لضعف علي بن زيد بن جدعان. ولكن الحديث له شواهد كثيرة منها:

\* حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أحمد: (١٤٤/٣) بإسناد جيد.

\* ومنها حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في صحيح مسلم: (٢٢٧٨) بلفظ قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع». وله شواهد أخرى انظرها في حاشية مسند أحمد: (١١/١٧) طبعة الرسالة. فالحديث صحيح بهذه الشواهد والله أعلم.

<sup>(٢)</sup> وعن نبيه على هذا أيضاً الحافظ ابن كثير في «النهاية» (١/١٥٨) حيث قال: «فذكر موسى في هذا السياق ولعله من بعض الرواة دخل عليه حديث في حديث فإن الترديد هنا لا يظهر وجهه لا سيما قوله: «أم جوزي بصعقة الطور»». ونقله عن هؤلاء الأئمة -مقرراً له- ابن أبي العز في شرح «الطحاوية» ص (٤١٣). وبهذا يزول الإشكال.

<sup>(٣)</sup> أخرجه بهذا اللفظ البخاري: (٢٤١١) ومسلم: (٢٣٧٣/٦١٥٣) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قيل: هَذَا - وَاللَّهِ أَعْلَمُ - غَيْرُ مَحْفُوظٍ وَهُوَ وَهْمٌ مِنْ بَعْضِ الرُّوَاةِ، وَالْمَحْفُوظُ مَا تَوَاطَأَتِ الرُّوَايَاتُ الصَّحِيحَةَ مِنْ قَوْلِهِ: «فَلَا أُدْرِي أَفَاقَ قَبْلِي أَمْ جُوزِي بِصَعْقَةِ الطَّوْرِ» فَظَنَّ بَعْضُ الرُّوَاةِ أَنَّ هَذِهِ الصَّعْقَةُ هِيَ صَعْقَةُ النَّفْخَةِ، وَأَنَّ مُوسَى دَاخِلٌ فِيْمَنْ اسْتَشْنَى مِنْهَا وَهَذَا لَا يَلْتَمُّ عَلَى مَسَاقِ الْحَدِيثِ قَطْعًا؛ فَإِنَّ الْإِفَاقَةَ حِينَئِذٍ هِيَ إِفَاقَةُ الْبَعْثِ فَكَيْفَ يَقُولُ: «لَا أُدْرِي أُبْعَثُ قَبْلِي أَمْ جُوزِي بِصَعْقَةِ الطَّوْرِ» فَتَأَمَّلْهُ. وَهَذَا بِخِلَافِ الصَّعْقَةِ الَّتِي يَصْعَقُهَا الْخَلَائِقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا جَاءَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ وَتَجَلَّى لَهُمْ فَإِنَّهُمْ يَصْعَقُونَ جَمِيعًا، وَأَمَّا مُوسَى فَإِنْ كَانَ لَمْ يَصْعَقْ مَعَهُمْ فَيَكُونُ قَدْ حُوسِبَ بِصَعْقَتِهِ يَوْمَ تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ فَجَعَلَهُ دَكَا، فَجَعَلَتْ صَعْقَةُ هَذَا التَّجَلِّيِ عَوْضًا مِنْ صَعْقَةِ الْخَلَائِقِ لِتَجَلِّيِ الرَّبِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَتَأَمَّلْ [هَذَا الْمَعْنَى الْعَظِيمَ وَلَوْ] لَمْ يَكُنْ فِي الْجَوَابِ إِلَّا كَشَفَ هَذَا الْحَدِيثِ وَشَأْنَهُ لَكَانَ حَقِيقًا أَنْ يَعْضَ عَلَيْهِ بِالنَّوَاجِذِ، وَاللَّهُ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ وَبِهِ التَّوْفِيقُ.



## فصل

## وأما المسألة الخامسة

وهي: أن الأرواح بعد مفارقة الأبدان إذا تجردت بأي شيء يتمييز بعضها من بعض حتى تتعارف وتتلاقى؟ وهل تشكّل إذا تجردت بشكل بدنها الذي كانت فيه وتلبس صورته أم كيف يكون حالها؟

هذه مسألة لا تكاد تجد من تكلم فيها، ولا تظفر فيها من كتب الناس بطائل ولا غير طائل، ولا سيما على أصول من يقول بأنّها مجردة عن المادة وعلائقها وليست بداخل العالم ولا خارجه ولا [لها] شكل ولا قدر ولا شخص فهذا السؤال على أصولهم بما لا جواب لهم عنه<sup>(١)</sup>.

وكذلك من يقول: هي عرض من أعراض البدن فتمييزها عن غيرها مشروط بقيامها ببدنها فلا تمييز لها بعد الموت، بل لا وجود لها على أصولهم، بل تعدم وتبطل باضمحلال البدن كما تبطل سائر صفات الحي<sup>(٢)</sup>.

ولا يمكن جواب هذه المسألة إلا على أصول أهل السنة التي تظاهرت عليها أدلة القرآن والسنة والآثار والإعتبار والعقل، والقول أنّها ذات قائمة بنفسها تصعد وتنزل وتتصل وتنفصل وتخرج وتذهب وتحيى وتتحرك وتسكن<sup>(٣)</sup> وعلى هذا أكثر من مائة

(١) وهذا قول طوائف من أهل الفلسفة. انظر التدمرية ص (٥١) ت / السعوي.

(٢) وهذا قول طوائف من أهل الكلام. انظر التدمرية ص (٥٠-٥١).

(٣) انظر التدمرية ص (٥٥-٥٦).

دليل قد ذكرناها في كتابنا الكبير: «في معرفة الروح والنفس»<sup>(١)</sup> وبيننا بطلان ما خالف هذا القول من وجوه كثيرة، وأن من قال غيره لم يعرف نفسه.

وقد وصفها الله سبحانه وتعالى بالدُّخُولِ وَالخُرُوجِ وَالقَبْضِ وَالتَّوْفِي وَالرُّجُوعِ وَصعودها إِلَى السَّمَاءِ، وَفَتْحَ أَبْوَابِهَا لَهَا وَغَلَقَهَا عَنْهَا فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ﴾ [الأنعام: ٩٣]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً \* فَادْخُلِي فِي عِبَادِي \* وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠]. وَهَذَا يُقَالُ لَهَا عِنْدَ المَفَارِقَةِ للجسد، وقال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا \* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس: ٧-٨].

فأخبر أنه سوى النفس كما [أخبر أنه] سوى البدن في قوله: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار: ٧]، فَهُوَ سُبْحَانَهُ سَوَىٰ نَفْسِ الْإِنْسَانِ كَمَا سَوَىٰ بَدَنَهُ بِلِ سَوَىٰ بَدَنِهِ كَالْقَالِبِ لِنَفْسِهِ فَتَسْوِيَةُ الْبَدَنِ تَابِعٌ لَتَسْوِيَةِ النَّفْسِ وَالبَدَنِ مَوْضُوعٌ لَهَا كَالْقَالِبِ لِمَا هُوَ مَوْضُوعٌ لَهُ.

وَمِنْ هَا هُنَا يَعْلَمُ: أَنَّهَا تَأْخُذُ مِنْ بَدَنِهَا صُورَةَ تَتَمَيَّزُ بِهَا عَنْ غَيْرِهَا فَإِنَّهَا تَتَأَثَّرُ وَتَتَنَقَّلُ عَنِ الْبَدَنِ كَمَا يَتَأَثَّرُ الْبَدَنُ وَيَتَنَقَّلُ عَنْهَا فَيَكْتَسِبُ الْبَدَنُ الطَّيِّبَ وَالخَبِيثَ مِنْ طَيِّبِ النَّفْسِ وَخَبِيثَهَا وَتَكْتَسِبُ النَّفْسُ الطَّيِّبَ وَالخَبِيثَ مِنْ طَيِّبِ الْبَدَنِ وَخَبِيثِهِ، فَأَشَدُّ الْأَشْيَاءِ اِرْتِبَاطًا وَتَنَاسُبًا وَتَفَاعُلًا وَتَأَثُّرًا مِنْ أَحَدِهِمَا بِالْآخَرِ الرُّوحِ وَالبَدَنِ وَهَذَا يُقَالُ لَهَا عِنْدَ

<sup>(١)</sup> وهذا الكلام يفيد أن لابن القيم رحمته الله كتابا في الروح غير هذا الكتاب وأكبر منه، وقد ذكره في عدة مواضع من كتبه منها «مفتاح دار السعادة» (١/١٠٥) وسماه: «الروح والنفس وأحوالها وشقاوتها وسعادتها ومقرها بعد الموت».

المُفَارَقَةَ: «أَخْرَجِي أَيْتَهَا الرُّوحَ الطَّيِّبَةَ كَانَتْ فِي الجَسَدِ الطَّيِّبِ النَّفْسَ وَأَخْرَجِي أَيْتَهَا الرُّوحَ الخَبِيثَةَ كَانَتْ فِي الجَسَدِ الخَبِيثِ»<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ اللهُ يَتَوَقَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالتِّي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيَّهَا المَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ﴾ [الزمر: ٤٢].

فوصفها بالتوفي والإمساك والإرسال كما وصفها بالدُّخُولِ والخُرُوجِ والرُّجُوعِ والتسوية وقد أخبر النبي ﷺ: «أَنْ بَصَرَ المَيِّتَ يَتَّبِعُ نَفْسَهُ إِذَا قَبِضَتْ»<sup>(٢)</sup>.

وَأَخْبَرَ: «أَنَّ المَلِكَ يَقْبِضُهَا فَتَأْخُذُهَا المَلَأَيْكَةُ مِنْ يَدِهِ فَيُوجَدُ لَهَا كَأَطِيبِ نَفْخَةِ مَسْكَ وَجَدْتَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ أَوْ كَأَنَّ رِيحَ جَيْفَةٍ وَجَدْتَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ»<sup>(٣)</sup>. والأعراض لَا رِيحَ لَهَا وَلَا تَمْسُكُ وَلَا تُؤْخَذُ مِنْ يَدٍ إِلَى يَدٍ.

وَأَخْبَرَ: «أَنَّهَا تَصْعَدُ إِلَى السَّمَاءِ، وَيَصِلُ عَلَيْهَا كُلُّ مَلِكٍ اللهُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، وَأَنَّهَا تَفْتَحُ لَهَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ، فَتَصْعَدُ مِنْ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ، حَتَّى يُنْتَهَى بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي فِيهَا اللهُ عِزٌّ وَجَلٌّ فَتُوقَفُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَيَأْمُرُ بِكِتَابَةِ اسْمِهِ فِي دِيْوَانِ أَهْلِ عِلِّيْنِ أَوْ دِيْوَانِ

<sup>(١)</sup> (صحيح) أخرجه أحمد: (٣٦٤/٢)، والنسائي في الكبرى (١١٤٤٢)، وابن ماجه (٤٢٦٢) من طرق عن ابن أبي ذئب عن محمد بن عمرو بن عطاء عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ به. وإسناده صحيح؛ رجاله رجال الشيخين. ابن أبي ذئب هو محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة.

<sup>(٢)</sup> أخرجه مسلم: (٩٢٠) عن أم سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

وأخرجه أيضاً (٩٢١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

<sup>(٣)</sup> (صحيح) قطعة من حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أخرجه أحمد: (٢٨٧/٤)، وابن أبي شيبة (٣٨٠/٣) من طريق أبي معاوية عن الأعمش عن منهل بن عمرو عن زاذان عن البراء عن النبي ﷺ به. وإسناده صحيح؛ رجاله ثقات رجال الصحيح، أبو معاوية هو محمد بن خازم الضرير، وزاذان هو أبو عمر ويكنى أبا عبد الله البزاز. وسيأتي الحديث بطوله في أول المسألة السادسة.

أهل سِجِّين، ثُمَّ تَرُدُّ إِلَى الْأَرْضِ وَإِنَّ رُوحَ الْكَافِرِ تَطْرَحُ طَرَحًا وَأَنَّهَا تَدْخُلُ مَعَ الْبَدَنِ فِي قَبْرِهَا لِلسُّؤَالِ»<sup>(١)</sup>.

وَقَدْ أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ: «بَانَ نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ - وَهِيَ رُوحُهُ - طَائِرٌ يَعْلُقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرُدَّهَا اللَّهُ إِلَى جَسَدِهَا»<sup>(٢)</sup>.

وَأَخْبَرَ: «أَنَّ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ فِي حَوَاصِلِ طَيْرٍ خَضِرٍ تَرُدُّ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ وَتَأْكُلُ مِنْ ثَمَارِهَا»<sup>(٣)</sup>.

وَأَخْبَرَ: «أَنَّ الرُّوحَ تَنْعَمُ وَتَعَذِّبُ فِي الْبَزْخِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»<sup>(٤)</sup>.

وَقَدْ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ عَنِ أَرْوَاحِ قَوْمٍ فِرْعَوْنُ أَتَتْهَا تَعْرِضُ عَلَى النَّارِ غَدَوْا وَعَشِيَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَقَدْ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ عَنِ الشُّهَدَاءِ بِأَتَمِّهِمْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْزُقُونَ، وَهَذِهِ حَيَاةُ أَرْوَاحِهِمْ وَرِزْقُهَا دَارًا، وَإِلَّا فَالْأَبْدَانُ قَدْ تَمَزَّقَتْ وَقَدْ فَسَّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الْحَيَاةَ:

<sup>(١)</sup> قطعة من حديث البراء المتقدم، وهو حديث صحيح إلا قوله: «ويصلي عليها كل ملك لله بين السماء والأرض». فهذه الزيادة عند أحمد: (٢٩٥/٤) وغيره من طريق يونس بن خباب عن المنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء. ويونس بن خباب منكر الحديث كما قال البخاري، بل قد كُذِّب. وخالفه الأعمش كما تقدم فرواه عن المنهال به دون هذه الزيادة فهي زيادة منكورة والله أعلم.

<sup>(٢)</sup> (صحيح) أخرجه أحمد: (٤٥٥/٣) فقال حدثنا محمد بن إدريس الشافعي عن مالك عن ابن شهاب عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك أنه أخبره أن أبا كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يحدث عن رسول الله ﷺ به. وهذا إسناد صحيح مسلسل بالأئمة حتى قال ابن كثير في تفسير الآية (١٦٩) من سورة آل عمران: «وهو بإسناد صحيح عزيز عظيم اجتمع فيه ثلاثة من الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المتبعة». وقال في تفسير الآية (٨٩) من سورة الواقعة: (وهذا إسناد عظيم ومتن قويم).

<sup>(٣)</sup> (صحيح) أخرجه أحمد وأبو داود والحاكم عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وسيأتي بطوله بعد أسطر.

<sup>(٤)</sup> (صحيح) قطعة من حديث البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

«بأن أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل فأطلع إليهم ربهم اطلاعة فقال: هل تشتهون شيئاً؟ قالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا. فعل بهم ذلك ثلاث مرّات فلما رأوا أنهم لن يتركوها من أن يسألوا قالوا: نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى»<sup>(١)</sup>.

وَصَحَّ عَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أن أرواح الشهداء في طير خضر تعلق من ثمر الجنة». <sup>(٢)</sup> وتعلق بضم اللام: أي تأكل العلقة.

وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش فلما وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم وحسن مقيلهم قالوا: يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله لنا؛ لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب فقال الله

<sup>(١)</sup> أخرجه مسلم: (١٨٨٧) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

<sup>(٢)</sup> (صحيح) أخرجه الترمذي: (١٦٤١) فقال: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، عَنْ الزُّهْرِيِّ، عَنْ ابْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ فِي طَيْرٍ خَضِرٍ تَعْلُقُ مِنْ ثَمَرَةِ الْجَنَّةِ أَوْ شَجَرِ الْجَنَّةِ». وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم؛ ابن أبي عمر هو محمد بن يحيى العدني وثقه ابن معين والدارقطني وكان ملازماً لابن عيينة، وعمرو بن دينار هو المكبي من رجال الجماعة، وابن كعب بن مالك هو عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب ثقة عالم نسب إلى جده.

\* وللحديث شواهد منها حديث ابن مسعود الذي قبله، وحديث ابن عباس الذي بعده، والله أعلم.  
قوله: «تعلق من ثمر الجنة». قال في «تحفة الأحوذني» (٥/ ٢٦٢): «تعلق» قال المُنْذِرِيُّ: بفتح المثناة فوق وعينٍ مَهْمَلَةٍ وَضَمِّ اللَّامِ أَي: تَرَعَى مِنْ أَعَالِي شَجَرِ الْجَنَّةِ أَنْتَهَى. وَقَالَ فِي النَّهَائِيَةِ: أَي تَأْكُلُ وَهُوَ فِي الْأَصْلِ لِلإِبِلِ إِذَا أَكَلَتِ الْعِصَاةَ، يُقَالُ: عَلِقْتُ تَعْلُقُ عَلُوًّا فَتَقِيلُ إِلَى الطَّيْرِ أَنْتَهَى». انتهى.

عزَّ وَجَلَّ أَنَا أَبْلَغُهُمْ عَنْكُمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى رَسُولِهِ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، [الآيات]، رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ<sup>(١)</sup>.

<sup>(١)</sup> (صحيح لغيره) أخرجه أحمد: (٢٦٦/١)، وأبو داود: (٢٥٢٠)، والحاكم (٨٨/٢)، والواحدي في أسباب النزول (١٠٩) وغيرهم من طرق عن عبد الله بن إدريس عن محمد بن إسحاق عن إسماعيل بن أمية عن أبي الزبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا به. \* وهذا الحديث قد اختلف في إسناده:

فرواه عبد الله بن إدريس عن محمد بن إسحاق عن إسماعيل بن أمية عن أبي الزبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. فذكر سعيد بن جبير بين أبي الزبير وابن عباس - وخالفه ابن المبارك في كتاب الجهاد له ص (٦٠)، وإبراهيم بن سعد الزهري عند أحمد: (١/٢٦٥-٢٦٦)، ومحمد بن فضيل عند ابن أبي شيبة (٥/٢٩٤)، وإسماعيل بن عياش عند الطبري (٤/١٧٠) أربعتهم رووا الحديث عن محمد بن إسحاق عن إسماعيل بن أمية عن أبي الزبير عن ابن عباس به - دون ذكر سعيد بن جبير -

قال الدار قطني - كما في "أطراف الغرائب" (٣/١٨٧): «تفرد به عبد الله بن إدريس عن محمد بن إسحاق عن إسماعيل بن أمية عن أبي الزبير عن سعيد بن جبير. وغيره يرويه عن ابن إسحاق لا يذكرون فيه سعيد بن جبير». انتهى. فعلى هذا فالمحفوظ عن أبي الزبير عن ابن عباس دون ذكر سعيد بن جبير والله أعلم. على أن ابن كثير في تفسير الآية (١٧٠) من سورة آل عمران لما ذكر الطريق التي فيها زيادة سعيد ابن جبير قال: «وهذا أثبت». إلا أن النفس تطمئن لترجيح رواية الجماعة وإليه يشير كلام الدار قطني.

وعلى كل حال فأبو الزبير قد روى عن ابن عباس مباشرة، وروى عنه بواسطة سعيد بن جبير، وسأعنه ثابت من الجميع قال الترمذي في "العلل الكبير" (١/٣٨٨): «سألت محمداً وقلت له: أبو الزبير سمع من عائشة وابن عباس؟ فقال: أمّا ابن عباس فنعم، وإنّ في سماعه من عائشة نظراً».

وقال العلاءي في "جامع التحصيل" ص (٢٦٩): «حديثه عن ابن عمر وابن عباس وعائشة في صحيح مسلم». وقال الذهبي في "الميزان" (٤/٣٧): «وروايته عن عائشة وابن عباس في الكتب إلا البخاري». وقال ابن حجر في "تغليق التعليق" (٣/٩٩): «وأما سماعه من ابن عباس فثابت والله أعلم، نعم ربما روى عنه بواسطة كما روى مسلم حديث التشهد من طريقه عن سعيد بن جبير وغيره عن ابن عباس».



وفي "تحفة التحصيل" ص (٢٨٧) : «قال سفيان بن عيينة يقولون: أبو الزبير لم يسمع من ابن عباس... وقال أبو حاتم: رأى ابن عباس رؤية».

قلت: قد أثبت سماعه منه البخاري والأئمة بعده، وأما ابن عيينة فإنما قال: يقولون. والمثبت مقدم على النافي. \* إذا تبين هذا فرجع إلى إسناد الحديث نجد أن فيه علتين :

١- عنعنة ابن إسحاق.

٢- عنعنة أبي الزبير. وكلاهما مدلس.

- فأما عنعنة ابن إسحاق فإنه قد صرح بالتحديث عند أحمد: (١/ ٢٦٥-٢٦٦)، وابن المبارك في الجهاد ص (٦٠)، وابن المنذر في تفسيره (٢/ ٤٩٠) فانفتت العلة الأولى والحمد لله.

- بقي في الإسناد عنعنة أبي الزبير. على أن ابن المبارك قد أخرجه في الجهاد ص (٦٠) عن أبي الزبير وغيره عن ابن عباس. فهذه الرواية تشير إلى وجود متابع لأبي الزبير.

وذكره أيضًا الثعلبي في "تفسيره" (٢/ ١٨٣) فقال: «وروى ابن الزبير وعطاء ابن أبي رباح عن ابن عباس به». فهذه متابعة من عطاء إلا أنه يحتاج إلى نظر في إسنادها ولم أقف عليه. وقوله هنا: «وروى ابن الزبير» كأنه تصحّف من أبي الزبير. والله أعلم.

ووجدت له متابعًا آخر، فقد ذكره ابن أبي زمنين في "تفسيره" (١/ ٣٣٣) عن يحيى بن سلام عن خالد عن أبي عبد الرحمن عن أبي صالح عن ابن عباس به. وأبو صالح هو باذام ويقال باذان ضعيف صالح في المتابعات، إلا أن في الإسناد إليه من لم يتبين لي من هو.

وذكر ابن كثير في تفسيره أن للحديث طريقًا أخرى فقال: «وكذا رواه سفيان الثوري عن سالم الأفطس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس». ولم أقف عليه بهذا السياق، والذي وقفت عليه ما رواه ابن أبي شيبة (٥/ ٣٢١-٣٢٢)، والواحدي في أسباب النزول عن (١١٠) من طريق وكيع عن سفيان عن سالم الأفطس عن سعيد بن جبير فذكره مرسلًا دون ذكر ابن عباس. وهو مرسل صحيح الإسناد رجاله كلهم ثقات فيكون شاهدًا لحديث ابن عباس.

وللحديث شواهد كثيرة منها:

\* حديث ابن مسعود رضي الله عنه في "صحيح مسلم" (١٨٨٧) وقد ذكره ابن القيم قبل هذا.

\* ومنها ما أخرجه الحاكم (٣/ ٣٨٧) فقال حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ بِالْوَيْهِ، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ النَّصْرِ الْأَزْدِيُّ، ثنا مُعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرٍو، ثنا أَبُو إِسْحَاقَ الْفَرَارِيُّ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ

وَهَذَا صَرِيحٌ فِي أَكْلِهَا وَشَرْبِهَا وَحَرَكَتِهَا وَانْتِقَالِهَا وَكَلَامِهَا وَسَيِّئَاتِي مَزِيدٌ لِتَقْرِيرِ ذَلِكَ عَنْ قُرْبِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

وَإِذَا كَانَ هَذَا شَأْنَ الْأَرْوَاحِ فَتَمِيزُهَا بَعْدَ الْمَفَارِقَةِ يَكُونُ أَظْهَرَ مِنْ تَمِيزِ الْأَبْدَانِ، وَالِاشْتِبَاهِ بَيْنَهَا أْبَعْدَ مِنْ اشْتِبَاهِ الْأَبْدَانِ؛ فَإِنَّ الْأَبْدَانَ تَشْتَبِهُ كَثِيرًا وَأَمَّا الْأَرْوَاحَ فَقَلَّ مَا تَشْتَبِهُ.

يُوضِحُ هَذَا أَنَا لَمْ نَشَاهِدْ أَبْدَانَ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّحَابَةِ وَالْأئِمَّةِ وَهُمْ مَتَمِيزُونَ فِي عِلْمِنَا أَظْهَرَ تَمِيزٍ وَكَيْسَ ذَلِكَ التَّمِيزِ رَاجِعًا إِلَى مُجَرَّدِ أَبْدَانِهِمْ وَإِنْ ذَكَرْنَا لَنَا مِنْ صِفَاتِ أَبْدَانِهِمْ مَا يَخْتَصُّ بِهِ أَحَدُهُمْ مِنَ الْآخِرِ، بَلِ التَّمِيزِ الَّذِي عِنْدَنَا بِمَا عِلْمِنَاهُ وَعَرَفْنَاهُ مِنْ صِفَاتِ أَرْوَاحِهِمْ وَمَا قَامَ بِهَا، وَتَمَيُّزِ الرُّوحِ عَنِ الرُّوحِ بِصِفَاتِهَا أَعْظَمَ مِنْ تَمِيزِ الْبَدَنِ عَنِ الْبَدَنِ

سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي حَمْرَةَ وَأَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ»: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]. وإسناده صحيح.

\* ومنها ما أخرجه ابن أبي عاصم في «الجهاد» (٢/٥١٥-٥١٦)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٤١٨/١) من طريق بَقِيَّةِ بْنِ الْوَلِيدِ، قَالَ: حَدَّثَنَا عْتَبَةُ بْنُ أَبِي حَكِيمٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي طَلْحَةُ بْنُ نَافِعٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَمَّا قُتِلَ حَمْرَةُ وَأَصْحَابُهَا يَوْمَ أُحُدٍ قَالُوا: يَا لَيْتَ لَنَا مَنْ يُخْبِرُ إِخْوَانَنَا بِالَّذِي صَرْنَا إِلَيْهِ مِنْ كَرَامَةِ اللَّهِ» قَالَ: «فَأَوْحَى رَبُّهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ إِلَيْهِمْ أَنِّي رَسُولُكُمْ إِلَى إِخْوَانِكُمْ بِمَا أَحْبَبْتُمْ» قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، وفي إسناده ضعف؛ عتبه بن أبي حكيم قال الحافظ: صدوق يخطئ كثيرا. إلا أنه في الشواهد. وللحديث شواهد أخرى غير ما ذكرت تركتها خشية الإطالة، فالحديث صحيح بلا شك، وإنما أطلت في تخريجه لأنني رأيت بعض المخرجين الفضلاء ضعفه.

وقد صححه العلامة الألباني في تحقيقه على شرح «العقيدة الطحاوية» ص (٤٠٣)، وصححه لغيره العلامة الوداعي في «الصحيح المسند من أسباب النزول» ص (٦٣) والحمد لله رب العالمين.

بصفاته، ألا ترى أن بدن المؤمن والكافر قد يشتبهان كثيرا وبين رويهما أعظم التباين والتَّميُّز، وأنت ترى أحوال شقيقتين مشتبهين في الخلقة غاية الإشتباه وبين رويهما غاية التباين، فإذا تجردت هاتان الروحان كان تميزهما في غاية الظهور.

وأخبرك بأمر إذا تأملت أحوال الأنفس والأبدان شاهدته عياناً، قل أن ترى بدنا قبيحا وشكلا شنيعا إلا وجدته مركبا على نفس تشاكله وتناسبه، وقل أن ترى آفة في بدن إلا وفي روح صاحبه آفة تناسبها، ولهذا تأخذ أصحاب الفراسة أحوال النفوس من أشكال الأبدان وأحوالها فقل أن تخطئ ذلك.

ويحكى عن الشافعي رحمته الله في ذلك عجائب.

وقل أن ترى شكلا حسنا وصورة جميلة وتركيبا لطيفا إلا وجدت الروح المتعلقة به مناسبة له، هذا ما لم يعارض ذلك ما يوجب خلافة من تعلم وتدرّب واعتاد.

وإذا كانت الأزواح العلوية وهم الملائكة متميزا بعضهم عن بعض من غير أجسام تحملهم وكذلك الجنّ فتميز الأزواح البشرية أولى<sup>(١)</sup>.

<sup>(١)</sup> ظاهر الأدلة أن الملائكة وكذلك الجنّ لهم أجسام تحملهم، ولكنها ليست من جنس أجسام بني آدم، فمن ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى جبريل له ستائة جناح قد سدّ ما بين الأفق، وأخبر صلى الله عليه وسلم أنه ما من موضع أربع أصابع في السماء إلا وملك ساجد لله أو راعع، وأخبر الله صلى الله عليه وسلم أن من الملائكة حملة للعرش، وذكر النبي صلى الله عليه وسلم أوصاف بعضهم فقال: «أذن لي أن أحدث عن ملك من حملة العرش، إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام»، وفي الأدلة الكثيرة أنهم يصعدون وينزلون ويسبحون الله، وكذلك الأمر في الجنّ فأبو هريرة رضي الله عنه أمسك الجنّي الذي جاء يسرق من مال الصدقة، والنبي صلى الله عليه وسلم خنق الجنّي الذي أراد أن يقطع صلّاته، وهم أن يربطه في سارية من سوارى المسجد لولا دعوة سليمان عليه السلام، والنبي صلى الله عليه وسلم اجتمع بالجنّ وذكر لهم طعامهم وعلف دوابهم، والجنّ يمكن رؤيتهم عند سلف الأمة وأئمتها وجمهور نظارها وعامتها - قاله شيخ الإسلام رحمته الله - والأدلة على هذا أكثر من أن تحصر في هذا الموضوع وكلها تدل

## فصل

## وأما المسألة السادسة

وَهِيَ أَنْ الرُّوحَ هَلْ تُعَادُ إِلَى المَيِّتِ فِي قَبْرِهِ وَقَتِ السُّؤَالِ أَمْ لَا تُعَادُ؟  
 فقد كفانا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أمرَ هَذِهِ المسألةِ وَأَغْنَانَا عَنْ أَقْوَالِ النَّاسِ حَيْثُ صرَحَ  
 بِإِعَادَةِ الرُّوحِ إِلَيْهِ فَقَالَ البراءُ بنُ عازِبٍ: كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الغَرْقَدِ فَأَتَانَا النَّبِيُّ ﷺ  
 فَقَعَدَ وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ كَأَن عَلَى رُؤُوسِنَا الطَّيْرَ وَهُوَ يَلْحَدُ لَهُ، فَقَالَ: (أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ  
 القَبْرِ) ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ العَبْدَ المُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي إِقْبَالٍ مِنَ الآخِرَةِ وَأَنْقَطَعَ مِنَ  
 الدُّنْيَا نَزَلَتْ إِلَيْهِ المَلَائِكَةُ كَأَن يُجِئُهُم الشَّمْسُ فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ البَصَرِ ثُمَّ يَجِيءُ ملكُ  
 المَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: أَيُّهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ أَخْرَجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ  
 وَرِضْوَانٍ. قَالَ: فَتَخْرُجُ تَسِيلٌ كَمَا تَسِيلُ القِطْرَةُ مِنَ فِي السَّقَاءِ فَيَأْخُذُهَا فَإِذَا أَخْذَهَا لَمْ  
 يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الكَفْنِ وَذَلِكَ الحَنُوطِ  
 وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةٍ مَسْكٍ وَجَدْتَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ. قَالَ: فَيصعدون بها فَلَا

بظاها على إثبات الأجسام للملائكة وكذلك الجن، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله - كما في مجموع الفتاوى - (١٠/١٩): «وَمَعْلُومٌ بِالِاضْطِرَارِ أَنَّهُمْ -الجن- أَحْيَاءٌ عُقَلَاءٌ فَاعِلُونَ بِالإِرَادَةِ بَلْ مَأْمُورُونَ مَنْهِيُونَ لَيْسُوا صِفَاتٍ وَأَعْرَاضًا قَائِمَةً بِالإِنْسَانِ أَوْ غَيْرِهِ كَمَا يَزْعُمُهُ بَعْضُ المَلَّاحِدَةِ».  
 وقال في «درء تعارض العقل والنقل» (٣٨٧/٥): «وبالضرورة من الدين أن الرسل أرادوا بالملائكة والشياطين أعياناً قائمة بأنفسها متميزين لا مجرد أعراض قائمة بنفس الإنسان».  
 ولكن - كما تقدم - أن تلك الأجسام ليست في صفاتها وحركاتها مثل ما نشاهده من أجسام الأدميين قال شيخ الإسلام رحمته الله - كما في «مجموع الفتاوى» (٥٢٧/٥): «فَإِذَا عُرِفَ أَنَّ مَا وَصِفَتْ بِهِ المَلَائِكَةُ وَأَرْوَاحُ الأَدَمِيِّينَ مِنْ جِنْسِ الحَرَكَةِ وَالصُّعُودِ وَالتَّنَزُّولِ وَغَيْرِ ذَلِكَ لَا يُمِثِّلُ حَرَكَةَ أَجْسَامِ الأَدَمِيِّينَ وَغَيْرِهَا مِمَّا تَشْهَدُهُ بِالِابْتِصَارِ فِي الدُّنْيَا وَأَنَّهُ يُمَكِّنُ فِيهَا مَا لَا يُمَكِّنُ فِي أَجْسَامِ الأَدَمِيِّينَ».

يَمْرُونَ بِهَا يَعْنِي عَلَى مَلَأَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوح الطَّيِّب؟ فَيَقُولُونَ: فَلَانَ ابْنَ فَلَانَ بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يَسْمُونَهُ فِي الدُّنْيَا حَتَّى يَنْتَهَوْا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ فَيَفْتَحُ لَهُ فَيَشِيعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مَقْرُبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا حَتَّى يَنْتَهِيَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي فِيهَا اللَّهُ تَعَالَى فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عَلِيَيْنِ وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتَهُمْ وَفِيهَا أَعِيدُهُمْ وَمَنَا أخرجهم تَارَةً أُخْرَى قَالَ: فَتَعَادَ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيَجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّي اللَّهُ. فَيَقُولُونَ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِي الْإِسْلَامُ. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بَعَثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ. فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عَلِمَكَ بِهَذَا؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَقْتَ. فَيُنَادِي مُنَادٌ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ صَدَقَ عَبْدِي فَأَفْرَشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ. قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ رِيحِهَا وَطِيْبِهَا وَيَفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ قَالَ: وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنَ الْوَجْهِ حَسَنَ الثِّيَابِ طِيبَ الرِّيحِ فَيَقُولُ: أَبَشِّرُ بِالَّذِي يَسُرُّكَ هَذَا يَوْمَكَ الَّذِي كُنْتَ تُوَعِّدُ. فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ فَوَجْهَكَ الْوَجْهِ الَّذِي يَجِيءُ بِالْخَيْرِ؟ فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحِ فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي. قَالَ: وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالَ مِنَ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سَوْدَ الْوُجُوهِ مَعَهُمُ الْمُسُوحُ فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرَ ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: أَيُّهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ اخْرُجِي إِلَى سَخَطِ اللَّهِ وَغَضَبِهِ. قَالَ: فَتَفْتَرِقُ فِي جَسَدِهِ فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يَنْتَزِعُ السَّفُودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ فَيَأْخُذُهَا فَإِذَا أَخْذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تَلْكَ الْمَسُوحِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنَّ رِيحَ جَيْفَةٍ وَجَدتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمْرُونَ بِهَا عَلَى مَلَأَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ؟ فَيَقُولُونَ: فَلَانَ ابْنَ فَلَانَ بِأَفْجَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمِّي بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّى يَنْتَهِيَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَسْتَفْتِحُ لَهُ فَلَا يَفْتَحُ ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ: ﴿لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ

وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ❖ [الأعراف: ٤٠]، فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى فتطرح روحه طراحاً ثم قرأ: ❖ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ❖ [الحج: ٣١]، فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري. فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري فينادى مُنَادٌ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ عَبْدِي فَأَفْرَشُوهُ مِنَ النَّارِ وافتحوا له باباً إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلعه ويأتيه رجل فيبش الوجه فيبش الثياب متن الريح فيقول: أبشّر بالذي يسوءك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول: من أنت فوجهك الوجه الذي يجيء بالشر؟ فيقول: أنا عمّلك الحبيث. فيقول: رَبِّ لَا تَقمِ السَّاعَةَ.

رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ، وَرَوَى النَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ وَأَوَّلُهُ، وَرَوَاهُ أَبُو عَوَانَةَ الْإِسْفَرَايِينِيُّ فِي «صَحِيحِهِ»<sup>(١)</sup>.

وَذَهَبَ إِلَى الْقَوْلِ بِمُوجِبِ هَذَا الْحَدِيثِ جَمِيعُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ مِنْ سَائِرِ الطَّوَائِفِ.

<sup>(١)</sup> (صحيح) أخرجه أحمد: (٢٨٧/٤)، وأبو داود: (٤٧٥٣)، والنسائي: (٢٠٠٣)، وابن ماجه (١٥٤٩)، وأبو عوانة الإسفرائيني - كما في «إتحاف المهرة» (٤٥٩/٢) من طرق عن المنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وإسناده صحيح رجاله كلهم ثقات.

قال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني - كما في «مجموع الفتاوى» (٤٣٩/٥): «وهو حديث أجمع رواة الأثر على شهرته واستفاضته». ولشيخ الإسلام كلام طويل حول طرق هذا الحديث وبيان رجال إسناده في «مجموع الفتاوى» (٤٣٨-٤٤٧).

وَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ بن حزم<sup>(١)</sup> فِي كِتَابِ «المَلَلِ والنحل» لَهُ: وَأَمَّا مَنْ ظَنَّ أَنَّ السَّمِيَّةَ يَحْيَا فِي قَبْرِهِ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَخَطَأٌ؛ لِأَنَّ الْآيَاتِ الَّتِي ذَكَرْنَا تَمْنَعُ مِنْ ذَلِكَ يَعْني قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ [غافر: ١١]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨].

قَالَ: وَلَوْ كَانَ السَّمِيَّةَ يَحْيَا فِي قَبْرِهِ لَكَانَ تَعَالَى قَدْ أَمَاتَنَا ثَلَاثًا وَأَحْيَانَا ثَلَاثًا وَهَذَا بَاطِلٌ، وَخِلَافَ الْقُرْآنِ، إِلَّا مِنْ أَحْيَاهُ اللهُ تَعَالَى آيَةَ لِنَبِيِّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٣]، وَالَّذِي ﴿مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩]، وَمَنْ خَصَّهُ نَصٌّ.

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ [الزمر: ٤٢]. فَصَحَّ بِنَصِّ الْقُرْآنِ أَنَّ أَرْوَاحَ سَائِرِ مَنْ ذَكَرْنَا لَا تَرْجِعُ إِلَى جَسَدِهِ إِلَّا إِلَى الْأَجَلِ الْمَسْمُومِ وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ.

وَكَذَلِكَ أَخْبَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنَّهُ رَأَى الْأَرْوَاحَ لَيْلَةَ أُسْرَى بِهِ عِنْدَ سَمَاءِ الدُّنْيَا مِنْ عَن يَمِينِ آدَمَ أَرْوَاحَ أَهْلِ السَّعَادَةِ وَعَنْ شِمَالِهِ أَرْوَاحَ أَهْلِ الشَّقَاءِ»<sup>(٢)</sup>.

<sup>(١)</sup> هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب الفارسي الأصل ثم الأندلسي القرطبي توفي سنة (٤٥٦) عن إحدى وسبعين سنة. انظر سير أعلام النبلاء (١٨٤/١٨). وكلامه هذا في كتابه «الفصل» (١١٨/٤) - (١١٩)، وفيه أشياء مخالفة للصواب سينبه عليها ابن القيم رحمهم الله أجمعين.  
<sup>(٢)</sup> أخرجه البخاري: (٣٤٩)، ومسلم: (١٦٣) عن أبي ذر الغفاري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَأَخْبَرَ يَوْمَ بَدْرٍ إِذْ خَاطَبَ الْمَوْتَى أَنَّهُمْ قَدْ سَمِعُوا قَوْلَهُ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ لَهُمْ قُبُورٌ، وَلَمْ يُنْكَرْ عَلَى الصَّحَابَةِ قَوْلَهُمْ: قَدْ جِيفُوا وَأَعْلَمَ أَنَّهُمْ سَامِعُونَ قَوْلَهُ مَعَ ذَلِكَ<sup>(١)</sup>. فَصَحَّ أَنْ الْخُطَابَ وَالسَّمْعَ لِأَرْوَاحِهِمْ فَقَطْ بِلَا شَكٍّ، وَأَمَّا الْجَسَدُ فَلَا حِسَّ لَهُ. وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنَ فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢]، فَفَنِي السَّمْعَ عَمَّنْ فِي الْقُبُورِ وَهِيَ الْأَجْسَادُ بِلَا شَكٍّ، وَلَا يَشْكُ مُسْلِمٌ أَنَّ الَّذِي نَفِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهُ السَّمْعَ هُوَ غَيْرَ الَّذِي أَثْبَتَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

قَالَ: وَلَمْ يَأْتِ قَطُّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي خَبَرٍ صَحِيحٍ أَنَّ أَرْوَاحَ الْمَوْتَى تُرَدُّ إِلَى أَجْسَادِهِمْ عِنْدَ الْمَسْأَلَةِ، وَلَوْ صَحَّ ذَلِكَ عَنْهُ لَقَلْنَا بِهِ. قَالَ: وَإِنَّمَا تَفْرُدُ بِهِذِهِ الزِّيَادَةَ مِنْ رَدِّ الْأَرْوَاحِ فِي الْقُبُورِ إِلَى الْأَجْسَادِ الْمُنْهَالِ بِنِ عَمْرٍو وَحَدِّهِ وَلَيْسَ بِالْقَوِيِّ؛ تَرَكَهُ شُعْبَةَ وَغَيْرِهِ، وَقَالَ فِيهِ الْمُغِيرَةُ بْنُ مَقْسَمِ الضَّبِّيِّ وَهُوَ أَحَدُ الْأَثَمَةِ: مَا جَازَتْ لِلْمُنْهَالِ بِنِ عَمْرٍو قَطُّ شَهَادَةَ فِي الْإِسْلَامِ [على باقية بقل]<sup>(٢)</sup> وَسَائِرُ الْأَخْبَارِ الثَّابِتَةِ عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ.

(١) متفق عليه، وقد تقدم في المسألة الأولى، ص ( ).

(٢) في جميع النسخ [على ما قد نقل] والصواب ما أثبتناه، وقد نقله على الصواب الألويسي في الآيات البيئات ص (١١٨) نقلا عن هذا الموضع. ونقل ذلك أيضا عن ابن حزم ابن القيم في تهذيب السنن المطبوع مع عون المعبود (١٣٣/١) فقال: (كان ابن حزم يقول لا يُقبلُ في باقية بقل).

ولم أقف على هذا النقل عن المغيرة بن مقسم وقد شكك في نسبته إليه العلامة الألباني رحمه الله في حاشيته على الآيات البيئات ص (١١٨) فقال: (وما ذكر عن الضبي في ثبوته عنه نظر).

قلت: الذي في تهذيب التهذيب عن المغيرة أنه قال ليزيد بن أبي زياد: نشدتك بالله تعالى هل كانت تجوز شهادة المنهال على درهمين؟ قال: اللهم لا.

والمنهال قد وثقه ابن معين والنسائي.



قَالَ: وَهَذَا الَّذِي قُلْنَا هُوَ الَّذِي صَحَّ أَيْضًا عَنِ الصَّحَابَةِ.

ثُمَّ ذَكَرَ مِنْ طَرِيقِ بْنِ عَيِّنَةَ عَنِ مَنْصُورِ بْنِ صَفِيَّةَ عَنْ أُمِّهِ صَفِيَّةَ بِنْتِ شَيْبَةَ قَالَتْ: دَخَلَ ابْنُ عَمْرِو الْمَسْجِدِ فَأَبْصَرَ ابْنَ الزَّبِيرِ مَطْرُوحًا، قَبْلَ أَنْ يُصَلِّبَ فَقِيلَ لَهُ: هَذِهِ أَسْمَاءُ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ فَمَالَ ابْنُ عَمْرِو إِلَيْهَا فَعَزَاها وَقَالَ: إِنَّ هَذِهِ الْجِثَّةَ لَيْسَتْ بِشَيْءٍ، وَإِنَّ الْأَرْوَاحَ عِنْدَ اللَّهِ. فَقَالَتْ أُمُّهُ: وَمَا يَمْنَعُنِي وَقَدْ أَهْدَى رَأْسَ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا إِلَى بَغْيٍ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ <sup>(١)</sup>.

قلت: ما ذكره أَبُو مُحَمَّدٍ فِيهِ حَقٌّ وَبَاطِلٌ.

أَمَّا قَوْلُهُ: مَنْ ظَنَّ أَنَّ الْمَيِّتَ يَحْيَا فِي قَبْرِهِ فَخَطَأٌ.

فَهَذَا فِيهِ إِجْمَالٌ: إِنْ أَرَادَ بِهِ الْحَيَاةَ الْمَعْهُودَةَ فِي الدُّنْيَا الَّتِي تَقُومُ فِيهَا الرُّوحُ بِالْبَدَنِ وَتَدَبَّرَهُ وَتَصَرَّفَهُ وَيَحْتَاجُ مَعَهَا إِلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَاللِّبَاسِ فَهَذَا خَطَأٌ كَمَا قَالَ وَالْحَسَنُ وَالْعَقْلُ يَكْذِبُهُ كَمَا يَكْذِبُهُ النَّصُّ.

وَإِنْ أَرَادَ بِهِ حَيَاةَ أُخْرَى غَيْرَ هَذِهِ الْحَيَاةِ بَلْ تَعَادَ إِلَيْهِ إِعَادَةً غَيْرَ الْإِعَادَةِ الْمَأْلُوفَةِ فِي الدُّنْيَا لِيُسْأَلَ وَيُتَمَتَّحَ فِي قَبْرِهِ فَهَذَا حَقٌّ وَنَفِيهِ خَطَأٌ، وَقَدْ دَلَّ عَلَيْهِ النَّصُّ الصَّحِيحُ الصَّرِيحُ وَهُوَ قَوْلُهُ: «فَتَعَادَ رُوحَهُ فِي جَسَدِهِ» <sup>(٢)</sup>.

<sup>(١)</sup> (صحيح) أخرجه ابن أبي شيبة (١١/١٣٤) و (١١/٥٦١) فقال حدثني ابن عيينة عن منصور بن صافية عن أمه به. وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين، منصور بن صافية هو منصور بن عبد الرحمن الحجبي ثقة من رجال الشيخين، وأمهم صافية بنت شيبة روى لها الجماعة قال الحافظ: «لها رؤية وحدثت عن عائشة وغيرها من الصحابة وفي البخاري التصريح بسماها من النبي ﷺ وأنكر الدار قطني إدراكها».

<sup>(٢)</sup> قال شيخ الإسلام - كما في مجموع الفتاوى (٤/٢٧٤) : «عَوْدُ الرُّوحِ إِلَى بَدَنِ الْمَيِّتِ فِي الْقَبْرِ لَيْسَ مِثْلَ عَوْدِهَا إِلَيْهِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا؛ وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ قَدْ يَكُونُ أَكْمَلَ مِنْ بَعْضِ الْوُجُوهِ كَمَا أَنَّ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى

وَسَنَذَكِرُ الْجَوَابَ عَنْ تَضْعِيفِهِ لِلْحَدِيثِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

وأما استدلاله بقوله تعالى: ﴿ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ ﴾ [غافر: ١١]، فَلَا يَنْفِي ثُبُوتَ هَذِهِ الإِعَادَةِ العَارِضَةِ للروح فِي الجَسَدِ للمساءلة، كَمَا أَنَّ قَيْلَ بني إِسْرَائِيلَ الَّذِي أَحْيَاهُ اللهُ بعد قتلِهِ ثُمَّ أَمَاتَهُ، لم تكن تِلْكَ الحَيَاةُ العَارِضَةُ لَهُ معتدًّا بها، فَإِنَّهُ حَيَّيَ لِحُظَّةٍ بِحَيْثُ قَالَ: فَلَانَ قَتَلَنِي ثُمَّ خر ميتاً<sup>(١)</sup>.  
على أَنَّ قَوْلَهُ: «ثُمَّ تُعَادُ روحه فِي جسده»، لَا يدل على حَيَاةٍ مُسْتَقَرَّةٍ وَإِنَّمَا يدل على إِعَادَةٍ لَهَا إِلَى البدنِ وَتعلقِ بِهِ. وَالروح لم تزل مُتعلِّقَةً ببدنها وَإِنْ بلى وَتمزق<sup>(٢)</sup>.

لَيْسَتْ مِثْلَ هَذِهِ النَّشَاةِ؛ وَإِنْ كَانَتْ أَكْمَلَ مِنْهَا بَلْ كُلُّ مَوْطِنٍ فِي هَذِهِ الدَّارِ وَفِي البَرزَخِ وَالْقِيَامَةِ لَهُ حُكْمٌ يُخْصُهُ؛ وَهَذَا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ المَيِّتَ يُوسَعُ لَهُ فِي قَبْرِهِ وَيُسْأَلُ وَنَحْوَ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ التُّرَابُ قَدْ لَا يَتَغَيَّرُ فَالْأَرْوَاحُ تُعَادُ إِلَى بَدَنِ المَيِّتِ وَتُفَارِقُهُ».

<sup>(١)</sup> يشير إلى القصة التي أخرجها ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/١٤٥) فقال حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سِنَانَ ثنا عَفَّانُ مُسْلِمٌ ثنا عَبْدُ الوَاحِدِ بْنُ زِيَادٍ ثنا سُلَيْمَانُ الأَعْمَشُ عَنِ المِنْهَالِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «إِنَّ أَصْحَابَ بَقْرَةَ بني إِسْرَائِيلَ طَلَبُوهَا أَرْبَعِينَ سَنَةً حَتَّى وَجَدُوهَا عِنْدَ رَجُلٍ فِي بَقْرٍ لَهُ وَكَانَتْ بَقْرَةً تُعْجِبُهُ، قَالَ: فَجَعَلُوا يُعْطُونَهُ بِهَا وَيَأْبَى حَتَّى أُعْطَوْهُ مِاءً مَسْكَةً دَنَانِيرٍ، فَذَبَحُوهَا، فَضَرَبُوهُ بِعَضْوٍ مِنْهَا فَقَامَ تَشْحُبٌ أَوْ دَاجُهُ دَمًا، فَقَالُوا لَهُ: مَنْ قَتَلَكَ؟ فَقَالَ: قَتَلَنِي فَلَانٌ». ورجال إسناده كلهم ثقات.

وقصة هذا الرجل قد ساقها ابن جرير في تفسيره مطولة عند قول الله: ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ \* فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُخَيِّ اللَّهُ المَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٧٢-٧٣].

<sup>(٢)</sup> قال شيخ الإسلام - كما في «مجموع الفتاوى» (٤/٢٧٤-٢٧٥) وهو يتكلم عن إعادة الروح إلى جسد الميت ثم مفارقتها له: «وَهَلْ يُسَمَّى ذَلِكَ مَوْتًا؟ فِيهِ قَوْلَانِ. قِيلَ: يُسَمَّى ذَلِكَ مَوْتًا. وَتَأَوَّلُوا عَلَى ذَلِكَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿ رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ ﴾ [غافر: ١١]، قِيلَ: إِنَّ الحَيَاةَ الأُولَى فِي هَذِهِ الدَّارِ وَالحَيَاةَ الثَّانِيَةَ فِي القَبْرِ وَالمَوْتَةَ الثَّانِيَةَ فِي القَبْرِ، وَالصَّحِيحُ أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ كَقَوْلِهِ: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [البقرة: ٢٨]، فَالمَوْتَةُ الأُولَى قَبْلَ هَذِهِ الحَيَاةِ

وسر ذلك أن الروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق مُتَغَايِرَة الْأَحْكَام:

أحدها: تَعَلَّقَتْ بِه فِي بطن الْأُم جَنِينًا.

الثاني: تَعَلَّقَتْ بِه بعد خُرُوجِه إِلَى وَجِه الْأَرْض.

الثالث: تَعَلَّقَتْ بِه فِي حَال النُّوم، فَلَهَا بِه تَعَلُّق من وَجِه، ومفارقة من وَجِه.

الرابع: تَعَلَّقَتْ بِه فِي البرزخ، فَإِنَّهَا وَإِنْ فَارَقْتِه وتجردت عَنْهُ فَإِنَّهَا لم تُفَارِقْهُ فراقًا كليًا

بِحَيْثُ لَا يَبْقَى لَهَا التَّفَاتِ إِلَيْهِ الْبَتَّة. وقد ذكرنا في أول الجواب من الأحاديث والآثار ما

يدل على ردها إليه وقت سلام المسلم، وهذا الرد إعادة خاصة لا يوجب حياة البدن

قبل يوم القيامة<sup>(١)</sup>.

والموتة الثانية بعد هذه الحياة. وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾، بعد الموت. قال تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [طه: ٥٥]، وقال: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ [الأعراف: ٢٥]، فالروح تتصل بالبدن متى شاء الله تعالى وتفارقه متى شاء الله تعالى، لا بتوقت ذلك بمرّة ولا مرّتين والنوم أحو الموت...».

\* وقال الحافظ ابن حجر في "فتح الباري" (٣/٣٠٥) مشيرًا إلى الرد على ابن حزم: «وفيه أن الميت يحيا في قبره للمسألة خلافا لمن رده واحتج بقوله تعالى: «قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَنَا اثْنَتَيْنِ وَاحِييتَنَا اثْنَتَيْنِ». الآية. قال: فلو كان يحيا في قبره للزم أن يحيا ثلاث مرّات ويموت ثلاثًا وهو خلاف النص. والجواب: بأن يراد بالحياة في القبر للمسألة ليست الحياة المستقرّة المعهودة في الدنيا التي تقوم فيها الروح بالبدن وتديره وتصرّفه وتحتاج إلى ما يحتاج إليه الأحياء بل هي مجرد إعادة لفائدة الامتحان الذي وردت به الأحاديث الصحيحة فهي إعادة عارضة كما حي خلق لكثير من الأنبياء لمسألتهم هم عن أشياء ثم عادوا موتى».

<sup>(١)</sup> لكن الحديث الوارد بذلك خاص بالنبي ﷺ، وما ورد من أن جميع الموتى ترد إليهم أرواحهم عند السلام عليهم فهو ضعيف كما تقدم بيانه.

الخامس: تعلقها به يوم بعث الأجساد، وهو أكمل أنواع تعلقها بالبدن، ولا نسبة لما قبله من أنواع التعلق إليه؛ إذ هو تعلق لا يقبل البدن معه موتا ولا نوما ولا فسادا. وأما قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزمر: ٤٢]، فإمساكه سبحانه التي قضى عليها الموت لا يُنَافِي ردها إلى جسد الميت في وقت ما ردا عارضا لا يُوجب له الحياة المعهودة في الدنيا.

وإذا كان النائم روحه في جسده، وهو حي، وحياته غير حياة المستيقظ، فإن النوم شقيق الموت، فهكذا الميت إذا أُعيدت روحه إلى جسده كانت له حال متوسطة بين الحي وبين الميت الذي لم ترد روحه إلى بدنه، كحال النائم المتوسطة بين الحي والميت فتأمل هذا يُزيح عنك إشكالات كثيرة.

وأما إخبار النبي ﷺ عن رؤية الأنبياء ليلة أسرى به، فقد زعم بعض أهل الحديث أن الذي رآه أشباحهم<sup>(١)</sup> وأرواحهم، قال: فإنهم أحياء عند ربهم وقد رأى إبراهيم مُسندا ظهره إلى البيت المعمور<sup>(٢)</sup>، ورأى موسى قائما في قبره يصلي<sup>(٣)</sup>.

(١) الشبح بمعنى الشخص. القاموس: «الشبح»

(٢) أخرجه مسلم: (١٦٢) عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه مسلم: (٢٣٧٥) عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقد نعت الأنبياء لما رآهم بنعت الأشباح فرأى موسى آدم ضرباً<sup>(١)</sup> طوّلاً كأنه من رجال سنوءة، ورأى عيسى يقطر رأسه كأنها أخرج من ديباس<sup>(٢)</sup>، ورأى إبراهيم فشبهه بنفسه<sup>(٣)</sup>.

ونازعهم في ذلك آخرون، وقالوا: هذه الرؤية إنما هي لأرواحهم دون أجسادهم، والأجساد في الأرض قطعاً، إنما تبعث يوم بعث الأجساد ولم تبعث قبل ذلك، إذ لو بعثت قبل ذلك لكانت قد انشقت عنها الأرض قبل يوم القيامة كانت تذوق الموت عند نفخة الصور، وهذه موتة ثالثة، وهذا باطل قطعاً. ولو كانت قد بعثت الأجساد من القبور لم يعدهم الله إليها بل كانت في الجنة<sup>(٤)</sup>.

(١) الضرب من الرجال أي الخفيف اللحم المشوق المستدق. النهاية «ضرب».

(٢) الديباس هو الحمام.

(٣) أخرجه البخاري: (٣٣٩٤) ومسلم: (١٦٨) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وبنحوه أخرجه البخاري: (٣٣٥٥) ومسلم: (٤٢٢/١٦٦) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وأخرجه مسلم: (١٦٧) عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٤) وهذا القول - أنه رأى أرواحهم في صور أبدانهم سوى عيسى رجّحه شيخ الإسلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وضعف ما عده من الأقوال حيث قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما في «مجموع الفتاوى» (٣٢٨/٤): (وَأَمَّا رُؤْيُهُ وَرُؤْيُهُ غَيْرُهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ فِي السَّمَاءِ لَمَّا رَأَى آدَمَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَرَأَى يَحْيَى وَعِيسَى فِي السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ وَيُوسُفَ فِي الثَّلَاثَةِ وَإِدْرِيسَ فِي الرَّابِعَةِ وَهَارُونَ فِي الْخَامِسَةِ وَمُوسَى فِي السَّادِسَةِ وَإِبْرَاهِيمَ فِي السَّابِعَةِ أَوْ بِالْعَكْسِ فَهَذَا رَأَى أَرْوَاحَهُمْ مُصَوَّرَةً فِي صُورِ أَبْدَانِهِمْ. وَقَدْ قَالَ بَعْضُ النَّاسِ: لَعَلَّهُ رَأَى نَفْسَ الْأَجْسَادِ الْمَدْفُونَةِ فِي الْقُبُورِ؛ وَهَذَا لَيْسَ بِشَيْءٍ لَكِنَّ عِيسَى صَعَدَ إِلَى السَّمَاءِ بِرُوحِهِ وَجَسَدِهِ وَكَذَلِكَ قَدْ قِيلَ فِي إِدْرِيسَ وَأَمَّا إِبْرَاهِيمُ وَمُوسَى وَعَبْرَهُمَا فَهُمَ مَدْفُونُونَ فِي الْأَرْضِ).

\* وقال ابن الملقن في شرحه على البخاري: (٢٤٣/٥): (قال ابن الجوزي في مشكله: إن قلت: كيف رأى الأنبياء في السماء ومدفنهم في الأرض؟ أجاب عنه ابن عقيل فقال: شكّل الله أرواحهم على هيئة صور

وَقَدْ صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ «أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ الْجَنَّةَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ حَتَّى يَدْخُلَهَا هُوَ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ يَسْتَفْتَحُ بَابَ الْجَنَّةِ»<sup>(١)</sup>.

أجسادهم، ومثله ذكر ابن التين وقال: إنها تعود الأرواح -يعني إلى الأجساد- يوم البعث إلا عيسى عليه السلام فإنه حيٌّ لم يموت وهو ينزل إلى الأرض (...). قلت: كلام ابن الجوزي هذا في كتابه كشف المشكل (٣٥٨/١)، وإنما نقلناه من كتاب ابن الملقن لما فيه من الزيادة عن ابن التين.

\* وقال الحافظ ابن حجر في "فتح الباري" (٢٦٣/٧): (وَقَدْ اسْتَشْكَلَ رُؤْيَةَ الْأَنْبِيَاءِ فِي السَّمَاوَاتِ مَعَ أَنَّ أَجْسَادَهُمْ مُسْتَقَرَّةٌ فِي قُبُورِهِمْ بِالْأَرْضِ وَأَجِيبَ بِأَنَّ أَرْوَاحَهُمْ تَشَكَّلَتْ بِصُورِ أَجْسَادِهِمْ أَوْ أُحْضِرَتْ أَجْسَادُهُمْ لِلْمَلَاقَةِ النَّبِيِّ ﷺ تِلْكَ اللَّيْلَةَ تَشْرِيفًا لَهُ وَتَكْرِيمًا وَيُؤَيِّدُهُ حَدِيثُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ هَاشِمٍ عَنْ أَنَسٍ فِيهِ «وُبِعِثَ لَهُ أَدَمُ فَمَنْ دُونَهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ» فَافْهَمْ).

قلت: المعتمد هو الأول، وأما القول بأنه أُحْضِرَتْ لَهُ أَجْسَادُهُمْ فالحديث الذي أشار إليه الحافظ ضعيف؛ أخرجه ابن جرير (٦/١٥) من طريق عبد الرحمن بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص عن أنس به. وعبد الرحمن بن هاشم لم أجد له ترجمة. وقد قال الحافظ ابن كثير -بعد أن ذكر هذا الحديث من طريق ابن جرير-: (وهكذا رواه الحافظ البيهقي في "دلائل النبوة" من حديث ابن وهب وفي بعض ألفاظه نكارة وغبابة).

<sup>(١)</sup> يشير إلى ما أخرجه الطبراني في "الأوسط" (٥١٢/١) حَدَّثَنَا أَحْمَدُ قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو قَالَ: حَدَّثَنَا صَدَقَةُ، عَنْ زُهَيْرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَقِيلٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْحَطَّابِ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الْجَنَّةُ حُرِّمَتْ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ حَتَّى أَدْخُلَهَا، وَحُرِّمَتْ عَلَى الْأُمَّمِ حَتَّى تَدْخُلَهَا أُمَّتِي». وإسناده مسلسل بالضعفاء عمرو هو ابن أبي سلمة التنيسي قال الحافظ: «صدوق له أوهام»، وصدقة الدمشقي هو ابن عبد الله السمين ضعيف، وزهير بن محمد قال الحافظ: «رواية أهل الشام عنه غير مستقيمة فضعف بسببها وقال أبو حاتم: حدث بالشام من حفظه فكثر غلطه» قلت: والرواية عنه هنا كذلك، وعبد الله بن محمد بن عقال ضعيف عند الجمهور، فهذا إسناد مسلسل بالضعفاء، وقد أنكره أبو زرعة كما في "العلل" لابن أبي حاتم: (٢٢٧/٢) سئل أبو زرعة عن هذا الحديث فقال: ذا حديث منكر لا أدري كيف هو. ١.هـ

وَهُوَ أَوْلُ مَنْ تَشَقَّقَ عَنْهُ الْأَرْضُ عَلَى الْإِطْلَاقِ لَمْ تَنْشَقَّ عَنْ أَحَدٍ قَبْلَهُ <sup>(١)</sup>.  
وَمَعْلُومٌ بِالضَّرُورَةِ أَنَّ جَسَدَهُ فِي الْأَرْضِ طَرِيٌّ مُطَرَّى، وَقَدْ سَأَلَهُ الصَّحَابَةُ: كَيْفَ  
تَعْرِضُ صَلَاتِنَا عَلَيْكَ، وَقَدْ أُرْمِتْ؟ فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ  
الْأَنْبِيَاءِ» <sup>(٢)</sup>.

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ جَسَدُهُ فِي ضَرْبِهِ لَمَا أَجَابَ بِهَذَا الْجَوَابِ.  
وَقَدْ صَحَّ عَنْهُ: «أَنَّ اللَّهَ وَكَّلَ بِقَبْرِهِ مَلَائِكَةً يَبْلِغُونَهُ عَنْ أُمَّتِهِ السَّلَامَ» <sup>(٣)</sup>.  
وَصَحَّ عَنْهُ أَنَّهُ خَرَجَ بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَعَمْرٍو وَقَالَ: «هَكَذَا نَبِئْتُ» <sup>(٤)</sup>.  
هَذَا مَعَ الْقَطْعِ بِأَنَّ رُوحَهُ الْكَرِيمَةَ فِي الرِّفِيقِ الْأَعْلَى فِي أَعْلَى عَلِيَيْنِ مَعَ أَرْوَاحِ  
الْأَنْبِيَاءِ.

ويغني عنه ما أخرجه مسلم: (١٩٧) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «آتَى بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ  
الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْحَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ». وما  
أخرجه أيضًا (٣٣١ / ١٩٦) عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ «وَأَنَا أَوْلُ مَنْ يَفْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ».

<sup>(١)</sup> أخرجه مسلم: (٢٢٧٨) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

<sup>(٢)</sup> (صحيح) أخرجه أحمد: (٨ / ٤)، وأبو داود: (١٠٤٧)، والنسائي: (١٣٧٤)، عن أوس بن أوس  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد تقدم ص (٠).

<sup>(٣)</sup> (صحيح) أخرجه أحمد: (٤٤١ / ١)، والنسائي: (١٢٨٢) من طرق عن سفيان الثوري عن عبد الله بن  
السائب عن زاذان عن عبد الله يعني ابن مسعود به. وإسناده صحيح رجاله كلهم ثقات.

<sup>(٤)</sup> (ضعيف) أخرجه الترمذي: (٣٦٦٩)، وابن ماجه (٩٩) من طريق سعيد بن مسلمة عن إسماعيل بن أمية  
عن نافع عن ابن عمر به. وهذا إسناد ضعيف سعيد بن مسلمة قال البخاري: «منكر الحديث فيه نظر»،  
وقال ابن معين: «ليس بشيء».

وَقَدْ صَحَّ عَنْهُ أَنَّهُ رَأَى مُوسَى قَائِمًا يَصَلِّي فِي قَبْرِهِ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ<sup>(١)</sup>، وَرَأَاهُ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ أَوْ السَّابِعَةِ<sup>(٢)</sup>، فَالرُّوحُ كَانَتْ هُنَاكَ، وَهِيَ اتَّصَلَتْ بِالْبَدَنِ فِي الْقَبْرِ، وَإِشْرَافٌ عَلَيْهِ، وَتَعَلَّقَ بِهِ؛ بِحَيْثُ يَصَلِّي فِي قَبْرِهِ، وَيُرَدُّ سَلَامٌ مِنْ سَلَّمَ عَلَيْهِ، وَهِيَ فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى.

وَلَا تَنَافِي بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ؛ فَإِنَّ شَأْنَ الْأَرْوَاحِ غَيْرُ شَأْنِ الْأَبْدَانِ<sup>(٣)</sup>.  
وَأَنْتَ تَجِدُ الرُّوحِينَ الْمُتَلَاثِمَتِينَ الْمُتَنَاسِبَتِينَ فِي غَايَةِ التَّجَاوُرِ وَالْقُرْبِ، وَإِنْ كَانَ بَيْنَهُمَا بُعْدٌ الْمَشْرِقِينَ.

(١) أخرجه مسلم: (٢٣٧٥) عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) ما جاء أن موسى في السماء السادسة، أخرجه البخاري: (٣٨٨٧)، ومسلم: (١٦٤) عن مالك بن صعصعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأخرجه مسلم: (١٦٢) عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وما جاء أن موسى في السابعة أخرجه البخاري: (٧٥١٧) عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. والمحفوظ من هذه الروايات ما جاء أن موسى في السادسة وإبراهيم في السابعة، وأما ما جاء أن موسى في السابعة، فهذا من ضمن الأوهام التي حصلت لشريك بن عبد الله في حديث الإسراء وهي عشرة أوهام بل تزيد، ذكرها الحافظ بن حجر في "فتح الباري" (٦٠٢/١٣).

وقال أيضا في فتح الباري (١/٥٩٩): (وَالثَّابِتُ فِي جَمِيعِ الرَّوَايَاتِ غَيْرِ هَاتَيْنِ أَنَّهُ -يَعْنِي إِبْرَاهِيمَ- فِي السَّابِعَةِ، فَإِنَّ قُلْنَا بِنَعْدِ الْمِعْرَاجِ فَلَا تَعَارُضَ، وَإِلَّا فَلَا رَجْحُ رَوَايَةِ الْجَمَاعَةِ لِقَوْلِهِ فِيهَا: «أَنَّهُ رَأَاهُ مُسْتَنِدًا ظَهَرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ» وَهُوَ فِي السَّابِعَةِ بِلَا خِلَافٍ).

(٣) قال شيخ الإسلام كما في "مجموع الفتاوى" (٤/٣٢٩): (وَأَمَّا كَوْنُهُ رَأَى مُوسَى قَائِمًا يَصَلِّي فِي قَبْرِهِ وَرَأَاهُ فِي السَّمَاءِ أَيْضًا فَهَذَا لَا مُنَافَاةَ بَيْنَهُمَا فَإِنَّ أَمْرَ الْأَرْوَاحِ مِنْ جِنْسِ أَمْرِ الْمَلَائِكَةِ. فِي اللَّحْظَةِ الْوَاحِدَةِ تَصْعَدُ وَتَهْبِطُ كَمَا لَمَّا كُنْتَ فِي ذَلِكَ كَالْبَدَنِ).

وقال ابن القيم في "زاد المعاد" (٣/٤١): (وَهَذَا التَّعَلُّقُ رَأَى مُوسَى قَائِمًا يَصَلِّي فِي قَبْرِهِ، وَرَأَاهُ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ. وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَمْ يُعْرَجْ بِمُوسَى مِنْ قَبْرِهِ، ثُمَّ رُدَّ إِلَيْهِ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ مَقَامٌ رُوحِهِ وَاسْتِقْرَارُهَا، وَقَبْرُهُ مَقَامٌ بَدَنِهِ وَاسْتِقْرَارُهُ إِلَى يَوْمِ مَعَادِ الْأَرْوَاحِ إِلَى أَجْسَادِهَا).



وتجد الروحين المتفارقين<sup>(١)</sup> المتباغضتين بينهما غَايَةَ البعد، وَإِنْ كَانَ جسداهما متجاورين متلاصقين. وَلَيْسَ نَزُولُ الرُّوحِ وصعودها وقرَّبها وَبَعْدَهَا من جنس مَا للبدن؛ فَإِنَّهَا تَصْعَدُ إِلَى مَا فَوْقَ السَّمَوَاتِ، ثُمَّ تَهْبِطُ إِلَى الْأَرْضِ مَا بَيْنَ قَبْضِهَا وَوَضْعِ الْمَيِّتِ فِي قَبْرِه. وَهُوَ زَمَنٌ يَسِيرٌ لَا يَصْعَدُ الْبَدَنُ وَيَنْزِلُ فِي مِثْلِهِ.

وَكَذَلِكَ صَعُودُهَا وَعُودُهَا إِلَى الْبَدَنِ فِي النَّوْمِ وَالْيَقِظَةِ. وَقَدْ مَثَّلَهَا بَعْضُهُمْ بِالشَّمْسِ وَشِعَاعِهَا؛ فَإِنَّهَا فِي السَّمَاءِ وَشِعَاعِهَا فِي الْأَرْضِ.

قَالَ شَيْخُنَا<sup>(٢)</sup>: وَلَيْسَ هَذَا مِثْلًا مُطَابِقًا فَإِنَّ نَفْسَ الشَّمْسِ لَا تَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَالشَّعَاعُ الَّذِي عَلَى الْأَرْضِ لَيْسَ هُوَ الشَّمْسُ وَلَا صِفَتَهَا بَلْ هُوَ عَرَضٌ حَصَلَ بِسَبَبِ الشَّمْسِ وَالْحَرَمُ الْمُقَابِلُ لَهَا وَالرُّوحُ نَفْسَهَا تَصْعَدُ وَتَنْزِلُ.

وَأَمَّا قَوْلُ الصَّحَابَةِ لِلنَّبِيِّ ﷺ فِي قَتْلِ بَدْرٍ كَيْفَ تَخَاطَبَ أَقْوَامًا قَدْ جِيفُوا؟ مَعَ إِخْبَارِهِ بِسَمَاعِهِمْ كَلَامَهُ، فَلَا يَنْفِي ذَلِكَ رَدَّ أَرْوَاحِهِمْ إِلَى أَجْسَادِهِمْ ذَلِكَ الْوَقْتُ رَدًا يَسْمَعُونَ بِهِ خَطَابَهُ، وَالْأَجْسَادُ قَدْ جِيفَتْ، فَالْخَطَابُ لِلْأَرْوَاحِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِتِلْكَ الْأَجْسَادِ الَّتِي قَدْ فَسَدَتْ<sup>(٣)</sup>.

(١) كذا في الأصل، ووقع في ش وف المتنافرتين.

(٢) انظر "مجموع الفتاوى" (٥/٤٣٨).

(٣) وهذا لا مانع منه أن الله رد إليهم أرواحهم حتى يسمعوا كلام رسول الله ﷺ، وقد ذكر البخاري في "صحيحه" عقب حديث أنس (٣٩٧٦) عن قتادة أنه قال: «أحياهم الله حتى أسمعهم قوله توبيخاً وتصغيراً ونقيمةً وحسرةً وندماً»، فنؤمن أن الله أسمعهم سواء رد إليهم أرواحهم أم كيف شاء.

وهذا ليس خاصاً ببنينا محمد ﷺ بل قد حصل لغيره من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين، كان الواحد منهم إذا هلك قومه يأتيهم ويخاطبهم، ويُسمعهم الله ذلك تقریباً وتوبيخاً قال الله سبحانه عن قوم صالح:

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢]، فسياق الآية يدل على أن المراد منها: أن الكافر ميت القلب لا يُقدر على إسماعه إسماعا يَنْتَفِعُ بِهِ، كما أن من في القبور لا يُقدر على إسماعهم سماعا يَنْتَفِعُونَ بِهِ. ولم يرد سبحانه أن أصحاب القبور لا يسمعون شيئا البتة. كيف وقد أخبر النبي ﷺ: «أنهم يسمعون خفق نعال المشيعين»، وأخبر: «أن قتلى بدر سمعوا كلامه وخطابه»، وشرع السلام عليهم بصيغة الخطاب للحاضر الذي يسمع، وأخبر: «أن من سلم على أخيه المؤمن رد عليه السلام»، وهذه الآية نظير قوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمِعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ [النمل: ٨٠].

وقد يُقال: نفى إسماع الصم مع نفى إسماع الموتى يدل على أن المراد عدم أهلية كل منهما للسمع، وأن قلوب هؤلاء لما كانت ميتة صمًا كان إسماعها مُمتنعًا بمنزلة خطاب الميت والأصم. وهذا حق، ولكن لا ينبغي إسماع الأرواح بعد الموت إسماع توبيخ وتقريب بواسطة تعلقها بالأبدان في وقت ما، فهذا غير الإسماع المنفي. والله أعلم. وحقيقة المعنى: أنك لا تستطيع أن تسمع من لم يشأ الله أن يسمعه. إن أنت إلا نذير، أي: إنما جعل الله لك الاستطاعة على الإنذار الذي كلفك إياه، لا على إسماع من لم يشأ الله إسماعه.

﴿فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْمَةَ فَاصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَائِمِينَ \* فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولًا رَبِّي

وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٧٨-٧٩].

وقال عن قوم شعيب: ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْمَةَ فَاصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَائِمِينَ \* الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْتُوا

فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ \* فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولًا رَبِّي

وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ٩١-٩٣].

وأما قوله: إِنْ الْحَدِيثُ لَا يَصِحُّ لِتَفَرُّدِ الْمُنْهَالِ بْنِ عَمْرٍو وَحَدِّهِ بِهِ وَكَيْسَ بِالْقَوَى <sup>(١)</sup> فَهَذَا مِنْ مَجَازِفَتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. فَالْحَدِيثُ صَحِيحٌ لَا شَكَّ فِيهِ. وَقَدْ رَوَاهُ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبِ جَمَاعَةً غَيْرِ زَادَانَ، مِنْهُمْ: عَدَى بْنُ ثَابِتٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَقَبَةَ، وَمُجَاهِدٌ.

قَالَ الْحَافِظُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَنَدَةَ فِي كِتَابِ «الرُّوحِ وَالنَّفْسِ» أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ يُونُسَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ الصَّغَانِي، أَنَّ أَبَا النَّضْرِ هَاشِمَ بْنَ الْقَاسِمِ، حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ الْمَسِيْبِ، عَنْ عَدَى بْنِ ثَابِتٍ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبِ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدُ فَجَلَسْنَا وَجَلَسَ كَأَنَّ عَلَيْنَا أَكْتَافِنَا فَلَقَّ الصَّخْرَ، وَعَلَى رُؤُوسِنَا الطَّيْرَ. فَأَزَمَّ قَلِيلًا <sup>(٢)</sup> - وَالْإِزْمَامُ السُّكُوتُ - فَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ قَالَ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي قَبْرِ مِنَ الْآخِرَةِ، وَدُبِّرَ مِنَ الدُّنْيَا، وَحَضَرَهُ مَلِكُ الْمَوْتِ، نَزَلَتْ عَلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مَعَهُمْ كَفَنَ مِنَ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنَ الْجَنَّةِ، فَجَلَسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرَ. وَجَاءَ مَلِكُ الْمَوْتِ فَجَلَسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، ثُمَّ قَالَ: أَخْرُجِي أَيَّتَهَا النَّفْسَ الْمَطْمَئِنَّةَ، أَخْرُجِي إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ وَرِضْوَانِهِ. فَتَسِيلُ نَفْسَهُ كَمَا تَقَطُرُ الْقَطْرَةُ مِنَ

<sup>(١)</sup> قَالَ الْعَلَامَةُ الْأَبَانِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي تَعْلِيْقِهِ عَلَى «الآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ» لِلْأَلُوسِيِّ ص (١١٨) مَعْلَقًا عَلَى هَذَا الْمَوْضِعِ مِنْ كَلَامِ ابْنِ حَزَمٍ: «قُلْتُ: هَذِهِ دَعْوَى مُرَدُّودَةٍ بَلْ هِيَ مِنْ مَجَازِفَاتِهِ الْمَعْرُوفَةِ، فَالْحَدِيثُ صَحِيحٌ مِنْ حَدِيثِ الْبَرَاءِ لَهُ طَرَقٌ كَثِيرَةٌ كَمَا قَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي «التَّذَكُّرَةِ» وَتَبِعَهُ ابْنُ الْقَيْمِ فِي الرُّوحِ وَالسِّيُوطِيُّ فِي «شَرْحِ الصُّدُورِ» وَصَحَّحَهُ غَيْرُهُمْ مِنْ أُمَّةِ الْحَدِيثِ الْمُتَقَدِّمِينَ...».

<sup>(٢)</sup> كَذَا فِي الْمَخْطُوطَيْنِ بِالزَّايِ، وَوَقَعَ فِي بَعْضِ النُّسخِ الْمَطْبُوعَةِ «أَزَمَ» بِالرَّاءِ الْمَهْمَلَةِ. وَالَّذِي فِي الْمَخْطُوطَيْنِ صَحِيحٌ فَمِنْ مَعَانِي «أَزَمَ» صَمْتُ وَلَمْ يَتَكَلَّمْ قَالَ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ: «وَالْأَزْمُ: الْإِمْسَاكُ. قَالَ أَبُو زَيْدٍ: الْأَزْمُ الَّذِي صَمَّ شَفْتَيْهِ. وَالْأَزْمُ: الصَّمْتُ...» وَفِي حَدِيثِ الصَّلَاةِ أَنَّهُ قَالَ: «أَيُّكُمْ الْمُتَكَلِّمُ؟ فَأَزَمَ الْقَوْمُ. أَيَّ أَمْسَكُوا عَنِ الْكَلَامِ كَمَا يُمَسِكُ الصَّائِمُ عَنِ الطَّعَامِ، قَالَ: وَمِنْهُ سُمِّيَتْ الْحِمِيَّةُ أَزْمًا، قَالَ: وَالرَّوَايَةُ الْمَشْهُورَةُ: فَأَزَمَ الْقَوْمُ بِالرَّاءِ وَتَشْدِيدِ الْمِيمِ؛ وَمِنْهُ حَدِيثُ السَّوَاكِ: يَسْتَعْمِلُهُ عِنْدَ تَغْيِيرِ الْفَمِ، مِنَ الْأَزْمِ».

السقاء. فإذا خرجت نفسه صلى عليه كل من بين السماء والأرض إلا الثقلين. ثم يصعد به إلى السماء، فتفتح له السماء. ويشيعه مقربوها إلى السماء الثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة إلى العرش: مقربو كل سماء. فإذا انتهى إلى العرش كتب كتابه في عِلين ويقول الرب عز وجل: ردوا عبدي إلى مضجعه فإنني وعدتهم أني منها ما خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى فيرد إلى مضجعه فيأتيه منكر ونكير يثيران الأرض بأنيابهما ويفحصان الأرض بأشعارهما فيجلسانه ثم يقال له: يا هذا من ربك؟ فيقول: ربي الله. فيقولان: صدقت. ثم يقال له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام. فيقولان: صدقت. ثم يقال له: من نبيك؟ فيقول: محمد رسول الله. فيقولان: صدقت. ثم يفسح له في قبره مد بصره ويأتيه رجل حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب فيقول: جزاك الله خيرا فوالله ما علمت إن كنت لسريعا في طاعة الله بطيئا عن معصية الله. فيقول: وأنت فجزاك الله خيرا فمن أنت فيقول: أنا علمك الصالح ثم يفتح له باب إلى الجنة فينظر إلى مقعده ومنزله منها حتى تقوم الساعة.

وإن الكافر إذا كان في دبر من الدنيا وقبل من الآخرة وحضره الموت نزلت عليه من السماء ملائكة معهم كفن من النار وحنوط من نار قال: فيجلسون منه مد بصره وجاء ملك الموت فجلس عند رأسه ثم قال: اخرجي أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى غضب الله وسخطه فتفرق روحه في جسده كراهية أن تخرج لما ترى وتعاين فيستخرجها كما يستخرج السفود<sup>(١)</sup> من الصوف المبلول فإذا خرجت نفسه لعنه كل شيء بين السماء والأرض إلا الثقلين ثم يصعد به إلى السماء فتغلق دونه فيقول الرب عز وجل: ردوا

(١) قال ابن سيده في "المحکم" (٤٥٨/٨): (السُّفُودُ حديدَةٌ ذاتُ شُعَبٍ مُعَقَّفَةٌ).

عَبْدِي إِلَىٰ مَضْجَعِهِ فَإِنِّي وَعَدْتُهُمْ إِنِّي مِنْهَا خَلَقْتَهُمْ وَفِيهَا أَعِيدُهُمْ وَمِنْهَا أَخْرَجَهُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ فَتَرَدُّ رُوحُهُ إِلَىٰ مَضْجَعِهِ فَيَأْتِيهِ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ يَبْتَدِرَانِ الْأَرْضَ بِأَنْبِيَائِهَا وَيَفْحَصَانِ الْأَرْضَ بِأَشْعَارِهَا أَصْوَاتُهُمَا كَالرَّعْدِ الْقَاصِفِ وَأَبْصَارُهُمَا كَالْبَرْقِ الْخَاطِفِ فَيَجْلِسَانَهُ ثُمَّ يَقُولَانِ: يَا هَذَا مِنْ رَبِّكَ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي فَيُنَادِي مَنْ جَانِبِ الْقَبْرِ لَا دَرِيْتِ فَيَضْرِبَانَهُ بِمَرْزَبَةٍ<sup>(١)</sup> مِنْ حَدِيدٍ لَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهَا مِنْ بَيْنِ الْخَافِقِينَ لَمْ تُقَلَّ، وَيَضِيقُ عَلَيْهِ قَبْرَهُ حَتَّىٰ تَخْتَلِفَ أَضْلَاعُهُ وَيَأْتِيَهُ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ قَبِيحُ الثِّيَابِ مَمْتَنُ الرِّيحِ فَيَقُولُ: جَزَاكَ اللَّهُ شَرًّا فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِنْ كُنْتُ لِبَطِيئًا عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ سَرِيعًا فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ فَيَقُولُ: وَمَنْ أَنْتَ؟ فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْحَبِيثُ. ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُ بَابَ<sup>(٢)</sup>: إِلَى النَّارِ فَيَنْظُرُ إِلَى مَقْعَدِهِ فِيهَا حَتَّىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ». رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَمُحَمَّدُ بْنُ غِيْلَانَ، وَغَيْرُهُمَا عَنْ أَبِي النَّضْرِ<sup>(٣)</sup>.

فَفِيهِ أَنَّ الْأَرْوَاحَ تُعَادُ إِلَى الْقَبْرِ وَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ يُجْلِسَانِ الْمَيِّتَ وَيَسْتَنْطِقَانَهُ.  
ثُمَّ سَأَلَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ عَنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَمَةَ عَنْ خُصِيفِ الْجَزْرِيِّ عَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ أَقَالَ: كُنَّا فِي جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَمَعَنَا رَسُولُ اللَّهِ فَانْتَهَيْنَا إِلَىٰ

<sup>(١)</sup> المَرْزَبَةُ - بتخفيف الباء - هي المطرقة الكبيرة التي تكون للحداد، ويقال إِرْزَبَةٌ - بالهمز والتشديد - . النهاية (رزب).

<sup>(٢)</sup> في الأصل (بابًا).

<sup>(٣)</sup> (ضعيف) أخرجه البيهقي في «الشعب» (١/٣٥٨)، والطبري في «تهذيب الآثار» (٧٢٣) من طريق محمد بن إسحاق الصاغانى حدثنا أبو النضر هاشم بن القاسم حدثنا عيسى بن المسيب حدثني عدي بن ثابت عن البراء به. ورجاله ثقات إلا عيسى بن المسيب فمختلف فيه، ضعفه الجمهور، وقال ابن عدي: هو صالح الحديث. إلا أنه متابع للمنهال ففيه رد على ابن حزم في قوله بتفرد المنهال. تنبيهه: لم أجده في المسند من طريق أبي النضر، وإنما الذي في المسند في عدة مواضع عن المنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء، فالله أعلم.

القَبْرَ وَلَمْ يَلْحَدْ وَوُضِعَتْ الْجِنَازَةُ وَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا احْتَضَرَ أَتَاهُ مَلِكُ الْمَوْتِ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، وَأَطْيَبِهِ رِيحًا فَجَلَسَ عِنْدَهُ لِقَبْضِ رُوحِهِ وَأَتَاهُ مَلِكُ بَحْنُوطٍ مِنَ الْجَنَّةِ وَكَفَنَ مِنَ الْجَنَّةِ وَكَانَا مِنْهُ عَلَى بَعِيدٍ فَيَسْتَخْرِجُ مَلِكُ الْمَوْتِ رُوحَهُ مِنْ جَسَدِهِ رَشْحًا فَإِذَا صَارَتْ إِلَى مَلِكِ الْمَوْتِ ابْتَدَرَهَا الْمَلِكَانِ فَأَخَذَا مِنْهُ فَحْنَطَاهَا بِحْنُوطٍ مِنَ الْجَنَّةِ وَكَفَنَاهَا بِكَفْنٍ مِنَ الْجَنَّةِ ثُمَّ عَرَجَا بِهِ إِلَى الْجَنَّةِ فَتَفْتَحُ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَتَسْتَبْشِرُ الْمَلَائِكَةُ بِهَا وَيَقُولُونَ: لِمَنْ هَذِهِ الرُّوحُ الطَّيِّبَةُ الَّتِي فَتَحَتْ لَهَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ؟ وَيُسَمَّى بِأَحْسَنِ الْأَسْمَاءِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا. فَيُقَالُ: هَذِهِ رُوحُ فُلَانٍ فَإِذَا صَعِدَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ شَبِعَهَا مَقْرَبُو كُلِّ سَمَاءٍ حَتَّى تُوَضَعَ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ عِنْدَ الْعَرْشِ فَيُخْرِجُ عَمَلَهَا مِنْ عِلْيَيْنِ فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْمُقْرَبِينَ: أَشْهَدُوا إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَصَاحِبِ هَذَا الْعَمَلِ وَيُخْتَمُ كِتَابُهُ فَيُرَدُّ فِي عِلْيَيْنِ. فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: رَدُّوا رُوحَ عَبْدِي إِلَى الْأَرْضِ فَإِنِّي وَعَدْتُهُمْ أَنْ أَرُدَّهُمْ فِيهَا ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾ [طه: ٥٥]، فَإِذَا وَضِعَ الْمُؤْمِنُ فِي لِحْدِهِ فَتَحَ لَهُ بَابٌ عِنْدَ رِجْلَيْهِ إِلَى الْجَنَّةِ فَيُقَالُ لَهُ: انظُرْ إِلَى مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ مِنَ الثَّوَابِ وَيَفْتَحُ لَهُ بَابٌ عِنْدَ رَأْسِهِ إِلَى النَّارِ فَيُقَالُ لَهُ: انظُرْ مَا صَرَفَ اللَّهُ عَنْكَ مِنَ الْعَذَابِ. ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: نَمَّ قَرِيرَ الْعَيْنِ فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ قِيَامِ السَّاعَةِ.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِذَا وَضِعَ الْمُؤْمِنُ فِي لِحْدِهِ تَقُولُ لَهُ الْأَرْضُ: إِنْ كُنْتُ لِحْبِيبًا إِلَيْكَ وَأَنْتَ عَلَى ظَهْرِي فَكَيْفَ إِذَا صَرْتَ الْيَوْمَ فِي بَطْنِي سَأْرِيكَ مَا أَصْنَعُ [بك] فَيَفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِذَا وَضِعَ الْكَافِرُ فِي قَبْرِهِ أَتَاهُ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ فَيَجْلِسَانِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي. فَيَقُولَانِ لَهُ: لَا دَرِيْتَ فَيَضْرِبَانِهِ ضَرْبَةً فَيَصِيرُ رَمَادًا ثُمَّ

يُعَاد فيجلس. فَيُقَال لَهُ: مَا قَوْلِكَ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُول: أَيُّ رَجُلٍ؟ فَيَقُولَانِ: مُحَمَّدٌ. فَيَقُول: قَالَ النَّاسُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ فَيَضْرِبَانَهُ ضَرْبَةً فَيَصِيرُ رَمَادًا<sup>(١)</sup>.

هَذَا حَدِيثٌ ثَابِتٌ مَشْهُورٌ مُسْتَفِيضٌ صَحِيحُهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْحَفَاطِ، وَلَا نَعْلَمُ أَحَدًا مِنَ أَيْمَّةِ الْحَدِيثِ طَعَنَ فِيهِ، بَلْ رَوَوْهُ فِي كِتَابِهِمْ، وَتَلَقَوْهُ بِالْقَبُولِ، وَجَعَلُوهُ أَصْلًا مِنْ أَصُولِ الدِّينِ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ، وَنَعِيمِهِ، وَمُسَاءَلَةِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ، وَقَبْضِ الْأَرْوَاحِ، وَصُعُودِهَا إِلَى بَيْنِ يَدَيْ اللَّهِ ثُمَّ رُجُوعِهَا إِلَى الْقَبْرِ.

وَقَوْلُ أَبِي مُحَمَّدٍ: «لَمْ يَرَوْهُ غَيْرُ زَادَانَ» فَوَهُمْ مِنْهُ؛ بَلْ رَوَاهُ عَنِ الْبَرَاءِ غَيْرُ زَادَانَ وَرَوَاهُ عَنْهُ عَدِيُّ بْنُ ثَابِتٍ، وَمُجَاهِدُ بْنُ جَبْرِ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَقْبَةَ، وَغَيْرِهِمْ. وَقَدْ جَمَعَ الدَّارُ قُطْنِي طَرِقَهُ فِي مُصَنَّفِ مُفْرَدٍ. وَزَادَانَ مِنَ الثَّقَاتِ رَوَى عَنْ أَكْبَارِ الصَّحَابَةِ كَعُمَرَ وَغَيْرِهِ، وَرَوَى لَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ. قَالَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ: ثِقَةٌ. وَقَالَ حَمِيدُ بْنُ هِلَالٍ وَقَدْ سُئِلَ عَنْهُ: هُوَ ثِقَةٌ لَا تَسْأَلُ عَنْ مِثْلِ هَؤُلَاءِ. وَقَالَ ابْنُ عَدِيٍّ: أَحَادِيثُهُ لَا بَأْسَ بِهَا إِذَا رَوَى عَنْهُ ثِقَةٌ<sup>(٢)</sup>.

<sup>(١)</sup> وهذا إسناد رجاله ثقات إلا خصيف وهو ابن عبد الرحمن الجزري فهو صدوق سيء الحفظ خلط بأخرة ورمي بالإرجاء. قاله الحافظ، إلا أنه متابع للمنهال في رد الروح عند السؤال، فهو مبطل لقول ابن حزم القائل بتفرد المنهال في هذا.

تنبيه: ما ذكره ابن القيم من متابعة محمد بن عقبة للمنهال لم أقف عليه، والله أعلم.

<sup>(٢)</sup> هذه الفقرة من قوله: وقول أبي محمد لم يروه غير زادان ..... إلى قول ابن عدي، أخذها المصنف من كلام شيخ الإسلام مع تصرف يسير، وكلام شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٤٤٦/٥-٤٤٧) وهذا لفظه: «وَرَعَمَ ابْنُ حَزْمٍ أَنَّ «الْعَوْدَ» لَمْ يَرَوْهُ إِلَّا زَادَانَ عَنِ الْبَرَاءِ وَصَعَّمَهُ وَكَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا قَالَهُ بَلْ رَوَاهُ غَيْرُ زَادَانَ عَنِ الْبَرَاءِ وَرُوِيَ عَنْ غَيْرِ الْبَرَاءِ مِثْلَ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ وَغَيْرِهِ. وَقَدْ جَمَعَ الدَّارِقُطْنِيُّ طَرِقَهُ فِي مُصَنَّفِ مُفْرَدٍ مَعَ أَنَّ زَادَانَ مِنَ الثَّقَاتِ رَوَى عَنْ أَكْبَارِ الصَّحَابَةِ كَعُمَرَ وَغَيْرِهِ وَرَوَى لَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ وَغَيْرُهُ؛ قَالَ يَحْيَى

وَقَوْلُهُ: إِنَّ الْمُنْهَالَ بَنَ عَمْرٍو تَفْرُدَ بِهَذِهِ الزِّيَادَةِ، وَهِيَ قَوْلُهُ: «فَتَعَادُ رُوحَهُ فِي جَسَدِهِ» وَضَعَّفَهُ. فَلِلْمُنْهَالِ أَحَدُ الثَّقَاتِ الْعُدُولُ. قَالَ ابْنُ مَعِينٍ: الْمُنْهَالُ ثِقَّةٌ. وَقَالَ الْعَجَلِيُّ: كُوفِي ثِقَّةٌ. وَأَعْظَمُ مَا قِيلَ فِيهِ أَنَّهُ سُمِعَ مِنْ بَيْتِهِ صَوْتُ غَنَاءٍ. وَهَذَا لَا يُوجِبُ الْقَدْحَ فِي رِوَايَتِهِ، وَأَطْرَاحُ حَدِيثِهِ. وَتَضْعِيفُ ابْنِ حَزْمٍ لَهُ لَا شَيْءٌ<sup>(١)</sup>؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ مُوجِبًا لِتَضْعِيفِهِ غَيْرَ تَفْرُدِهِ بِقَوْلِهِ: «فَتَعَادُ رُوحَهُ فِي جَسَدِهِ» وَقَدْ بَيَّنَّا أَنَّهُ لَمْ يَتَفْرُدْ بِهَا، بَلْ قَدْ رَوَاهَا غَيْرُهُ، وَقَدْ رُوِيَ مَا هُوَ أَبْلَغُ مِنْهَا أَوْ نَظِيرُهَا، كَقَوْلِهِ: «فَتَرُدُّ إِلَيْهِ رُوحَهُ»، وَقَوْلِهِ: «فَتَنْصِيرُ إِلَى قَبْرِهِ»، وَقَوْلِهِ: «فَيَسْتَوِي جَالِسًا»، وَقَوْلِهِ: «فَيَجْلِسَانَهُ»، وَقَوْلِهِ: «فَيَجْلِسُ فِي قَبْرِهِ» وَكَلِمَاتُهَا أَحَادِيثُ صِحَاحٍ لَا مَغْمَزَ فِيهَا<sup>(٢)</sup>.

ابْنُ مَعِينٍ: هُوَ ثِقَّةٌ، وَقَالَ حَمِيدُ بْنُ هَلَالٍ وَقَدْ سُئِلَ عَنْهُ فَقَالَ: هُوَ ثِقَّةٌ لَا يُسْأَلُ عَنْ مِثْلِ هَؤُلَاءِ، وَقَالَ ابْنُ عَدِيٍّ: أَحَادِيثُهُ لَا بَأْسَ بِهَا إِذَا رَوَى عَنْهُ ثِقَّةٌ.

قلت: ولم أفهم على كلام ابن حزم هذا بعد النظر في جملة من مصنفاته المطبوعة، وإنما كان إعلال ابن حزم للحديث في كتابه «الفصل» بسبب تفرد المنهال بن عمرو به وهو ضعيف عنده، وهو الذي نقله ابن القيم فيما مضى عن ابن حزم، ولم يقع في كلام ابن حزم تعرض لزاedan ولا ذكر له بشيء.

وسياتي من كلام ابن القيم قوله: «وقد أعلَّ غيره- أي غير ابن حزم وهو ابن حبان- الحديث بأن زادن لم يسمعه من البراء». فهذا مما يؤيد أن ابن حزم لم يذكر زادن ولم يتعرض له، وأن الكلام المتقدم كان نتيجة وهم. والله أعلم. هذا التنبيه مستفاد من حاشية الروح طبعة دار عالم الفوائد.

<sup>(١)</sup> في الأصل: «وتضعيف ابن حزم لا شيئاً».

<sup>(٢)</sup> وسياتي ذكرها إن شاء الله.



وَقَدْ أَعْلَى غَيْرِهِ الْحَدِيثُ بِأَنَّ زَادَانَ لَمْ يَسْمَعْهُ مِنَ الْبِرَاءِ<sup>(١)</sup>، وَهَذِهِ الْعِلَّةُ بَاطِلَةٌ؛ فَإِنَّ أَبَا عَوَانَةَ الْإِسْفَرَايِينِي رَوَاهُ فِي صَحِيحِهِ بِإِسْنَادِهِ.

(١) الذي أعله بهذه العلة هو ابن حبان رحمته الله في "صحيحه" حديث رقم (٣١١٧)، وزاد علة أخرى وهي أن الأعمش لم يسمعه من المنهال، وإنما سمعه من الحسن بن عماره عن المنهال. وقد بين ابن القيم عدم صحة العلتين في كتابه "تهذيب السنن" (١٣٩/٧-١٤١) حيث قال: (وَقَالَ أَبُو حَاتِمِ الْبُسْتِي خَبَرَ الْأَعْمَشَ عَنِ الْمُنْهَالِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ زَادَانَ عَنِ الْبِرَاءِ سَمِعَهُ الْأَعْمَشَ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَمَارَةَ عَنِ الْمُنْهَالِ بْنِ عَمْرٍو وَزَادَانَ لَمْ يَسْمَعْ مِنَ الْبِرَاءِ فَلِذَلِكَ لَمْ أُخْرِجْهُ. فَذَكَرَ لَهُ عَلْتَيْنِ: انْقِطَاعَهُ بَيْنَ زَادَانَ وَالْبِرَاءِ، وَدُخُولَ الْحَسَنِ بْنِ عَمَارَةَ بَيْنَ الْأَعْمَشِ وَالْمُنْهَالِ. وَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ حَزْمٍ: وَلَمْ يَرَوْ أَحَدًا فِي عَذَابِ الْقَبْرِ أَنَّ الرُّوحَ تُرَدُّ إِلَى الْجَسَدِ إِلَّا الْمُنْهَالِ بْنِ عَمْرٍو وَوَيْسَ بِالْقَوِيِّ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨]، فَصَحَّ أَنَّهَا حَيَاتَانِ وَمَوْتَانِ فَقَطُّ وَلَا تُرَدُّ الرُّوحُ إِلَّا لِمَنْ كَانَ ذَلِكَ آيَةً لَهُ كَمَنْ أَحْيَاهُ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكُلُّ مَنْ جَاءَ فِيهِ نَصٌّ بِذَلِكَ. وَلَمْ أَعْلَمْ أَحَدًا طَعَنَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ إِلَّا أَبَا حَاتِمِ الْبُسْتِي، وَابْنَ حَزْمٍ وَجَمُوعَ مَا ذَكَرَاهُ ثَلَاثًا: إِحْدَاهَا: ضَعْفُ الْمُنْهَالِ، وَالثَّانِيَّةُ: أَنَّ الْأَعْمَشَ لَمْ يَسْمَعْهُ مِنَ الْمُنْهَالِ، وَالثَّلَاثَةُ: أَنَّ زَادَانَ لَمْ يَسْمَعْهُ مِنَ الْبِرَاءِ. وَهَذِهِ عِلَلٌ وَاهِيَةٌ جِدًّا.

فَأَمَّا الْمُنْهَالِ بْنِ عَمْرٍو فَرَوَى لَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ وَالنَّسَائِيُّ: الْمُنْهَالِ ثِقَةٌ. وَقَالَ الدَّارِ قُطَيْبِيُّ: صَدُوقٌ، وَذَكَرَهُ بَنُ حَبَّانَ فِي الثَّقَاتِ. وَالَّذِي اعْتَمَدَهُ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ حَزْمٍ فِي تَضْعِيفِهِ أَنَّ ابْنَ أَبِي حَاتِمِ حَكَى عَنِ شُعْبَةَ أَنَّ تَرَكَهُ وَحَاكَهُ أَحْمَدُ عَنِ شُعْبَةَ. وَهَذَا لَوْ لَمْ نَذْكُرْ سَبَبَ تَرَكَهُ لَمْ يَكُنْ مُوجِبًا لِتَضْعِيفِهِ لِأَنَّ مَجْرَدَ تَرَكَ شُعْبَةَ لَهُ لَا يَدُلُّ عَلَى ضَعْفِهِ، فَكَيْفَ وَقَدْ قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: إِنَّمَا تَرَكَهُ شُعْبَةَ لِأَنَّهُ سَمِعَ فِي دَارِهِ صَوْتَ قِرَاءَةٍ بِالتَّطْرِيْبِ. وَرَوَى عَنِ شُعْبَةَ قَالَ: أَتَيْتُ مَنْزِلَ الْمُنْهَالِ فَسَمِعْتُ صَوْتَ الطَّنْبُورِ فَرَجَعْتُ. فَهَذَا سَبَبُ جَرْحِهِ وَمَعْلُومٌ أَنَّ شَيْئًا مِنْ هَذَا لَا يَقْدَحُ فِي رِوَايَتِهِ لِأَنَّ غَايَتَهُ أَنْ يَكُونَ عَالِمًا بِهِ مُحْتَارًا لَهُ وَلَعَلَّهُ مُتَأَوَّلٌ فِيهِ فَكَيْفَ وَقَدْ يُمَكِّنُ أَنْ لَا يَكُونَ ذَلِكَ بِحُضُورِهِ وَلَا إِذْنِهِ وَلَا عِلْمِهِ، وَبِالْجُمْلَةِ فَلَا يَرُدُّ حَدِيثَ الثَّقَاتِ هَذَا وَأَمْثَالَهُ.

وَقَالَ: عَنْ أَبِي عُمَرَ زَادَانَ الْكَنْدِيِّ <sup>(١)</sup> قَالَ: سَمِعْتُ الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ <sup>(٢)</sup>.

وَأَمَّا الْعِلَّةُ الثَّانِيَّةُ: وَهِيَ أَنَّ بَيْنَ الْأَعْمَشِ فِيهِ وَبَيْنَ الْمُنْهَالِ الْحَسَنَ بْنَ عُمَارَةَ، فَجَوَّابَهَا أَنَّهُ قَدْ رَوَاهُ عَنْ الْمُنْهَالِ جَمَاعَةً كَمَا قَالَه بِنِ عَدِيٍّ. فَرَوَاهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ يُونُسَ بْنِ حَبَّابٍ عَنِ الْمُنْهَالِ. وَرَوَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ يُونُسَ عَنِ الْمُنْهَالِ.

فَبَطَلَتْ الْعِلَّةُ مِنْ جِهَةِ الْحَسَنِ بْنِ عُمَارَةَ وَلَمْ يَضُرَّ دُخُولَ الْحَسَنِ شَيْئًا. وَأَمَّا الْعِلَّةُ الثَّلَاثَةُ: وَهِيَ أَنَّ زَادَانَ لَمْ يَسْمَعْهُ مِنَ الْبَرَاءِ فَجَوَّابَهَا مِنْ وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّ أَبَا عَوَانَةَ الْإِسْفَرَايِينِيَّ رَوَاهُ فِي صَحِيحِهِ وَصَرَّحَ فِيهِ بِسَمَاعِ زَادَانَ لَهُ مِنَ الْبَرَاءِ فَقَالَ: سَمِعْتُ الْبَرَاءَ ابْنَ عَازِبٍ فَذَكَرَهُ.

وَالثَّانِي: أَنَّ ابْنَ مَنْدَةَ رَوَاهُ عَنِ الْأَصَمِّ حَدَّثَنَا الصَّاعِقَانِيُّ أَحْبَرَنَا أَبُو النَّضْرِ عَيْسَى بْنُ الْمُسَيَّبِ عَنْ عَدِيٍّ بْنِ ثَابِتٍ عَنِ الْبَرَاءِ فَذَكَرَهُ.

فَهَذَا عَدِيٌّ بْنُ ثَابِتٍ قَدْ تَابَعَ زَادَانَ.

قَالَ ابْنُ مَنْدَةَ وَرَوَاهُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ غِيلَانَ وَغَيْرُهُمَا عَنْ أَبِي النَّضْرِ وَرَوَاهُ ابْنُ مَنْدَةَ أَيضًا مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَمَةَ عَنْ خُصَيْفِ الْجَزْرِيِّ عَنْ مُجَاهِدٍ عَنِ الْبَرَاءِ.

قَالَ أَبُو مُوسَى الْأَصْبَهَانِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ مَشْهُورٌ بِالْمُنْهَالِ عَنِ زَادَانَ، وَصَحَّحَهُ أَبُو نُعَيْمٍ وَالْحَاكِمُ وَغَيْرُهُمَا.

وَأَمَّا مَا ظَنَّهُ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ حَزْمٍ مِنْ مُعَارَضَةِ هَذَا الْحَدِيثِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨]، الْآيَةَ وَأَنَّهَا حَيَاتَانِ وَمَوْتَانِ لَا غَيْرَ فَجَوَّابُهُ:

أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ يَحْيَا حَيَاةً مُسْتَقَرَّةً فِي قَبْرِهِ، وَالْحَيَاتَانِ الْمَذْكُورَتَانِ فِي الْآيَةِ هُمَا اللَّتَانِ ذُكِرَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ [غافر: ١١]، وَهَاتَانِ حَيَاتَانِ مُسْتَقَرَّتَانِ وَأَمَّا رَدُّ الرُّوحِ إِلَيْهِ فِي الْبَرَزَخِ لِلسُّؤَالِ فَرَدُّ عَارِضٌ لَا يَنْصِلُ بِهِ حَيَاةً بَعْدَ حَيَاةٍ ثَالِثَةٍ، فَلَا مُعَارَضَةَ بَيْنَ الْحَدِيثِ وَالْقُرْآنِ بِوَجْهِ مِنْ الْوُجُوهِ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ).

<sup>(١)</sup> فِي الْأَصْلِ: عَنْ ابْنِ عَمْرٍو ابْنِ زَادَانَ الْكَنْدِيِّ، وَوَقَعَ فِي (ف): عَنْ ابْنِ عَمْرٍو عَنِ زَادَانَ الْكَنْدِيِّ. وَالَّذِي فِي الْأَصْلِ خَطَأً، وَالصَّوَابُ مَا اثْبَتْنَاهُ، وَمَا وَقَعَ فِي (ف) أَيْضًا صَحِيحٌ فَابْنُ عَمْرٍو هُوَ الْمُنْهَالُ.

<sup>(٢)</sup> وَهُوَ بِهَذِهِ الرِّوَايَةِ عِنْدَ أَحْمَدَ: (٢٤٤/٤) قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ نَمِيرٍ حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ حَدَّثَنَا الْمُنْهَالُ ابْنُ عَمْرٍو عَنِ أَبِي عَمْرٍو زَادَانَ قَالَ سَمِعْتُ الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ فَذَكَرَ نَحْوَهُ.

وَقَالَ الْحَافِظُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَنْدَةَ: هَذَا إِسْنَادٌ مُتَّصِلٌ مَشْهُورٌ رَوَاهُ جَمَاعَةٌ عَنِ الْبَرَاءِ.

وَلَوْ نَزَلْنَا عَنْ حَدِيثِ الْبَرَاءِ فَسَائِرُ الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ صَرِيحَةٌ فِي ذَلِكَ مِثْلَ حَدِيثِ ابْنِ أَبِي ذَيْبٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عَطَاءٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْمَيِّتَ تَحْضُرُهُ الْمَلَائِكَةُ فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ الصَّالِحَ قَالَ: أَخْرَجِي أَيْتَهَا النَّفْسَ الطَّيِّبَةَ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ أَخْرَجِي حَمِيدَةً وَأَبْشِرِي بِرُوحٍ وَرَيْحَانٍ وَرَبِّ غَيْرِ غَضْبَانَ. قَالَ: فَيَقُولُ ذَلِكَ حَتَّى تَخْرُجَ ثُمَّ يَعْرِجُ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ فَيَسْتَفْتِحُ لَهَا فَيَقَالُ: مَنْ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: فَلَانٌ. فَيَقُولُونَ: مُرْحَبًا بِالنَّفْسِ الطَّيِّبَةِ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ ادْخُلِي حَمِيدَةً وَأَبْشِرِي بِرُوحٍ وَرَيْحَانٍ وَرَبِّ غَيْرِ غَضْبَانَ. فَيَقَالُ لَهَا ذَلِكَ حَتَّى يَنْتَهِيَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي فِيهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ السُّوءَ قَالَ: أَخْرَجِي أَيْتَهَا النَّفْسَ الْخَبِيثَةَ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الْخَبِيثِ أَخْرَجِي ذَمِيمَةً وَأَبْشِرِي بِحَمِيمٍ وَغَسَاقٍ وَآخِرُ مَنْ شَكَلَهُ أَزْوَاجٌ فَيَقُولُونَ ذَلِكَ حَتَّى تَخْرُجَ ثُمَّ يَعْرِجُ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ فَيَسْتَفْتِحُ لَهَا فَيَقَالُ: مَنْ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: فَلَانٌ. فَيَقُولُونَ: لَا مُرْحَبًا بِالنَّفْسِ الْخَبِيثَةِ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الْخَبِيثِ ارْجِعِي ذَمِيمَةً فَإِنَّهَا لَنْ تَفْتَحَ لَكَ أَبْوَابَ السَّمَاءِ فَتُرْسَلُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَتَنْصَرِفُ إِلَى الْقَبْرِ فَيَجْلِسُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فِي قَبْرِهِ غَيْرَ فَرْعٍ وَلَا مَشْعُوفٍ<sup>(١)</sup>. [ثُمَّ يُقَالُ: فِيمَ كُنْتَ؟ فَيَقُولُ: كُنْتُ فِي الْإِسْلَامِ؟ فَيَقَالُ لَهُ: مَا هَذَا

(١) في المخطوطتين: (ولا معوق) وهو تصحيف والصواب ما أثبتناه، وهو الموافق لما في سنن ابن ماجه (٤٢٦٨)، ومجموع الفتاوى (٤٤٦/٥) إلا أنه وقع فيه: (مشغوف) بالعين المعجمة والصواب بالعين المهملة. والشعف هو شدة الفرع حتى يذهب بالقلب.

الرجل؟<sup>(١)</sup> فيقول: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ قَبْلِ اللَّهِ فَأَمَّنَّا وَصَدَقْنَا...». وذكر تمام الحديث<sup>(٢)</sup>.

قَالَ الْحَافِظُ أَبُو نَعِيمٍ: هَذَا حَدِيثٌ مُتَّفَقٌ عَلَى عَدَالَةِ نَاقِلِيهِ<sup>(٣)</sup>، اتَّفَقَ الْإِمَامَانِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ عَنِ ابْنِ أَبِي ذِئْبٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ عَطَاءٍ وَسَعِيدُ بْنُ يَسَارٍ، وَهُمْ مِنْ شَرِطِهِمَا. وَرَوَاهُ الْمُتَقَدِّمُونَ الْكِبَارُ عَنِ ابْنِ أَبِي ذِئْبٍ مِثْلَ ابْنِ أَبِي فَيْدِيكَ [وَعَنْهُ دُحَيْمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ]<sup>(٤)</sup>. انْتَهَى. وَرَوَاهُ عَنِ ابْنِ أَبِي ذِئْبٍ غَيْرَ وَاحِدٍ.

وَقَدْ احْتَجَّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَنْدَةَ عَلَى إِعَادَةِ الرُّوحِ إِلَى الْبَدَنِ بِأَنَّ قَالَ: أَبْنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ابْنَ الْحَسَنِ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ النَّيْسَابُورِيُّ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ قِيرَاطٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ، عَنِ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الصَّائِعِ الْبَلْخِيِّ<sup>(٥)</sup>، عَنِ الضَّحَّاكِ بْنِ مُزَاهِمٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ قَاعِدٌ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ﴾ [الأنعام: ٩٣]، الْآيَةَ. قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا مِنْ نَفْسٍ تَفَارِقُ الدُّنْيَا حَتَّى تَرَى مَقْعِدَهَا مِنَ الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ»

(١) في المخطوطتين [فما كنت تقول في الإسلام ما هذا الرجل] وهو سياق فاسد لا يستقيم به المعنى، وما أثبتناه من سنن ابن ماجه (٤٢٦٨) وهو الصواب.

(٢) (صحيح) أخرجه أحمد: (٣٦٤/٢)، والنسائي في الكبرى (١١٤٤٢)، وابن ماجه (٤٢٦٢) وإسناده صحيح رجاله رجال الشيخين.

(٣) في الأصل (ناقله).

(٤) في الأصل (وعبد الرحيم بن إبراهيم). وهو تصحيف وما أثبتناه من مجموع الفتاوى (٥/٤٤٥).

(٥) في الأصل: (البجلي).

ثُمَّ قَالَ: «فَإِذَا كَانَ عِنْدَ ذَلِكَ صَفَ لَهُ سَاطَانَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَنْتَظِمَانِ مَا بَيْنَ الْخَافِقِينَ<sup>(١)</sup> كَأَنَّ وُجُوهُهُمُ الشَّمْسُ فَيَنْظُرُ إِلَيْهِمْ مَا تَرَى غَيْرَهُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكُمْ مَعَ كُلِّ مَلِكٍ مِنْهُمْ أَكْفَانٌ وَحَنُوطٌ.

فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا بِشُرُوهِ بِالْجَنَّةِ وَقَالُوا أُخْرِجِي أَيْتَهَا النَّفْسَ الطَّيِّبَةَ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ وَجَنَّتْهُ فَقَدْ أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ مِنَ الْكِرَامَةِ مَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا. فَلَا يَزَالُونَ يُبَشِّرُونَهُ وَيَحْفُونَ بِهِ فَلَهُمُ الْطُفُّ وَأَرْأَفُ مِنَ الْوَالِدَةِ بِوَالِدِهَا ثُمَّ يَسْلُونَ رُوحَهُ مِنْ تَحْتِ كُلِّ ظَفَرٍ وَمِفْصَلٍ وَيَمُوتُ الْأَوَّلُ فَالْأَوَّلُ وَيَهْوَنُ عَلَيْهِ وَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَهُ شَدِيدًا حَتَّى تَبْلُغَ ذِقْنَهُ.

قَالَ: فَلِهِيَ أَشَدُّ كَرَاهِيَةً لِلْخُرُوجِ مِنَ الْجَسَدِ مِنَ الْوَالِدِ حِينَ يَخْرُجُ مِنَ الرَّحِمِ فَيَتَدَرَوْنَهَا، كُلُّ مَلِكٍ مِنْهُمْ، أَيُّهُمْ يَقْبِضُهَا. فَيَتَوَلَّى قَبْضَهَا مَلِكُ الْمَوْتِ ثُمَّ تَلَا رَسُولُ ﷺ: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: ١١]، فَيَتَلَقَّاها بِأَكْفَانٍ بَيضٍ ثُمَّ يَحْتَضِنُهَا إِلَيْهِ فَلَهُوَ أَشَدُّ لُزُومًا [لَهَا] مِنَ الْمَرْأَةِ إِذَا وَلَدَتْهَا ثُمَّ يَفُوحُ مِنْهَا رِيحٌ أَطْيَبُ مِنَ الْمَسْكِ فَيَسْتَنْشِقُونَ رِيحَهَا وَيَتَبَاشَرُونَ [بِهَا] وَيَقُولُونَ مَرْحَبًا بِالرُّوحِ الطَّيِّبَةِ وَالرُّوحِ الطَّيِّبِ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ رُوحًا وَعَلَىٰ جَسَدِهِ خَرَجَتْ مِنْهُ.

قَالَ فَيَصْعَدُونَ بِهَا وَلِلَّهِ عِزٌّ وَجَلَّ خَلْقٌ فِي الْهَوَاءِ لَا يَعْلَمُ عِدَّتَهُمْ إِلَّا هُوَ فَيَفُوحُ لَهُمْ مِنْهَا رِيحٌ أَطْيَبُ مِنَ الْمَسْكِ فَيَصْلُونَ عَلَيْهَا وَيَتَبَاشَرُونَ وَيَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ فَيَصِلُ عَلَيْهِمْ كُلُّ مَلِكٍ فِي كُلِّ سَمَاءٍ تَمْرٌ بِهِمْ حَتَّى يَنْتَهِيَ بِهَا بَيْنَ يَدَيْ الْمَلِكِ الْجَبَّارِ فَيَقُولُ الْجَبَّارُ:

(١) قوله: «سَاطَانَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ» أي صَفَانَ، والسَاطِطُ الصَّف. وقوله: «مَا بَيْنَ الْخَافِقِينَ» الخَافِقَانِ هُمَا الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ وَسُمِّيَا بِذَلِكَ لِأَنَّ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ يَخْفِقَانِ فِيهَا.

مَرْحَبًا بِالنَّفْسِ الطَّيِّبَةِ وَيَجْسَدُ خَرَجَتْ مِنْهُ وَإِذَا قَالَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ لِلشَّيْءِ مَرْحَبًا رَحَّبَ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَيَذْهَبُ عَنْهُ كُلُّ ضَيْقٍ.

ثُمَّ يَقُولُ هَذِهِ النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ: أَدْخَلُوهَا الْجَنَّةَ وَأُرْوَاهَا مَقْعِدَهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَاعْرَضُوا عَلَيْهَا مَا أَعَدَدْتُمْ لَهَا مِنَ الْكِرَامَةِ وَالنَّعِيمِ ثُمَّ أَذْهَبُوا بِهَا إِلَى الْأَرْضِ فَإِنِّي قَضَيْتُ إِنِّي مِنْهَا خَلَقْتَهُمْ وَفِيهَا أَعِيدَهُمْ وَمِنْهَا أَخْرَجَهُمْ تَارَةً أُخْرَى فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَهِيَ أَشَدَّ كِرَاهِيَةً لِلْخُرُوجِ مِنْهَا حِينَ كَانَتْ تَخْرُجُ مِنَ الْجَسَدِ وَتَقُولُ أَيُّنْ تَذْهَبُونَ بِي إِلَى ذَلِكَ الْجَسَدِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ قَالَ فَيَقُولُونَ إِنَّا مَأْمُورُونَ بِهَذَا فَلَا بُدَّ لَكَ مِنْهُ فَيَهْبِطُونَ بِهِ عَلَى قَدْرِ فِرَاقِهِمْ مِنْ غَسَلِهِ وَأَكْفَانِهِ فَيَدْخُلُونَ ذَلِكَ الرَّوْحَ بَيْنَ جَسَدِهِ وَأَكْفَانِهِ»<sup>(١)</sup>.

فَدَلَّ هَذَا الْحَدِيثُ أَنَّ الرَّوْحَ تُعَادُ بَيْنَ الْجَسَدِ وَالْأَكْفَانِ، وَهَذَا عَوْدٌ غَيْرُ التَّعَلُّقِ الَّذِي كَانَ لَهَا فِي الدُّنْيَا بِالْبَدَنِ، وَهُوَ نَوْعٌ آخَرَ، وَغَيْرُ تَعَلُّقِهَا بِهِ حَالَ النَّوْمِ، وَغَيْرُ تَعَلُّقِهَا بِهِ وَهِيَ فِي مَقَرِّهَا بَلْ هُوَ عَوْدٌ خَاصٌّ لِلْمَسْأَلَةِ.

<sup>(١)</sup> (ضعيف) أخرجه ابن مردويه - كما في الدر المنثور (١٣٣/٦) وإسناده ضعيف؛ حماد بن قيراط ترجمته في لسان الميزان (٣٩٨/٢) كان أبو زرعة يُمرِّضُ القول فيه، وقال ابن حبان: لا تجوز الرواية عنه يجيء بالطامات، وقال ابن عدي: عامة ما يرويه فيه نظر، وقال أبو حاتم: مضطرب الحديث يكتب حديثه ولا يحتج به، وقال ابن أبي حاتم عن أبي زرعة: صدوق.

وأيضاً فيه انقطاع الضحاك لم يسمع من ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ولم يلقه.

وقد ضعفه السيوطي في الدر المنثور عند الآية (٩٣) من سورة الأنعام، وقال ابن كثير في تفسيره عند الآية المتقدمة: (وذكر ابن مردويه هاهنا حديثاً مطولاً جداً من طريق غريبة عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعاً فالله أعلم).

قَالَ شيخ الإسلام<sup>(١)</sup>: الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ المتواترة تدل على عود الرُّوحِ إِلَى البدنِ وَقتِ السُّؤالِ، وَسؤالُ البدنِ بِلا رُوحِ قولِ قَالِه طَائِفَةٌ مِنَ النَّاسِ وَأَنكَرُهُ الْجُمْهُورُ، وَقابِلُهُمْ آخَرُونَ فَقَالُوا: السُّؤالُ لِلروحِ بِلا بدن. وَهَذَا قَالِه [ابن] مسرَّة وَابن حزم، وَكِلَاهُمَا غلط، وَالْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ تردُه وَلو كَانَ ذَلِكَ على الرُّوحِ فَقَط لم يكن للقبرِ بِالروحِ اخْتِصاص.

### فصل

وَهَذَا يَتَّضِحُ بِجَوَابِ الْمَسْأَلَةِ [الملحقة بالسادسة] وَهِيَ قولِ السَّائِلِ:

هَلْ عَذَابُ القَبْرِ على النَّفسِ وَالبدنِ، أَوْ على النَّفسِ دونِ البدنِ، أَوْ على البدنِ دونِ النَّفسِ؟ وَهل يُشَارِكُ البدنِ النَّفسِ فِي النَّعِيمِ وَالعَذَابِ أم لا؟

وَقَدْ سِئِلَ شيخ الإسلام عَن هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ - وَنَحْنُ نَذَكُرُ لفظِ جَوَابِه - فَقَالَ<sup>(٢)</sup>: بَلِ العَذَابُ وَالنَّعِيمُ على النَّفسِ وَالبدنِ جَمِيعًا بِاتِّفَاقِ أَهلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ. تَنعمُ النَّفسُ وَتَعذبُ مُنفَرِدَةً عَن البدنِ، وَتَنعمُ وَتَعذبُ مُتَّصِلَةً بِالبدنِ، وَالبدنُ مُتَّصِلٌ بِهَا، فَيَكُونُ النَّعِيمُ وَالعَذَابُ عَلِيَّهِمَا فِي هَذِهِ الحَالِ مُجْتَمِعِينَ، كَمَا يَكُونُ لِلروحِ<sup>(٣)</sup> مُنفَرِدَةً عَن البدنِ.

وَهل يَكُونُ العَذَابُ وَالنَّعِيمُ لِلبدنِ بِدونِ الرُّوحِ؟ هَذَا فِيهِ قولَانِ مشهورانِ لِأهلِ الحَدِيثِ وَالسُّنَّةِ وَأهلِ الكَلَامِ. وَفِي الْمَسْأَلَةِ أَقْوَالٌ شاذَّةٌ لَيْسَتْ مِنْ أَقْوَالِ أَهلِ السُّنَّةِ وَالحَدِيثِ: قولٌ مِنْ يَقُولُ: إِنْ النَّعِيمُ وَالعَذَابُ لَا يَكُونُ إِلَّا على الرُّوحِ، وَإِنْ البدنُ لَا

<sup>(١)</sup> انظر مجموع الفتاوى (٥/٤٤٦). ووقع فيه «ابن مسررة» بدل «ابن مسررة».

<sup>(٢)</sup> انظر «مجموع الفتاوى» (٤/٢٨٢)، وما نقله ابن القيم هنا فيه بعض الزيادات على ما في مجموع الفتاوى.

<sup>(٣)</sup> في الأصل (كما تكون الروح) والمثبت من مجموع الفتاوى.

ينعم وَلَا يعذب. وَهَذَا تَقَوْلُهُ الْفَلَّاسِفَةُ الْمُنْكَرُونَ لِمَعَادِ الْأَبْدَانِ، وَهُؤُلَاءِ [كُفَّار] بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ. وَيَقُولُهُ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ مِنَ الْمُعْتَزَلَةِ وَغَيْرِهِمْ الَّذِينَ يَقْرُونَ بِمَعَادِ الْأَبْدَانِ، لَكِنْ يَقُولُونَ: لَا يَكُونُ ذَلِكَ فِي الْبَرْزَخِ، وَإِنَّمَا يَكُونُ عِنْدَ الْقِيَامِ مِنَ الْقُبُورِ. لَكِنْ هُؤُلَاءِ يُنْكَرُونَ عَذَابَ الْبَدَنِ فِي الْبَرْزَخِ فَقَطْ، وَيَقُولُونَ: إِنْ الْأَرْوَاحُ هِيَ الْمُنْعَمَةُ أَوْ الْمُعَذَّبَةُ فِي الْبَرْزَخِ فَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذِبَتِ الرُّوحُ وَالْبَدَنُ مَعًا. وَهَذَا الْقَوْلُ قَالَهُ طَوَائِفٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ وَالْحَدِيثِ وَغَيْرِهِمْ وَهُوَ اخْتِيَارُ ابْنِ حَزْمٍ وَابْنِ مَسْرَةَ<sup>(١)</sup>. فَهَذَا الْقَوْلُ لَيْسَ مِنَ الْأَقْوَالِ الثَّلَاثَةِ الشَّاذَّةِ، بَلْ هُوَ مُضَافٌ إِلَى قَوْلٍ مِنْ يَقُولُ بِعَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَقْرُ بِالْقِيَامَةِ، وَيَثْبِتُ مَعَادَ الْأَبْدَانِ وَالْأَرْوَاحِ، وَلَكِنْ هُؤُلَاءِ هُمْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ ثَلَاثَةَ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ عَلَى الرُّوحِ فَقَطْ.

الثَّانِي: أَنَّهُ عَلَيْهَا وَعَلَى الْبَدَنِ بِوَسْطِطِهَا.

الثَّلَاثُ: أَنَّهُ عَلَى الْبَدَنِ فَقَطْ.

وَقَدْ يَضُمُّ إِلَى ذَلِكَ الْقَوْلِ الثَّانِي، وَهُوَ قَوْلٌ مِنْ يَثْبِتُ عَذَابَ الْقَبْرِ، وَيَجْعَلُ الرُّوحَ هِيَ الْحَيَاةَ. وَيَجْعَلُ الشَّاذَّ قَوْلَ مُنْكَرِ عَذَابِ الْأَبْدَانِ مُطْلَقًا، وَقَوْلٌ مِنْ يُنْكَرُ عَذَابَ الرُّوحِ مُطْلَقًا.

فَإِذَا جَعَلْتَ الْأَقْوَالَ الشَّاذَّةَ ثَلَاثَةً، فَالْقَوْلُ الثَّانِي الشَّاذُّ: قَوْلٌ مِنْ يَقُولُ: إِنْ الرُّوحُ بِمُفْرَدِهَا لَا تَنْعَمُ وَلَا تَعَذَّبُ. وَإِنَّمَا الرُّوحُ هِيَ الْحَيَاةَ. وَهَذَا يَقُولُهُ طَوَائِفٌ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ مِنَ الْمُعْتَزَلَةِ وَالْأَشْعَرِيَّةِ، كَالْقَاضِي أَبِي بَكْرٍ وَغَيْرِهِ، وَيُنْكَرُونَ أَنَّ الرُّوحَ تَبْقَى بَعْدَ

(١) تقدم التنبيه قريبا أن الذي في «مجموع الفتاوى» «ابن مسرة» بدل «ابن مسرة».



فِرَاقِ الْبَدَنِ. وَهُوَ قَوْلُ بَاطِلٍ، وَقَدْ خَالَفَهُ أَصْحَابُهُ أَبُو الْمَعَالِي الْجَوِينِيُّ وَغَيْرُهُ. بَلْ قَدْ ثَبَتَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَاتِّفَاقِ [سَلَفٍ]<sup>(١)</sup> الْأُمَّةِ أَنَّ الرُّوحَ تَبْقَى بَعْدَ فِرَاقِ الْبَدَنِ، وَأَنَّهَا مَنَعْمَةٌ أَوْ مَعَذِبَةٌ.

وَالْفَلَّاسِفَةُ الْإِلَهِيُونَ يَقْرُونَ بِذَلِكَ، لَكِنْ يُنْكِرُونَ مَعَادَ الْأَبْدَانِ. فَهَؤُلَاءِ يَقْرُونَ بِمَعَادِ الْأَبْدَانِ لَكِنْ يُنْكِرُونَ مَعَادَ الْأَرْوَاحِ وَنَعِيمَهَا وَعَذَابَهَا بِدُونِ الْأَبْدَانِ. وَكَلَامُ الْقَوْلَيْنِ خَطَأٌ وَضَلَالٌ، لَكِنْ قَوْلُ الْفَلَّاسِفَةِ أْبَعْدَ عَنِ أَقْوَالِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، وَإِنْ كَانَ قَدْ يُوَافِقُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ مَتَمَسِكٌ بِدِينِ الْإِسْلَامِ، بَلْ مِنْ يَظُنُّ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ وَالتَّصَوُّفِ وَالتَّحْقِيقِ وَالكَلَامِ.

وَالْقَوْلُ الثَّلَاثُ الشَّاذُّ: قَوْلٌ مِنْ يَقُولُ: إِنَّ الْبَرزَخَ لَيْسَ فِيهِ نَعِيمٌ وَلَا عَذَابٌ، بَلْ لَا يَكُونُ ذَلِكَ حَتَّى تَقُولَ السَّاعَةُ الْكُبْرَى. كَمَا يَقُولُ ذَلِكَ مَنْ يَقُولُهُ مِنَ الْمُعْتَزَلَةِ وَنَحْوِهِمْ، مِمَّنْ يُنْكِرُ عَذَابَ الْقَبْرِ وَنَعِيمَهُ، بِنَاءٍ عَلَى أَنَّ الرُّوحَ لَا تَبْقَى بَعْدَ فِرَاقِ الْبَدَنِ، وَأَنَّ الْبَدْنَ لَا يَنْعَمُ وَلَا يَعْذَبُ. فَجَمِيعُ هَؤُلَاءِ الطَّوَائِفِ ضَلَالٌ فِي أَمْرِ الْبَرزَخِ لَكِنَّهُمْ خَيْرٌ مِنَ الْفَلَّاسِفَةِ فَإِنَّهُمْ مَقْرُونَ بِالْقِيَامَةِ الْكُبْرَى.

## فصل

فَإِذَا عَرَفْتَ هَذِهِ الْأَقْوَالَ الْبَاطِلَةَ، فَلتَعَلَّمْ أَنَّ مَذْهَبَ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأُمَّتِهَا: أَنَّ الْمَيِّتَ إِذَا مَاتَ يَكُونُ فِي نَعِيمٍ أَوْ عَذَابٍ، وَأَنَّ ذَلِكَ يَحْصُلُ لِرُوحِهِ وَبَدَنِهِ، وَأَنَّ الرُّوحَ تَبْقَى بَعْدَ مُفَارَقَةِ الْبَدَنِ مَنَعْمَةٌ أَوْ مَعَذِبَةٌ، وَأَنَّهَا تَتَّصِلُ بِالْبَدَنِ أحيانًا [ف] يَحْصُلُ لَهُ مَعَهَا النَّعِيمُ أَوْ

(١) زيادة من "مجموع الفتاوى".

العَذَاب. ثُمَّ إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْكُبْرَى أُعِيدَتِ الْأَرْوَاحُ إِلَى الْأَجْسَادِ، وَقَامُوا مِنْ قُبُورِهِمْ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ.

ومعاد الأبدان مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى.

## فصل

وَنَحْنُ نَنْصُرُ مَا ذَكَرْنَاهُ، فَأَمَّا أَحَادِيثُ عَذَابِ الْقَبْرِ وَمَسْأَلَةُ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ، فَكَثِيرَةٌ مُتَوَاتِرَةٌ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِقَبْرَيْنِ فَقَالَ: «إِنَّهُمَا لِيَعَذَّبَانِ، وَمَا يَعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ. أَمَا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَرُ مِنَ الْبَوْلِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ». ثُمَّ دَعَا بِجَرِيدَةٍ رَطْبَةٍ، فَشَقَّهَا نِصْفَيْنِ فَقَالَ: «لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَبْسُ»<sup>(١)</sup>.

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»: عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حَائِطٍ لِبَنِي النَّجَارِ عَلَى بَغْلَتِهِ، وَنَحْنُ مَعَهُ، إِذْ حَادَتْ بِهِ، فَكَادَتْ تَلْقِيهِ، فَإِذَا أَقْبَرُ سِتَّةٍ أَوْ خَمْسَةٍ أَوْ أَرْبَعَةٍ. فَقَالَ: «مَنْ يَعْرِفُ أَصْحَابَ هَذِهِ الْقُبُورِ؟» فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا. قَالَ: «فَمَتَى مَاتَ هَؤُلَاءِ؟» قَالَ: مَاتُوا فِي الْإِسْرَاكِ. فَقَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تَبْتَلِي فِي قُبُورِهَا، فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافِنُوا لَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يَسْمَعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ» ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: «تَعُودُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ» قَالُوا: نَعُودُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ. قَالَ: «تَعُودُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ» قَالُوا: نَعُودُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ. قَالَ: «تَعُودُوا بِاللَّهِ مِنْ

<sup>(١)</sup> أخرجه البخاري: (٢١٨)، ومسلم: (٢٩٢).

الْفِتْنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْفِتْنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ. قَالَ: «تَعُوذُوا بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ». قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ<sup>(١)</sup>.

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» وَجَمِيعِ السَّنَنِ: عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ قَالَ: «إِذَا فَرَّغَ أَحَدُكُمْ مِنَ التَّشْهُدِ الْأَخِيرِ فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ: مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ»<sup>(٢)</sup>.

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» أَيْضًا وَغَيْرِهِ: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَعْلَمُهُمْ هَذَا الدُّعَاءَ، كَمَا يَعْلَمُهُمُ السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ»<sup>(٣)</sup>.

وَفِي «الصَّحِيحِينَ»: عَنِ أَبِي أَيُّوبَ قَالَ: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَدْ وَجَبَتِ الشَّمْسُ، فَسَمِعَ صَوْتًا، فَقَالَ: «يَهُودُ تَعَذَّبُ فِي قُبُورِهَا»<sup>(٤)</sup>.

وَفِي «الصَّحِيحِينَ»: عَنِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: دَخَلْتُ عَلَيَّ عَجُوزٌ مِنْ عَجَائِزِ يَهُودِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَتْ: إِنَّ أَهْلَ الْقُبُورِ يُعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ. قَالَتْ: فَكَذَّبْتُهَا وَلَمْ أَنْعَمْ أَنْ أَصْدَقَهَا. قَالَتْ: فَخَرَجْتُ، وَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ

(١) أخرجه مسلم: (٢٨٦٧).

(٢) أخرجه مسلم: (٥٨٨)، وأبو داود: (٩٨٣)، والنسائي (١٣١٠)، وابن ماجه (٩٠٩) ولم أقف عليه عند الترمذي من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وإنما أخرجه الترمذي: (٣٤٩٤) و (٣٤٩٥) عن ابن عباس وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرجه مسلم: (٥٩٠)، وأبو داود: (١٥٤٢)، والترمذي: (٣٤٩٤)، والنسائي: (٢٠٦٣).

(٤) أخرجه البخاري: (١٣٧٥)، ومسلم: (٢٨٦٩).

عجوزا من عَجَائِزِ يهود أهل المَدِينَةِ دخلت، فَرَعَمَتْ أَنْ أهل القُبُورِ يُعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ. قَالَ: «صَدَقْتُ، إِنَّهُمْ يُعَذَّبُونَ عَذَابًا تَسْمَعُهُ الْبَهَائِمُ كُلُّهَا». قَالَتْ: فَمَا رَأَيْتَهُ بَعْدُ فِي صَلَاةِ الْإِيتَعُوذُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ<sup>(١)</sup>.

وَفِي «صَحِيحِ ابْنِ حِبَانَ»: عَنْ أُمِّ مُبَشَّرٍ قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «تَعُوذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ». فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلِلْقَبْرِ عَذَابٌ؟ قَالَ: «إِنَّهُمْ لِيُعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ عَذَابًا تَسْمَعُهُ الْبَهَائِمُ»<sup>(٢)</sup>.

قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: وَلِهَذَا السَّبَبُ يَذْهَبُ النَّاسُ بِدَوَابِهِمْ إِذَا مَغَلَّتْ<sup>(٣)</sup> إِلَى قُبُورِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْمُنَافِقِينَ كَالْإِسْمَاعِيلِيَّةِ وَالنَّصِيرِيَّةِ وَالقِرَامِطَةَ مِنْ بَنِي عُبَيْدٍ وَغَيْرِهِمْ الَّذِينَ بَارِضٌ مِصْرَ وَالشَّامَ، فَإِنَّ أَصْحَابَ الْحَيْلِ يَقْصِدُونَ قُبُورَهُمْ لِذَلِكَ، كَمَا يَقْصِدُونَ قُبُورَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى. قَالُوا: فَإِذَا سَمِعَتْ الْحَيْلُ عَذَابَ الْقَبْرِ أَحْدَثَ لَهَا ذَلِكَ فَرَعَا وَحَرَارَةٌ يَذْهَبُ بِالْمَغْلِ<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه البخاري: (٦٣٦٦)، ومسلم: (٥٨٦).

(٢) (صحيح) أخرجه ابن حبان (٣١٢٥)، وأحمد: (٣٦٢/٦)، وابن أبي شيبة: (٣٧٤/٣) من طريق أبي معاوية عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر عن أم مبشر به. وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين. أبو معاوية هو محمد بن خازم الضرير، وأبو سفيان هو طلحة بن نافع الواسطي.

(٣) معنى «مغلت» أي: أكلت التراب مع البقل فأخذها وجع في بطنها. القاموس «مغل».

(٤) هذا الكلام ذكره شيخ الإسلام رحمته الله كما في «مجموع الفتاوى» (٢٨٧/٤)، و (١٣٩/٣٥).

وَقَدْ قَالَ عَبْدُ الْحَقِّ الْإِسْبِيلِيُّ حَدَّثَنِي الْفَقِيهَ أَبُو الْحَكَمِ بْنِ بَرَّجَانَ<sup>(١)</sup> وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ أَنَّهُمْ دَفَنُوا مَيْتَا بَقْرِيَّتِهِمْ فِي شَرْفِ إِشْبِيلِيَّةِ<sup>(٢)</sup> فَلَمَّا فَرَعُوا مِنْ دَفْنِهِ قَعَدُوا نَاحِيَةَ يَتَحَدَّثُونَ وَدَابَّةٌ تَرَعَى قَرِيبًا مِنْهُمْ فَإِذَا بِالِدَابَّةِ قَدْ أَقْبَلَتْ مَسْرَعَةً إِلَى الْقَبْرِ فَجَعَلَتْ أُذُنَهَا عَلَيْهِ كَأَنَّهَا تَسْمَعُ ثُمَّ وَلَتْ فَارَةً ثُمَّ وَلَتْ فَارَةً ثُمَّ عَادَتْ إِلَى الْقَبْرِ فَجَعَلَتْ أُذُنَهَا عَلَيْهِ كَأَنَّهَا تَسْمَعُ ثُمَّ وَلَتْ فَارَةً فَعَلَتْ ذَلِكَ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى قَالَ أَبُو الْحَكَمِ: فَذَكَرْتُ عَذَابَ الْقَبْرِ وَقَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّهُمْ لِيُعَذَّبُونَ عَذَابًا تَسْمَعُهُ الْبَهَائِمُ».

ذَكَرْنَا لَنَا هَذِهِ الْحِكَايَةَ وَنَحْنُ نَسْمَعُ عَلَيْهِ كِتَابَ مُسْلِمٍ لَمَّا أَنْتَهَى الْقَارِئُ إِلَى قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّهُمْ يُعَذَّبُونَ عَذَابًا تَسْمَعُهُ الْبَهَائِمُ».

وَهَذَا السَّمَاعُ وَقَعَ عَلَى أَصْوَاتِ الْمُعَذَّبِينَ.

قَالَ هِنَادُ بْنُ السَّرِيِّ فِي كِتَابِ «الزُّهْدِ» حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ شَقِيقٍ [عَنْ مَسْرُوقٍ]<sup>(٣)</sup> عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: دَخَلْتُ عَلَيَّ يَهُودِيَّةٌ فَذَكَرَتْ عَذَابَ الْقَبْرِ فَكَذَبْتُهَا، فَدَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيَّ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُمْ لِيُعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ حَتَّى تَسْمَعَ الْبَهَائِمُ أَصْوَاتَهُمْ»<sup>(٤)</sup>.

(١) هو أبو الحكم عبد السلام بن عبد الرحمن بن أبي الرجال اللخمي المغربي الأفريقي ثم الأندلسي الإشبيلي. توفي سنة (٥٣٦). انظر «سير أعلام النبلاء» (٧٢ / ٢٠).

(٢) قوله: «شرف إشبيلية» قال الحموي في «معجم البلدان» (١٩٥ / ١): «إشبيلية بالكسر ثم السكون ... مدينة كبيرة عظيمة وليس بالأندلس اليوم أعظم منها، تسمى حمص أيضًا».

(٣) ساقط من المخطوطتين، وأضافناه من مصادر التخريج.

(٤) (صحيح) أخرجه هناد في الزهد (٣٤٧)، وإسحاق بن راهويه في مسنده (١٤١٦) وإسناده صحيح على شرط الشيخين. وقد تقدم أنه في الصحيحين.

قلت: وَأَحَادِيثِ الْمَسْأَلَةِ فِي الْقَبْرِ كَثِيرَةٌ كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ وَالسَّنَنِ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الْمُسْلِمُ إِذَا سُئِلَ فِي قَبْرِهِ فَيَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]»<sup>(١)</sup>.

وَفِي لَفْظِ<sup>(٢)</sup>: «نَزَلَتْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ يُقَالُ لَهُ: مِنْ رَبِّكَ؟ فَيَقُولُ: اللَّهُ رَبِّي وَمُحَمَّدُ نَبِيُّيَ فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]».

وَهَذَا الْحَدِيثُ قَدْ رَوَاهُ أَهْلُ السَّنَنِ وَالْمَسَانِيدِ مَطُولًا كَمَا تَقَدَّمَ. وَقَدْ صَرَحَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ بِإِعَادَةِ الرُّوحِ إِلَى الْبَدَنِ وَبِاخْتِلَافِ أَضْلَاعِهِ، وَهَذَا بَيِّنٌ فِي أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى الرُّوحِ وَالْبَدَنِ مُجْتَمِعِينَ<sup>(٣)</sup>.

وَقَدْ رَوَى مِثْلَ حَدِيثِ الْبَرَاءِ فِي قَبْضِ الرُّوحِ وَالْمَسْأَلَةِ وَالنَّعِيمِ وَالْعَذَابِ أَبُو هُرَيْرَةَ أَوْ وَحْدَيْهِ فِي الْمَسْنَدِ وَصَحِيحِ أَبِي حَاتِمٍ - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْمَيِّتَ إِذَا وَضِعَ فِي قَبْرِهِ إِنَّهُ يَسْمَعُ خَفَقَ نَعَالِهِمْ حِينَ يُولُونَ عَنْهُ، فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَانَتْ الصَّلَاةُ عِنْدَ رَأْسِهِ،

تنبيه: وقع في كل ما وقفت عليه من نسخ الروح (عن شقيق عن عائشة) والذي في مصادر التخريج زيادة مسروق بين شقيق وعائشة.

<sup>(١)</sup> أخرجه البخاري: (٤٦٩٩)، ومسلم: (٢٨٧١)، وأبو داود: (٤٧٥٠)، والترمذي: (٣١٢٠)، والنسائي: (٢٠٥٦)، وابن ماجه (٤٢٦٩). واللفظ للبخاري وأبي داود.

<sup>(٢)</sup> هذا اللفظ لمسلم وابن ماجه.

<sup>(٣)</sup> وقع في الأصل: (في أن الروح على العذاب والبدن مجتمعين). وهو تقديم وتأخير.

وَالصَّيَامَ عَنِ يَمِينِهِ، وَالزَّكَاةَ عَنْ شِمَالِهِ، وَكَانَ فَعَلَ الْخَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالصَّلَةِ وَالْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ عِنْدَ رَجْلَيْهِ.

فِيؤْتَى مِنْ قَبْلِ رَأْسِهِ فَتَقُولُ الصَّلَاةُ: مَا قِيْلِي مَدْخُلٌ. ثُمَّ يُؤْتَى عَنْ يَمِينِهِ فَيَقُولُ الصَّيَامُ: مَا قِيْلِي مَدْخُلٌ. ثُمَّ يُؤْتَى عَنْ يَسَارِهِ فَتَقُولُ الزَّكَاةُ: مَا قِيْلِي مَدْخُلٌ. ثُمَّ يُؤْتَى مِنْ قَبْلِ رَجْلَيْهِ فَيَقُولُ فَعَلَ الْخَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالصَّلَةِ وَالْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ: مَا قِيْلِي مَدْخُلٌ.

فَيَقُولُ لَهُ: اجْلِسْ فَيَجْلِسُ قَدْ مُثِّلَتْ لَهُ الشَّمْسُ وَقَدْ آصَتْ لِلْغُرُوبِ فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ مَا تَقُولُ فِيهِ وَمَا تَشْهَدُ بِهِ عَلَيْهِ؟ فَيَقُولُ: دَعُونِي حَتَّى أَصْلِي فَيَقُولُونَ: إِنَّكَ سَتَصْلِي أَخْبَرْنَا عَمَّا نَسْأَلُكَ عَنْهُ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ مَا تَقُولُ فِيهِ وَمَا تَشْهَدُ عَلَيْهِ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ جَاءَ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَيُقَالُ لَهُ: عَلَى ذَلِكَ حَيِّتَ وَعَلَى ذَلِكَ مَتَّ وَعَلَى ذَلِكَ تَبَعْتَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُ بَابَ إِلَى الْجَنَّةِ فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ فِيهَا فَيْرِدَادٌ غِبْطَةٌ وَسُرُورٌ ثُمَّ يَفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا وَيُنُورُ لَهُ فِيهِ وَيَعَادُ الْجَسَدَ لَمَّا بَدَأَ مِنْهُ وَتَجْعَلُ نَسْمَتَهُ فِي النَّسَمِ الطَّيِّبِ وَهِيَ طَيْرٌ مُعَلَّقٌ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ قَالَ فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

وَذَكَرَ فِي الْكَافِرِ ضِدَّ ذَلِكَ إِلَى أَنْ قَالَ: ثُمَّ يَضِيقُ عَلَيْهِ فِي قَبْرِهِ إِلَى أَنْ تَخْتَلَفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ فَتَلِكُ الْمَعِيشَةُ الضَّنْكَ الَّتِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤] <sup>(١)</sup>.

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ حَدِيثِ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْمَيِّتَ إِذَا وَضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ إِنَّهُ لَيَسْمَعُ خَفَقَ نَعَالِهِمْ أَنَّهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ <sup>(٢)</sup> فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٌ؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ. قَالَ فَيَقُولُ: انظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

<sup>(١)</sup> أخرجه أحمد: (٣٤٧/٢) مختصراً، وابن حبان (٣١١٣) مطوَّلاً من طريق محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ به. محمد بن عمرو هو ابن علقمة الليثي قال الحافظ: صدوق له أوهام، وأبو سلمة هو ابن عبد الرحمن بن عوف.

وقد اختلف على محمد بن عمرو في رفعه ووقفه:

\* فرواه حماد بن سلمة عند أحمد: (٣٤٧/٢)، ومعتز بن سليمان عند ابن حبان (٣١١٣)، وعبد بن سليمان عند هناد في الزهد (٣٣٨)، وسعيد بن عامر عند الحاكم (٣٧٩/١ - ٣٨٠) أربعتهم عن محمد بن عمرو به مرفوعاً.

\* ورواه يزيد بن هارون عند ابن أبي شيبه (٣٨٣/٣)، وجعفر بن سليمان عند عبد الرزاق (٥٦٧/٣) عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة موقوفاً.

والناظر إلى هذا الاختلاف يجد أن الذين رووه على الوجهين كلهم ثقات - على تفاوت بينهم - فكأن الاختلاف - والله أعلم - جاء من قبيل محمد بن عمرو فإن له أوهاماً لاسياً في الوصل والإرسال قال الإمام أحمد: «كان محمد بن عمرو يحدث بأحاديث فيرسلها، ويسندها لأقوام آخرين. قال: وهو مضطرب الحديث، والعلاء أحب إلي منه». وقال يحيى بن معين: «ما زال الناس يتقون حديث محمد بن عمرو، قيل له: ما علة ذلك؟ قال: كان مرة يحدث بالشيء عن أبي سلمة رأيته، ثم يحدث به مرة أخرى عن أبي سلمة، عن أبي هريرة». انظر شرح علل الترمذي لابن رجب (٤٠٣/١). ولكن الحديث لبعضه شواهد.

<sup>(٢)</sup> وقع في الكل (فيقرانه)، وما أثبتناه هو الموافق لما في الصحيحين.



ﷺ: فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا». قَالَ قَتَادَةَ: وَذَكَرَ لَنَا أَنَّهُ يَفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا وَيَمْلَأُ عَلَيْهِ خَضْرَاءً إِلَى يَوْمٍ يَبْعَثُونَ. ثُمَّ رَجَعَ إِلَى حَدِيثِ أَنَسٍ قَالَ: «فَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ. فَيَقُولَانِ: لَا دَرِيَّةَ وَلَا تَلِيَّةَ. ثُمَّ يَضْرِبُ بِمَطْرَاقٍ مِنْ حَدِيدٍ بَيْنَ أُذُنَيْهِ فَيَصِيحُ صَيْحَةً فَيَسْمَعُهَا مِنْ عَلَيْهَا غَيْرِ الثَّقَلَيْنِ»<sup>(١)</sup>.

وَفِي «صَحِيحِ أَبِي حَاتِمٍ» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا قُبِرَ أَحَدُكُمْ أَوْ الْإِنْسَانُ أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا الْمُنْكَرُ وَلِلْآخَرِ النُّكَيْرُ. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدًا؟ فَهُوَ قَائِلٌ مَا كَانَ يَقُولُ فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا قَالَ: هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. فَيَقُولَانِ لَهُ: إِنْ كُنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ، ثُمَّ يَفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ ذِرَاعًا وَيُنَوِّرُ لَهُ فِيهِ، وَيُقَالُ لَهُ: نَمٍ. فَيَقُولُ: ارْجِعْ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي فَأَخْبِرْهُمْ. فَيَقُولَانِ: نَمٍ كَنُومَةُ الْعَرُوسِ الَّذِي لَا يَوْقُظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ. وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ: لَا أَدْرِي كُنْتُ أَسْمَعُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَكُنْتُ أَقُولُهُ. فَيَقُولَانِ لَهُ: كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ

<sup>(١)</sup> أخرجه البخاري: (١٣٧٤) واللفظ له، ومسلم: (٢٨٧٠).

وأما قول قتادة فقد قال الحافظ في «فتح الباري» (٣/٣٠٢): (زاد مسلم من طريق شيبان عن قتادة «سبعون ذراعاً ويملاً خضراً إلى يوم يبعثون» ولم أف على هذه الزيادة موصولة من حديث قتادة).

تقول ذلك. ثم يُقال للأرض: التمي عليه فلتتم عليه حتى تختلف فيها أضلاعه فلا يزال معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك»<sup>(١)</sup>. وهذا صريح في أن البدن يعذب.

وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إِذَا حُضِرَ الْمُؤْمِنُ أَتَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ بِحَرِيرَةٍ بَيْضَاءَ فَيَقُولُونَ: أَخْرِجِي أَيُّهَا الرُّوحُ الطَّيِّبَةُ رَاضِيَةً مَرْضِيًّا عَنْكَ إِلَى رَوْحِ اللَّهِ وَرَيْحَانٍ، وَرَبِّ غَيْرِ غَضْبَانَ، فَتَخْرُجُ كَأَطْيَبِ رِيحِ الْمِسْكِ، حَتَّى أَنَّهُ لَيَنَاقِلُهُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، حَتَّى يَأْتُوا بِهِ بَابَ السَّمَاءِ فَيَقُولُونَ: مَا أَطْيَبَ هَذِهِ الرِّيحَ الَّتِي جَاءَتْكُمْ مِنَ الْأَرْضِ، فَيَأْتُونَ بِهِ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ فَلَهُمْ أَشَدُّ فَرَحًا بِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ بِعَائِبِهِ يُقَدِّمُ عَلَيْهِ، فَيَسْأَلُونَهُ: مَاذَا فَعَلَ فَلَانٌ؟ مَاذَا فَعَلَ فَلَانٌ؟ فَيَقُولُونَ: دَعُوهُ يَسْتَرِيحْ؛ فَإِنَّهُ كَانَ فِي غَمِّ الدُّنْيَا، فَإِذَا قَالَ: أَتَاكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: إِنَّهُ ذَهَبَ بِهِ إِلَى أُمَّهِ الْهَآوِيَةِ.

وإنَّ الكَافِرَ إِذَا احْتَضَرَ أَتَتْهُ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ بِمِسْحٍ فَيَقُولُونَ: أَخْرِجِي مَسْحُوطًا عَلَيْكَ إِلَى عَذَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَتَخْرُجُ كَأَنَّ رِيحَ جَبْقَةٍ، حَتَّى يَأْتُوا بِهِ بَابَ الْأَرْضِ، فَيَقُولُونَ: مَا أَتْنَنَ هَذِهِ الرُّوحَ حَتَّى يَأْتُوا بِهِ أَرْوَاحَ الْكُفَّارِ». رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَالبَّرَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مُخْتَصَرًا<sup>(٢)</sup>.

<sup>(١)</sup> (صحيح لغيره) أخرجه ابن حبان (٣١١٧)، والترمذي: (١٠٧١) من طريق عبد الرحمن بن إسحاق قال حدثني سعيد المقبري عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وهذا إسناد حسن رجاله رجال مسلم، وكلهم ثقات غير عبد الرحمن بن إسحاق وهو المدني فإنه صدوق.

وللحديث شواهد كثيرة منها حديث أنس المتقدم، وحديث البراء الطويل، وغيرها فالحديث صحيح بها، والله أعلم.

<sup>(٢)</sup> (صحيح) أخرجه النسائي: (١٨٣٣) فقال حدثني عبيد الله بن سعيد حدثنا معاذ بن هشام حدثني أبي عن قتادة عن قسامة بن زهير عن أبي هريرة به مرفوعًا.

وأخرجه أبو حاتم في "صحيحه" وقال: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ حَضَرَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ، فَإِذَا قُبِضَتْ نَفْسُهُ جُعِلَتْ فِي حَرِيرَةٍ بِيضَاءَ، فَيُنْتَلَقُ بِهَا إِلَى بَابِ السَّمَاءِ، فَيَقُولُونَ: مَا وَجَدْنَا رِيحًا أَطْيَبَ مِنْ هَذِهِ، فَيُقَالُ: مَا فَعَلَ فُلَانٌ؟ مَا فَعَلْتَ فُلَانَةٌ؟ فيقال: دَعُوهُ يَسْتَرِيحُ، فَإِنَّهُ كَانَ فِي غَمِّ الدُّنْيَا.

وَأَمَّا الْكَافِرُ إِذَا قُبِضَتْ نَفْسُهُ ذَهَبَ بِهَا إِلَى الْأَرْضِ فَتَقُولُ حَزَنَةُ الْأَرْضِ: مَا وَجَدْنَا رِيحًا أَنْتَنَ مِنْ هَذِهِ، فَيُبْلَغُ بِهَا إِلَى الْأَرْضِ السُّفْلَى»<sup>(١)</sup>.

وأخرجه ابن حبان (٣٠١٣)، والحاكم (٣٥٣/١) من طريق همام بن يحيى عن قتادة عن أبي الجوزاء عن أبي هريرة به مرفوعاً. وقد رجح أبو حاتم الرازي الطريق الأولى كما في "العلل" لولده (٣٥٣/١-٣٥٤) قال ابن أبي حاتم: (وسألت أبي عن حديث رواه همام، عن قتادة، عن أبي الجوزاء، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: إِذَا حَضَرَ الْمُؤْمِنَ الْمَوْتُ، حَضَرَهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ، قُبِضَ نَفْسِهِ فِي حَرِيرَةٍ بِيضَاءَ... الْحَدِيثُ؟ قَالَ أَبِي: وَرَوَاهُ مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ قَسَامَةَ بْنِ زُهَيْرٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ. وَتَابَعَهُ عَلَى هَذِهِ الرَّوَايَةِ الْقَاسِمُ بْنُ الْفَضْلِ، قَالَ أَبِي: هَذَا أَشْبَهُهُ لَأَنَّ هِشَامًا أَحْفَظُ مِنْ هَمَّامٍ). قلت: متابعة القاسم بن الفضل الحداني التي أشار إليها أبو حاتم، أخرجها الطبراني في "الأوسط" (٤١٦/١).

وتابعهم أيضاً معمر بن راشد عند الحاكم (٣٥٢/١-٣٥٣). فتبين من هذا أن رواية هشام الدستوائي أرجح، وإسناده حسن من أجل معاذ بن هشام فإنه حسن الحديث. والحديث أخرجه مسلم: (٢٨٧٢) مختصراً، والبخاري - كما في "كشف الأستار" (٤١٤/١) والحديث بطوله له شواهد كثيرة يكون بها صحيحاً.

<sup>(١)</sup> (صحيح) أخرجه ابن حبان (٣٠١٣)، والحاكم (٣٥٣/١) وهو حديث صحيح انظر التخریج المتقدم.

وروى النسائي في "سننه" من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «هَذَا الَّذِي تَحْرُكُ لَهُ الْعَرْشُ وَفَتَحَتْ لَهُ أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَشَهِدَ لَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَقَدْ ضُمَّ ضَمَّةٌ ثُمَّ فُرِجَ عَنْهُ». قَالَ النَّسَائِيُّ: يَعْنِي سَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ<sup>(١)</sup>.

وروى من حديث عائشة رضي الله عنها قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «لِلْقَبْرِ ضَغْطَةٌ لَوْ نَجَا مِنْهَا أَحَدٌ لَنَجَا مِنْهَا سَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ». رَوَاهُ مِنْ حَدِيثِ شُعْبَةَ<sup>(٢)</sup>.

وَقَالَ هِنَادُ بْنُ السَّرِيِّ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فَضِيلٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ ابْنِ أَبِي مَلِيكَةَ قَالَ: (مَا أَجِيرُ مِنْ ضَغْطَةِ الْقَبْرِ أَحَدٌ وَلَا سَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ الَّذِي مَنَدِيلٌ مِنْ مَنَادِيلِهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا)<sup>(٣)</sup>. قَالَ وَحَدَّثَنَا عَبْدَةُ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نَافِعٍ قَالَ: [لَقَدْ] بَلَغَنِي أَنَّهُ

<sup>(١)</sup> (صحيح) أخرجه النسائي: (٢٠٥٥) فقال أخبرنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا عمرو بن محمد العنقزي قال حدثنا ابن إدريس عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر به. وإسناده صحيح رجاله كلهم ثقات، ابن إدريس هو عبد الله، وعبيد الله هو ابن عمر العمري.

قول النسائي: يعني سعد بن معاذ. هو في السنن الكبرى عقب هذا الحديث برقم (٢١٩٣).

<sup>(٢)</sup> (صحيح) أخرجه أحمد: (٥٥ / ٦) من طريق شعبة عن سعد بن إبراهيم عن نافع عن إنسان عن عائشة. وقد اختلف فيه الرواة عن شعبة على أوجه بينها الدار قطني في "العلل" (٤٤٢ / ١٤) ثم قال: (والصواب رواية من رواه عن شعبة حدثنا سعد بن إبراهيم عن نافع عن صفية بنت أبي عبيد عن عائشة). انتهى. قلت: وقد أخرجه من هذه الطريق الطبري في "تهذيب الآثار" (٨٩٧)، وابن حبان (٣١١٢)، والطحاوي في شرح "مشكل الآثار" (٢٤٨ / ١) وغيرهم من طرق عن شعبة به. وإسناده صحيح، صفية بنت أبي عبيد من رجال مسلم وبقية رجاله رجال الشيخين.

تنبه: سياق كلام المؤلف ﷺ أنه هذا الحديث رواه النسائي أيضا، ولم أفف عليه عند النسائي، والمؤلف تابع للقرطبي في هذا، فكلامه في التذكرة ص (٣٢٣) يومهم ذلك أيضا.

<sup>(٣)</sup> (صحيح مقطوعاً) أخرجه هناد في الزهد (٣٥٦) ورجاله ثقات.

شهد جنازة سعد ابن معاذ سَبْعُونَ ألف ملك لم ينزلوا إِلَى الأرض قطّ. وَلَقَدْ بلغني أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لقد ضَمَّ صاحبكم في القبر ضَمَّةً»<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ عَلِيٌّ بن معبد حَدَّثَنَا عبيد الله عَنْ زيد بن أبي أنيسة عَنْ جَابِرِ عَنْ نَافِعٍ قَالَ: أَتَيْنَا صَفِيَّةَ بنت أبي عبيد امرأة عبد الله عمر وَهِيَ فزعة فقلنا: مَا شَأْنُكَ؟ فَقَالَتْ: جِئْتُ من عِنْدَ بعض نساء النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: فحدثني أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنْ كنت لأرى لو أن أحدكم أُعْفي من عَذَابِ القَبْرِ لأعفي مِنْهُ سعد بن معاذ لقد ضم فيه ضمة»<sup>(٢)</sup>.

والشطر الأول منه: «ما أجبر من ضغطة القبر أحد ولا سعد بن معاذ». قد صح مرفوعاً في حديث ابن عمر وعائشة المتقدمين.

والشطر الثاني منه: «الذي منديل من مناديله خير من الدنيا وما فيها». قد جاء مرفوعاً بنحوه في الصحيحين عن البراء بن عازب وأنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ أهديت له حلة من حرير فجعل أصحابه يلمسونها ويعجبون من لينها فقال «أتعجبون من لين هذه؟ لمناديل سعد بن معاذ في الجنة خير منها وألين».

<sup>(١)</sup> (صحيح) أخرجه هناد في «الزهد» (٣٥٨)، وابن سعد في «الطبقات» (٤٣٠/٣) من طريق عبيد الله بن عمر عن نافع قال بلغني فذكره. وإسناده صحيح مرسلًا.

\* وقد جاء موصولاً أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٤٣٠/٣) فقال إسماعيل بن أبي مسعود قال أخبرنا عبد الله بن إدريس قال أخبرنا عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ بنحوه. وإسناده صحيح، إسماعيل بن أبي مسعود وثقه الخطيب، وبقية رجاله رجال الشيخين.

\* فالحديث قد روي مرسلًا وموصولًا كما ترى، والذين رووه على الوجهين كلهم ثقات فيظهر لي أن الحديث محفوظ على الوجهين، لا سيما ونافع يقول في الطريق المرسل: «بلغني». فلعله في الطريق الأخرى سمى الذي بلغه إياه وهو ابن عمر والله أعلم.

<sup>(٢)</sup> (إسناده ضعيف جدًا) أخرجه الطبراني في الأوسط (٣٦/٢) من طريق عبيد الله عن زيد بن أبي أنيسة به. وجابر وهو ابن يزيد الجعفي كذبه جماعة من الأئمة.

وقد صح هذا الحديث من غير هذه الطريق كما سبق، وليس فيه ذكر عذاب القبر وإنما فيه ضغطة القبر.

وَحَدَّثَنَا مَرْوَانُ بْنُ مُعَاوِيَةَ عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ الْمُسَيْبِ عَنِ مُعَاوِيَةَ الْعَبْسِيِّ عَنِ زَادَانَ أَبِي عُمَرَ قَالَ: لَمَّا دُفِنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ابْنَتُهُ جَلَسَ عِنْدَ الْقَبْرِ فَتَرَبَّدَ وَجْهَهُ ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ. فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ: رَأَيْنَا وَجْهَكَ آفِئًا، ثُمَّ سُرِّيَ عَنْكَ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «ذَكَرْتُ ابْنَتِي وَضَعْفَهَا، وَعَذَابَ الْقَبْرِ، فَدَعَوْتُ اللَّهَ فَفَرَجَ عَنْهَا. وَإِيمَ اللَّهِ لَقَدْ ضَمَّتْ ضِمَّةَ سَمْعِهَا مِنْ بَيْنِ الْخَافِقِينَ»<sup>(١)</sup>.

وَحَدَّثَنَا شُعَيْبُ بْنُ ابْنِ دِينَارٍ عَنِ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ الْغَنَوِيِّ عَنِ رَجُلٍ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَمَرَّتْ جَنَازَةَ صَبِيٍّ صَغِيرٍ فَبَكَتُ فَقُلْتُ لَهَا مَا يَبْكُكِ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقَالَتْ: هَذَا الصَّبِيُّ بَكَتُ لَهُ شَفَقَةً عَلَيْهِ مِنْ ضِمَّةِ الْقَبْرِ<sup>(٢)</sup>. وَمَعْلُومٌ أَنَّ هَذَا كُلَّهُ لِلْجَسَدِ بِوَسِطَةِ الرُّوحِ.

<sup>(١)</sup> أخرجه ابن الجوزي في "الموضوعات" (٢٣٢/٣)، وفي "العلل المتناهية" (١٥١٨) من طريق سعيد بن منصور حدثنا مروان معاوية به. ورجال إسناده ثقات غير معاوية العبسي فلم أجد له ترجمة، ثم هو أيضاً مرسل فإن زادان تابعي ثقة.

\* وقد جاء الحديث عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخرجه الطبراني في "الكبير": (٢٥٧/١)، والحاكم (٤٦/٤)، وابن الجوزي في "الموضوعات" (٢٣١-٢٣٢/٣) وفي "العلل المتناهية" (١٥١٧) من طريق الأعمش واختلف فيه عليه على أوجه بينها الدار قطني في "العلل" (٢٥١/١٢) ثم قال: «والحديث مضطرب عن الأعمش». انتهى. وقال ابن الجوزي: «هذا حديث لا يصح من جميع طرقه».

وذكر ابن رجب في "أهوال القبور" ص (٥٥) أن الطبراني أخرجه من طريق زكريا بن سلام عن سعيد بن مسروق عن أنس... ثم قال وزكريا قيل إنه مجهول وسعيد بن مسروق لم يدرك أنساً فهو منقطع. انتهى. فالحديث لم يصح من هذه الطرق، والله أعلم.

\* وقد جاء في حديث أنس تسميتها بأناها زينب، وفي حديث ابن عمر أنها رقية، والله أعلم.

<sup>(٢)</sup> (ضعيف) أخرجه علي بن معبد في كتاب "الطاعة والمعصية" - كما في "شرح الصدور" (١٤٩) وإسناده ضعيف فيه رجل مبهم.

## فصل

وَهَذَا كَمَا أَنَّهُ مُقْتَضَى السَّنَةِ الصَّحِيحَةِ فَهُوَ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَ أَهْلِ السَّنَةِ.

قَالَ الْمُرُوزِيُّ<sup>(١)</sup> قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ<sup>(٢)</sup>: عَذَابُ الْقَبْرِ حَقٌّ لَا يُنْكَرُهُ إِلَّا ضَالٌّ أَوْ مُضِلٌّ.

وَقَالَ حَنْبَلٌ<sup>(٣)</sup>: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ فَقَالَ هَذِهِ أَحَادِيثٌ صِحَاحٌ نَوْْمَنُ

بِهَا وَنَقَرَ بِهَا كَلِمًا جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ إِسْنَادٌ جَيِّدٌ أَقْرَبْنَا بِهِ، إِذَا لَمْ نَقْرَبْهَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ

ﷺ وَدَفَعْنَاهُ وَرَدَدْنَاهُ وَرَدَدْنَا عَلَى اللَّهِ أَمْرَهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾

[الحشر: ٧]. قُلْتُ لَهُ: وَعَذَابُ الْقَبْرِ حَقٌّ؟ قَالَ: حَقٌّ يُعَذَّبُونَ فِي الْقُبُورِ.

قَالَ: وَسَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ نَوْْمَنٌ بِعَذَابِ الْقَبْرِ وَبِمَنْكِرٍ وَنَكِيرٍ وَأَنَّ الْعَبْدَ يُسْأَلُ

فِي قَبْرِهِ ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم:

٢٧]، فِي الْقَبْرِ.

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ الْقَاسِمِ: قُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ: تَقْرَبُ بِمَنْكِرٍ وَنَكِيرٍ وَمَا يَرُودُ فِي عَذَابِ

الْقَبْرِ؟ فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ! نَعَمْ، نَقَرَ بِذَلِكَ، وَنَقَوْلُهُ، قُلْتُ: هَذِهِ اللَّفْظَةُ نَقُولُ: مُنْكَرُ

<sup>(١)</sup> هو أبو بكر أحمد بن محمد بن الحجاج المرؤذي صاحب الإمام أحمد توفي سنة (٢٧٥) انظر "سير أعلام النبلاء" (١٧٣/١٣).

<sup>(٢)</sup> هو إمام أهل السنة والجماعة وشيخ الإسلام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل توفي سنة (٢٤١) انظر "سير أعلام النبلاء" (١٧٧/١١).

وكلامه هذا في "طبقات الحنابلة" (٦٢/١) لأبي الحسين محمد بن أبي يعلى.

<sup>(٣)</sup> هو حنبل بن إسحاق بن حنبل بن هلال بن أسد أبو علي الشيباني ابن عم الإمام أحمد وتلميذه. توفي سنة (٢٧٣). انظر "سير أعلام النبلاء" (٥١/١٣).

وَنَكِيرٍ هَكَذَا أَوْ نَقُول: مَلَكَيْنِ، قَالَ: مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ، قُلْتُ: يَقُولُونَ لَيْسَ فِي حَدِيثِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ، قَالَ: هُوَ هَكَذَا يَعْنِي أُمَّهُمَا مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ<sup>(١)</sup>.

وَأَمَّا أَقْوَالُ أَهْلِ الْبَدْعِ وَالضَّلَالِ، فَقَالَ أَبُو الْهَذِيلِ<sup>(٢)</sup> وَالْمَرِيْسِي<sup>(٣)</sup>: مَنْ خَرَجَ عَنِ سَمَةِ الْإِيْمَانِ فَإِنَّهُ يَعَذَّبُ بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ، وَالْمَسْأَلَةُ فِي الْقَبْرِ إِنَّهَا تَقَعُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ. وَأَثْبَتَ الْجَبَائِي وَأَبْنَهُ<sup>(٤)</sup> وَالْبَلْخِي<sup>(٥)</sup> عَذَابَ الْقَبْرِ وَلَكِنَّهُمْ نَفَوْهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَثْبَتُوهُ لِأَصْحَابِ التَّخْلِيدِ مِنَ الْكُفَّارِ وَالْفَسَاقِ عَلَى أَصُولِهِمْ. وَقَالَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُعْتَزَلَةِ<sup>(٦)</sup> لَا يَجُوزُ تَسْمِيَةُ مَلَائِكَةِ اللَّهِ بِمُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ وَإِنَّهَا الْمُنْكَرُ مَا يَبْدُو مِنْ تَلْجُلْجِهِهِ، إِذَا سُئِلَ وَالنَّكِيرُ تَقْرِيعُ الْمَلَكَيْنِ لَهُ.

(١) قلت: تقدم حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند ابن حبان وإسناده حسن، وفيه تسمية الملكين منكر ونكير. وهذا الكلام عن أحمد ذكره ابن أبي يعلى في "طبقات الحنابلة" (٥٥/١).

(٢) هو أبو الهذيل محمد بن الهذيل البصري العلاف، من المتكلمين ورؤوس المعتزلة، وهو الذي زعم أن نعيم الجنة وعذاب النار ينتهي بحيث أن حركات أهل الجنة تسكن ... وأنكر صفات الله سبحانه ... قال الذهبي وهذا كفر وإلحاد. توفي سنة (٢٢٧) وقيل (٢٣٥). انظر "سير أعلام النبلاء" (٥٤٢/١٠) و (١٧٣/١١).

(٣) هو بشر بن غياث بن أبي كريمة العدوي المريسي ... قال الذهبي: نظر في الكلام فغلب عليه وانسلخ من الورع والتقوى وجرد القول بخلق القرآن ودعا إليه حتى كان عين الجهمية في عصره وعالمهم فمقتة أهل العلم وكفره عدة. توفي سنة (٢١٨) انظر "سير أعلام النبلاء" (١٩٩/١٠).

(٤) الجبائي هو أبو علي محمد بن عبد الوهاب البصري من رؤوس المعتزلة توفي سنة (٣٠٣) انظر "سير أعلام النبلاء" (١٨٣/١٤). وابنه: هو أبو هاشم عبد السلام بن أبي علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي معتزلي كذلك توفي سنة (٣٢١) انظر "سير أعلام النبلاء".

(٥) هو أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود البلخي الكعبي الخراساني من رؤوس المعتزلة توفي سنة: (٣٢٧). انظر "سير أعلام النبلاء" (٢٥٥/١٥).

(٦) المعتزلة: هم فرقة من فرق الضلال وطوائف البدع أتباع واصل بن عطاء الغزالي الذي كان تلميذاً للحسن البصري ثم اعتزل مجلسه، فلذا سموا بالمعتزلة، واشتهروا بالأصول الخمسة التي خالفوا فيها عقيدة السلف. انظر "الملل والنحل للشهرستاني" (٤٦/١).



وَقَالَ الصَّالِحِي <sup>(١)</sup> وَصَالِحِ قَبَةٍ <sup>(٢)</sup>: عَذَابُ الْقَبْرِ يَجْرِي عَلَى الْمُؤْمِنِ مِنْ غَيْرِ رَدِّ الْأَرْوَاحِ إِلَى الْأَجْسَادِ وَالْمَيِّتِ يَجُوزُ أَنْ يَأْلَمَ وَيَحْسُ وَيَعْلَمُ بِلَا رُوحٍ وَهَذَا قَوْلُ جَمَاعَةٍ مِنَ الْكِرَامِيَةِ <sup>(٣)</sup>. وَقَالَ بَعْضُ الْمُعْتَزَلَةِ: إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَعَذِّبُ الْمَوْتَى فِي قُبُورِهِمْ وَيَحْدِثُ فِيهِمُ الْآلَامَ، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ. فَإِذَا حَشَرُوا وَجَدُوا تِلْكَ الْآلَامَ وَأَحْسَوْا بِهَا. قَالُوا: وَسَبِيلُ الْمُعَذَّبِينَ مِنَ الْمَوْتَى كَسَبِيلِ السَّكْرَانِ وَالْمَغْشَى عَلَيْهِ لَوْ ضَرَبُوا لَمْ يَجِدُوا الْآلَمَ فَإِذَا عَادَ عَلَيْهِمُ الْعَقْلُ أَحْسَوْا بِالْمِ الضَّرْبِ.

وَأَنْكَرَ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ عَذَابَ الْقَبْرِ رَأْسًا مِثْلَ ضَرَّارِ بْنِ عَمْرٍو <sup>(٤)</sup> وَيَحْيَى بْنِ كَامِلٍ <sup>(٥)</sup> وَهُوَ قَوْلُ الْمُرَيْسِيِّ فَهَذِهِ أَقْوَالُ أَهْلِ الْحَيْرَةِ وَالضَّلَالِ.

<sup>(١)</sup> هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ أَبُو الْحُسَيْنِ الصَّالِحِي مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ أَحَدِ الْمُتَكَلِّمِينَ عَلَى مَذْهَبِ الْإِرْجَاءِ وَرَدَ بَغْدَادَ حَاجًّا وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ الْمُتَكَلِّمُونَ وَأَخَذُوا عَنْهُ. انظر "الوفاي بالوفيات" (١٩/٥).

<sup>(٢)</sup> صَالِحِ قَبَةٍ، مِنْ كِبَارِ الْمُعْتَزَلَةِ، وَمِنْ زَعْمَاءِ الْفِرْقَةِ الصَّالِحِيَّةِ الَّتِي هِيَ مِنْ فِرْقِ الْمُعْتَزَلَةِ، لَهُ أَقْوَالٌ خَالَفَ فِيهَا الْمُعْتَزَلَةَ. وَقَدْ ذَكَرَ كَثِيرًا مِنْ أَقْوَالِهِ أَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ فِي كِتَابِهِ "مَقَالَاتُ الْإِسْلَامِيِّينَ".

<sup>(٣)</sup> الْكِرَامِيَّةُ: هِيَ فِرْقَةٌ مِنْ فِرْقِ الضَّلَالِ وَطَوَائِفِ الْبِدْعِ، أَتْبَعَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ كَرَّامٍ وَكَانَ يَقُولُ بِالتَّجْسِيمِ وَالتَّشْبِيهِ ..... انظر الملل والنحل للشهرستاني (١٠٨/١)، والفرق بين الفرق للبغدادي ص (١٩٧).

<sup>(٤)</sup> مِنْ رُؤُوسِ الْمُعْتَزَلَةِ، رَأْسُ الْفِرْقَةِ الضَّرَّارِيَّةِ. انظر "سير أعلام النبلاء" (١٠/٥٤٤). وَقَوْلُهُ هَذَا ذَكَرَهُ ابْنُ حَزْمٍ فِي الْفَصْلِ: (١١٧/٤).

<sup>(٥)</sup> هُوَ أَبُو عَلِيٍّ يَحْيَى بْنُ كَامِلٍ بْنِ طَلِيحَةَ الْخَدْرِيِّ، وَكَانَ أَوْلَا مِنْ أَصْحَابِ بَشْرِ الْمُرَيْسِيِّ وَمِنْ الْمُرْجئةِ ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى مَذَاهِبِ الْإِبَاضِيَّةِ. انظر الفهرست لابن النديم ص (٢٢٧).

## فصل

وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّ عَذَابَ الْقَبْرِ هُوَ عَذَابُ الْبَرْزَخِ، فَكُلٌّ مِنْ مَاتَ وَهُوَ مُسْتَحَقٌّ لِلْعَذَابِ نَالَهُ نَصِيبُهُ مِنْهُ قَبْرٌ أَوْ لَمْ يَقْبَرْ، فَلَوْ أَكَلَتْهُ السَّبَاعُ أَوْ أَحْرَقَ حَتَّى صَارَ رَمَادًا أَوْ نُسِفَ فِي الْهَوَاءِ أَوْ صَلَبَ أَوْ غُرِقَ فِي الْبَحْرِ وَصَلَّ إِلَى رُوحِهِ وَبَدَنِهِ مِنَ الْعَذَابِ مَا يَصِلُ إِلَى الْمَقْبُورِ.

وَفِي "صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ" عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا صَلَّى صَلَاةً أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا؟» قَالَ: فَإِنْ رَأَى أَحَدٌ رُؤْيَا قَصَّهَا فَيَقُولُ مَا شَاءَ اللَّهُ. فَسَأَلْنَا يَوْمًا، فَقَالَ: «هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رُؤْيَا؟» قُلْنَا: لَا، قَالَ: «لَكِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتْيَانِي فَأَخْذَا بِيَدِي وَأَخْرَجَانِي إِلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ وَرَجُلٌ قَائِمٌ بِيَدِهِ كَلُوبٌ مِنْ حَدِيدٍ يَدْخُلُهُ فِي شِدْقِهِ حَتَّى يَبْلُغَ قَفَاهُ، ثُمَّ يَفْعَلُ بِشِدْقِهِ الْآخَرَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَيَلْتَمِسُ شِدْقَهُ هَذَا، فَيَعُودُ فَيَصْنَعُ مِثْلَهُ، قُلْتُ: مَا هَذَا؟ قَالَ: انْطَلَقَ فَاَنْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ عَلَى قَفَاهُ، وَرَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِهِ بِصَخْرَةٍ أَوْ فَهْرٍ فَيَشْدُخُ بِهَا رَأْسَهُ، فَإِذَا ضَرَبَهُ تَدَاهَدَهُ الْحَجَرُ، فَاَنْطَلَقَ إِلَيْهِ لِيَأْخُذَهُ فَلَا يَرْجِعُ إِلَيَّ هَذَا حَتَّى يَلْتَمِسَ رَأْسَهُ، وَعَادَ رَأْسَهُ كَمَا هُوَ فَعَادَ إِلَيْهِ فَضَرَبَهُ، قُلْتُ: مَا هَذَا؟ قَالَ: انْطَلَقَ.

فَاَنْطَلَقْنَا إِلَى نَقَبٍ مِثْلِ التَّنُورِ أَغْلَاهُ ضَيْقٌ وَأَسْفَلُهُ وَاسِعٌ، يُوقَدُ تَحْتَهُ نَارٌ، فَإِذَا فِيهِ رَجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهَبُ مِنْ تَحْتِهِمْ، فَإِذَا اقْتَرَبَ ارتفعوا حَتَّى كَادُوا يَخْرُجُونَ، فَإِذَا خَمَدَتْ رَجَعُوا، فَقُلْتُ: مَا هَذَا قَالَ انْطَلَقَ فَاَنْطَلَقْنَا.

حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى نَهْرٍ مِنْ دَمٍ فِيهِ رَجُلٌ قَائِمٌ وَعَلَى وَسْطِ النَّهْرِ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ حِجَارَةٌ، فَأَقْبَلَ الرَّجُلَ الَّذِي فِي النَّهْرِ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ رَمَى الرَّجُلَ بِحَجَرٍ فِيهِ فَرَدَهُ حَيْثُ: كَانَ فَجَعَلَ كَلِمًا جَاءَ لِيَخْرُجَ رَمَى فِي فِيهِ بِحَجَرٍ فَرَجَعَ كَمَا كَانَ فَقُلْتُ: مَا هَذَا؟ قَالَ: انْطَلَقَ.

فَانْطَلَقْنَا حَتَّىٰ انْتَهَيْنَا إِلَىٰ رَوْضَةٍ خَضْرَاءَ فِيهَا شَجَرَةٌ عَظِيمَةٌ وَفِي أَصْلِهَا شَيْخٌ وَصَبِيَانٌ، وَإِذَا رَجُلٌ قَرِيبٌ مِنَ الشَّجَرَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ نَارٌ يُوْقِدُهَا فَصَعَدَا بِالشَّجَرَةِ وَأَدْخَلَانِي دَارًا لَمْ أَرَ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهَا، فِيهَا شُيُوخٌ وَشَبَانٌ ثُمَّ صَعَدَا بِي فَأَدْخَلَانِي دَارًا هِيَ أَحْسَنُ وَأَفْضَلُ.

قلت: طَوَّفْتُمَانِي اللَّيْلَةَ، فَأَخْبَرَانِي عَمَّا رَأَيْتَ، قَالَا: نَعَمْ الَّذِي رَأَيْتَهُ يَشُقُّ شِدْقَهُ كَذَّابٌ يَحْدُثُ بِالْكَذِبَةِ، فَتَحْمَلُ عَنْهُ حَتَّىٰ تَبْلُغَ الْآفَاقَ، فَيَصْنَعُ بِهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَالَّذِي رَأَيْتَهُ يَشْدُخُ رَأْسَهُ فَرَجُلٌ عَلِمَهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ، فَتَنَامُ عَنْهُ بِاللَّيْلِ، وَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ بِالنَّهَارِ يُفْعَلُ بِهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَأَمَّا الَّذِي رَأَيْتَ فِي النَّقَبِ فَهَمُ الزَّانَةُ وَالَّذِي رَأَيْتَهُ فِي النَّهْرِ فَآكِلُ الرَّبَا وَأَمَّا الشَّيْخُ الَّذِي فِي أَصْلِ الشَّجَرَةِ فِإِبْرَاهِيمَ وَالصَّبِيَانِ حَوْلَهُ فَأَوْلَادُ النَّاسِ وَالَّذِي يُوقِدُ النَّارَ فَهَالِكُ خَازِنِ النَّارِ وَالذَّارِ الْأَوَّلَىٰ دَارُ عَامَّةِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَمَّا هَذِهِ الدَّارُ فَدَارُ الشُّهَدَاءِ وَأَنَا جِبْرَائِيلُ وَهَذَا مِيكَائِيلُ فَارْفَعِ رَأْسَكَ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا قَصْرٌ مِثْلُ السَّحَابَةِ، قَالَا: ذَلِكَ مَنْزِلُكَ، قلت دعاني أدخل منزلي، قَالَا: إِنَّهُ بَقِيَ لَكَ عَمْرٌ لَمْ تَسْتَكْمَلْهُ، فَلَوْ اسْتَكْمَلْتَهُ أَتَيْتَ مَنْزِلَكَ»<sup>(١)</sup>.

وَهَذَا نَصٌّ فِي عَذَابِ الْبَرِزْخِ، فَإِنْ رُؤِيَ الْأَنْبِيَاءُ وَحِي مُطَابِقٌ لِمَا فِي نَفْسِ الْأَمْرِ. وَقَدْ ذَكَرَ الطَّحَاوِيُّ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَمْرٌ بَعْدَ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ أَنْ يَضْرِبَ فِي قَبْرِهِ مِائَةَ جِلْدَةٍ فَلَمْ يَزَلْ يَسْأَلُ وَيَدْعُوهُ حَتَّىٰ صَارَتْ وَاحِدَةً، فَاثْمَلًا قَبْرَهُ عَلَيْهِ

<sup>(١)</sup> أخرجه البخاري: (١٣٨٦)، وأخرج مسلم: (٢٢٧٥) بعضه.

نَارًا فَلَمَّا اُزْتَفِعَ عَنْهُ، أَفَاقَ فَقَالَ: عَلَامَ جَلَدْتُمُونِي؟ قَالُوا: إِنَّكَ صَلَّيْتَ صَلَاةً بَغَيْرِ طُهُورٍ، وَمَرَرْتَ عَلَى مَظْلُومٍ فَلَمْ تَنْصُرْهُ»<sup>(١)</sup>.

وَقَدْ ذَكَرَ الْبَيْهَقِيُّ حَدِيثَ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ عَنِ أَبِي الْعَالِيَةِ عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١] الْآيَةَ، قَالَ: «أَتَى بِنَفْسٍ فَحَمَلَ عَلَيْهِ، قَالَ: كُلَّ خَطْوَةٍ مُنْتَهَى أَقْصَى بَصَرِهِ فَسَارَ وَسَارَ مَعَهُ جَبْرَائِيلُ، فَأَتَى عَلَى قَوْمٍ يَزْرَعُونَ فِي يَوْمٍ وَيَحْصِدُونَ فِي يَوْمٍ كُلَّمَا حَصَدُوا عَادَ كَمَا كَانَ، فَقَالَ: يَا جَبْرَائِيلُ مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الْمَهَاجِرُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْحَسَنَةُ بِسَبْعِمِائَةٍ: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩].

ثُمَّ أَتَى عَلَى قَوْمٍ تَرَضَخَ رُءُوسُهُمْ بِالصَّخْرِ كُلَّمَا رَضَخَتْ عَادَتْ كَمَا كَانَتْ، لَا يَفْتَرُ عَنْهُمْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: يَا جَبْرَائِيلُ مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَتَنَاقَلُ رُءُوسُهُمْ عَنِ الصَّلَاةِ.

قَالَ: ثُمَّ أَتَى عَلَى قَوْمٍ عَلَى أِقْبَالِهِمْ رِقَاعٌ وَعَلَى أَدْبَارِهِمْ رِقَاعٌ يَسْرَحُونَ كَمَا تَسْرَحُ الْأَنْعَامُ عَنِ الضَّرِيعِ وَالزَّقُومِ، وَرَضَفَ جَهَنَّمَ وَحِجَارَتَهَا<sup>(٢)</sup>، قَالَ: مَا هَؤُلَاءِ يَا جَبْرَائِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَا يُؤَدُّونَ صَدَقَاتِ أَمْوَالِهِمْ، وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ، وَمَا اللَّهُ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ.

<sup>(١)</sup> (حسن) أخرجه الطحاوي في "شرح مشكل الآثار" (٢١٢/٨) فقال: حدثنا فهد بن سليمان، قال: حدثنا عمرو بن عون الواسطي قال: حدثنا جعفر بن سليمان عن عاصم عن شقيق عن ابن مسعود .. به. وهذا إسناد حسن فهد بن سليمان هو ابن يحيى الكوفي النحاس ثقة ثبت ترجمته في "تاريخ دمشق" (٤٥٩/٤٨) وجعفر بن سليمان هو الضبعي صدوق من رجال مسلم، وعاصم هو ابن أبي النجود - ابن بهدلة - صدوق. وبقية رجاله رجال الشيخين. وقد جَوَّدَ إِسْنَادَهُ الْعَلَمَةُ الْأَلْبَانِي - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي الصَّحِيحَةِ (٢٧٧٤).

\* وله شاهد عن ابن عمر أخرجه الطبراني في "الكبير": (٤٤٣/١٢) بإسناد ضعيف.

ثُمَّ أَتَى عَلَى قَوْمٍ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ لَحْمٌ مِنْ قَدَرٍ نَضِيجٍ وَلَحْمٌ آخِرُ خَبِيثٍ، فَجَعَلُوا يَأْكُلُونَ مِنَ الْخَبِيثِ وَيَدْعُونَ النَّضِيجَ الطَّيِّبَ، فَقَالَ: يَا جَبْرِيلُ مِنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَذَا الرَّجُلُ يَقُومُ وَعِنْدَهُ امْرَأَةٌ حَلَالًا طَيِّبًا فَيَأْتِي الْمَرْأَةَ الْخَبِيثَةَ، فَتَبِيتَ مَعَهُ حَتَّى تَصْبَحَ.

ثُمَّ أَتَى عَلَى خَشَبَةٍ عَلَى الطَّرِيقِ لَا يَمُرُ بِهَا شَيْءٌ إِلَّا قَصَفْتَهُ<sup>(١)</sup>، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ﴾ [الأعراف: ٨٦].

ثُمَّ مَرَّ عَلَى رَجُلٍ قَدْ جَمَعَ حَزْمَهُ عَظِيمَةً لَا يَسْتَطِيعُ حَمْلَهَا، وَهُوَ يَرِيدُ أَنْ يَزِيدَ عَلَيْهَا، قَالَ: يَا جَبْرِيلُ مَا هَذَا؟ قَالَ: [هَذَا] رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِكَ عَلَيْهِ أَمَانَةٌ لَا يَسْتَطِيعُ أَدَاءَهَا وَهُوَ يَزِيدُ عَلَيْهَا.

ثُمَّ أَتَى عَلَى قَوْمٍ تَقْرُضُ شَفَاهِمَ بِمَقَارِضٍ مِنْ حَدِيدٍ، كَلِمًا قَرَضَتْ عَادَتْ كَمَا كَانَتْ لَا يَفْتَرُ عَنْهُمْ شَيْءٌ، قَالَ: يَا جَبْرِيلُ مِنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ خُطَبَاءُ الْفِتْنَةِ.

ثُمَّ أَتَى عَلَى جُحْرٍ صَغِيرٍ يَخْرُجُ مِنْهُ نُورٌ عَظِيمٌ، فَجَعَلَ النُّورَ يُرِيدُ أَنْ يَدْخُلَ مِنْ حَيْثُ خَرَجَ وَلَا يَسْتَطِيعُ، قَالَ: مَا هَذَا يَا جَبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الرَّجُلُ يَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ فَيَنْدَمُ عَلَيْهَا، فَيُرِيدُ أَنْ يَرُدَّهَا فَلَا يَسْتَطِيعُ». وَذَكَرَ الْحَدِيثَ<sup>(٢)</sup>.

(١) «رَضَفَ جَهَنَّمَ» الرَضْفُ هِيَ الْحَجَارَةُ الَّتِي حَمِيَتْ بِالشَّمْسِ أَوْ النَّارِ، وَاحْدَتُهَا رَضْفَةٌ. لِسَانُ الْعَرَبِ «رَضَفَ».

(٢) الْقِصْفُ هُوَ الْكَسْرُ، وَقِصْفَةُ الْقَوْمِ أَي تَدَافِعُهُمْ وَازْدِحَامُهُمْ حَتَّى يَقْصِفُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، مِنَ الْقِصْفِ وَهُوَ الْكَسْرُ وَالِدْفَعُ الشَّدِيدُ. لِسَانُ الْعَرَبِ «قِصْفٌ».

(٣) (ضعيف) أَخْرَجَهُ ابْنُ جَرِيرٍ (١١٥/٦-١١)، وَالبَزَارُ كَمَا فِي «كَشْفِ الْأَسْتَارِ» (٣٨/١)، وَالبَيْهَقِيُّ فِي «دَلَائِلِ النَّبُوَّةِ» (٣٩٧/٢) مِنْ طَرَفِ أَبِي جَعْفَرِ الرَّازِيِّ عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ عَنِ أَبِي الْعَالِيَةِ الرَّيَّاحِيِّ عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَوْ غَيْرِهِ -شَكَ أَبُو جَعْفَرٍ- فَذَكَرَهُ مَطْوَلًا جَدًّا.

وَذَكَرَ الْبَيْهَقِيُّ أَيْضًا فِي حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي سَعِيدِ الْخَدْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «فَصَعَدْتُ أَنَا وَجِبْرِيلُ فَاسْتَمْتَحَ جِبْرِيلُ فَإِذَا بِأَدَمَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَهُ اللهُ عَلَى صُورَتِهِ تَعْرُضُ عَلَيْهِ أَرْوَاحُ ذُرِّيَّتِهِ الْمُؤْمِنِينَ فَيَقُولُ رُوحَ طَيْبِهِ وَنَفْسَ طَيْبِهِ اجْعَلُوهَا فِي عَلِيَيْنِ ثُمَّ تَعْرُضُ عَلَيْهِ أَرْوَاحُ ذُرِّيَّتِهِ الْفَجَّارِ فَيَقُولُ رُوحَ خَبِيثَةٍ وَنَفْسَ خَبِيثَةٍ اجْعَلُوهَا فِي سِجِّينَ . ثُمَّ مَضِيَتْ هُنَيْئَةً فَإِذَا أَنَا بِأَخْوَنَةٍ<sup>(١)</sup> عَلَيْهَا لَحْمٌ مَشْرَحٌ لَيْسَ بِقَرْبِهَا أَحَدٌ وَإِذَا بِأَخْوَنَةٍ أُخْرَى عَلَيْهَا لَحْمٌ قَدْ أُرُوحَ وَنَتْنٌ وَعِنْدَهَا نَاسٌ يَأْكُلُونَ مِنْهَا قُلْتُ يَا جِبْرِيلُ مَنْ هَؤُلَاءِ قَالَ هَؤُلَاءِ يَتْرَكُونَ الْحَلَالَ وَيَأْتُونَ الْحَرَامَ .

قَالَ: ثُمَّ مَضِيَتْ هُنَيْئَةً فَإِذَا أَنَا بِأَقْوَامٍ بَطُونَهُمْ أَمْثَالُ الْبَيْوتِ كُلَّمَا نَهَضَ أَحَدُهُمْ خَرَّ يَقُولُ اللَّهُمَّ لَا تَقِمِ السَّاعَةَ قَالَ وَهُمْ عَلَى سَابِلَةِ آلِ فِرْعَوْنَ<sup>(٢)</sup> قَالَ: فَتَجَى السَّابِلَةَ فَتَطْوُهُمْ فَيَصِيحُونَ، قُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ مَنْ هَؤُلَاءِ قَالَ هَؤُلَاءِ ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

وإسناده ضعيف تفرد به أبو جعفر الرازي عيسى بن ماهان وهو ضعيف وروايته عن الربيع بن أنس فيها اضطراب قال ابن حبان في «الثقات» (٢٢٨/٤): (والناس يتقون من حديثه - يعني الربيع - ما كان من رواية أبي جعفر عنه لأن في أحاديثه عنه اضطراباً كثيراً).

وقد أشار ابن كثير في «تفسيره» إلى ضعف هذا الحديث وما فيه من النكارة فقال بعد أن ذكره: «قُلْتُ: أَبُو جَعْفَرِ الرَّازِيِّ، قَالَ فِيهِ الْحَافِظُ أَبُو زُرْعَةَ: الرَّازِيُّ: يَهْمُ فِي الْحَدِيثِ كَثِيرًا، وَقَدْ صَعَفَهُ غَيْرُهُ أَيْضًا، وَوَقَّفَهُ بَعْضُهُمْ، وَالْأَظْهَرُ أَنَّهُ سَعِيَ الْحَفِظُ فَنِيَمًا تَفَرَّدَ بِهِ نَظْرًا. وَهَذَا الْحَدِيثُ فِي بَعْضِ الْفَاضِلِ غَرَابَةٌ وَنَكَارَةٌ شَدِيدَةٌ، وَفِيهِ شَيْءٌ مِنْ حَدِيثِ الْمَنَامِ مِنْ رِوَايَةِ سَمُرَةَ بِنِ جُنْدُبٍ فِي الْمَنَامِ الطَّوِيلِ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ، وَيُسَبِّهُ أَنْ يَكُونَ مَجْمُوعًا مِنْ أَحَادِيثِ سَتَى، أَوْ مَنَامٍ أَوْ قِصَّةٍ أُخْرَى غَيْرِ الْإِسْرَاءِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

<sup>(١)</sup> الأَخْوَنَةُ مفردها خَوَانٌ وهو ما يوضع عليه الطعام عند الأكل. «النهاية» (خون).

<sup>(٢)</sup> السَّابِلَةُ هي الطريق المسلوكة، والسَّابِلَةُ أَيْضًا أبناء السبيل المختلفة في الطرقات. «القاموس» و«مختار الصحاح» (سبل).

قَالَ: ثُمَّ مَضَيْتُ هَنِيئَةً فَإِذَا أَنَا بِقَوْمٍ مَشَافِرِهِمْ كَمَشَافِرِ الْإِبِلِ فَتَفْتَحُ أَفْوَاهَهُمْ، فَيَلْقَمُونَ الْجَمْرَ ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْ أَسَافِلِهِمْ، فَسَمِعْتَهُمْ يَصِيحُونَ، قُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا.

ثُمَّ مَضَيْتُ هَنِيئَةً، فَإِذَا [أَنَا] بِنِسَاءٍ مَعْلَقَاتٍ بِثَدْيَيْنِ فَسَمِعْتَهُنَّ يَصْحَنُ، قُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الزَّوَانِي.

ثُمَّ مَضَيْتُ هَنِيئَةً، فَإِذَا أَنَا بِقَوْمٍ يَقْطَعُ مِنْ جُنُوبِهِمُ اللَّحْمَ، فَيَلْقَمُونَ فَيُقَالُ: كُلِّ مَا كُنْتَ تَأْكُلُ لَحْمَ أَخِيكَ، قُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: الْهَمَازُونَ مِنْ أُمَّتِكَ». وَذَكَرَ الْحَدِيثَ بِطَوِيلِهِ<sup>(١)</sup>.

وَفِي سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَمَّا عَرَجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمَشُونَ وَجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جَبْرِيلُ؟ قَالَ: الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ وَيَقْعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ»<sup>(٢)</sup>.

<sup>(١)</sup> (ضعيف جدًا) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/٣٩٠)، وابن جرير (١١/٥) من طرق عن أبي هارون العبدى عن أبي سعيد الخدرى به مطولاً. وهذا إسناد ضعيف جدًا أبو هارون العبدى هو عمارة بن جوين قال الحافظ: (متروك ومنهم من كذبه). وقال ابن كثير بعد ذكره لهذا الحديث في أول تفسير سورة الإسراء: «ورواه ابن أبي حاتم ... على غرابته وما فيه من النكارة».

<sup>(٢)</sup> (صحيح) أخرجه أبو داود: (٤٨٧٨) وأحمد: (٣/٢٢٤) من طريق أبي المغيرة قال حدثنا صفوان حدثني راشد بن سعد وعبد الرحمن بن جبير عن أنس بن مالك به. وإسناده صحيح رجاله كلهم ثقات. أبو المغيرة هو عبد القدوس بن الحجاج الخولاني، وصفوان هو ابن عمرو السكسكى.

وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ فِي مُسْنَدِهِ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنِ مُجَاهِدٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى قَبْرَيْنِ فَقَالَ: «إِنَّهُمَا لِيُعَذَّبَانِ فِي غَيْرِ كَبِيرٍ، أَمَا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَأْكُلُ لَحُومَ النَّاسِ، وَأَمَا الْآخَرُ: فَكَانَ صَاحِبَ نَمِيمَةٍ، ثُمَّ دَعَا بِجَرِيدَةٍ فَشَقَّهَا نِصْفَيْنِ فَوَضَعَ نِصْفَهَا عَلَى هَذَا الْقَبْرِ وَنِصْفَهَا عَلَى هَذَا الْقَبْرِ، وَقَالَ: عَسَى أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمَا مَا دَامَتَا رَطْبَتَيْنِ»<sup>(١)</sup>.

<sup>(١)</sup> أخرجه أبو داود الطيالسي في "مسنده" (٣٦٩/٤) ورجال إسناده ثقات، إلا أنه قد اختلف فيه: فرواه شعبة - كما في هذا الموضع - عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس مرفوعاً بلفظ: «أما أحدهما فكان يأكل لحوم الناس...». وقد خالف شعبة جماعة وهم: أبو معاوية محمد بن خازم الضرير - أخرجه البخاري: (٢١٨) - ووكيع وعبد الواحد بن زياد - أخرجه مسلم: (٢٩٢) - وزياد البكائي - أخرجه الآجري في "الشريعة" (٨٤٩) أربعتهم عن الأعمش عن مجاهد عن طاوس عن ابن عباس مرفوعاً بلفظ «أما أحدهما فكان لا يستتر من بوله وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة».

فخالفوا شعبة في لفظ الحديث وفي زيادة طاوس بين مجاهد وابن عباس .

\* ثم إن الرواة عن شعبة اختلفوا:

فرواه محمد بن أبي عدي عن شعبة به موافقاً لرواية الجماعة.

ورواه أبو داود الطيالسي - كما في هذا الموضع - عن شعبة كما تقدم مخالفاً لرواية الجماعة.

فالذي يظهر لي أن شعبة حدّث به موافقاً لرواية الجماعة وأن الغلط من الرواة عنه، ويبدو أن الغلط هنا من أبي داود الطيالسي لأمرين:

١- كونه قد ذُكر في ترجمته أن له أهاماً.

٢- أن رواية ابن أبي عدي عن شعبة موافقة لرواية الجماعة. والله أعلم.

\* ومما يؤكد هذا أن الحدّث قد رواه غير الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس موافقاً، لما رواه الجماعة عن الأعمش، فقد أخرجه البخاري: (٢١٦) ، وأبو داود: (٢١) ، والنسائي: (٢٠٦٧) ، والآجري في "الشريعة" (٨٤٨) من طرق عن منصور عن مجاهد عن ابن عباس مرفوعاً . موافقاً لما رواه الجماعة عن الأعمش. إلا أن منصوراً خالف الأعمش في إسقاط طاوس بين مجاهد وابن عباس، وقد قال الترمذي في



وَقَدْ اختلف النَّاسُ فِي هَدْيِنِ هَلْ كَانَا كَافِرِينَ أَوْ مُؤْمِنِينَ؟

فقيل: كَانَا كَافِرِينَ. وَقَوْلُهُ: «وَمَا يَعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ». يَعْنِي بِالإِضَافَةِ إِلَى الكُفْرِ والشَّرِكِ قَالُوا وَيَدُلُّ عَلَيْهِ أَنَّ العَذَابَ لَمْ يَرْتَفِعْ عَنْهُمَا وَإِنَّهَا خَفِفتُ وَأَيْضًا فَإِنَّهُ خَفِفتُ مُدَّةَ رُطُوبَةِ الجَرِيدَةِ فَقَطُّ وَأَيْضًا فَانَهَا لَوْ كَانَا مُؤْمِنِينَ لَشَفِعَ فِيهِمَا وَدَعَا لَهُمَا النَّبِيُّ ﷺ فَرَفَعَ عَنْهُمَا العَذَابَ بِشَفَاعَتِهِ.

وَأَيْضًا فَفِي بعضِ طَرُقِ الحَدِيثِ أَنَّهُمَا كَانَا كَافِرِينَ<sup>(١)</sup> وَهَذَا التَّعْذِيبُ زِيَادَةٌ عَلَى تَعْذِيبِهِمَا بِكُفْرِهِمَا وَخَطَايَاهُمَا وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الكَافِرَ يَعْذَبُ بِكُفْرِهِ وَذُنُوبِهِ جَمِيعًا وَهَذَا اخْتِيَارُ أَبِي الحَكَمِ بنِ بَرَّجَانَ<sup>(٢)</sup>.

جامعه عقب الحديث رقم: (٧٠)، (رواية الأعمش أصح، ونقل عن وكيع أنه قال الأعمش أحفظ لإسناد إبراهيم من منصور).

وقال ابن حبان في "صحيحه" (٤٠٠/٧): (سمع هذا الخبر مجاهد عن ابن عباس، وسمعه عن طاوس عن ابن عباس، فالطريقان جميعًا محفوظان).

والحديث قد أخرجه البخاري: (٢١٦) و (٢١٨) على الوجهين، قال الحافظ في "الفتح" (٤١٤/١): «وَإِخْرَاجُهُ لَهُ عَلَى الوَجْهَيْنِ يَمْتَضِي صِحَّتَهُمَا عِنْدَهُ فَيَحْمَلُ عَلَى أَنَّ مَجَاهِدًا سَمِعَهُ مِنْ طَاوُسٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ثُمَّ سَمِعَهُ مِنْ ابْنِ عَبَّاسٍ بِلَا وَاسِطَةٍ أَوْ العَكْسِ وَيُؤَيِّدُهُ أَنَّ فِي سِيَاقِهِ عَنِ طَاوُسٍ زِيَادَةٌ عَلَى مَا فِي رِوَايَتِهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَصَرَحَ ابْنُ حِبَّانٍ بِصِحَّةِ الطَّرِيقَيْنِ مَعًا، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: رِوَايَةُ الأَعْمَشِ أَصَحُّ».

<sup>(١)</sup> (ضعيف) يشير بهذا إلى ما رواه الطبراني في "الأوسط" (٤٦٢٥) من طريق ابن لهيعة، عن أسامة بن زيد، عن أبي الزبير، عن جابر قال: «مَرَّ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ عَلَى قُبُورِ نِسَاءٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ هَلَكُوا فِي الجَاهِلِيَّةِ، فَسَمِعَهُمْ يُعَدِّونَ فِي القُبُورِ فِي النِّيمَةِ». وهذا إسناد ضعيف ابن لهيعة هو عبد الله ضعيف، وأسامة ابن زيد هو الليثي صدوق بهم، وأبو الزبير مدلس وقد عنعن، ومما يدل على ضعف هذا الحديث وتخليط ابن لهيعة فيه أن الإمام أحمد قد أخرج الحديث: (٢٩٥-٢٩٦/٣) من طريق ابن جريج قال أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابرًا فذكره وليس فيه السبب في عذاب أولئك المقبورين، فدل على أنه ليس هو حديثنا الذي نحن بصدد

وَقِيلَ: كَانَا مُسْلِمِينَ لِنَبِيِّ النَّبِيِّ ﷺ التَّعْذِيبِ بِسَبَبِ غَيْرِ السَّبَبِينَ الْمَذْكُورِينَ، وَلَقَوْلُهُ: «وَمَا يَعْذِبَانِ فِي كَبِيرٍ» وَالْكَفْرُ وَالشَّرْكَ أَكْبَرُ الْكِبَائِرِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَلَا يُلْزَمُ أَنْ يَشْفَعَ النَّبِيُّ ﷺ لِكُلِّ مُسْلِمٍ يَعْذِبُ فِي قَبْرِهِ [عَلَى جَرِيْمَةٍ مِنَ الْجَرَائِمِ] فَقَدْ أَخْبَرَ عَنْ صَاحِبِ الشَّمْلَةِ الَّذِي قُتِلَ فِي الْجِهَادِ أَنَّ الشَّمْلَةَ تَشْتَعِلُ عَلَيْهِ نَارًا فِي قَبْرِهِ وَكَانَ مُسْلِمًا مُجَاهِدًا<sup>(١)</sup> وَلَا يَعْلَمُ ثُبُوتُ هَذِهِ اللَّفْظَةِ، وَهِيَ قَوْلُهُ: «كَانَا كَافِرِينَ». وَلَعَلَّهَا لَوْ صَحَّتْ، - وَكَأَلَّا - فَهِيَ مِنْ قَوْلِ بَعْضِ الرُّوَاةِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَهَذَا اخْتِيَارُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْقُرْطُبِيِّ<sup>(٢)</sup>.

الكلام عليه، وكم من الأحاديث فيها أن النبي ﷺ سمع أصوات من يعذبون في قبورهم، ولكن حديثنا فيه أنه شفع لها وجعل بعض الأغصان على قبورهما وأخبر أن عذابها إنما هو بهذين الذنبتين وأنه ليس بذنوب كبير، وسيأتي من كلام ابن القيم تضعيف لهذا الحديث.

<sup>(١)</sup> هو أبو الحكم عبد السلام بن عبد الرحمن اللخمي الأفرقي من علماء اللغة والقراءات توفي سنة: (٦٢٧). انظر "سير أعلام النبلاء" (٢٢ / ٣٣٤).

وكلامه هذا في كتابه "الإرشاد الهادي إلى التوفيق والسداد". - كما في "التذكرة" للقرطبي (١ / ١٧٤).

<sup>(٢)</sup> أخرجه البخاري: (٤٢٣٤)، ومسلم: (١١٥) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

<sup>(٣)</sup> في "التذكرة" (١٧٣-١٧٤). وجزم به ابن العطار في شرح العمدة وقال: لا يجوز أن يقال إنها كانا كافرين، لأنها لو كانا كافرين لم يدعُ لها بتخفيف العذاب ولا ترجأه لها، ولو كان ذلك من خصائصه لبيته. انتهى من "فتح الباري" (١ / ٣٢١).

واستظهر هذا القول الحافظ ابن حجر في حديث ابن عباس حيث قال: (وأما حديث الباب فالظاهر من مجموع طرقه أنها كانا مسلمين... إلى أن قال - ويقوي كونها كانا مسلمين رواية أبي بكر عند أحمد والطبراني بإسناد صحيح «يعذبان وما يعذبان في كبير وبلى وما يعذبان إلا في الغيبة والبول» فهذا الحصر ينفي كونها كافرين؛ لأن الكافر وإن عذب على ترك أحكام الإسلام فإنه يعذب مع ذلك على الكفر بلا خلاف). انتهى.

قلت: حديث أبي بكر الذي أشار إليه الحافظ أخرجه أحمد: (٣٥-٣٦)، والطبراني في "الأوسط"

(٣٧٥٩)، وهو حديث حسن سيأتي تخريجه في أول المسألة التاسعة ص ( ).

## فصل

## وأما المسألة السابعة

وهي قول السائل: ما جوابنا للملاحدة والزنادقة المنكرين لعذاب القبر، وسعته وضيقه، وكونه حفرة من حفر النار، أو روضة من رياض الجنة، وكون الميت لا يجلس ولا يقعد فيه.

قالوا: فإننا نكشف القبر، فلا نجد فيه ملائكة عمياً صماً يضربون الموتى بمطارق من حديد، ولا نجد هناك حيات ولا ثعابين، ولا نيراناً تأجج، ولو كشفنا حاله في حالة من الأحوال لوجدناه لم يتغير، ولو وضعنا على عينيه الزئبق، وعلى صدره الخردل لوجدناه على حاله. وكيف يفسح مد بصره أو يضيق عليه، ونحن نجده بحاله، ونجد مساحته على حد ما حفرناها لم تزد، ولم تنقص، وكيف يسع ذلك اللحد الضيق له وللملائكة وللصورة التي تؤنسه أو توحشه.

قال إخوانهم من أهل البدع والضلال: وكل حديث يخالف مقتضى العقول والحس يقطع بتخطئة ناقله.

قالوا: ونحن نرى المصلوب على خشبة مده طويلاً لا يسأل، ولا يجيب ولا يتحرك ولا يتوقد جسمه ناراً، ومن افترسته السباع ونهشته الطيور، وتفرقت أجزاؤه، وفي أجواف السباع وحواصل الطيور<sup>(١)</sup> وبطن الحيتان<sup>(٢)</sup>، ومدارج الرياح كيف تسأل أجزاؤه مع تفرقها؟ وكيف يتصور مسألة الملكين لمن هذا وصفه، وكيف يصير القبر

(١) في الأصل و(ش): (وفي أجواف الطيور وحواصل السباع) والصحيح ما أثبتناه من (ف).

(٢) في الأصل (الحيات) والمثبت من (ش) و (ف).

على هَذَا رَوْضَةٍ من رياض الجنة أو حُفْرَةٍ من حفر النار؟ وَكَيْفَ يَضِيقُ عَلَيْهِ حَتَّى تَلْتَمَّ أَضْلَاعَهُ؟

وَنَحْنُ نَذَكُرُ أُمُورًا يَعْلَمُ بِهَا الْجَوَابُ:

الأمر الأول: أن يعلم أن الرُّسُلَ صلوات الله وسلامه عليهم: لم يخبروا بِمَا تحيله العُقُولُ: وتقطع باستحالته بل أخبارهم قِسْمَانِ: أحدهما: مَا تشهد به العُقُولُ وَالْفَطْرُ.

الثاني: مَا لَا تُدْرِكُهُ العُقُولُ بمجرد ما كالغيوب التي أخبروا بها عن تفاصيل البرزخ واليَوْمِ الآخر، وتفاصيل الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، وَلَا يكون خبرهم محالاً فِي العُقُولِ أصلاً وكل خبر يظن: أن العقل يحيله، فَلَا يُخْلُو من أحد أمرين:

أما يكون الخبر كذباً عليهم أو يكون ذلك العقل فاسداً، وَهُوَ شُبْهَةٌ خيالية، يظن صاحبها أنها معقول صريح، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [سبأ: ٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَقْمَنَ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾ [الرعد: ١٩].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ﴾ [الرعد: ٣٦]، والنفوس لَا تفرح بالمحال، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ \* قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا \* [يونس: ٥٧-٥٨]، والمحال لَا يشفي وَلَا يحصل به هدى وَلَا رَحْمَةٌ، وَلَا يفرح به، فَهَذَا أمر من لم يَسْتَقِرَّ فِي قلبه خير، ولم يثبت له على الإسلام قدم، وَكَانَ أَحْسَنَ أَحْوَالِهِ الحيرة والشك.

## فصل

الأمر الثاني: أن يفهم عن الرسول ﷺ مراده من غير غلو ولا تقصير، فلا يُحمّل كلامه ما لا يَحْتَمِلُهُ، ولا يقصر به عن مراده، وما قصده من الهدى والبيان.

وقد حصل بإهمال ذلك والعدول عنه من الضلال والعدول عن الصواب، ما لا يُعلمه إلا الله، بل سوء الفهم عن الله ورَسُولُهُ أصل كل بدعة وضلالة نشأت في الإسلام، بل هو أصل كل خطأ في الأصول والفروع، ولا سيما إن أضيف إليه سوء القصد، فيتفق سوء الفهم في بعض الأشياء من المتبوع مع حسن قصده، وسوء القصد من التابع فيا محنة الدين وأهله! والله المُسْتَعَان.

وهل أوقع القدرية والمرجئة والخوارج والمعتزلة والجهمية والرافضة وسائر الطوائف أهل البدع إلا سوء الفهم عن الله ورَسُولُهُ؛ حتى صار الدين بأيدي أكثر الناس هو موجب هذه الإفهام، والذي فهمه الصحابة ومن تبعهم عن الله ورَسُولُهُ فمهجور لا يلتفت إليه، ولا يرفع هؤلاء به رأساً، ولكثرة أمثلة هذه القاعدة تركناها فإننا لو ذكرناها لزادت على عشرة ألوف حتى إنك لتمر على الكتاب من أوله إلى آخره فلا تجد صاحبه فهم عن الله ورَسُولُهُ ومراده كما ينبغي في موضع واحد.

وهذا إنما يعرفه من عرف ما عند الناس وعرضه على ما جاء به الرسول ﷺ، وأما من عكس الأمر فعرض ما جاء به الرسول ﷺ على ما اعتقده وانتحلته وقلد فيه من أحسن به الظن فليس يجدي الكلام معه شيئاً فدعه وما اختاره لنفسه وولّه ما تولى، واحمد الذي عافاك بما ابتلاه به.

## فصل

الأمر الثالث: أن الله سبحانه جعل الدور ثلاثة: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار، وجعل لكل دار أحكاماً تختص بها، وركب هذا الانسان من نفس وبدن، وجعل أحكام دار الدنيا على الأبدان، والأرواح تبعاً لها، ولهذا جعل أحكامه الشرعية مرتبة على ما يظهر من حركات اللسان والجوارح، وإن أضمرت النفوس خلافه، وجعل أحكام البرزخ على الأرواح والأبدان تبعاً لها، فكما تبعت الأرواح الأبدان في أحكام الدنيا، فتألمت بألمها والتذت براحتها، وكانت هي التي باشرت أسباب النعيم والعذاب تبعت الأبدان الأرواح في نعيمها وعذابها، والأرواح حينئذ هي التي تباشر العذاب والنعيم، فالأبدان هنا ظاهرة والأرواح خفية، والأبدان كالقبور لها، والأرواح هناك ظاهرة، والأبدان خفية في قبورها تجري أحكام البرزخ على الأرواح، فيسري إلى أبدانها نعيماً و عذاباً كما تجري أحكام الدنيا على الأبدان، فتسري إلى أرواحها نعيماً أو عذاباً فأحط بهذا الموضع علماً، واعرفه كما ينبغي؛ يزيل عنك كل إشكال يُورد عليك من داخل وخارج.

وقد أَرانا الله سبحانه بلطفه ورحمته وهدايته من ذلك أنموذجاً في الدنيا من حال النَّائم، فإن ما ينعم به أو يعذب في نومه يجري على روجه أصلاً والبدن تبع له، وقد يقوى حتى يؤثر في البدن تأثيراً مشاهداً، فيرى النَّائم في نومه أنه ضرب فيصبح وأثر الضرب في جسمه، ويرى أنه قد أكل أو شرب فيستيقظ وهو يجد أثر الطعام والشراب في فيه، ويذهب عنه الجوع والظما.

وأعجب من ذلك: أنك ترى النَّائم يقوم في نومه ويضرب ويبطش ويدافع كأنه يقظان، وهو نائم لا شعور له بشيء من ذلك، وذلك أن الحكم لما جرى على الروح استعانت بالبدن من خارجه، ولو دخلت فيه لاستيقظ وأحس، فإذا كانت الروح تتألم

وتتنعم ويصل ذلك إلى بدنها بطريق الاستتباع، فَهَكَذَا فِي الْبَرْزَخِ بِلْ أَعْظَمِ، فَإِنْ تَجْرَدَ الرَّوْحُ هُنَالِكَ أَكْمَلَ وَأَقْوَى، وَهِيَ مُتَعَلِّقَةٌ بِبَدْنِهَا لَمْ تَنْقَطِعْ عَنْهُ كُلَّ الْإِنْقِطَاعِ، فَإِذَا كَانَ يَوْمَ حَشْرِ الْأَجْسَادِ وَقِيَامِ النَّاسِ مِنْ قُبُورِهِمْ صَارَ الْحُكْمُ وَالنَّعِيمُ وَالْعَذَابُ عَلَى الْأَرْوَاحِ وَالْأَجْسَادِ ظَاهِرًا بَادِيًا أَصْلًا.

وَمَتَى أُعْطِيَتْ هَذَا الْمَوْضِعَ حَقَّهُ تَبَيَّنَ لَكَ أَنَّ مَا أَخْبَرَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ وَضِيقِهِ وَسَعْتِهِ وَضَمِّهِ، وَكَوْنِهِ حُفْرَةً مِنْ حَفْرِ النَّارِ أَوْ رَوْضَةً مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ مُطَابِقٌ لِلْعَقْلِ، وَأَنَّهُ حَقٌّ لَا مَرِيَةَ فِيهِ، وَأَنَّ مِنْ أَشْكَلِ عَلَيْهِ ذَلِكَ فَمَنْ سَوَّاهُ فَهَمَّهُ وَقَلَّةُ عِلْمِهِ أَتَى كَمَا قِيلَ:

وَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلًا صَحِيحًا      وَأَفْتَهُ مِنَ الْفَهْمِ السَّقِيمِ<sup>(١)</sup>

وَأَعْجَبَ مِنْ ذَلِكَ: أَنَّكَ تَجِدُ النَّائِمِينَ فِي فِرَاشٍ وَاحِدٍ، وَهَذَا رُوحُهُ فِي النَّعِيمِ وَيَسْتَيْقِظُ وَآثَرَ النَّعِيمِ عَلَى بَدْنِهِ، وَهَذَا رُوحُهُ فِي الْعَذَابِ وَيَسْتَيْقِظُ وَآثَرَ الْعَذَابِ عَلَى بَدْنِهِ، وَلَيْسَ عِنْدَ أَحَدِهِمَا خَبْرٌ بِمَا عِنْدَ الْآخَرِ، فَأَمْرُ الْبَرْزَخِ أَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ.

### فصل

الْأَمْرُ الرَّابِعُ: أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ أَمْرَ الْآخِرَةِ وَمَا كَانَ مُتَّصِلًا بِهَا غَيْبًا، وَحَجَبًا عَنِ إِدْرَاكِ الْمُكَلَّفِينَ فِي هَذِهِ الدَّارِ. وَذَلِكَ مِنْ كَمَالِ حِكْمَتِهِ وَلِيَتَمَيَّزَ الْمُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ غَيْرِهِمْ.

فَأَوَّلُ ذَلِكَ: أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَنْزِلُ عَلَى الْمُحْتَضِرِ، وَتَجْلِسُ قَرِيبًا مِنْهُ وَيَشَاهِدُهُمْ عِيَانًا، وَيَتَحَدَّثُونَ عِنْدَهُ وَمَعَهُمُ الْأَكْفَانُ وَالْحَنُوطُ، إِمَّا مِنَ الْجَنَّةِ وَإِمَّا مِنَ النَّارِ<sup>(١)</sup>، وَيُؤْمِنُونَ عَلَى

(١) البيت للمتنبّي في ديوانه - مع شرح البرقوقيّ - ص (٣٩٢).

دُعَاءِ الْحَاضِرِينَ بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ<sup>(١)</sup>، وَقَدْ يَسْلُمُونَ عَلَى الْمُحْتَضِرِ وَيُرِدُ عَلَيْهِمْ تَارَةً بِلَفْظِهِ تَارَةً بِإِشَارَتِهِ وَتَارَةً بِقَلْبِهِ حَيْثُ لَا يَتِمَّكَنُّ مِنْ نَطْقٍ وَلَا إِشَارَةٍ<sup>(٢)</sup>.

وَقَدْ سُمِعَ بَعْضُ الْمُحْتَضِرِينَ يَقُولُ: أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا بِهَذِهِ الْوُجُوهِ.  
وَأُخْبِرُنِي شَيْخَنَا عَنْ بَعْضِ الْمُحْتَضِرِينَ، فَلَا أُدْرِي أَشَاهِدُهُ أَوْ أُخْبِرُ عَنْهُ، أَنَّهُ سُمِعَ وَهُوَ يَقُولُ: عَلَيْكَ السَّلَامُ هَا هُنَا، فَاجْلِسْ، وَعَلَيْكَ السَّلَامُ هَا هُنَا فَاجْلِسْ.  
وَقِصَّةُ خَيْرِ النَّسَاجِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَشْهُورَةٌ؛ حَيْثُ قَالَ عِنْدَ الْمَوْتِ: اصْبِرْ عَافَاكَ اللَّهُ، فَإِنْ مَا أَمَرْتُ بِهِ لَا يَفُوتُ، وَمَا أَمَرْتُ بِهِ يَفُوتُ، ثُمَّ اسْتَدْعَى بِمَاءٍ فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى ثُمَّ قَالَ: امْضِ لِمَا أَمَرْتُ بِهِ وَمَاتَ<sup>(٣)</sup>.

<sup>(١)</sup> (صحيح) قطعة من حديث البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الطويل . تقدم تخريجه ص ( ) .

<sup>(٢)</sup> أخرجه مسلم: (٩١٩) عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولفظه: «إذا حضرتم المريض أو الميت فقولوا خيراً فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون».

<sup>(٣)</sup> ما ذكره المؤلف هنا من أن الملائكة قد يسلمون على المحتضر، قد ذكره الله في كتابه حيث قال: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ اذْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢].

وأخرج ابن المبارك في «الزهد» (٤٤٢)، وابن جرير (عند الآية ٣٢ من سورة النحل)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤٣٨) من طريقين عن أَبِي صَخْرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبِ الْقُرْظِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، تَعَالَى قَالَ: (إِذَا اسْتُنْفِعتْ نَفْسُ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ جَاءَهُ مَلَكُ الْمَوْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَلِيَّ اللَّهِ، اللَّهُ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ)، ثُمَّ نَزَعَ بِهَذِهِ الْآيَةِ: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ اذْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ [النحل: ٣٢]. وهذا إسناد حسن إلى محمد بن كعب، أبو صخر هو حميد بن زياد بن أبي المخارق صدوق، وقد تابعه يزيد بن أبي زياد وهو ثقة فرواه عن كعب به أخرجه البيهقي في «الشعب» (٤٠٢) فلاثر صحيح، والله أعلم.

ولكن كما ترى فيه أن المحتضر يُرَدُّ عليهم، وإنما فيه أن الملائكة تسلم المحتضر، وأما كونه يرد عليهم أو لا فهذا مما لم أقف له على دليل إيجاباً أو نفيًا، فالله أعلم.



وَذَكَرَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا: أَنَّ عَمْرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ لَمَّا كَانَ فِي يَوْمِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، قَالَ: أَجْلَسُونِي فَأَجْلَسُوهُ، فَقَالَ: أَنَا الَّذِي أَمَرْتَنِي فَقَصَرْتَ وَنَهَيْتَنِي فَعَصَيْتَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَلَكِنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَأَحَدَ النَّظْرَ، فَقَالُوا: إِنَّكَ لَتَنْظُرُ نَظْرًا شَدِيدًا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ: إِنِّي لِأَرَى حَضْرَةَ مَا هُمْ بِإِنْسٍ وَلَا جَنٍّ ثُمَّ قَبِضُ<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ مُسْلِمَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمَلِكِ: لَمَّا احْتَضَرَ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ كُنَّا عِنْدَهُ فِي قَبَّةِ فَأَوْمَى، إِلَيْنَا أَنْ اخْرُجُوا فخرَجْنَا فَقَعَدْنَا حَوْلَ الْقَبَّةِ وَبَقِيَ عِنْدَهُ وَصِيفٌ<sup>(٢)</sup>، فَسَمِعْنَاهُ يَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص: ٨٣].

مَا أَنْتُمْ بِإِنْسٍ وَلَا جَانٍ، ثُمَّ خَرَجَ الْوَصِيفُ فَأَوْمَى إِلَيْنَا، أَنْ ادْخُلُوا فَدَخَلْنَا، فَإِذَا هُوَ قَدْ قَبِضُ<sup>(٤)</sup>.

<sup>(١)</sup> خير النساج هو الزاهد الكبير أبو الحسن البغدادي كان له حلقة يتكلم بها على الصوفية وعمّر طويلاً توفي سنة (٣٢٢). انظر «سير أعلام النبلاء» (٢٠/٢٦٩).

وقصته هذه ذكرها أبو نعيم في «الحلية» (١٠/٣٠٧)، ومن طريقه الخطيب في «تاريخه» (٨/٣٤٢) فقال - أبو نعيم - سمعت علي بن هارون صاحب الجنيد يحكي عن غير واحد من أصحابه ممن حضر موت خير النساج قال غشي عليه عند صلاة المغرب... فذكر القصة. وهي كما ترى فيها مجاهيل.

<sup>(٢)</sup> أخرجه ابن أبي الدنيا في المحتضرين (٩٠)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٥/٢٥٤) وفي إسناده الحارث بن بهرام لم أجد له ترجمة.

<sup>(٣)</sup> الوصيف هو العبد والخادم، والأمة الوصيفة. «النهاية» (وصف).

<sup>(٤)</sup> أخرجه ابن أبي الدنيا في المحتضرين (٩١) وفي إسناده من لم يتبين لي من هو.

وَقَالَ فَصَالَةَ بْنِ دِينَارٍ: حَضَرْتُ مُحَمَّدَ بْنَ وَاسِعٍ وَقَدْ سُجِّيَ لِلْمَوْتِ، فَجَعَلَ يَقُولُ: مَرَّحِبًا بِمَلَائِكَةِ رَبِّي وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، وَشَمِمْتَ رَائِحَةَ طِيبٍ لَمْ أَشَمَّ رَائِحَةَ قَطٍّ أَطِيبَ مِنْهَا، ثُمَّ شَخِصَ بِبَصْرِهِ <sup>(١)</sup> فَتَاتَ <sup>(٢)</sup>.

وَالْآثَارُ فِي ذَلِكَ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ تَحْصُرَ، وَأَبْلَغُ. وَيَكْفِي مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ \* وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ \* وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ [الواقعة: ٨٣-٨٥]، أَي: أَقْرَبُ إِلَيْهِ بِمَلَائِكَتِنَا، وَرُسُلِنَا، وَلَكِنَّكُمْ لَا تَرَوْنَهُمْ، فَهَذَا أَوَّلُ الْأَمْرِ وَهُوَ غَيْرُ مَرئي لَنَا وَلَا مَشَاهِدٍ وَهُوَ فِي هَذِهِ الدَّارِ، ثُمَّ يَمُدُّ الْمَلِكُ يَدَهُ إِلَى الرُّوحِ فَيَقْبِضُهَا وَيَخَاطِبُهَا وَالْحَاضِرُونَ لَا يَرُونَهُ وَلَا يَسْمَعُونَهُ، ثُمَّ تَخْرُجُ فَيَخْرُجُ لَهَا نُورٌ مِثْلُ شُعَاعِ الشَّمْسِ وَرَائِحَةُ أَطِيبٍ مِنْ رَائِحَةِ الْمَسْكِ وَالْحَاضِرُونَ لَا يَرُونَ ذَلِكَ وَلَا يَشْمُونَهُ، ثُمَّ تَصْعَدُ بَيْنَ سَمَاطِينَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْحَاضِرُونَ لَا يَرَوْنَهُمْ <sup>(٣)</sup>.

ثُمَّ تَأْتِي الرُّوحَ فَتَشَاهِدُ غَسْلَ الْبَدَنِ وَتَكْفِينَهُ وَحَمْلَهُ <sup>(٤)</sup>، وَتَقُولُ: «قَدَمُونِي قَدَمُونِي أَوْ إِلَى أَيْنَ تَذْهَبُونَ بِي». وَلَا يَسْمَعُ النَّاسُ ذَلِكَ <sup>(٥)</sup>.

فَإِذَا وَضَعَ فِي لِحْدِهِ وَسَوَى عَلَيْهِ التُّرَابَ لَمْ يَحْجِبِ التُّرَابُ الْمَلَائِكَةَ عَنِ الْوُصُولِ إِلَيْهِ، بَلْ لَوْ نَقَرَ لَهُ حَجْرٌ فَأَوْدَعَ فِيهِ وَخَتَمَ عَلَيْهِ بِالرِّصَاصِ لَمْ يَمْنَعْ وَصُولَ الْمَلَائِكَةِ إِلَيْهِ،

<sup>(١)</sup> في الأصل زيادة (إلى السماء) وكتب أمامها «لا» وخلفها «إلى».

<sup>(٢)</sup> (حسن) أخرجه ابن أبي الدنيا في المحتضرين (٢٠٠) بإسناد حسن.

<sup>(٣)</sup> قطعة من حديث البراء المتقدم دون قوله «لها نور مثل شعاع الشمس».

<sup>(٤)</sup> (ضعيف) أخرجه أحمد: (٣/٣) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والراوي عنه رجل مبهم وقد تقدم

ص ( ) حاشية.

<sup>(٥)</sup> أخرجه البخاري: (١٣١٤) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَإِنَّ هَذِهِ الْأَجْسَامَ الْكثِيفَةَ لَا تَمْنَعُ خَرَقَ الْأَرْوَاحِ لَهَا، بَلِ الْجِنَّ لَا يَمْنَعُهَا ذَلِكَ بَلْ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْحِجَارَةَ وَالْتُّرَابَ لِلْمَلَائِكَةِ بِمَنْزِلَةِ الْهَوَاءِ لِلطَّيْرِ وَاتْسَاعَ الْقَبْرِ وَانْفِصَاحَهُ لِلرُّوحِ بِالذَّاتِ، وَالْبَدَنَ تَبَعًا، فَيَكُونُ الْبَدَنُ فِي لَحْدِ أَضْيَقٍ مِنْ ذِرَاعٍ، وَقَدْ فَسَحَ لَهُ مَدَبَصْرَهُ تَبَعًا لِرُوحِهِ.

وَأَمَّا عَصْرَةُ الْقَبْرِ حَتَّى تَخْتَلِفَ بَعْضُ أَجْزَاءِ الْمَوْتَى فَلَا يَرُدُّهُ حَسٌّ وَلَا عَقْلٌ وَلَا وَلا فِطْرَةٌ، وَلَوْ قَدَّرَ أَنْ أَحَدًا نَبَشَ عَنْ مَيِّتٍ فَوَجَدَ أَضْلَاعَهُ كَمَا هِيَ لَمْ تَخْتَلِفْ لَمْ يَمْنَعَنَّ أَنْ تَكُونَ قَدْ عَادَتْ إِلَى حَالِهَا بَعْدَ الْعَصْرَةِ، فَلَيْسَ مَعَ الزَّانِدِ قَةَ وَالْمَلَا حِدَةَ إِلَّا مُجَرَّدَ تَكْذِيبِ الرَّسُولِ.

وَلَقَدْ أَخْبَرَ بَعْضَ الصَّادِقِينَ: أَنَّهُ حَفَرَ ثَلَاثَةَ أَقْبَرٍ فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْهَا اضْطَجَعَ لِيَسْتَرِيحَ فَرَأَى فِيهَا يَرَى النَّائِمَ مَلَكَيْنِ نَزَلَا فَوْقَهَا عَلَى أَحَدِ الْأَقْبَرِ، فَقَالَ: أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ اكْتُبْ فِرْسَخًا فِي فِرْسَخٍ، ثُمَّ وَقَفَ عَلَى الثَّانِي فَقَالَ: اكْتُبْ مِيلاً فِي مِيلٍ، ثُمَّ وَقَفَ عَلَى الثَّلَاثِ: فَقَالَ اكْتُبْ فِتْرًا فِي فِتْرٍ، ثُمَّ انْتَبَهَ فَجِيءَ بِرَجُلٍ غَرِيبٍ لَا يُؤْبَهُ لَهُ، فَدَفَنَ فِي الْقَبْرِ الْأَوَّلِ ثُمَّ جِيءَ بِرَجُلٍ آخَرَ فَدَفَنَ فِي الْقَبْرِ الثَّانِيِ ثُمَّ جِيءَ بِامْرَأَةٍ مَرْتَفَةٍ مِنْ وُجُوهِ الْبَلَدِ حَوْلَهَا نَاسٌ كَثِيرٌ فَدَفَنَتْ فِي الْقَبْرِ الصَّيِّقِ، الَّذِي سَمِعَهُ يَقُولُ فِتْرًا فِي فِتْرٍ، وَالْفِتْرُ: مَا بَيْنَ الْإِهْبَامِ وَالسَّبَابَةِ<sup>(١)</sup>.

<sup>(١)</sup> هذه القصة نقلها ابن القيم من "التذكرة" للقرطبي: (١/١٦٩)، وليس فيه أن الذي أخبره بذلك من الصادقين، فإن القرطبي قال: (سمعت بعض علمائنا يقول: إن حفارًا كان بقرافة مصر يحفر القبور، فحفر ثلاثة أقبر... فهي كما ترى ليس فيها أن ذلك الحفار من الصادقين بل إنه مجهول، وليس فيه أن هذا العالم الذي سمعه القرطبي قد سمع هذه القصة من ذلك الحفار.

## فصل

الأمر الحَامِس: أن النَّارَ الَّتِي فِي الْقَبْرِ والخضرة لَيْسَتْ من نَارِ الدُّنْيَا. وَلَا من زروع الدُّنْيَا، فيشاهده من شاهد نَارِ الدُّنْيَا وخُضْرَتَهَا، وَإِنَّمَا هِيَ من نَارِ الآخِرَةِ وخُضْرَتَهَا، وهي أشد من نَارِ الدُّنْيَا، وَلَا يحس به أهل الدُّنْيَا، فَإِنَّ الله سُبْحَانَهُ يُحْمِي عَلَيْهِ ذَلِكَ التُّرَابَ وَالْحِجَارَةَ الَّتِي عَلَيْهِ وَتَحْتَهُ حَتَّى يَكُونَ أعظم حرًّا من جمر الدُّنْيَا، وَلَوْ مَسَّهَا أهل الدُّنْيَا لم يحسوا بذلك.

بل أعجب من ذلك أن الرجلين يدفنان أحدهما: إِلَى جنب الآخر، وَهَذَا فِي حُفْرَةٍ من حفر النَّارِ، لَا يصل حرها إِلَى جَارِهِ، وَذَلِكَ فِي رَوْضَةٍ من رياض الجنة لَا يصل روحها وَنَعِيمُهَا إِلَى جَارِهِ.

وقدرة الرب تَعَالَى أوسع وأعجب من ذَلِكَ، وَقَدْ أَرَانَا الله من آيات قدرته فِي هَذِهِ الدَّارِ مَا هُوَ أعجب من ذَلِكَ بِكَثِيرٍ، وَلَكِنَّ النُّفُوسَ مولعة بالتكذيب بِمَا لم تحط بِهِ عِلْمًا إِلَّا من وَفقه الله وَعَصَمَهُ.

فيفرش للكافر لوحان من نار يشتعل عَلَيْهِ قَبْرُهُ بِمَا كَمَا يشتعل النَّوْرُ، فَإِذَا شَاءَ اللهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يطلع على ذَلِكَ بعض عبيده اطلعه وغيبه عَنْ غَيْرِهِ، إِذْ لَوْ اطلع عليه العباد

كلهم لزال حكمة التَّكْلِيفِ وَالْإِيْمَانِ بِالْغَيْبِ، وَلَمَا تَدَاْفَنُ النَّاسَ كَمَا فِي الصَّحِيْحِ <sup>(١)</sup> عَنْهُ: «لَوْلَا أَنْ لَا تَدَاْفِنُوا لَدَعَوْتُ اللهُ أَنْ يَسْمَعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ مَا أَسْمَعُ» <sup>(٢)</sup>.

وَلَمَا كَانَتْ هَذِهِ الْحِكْمَةُ مَنْفِيَةً فِي حَقِّ الْبَهَائِمِ سَمِعَتْ ذَلِكَ وَأَدْرَكَتْهُ كَمَا حَادَتْ بِرَسُولِ اللهِ بَغْلَتُهُ، وَكَادَتْ تَلْقِيهِ لَمَّا مَرَّ بِمَنْ يَعْذِبُ فِي قَبْرِهِ <sup>(٣)</sup>.

وَحَدَّثَنِي صَاحِبُنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ الرَّزِّيزِ الْحِرَاقِيُّ: أَنَّهُ خَرَجَ مِنْ دَارِهِ بَعْدَ الْعَصْرِ بِأَمَدٍ <sup>(٤)</sup> إِلَى بُسْتَانَ، قَالَ: فَلَمَّا كَانَ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ تَوَسَّطْتُ الْقُبُورَ، فَإِذَا بِقَبْرِ مِنْهَا وَهُوَ جَمْرَةٌ نَارٌ مِثْلُ كَوْزِ الزَّجَاجِ، وَالْمِيَّتُ فِي وَسْطِهِ، فَجَعَلْتُ أَمْسَحُ عَيْنِي وَأَقُولُ أَنَا أَنَا أَمْ يَقْظَانُ؟ ثُمَّ التَفْتُ إِلَى سُورِ الْمَدِينَةِ، وَقَلْتُ: وَاللَّهِ مَا أَنَا بِنَائِمٌ، ثُمَّ ذَهَبْتُ إِلَى أَهْلِي وَأَنَا مَدْهُوشٌ، فَأَتَوْنِي بِطَعَامٍ فَلَمْ أُسْتَطِعْ أَنْ أَكُلَ، ثُمَّ دَخَلْتُ الْبَلَدَ، فَسَأَلْتُ عَنْ صَاحِبِ الْقَبْرِ، فَإِذَا بِهِ مَكَاسٍ، قَدْ تَوَفَّى ذَلِكَ الْيَوْمَ <sup>(٥)</sup>.

<sup>(١)</sup> وقع في الأصل (كما في الصحيحين) والمثبت هنا من (ش) و(ف)، وهو كذلك فالحديث لم يخرج به البخاري.

<sup>(٢)</sup> أخرجه مسلم: (٢٨٦٨) عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وأخرجه أيضاً: (٢٨٦٧) عن زيد بن ثابت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

<sup>(٣)</sup> أخرجه مسلم: (٢٨٦٧) عن زيد بن ثابت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وهو جزء من الحديث المتقدم قبله.

<sup>(٤)</sup> مدينة أمد هي أعظم مدن ديار بكر وأجلها قدرًا وأشهرها ذكرًا. «معجم البلدان» (١/٥٦).

<sup>(٥)</sup> أبو عبد الله بن الرزيز هو محمد بن عبد الواحد بن يوسف الحنبلي الحراني ثم الأمدي أبو عبد الله بن الرزيز، وصفه ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٨/١٧٩): (بأنه من الصالحين الكبار ذوي الزهادة والعبادة والنسك والتوجه وطيب الصوت وحسن السميت).

وهذه القصة ذكرها ابن رجب في «أهوال القبور» ص (٦٦) إلا أنه سمى الرجل (محمد بن الوزير الحراني).

فَرُؤِيَةِ هَذِهِ النَّارِ فِي الْقَبْرِ كَرُؤِيَةِ الْمَلَائِكَةِ وَالْجِنِّ تَقَعُ أحيانًا مَنْ شَاءَ اللهُ، أَنْ يَرِيَهُ ذَلِكَ.

وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «كِتَابِ الْقُبُورِ» عَنِ الشَّعْبِيِّ: أَنَّهُ ذَكَرَ رَجُلًا، قَالَ: لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَرَرْتُ بِبَدْرِ فَرَأَيْتُ رَجُلًا يُخْرَجُ مِنَ الْأَرْضِ فَيضربه رجل بمقمعة<sup>(١)</sup> حَتَّى يَغِيبَ فِي الْأَرْضِ، ثُمَّ يُخْرَجُ فَيَفْعَلُ بِهِ ذَلِكَ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ذَلِكَ أَبُو جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ يَعْذَبُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»<sup>(٢)</sup>.

<sup>(١)</sup> المِمْعَةُ بِالْكَسْرِ وَاحِدُ الْمَقَامِعِ وَهِيَ سِيَّاطٌ تُعْمَلُ مِنْ حَدِيدٍ رُؤُوسُهَا مَعُوجَةٌ. «النهاية» (قمع).  
<sup>(٢)</sup> (حسن لغيره) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب «القبور» (٩٢)، ومن طريقه البيهقي في «دلائل النبوة» (٨٩/٣) فقال - ابن أبي الدنيا - حدثني أبي حدثنا هشيم حدثنا مجالد عن الشعبي. وهذا إسناد ضعيف والِدُ ابْنِ أَبِي الدُّنْيَا هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ بْنِ سَفِيَّانَ لَهُ تَرْجُمَةٌ فِي «تَارِيخِ بَغْدَادٍ» (٣٧٠/٢) قَالَ الْخَطِيبُ: (رَوَى عَنْهُ ابْنُهُ أَحَادِيثٌ مُسْتَقِيمَةٌ). وَمَجَالِدٌ هُوَ ابْنُ سَعِيدٍ ضَعِيفٌ. فَهَذَا مَرْسَلٌ ضَعِيفٌ. وَلَكِنْ لَهُ طَرُقٌ مُسْتَدْنَاةٌ يَتَّقَى بِهَا الْحَدِيثَ:

\* مِنْهَا: مَا أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» (٢٨٧/٧)، وَاللَّالِكَايِيُّ فِي «أَصُولِ اعْتِقَادِ أَهْلِ السَّنَةِ» (٢١٤٨) مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ عَنْ مَالِكِ بْنِ مَعْمُولٍ عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عَمْرِو قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا أُسِيرٌ، بِجَنَابَاتِ بَدْرِ إِذْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنَ الْأَرْضِ فِي عُنُقِهِ سِلْسِلَةٌ يُمَسِّكُ بِطَرَفِهَا أَسْوَدٌ فِي يَدِهِ مِرْزَبَةٌ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ اسْتَفِينِي، فَقَالَ ابْنُ عَمْرٍو: فَلَا أَدْرِي عَرَفْتَنِي أَمْ كَمَا يَقُولُ الرَّجُلُ لِلرَّجُلِ يَا عَبْدَ اللهِ؟ فَقَالَ لِي الْأَسْوَدُ: يَا عَبْدَ اللهِ لَا تَسْقِهِ ثُمَّ اجْتَذَبَهُ جَذْبَةً وَدَخَلَ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا، قَالَ ابْنُ عَمْرٍو: فَقَدِمْتُ فَأَخْبَرْتُ النَّبِيَّ ﷺ بِذَلِكَ، فَقَالَ لِي: «وَقَدْ رَأَيْتَهُ؟ ذَاكَ أَبُو جَهْلٍ وَذَلِكَ عَذَابُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ». قَالَ ابْنُ عَمْرٍو: فَضَرَبَهُ بِمِرْزَبَتِهِ حَتَّى غَابَ فِي الْأَرْضِ. وَإِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ جَدًّا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ هُوَ الْكُوفِيُّ قَالَ أَبُو حَاتِمٍ: لَيْسَ بِقَوِيٍّ، وَقَالَ ابْنُ يُونُسَ: مُنْكَرُ الْحَدِيثِ، وَقَالَ ابْنُ عَدِيٍّ: عَامَّةٌ مَا يَرُويهِ لَا يَتَابِعُ عَلَيْهِ، وَقَالَ النَّسَائِيُّ: رَوَى عَنِ الثَّوْرِيِّ وَمَالِكِ بْنِ مَعْمُولٍ أَحَادِيثَ كَانَا أَتَقَى اللهُ أَنْ يَحْدِثَا بِهَا، وَقَالَ الْعَقِيلِيُّ: يَخَالِفُ فِي بَعْضِ حَدِيثِهِ وَيَحْدِثُ بِهَا لَا أَصْلَ لَهُ. انْتَهَى مِنْ «لِسَانِ الْمِيزَانِ» (٣/٣٩٠-٣٩١). فَالْحَاصِلُ مِنْ هَذَا أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ مُحَمَّدٍ ضَعِيفٌ، وَلَكِنَّهُ قَدْ تَوَبِعَ وَذَكَرَ فِيهَا:

\* أخرجه أبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٣٠٤ / ١) فقال حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ يُوسُفَ، حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ جُبَيْرُ بْنُ هَارُونَ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الطَّنَافِسِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو غَسَّانَ عَبَّادُ بْنُ كَلْبٍ، حَدَّثَنَا جَوَيْرِيَّةُ بِنُ أَسْمَاءَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَافَرْتُ سَفَرًا فَرَأَيْتُ رَجُلًا يُخْرُجُ مِنَ الْأَرْضِ فَيَنَادِينِي: يَا عَبْدَ اللَّهِ اسْقِنِي، فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي يُنَادِي بِاسْمِي أَوْ كَمَا يُنَادِي الرَّجُلُ الرَّجُلَ لَا يَعْرِفُهُ، قَالَ: فَيَخْرُجُ عَلَيَّ أَتْرَهُ رَجُلٌ فِي يَدِهِ مِرْزَبَةٌ مِنْ حَدِيدٍ، فَيَضْرِبُ بِهَا رَأْسَهُ، قَالَ فَيَغِيبُ فِي الْأَرْضِ، قَالَ: ثُمَّ يُخْرُجُ مِنْ مَكَانٍ آخَرَ، فَيَقُولُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ اسْقِنِي، قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، قَالَ: فَقَدِمْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: «ذَاكَ أَبُو جَهْلٍ، لَا يَزَالُ يُفْعَلُ بِهِ ذَلِكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ». وهذا إسناد لا بأس به أبو بكر محمد بن جعفر ترجمته في تاريخ أصبهان (٢٩٣ / ٢) قال أبو نعيم: (توفي قبل الخمسين سمع إبراهيم بن محمد بن الحسن وابن راشد وسلم بن عصام، كثير الحديث كان يسمع إلى أن توفي). قلت: وقد أكثر عنه أبو نعيم جدًا. وأبو سعيد جبير بن هارون ترجمته في تاريخ أصبهان أيضًا: (٣٠٤ / ١) قال أبو نعيم: (كتب بالري عن علي بن محمد الطنافسي ومحمد بن حميد توفي سنة خمس وثلاثمائة له محل وقدر وستر كان سماعه بالري مع أبي حاتم والكبار). قلت: وقد كان يوصف بالمعدل. وعلي بن محمد الطنافسي ثقة عابد، وأبو غسان عبادة بن كليب قال الذهبي: صدوق وله ما ينكر، وقال ابن حجر: صدوق له أوهام. وبقية الإسناد على شرط الشيخين.

\* وله شاهد مرسل عن أبي الضحى مسلم بن صبيح أخرجه ابن أبي شيبة (٣٠٤٧٨) فقال حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ مُسْلِمِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ: أَتَى رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، رَأَيْتُ رَجُلًا يُخْرُجُ مِنَ الْأَرْضِ وَعَلَى رَأْسِهِ رَجُلٌ فِي يَدِهِ مِرْزَبَةٌ مِنْ حَدِيدٍ، كُلَّمَا أَخْرَجَ رَأْسَهُ ضَرَبَ رَأْسَهُ فَيَدْخُلُ فِي الْأَرْضِ، ثُمَّ يُخْرُجُ مِنْ مَكَانٍ آخَرَ، فَيَأْتِيهِ فَيَضْرِبُ رَأْسَهُ، قَالَ: «ذَاكَ أَبُو جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ، لَا يَزَالُ يُصْنَعُ بِهِ ذَلِكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ». وهذا مرسل صحيح الإسناد.

\* وله شاهد مرسل عن عكرمة مولى ابن عباس أخرجه يعقوب بن سفيان في «المعرفة والتاريخ» (٢ / ٨١٣-٨١٤) من طريق مُحَمَّدِ بْنِ قَيْسٍ عَنِ ابْنِ الْأَصْبَهَانِيِّ عَنْ عِكْرِمَةَ: أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي مَرَرْتُ بِجَنُوبِ بَدْرٍ فَإِذَا أَنَا بِرَجُلٍ أَبْيَضَ رَضْرَاضٍ، يَتَّبِعُهُ رَجُلٌ أَسْوَدُ، بِيَدِهِ مِرْزَبَةٌ مِنْ حَدِيدٍ، فَيَضْرِبُ بِهَا الصَّرْبَةَ فَيَغِيبُ فِي الْأَرْضِ، ثُمَّ يَبْدُو رُشُوهُ، وَيَضْرِبُ الصَّرْبَةَ فَيَغِيبُ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يَبْدُو رُشُوهُ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِلرَّجُلِ: «وَقَدْ رَأَيْتَهُ؟» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «ذَاكَ أَبُو جَهْلٍ ابْنِ هِشَامٍ يُفْعَلُ بِهِ ذَلِكَ إِلَى

يَوْمَ الْقِيَامَةِ». محمد بن قيس لم يتبين لي من هو، ومحمّل أنه المرهبي فإن يكن هو فإنه ثقة، وابن الأصبهاني هو عبد الرحمن بن عبد الله ثقة.

فهذه طرق الحديث التي وقفت عليها، فالذي يظهر لي أن الحديث يتقوى بمجموع هذه الطرق، والله أعلم. \* وقد جاءت هذه القصة عن ابن عمر من طرق أخرى ولكن ليس فيها ذكر أبي جهل، فمنها: ما أخرجه ابن أبي الدنيا في «القبور» (٩٣)، واللالكائي في شرح «أصول اعتقاد أهل السنة» (١٢٥٠) من طريقين عن حماد بن سلمة عن عمرو بن دينار قهرمان آل الزبير عن سالم بن عبد الله عن أبيه قال: بينما أنا أسير بين مكة والمدينة على راحلة وأنا محمّب إداوة إذ مررت بمقبرة فإذا رجل خرج من قبره يلتهب ناراً في عنقه سلسلة يجرها فقال: يا عبد الله انضح، يا عبد الله انضح. فوالله ما أدري عرفني باسمي أو كما يدعو الناس، قال: وخرج آخر فقال: يا عبد الله لا تنضح، يا عبد الله لا تنضح، ثم اجتذب السلسلة فأعاده إلى قبره. وفي رواية اللالكائي: «لَا تُفْرَغُ عَلَيْهِ مِنَ الْمَاءِ ثَلَاثًا، فَإِنَّهُ كَافِرٌ، ثُمَّ صَرَبَهُ وَجَدَّبَهُ حَتَّى أَعَادَهُ فِي الْقَبْرِ». وعمرو بن دينار ضعيف، إلا أنه متابع، فقد تابعه يحيى المدني أخرجه ابن أبي الدنيا في «من عاش بعد الموت (٣٣)»، وابن عبد البر في «التمهيد» (٩/٢٠) ويحيى المدني لا يعرف قاله ابن رجب في «أهوال القبور» ص (٦٠)، ومع كونه لا يعرف إلا إسناد إليه ضعيف من طريق كلثوم بن جوشن القشيري الرقي وهو ضعيف.

\* وله طريق أخرى عند اللالكائي (٢١٤٩) أخبرنا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْقَاسِمِ، قَالَ: نَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ الرَّزَاقِ بْنِ الْحَسَنِ، قَالَ: نَا مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الصُّورِيِّ، قَالَ نَا الْفَرِيَّابِيُّ، قَالَ: نَا السَّرِيُّ بْنُ يَحْيَى، عَنْ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ، قَالَ: أَقْبَلْتُ مَعَ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ حَتَّى آتَيْنَا الْمَقْبَرَةَ، فَقَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي أَنَّهُ أَقْبَلَ مِنْ مَكَّةَ حَتَّى آتَى عَلَى هَذِهِ الْمَقْبَرَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ خَرَجَ مِنْ قَبْرِهِ يَشْتَعِلُ نَارًا، فَجَعَلَتِ النَّافَةَ تَحِيدُ، قَالَ: فَجَعَلْتُ أَكْفُهَا وَأَنْظُرُ إِلَى الْعَجَبِ يَقُولُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، صَبَّ عَلَيَّ مِنَ الْمَاءِ، فَلَا أَدْرِي قَوْلُهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، يَدْعُونِي بِاسْمِي أَوْ كَمَا يَقُولُ الرَّجُلُ لِلرَّجُلِ: يَا عَبْدَ اللَّهِ؟ قَالَ: فَخَرَجَ رَجُلٌ مِنَ الْقَبْرِ آخِذًا بِطَرَفِ السَّلْسِلَةِ، فَقَالَ: لَا تَصُبَّ عَلَيْهِ وَلَا كَرَامَةً، ثُمَّ أَخَذَ بِالسَّلْسِلَةِ حَتَّى أَذْنَاهُ مِنَ الْقَبْرِ، ثُمَّ صَرَبَهُ بِسَوْطٍ يَشْتَعِلُ نَارًا حَتَّى دَخَلَ الْقَبْرَ. قَالَ: فَقُلْتُ لِمَالِكِ بْنِ دِينَارٍ: أَنْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ سَالِمٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ لَمْ تَكْذِبْ عَلَى سَالِمٍ، وَسَالِمٌ لَمْ يَكْذِبْ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ، وَعَبْدُ اللَّهِ لَمْ يَكْذِبْ. شيخ اللالكائي لم يتبين لي من هو، وشيخه إبراهيم بن عبد الرزاق ثقة ترجمته في «غاية النهاية» لابن الجزري (١/١٦) قال عنه: «أستاذ مشهور ثقة كبير»، وفي «طبقات القراء الكبار» للذهبي ص (١٦٣): قال أبو عمرو الداني: مقرئ جليل ضابط مشهور، ثقة مأمون. ومحمد



وَذَكَرَ مِنْ حَدِيثِ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ عَنْ عَمْرٍو بْنِ دِينَارٍ عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ: قَالَ: بَيْنَا أَنَا أُسِيرُ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ عَلَى رَاحِلَةٍ وَأَنَا مُحَقَّبٌ إِدَاوَةٌ<sup>(١)</sup> إِذْ مَرَرْتُ بِمَقْبَرَةٍ، فَإِذَا رَجُلٌ خَارِجٌ مِنْ قَبْرِهِ يَلْتَهَبُ نَارًا وَفِي عُنُقِهِ سِلْسِلَةٌ يَجْرُهَا فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ انْضَحْ يَا عَبْدَ اللَّهِ انْضَحْ، فَوَاللَّهِ مَا أُدْرِي أَعْرَفَنِي بِاسْمِي أَمْ كَمَا تَدْعُو النَّاسَ؟ قَالَ: فَخَرَجَ آخَرَ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ لَا تَنْضَحْ يَا عَبْدَ اللَّهِ لَا تَنْضَحْ، ثُمَّ اجْتَذَبَ السِّلْسِلَةَ فَأَعَادَهُ فِي قَبْرِهِ<sup>(٢)</sup>.

وَقَالَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا: وَحَدَّثَنِي أَبِي حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ دَاوُدَ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: بَيْنَمَا رَاكِبٌ يَسِيرُ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ إِذْ مَرَّ بِمَقْبَرَةٍ، فَإِذَا بِرَجُلٍ قَدْ خَرَجَ مِنْ قَبْرِهِ يَلْتَهَبُ نَارًا مَصْفُودًا فِي الْحَدِيدِ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ انْضَحْ يَا عَبْدَ اللَّهِ انْضَحْ، قَالَ وَخَرَجَ آخَرَ يَتْلُوهُ فَقَالَ يَا عَبْدَ اللَّهِ لَا تَنْضَحْ يَا عَبْدَ اللَّهِ لَا تَنْضَحْ، قَالَ: وَغَشِيَ عَلَى الرَّاكِبِ وَعَدَلَتْ بِهِ رَاكِئَتُهُ إِلَى الْعَرَجِ<sup>(٣)</sup>، قَالَ: وَأَصْبَحَ قَدْ ابْيَضَ شَعْرُهُ، فَأَخْبَرَ عُثْمَانَ بِذَلِكَ، فَنَهَى أَنْ يُسَافِرَ الرَّجُلُ وَحْدَهُ<sup>(٤)</sup>.

بن إبراهيم هو ابن كثير الصوري محدث مشهور روى عنه جمع من الرواة وذكره ابن حبان في الثقات، وبقية رجاله ثقات من رجال التهذيب.

<sup>(١)</sup> محقب أي مردف، والإداوة هي إناء صغير من جلد يتخذ للماء والمعنى ومعى إداوة خلف ظهري. "النهاية والقاموس" (حقب) و (أدا).

<sup>(٢)</sup> أخرجه ابن أبي الدنيا في "كتاب القبور" (٩٣) وتقدم تخريجه في الذي قبله.

<sup>(٣)</sup> العرج: عقبة بين مكة والمدينة على طريق الحاج، والعرج أيضا: قرية جامعة في وادٍ من نواحي الطائف وبينها وبين المدينة ثمانية وسبعون ميلا، وهو غير العرج الذي بين مكة والمدينة. معجم البلدان للحموي (٤/٩٨-٩٩).

<sup>(٤)</sup> (إسناده حسن) أخرجه ابن أبي الدنيا في "القبور" (٩٥) وإسناده حسن. والد ابن أبي الدنيا روى عنه ابنه أحاديث مستقيمة قاله الخطيب، وبقية رجاله ثقات رجال الصحيح.

وَذَكَرَ مِنْ حَدِيثِ سُفْيَانَ، حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ شَابُورَ، عَنْ أَبِي قَزَعَةَ، قَالَ: مَرَرْنَا فِي بَعْضِ الْمِيَاهِ الَّتِي بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْبَصْرَةِ، فَسَمِعْنَا نَهِيْقَ حِمَارٍ فَقُلْنَا لَهُمْ: مَا هَذَا النَّهِيْقُ؟ قَالُوا: هَذَا رَجُلٌ كَانَ عِنْدَنَا، كَانَتْ لَهُ أُمٌّ تَكَلِّمُهُ بِالشَّيْءِ فَيَقُولُ لَهَا: انْهَيْي نَهِيْقَكَ، فَلَمَّا مَاتَ سُمِعَ هَذَا النَّهِيْقُ مِنْ قَبْرِهَ كُلِّ لَيْلَةٍ<sup>(١)</sup>.

<sup>(١)</sup> (حسن) أخرجه ابن أبي الدنيا في "من عاش بعد الموت" (٢٦) وفي "مجاوبو الدعوة" (٤٨) فقال: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ شَابُورَ، عَنْ أَبِي قَزَعَةَ وَهُوَ سُوَيْدُ بْنُ حَجِيرٍ، رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ عَنْهُ أَوْ عَنْ غَيْرِهِ قَالَ: مَرَرْنَا ... وَرَجَالَ إِسْنَادِهِ ثِقَاتُ إِنْ كَانَ عَنْ أَبِي قَزَعَةَ، وَأَمَّا إِنْ كَانَ عَنْ غَيْرِهِ فَهُوَ مَجْهُولٌ، لَا يُدْرَى مِنْ هُوَ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ عَنْ غَيْرِهِ وَقَدْ جَاءَ الْجُزْمُ بِذَلِكَ فِي كِتَابِ الْبِرِّ وَالصَّلَةِ لِلْحَسَنِ بْنِ حَرْبِ الْمُرُوزِيِّ (١٠٧) فَقَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ شَابُورَ، أَنَّ أَبَا قَزَعَةَ أَخْبَرَهُ، عَنْ رَجُلٍ، قَالَ... فَذَكَرَهُ. فَتَبَيَّنَ بِهَذَا أَنَّ رَاوِيَ الْقِصَّةِ رَجُلٌ مَجْهُولٌ.

\* ومع ذلك فالقصة لها أسناد آخر أخرجه اللالكائي في "أصول اعتقاد أهل السنة" (٢١٥٧)، وقوام السنة الأصبهاني في "الترغيب والترهيب" (٤٧١) من طريق مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحِيمِ الْهَرَوِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْوَاسِطِيُّ، قَالَ: أَخْبَرَنَا شَهَابُ بْنُ خِرَاشٍ الْحَوْشِيِّ، عَنْ عَمِّهِ الْعَوَامِ بْنِ حَوْشِبٍ، قَالَ: تَرَلْتُ مَرَّةً حَيًّا وَإِلَى جَانِبِ الْحَيِّ مَقْبَرَةٌ ... فَذَكَرَهُ مِنْ قَوْلِهِ.

وَاخْتَلَفَ فِيهِ فَأَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي "من عاش بعد الموت" (٢٧) فَقَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مَنْصُورُ بْنُ عَمَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الصَّلْتِ شَهَابُ بْنُ خِرَاشٍ، عَنْ عَمِّهِ الْعَوَامِ بْنِ حَوْشِبٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: أَرَدْتُ حَاجَةً، فَبَيْنَمَا أَنَا فِي الطَّرِيقِ، إِذْ فَاجَأَنِي حِمَارٌ قَدْ أَخْرَجَ عُنُقَهُ مِنَ الْأَرْضِ، فَنَهَيْتُ فِي وَجْهِهِ ثَلَاثًا، ثُمَّ دَخَلَ... فَذَكَرَهُ مِنْ قَوْلِ مُجَاهِدٍ كَمَا تَرَى.

وأخرجه أيضا (٢٨) فقال: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ الشَّهْرُورِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو تَوْبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا شَهَابُ بْنُ خِرَاشٍ، عَنْ عَمِّهِ الْعَوَامِ بْنِ حَوْشِبٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْهَذِيلِ، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ إِذَا كَلَّمْتَهُ أُمَّهُ تَهَيَّأَتْ فِي وَجْهِهَا ثَلَاثًا... فَذَكَرَهُ مِنْ قَوْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْهَذِيلِ.

فهذا الطرق مدارها على شهاب بن خراش الحوشبي وهو صدوق وقد اختلف عليه: فجعله محمد بن عبد العزيز الواسطي الرمي - وهو صدوق بهم - عنه عن عمه العوام من قوله، وجعله منصور بن عمار - وهو

وَذَكَرَ أَيْضًا عَنْ عَمْرٍو بْنِ دِينَارٍ قَالَ: كَانَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَكَانَتْ لَهُ أُخْتُ فِي نَاحِيَةِ الْمَدِينَةِ، فَاشْتَكَّتْ وَكَانَ يَأْتِيهَا يَعُودُهَا، ثُمَّ مَاتَتْ فَدَفَنُهَا، فَلَمَّا رَجَعَ ذَكَرَ أَنَّهُ نَسِيَ شَيْئًا فِي الْقَبْرِ كَانَ مَعَهُ، فَاسْتَعَانَ بِرَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ قَالَ فَنَبَشْنَا الْقَبْرَ، وَوَجَدْتُ ذَلِكَ الْمَتَاعَ فَقَالَ لِلرَّجُلِ: تَنَحَّ حَتَّى أَنْظُرَ عَلَى أَيِّ حَالٍ أُخْتِي فَارْفَعْ بَعْضَ مَا عَلَى اللَّحْدِ، فَإِذَا الْقَبْرُ مَشْتَعَلٌ نَارًا فَارْدِهِ وَسَوَى الْقَبْرِ فَارْجِعْ إِلَى أُمِّهِ، فَقَالَ: مَا كَانَ حَالُ أُخْتِي، فَقَالَتْ: مَا تَسْأَلُ عَنْهَا وَقَدْ هَلَكْتَ، فَقَالَ لِتَخْبِرَنِي، قَالَتْ: كَانَتْ تُؤَخِّرُ الصَّلَاةَ، وَلَا تُصَلِّي فِيهَا أَظُنُّ بَوْضُوءًا، وَتَأْتِي أَبْوَابَ الْجِيرَانِ، فَتَلْقَمُ أُذُنَهَا أَبْوَابَهُمْ وَتَخْرُجُ حَدِيثَهُمْ<sup>(١)</sup>.

وَذَكَرَ عَنْ حُصَيْنِ الْأَسَدِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ مَرْثَدَ بْنَ حَوْشَبٍ، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ يُوسُفَ بْنِ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ وَإِلَى جَنْبِهِ رَجُلٌ كَانَ شَقَّةَ وَجْهِهِ صَفْحَةٌ مِنْ حَدِيدٍ، فَقَالَ لَهُ يُوسُفُ:

أبو السري الواعظ قال ابن عدي: منكر الحديث - عنه عن عمه العوام عن مجاهد، وجعله أبو توبة - وهو الربيع بن نافع الحلبي ثقة حجة عابد - عنه عن عمه العوام عن عبد الله أبي الهذيل. والناظر في هذه الطرق يتبادر إليه أن الطريق الأخيرة أرجح الطرق؛ لأن الذي رواها - وهو أبو توبة - أرجح من غيره ممن خالفه، لكن في السند إليه محمد بن المغيرة الشهرزوري وهو كما يقول ابن عدي: يسرق الحديث، وهو عندي ممن يضع الحديث.

وعلى هذا فأحسن هذه الطرق الطريق الأولى وفيها أن القصة للعوام بن حوشب، وفي الإسناد محمد بن عبد الرحيم الهروي وهو مجهول، لكن إذا ضُمت إلى الطريق الأولى - طريق أبي قزعة عن رجل - تكون القصة من الطريقين من قبيل الحسن.

وقد قال أبو القاسم قوام السنة الأصبهاني في «الترغيب والترهيب»: حدث به أبو العباس الأصم إمامنا بنيسابور، بمشهد من الحفاظ وأهل العلم فلم ينكره.

<sup>(١)</sup> (ضعيف) أخرجه ابن أبي الدنيا في «القبور» (٩٧)، وفي الورع (٨٤) من طريق سويد بن سعيد حدثنا الحكم بن سنان عن عمرو بن دينار به، وهذا إسناد ضعيف سويد بن سعيد والحكم بن سنان كلاهما ضعيف.

حدث مرثداً بما رَأَيْتَ، فَقَالَ: كنت شاباً قد أتيت هذه الفَوَاحِش، فَلَمَّا وَقَعَ الطَّاعُونَ قلت: أخرج إلى ثغر من هذه الثغور، ثم رَأَيْتُ أن أَحْفِرَ القُبُورَ فَإِنِّي لَلْكَيْتَّةِ بَيْنَ المَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ قد حفرت وَأنا متكى على تُرَابِ قَبْرِ آخَرَ، إِذْ جِيءَ بِجَنَازَةِ رَجُلٍ حَتَّى دُفِنَ فِي ذَلِكَ القَبْرِ، وَسَوُوا عَلَيْهِ فَأَقْبَلَ طَيْرَانِ أَبْيَضَانِ مِنَ المَغْرِبِ مِثْلَ البَعِيرَيْنِ حَتَّى سَقَطَ أَحدهمَا عِنْدَ رَأْسِهِ وَالآخَرَ عِنْدَ رِجْلَيْهِ ثُمَّ أَثَارَاهُ، ثُمَّ تَدَلَّى أَحدهمَا فِي القَبْرِ، وَالآخَرَ عَلَى شَفِيرِهِ، فَجِئْتُ حَتَّى جَلَسْتُ عَلَى شَفِيرِ القَبْرِ، وَكنت رجلاً لَا يَمَلَأُ جَوْفِي شَيْءٌ، قَالَ: فَسَمِعْتَهُ يَقُولُ: أَلَسْتُ الزائر أَصْهَارِكِ فِي ثَوْبَيْنِ مَمْرَيْنِ تَسْحَبُهُمَا كَبْرًا تَمْشِي الخِيَلَاءُ، فَقَالَ: أَنَا أَضْعَفُ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: فَضْرَبَهُ ضَرْبَةً امْتَلَأَ القَبْرُ حَتَّى فَاضَ مَاءٌ وَدهنًا، ثُمَّ عَادَ فَأَعَادَ عَلَيْهِ القَوْلَ، حَتَّى ضْرَبَهُ ثَلَاثَ ضْرِبَاتٍ كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ ذَلِكَ، وَيَذْكَرُ أَنَّ القَبْرَ يَفِيضُ مَاءً وَدهنًا، قَالَ: ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَنَظَرَ إِلَيَّ فَقَالَ: انْظُرْ أَيْنَ هُوَ جَالِسٌ نَكْسَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>، قَالَ: ثُمَّ ضْرَبَ جَانِبَ وَجْهِهِ فَسَقَطَتْ فَمَكَّثْتُ لَيْلَتِي حَتَّى أَصْبَحْتُ، قَالَ: ثُمَّ أَخَذْتُ انْظُرَ إِلَى القَبْرِ فَإِذَا هُوَ عَلَى حَالِهِ<sup>(٢)</sup>.

فَهَذَا المَاءُ وَالدَّهْنُ فِي رَأْيِ العَيْنِ لِهَذَا الرَّائِي هُوَ نَارٌ تَأْجِجُ لِلْمَيْتِ، كَمَا أَخْبَرَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الدَّجَالِ: «أَنَّهُ يَأْتِي مَعَهُ بِمَاءٍ وَنَارٍ، فَالنَّارُ مَاءٌ بَارِدٌ، وَالمَاءُ نَارٌ تَأْجِجُ»<sup>(٣)</sup>.

(١) وقع في المخطوطتين (بَلَسَهُ اللهُ) وما أثبتناه هنا من كتاب «القبور» لابن أبي الدنيا.

(٢) (ضعيف) أخرجه ابن أبي الدنيا في «القبور» (٩٨) وحصين الأسدي يغلب على الظن أنه حصين بن منصور بن حيان الأسدي فإن يكن هو فإنه مجهول، وكذلك مرثد بن حوشب مجهول ترجمته في «تاريخ دمشق» (٢٠١/٥٧).

(٣) أخرجه البخاري: (٣٤٥٠)، ومسلم: (٢٩٣٤-٢٩٣٥) عن حذيفة بن اليمان وأبي مسعود رضي الله عنهما.

وذكر ابن أبي الدنيا: أن رجلاً سأل أبا إسحاق الفزاري عن النباش، هل له توبة؟ فقال: نعم، إن صحت نيته، وعلم الله منه الصدق، فقال له الرجل: كنت أنبش القبور وكنت أجد قومًا وجوههم لغير القبلة، فلم يكن عند الفزاري في ذلك شيء، فكتب إلى الأوزاعي يُخبره بذلك فكتب إليه الأوزاعي تقبل توبته إذا صحت نيته وعلم الله الصدق من قلبه، وأما قوله: إنه كان يجد قومًا وجوههم لغير القبلة، فأولئك قوم ماتوا على غير السنة<sup>(١)</sup>.

وقال ابن أبي الدنيا: حدّثني عبد المؤمن بن عبد الله بن عيسى القيسي، أنه قيل لنباش: قد تاب ما أعجب ما رأيت؟ قال: نبشت رجلاً، فإذا هو مسمر بالمسامير في سائر جسده، ومسمار كبير في رأسه، وآخر في رجليه.

قال: وقيل لنباش آخر: ما أعجب ما رأيت؟ قال: رأيت جمجمة إنسان مصبوب فيها رصاص<sup>(٢)</sup>.

قال: وقيل لنباش آخر: ما كان سبب توبتك؟ قال: عامّة من كنت أنبش كنت أراه محول الوجه عن القبلة<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «القبور» (٩٩) وفي إسناده من لم أجد له ترجمة.

(٢) كذا في (ش) و(ف) (رصاص) بالرفع، وضبطها في الأصل (رصاصاً) بالوجهين.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «القبور» (١٠٠) وفي إسناده من لم أجد له ترجمة، ثم هؤلاء النباشون مجهولون، الله أعلم ما حالهم.

قلت: وحدثني صاحبنا أبو عبد الله مُحَمَّد بن منتاب السلامي، وَكَانَ مِنْ خِيَارِ عِبَادِ اللَّهِ وَكَانَ يَتَحَرَّى الصَّدْقَ<sup>(١)</sup>، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى سَوْقِ الْحَدَادِينَ بِبَغْدَادٍ فَبَاعَ مَسَامِيرَ صِغَارِ الْمَسَامِيرِ بِرَأْسَيْنِ فَأَخَذَهَا الْحَدَادُ وَجَعَلَ يَحْمِي عَلَيْهَا فَلَا تَلِينُ مَعَهُ حَتَّى عَجَزَ عَنْ ضَرْبِهَا فَطَلَبَ الْبَائِعَ فَوَجَدَهُ، فَقَالَ مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذِهِ الْمَسَامِيرُ؟ فَقَالَ: لَقَيْتُهَا فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى أَخْبَرَهُ أَنَّهُ وَجَدَ قَبْرًا مَفْتُوحًا، وَفِيهِ عِظَامٌ مِيتَ مِنْظُومَةٌ بِهَذِهِ الْمَسَامِيرِ، قَالَ: فَعَالَجْتُهَا عَلَى أَنْ أَخْرِجَهَا فَلَمْ أَقْدِرْ فَأَخَذْتُ حَجْرًا فَكَسَرْتُ عِظَامَهُ وَجَمَعْتُهَا، قَالَ: وَأَنَا رَأَيْتُ تِلْكَ الْمَسَامِيرَ، قُلْتُ لَهُ: فَكَيْفَ صَفْتَهَا؟ قَالَ: الْمَسَامِيرُ صَغِيرٌ بِرَأْسَيْنِ<sup>(٢)</sup>.

قَالَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا: وَحَدَّثَنِي أَبِي عَنْ أَبِي الْحَرِيشِ عَنْ أُمِّهِ، قَالَتْ: لَمَّا حَفَرَ أَبُو جَعْفَرٍ خَنْدَقَ الْكُوفَةِ حَوْلَ النَّاسِ مَوْتَاهُمْ، فَرَأَيْنَا شَابًّا مِمَّنْ حَوْلَ عَاضَا عَلَى يَدِهِ<sup>(٣)</sup>.  
وَذَكَرَ عَنْ سَمَّاكِ بْنِ حَرْبٍ، قَالَ: مَرَّ أَبُو الدَّرْدَاءِ بَيْنَ الْقُبُورِ، فَقَالَ: مَا أَسْكَنَ ظَوَاهِرَكُمْ وَفِي دَاخِلِكُمُ الدَّوَاهِي<sup>(٤)</sup>.

<sup>(١)</sup> له ترجمة في «الدرر الكامنة» (٢٦٦/٣) قال الحافظ: (محمد بن داود بن محمد بن منتاب السلامي الموصلي التاجر، قال الذهبي: قل أن رأيت مثله في الدين والمحاسن والوقار الإيثار علقت عنه حكايات ومدحته بقصيدة، ووقف كتبًا كبارًا بدمشق وبغداد...).

<sup>(٢)</sup> هذه القصة ذكرها أيضًا ابن رجب في «أهوال القبور» ص (٦٦) نقلًا عن ابن القيم فقال: (وذكر شيخنا أبو عبد الله ابن القيم - رَحِمَهُ اللهُ - تعالى - في كتاب «الروح» قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن سنان - كذا - السلامي... فذكر هذه القصة ثم قال قلت: وهذه الحكاية مشهورة ببغداد وقد سمعتها وأنا صبي ببغداد وهي مستفيضة بين أهلها).

<sup>(٣)</sup> أخرجه ابن أبي الدنيا في «القبور» (١٠٢) وأبو الحريش وأمه لم أجد لهما ترجمة.

<sup>(٤)</sup> (ضعيف) أخرجه ابن أبي الدنيا في «القبور» (١٠١) من طريق بعض أشياخ الحي أحسبه سَمَّاكُ بْنُ حَرْبٍ فذكره.

وَقَالَ ثَابِتُ الْبَنَانِيِّ: بَيْنَا أَنَا أَمْشِي فِي الْمَقَابِرِ وَإِذَا صَوْتُ خَلْفِي وَهُوَ يَقُولُ: يَا ثَابِتُ لَا يَغْرَنُكَ سَكُوتُهَا، فَكَمْ مِنْ مَغْمُومٍ فِيهَا، فَالْتَفَتْتُ فَلَمْ أَرَ أَحَدًا<sup>(١)</sup>.  
وَمَرَّ الْحَسَنُ عَلَى مَقْبَرَةٍ، فَقَالَ: يَا لَهْمَ مِنْ عَسْكَرٍ مَا أَسْكَتَهُمْ، وَكَمْ فِيهِمْ مِنْ مَكْرُوبٍ<sup>(٢)</sup>.

وَذَكَرَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا: أَنَّ عَمْرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ، قَالَ لِمُسْلِمَةَ بِنْتِ عَبْدِ الْمَلِكِ: يَا مُسْلِمَةُ مَنْ دَفِنَ أَبَاكَ؟ قَالَ: مَوْلَايَ فَلَانَ، قَالَ: فَمَنْ دَفِنَ الْوَلِيدَ؟ قَالَ: مَوْلَايَ فَلَانَ، قَالَ: فَأَنَا أَحَدُكَ مَا حَدَّثَنِي بِهِ: إِنَّهُ لَمَّا دَفِنَ أَبَاكَ وَالْوَلِيدَ فَوَضَعَهُمَا فِي قُبُورِهِمَا، وَذَهَبَ لِيَحِلَّ الْعَقْدَ عَنْهُمَا وَجَدَ وَجُوهَهُمَا قَدْ حُولَتْ فِي أَقْفِيَّتَيْهِمَا، فَأَنْظَرُ يَا مُسْلِمَةُ إِذَا أَنَا مَاتَ فَالْتَمَسْ وَجْهِي فَأَنْظُرْ هَلْ نَزَلَ بِي مَا نَزَلَ بِالْقَوْمِ أَوْ هَلْ عُوْفِيْتُ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ مُسْلِمَةُ، فَلَمَّا مَاتَ عَمْرٌ وَضَعْتَهُ فِي قَبْرِهِ فَلَمَسْتُ وَجْهَهُ، فَإِذَا هُوَ مَكَانَهُ<sup>(٣)</sup>.

وهذا إسناد ضعيف؛ لأن هذا الرجل إما أن يكون سماك بن حرب أو غيره، فإن كان هو فالإسناد منقطع بينه وبين أبي الدرداء، وإن كان غيره فهو مجهول.

<sup>(١)</sup> (ضعيف) أخرجه ابن أبي الدنيا في «القبور» (١٠٧) وفي الهواتف: (٤٥) وفي إسناده بقية بن شعبان الزهراني مجهول، وفي الإسناد أيضًا من لم أجد له ترجمة.

<sup>(٢)</sup> (منقطع) أخرجه ابن أبي الدنيا في «القبور» (١٠٨) وفي إسناده أبو عبد الرحمن الأزدي لم أجد له ترجمة، وفيه انقطاع هشيم بن بشير يرويه عن الحسن ولم يدركه؛ فإن الحسن البصري توفي سنة (١١٠) وهشيم آنذاك له من العمر خمس سنوات أو أقل.

<sup>(٣)</sup> (منقطع) أخرجه ابن أبي الدنيا في «القبور» (١٢٣) من طريق مفضل بن يونس قال: بلغنا أن عمر بن عبد العزيز قال لمسلمة فذكره. وهذا إسناد منقطع كما ترى المفضل بن يونس يقول بلغنا.

\* وقد جاء نحو هذه القصة عن رجاء بن حيوة أن عمر بن عبد العزيز أمره أن ينظر في وجهه قال: (فنظرت وجهه بعد إدخاله في قبره فإذا وجهه كالقراطيس إلى القبلة). أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٤٠٧/٥). قال الذهبي في «السير» (١٤٣/٥): (إسناده مظلم).

وَذَكَرَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ، قَالَ: مَاتَتْ ابْنَةُ لِي فَأَنْزَلْتُهَا الْقَبْرَ فَذَهَبَتْ أَصْلَحَ اللَّبْنَةِ، فَإِذَا هِيَ قَدْ حَوَّلَتْ عَنِ الْقَبْلَةِ، فَاعْتَمَمْتُ لِدَلِكِ عَمَّا شَدِيدًا فَأُرَيْتُهَا فِي النَّوْمِ، فَقَالَتْ: يَا أَبَهْ اغْتَمَمْتَ، لِمَا رَأَيْتُ؟! فَإِنَّ عَامَّةَ مَنْ حَوْلِي مُحَوَّلُونَ<sup>(١)</sup> عَنِ الْقَبْلَةِ، قَالَ: كَأَنَّهَا تُرِيدُ الَّذِينَ مَاتُوا مَصْرِينَ عَلَى الْكِبَائِرِ<sup>(٢)</sup>.

وَقَالَ عَمْرُو بْنُ مَيْمُونٍ سَمِعْتُ عَمْرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ، يَقُولُ: كُنْتُ فِي مَنْ دَلَّى الْوَلِيدُ ابْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي قَبْرِهِ فَظَنَرْتُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ قَدْ جَمَعَتَا فِي عُنُقِهِ، فَقَالَ ابْنُهُ: عَاشَ أَبِي وَرَبَّ الْكَعْبَةَ، فَقُلْتُ: عَوجِلْ أَبُوكَ وَرَبَّ الْكَعْبَةَ، فَاتَعْظَمَ بِهَا عَمْرُ بَعْدَهُ<sup>(٣)</sup>.

وَقَالَ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ لِيَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ لِمَا اسْتَعْمَلَهُ عَلَى الْعِرَاقِ: يَا زَيْدُ اتَّقِ اللَّهَ، فَإِنِّي حِينَ وَضَعْتُ الْوَلِيدَ فِي لَحْدِهِ، فَإِذَا هُوَ يَرْكُضُ<sup>(٤)</sup> فِي أَكْفَانِهِ<sup>(٥)</sup>.

وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ: أَخْبَرَ هِشَامُ بْنُ حَسَانَ، عَنْ وَاصِلِ مَوْلَى أَبِي عِيْنَةَ<sup>(٦)</sup>، عَنْ عَمْرُو بْنِ هَرَمٍ<sup>(٧)</sup>، عَنْ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ مُحَمَّدٍ، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ فَأَتَاهُ قَوْمٌ

(١) في المخطوطتين وكذا في كتاب "القبور" (محولين)، والصواب ما أثبتناه لأنه خبر إن، وقد وقع كذلك في بعض المخطوطات كما في حاشية (ف).

(٢) (ضعيف). أخرجه ابن أبي الدنيا في "القبور" (١٢٥) فقال حدثني عبد المؤمن حدثني رجل قال ماتت ابنة لي... فذكره. وصاحب القصة مبهم كما ترى.

(٣) (ضعيف) أخرجه ابن أبي الدنيا في القبور (١٢٧) وفي إسناده سلام الطويل قال الحافظ: متروك.

(٤) الركض هو تحريك الرجل ومنه قوله تعالى: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ [ص: ٤٢] "مختار الصحاح" (ركض).  
(٥) (ضعيف) أخرجه ابن أبي الدنيا في "القبور" (١٢٦) وفيه أن سليمان بن عبد الملك لما استعمل يزيد على العراق وخراسان وودَّعه عمر بن عبد العزيز قائلاً يا يزيد. وإسناده ضعيف فيه خالد بن نافع ويبدو لي أنه الأشعري ضعيف. وفيه أيضاً من لم أجد له ترجمة.

(٦) في المخطوطتين (مولى ابن عيينة)، والصواب ما أثبتناه من كتاب "القبور"، وكذلك من ترجمته من التهذيب.

(٧) في المخطوطتين (زهدم)، والصواب ما أثبتناه من مصادر التخريج، وكذلك من ترجمته من التهذيب.



فَقَالُوا: إِنَّا خَرَجْنَا حِجَابًا وَمَعَنَا صَاحِبٌ لَنَا حَتَّى إِذَا أَتَيْنَا ذَا الصَّفَاحِ مَاتَ فَمَيَّانَاهُ ثُمَّ انْطَلَقْنَا فَحَفَرْنَا لَهُ وَلِحَدَنَاهُ فَلَمَّا فَرَعْنَا مِنْ لَحْدِهِ إِذَا نَحْنُ بِأَسْوَدٍ<sup>(١)</sup> قَدْ مَلَأَ اللَّحْدَ فَحَفَرْنَا لَهُ آخَرَ فَإِذَا بِهِ قَدْ مَلَأَ لَحْدَهُ فَحَفَرْنَا لَهُ آخَرَ فَإِذَا بِهِ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ذَاكَ الْغُلُّ الَّذِي يَغْلُ بِهِ أَنْطَلِقُوا فَادْفَنُوهُ فِي بَعْضِهَا فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ حَفَرْتُمُ الْأَرْضَ كُلَّهَا لَوَجَدْتُمُوهُ فِيهِ، فَانْطَلَقْنَا فَوَضَعْنَاهُ فِي بَعْضِهَا، فَلَمَّا رَجَعْنَا أَتَيْنَا أَهْلَهُ بِمُتَبِّعٍ لَهُ مَعَنَا، فَقُلْنَا لَامْرَأَتِهِ: مَا كَانَ يَعْمَلُ زَوْجُكَ؟ قَالَتْ: كَانَ يَبِيعُ الطَّعَامَ فَيَأْخُذُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ قُوتَ أَهْلِهِ ثُمَّ يَقْرُضُ الْقِصْلَ<sup>(٢)</sup> مِثْلَهُ فَيَلْقِيهِ فِيهِ<sup>(٣)</sup>.

وَقَالَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو إِسْحَاقَ صَاحِبُ الشَّاءِ، قَالَ: دَعَيْتُ إِلَى مَيْتٍ لِأَغْسِلَهُ، فَلَمَّا كُشِفَتِ الثُّوبُ عَن وَجْهِهِ، إِذَا بِحَيَّةٍ قَدْ تَطَوَّقَتْ عَلَى حَلْقِهِ، فَذَكَرَ مِنْ غَلْظِهَا، قَالَ: فَخَرَجْتُ وَلَمْ أَغْسِلَهُ، فَذَكَرُوا أَنَّهُ كَانَ يَسِبُ الصَّحَابَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**<sup>(٤)</sup>.

وَذَكَرَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا: عَن سَعِيدِ بْنِ خَالِدِ بْنِ يَزِيدِ الْأَنْصَارِيِّ عَن رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ كَانَ يُخْفِرُ الْقُبُورَ، قَالَ: حَفَرْتُ قَبْرًا ذَاتَ يَوْمٍ وَوَضَعْتُ رَأْسِي قَرِيبًا مِنْهُ فَأَتَتْني

(١) الأسود هو الحية العظيمة، وهي أحب الحيات وأعظمها. «النهاية» و«القاموس» (سود).

(٢) القِصْل هو ما عُزِلَ مِنَ الْبُرِّ إِذَا نُقِيَ فَيَرْمَى بِهِ، وَالْمَعْنَى أَنَّهُ يَقَطِّعُ هَذَا الَّذِي حَقَهُ أَنْ يَرْمَى، وَيَجْعَلُهُ بَيْنَ الطَّعَامِ غَشًّا. «القاموس» (قِصْل).

(٣) (صحيح) أخرجه ابن أبي الدنيا في «القبور» (١٢٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥٣١١/٤)، واللالكائي في شرح «أصول اعتقاد أهل السنة» (١١٤٢/٦) رقم: (٢١٥١) من طريق هشام بن حسان عن واصل مولى أبي عيينة عن عمرو بن هرم عن عبد الحميد بن محمود المعولي قال: كنت جالسًا عند ابن عباس به. ورجاله كلهم ثقات من رجال التهذيب.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «القبور» (١٢٩) وأبو إسحاق هذا لم أجد له ترجمة.

امْرَأَتَانِ فِي مَنَامِي فَقَالَتْ: إِحْدَاهُمَا يَا عَبْدَ اللَّهِ نَشَدْتِكَ بِاللَّهِ إِلَّا صَرَفْتَ عَنَّا هَذِهِ الْمَرْأَةَ، وَلَمْ تَجَاوِرْنَا بِهَا فَاسْتَيْقَظَتْ فَزَعًا، فَإِذَا بِجَنَازَةِ امْرَأَةٍ قَدْ جِيءَ بِهَا، فَقُلْتُ الْقَبْرَ وَرَائِكُمْ فَصَرَفْتَهُمْ عَن ذَلِكِ الْقَبْرِ، فَلَمَّا كَانَ بِاللَّيْلِ إِذَا أَنَا بِالْمَرَأَتَيْنِ فِي مَنَامِي تَقُولُ إِحْدَاهُمَا: جَزَاكَ اللَّهُ عَنَّا خَيْرًا، فَلَقَدْ صَرَفْتَ عَنَّا شَرًّا طَوِيلًا قُلْتُ مَا لِمَصَابِحَتِكَ لَا تَكَلِّمْنِي كَمَا تَكَلِّمْنِي: أَنْتَ قَالَتْ إِنْ هَذِهِ مَاتَتْ عَن غَيْرِ وَصِيَّةٍ وَحَقٌّ لِمَنْ مَاتَ عَن غَيْرِ وَصِيَّةٍ أَلَّا يَتَكَلَّمَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ<sup>(١)</sup>.

وَهَذِهِ الْأَخْبَارُ وَأَضْعَافُهَا وَأَضْعَافُهَا مِمَّا لَا يَتَّسِعُ لَهَا الْكِتَابُ مِمَّا أَرَاهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِبَعْضِ عِبَادِهِ مِنَ عَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ عِيَانًا.

وَأَمَّا رُؤْيَا الْمَنَامِ فَلَوْ ذَكَرْنَاهَا لَجَاءَتْ عِدَّةُ أَسْفَارٍ، وَمَنْ أَرَادَ الْوُقُوفَ عَلَيْهَا فَعَلَيْهِ بِكِتَابِ «الْمَنَامَاتِ» لِابْنِ أَبِي الدُّنْيَا وَكِتَابِ «الْبُسْتَانِ» لِلْقِيَرَوَانِيِّ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْكُتُبِ الْمَصْنُفَةِ لِدَلِّكَ، وَلَيْسَ عِنْدَ الْمَلَاحِدَةِ وَالزَّنَادِقَةِ إِلَّا التَّكْذِيبُ بِهَا لَمْ يَحِيطُوا بِعِلْمِهِ<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «القبور» (١٣٧) وفي الإسناد رجل مبهم.

(٢) وفي الأدلة من القرآن والسنة التي بلغت عددًا كبيرًا كفاية لمن هداه الله ورزقه القناعة بما جاء في النصوص سواء من الأمور الغيبية أو غيرها وقد مدح الله هذا الصنف من عبادته بقوله: ﴿الْم \* ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ \* الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ١-٣]، ولكن كأن ابن القيم ساق مثل هذه القصص والحكايات لأنه في سياق الرد على الملاحدة والزنادقة الذين ينكرون الغيبات ولا يؤمنون إلا بالمحسوسات، وفيها تقدم من هذه الحكايات ما هو صحيح ثابت وفيها ما هو ضعيف، فما كان ثابتاً ففيه حجة عليهم مع أدلة القرآن والسنة، وما لم يثبت ففي الأدلة غنية عنه، والله أعلم.

## فصل

الأمر السَّادِسُ: أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَحْدُثُ فِي هَذِهِ الدَّارِ مَا هُوَ أَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ: فَهَذَا جِبْرِيلُ كَانَ يَنْزِلُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَيَتَمَثَّلُ لَهُ رَجُلًا فَيَكَلِّمُهُ بِكَلَامٍ يَسْمَعُهُ وَمَنْ إِلَى جَانِبِ النَّبِيِّ ﷺ لَا يَرَاهُ وَلَا يَسْمَعُهُ<sup>(١)</sup> وَكَذَلِكَ غَيْرُهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَحْيَانًا يَأْتِيهِ الْوَحْيُ فِي مِثْلِ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ<sup>(٢)</sup> وَلَا يَسْمَعُهُ غَيْرُهُ مِنَ الْحَاضِرِينَ وَهَوَّلَاءِ الْجَنِّ يَتَحَدَّثُونَ وَيَتَكَلَّمُونَ بِالْأَصْوَاتِ الْمُرْتَفَعَةِ، بَيْنَنَا وَنَحْنُ لَا نَسْمَعُهُمْ، وَقَدْ كَانَتْ الْمَلَائِكَةُ تَضْرِبُ الْكُفَّارَ بِالسِّيَاطِ وَتَضْرِبُ رِقَابَهُمْ وَتَصِيحُ بِهِمْ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُمْ لَا يَرَوْنَهُمْ وَلَا يَسْمَعُونَ

<sup>(١)</sup> وفي هذا الكلام نظر فإن جبريل كان إذا تمثَّل لرسول الله ﷺ بصورة رجل فإن من حول رسول الله ﷺ يسمعه ويراه كما في حديث ابن عمر الذي أخرجه مسلم: (٨) قال: «كنا جلوسًا عند رسول الله ﷺ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر...» الحديث، وفيه أنهم رأوه وسمعوا كلامه، وأخرج أحمد: (١٠٧/٢) بسند صحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «وكان جبريل يأتي النبي ﷺ في صورة دحية»، وأخرج أيضًا (٤٣٣/٥) عن حارثة بن النعمان قال مررت على رسول الله ﷺ ومعه جبريل عليه السلام جالس في المقاعد فسلمت عليه ثم أجزت فلما رجعت وانصرف النبي ﷺ قال: «هل رأيت الذي كان معي؟» قلت: نعم، قال: «فإنه جبريل وقد رد عليك السلام» وهو في الصحيح المسند للعلامة الوادعي رحمته الله (٢٨٦) والأدلة على هذا كثيرة وفيها أنهم يرونه ويسمعونه، نعم في حال عدم تمثُّله في صورة رجل كانوا لا يرونه ولا يسمعون كما في حديث أبي قتادة الذي أخرجه مسلم: (١٨٨٥) في من مات شهيدًا هل تغفر ذنوبه قال النبي ﷺ - في المرة الثانية - «نعم إلا الدين فإن جبريل قال لي ذلك» فجبريل جاءه وأخبره بهذا وهم لم يروه ولم يسمعه ونحو هذا الحديث من الأدلة لكن كما ترى أنه ليس فيها أنه تمثل له رجلًا، والأحاديث السابقة وغيرها صريحة في أنه كان إذا تمثل له رجلًا فإن الصحابة يرونه ويسمعون كلامه، والله أعلم.

<sup>(٢)</sup> أخرجه البخاري: (٢)، ومسلم: (٢٣٣٣) عن عائشة رضي الله عنها أن الحارث بن هشام سأل النبي ﷺ كيف يأتيك الوحي فقال: «أحيانًا يأتيني في مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي...».

كَلَامِهِمْ<sup>(١)</sup>، وَاللَّهِ سُبْحَانَهُ قَدْ حَجَبَ بَنِي آدَمَ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا يَحْدُثُهُ فِي الْأَرْضِ وَهُوَ بَيْنَهُمْ وَقَدْ كَانَ جِبْرِيْلُ يَقْرَأُ النَّبِيَّ ﷺ وَيَدَارِسُهُ الْقُرْآنَ وَالْحَاضِرُونَ لَا يَسْمَعُونَهُ<sup>(٢)</sup>.

وَكَيفَ يَسْتَنْكِرُ مَنْ يَعْرِفُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَيَقْرَأُ بِقُدْرَتِهِ أَنْ يَحْدُثَ حَوَادِثَ يَصْرِفُ عَنْهَا أَبْصَارَ بَعْضِ خَلْقِهِ حِكْمَةً مِنْهُ وَرَحْمَةً بِهِمْ لِأَنَّهُمْ لَا يُطِيقُونَ رُؤْيَهَا وَسَمَاعَهَا وَالْعَبْدَ أَوْضَعَفَ بَصْرًا وَسَمْعًا مِنْ أَنْ يَثْبِتَ لِمُشَاهَدَةِ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَكَثِيرٌ<sup>(٣)</sup> مِمَّنْ أَشْهَدَهُ اللَّهُ ذَلِكَ صَعِقَ وَغَشِيَ عَلَيْهِ وَلَمْ يَنْتَفِعْ بِالْعَيْشِ زَمْنَا وَبَعْضُهُمْ كَشَفَ قِنَاعَ قَلْبِهِ فَهَاتَ فَكَيْفَ يُنْكَرُ فِي الْحِكْمَةِ الْإِلَهِيَةِ إِسْبَالَ غِطَاءٍ يَحُولُ بَيْنَ الْمُكَلَّفِينَ وَبَيْنَ مُشَاهَدَةِ ذَلِكَ حَتَّى إِذَا كَشَفَ الْغِطَاءَ رَأَوْهُ وَشَاهَدُوهُ عِيَانًا.

ثُمَّ إِنْ الْعَبْدُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَزِيلَ الزَّبَقَ وَالْخُرْدَ عَنْ عَيْنِ الْمَيِّتِ وَصَدْرَهُ ثُمَّ يَرِدُهُ بِسُرْعَةٍ فَكَيْفَ يَعْجِزُ عَنْهُ الْمَلِكُ؟! وَكَيفَ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مَنْ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَادِرٌ؟! وَكَيفَ تَعْجِزُ قُدْرَتُهُ عَنْ إِبْقَائِهِ فِي عَيْنَيْهِ وَعَلَى صَدْرِهِ لَا يَسْقُطُ عَنْهُ؟! وَهَلْ قِيَاسُ أَمْرِ الْبُرْزَخِ عَلَى مَا تُشَاهِدُهُ النَّاسُ فِي الدُّنْيَا إِلَّا مَخْضُ الْجَهْلِ وَالضَّلَالِ وَتَكْذِيبِ أَصْدَقِ الصَّادِقِينَ وَتَعْجِيزِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؟ وَذَلِكَ غَايَةُ الْجَهْلِ وَالظُّلْمِ.

وَإِذَا كَانَ أَحَدُنَا يُمَكِّنُهُ تَوْسِعَةُ الْقَبْرِ عَشْرَةَ أَذْرَعٍ وَمِائَةَ ذِرَاعٍ فَأَكْثَرَ طَوْلًا وَعَرْضًا وَعَمْقًا وَيَسْتَرُ تَوْشِعَهُ عَنِ النَّاسِ وَيَطْلَعُ عَلَيْهِ مِنْ يَشَاءُ فَكَيْفَ يَعْجِزُ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَنْ

(١) انظر ما أخرجه مسلم: (١٧٦٣) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. ولكن فيه أن ذلك الصحابي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سمع صوت الملك وهو يقول «أقدم حيزوم».

(٢) انظر ما أخرجه البخاري: (٦) ومسلم: (٢٣٠٨) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) في المخطوطتين (وكثيرًا) بالنصب، ولم يتبين لي وجه نصبه، ووقع في بعض المخطوطات بالرفع كما في

حاشية (ف).

يوسعه مَا يَشَاءُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَيَسْتَرِ ذَلِكَ عَنْ أَعْيُنِ بَنِي آدَمَ فَيَرَاهُ بَنُو آدَمَ ضَيْقًا وَهُوَ أَوْسَعُ شَيْءٍ وَأَطْيَبُهُ رِيحًا وَأَعْظَمُهُ إِضَاءَةً وَنُورًا وَهُمْ لَا يَرَوْنَ ذَلِكَ.

وسر المسألة: أن هذه التوسعة والضيق والإضاءة والخضرة والنار ليس من جنس المعهود في هذا العالم والله سبحانه إنما أشهد بنى آدم في هذه الدار ما كان فيها ومنها فأما ما كان من أمر الآخرة فقد أسبل عليه الغطاء ليكون الاقرار به والايان سببا لسعادتهم فإذا كشف عنهم الغطاء صار عيانًا مشاهدا فلو كان الميت بين الناس مؤضوعا لم يمتنع أن يأتيه الملكان ويسألانه من غير أن يشعر الحاضرون بذلك ويجيبهما من غير أن يسمعا كلامه ويضربانه من غير أن يشاهد الحاضرون ضربه وهذا الواحد منا ينام إلى جنب صاحبه فيعذب في النوم ويضرب ويألم وليس عند الآخر المستيقظ خبر من ذلك [البته] وقد يسري أثر الضرب والألم إلى جسده.

ومن أعظم الجهل: استبعاد شق الملك الأرض والحجر وقد جعلها الله سبحانه [له] كالهواء للطير ولا يلزم من حجبتها للأجسام الكثيفة أن يتولج فيها حجبتها للأرواح اللطيفة وهل هذا إلا من أفسد القياس وبهذا وأمثاله كذبت الرسل صلوات الله وسلامه عليهم.

## فصل

الأمر السابع: أنه غير ممتنع أن الروح تُرد إلى المصلوب، والغريق والمحترق، ونحن لا نشعر بها؛ إذ ذلك الرد نوع آخر غير المعهود فهذا المغمى عليه والمسكوت والمبهوت أحياء وأرواحهم معهم ولا نشعر بحياتهم ومن تفرقت أجزاءه لا يمتنع على من هو على كل شيء قدير أن يجعل للروح اتصالًا بتلك الأجزاء على تباعد ما بينهما وقربه ويكون في تلك الأجزاء شعور بنوع من الألم واللذة وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد

جعل في الجمادات شعورا وإدراكا تسبح ربه به وتسقط الحجارة من خشيته وتسجد له الجبال والشجر وتسبحه الحصى والمياه والنبات قال تعالى: ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ [الإسراء: ٤٤]، وَلَوْ كَانَ التَّسْبِيحُ هُوَ مُجَرَّد دَلَالَتِهَا عَلَى صَانِعِهَا لَمْ يَقُلْ: ﴿ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾، فَإِنْ كُلِّ عَاقِلٍ يَفْهَمُ دَلَالَتِهَا عَلَى صَانِعِهَا<sup>(١)</sup>، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴾ [ص: ١٨]، وَالدَّلَالَةُ عَلَى الصَّانِعِ لَا تَحْتَصِ بِهَذَيْنِ الْوَقْتَيْنِ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ ﴾ [سبأ: ١٠]. وَالدَّلَالَةُ لَا تَحْتَصِ مَعِيته وَحده وَكذب عَلَى الله مِنْ قَالِ التَّأْوِيبَ رَجَعَ الصدى فَإِنْ هَذَا يَكُونُ لِكُلِّ مِصْوُوتٍ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ﴾ [الحج: ١٨]، وَالدَّلَالَةُ عَلَى الصَّانِعِ لَا تَحْتَصِ بِكَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ﴾ [النور: ٤١]، فَهَذِهِ صَلَاةٌ وَتَسْبِيحٌ حَقِيقَةٌ يَعْلَمُهَا اللهُ وَإِنْ جَحَدَهَا الْجَاهِلُونَ

(١) قال ابن القيم في مفتاح دار السعادة (٢/١٠٥-١٠٦) وهو يتكلم عن هذه الآية: (ولعلك أن تكون ممن غلظ حجابيه فذهب إلى أن التسبيح دلالتها على صانعها فقط فأعلم أن هذا القول يظهر بطلانه من أكثر من ثلاثين وجهاً قد ذكرنا أكثرها في موضع آخر وفي أي لغة تسمى الدلالة على الصانع تسبيحاً وسجوداً وصلاته وتأويلاً وهبوطاً من خشيته؟! كما ذكر تعالى ذلك في كتابه فتارة يخبر عنها بالتسبيح وتارة بالسجود وتارة بالصلوة كقوله تعالى: ﴿ وَالطَّيْرُ صَافَاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ﴾ [النور: ٤١]، أفترى يقبل عقلك أن يكون معنى الآية قد علم الله دلالته عليه وسمى تلك الدلالة صلاةً وتسبيحاً وفرق بينهما وعطف أحدهما على الآخر وتارة يخبر عنها بالتأويب كقوله: ﴿ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ ﴾ [سبأ: ١٠]، وتارة يخبر عنها بالتسبيح الخاص بوقت دون وقت كالعشى والإشراق أفترى دلالتها على صانعها وإنما يكون في هذين الوقتين؟! وبالجُملة فبطلان هذا القول أظهر لذوي البصائر من أن يطلبوا دليلاً على بطلانه والحمد لله).

المكذبون، وقد أخبر تعالى عن الحجارة أن بعضها يزول عن مكانه ويسقط من خشيته<sup>(١)</sup> وقد أخبر عن الأرض والسماء أمهما يأذنان له وحق لهما ذلك<sup>(٢)</sup> أي يستمعان كلامه<sup>(٣)</sup> وقد خاطبها فسمعا خطابه وأحسنا جوابه فقال لهما: ﴿إِثْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]، وقد كان الصحابة يسمعون تسبيح الطعام وهو يؤكل<sup>(٤)</sup>، وسمعوا حنين الجذع اليابس في المسجد<sup>(٥)</sup>، فإذا كانت هذه الأجسام فيها الإحساس والشعور فالأجسام التي كانت فيها الروح والحياة أولى بذلك، وقد أشهد الله سبحانه عباده في هذه الدار إعادة حياة كاملة إلى بدن قد فارقت الروح فتكلم ومشى وأكل وشرب وتزوج وولد له، كالذنين: ﴿حَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٣]، ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ لِيُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ [البقرة: ٢٥٩]، وكتيل بني إسرائيل أو كالذنين قال موسى: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥]، فأماهم الله ثم بعثهم من بعد موتهم، وكأصحاب الكهف، وكقصة إبراهيم في الطيور

<sup>(١)</sup> يشير إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ فُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ فَيُخْرِجُ مِنْهُ الْمَاءَ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤].

<sup>(٢)</sup> في الأصل (وقولها ذلك)، وما أثبتناه من (ش) و(ف).

<sup>(٣)</sup> ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ [الانشقاق: ٥، ٢].

<sup>(٤)</sup> أخرجه البخاري: (٣٥٧٩) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

<sup>(٥)</sup> أخرجه البخاري: (٣٥٨٣) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

وأخرجه أيضًا (٣٥٨٥) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

الأربعة، فإذا أعاد الحياة التامة إلى هذه الأجساد بعد ما بردت بالموت، فكيف يمتنع على قدرته الباهرة: أن يُعيد إليها بعد موتها حياة ما غير مُستقرّة يقضي بها ما أمره فيها ويستنطقها بها ويعذبها أو ينعمها بأعمالها، وهل إنكار ذلك إلا مجرد تكذيب وعناد وجحود، وبالله التوفيق.

### فصل

الأمر الثامن: أنه ينبغي أن يعلم أن عذاب القبر ونعيمه اسم لعذاب البرزخ ونعيمه، وهو ما بين الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠]، وهذا البرزخ يشرف أهله فيه على الدنيا والآخرة وسمى عذاب القبر ونعيمه وأنه روضة أو حفرة نار باعتبار غالب الخلق المصلوب والحريق والغريق وأكيل السباع والطيور له من عذاب البرزخ ونعيمه قسطه الذي تقتضيه أعماله، وإن تنوعت أسباب النعيم والعذاب وكيفياتها.

وقد ظن بعض الأوائل أنه إذا حرق جسده بالنار وصار رمادا وذري بعضه في البحر وبعضه في البر في يوم شديد الريح أنه ينجو من ذلك (فأوصى بنيه أن يفعلوا به ذلك فأمر الله البحر فجمع ما فيه وأمر البر فجمع ما فيه ثم قال قم فإذا هو قائم بين يدي الله فسأله ما حملك على ما فعلت؟ فقال خشيتك يا رب وأنت أعلم بما تلافاه أن رحمه<sup>(١)</sup>). فلم يفت عذاب البرزخ ونعيمه لهذه الأجزاء التي صارت في هذه الحال حتى

(١) أخرجه البخاري: (٧٥٠٦) ومسلم: (٢٧٥٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وأخرجه البخاري: (٣٤٧٨) ومسلم: (٢٧٥٧) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

وأخرجه البخاري: (٣٤٧٩) عن حذيفة بن اليان وأبي مسعود البدي - عقبه بن عمرو - رضي الله عنه.



لَوْ عَلِقَ الْمَيِّتُ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْجَارِ فِي مَهَابِ الرِّيَّاحِ لِأَصَابِ جَسَدِهِ مِنْ عَذَابِ الْبَرْزَخِ حَظَّهُ وَنَصِيْبِهِ وَلَوْ دَفِنَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فِي أَتُونٍ مِنَ النَّارِ<sup>(١)</sup> لِأَصَابِ جَسَدِهِ مِنْ نَعِيمِ الْبَرْزَخِ وَرُوحِهِ نَصِيْبِهِ وَحَظَّهُ فَيَجْعَلُ اللهُ النَّارَ عَلَى هَذَا بَرْدًا وَسَلَامًا وَالهَوَاءُ عَلَى ذَلِكَ نَارًا وَسُمُومًا فَعَنَّاصِرُ الْعَالَمِ وَمَوَادُّهُ مَنَقَادَةٌ لِرَبِّهَا وَفَاطِرُهَا وَخَالِقُهَا يَصْرِفُهَا كَيْفَ يَشَاءُ وَلَا يَسْتَعْصِي عَلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ أَرَادَهُ بَلْ هِيَ طَوْعٌ مَشِيئَتُهُ مَذَلَّةٌ مَنَقَادَةٌ لِقُدْرَتِهِ وَمَنْ أَنْكَرَ هَذَا فَقَدْ جَحَدَ رَبَّ الْعَالَمِينَ وَكَفَرَ بِهِ، وَأَنْكَرَ رَبَّوْبِيَّتَهُ.

### فصل

الأمر التاسع<sup>(٢)</sup>: أَنْ الْمَوْتِ مَعَادٍ وَبَعَثَ أَوَّلَ فَإِنَّ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَعَلَ لِابْنِ آدَمَ مَعَادِينَ وَبَعَثِينَ يَجْزِي فِيهِمَا الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِي الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى. فالبعث الأول: مُفَارَقَةُ الرُّوحِ لِلْبَدَنِ، وَمَصِيرُهَا إِلَى دَارِ الْجَزَاءِ الْأَوَّلِ. والبعث الثاني: يَوْمَ يَرُدُّ اللهُ الْأَرْوَاحَ إِلَى أَجْسَادِهَا وَيُبْعَثُهَا مِنْ قُبُورِهَا إِلَى الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ وَهُوَ الْحَشْرُ الثَّانِي، وَهَذَا فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «وَتَوْمَنُ بِالْبَعْثِ الْآخِرِ»<sup>(٣)</sup>، فَإِنَّ الْبَعْثَ الْأَوَّلَ لَا يُنْكِرُهُ أَحَدٌ، وَإِنْ أَنْكَرَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الْجَزَاءَ فِيهِ وَالنَّعِيمَ وَالْعَذَابَ.

<sup>(١)</sup> الأتون بالتشديد هو الموقد وأحدود الجبار والخصاص، والعامّة تخففه، وجمعه أتاتين وقيل هو مولد. لسان العرب (أتن).

<sup>(٢)</sup> في المخطوطتين (الأمر العاشر) وهو خطأ.

<sup>(٣)</sup> أخرجه البخاري: (٤٧٧٧) ومسلم: (٩) عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وقد جعل المؤلف رَضِيَ اللهُ عَنْهُ البعث الأول: هو الموت ومفارقة الروح للبدن، وغيره من العلماء يقولون: إن البعث الأول: هو الخروج من بطون الأمهات إلى الدنيا قال النووي في «شرح مسلم» عند حديث رقم (٩): «وأما وصف البعث بالآخر فقيل: هو مبالغة في البيان والإيضاح وذلك لشدة الاهتمام به، وقيل: سببه أن

وَقَدْ ذَكَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هَاتَيْنِ الْقِيَامَتِينَ وَهُمَا الصُّغْرَى وَالْكُبْرَى فِي سُورَةِ الْمُؤْمِنِينَ وَسُورَةِ الْوَاقِعَةِ وَسُورَةِ الْقِيَامَةِ وَسُورَةِ الْمَطْفِينِ وَسُورَةِ الْفَجْرِ وَغَيْرَهَا مِنَ السُّورِ<sup>(١)</sup>، وَقَدْ اقْتَضَى عَدْلُهُ وَحِكْمَتُهُ أَنْ جَعَلَهَا دَارِي جَزَاءَ لِلْمَحْسِنِ وَالْمُسِيءِ وَلَكِنْ تَوْفِيَةَ الْجَزَاءِ إِنَّمَا يَكُونُ يَوْمَ الْمَعَادِ الثَّانِي فِي دَارِ الْقَرَارِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجْرَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

وَقَدْ اقْتَضَى عَدْلُهُ وَأَوْجَبَتْ أَسْمَاؤُهُ الْحَسَنَى وَكَمَالُهُ الْمُقَدَّسُ تَنْعِيمَ أَبْدَانِ أَوْلِيَائِهِ وَأُرْوَاحِهِمْ وَتَعْذِيبَ أَبْدَانِ أَعْدَائِهِ وَأُرْوَاحِهِمْ، فَلَا بُدَّ أَنْ يُذِيقَ بَدْنَ الْمُطِيعِ لَهُ وَرُوحَهُ مِنَ النَّعِيمِ وَاللَّذَّةِ مَا يَلِيْقُ بِهِ وَيُذِيقَ بَدْنَ الْفَاجِرِ الْعَاصِي لَهُ وَرُوحَهُ مِنَ الْأَلَمِ وَالْعَقُوبَةِ مَا يَسْتَحِقُّهُ هَذَا مُوجِبٌ عَدْلُهُ وَحِكْمَتُهُ وَكَمَالُهُ الْمُقَدَّسُ.

وَلَمَّا كَانَتْ هَذِهِ الدَّارُ دَارَ تَكْلِيفٍ وَامْتِحَانٍ لَا دَارَ جَزَاءٍ لَمْ يَظْهَرِ فِيهَا ذَلِكَ، وَأَمَّا الْبَرْزَخُ فَأُولَ دَارِ الْجَزَاءِ فَظَهَرَ فِيهَا مِنْ ذَلِكَ مَا يَلِيْقُ بِتِلْكَ الدَّارِ، وَتَقْتَضِي الْحِكْمَةَ إِظْهَارَهُ، فَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْكُبْرَى وَفِي أَهْلِ الطَّاعَةِ وَأَهْلِ الْمُعْصِيَةِ مَا يَسْتَحِقُّونَهُ مِنْ نَعِيمِ الْأَبْدَانِ، وَالْأُرْوَاغِ وَعَذَابِهَا.

خروج الإنسان إلى الدنيا بعث من الأرحام وخروجه من القبر للحشر بعث من الأرض فقيّد البعث بالآخر ليتميز، والله أعلم».

وبنحو ما قال النووي قال القرطبي في «المفهم» (١/١٥١)، وكذلك ابن الملقن في «شرح البخاري» عند حديث رقم (٥٠)، والحافظ ابن حجر في «فتح الباري» عند حديث رقم (٥٠).

<sup>(١)</sup> وقد ذكر شيخ الإسلام - كما في «مجموع الفتاوى» (٤/٢٦٢ - ٢٧٠) - الأدلة من بعض هذه السور وغيرها على إثبات القيامتين.

وعذاب البرزخ ونعيمه أول عذاب الآخرة ونعيمها، وهو مُشْتَقٌّ مِنْهُ وواصل إلى أهل البرزخ من هُنَاكَ كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ الصَّحِيحَةُ الصَّرِيحَةُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ دَلَالَةً صَرِيحَةً كَقَوْلِهِ: «فِيَفْتَحُ لَهُ بَابَ إِلَى الْجَنَّةِ فَيَأْتِيهِ مِنْ رُوحِهَا وَنَعِيمِهَا» وَفِي الْفَاجِرِ: «فِيَفْتَحُ لَهُ بَابَ إِلَى النَّارِ فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسُمُومِهَا»<sup>(١)</sup>، وَمَعْلُومٌ قَطْعًا أَنَّ الْبَدْنَ يَأْخُذُ حَظَّهُ مِنْ هَذَا الْبَابِ كَمَا تَأْخُذُ الرُّوحُ حَظَّهَا، فَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ دَخَلَ مِنْ ذَلِكَ الْبَابِ إِلَى مَقْعَدِهِ الَّذِي هُوَ دَاخِلُهُ.

وَهَذَانِ الْبَابَانِ يَصِلُ مِنْهُمَا إِلَى الْعَبْدِ فِي هَذِهِ الدَّارِ أَثَرٌ خَفِيٌّ مَحْجُوبٌ بِالشَّوَاغِلِ وَالْغَوَاشِيِ الْحَسِيَةِ وَالْعَوَارِضِ، وَلَكِنْ يَحْسُ بِهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَإِنْ لَمْ يَعْرِفْ سَبَبَهُ وَلَا يَسْحَنُ التَّعْبِيرَ عَنْهُ فَوْجُودَ الشَّيْءِ غَيْرِ الْإِحْسَاسِ بِهِ وَالتَّعْبِيرَ عَنْهُ، فَإِذَا مَاتَ كَانَ وُصُولُ ذَلِكَ الْأَثَرِ إِلَيْهِ مِنْ ذِيْنِكَ الْبَابَيْنِ أَكْمَلَ فَإِذَا بُعِثَ كَمَّلَ وَصُولُ ذَلِكَ الْأَثَرِ إِلَيْهِ فَحِكْمَةُ الرَّبِّ تَعَالَى مُنْتَظِمَةٌ لِذَلِكَ أَكْمَلَ انْتِظَامًا فِي الدَّوْرِ الثَّلَاثِ.



(١) (صحيح) قطعة من حديث البراء الطويل، وقد تقدم ص ( ).

## فصل

### وأما المسألة الثامنة

وهي قول السائل: ما الحكمة فيكون عذاب القبر لم يذكر في القرآن مع شدة الحاجة إلى معرفته والإيمان به ليحذر ويتقى؟  
فالجواب من وجهين: مجمل ومفصل.

أما المُجْمَل: فهو أن الله سبحانه وتعالى أنزل على رسوله وحيين وأوجب على عباده الإيمان بهما والعمل بما فيهما وهما الكتاب والحكمة، كما قال تعالى: ﴿ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ [النساء: ١١٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ [الجمعة: ٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَادْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ﴾ [الأحزاب: ٣٤].

والكتاب هو القرآن والحكمة هي السنة بانفاق السلف، وما أخبر به الرسول ﷺ عن الله فهو في وجوب تصديقه والإيمان به كما أخبر به الرب تعالى على لسان رسوله هذا أصل مُتَّفَق عَلَيْهِ بَيْنَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، لَا يُنْكِرُهُ إِلَّا مَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إني أوتيت الكتاب ومثله معه»<sup>(١)</sup>.

وأما الجواب المفصل: فهو أن نعيم البرزخ وعذابه مذكور في القرآن في غير موضع فمنها قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ

(١) (صحيح) أخرجه أحمد: (٤/ ١٣١)، وأبو داود: (٤٦٠٤)، من طريق حريز بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي عوف الجرشي عن المقدم بن معدي كرب الكندي به مرفوعاً مطولاً. وإسناده صحيح رجاله ثقات، عبد الرحمن بن أبي عوف وثقه الدارقطني كما في سؤالات السهمي رقم (٣٩٨)، وأيضاً الراوي عنه حريز ابن عثمان وقد قال أبو داود - كما في سؤالات الأجرى (١٧٤١) -: (شيوخ حريز كلهم ثقات).

أَخْرَجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾. [الأنعام: ٩٣]. وَهَذَا خُطَابُ هَمِّ عِنْدَ الْمَوْتِ [قطعاً]، وَقَدْ أَخْبَرَتِ الْمَلَائِكَةُ وَهَمَّ الصَّادِقُونَ أَنَّهُمْ حِينَتِيذِ يَجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ، وَلَوْ تَأَخَّرَ عَنْهُمْ ذَلِكَ إِلَى انْقِضَاءِ الدُّنْيَا لَمَا صَحَّ أَنْ يُقَالَ لَهُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ.

وَمِنْهَا: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ \* النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾﴾ [غافر: ٤٥-٤٦]، فَذَكَرَ عَذَابَ الدَّارَيْنِ ذَكَرًا صَرِيحًا لَا يَحْتَمِلُ غَيْرَهُ. وَمِنْهَا: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَدَرَهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ \* يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ \* وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الطور: ٤٥-٤٧].

وَهَذَا يَحْتَمِلُ أَنْ يُرَادَ بِهِ عَذَابُهُمُ بِالْقَتْلِ وَغَيْرِهِ فِي الدُّنْيَا، وَأَنْ يُرَادَ بِهِ عَذَابُهُمْ فِي الْبَرزَخِ وَهُوَ أَظْهَرُ؛ لِأَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَاتَ وَلَمْ يَعْذَبْ فِي الدُّنْيَا، وَقَدْ يُقَالُ وَهُوَ أَظْهَرُ: أَنْ مَاتَ مِنْهُمْ عَذَبَ فِي الْبَرزَخِ وَمَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ عَذَبَ فِي الدُّنْيَا بِالْقَتْلِ وَغَيْرِهِ، فَهُوَ وَعِيدٌ بِعَذَابِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْبَرزَخِ.

وَمِنْهَا: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [السجدة: ٢١].

وَقَدْ احْتَجَّ بِهَذِهِ الْآيَةِ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ عَلَى عَذَابِ الْقَبْرِ<sup>(١)</sup>، وَفِي الْإِحْتِجَاجِ بِهَا شَيْءٌ؛ لِأَنَّ هَذَا عَذَابٌ فِي الدُّنْيَا يَسْتَدْعِي بِهِ رَجوعَهُمْ عَنِ الْكُفْرِ وَلَمْ يَكُنْ

(١) لم أفق عليه عن ابن عباس رضي الله عنهما.

\* وقد أخرج ابن جرير: (١٠٨/٢١) عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة: ٢١]، قال: مصائب الدنيا وأسقامها وبلائها مما يبتي الله بها

هَذَا مَا يَخْفَى عَلَى حَبْرِ الْأُمَّةِ وَتَرْجَمَانَ الْقُرْآنِ، لَكِنَّ مِنْ فَهْمِهِ فِي الْقُرْآنِ وَدَقَّةِ فَهْمِهِ فِيهِ، فَهَمُّ مِنْهَا عَذَابُ الْقَبْرِ، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ أَحْبَرُ أَنْ لَهُ فِيهِمْ عَذَابِينَ: أَدْنَى وَأَكْبَرُ، فَأَخْبِرُ أَنَّهُ يَذِيقُهُمْ بَعْضَ الْأَدْنَى لِيَرْجِعُوا، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ بَقِيَ لَهُمْ مِنَ الْأَدْنَى بَقِيَّةٌ يُعَذَّبُونَ بِهَا بَعْدَ عَذَابِ الدُّنْيَا، وَهَذَا قَالَ: ﴿مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى﴾ [السجدة: ٢١]، وَلَمْ يَقُلْ: وَلِنَذِيقَهُمُ الْعَذَابَ الْأَدْنَى. فَتَأَمَّلْهُ.

وَهَذَا نَظِيرُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «فَيُفْتَحُ لَهُ طَاقَةٌ إِلَى النَّارِ فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسُمُومِهَا»، وَلَمْ يَقُلْ: فَيَأْتِيهِ حَرُّهَا وَسُمُومُهَا، فَإِنَّ الَّذِي وَصَلَ إِلَيْهِ بَعْضُ ذَلِكَ وَبَقِيَ لَهُ أَكْثَرُهُ، وَالَّذِي ذَاقَهُ أَعْدَاءُ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا بَعْضَ الْعَذَابِ، وَبَقِيَ لَهُمْ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ. وَمِنْهَا: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ \* وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ \* وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ \* وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ \* فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ \* تُرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ

العباد حتى يتوبوا. وإسناده ضعيف؛ فيه عبد الله بن صالح كاتب الليث وهو ضعيف، وفيه انقطاع علي ابن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس رضي الله عنهما.  
\* وأخرج أيضاً (١٠٩/٢١) عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه فسّر العذاب الأدنى بالحدود، وإسناده ضعيف؛ من طريق شبيب بن بشر وهو ضعيف.  
\* وقد جاء تفسير الآية بعذاب القبر عن مجاهد أخرجه ابن جرير (١١٠/٢١) من طريق أبي يحيى عن مجاهد أنه قال: (الأدنى: في القبور وعذاب الدنيا). وأسناده ضعيف؛ لضعف أبي يحيى وهو القتات.  
\* وجاء أيضاً عن البراء بن عازب أو أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود أخرجه هناد في الزهد (٣٤٥)، ومن طريقه الآجري في الشريعة (٨٥٤)، وأبو نعيم في الحلية (٢٠٦/٤) من طريق شريك عن أبي إسحاق عن البراء أو عن أبي عبيدة في قوله: ﴿وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة: ٢١]، قال: (عذاب القبر). وشريك هو ابن عبد الله القاضي سيء الحفظ جداً كثير الغلط، وأبو إسحاق هو عمرو بن عبد الله السبيعي مدلس وقد عنعن.  
قال ابن جرير: إن أولى الأقوال في ذلك بأنه ما يقع في الدنيا من بلاء إما جماعة أو قتل أو مصائب أو غيرها فكل هذا من العذاب الأدنى.

صَادِقِينَ \* فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ \* فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ \* وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ \* فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ \* وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ \* فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ \* وَتَصْلِيَةٌ جَهِيمٍ \* إِنْ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ \* فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿الواقعة: ٨٣-٩٦﴾.

فذكر هاهنا أحكام الأرواح عند الموت، وذكر في أول السورة أحكامها يوم المعاد الأكبر، وقدم ذلك على هذا تقديم الغاية للعناية إن هي أهم وأولى بالذكر، وجعلهم عند الموت ثلاثة أقسام، كما جعلهم في الآخرة ثلاثة أقسام.

ومنها: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠].

وقد اختلف السلف متى يُقال لها ذلك؟ فقالت طائفة: يُقال لها عند الموت، وظاهر اللفظ مع هؤلاء، فإنه خطاب للنفس التي قد تجردت عن البدن وخرجت منه، وقد فسر ذلك النبي ﷺ بقوله في حديث البراء وغيره: «يُقَالُ لَهَا: اخرجي راضية مرضياً عنك» وسيأتي تمام تقرير هذا في المسألة التي يذكر فيها مُستقر الأرواح في البرزخ إن شاء الله تعالى، وقوله تعالى: ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾﴾ [الفجر: ٢٩]، مُطابَق لقوله ﷺ: «اللَّهُمَّ الرفيق الأعلى»<sup>(١)</sup>.

وأنت إذا تأملت أحاديث عذاب القبر ونعيمه وجدتها تفصيلاً وتفسيراً لما دل عليه القرآن، وبالله التوفيق.

(١) أخرجه البخاري: (٤٤٦٣) ومسلم: (٦٢٩٧/٢٤٤٤) عن عائشة رضي الله عنها.

## فصل

## وأما المسألة التاسعة

وَهِيَ قَوْلُ السَّائِلِ: مَا الْأَسْبَابُ الَّتِي يَعَذَّبُ بِهَا أَصْحَابُ الْقُبُورِ؟  
فجوابها من وَجْهَيْنِ: مُجْمَلٌ ومفصل.

أما المُجْمَلُ: فإنهم يُعَذَّبُونَ على جهلهم [بالله] وإضاعتهم لأمره، وارتكابهم لمعاصيه، فَلَا يعذب الله رُوحًا عَرَفَتْه وأحبته وامثلت أمره، واجتنبت مَهْيَهُ، وَلَا بدنا كَانَتْ فِيهِ أَبَدًا، فَإِنْ عَذَابُ الْقَبْرِ وَعَذَابُ الْآخِرَةِ أثار غضب الله وَسَخَطَهُ على عَبْدِهِ، فَمَنْ أَغْضَبَ اللهُ وَأَسَخَطَهُ فِي هَذِهِ الدَّارِ ثُمَّ لَمْ يَتَبَّ وَمَاتَ على ذَلِكَ كَانَ لَهُ من عَذَابِ البرزخ بِقدر غضب الله وَسَخَطِهِ عَلَيْهِ، فمستقل ومستكثر، ومصداق ومكذب.

وأما الجواب المفصل: فقد أخبر النبي ﷺ عن الرجلين اللذين رأهما يعذبان في قبورهما: «يمشي أحدهما بالنميمة بين الناس ويترك الآخر الاستبراء من البول»<sup>(١)</sup>.

فَهَذَا ترك الطَّهَارَةِ الْوَاجِبَةِ، وَذَلِكَ ارتكب السَّبَبَ الْمَوْقِعَ لِلْعَدَاوَةِ بَيْنَ النَّاسِ بِلِسَانِهِ، وَإِنْ كَانَ صَادِقًا، وَفِي هَذَا تَنْبِيهُ على أَنَّ الْمَوْقِعَ بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ بِالْكَذِبِ وَالزُّورِ وَالبُهْتَانِ أعظم عَذَابًا كَمَا أَنَّ فِي تركِ الْإِسْتِبْرَاءِ مِنَ الْبَوْلِ؛ تَنْبِيْهُا على أَنَّ من ترك الصَّلَاةَ الَّتِي الْإِسْتِبْرَاءُ مِنَ الْبَوْلِ بعض واجباتها وشروطها، فَهُوَ أَشدَّ عَذَابًا، وَفِي حَدِيثِ شُعْبَةَ: «أما أحدهما فكان يأكل لحوم الناس»<sup>(٢)</sup>، فَهَذَا مغتاب وَذَلِكَ نَامٌ، وَقَدْ تقدم حديث ابن

(١) أخرجه البخاري: (٢١٨) ومسلم: (٢٩٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) تقدم بيان القول في هذه الرواية وأنها غير محفوظة.

\* إلا أنه قد ثبت ما يدل على أن الغيبة من أسباب عذاب القبر، فمن ذلك ما أخرجه أحمد: (٣٥/٥-٣٦)، والطيالسي (٨٦٧) من طريق الأسود بن شيبان، حَدَّثَنَا بَحْرُ بْنُ مَرَّارٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، قَالَ:



مَسْعُودٍ رضي الله عنه فِي الَّذِي ضَرَبَ سَوْطًا امْتَلَأَ الْقَبْرَ عَلَيْهِ بِهِ نَارًا؛ لَكُونَهُ صَلَى صَلَاةً وَاحِدَةً بَغَيْرِ طَهُورٍ، وَمَرَّ عَلَى مَظْلُومٍ فَلَمْ يَنْصُرْهُ<sup>(١)</sup>.

وَقَدْ تَقَدَّمَ حَدِيثُ سَمُرَةَ فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» فِي تَعْذِيبٍ مِنْ يَكْذِبُ الْكَذْبَةَ فَتَبْلُغُ الْآفَاقَ، وَتَعْذِيبٍ مَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ ثُمَّ يَنَامُ عَنْهُ بِاللَّيْلِ وَلَا يَعْمَلُ بِهِ بِالنَّهَارِ، وَتَعْذِيبِ الزَّانَةِ وَالزَّوَانِي، وَتَعْذِيبِ آكْلِ الرَّبَا كَمَا شَاهَدَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْبَرَزِخِ<sup>(٢)</sup>.  
وَتَقَدَّمَ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: الَّذِي فِيهِ رَضِخَ رُءُوسَ أَقْوَامٍ بِالصَّخْرِ لِتَثَاقُلِ رُءُوسِهِمْ عَنِ الصَّلَاةِ، وَالَّذِي يَسْرَحُونَ بَيْنَ الضَّرِيحِ وَالزُّقُومِ لِتَرْكِهِمْ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ،

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرَةَ، قَالَ: بَيْنَا أَنَا وَأَمَاشِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِي، وَرَجُلٌ عَنْ يَسَارِهِ، فَإِذَا نَحْنُ بِقَبْرَيْنِ أَمَامَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، إِيَّا فِي الْبَوْلِ، وَالْغَيْبَةِ». وَرِجَالُ إِسْنَادِهِ ثِقَاتُ رِجَالِ الصَّحِيحِ إِلَّا بَحْرَ بْنَ مَرَّارٍ وَقَدْ وَثَّقَهُ ابْنُ مَعِينٍ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ قَدْ اخْتَلَطَ وَلَمْ يَتَمَيَّزْ حَدِيثُهُ، وَمَعَ ذَلِكَ قَالَ ابْنُ عَدِي: (لَا أَعْرِفُ لَهُ حَدِيثًا مُنْكَرًا وَلَمْ أَرَ أَحَدًا مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ مِمَّنْ تَكَلَّمَ فِي الرِّجَالِ ضَعْفَهُ إِلَّا يَحْيَى الْقَطَّانُ ذَكَرَ أَنَّهُ كَانَ قَدْ خَوَّلَطَ، وَمَقْدَارُ مَا لَهُ مِنَ الْحَدِيثِ لَمْ أَرُ فِيهِ حَدِيثًا مُنْكَرًا). انْتَهَى.

وَقَدْ صَحَّحَ الْحَدِيثَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجْرٍ فِي الْفَتْحِ (٤١٩/١)، وَذَكَرَ الْعَقِيلِيُّ فِي الضَّعْفَاءِ (١٥٤/١) أَنَّ ابْنَ مَعِينٍ ضَعَّفَ هَذَا الْحَدِيثَ مِنْ هَذِهِ الطَّرِيقِ ثُمَّ قَالَ: (وَقَدْ صَحَّحَ مِنْ غَيْرِ هَذَا الْوَجْهِ). وَالْحَدِيثُ لَهُ شَوَاهِدٌ تَدُلُّ عَلَى ثُبُوتِهِ مِنْهَا: حَدِيثُ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه عِنْدَ الْبَيْهَقِيِّ فِي شُعْبِ الْإِبْرَانِ (٤٩٢/٧).

\* وَمَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْغَيْبَةَ مِنْ أَسْبَابِ عَذَابِ الْقَبْرِ مَا أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٤٨٧٨) بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ يَقُومُ هُمْ أَطْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يُحْمُسُونَ وَجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جَبْرِيلُ، قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لَحْمَ النَّاسِ، وَيَقْعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ».

\* وَقَدْ بَوَّبَ الْبُخَارِيُّ فِي كِتَابِ الْجَنَائِزِ مِنْ صَحِيحِهِ «بَابُ عَذَابِ الْقَبْرِ مِنَ الْغَيْبَةِ وَالْبَوْلِ» ثُمَّ ذَكَرَ حَدِيثَ ابْنِ

عَبَّاسٍ رضي الله عنه.

(١) حسن . تقدم ص ( ) .

(٢) أخرجه البخاري: (١٣٨٦) .

وَالَّذِينَ يَأْكُلُونَ اللَّحْمَ الْمَتْنِ الْحَبِيثِ لَزْنَاهُمْ، وَالَّذِينَ تَقْرُضُ شَفَاهَهُمْ بِمَقَارِيضٍ مِنْ حَدِيدٍ لِقِيَامِهِمْ فِي الْفِتَنِ بِالْكَلَامِ وَالخُطْبِ<sup>(١)</sup>.

وَتَقْدَمُ حَدِيثُ أَبِي سَعِيدٍ وَعَقُوبَةُ أَرْبَابِ تِلْكَ الْجَرَائِمِ، فَمِنْهُمْ: مَنْ بَطُونَهُمْ أَمْثَالُ الْبُيُوتِ، وَهُمْ عَلَى سَابِلَةِ آلِ فِرْعَوْنَ، وَهُمْ أَكَلَةُ الرَّبَا، وَمِنْهُمْ: مَنْ تَفْتَحُ أَفْوَاهَهُمْ فَيَلْقَمُونَ الْجُمْرَ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ أَسْفَلِهِمْ، وَهُمْ أَكَلَةُ أَمْوَالِ الْيَتَامَى، وَمِنْهُمْ: الْمَعْلَقَاتُ بِثُدَيْهِنَّ وَهِنَّ الزَّوَانِي، وَمِنْهُمْ مَنْ تَقَطَّعَ جُنُوبُهُمْ، وَيَطْعَمُونَ لِحُومَهُمْ وَهُمْ الْمَغْتَابُونَ، وَمِنْهُمْ: مَنْ لَهْمٌ أَظْفَارٍ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمَشُونَ وَجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ وَهُمْ الَّذِينَ يَمزُقُونَ أَعْرَاضَ النَّاسِ<sup>(٢)</sup>.

وَقَدْ أَخْبَرَنَا النَّبِيُّ ﷺ عَنْ صَاحِبِ الشَّمْلَةِ الَّتِي غَلَبَهَا مِنَ الْمَغْنَمِ: «أَنَّهَا تَشْتَعَلُ عَلَيْهِ نَارًا فِي قَبْرِهِ»<sup>(٣)</sup>، هَذَا وَلَهُ فِيهَا حَقٌّ فَكَيْفَ بِمَنْ ظَلَمَ غَيْرَهُ مَا لَا حَقَّ لَهُ فِيهِ.  
فَعَذَابُ الْقَبْرِ عَنْ مَعَاصِي الْقَلْبِ وَالْعَيْنِ وَالْأُذُنِ وَالْفَمِ، وَاللِّسَانِ وَالْبَطْنِ وَالْفَرْجِ وَالْيَدِ وَالرَّجْلِ وَالْبَدَنِ كُلِّهِ.

فَالْكَذَابُ وَالنَّمَامُ وَالْمَغْتَابُ وَشَاهِدُ الزُّورِ وَقَاذِفُ الْمُحْصَنِ وَالْمَوْضِعُ فِي الْفِتْنَةِ، وَالِدَاعِي إِلَى الْبِدْعَةِ، وَالْقَائِلُ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ، وَالْمَجَازِفُ فِي كَلَامِهِ.  
وَأَكَلَ الرَّبَا، وَأَكَلَ أَمْوَالِ الْيَتَامَى، وَأَكَلَ السُّحْتِ مِنَ الرَّشْوَةِ وَالْبُرْطِيلِ<sup>(٤)</sup> وَنَحْوَهُمَا، وَأَكَلَ مَالَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ بغيرِ حَقٍّ، أَوْ مَالَ الْمَعَاهِدِ، وَشَارِبِ الْمُسْكَرِ، وَأَكَلَ لُقْمَةَ الشَّجَرَةِ

(١) (ضعيف). تقدم ص ( ).

(٢) (ضعيف جداً)، تقدم ص ( ).

(٣) أخرجه البخاري: (٤٢٣٤) ومسلم: (١١٥) عن أبي هريرة رَوَاهُ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) السحت هو الحرام الذي لا يجلب كسبه لأنه يسحت البركة أي يذهبها. النهاية (سحت).

الملعون، وَالزَّانِي واللوطي وَالسَّارِقِ والخائن والغادر والمخادع والماكر، وَأَخَذَ الرَّبَّاءَ ومعطيه، وكتبه وشاهدها، والمحلل والمحلل لهُ، والمحتال على إسقاط فرائض الله، وارتكاب مَحَارِمِهِ، ومؤذي المسلمين، ومنتبع عَوْرَاتِهِمْ.

وَالْحَاكِمِ بغير مَا أَنزَلَ اللهُ، والمفتي بخلاف مَا شَرَعَهُ اللهُ والمعين على الإثم والعدوان، وَقَاتَلَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ والمَلْحَدِي فِي حَرَمِ اللهِ، والمعطل لحقائق أسماء الله وَصِفَاتِهِ المَلْحَدِي فِيهَا، والمقدم رَأْيِهِ، وذوقه وسياسته على سنة رَسُولِ ﷺ.

وَالنَّائِحَةُ والمستمع إِلَيْهَا وَنَوَّاحُوا<sup>(١)</sup> جَهَنَّمَ وهم المغنُّون الغناء الذي حرمه الله وَرَسُولُهُ، والمستمع إِلَيْهِمْ وَالَّذِينَ يَبْنُونَ المَسَاجِدَ عَلَى القُبُورِ، ويوقدون عَلَيْهَا القَنَادِيلَ والسرج، والمطففون فِي اسْتِيفَاءِ مَا لَهُمْ إِذَا أَخَذُوهُ، وهضم مَا عَلَيْهِمْ إِذَا بذلوه، والجبارون والمتكبرون والمرءون، والهمازون واللمازون، والطاعنون على السلف، وَالَّذِينَ يَأْتُونَ الكهنة والمنجمين والعرافين، فيسألونهم ويصدقونهم.

وَأَعْوَانُ الظلمة الَّذِينَ قَد بَاعُوا آخِرَتَهُمْ بِدُنْيَا غَيْرِهِمْ، والذي إِذَا خَوْفَتَهُ بِاللَّهِ وَذَكَرْتَهُ بِهِ لَمْ يَرَعُو وَلَمْ يَنْزَجِرْ، فَإِذَا خَوْفَتَهُ بِمَخْلُوقٍ مِثْلِهِ خَافَ وَارَعَى وَكَفَّ عَمَّا هُوَ فِيهِ.

والذي يُهْدِي بِكَلَامِ اللهِ وَرَسُولِهِ فَلَا يَهْتَدِي، وَلَا يَرْفَعُ بِهِ رَأْسًا، فَإِذَا بَلَغَهُ عَمَّنْ يَحْسَنُ بِهِ الظَّنَّ مِمَّنْ يُصِيبُ وَيَخْطِئُ عَضَّ عَلَيْهِ بالنواجذ، وَلَمْ يُجَالِفْهُ والذي يَقْرَأُ عَلَيْهِ القُرْآنَ فَلَا يُؤْثِرُ فِيهِ، وَرَبَّهَا اسْتَثْقَلَ بِهِ، فَإِذَا سَمِعَ قُرْآنَ الشَّيْطَانِ وَرَقِيَةَ الزَّنَائِمِ وَمَادَةَ النَّفَاقِ

=  
والبرطيل يطلق على الرشوة، وفلان تبرطل أي ارتشى. القاموس (البرطل).  
(١) في المخطوطتين (ونواحي) والصواب ما أثبتناه لأنه معطوف على مرفوع.

طَابَ سره، وتواجد وهاج من قلبه دواعي الطَّرب، وود أن المغني لا يسكت، والذي يخلف بالله ويكذب، فإذا حلف بالبندق<sup>(١)</sup>، أو برأس شَيْخه، أو تربته<sup>(٢)</sup>، أو سَرَويل الفتوة<sup>(٣)</sup>، أو حَيَاة من يُحِبُّه ويعظمه من المخلوقين لم يكذب ولو هدد وعوقب. والذي يفتخر بالمعصية، ويتكثر بها بين إخوانه وأَضْرابه، وَهُوَ المجاهر، والذي لا تأمنه على مَالك وحرمتك، والفاحش اللِّسَان البذيء الذي تركه الخلق اتقاء شَره وفحشه.

والذي يُؤَخِّر الصَّلَاةَ إِلَى آخِر وَقْتِهَا وينقرها، وَلَا يذكر الله فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا، وَلَا يُؤَدِي زَكَاةَ مَاله طَيِّبَةً بها نَفْسِه، وَلَا يَجِّج مَعَ قَدْرته على الْحَجِّ، وَلَا يُؤَدِي مَا عَلَيْهِ مِنَ الْحُقُوقِ مَعَ قَدْرته عَلَيْهَا، وَلَا يتورع من لِحْظَةٍ وَلَا لَفْظَةٍ، وَلَا أَكَلَةٍ وَلَا خَطْوَةٍ، وَلَا يبالي بِمَا حَصَلَ الْمَالُ مِنْ حَلَالٍ أَوْ حَرَامٍ، وَلَا يصل رَحْمَه وَلَا يرحم الْمُسْكِينِ، وَلَا الأرملة وَلَا

(١) البندق هو ما يرمى به مطلقا، سواء أكان من الحجر أم الطين أم الحديد، أو نحو ذلك. وكان الرماة به لهم أيمان وعهود مخصوصة. انظر لبيان ذلك مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢٠٤/١) و(٤٥١/١١) و(٤٠٧/٣٥).

(٢) في الأصل (أو قريبه)، وما أثبتناه من (ش) و(ف)، وهو الموافق لما في مجموع الفتاوى (٢٠٤/١) فقد ذكر الحلف بِرَبِّ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ مع أَيْمَانِ الْبُنْدُقِ وَسَرَوِيلِ الْفُتُوَّةِ.

(٣) في تكملة المعاجم العربية (١٩/٨): (الْفُتُوَّةُ تعني: السمو والشرف وكرم الأخلاق، والصفات السامية، والذين يتصفون بالفتوة يؤلفون أخوية وهي جمعية ونظام من نظام الفروسية وحين يُقبَل في هذا النظام من هو جدير به يلبسونه أمام الجمهور سراويل يسمى سراويل الفتوة أو لباس الفتوة وهو رمز الفتوة والرجولية). قلت: والحلف بذلك كان سائدا في زمان المصنف انظر مجموع الفتاوى (٢٠٤/١) و(٨٢/١١).

الْيَتِيمَ وَلَا الْحَيَّوَانَ الْبَهِيمَ بَلْ يَدْعُ الْيَتِيمَ <sup>(١)</sup>، وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ وَيُرَائِي لِلْعَالَمِينَ  
وَيَمْنَعُ الْمَاعُونَ <sup>(٢)</sup>، وَيَشْتَغِلُ بِعُيُوبِ النَّاسِ عَن عَيْبِهِ، وَبذَنُوبِهِمْ عَن ذَنْبِهِ.  
فَكُلُّ هَؤُلَاءِ وَأَمْثَالِهِمْ يُعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ بِهَذِهِ الْجَرَائِمِ، بِحَسَبِ كَثْرَتِهَا وَقِلَّتِهَا،  
وَصِغَرِهَا وَكِبَرِهَا <sup>(٣)</sup>.

وَلَمَّا كَانَ أَكْثَرُ النَّاسِ كَذَلِكَ كَانَ أَكْثَرُ أَصْحَابِ الْقُبُورِ مُعَذِّبِينَ، وَالْفَائِزُ مِنْهُمْ قَلِيلٌ،  
فَطَوَاهِرُ الْقُبُورِ تُرَابٌ وَبِوَاطِنِهَا حَسْرَاتٌ وَعَذَابٌ، ظَوَاهِرُهَا بِالتُّرَابِ وَالْحِجَارَةِ الْمَنْقُوشَةِ  
مَبْنِيَاتٌ، وَفِي بَاطِنِهَا الدَّوَاهِي وَالْبَلِيَّاتُ! تَعْلَى بِالْحَسْرَاتِ كَمَا تَعْلَى الْقُدُورُ بِمَا فِيهَا، وَيَحِقُّ  
لَهَا وَقَدْ حِيلَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ شَهَوَاتِهَا، وَأَمَانِيهَا.

تَاللَّهِ لَقَدْ وَعَظَتْ فَمَا تَرَكَتْ لَوَاعِظَ مَقَالاً وَنَادَتْ يَا عَمَّارَ الدُّنْيَا لَقَدْ أَعْمَرْتُمْ دَارًا  
مُوشِكَةً بِكُمْ زَوَالًا وَخَرِبْتُمْ دَارًا أَنْتُمْ مُسْرِعُونَ إِلَيْهَا انْتِقَالًا. عَمَّرْتُمْ بُيُوتًا لِغَيْرِكُمْ  
مَنَافِعَهَا وَسُكْنَاهَا، وَخَرِبْتُمْ بُيُوتًا لَيْسَ لَكُمْ مَسَاكِنَ سِوَاهَا، هَذِهِ دَارُ الْاِسْتِيفَاءِ  
وَمُسْتَوْدَعِ الْأَعْمَالِ، وَيِدْرُ الزَّرْعُ، هَذِهِ مَحَلٌّ لِلْعَبْرِ رِيَاضٍ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ أَوْ حَفْرِ مِنْ  
حَفْرِ النَّارِ.

<sup>(١)</sup> يدع اليتيم أي يطرده ويدفعه بعنف وشدة. النهاية والقاموس (دع).

<sup>(٢)</sup> الماعون هو اسم جامع لمنافع البيت وكل ما ينتفع به كالقدر والفأس ونحوهما مما جرت العادة بعبارته.  
النهاية والقاموس (معن).

<sup>(٣)</sup> هذه الأمور التي ذكرها ابن القيم رحمته الله، وأن أصحابها يعذبون في قبورهم منها ما صح فيه الدليل، ومنها  
ما هو ضعيف كما تقدم، ومنها ما لم أقف له على دليل، والله أعلم.

## فصل

## وأما المسألة العاشرة

وهي قوله: ما هي الأسباب المنجية من عذاب القبر؟

فجوابها أيضا من وجهين: مجمل، ومفصل.

أما المُجمل: فَهُوَ تَجَنُّبُ تِلْكَ الْأَسْبَابِ الَّتِي تَقْتَضِي عَذَابَ الْقَبْرِ، وَمَنْ أَنْفَعَهَا أَنْ يَجْلِسَ الرَّجُلُ عِنْدَمَا يُرِيدُ النَّوْمَ لِلَّهِ سَاعَةً، يُحَاسِبُ نَفْسَهُ فِيهَا عَلَى مَا خَسِرَهُ وَرَبِحَهُ فِي يَوْمِهِ، ثُمَّ يَجِدُّ لَهُ تَوْبَةً نَصُوحًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ، فَيَنَامُ عَلَى تِلْكَ التَّوْبَةِ، وَيَعِزُّمُ عَلَى أَنْ لَا يَعَاوِدَ الذَّنْبَ إِذَا اسْتَيْقَظَ، وَيَفْعَلُ هَذَا كُلَّ لَيْلَةٍ، فَإِنْ مَاتَ مِنْ لَيْلَتِهِ مَاتَ عَلَى تَوْبَةٍ، وَإِنْ اسْتَيْقَظَ اسْتَيْقَظَ مُسْتَقْبَلًا لِلْعَمَلِ مَسْرُورًا بِتَأْخِيرِ أَجَلِهِ، حَتَّى يَسْتَقِيلَ رَبَّهُ وَيَسْتَدْرِكُ مَا فَاتَهُ، وَكَيْسَ لِلْعَبْدِ أَنْفَعُ مِنْ هَذِهِ التَّوْبَةِ، وَلَا سِيَّمَا إِذَا عَقَّبَ ذَلِكَ بِذِكْرِ اللَّهِ وَاسْتِعْمَالِ السَّنَنِ الَّتِي وَرَدَتْ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ النَّوْمِ حَتَّى يَغْلِبَهُ النَّوْمُ، فَمَنْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا وَفَقَهُ لِدَلِّكَ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

وأما الجواب المفصل: فَتَذَكُّرُ أَحَادِيثَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيمَا يُنْجِي مِنَ عَذَابِ الْقَبْرِ.

فَمِنْهَا: مَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ سَلْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ أُجْرِي عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ وَأُجْرِي عَلَيْهِ رِزْقُهُ وَأَمِنَ الْفِتَانَ»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه مسلم: (١٩١٣).

وَفِي "جَامِع التَّرْمِذِي" مِنْ حَدِيثِ فَضَالَةَ بْنِ عَبِيدٍ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «كُلُّ مَيِّتٍ يُجْتَمَعُ عَلَيْهِ عَمَلُهُ إِلَّا الَّذِي مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ يَنِمُّ لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَيَأْمَنُ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ»، قَالَ التَّرْمِذِي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ<sup>(١)</sup>.

وَفِي "سَنَنِ النِّسَائِيِّ" عَنْ رَاشِدِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا بَالُ الْمُؤْمِنِينَ يَفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ إِلَّا الشَّهِيدَ؟ قَالَ: كَفَى بِبَارِقَةِ السَّيْفِ عَلَى رَأْسِهِ فِتْنَةً»<sup>(٢)</sup>.

وَعَنْ الْمُقَدَّامِ بْنِ مَعَدٍ يَكْرِبُ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتٌّ خِصَالٌ: يَغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ، وَيُرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيَجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ الْيَاقُوتَةُ مِنْهُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا

<sup>(١)</sup> (صحيح) أخرجه الترمذي: (١٦٢١)، وأحمد: (٢٠/٦) من طريق عبد الله بن المبارك قال أخبرنا حيوة بن شريح قال أخبرني أبو هانئ الخولاني أن عمرو بن مالك الجنبي أخبره أنه سمع فضالة بن عبيد به. وهذا إسناد رجاله ثقات؛ أبو هانئ الخولاني هو حميد بن هانئ وثقه الدار قطني.

وللحديث شواهد منها حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند ابن ماجه (٢٧٦٧).

<sup>(٢)</sup> (حسن) أخرجه النسائي: (٢٠٥٣) فقال أخبرنا إبراهيم بن الحسن حدثنا حجاج عن ليث بن سعد عن معاوية بن صالح أن صفوان بن عمرو حدثه عن راشد بن سعد به. وهذا إسناد حسن رجاله ثقات إلا معاوية بن صالح وهو بن حدير الحضرمي فإنه صدوق. والحديث صححه العلامة الألباني رحمته الله في أحكام الجنائز، ص (٥٠).

وَمَا فِيهَا، ويزوج باثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ويشفع في سبعين من أقاربه»،  
رواه ابن ماجه والترمذي وهذا لفظه، وقال: هذا حديث حسن صحيح<sup>(١)</sup>.

<sup>(١)</sup> (صحيح بشواهده) أخرجه ابن ماجه (٢٧٩٩) من طريق إسماعيل بن عياش عن بحير بن سعد عن خالد بن معدان عن المقدام بن معدي كرب. وقد اضطرب إسماعيل بن عياش في إسناد هذا الحديث على أوجه كثيرة تركناها خشية الإطالة انظرها في حاشية "مسند أحمد": (٤١٩/٢٨ - ٤٢٠) ط الرسالة. وهذه الرواية التي ذكرناها هنا عن إسماعيل بن عياش تابعه عليها بقية بن الوليد عند الترمذي: (١٦٦٣). وبقية بن الوليد مدلس وقد عنعن، وأيضاً الإسناد إليه ضعيف من طريق نعيم بن حماد الخزازي وهو ضعيف، ومع ضعف هذه المتابعة إلا أنها تدل على أن هذه الرواية هي المحفوظة عن إسماعيل بن عياش ما دام أنه قد توبع عليها، فإذا تبين هذا فطريق إسماعيل بن عياش إسنادها حسن، والله أعلم. والحديث له شواهد كثيرة منها:

\* حديث عبد الله بن عمرو أخرجه الطبراني كما في "مجمع الزوائد" (٢٩٣/٥) وذكر فيه خمس خصال، وفي إسناده عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الأفريقي ضعيف صالح في الشواهد.

\* ومنها ما أخرجه الطبراني في "الأوسط": (١٨٠/٤) حَدَّثَنَا بَكْرُ بْنُ سَهْلٍ قَالَ: نَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي جَعْفَرِ الدِّمِيَّاطِيِّ قَالَ: نَا عَبْدُ الْمَجِيدِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي رَوَّادٍ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنْ عَطَاءٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الشَّهِيدُ يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْقَةٍ مِنْ دَمِهِ، وَيُزَوَّجُ حَوْرًا وَابْنًا، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِهِ». وإسناده لا بأس به؛ بكر بن سهل قال الذهبي في "الميزان": «حمل الناس عنه وهو مقارب الحال وضعفه النسائي»، وعبد الرحمن بن أبي جعفر الدميّاطي ترجمته في "تاريخ الإسلام" وفيات (٢٢١) - (٢٣٠) ص (٢٥٣) روى عنه جمع ولم أجد فيه جرحاً ولا تعديلاً. وابن أبي رواد صدوق وهو يروي الحديث عن ابن جريج وكان أعلم الناس بحديث ابن جريج قاله ابن معين. وقال الدارقطني: كان أثبت الناس في ابن جريج. وبقية الإسناد على شرط الشيخين.

\* ومنها ما أخرجه الطبراني في "الكبير" (٢٤٦/٢٢) من طريق عن منصور، عن مجاهد، عن يزيد بن شجرة، وكان يزيد بن شجرة ممن يصدق قوله وفعله قال: خطبنا، فقال: ... فذكره وفيه: «فإن أول فطرة تنضح من دمه تكفر، عنه كل شيء عمله، وتنزل عليه زوجتان من الحور العين تمسحان من وجهه التراب وتقولان: قد آن لك ويقول: قد آن لكم ثم يكسى مائة حلة ليس من نسيج بي آدم، ولكن من نبت الجنة...». وأخرجه ابن أبي شيبة (٣٠١/٥) من طريق الأعمش عن مجاهد به. فهذا موقف صحيح



وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: ضَرَبَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم خَبَاءَهُ عَلَى قَبْرِ وَهُوَ لَا يُحْسِبُ أَنَّهُ قَبْرٌ، فَإِذَا قَبْرُ إِنْسَانٍ يُقْرَأُ سُورَةُ الْمَلِكِ حَتَّى خَتَمَهَا فَآتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ضَرَبْتَ خَبَائِي عَلَى قَبْرِ وَأَنَا لَا أَحْسِبُ أَنَّهُ قَبْرٌ، فَإِذَا قَبْرُ إِنْسَانٍ يُقْرَأُ

الإسناد، فإن يزيد بن شجرة صحابي، وهو في حكم المرفوع، وقد جاء مرفوعاً وليس بمحفوظ. انظر "العلل" للدارقطني (٣/١٤).

\* وأيضاً فقرات الحديث لها شواهد:

\* فقوله: «يغفر له في أول دفعة من دمه». يشهد له ما أخرجه مسلم: (١٨٨٥) و (١٨٨٦) عن أبي قتادة وعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدين».

\* وقوله: «يشفع في سبعين من أقاربه». يشهد له ما أخرجه أبو داود: (٢٥٢٢) فقال حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَسَّانَ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ رَبَاحِ الدَّمَارِيُّ، حَدَّثَنِي عَمِّي نَمْرَانُ بْنُ عَتَبَةَ الدَّمَارِيُّ، قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى أُمِّ الدَّرْدَاءِ وَنَحْنُ أَيْتَامٌ، فَقَالَتْ: أَبْشِرُوا، فَإِنِّي سَمِعْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «يُشَفِّعُ الشَّهِيدُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ»، قَالَ أَبُو دَاوُدَ: «صَوَابُهُ رَبَاحُ بْنُ الْوَلِيدِ».

قلت: وهذا إسناد رجاله ثقات إلا نمران بن عتبة فقد روى عنه ابن أخيه رباح وذكره ابن حبان في الثقات وذكر من الرواة عنه حريز بن عثمان وقد تقدم قول أبي داود: «مشايخ حريز كلهم ثقات». فالإسناد صحيح، والله أعلم.

\* وقوله: «ويجار من عذاب القبر». يشهد له حديث سلمان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في المرباط إذا مات: «ويؤمّن الفتان في القبر». وبنحوه فضالة بن عبيد رضي الله عنه عند الترمذي، وحديث راشد بن سعد عن رجل من الصحابة عند النسائي وقد تقدمت.

\* ومما يُذكر في الباب ما أخرجه ابن أبي شيبة (٣٠٧/٥) فقال: حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ بُرَيْدٍ، عَنْ مَكْحُولٍ، قَالَ: «لِلشَّهِيدِ سِتُّ خِصَالٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يُؤْمَنُ مِنَ عَذَابِ اللَّهِ وَمِنَ الْفَرْعِ الْأَكْبَرِ وَيُشَفِّعُ فِي كَذَا وَكَذَا مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَيُحَلِّي حَلِيَةَ الْإِيمَانِ وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَيُغْفَرُ لَهُ كُلُّ ذَنْبٍ». وإسناده حسن برد هو ابن سنان أبو العلاء الدمشقي صدوق وبقية رجاله ثقات. فالحديث صحيح بهذه الطرق والشواهد والله أعلم. وقد صححه العلامة الألباني في «الصحيححة» (٣٢١٣).

سُورَةَ الْمَلِكِ حَتَّى خَتَمَهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هِيَ الْمَانِعَةُ هِيَ الْمُنْجِيَةُ تَنْجِيهِ مَنْ عَذَابِ الْقَبْرِ». قَالَ التِّرْمِذِيُّ، هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ<sup>(١)</sup>.

وروينا في «مُسْنَدِ عَبْدِ بْنِ حَمِيدٍ» عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحَكَمِ عَنْ أَبِيهِ عِكْرِمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّهُ قَالَ لِرَجُلٍ: أَلَا أَتُخَفِّكُ بِحَدِيثٍ تَفْرَحُ بِهِ؟ قَالَ الرَّجُلُ: بَلَى، قَالَ: اقْرَأْ ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ [الملك: ١]، احفظها وَعَلِّمَهَا أَهْلَكَ وَوَلَدَكَ، وَصَبِيَانَ بَيْتِكَ وَجِيرَانِكَ، فَإِنَّهَا الْمُنْجِيَةُ وَالْمُجَادِلَةُ تَجَادُلُ أَوْ تَخَاصِمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّهَا لِقَارِئَتِهَا، وَتَطْلُبُ لَهُ إِلَى رَبِّهَا أَنْ يَنْجِيَهُ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، إِذَا كَانَتْ فِي جَوْفِهِ، وَيَنْجِي اللَّهُ بِهَا صَاحِبَهَا مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَو دِدَتْ أُمَّتًا فِي قَلْبِ كُلِّ إِنْسَانٍ مِنْ أُمَّتِي»<sup>(٢)</sup>.

<sup>(١)</sup> (ضعيف جداً) أخرجه الترمذي: (٢٨٩٠) من طريق يحيى بن عمرو بن مالك النكري عن أبيه عن أبي الجوزاء عن ابن عباس به. وهذا إسناد ضعيف جداً؛ فإن يحيى بن عمرو بن مالك النكري هذا ضعيف جداً وقد كان حماد بن زيد يرميه بالكذب، وذكر الذهبي هذا الحديث في «الميزان» من مناكيره.

\* وأما قوله في سورة الملك: «هي المانعة هي المنجية تنجيه من عذاب القبر» فقد ثبت في أحاديث أخرى ففي «مستدرک الحاكم» (٤٩٨/٢)، و«فضائل القرآن» لابن الضريس (٢٣٣)، و«فضائل القرآن» للفريابي (٢٩) من طريق عاصم عن زر بن حبيش عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال في سورة الملك: «هي المانعة تمنع من عذاب القبر».

وأخرجه الطبراني في «الكبير» (١٤٢/١٠) من طريق عاصم عن زر عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كنا نسميها في عهد رسول الله ﷺ المانعة». وإسناده حسن موقوفاً وهو في حكم المرفوع فإن ابن مسعود قد أضاف هذا القول إلى النبي ﷺ.

وسياتي حديث أبي هريرة وأنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن سورة الملك شفعت لرجل حتى دخل الجنة.

<sup>(٢)</sup> (ضعيف) أخرجه عبد بن حميد في «المنتخب» (٦٠١) وإسناده ضعيف؛ فيه إبراهيم بن الحكم بن أبان العدني وهو ضعيف شديد الضعف.

قَالَ أَبُو عَمْرِو بْنِ عَبْدِ الْبَرِّ: وَصَحَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنْ سُورَةٌ: ثَلَاثِينَ آيَةً شَفَعَتْ فِي صَاحِبِهَا حَتَّىٰ غُفِرَ لَهُ، ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ [الملك: ١]»<sup>(١)</sup>.  
 وَفِي «سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ» مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِرَفْعِهِ: «مَنْ مَاتَ مَرِيضًا مَاتَ شَهِيدًا، وَوُقِيَ فِتْنَةُ الْقَبْرِ وَعُذِيَ وَرِيحَ عَلَيْهِ بَرَزِقٍ مِنَ الْجَنَّةِ»<sup>(٢)</sup>.

\* والجزء المرفوع منه: «لوددت أنها في قلب كل إنسان من أمتي». أخرجه الطبراني في «الكبير» (١١/ ٢٤١ - ٢٤٢) من طريق إبراهيم بن الحكم عن أبيه به.

وأخرجه الحاكم (١/ ٥٦٥) من طريق حفص بن عمر العدني عن الحكم بن أبان به. فهذه متابعة من حفص ابن عمر لإبراهيم بن الحكم ولكن حفص بن عمر ضعيف أيضًا، فيظهر لي أن الحديث لا يتقوى من هذين الطريقين، والله أعلم.

<sup>(١)</sup> (حسن لغيره) أخرجه أحمد: (٢/ ٢٩٩)، وأبو داود: (١٤٠٠)، والترمذي: (٢٨٩١)، وابن ماجه (٣٧٨٦) من طرق عن شعبة عن قتادة عن عباس الجشمي عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ به. ورجال إسناده كلهم ثقات غير عباس الجشمي وقد روى عنه اثنان - الجريري وقاتدة - وذكره ابن حبان في الثقات، وقال الحافظ في التقریب: مقبول.

وأما عن قتادة فلا تضر هنا؛ لأن الراوي عنه شعبة. وأيضًا قد صرح بالسماع عند أبي عبيد في فضائل القرآن ص (٢٦٠).

\* وللحديث شاهد عن أنس أخرجه الطبراني في «الصغير» (١/ ١٩٢) فقال حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ بْنِ يَحْيَى الطَّبِيبُ البَصْرِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فُرُوخٍ قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَامٌ بْنُ مُسْكِينٍ، عَنْ ثَابِتِ البَنَانِيِّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ ﷺ: «سُورَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هِيَ إِلَّا ثَلَاثُونَ آيَةً، خَاصَمَتْ عَنْ صَاحِبِهَا حَتَّىٰ أَدْخَلَتْهُ الْجَنَّةَ، وَهِيَ سُورَةُ تَبَارَكَ». شيبان بن فروخ صدوق وبقية رجاله ثقات إلا سليمان بن داود شيخ الطبراني فلم أجد له ترجمة. وقد قال الهيثمي في هذا الحديث: «رجاله رجال الصحيح». وفيه نظر كما تقدم أن شيخ الطبراني لم أجد له ترجمة فالله أعلم، إلا أن هذا الحديث في الشواهد.

<sup>(٢)</sup> (ضعيف جدًا) أخرجه ابن ماجه (١٦١٥) من طريق ابن جريج عن إبراهيم بن محمد بن أبي عطاء عن موسى بن وردان عن أبي هريرة به. وهذا إسناد ضعيف جدًا؛ إبراهيم بن محمد بن أبي عطاء هو ابن أبي يحيى كذبته جماعة من الأئمة.

وَفِي "سَنَنِ النَّسَائِيِّ" عَنْ جَامِعِ بْنِ شَدَّادٍ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ يَسَارٍ <sup>(١)</sup> يَقُولُ: كُنْتُ جَالِسًا مَعَ سُلَيْمَانَ بْنِ صَرْدٍ وَخَالِدِ بْنِ عَرْفَطَةَ، فَذَكَرُوا: أَنَّ رَجُلًا مَاتَ بِيَطْنِهِ فَإِذَا هُمَا يَشْتَهِيَانِ أَنْ يَكُونَا شَهِدَا جَنَازَتِهِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِلْآخَرِ: أَلَمْ يَقُلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَتَلَهُ بَطْنُهُ لَمْ يَعْذَبْ فِي قَبْرِهِ» <sup>(٢)</sup>.

وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ فِي "مُسْنَدِهِ" حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ جَامِعِ بْنِ شَدَّادٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي.. فَذَكَرَهُ، وَزَادَ فَقَالَ الْآخَرُ: بَلَى <sup>(٣)</sup>.

وَفِي "الترمذي" من حديث ربيعة بن سيف عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر»، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب وليس إسناده بمتمصل ربيعة بن سيف إنما يروى

والحديث أخرجه ابن الجوزي في "الموضوعات" (٢١٦/٣) ثم ذكر أنه قد روي من طريق ابن جريج عن أبي الذئب عن أبي هريرة به. وأبو الذئب هو إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى وإنما كنهه تدليسا. <sup>(١)</sup> وقع في الأصل (عبد الله بن يشكر) وهو تصحيف، وما أثبتناه من (ش) و(ف) وهو كذلك في مصادر التخريج.

<sup>(٢)</sup> (صحيح) أخرجه النسائي: (٢٠٥٢)، وأحمد: (٢٦٢/٤) من طريق شعبة عن جامع بن شداد به. وإسناده صحيح رجاله ثقات.

<sup>(٣)</sup> أخرجه الطيالسي (١٢٨٨) فقال حدثنا شعبة قال أخبرني جامع بن شداد عن عبد الله بن يسار به. ولم أجده عند الطيالسي من طريق أحمد بن جامع بن شداد. وقد ذكره القرطبي في "التذكرة" فقال: وخرج النسائي عن جامع بن شداد... فذكره ثم قال: أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده فقال حدثنا شعبة قال أخبرني جامع بن شداد فذكره وزاد فقال الآخر: بل. انتهى.

فالقرطبي كما ترى عزاها إلى الطيالسي من طريق شعبة عن جامع بن شداد. وعندني أن هذا العزو منها لا داعي له إذ هذه الزيادة «فقال الآخر: بل» قد وقعت عند النسائي وأحمد، وابن القيم قد ذكر الحديث أولاً من سنن النسائي، فلا أدري ما سبب هذا العزو؟

عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحَبَلِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو وَلَا يَعْرِفُ لِرَبِيعَةَ بْنِ سَيْفٍ سَمَاعٌ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عَمْرٍو أَنْتَهَى<sup>(١)</sup>.

وَقَدْ رَوَى التِّرْمِذِيُّ الْحَكِيمُ مِنْ حَدِيثِ رَبِيعَةَ بْنِ سَيْفٍ هَذَا عَنْ عِيَاضِ بْنِ عَقْبَةَ الْفَهْرِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو<sup>(٢)</sup>.

وَقَدْ رَوَاهُ أَبُو نَعِيمٍ الْحَافِظُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدَرِ عَنْ جَابِرِ مَرْفُوعًا وَلَفْظُهُ: «مَنْ مَاتَ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ أَوْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أُجِرَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَجَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهِ طَابَعُ الشُّهَدَاءِ».

<sup>(١)</sup> (حسن لغیره) أخرجه الترمذي: (١٠٧٤) من طريق هشام بن سعد عن سعيد بن أبي هلال عن ربعة بن سيف به. وهذا إسناد ضعيف؛ هشام بن سعد فيه ضعف، وربعة بن سيف ضعيف ولم يسمع من عبد الله بن عمرو كما قال الترمذي.

\* وللحديث طريق أخرى عند أحمد: (٢/٢٢٠) قال حدثنا إبراهيم بن أبي العباس حدثني بقية حدثني معاوية بن سعيد التجيبي سمعت أبا قبيل المصري عن عبد الله بن عمرو به. وهذا إسناد لا بأس به؛ إبراهيم بن أبي العباس هو السامري ثقة، وبقية هو ابن الوليد وقد صرح عن شيخه وشيخه، ومعاوية بن سعيد التجيبي روى عنه جمع وذكره ابن حبان في الثقات، وأبو قبيل المصري هو حبي بن هانئ المعافري ثقة. فالحديث من هذين الطريقين حسن، والله أعلم.

<sup>(٢)</sup> أخرجه الحكيم الترمذي في «نوادير الأصول» (٢/١٢١٨) -الأصل التاسع والسبعون والمائتان - فقال: حدثنا أبو قلابة عبد الله بن محمد بن عبد الله الرقاشي، أنبأنا بشر بن عبد الله، حدثنا هشام بن سعد عن سعيد بن أبي هلال عن ربعة بن سيف الإسكندراني عن عياض بن عقبة الفهري به. وإسناده ضعيف؛ هشام بن سعد وربعة بن سيف كلاهما ضعيف، وعياض بن عقبة الفهري لم أجده ترجمته.

تنبيه:

قوله: «أنبأنا بشر بن عبد الله» صوابه بشر بن عمر الزهراني فإن المزي قد ساق الحديث في «تهذيب الكمال» (١١٦/٩) من طريق بشر بن عمر عن هشام بن سعد به، ومما يؤكد هذا أني لم أر من ذكر بشر بن عبد الله في الرواة عن هشام بن سعد.

تفرد به عمر بن موسى الوجيهي، وهو مدني ضعيف<sup>(١)</sup>.

وقوله **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: «كفي ببارقة السيوف على رأسه فتنة» معناه والله أعلم: قد امتحن نفاقه من إيمانه ببارقة السيوف على رأسه، فلم يفر فلو كان منافقاً لما صبر لبارقة السيوف على رأسه، فدل على أن إيمانه هو الذي حمى على بذل نفسه لله وتسليمها له، وهاج من قلبه حمية الغضب لله ورَسُوله وإظهار دينه وإعزاز كلمته، فهذا قد أظهر صدق ما في ضميره، حيث برز للقتل، فاستغنى بذلك عن الامتحان في قبره.

قال أبو عبد الله القرطبي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** إذا كان الشهيد لا يفتن، فالصديق أجل خطراً، وأعظم أجراً أن لا يفتن؛ لأنه مقدم ذكره في التنزيل على الشهداء، وقد صح في المرابط الذي هو دون الشهيد: أنه لا يفتن، فكيف بمن هو أعلى رتبة منه ومن الشهيد<sup>(٢)</sup>.

<sup>(١)</sup> (ضعيف جداً) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣/١٥٥-١٥٦) من طريق عمر بن موسى بن الوجيه عن محمد بن المنكدر عن جابر به. وإسناده ضعيف جداً؛ عمر بن موسى بن الوجيه الوجيهي متروك وقد اتهم بالوضع.

فائدة:

هذا الحديث جاء أيضاً عن أنس بن مالك **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أخرجه أبو يعلى (٧/١٤٦) من طريق واقد بن سلامة عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أن النبي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: «من مات يوم الجمعة وفي عذاب القبر». وإسناده ضعيف؛ لضعف سلامة بن واقد ويزيد الرقاشي.

<sup>(٢)</sup> في «التذكرة» (١/١٩٢)، وهذا الذي ذكره القرطبي جزم به الحكيم الترمذي في نوادر الأصول (٢/١٢١٧) -الأصل التاسع والسبعون والمائتان- حيث قال: (... ثم قال: ﴿ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، وتأويله عندنا - والله أعلم - أن من مشيئته أن يرفع مرتبة أقوام عن السؤال وهم الصديقون والشهداء (...). وقال الشيخ ابن عثيمين في «شرح الواسطية» ص (٤٧٦): (وأما الصديقون فلا يُسألون لأن مرتبة الصديقين أعلى من مرتبة الشهداء، فإذا كان الشهداء لا يُسألون فالصديقون من باب أولى، ولأن الصديق على وصفه مصدقٌ وصادق فهو قد علم صدقه فلا حاجة إلى

وَالْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ تَرِدُ هَذَا الْقَوْلَ، وَتَبِينُ أَنَّ الصَّدِيقَ يَسْأَلُ فِي قَبْرِهِ كَمَا يَسْأَلُ  
غَيْرَهُ، وَهَذَا عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَأْسَ الصَّدِيقَيْنِ، وَقَدْ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا أَخْبَرَهُ عَنْ  
سُؤَالِ الْمَلِكِ فِي قَبْرِهِ؟ فَقَالَ: وَأَنَا عَلَى مِثْلِ حَالَتِي هَذِهِ فَقَالَ: «نَعَمْ»، وَذَكَرَ الْحَدِيثَ <sup>(١)</sup>.

اختباره؛ لأن الاختبار لمن يُشَكُّ فيه هل هو صادق أو كاذب، أما إذا كان صادقاً فلا حاجة تدعو لسؤاله،  
وذهب بعض العلماء إلى أنهم يسألون لعموم الأدلة والله أعلم).

<sup>(١)</sup> هذا الحديث له طرق منها:

ما أخرجه ابن حبان (٣١١٥)، والآجري في الشريعة (٨٦٢)، وابن عدي في الكامل (٣/٣٨٨) من طريق  
عبد الله بن وهب حدثني حبي بن عبد الله المعافري أن أبا عبد الرحمن الحبلي حدثه عن عبد الله بن عمرو أن  
رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكر فتاني القبر فقال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أو ترد إلينا عقولنا قال: «نعم، كهيتكم  
اليوم» فقال عمر: في فيه الحجر.

وأخرجه أحمد: (١٧٢/٢) فقال حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثني حبي بن عبد الله به.

وهذا إسناد فيه ضعف؛ أبو عبد الرحمن الحبلي هو عبد الله بن يزيد المعافري ثقة، وحبي بن عبد الله المعافري  
مختلف فيه قال أحمد: أحاديثه مناكير، وقال البخاري: فيه نظر، وقال النسائي: ليس بالقوي، وقال في  
موضع آخر: ليس ممن يُعتمد عليه. السنن الكبرى (١٩٧١)، وقال ابن معين: ليس به بأس، وقال ابن  
عدي: أرجو أن لا بأس به إذا روى عنه ثقة. فالظاهر من هذا أنه ضعيف يعتبر به، إذ كلام أحمد والبخاري  
فيه شديد.

\* وله شاهد مرسل عن عطاء بن يسار:

أخرجه الحارث بن أبي أسامة في مسنده - كما في «بغية الباحث» (١/٣٧٩) - والآجري في «الشريعة»  
(٨٦١)، والبيهقي في «إثبات عذاب القبر» ص (٩١) من طرق عن إبراهيم بن سعد عن أبيه عن عطاء  
بن يسار قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَمْرٍو بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يَا عَمْرُؤُ كَيْفَ أَنْتَ إِذَا أُعِدَّ لَكَ مِنَ الْأَرْضِ  
ثَلَاثَةُ أَذْرُعٍ وَشِبْرٌ فِي عَرْضِ ذِرَاعٍ وَشِبْرٌ؟ ثُمَّ قَامَ إِلَيْكَ أَهْلُكَ، فَغَسَّلُوكَ وَكَفَّنُوكَ وَحَنَطُوكَ ثُمَّ حَمَلُوكَ حَتَّى  
يُغَيَّبُوكَ فِيهِ، ثُمَّ يَهْبِلُوا عَلَيْكَ التُّرَابَ، ثُمَّ انْصَرَفُوا عَنْكَ، وَأَتَاكَ مُسَائِلُ الْقَبْرِ: مُتَكَّرٌ وَنَكِيرٌ، أَصْوَابُهُمْ مِثْلُ  
الرَّعْدِ الْقَاصِفِ، وَأَبْصَارُهُمْ مِثْلُ الْبَرْقِ الْخَاطِطِ، قَدْ سَدَلَا شُعُورَهُمَا، فَتَلْتَلَاكَ وَتَهْوَلَاكَ وَقَالَا: مَنْ رَبُّكَ؟  
وَمَا دِينُكَ؟» قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَيَكُونُ مَعِيَ قَلْبِي الَّذِي هُوَ مَعِيَ الْيَوْمَ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: إِذْنًا أَكْفِيكَهُمَا بِإِذْنِ

الله عَزَّ وَجَلَّ. وهذا إسناد رجاله ثقات؛ إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف هو ثقة وأبوه ثقة، وكذا عطاء بن يسار.

\* وله شاهد مرسل عن عمرو بن دينار:

أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٣/٥٨٢-٥٨٣) عن معمر بن عمرو بن دينار أن النبي ﷺ قال لعمر: «كَيْفَ بَكَ يَا عُمَرُ بِفَتَانِي الْقَبْرِ إِذَا أَتَيْتَكَ بِأَنْبِيَائِهِمْ، وَيَطَّانَ فِي أَشْعَارِهِمْ، أَعْيُنُهُمَا كَالْبَرْقِ الْخَاطِفِ، وَأَصْوَاتُهُمَا كَالرَّعْدِ الْقَاصِفِ، مَعَهُمَا مِرْزَبَةٌ لَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهَا أَهْلُ مَنَى لَمْ يَقْلُوهَا؟» قَالَ عُمَرُ: وَأَنَا عَلَى مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ؟ قَالَ: «وَأَنْتَ عَلَى مَا أَنْتَ عَلَيْهِ الْيَوْمَ» قَالَ: إِذَا أَكْفَيْتَهُمَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ. قَالَ: وَكَانَ عُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ يَقُولُ: نَعَمْ، ذَلِكَ مُنْكَرٌ وَتَكْوِيرٌ. وهذا إسناد رجاله ثقات.

\* وللحديث شواهد دون ذكر قصة عمر منها:

حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخرجه البيهقي في «الشعب» (١/٣٥٨) والطبري في «تهذيب الآثار» (٧٢٣) من طريق مُحَمَّد بن إسحاق الصاعاني أنبأنا أَبُو النَّضْرِ هَاشِم بن الْقَاسِم حَدَّثَنَا عَيْسَى بن الْمَسِيْب عَنْ عدي بن ثَابِت عَنْ الْبَرَاء بن عَازِب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ وَقَالَ فِي ذِكْرِ الْكَافِرِ: «فَيُرَدُّ إِلَى مَضْجَعِهِ، فَيَأْتِيهِ مُنْكَرٌ، وَنَكِيرٌ يُبَيِّنَانِ الْأَرْضَ بِأَنْبِيَائِهِمْ، وَيُلْحِقَانِ الْأَرْضَ بِأَشْعَارِهِمَا، وَأَصْوَاتُهُمَا كَالرَّعْدِ الْقَاصِفِ، وَأَبْصَارُهُمَا كَالْبَرْقِ الْخَاطِفِ، فَيَجْلِسَانِهِ ثُمَّ يَقُولَانِ: يَا هَذَا، مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي...». الحديث. وهذا إسناد رجاله ثقات إلا عيسى بن المسيب فمختلف فيه ضعفه الجمهور، وقال ابن عدي: هو صالح الحديث.

\* ومنها: حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخرجه الطبراني في «الأوسط»: (٤٦٢٦) فقال حدثنا عبيد الله بن محمد بن عبد الرحيم البرقي حدثنا عمرو بن خالد الحراني حدثنا ابن لهيعة عن موسى بن جبير الحداء أنه سمع أبا أمامة بن سهل بن حنيف ومحمد بن عبد الرحمن بن ثوبان يحدثان عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ به. عبيد الله بن محمد شيخ الطبراني روى عنه النسائي والطبراني وغيرهما، وقال فيه النسائي: صالح، وقال ابن حجر صدوق. وشيخه عمرو بن خالد ثقة، وابن لهيعة ضعيف، وموسى بن جبير روى عنه جمع وذكره ابن حبان في الثقات وقال: يخطئ ويخالف، وقال الذهبي في الكاشف: ثقة. وأبو أمامة بن سهل بن حنيف اسمه أسعد له رؤية معدود في الصحابة، ومحمد بن عبد الرحمن بن ثوبان ثقة.

\* وللحديث طرق شديدة الضعف أذكرها لبيانها منها:



وَقَدْ اختلف الناس في الأنبياء هل يُسألون في قبورهم؟  
على قولين: وهما: وَجْهَانِ فِي مَذْهَبِ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ<sup>(١)</sup>.

\* حديث ابن عباس رضي الله عنهما، أخرجه البيهقي في "إثبات عذاب القبر" ص (٩٢) وفي إسناده محمد بن عمر الواقدي متروك اتهمه جماعة بالوضع.

\* ومنها: حديث عمر رضي الله عنه أخرجه ابن أبي داود في "كتاب البعث" (٧)، والبيهقي في "إثبات عذاب القبر" ص (٩٣)، والذهبي في "الميزان" (٤/١٦٧-١٦٨) من طريق مفضل بن صالح حدثنا إساعيل بن أبي خالد عن أبي شمر عن عمر. وهذا إسناد ضعيف جداً؛ مفضل بن صالح هو الأسدي الكوفي قال البخاري وأبو حاتم: منكر الحديث. وأبو شمر قال الذهبي في "الميزان": فيه جهالة.

تنبيه:

اختلفت مصادر التخريج في تسمية أبي شمر، فوقع في كتاب البعث: أبو شهر.

وفي إثبات عذاب القبر: أبو سهيل.

وفي الاعتقاد للبيهقي: أبو سهل.

وفي "الميزان": أبو شمر، ثم قال أبو شهيم ويقال: أبو شهر.

\* ومنها: حديث تميم الداري رضي الله عنه أخرجه أبو يعلى - كما في "تفسير ابن كثير" الآية «٢٧» من سورة إبراهيم - وفي إسناده بكر بن خنيس ضعيف، وضرار بن عمرو وهو الملطي متروك، ويزيد الرقاشي شديد الضعف.

<sup>(١)</sup> وعن حكي الخلاف شيخ الإسلام - كما في "مجموع الفتاوى" (٤/٢٥٧)، والحافظ ابن حجر في "فتح الباري" (٣/٣٠٣).

وقد أخرج الشيخان عن أسماء رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أوحى إلي أنكم تفتنون في قبوركم». وهذا خطاب للأمة أخبرهم فيه بحصول الفتنة عليهم في القبور فلو كان داخلاً في هذا الأمر لأخبر بذلك عن نفسه كما أخبرهم عن أنفسهم، وأيضاً الأنبياء يُسأل الناس عنهم ويفتنون بهم ويدل عليه ما أخرجه أحمد بسند صحيح عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وأما الفتنة فهي تفتنون وعني تسألون»، وأيضاً القصد من الفتنة هو اختبار صدق الإيمان ولذا انتفت عن الشهيد الذي قد علم صدق إيمانه، فالأنبياء من باب أولى وأحرى إذ لا يكون إيمان فرد من الأمم إلا بموافقة ما عليه نبيّه، فمن هذه الأدلة يتبين لنا أن

وَلَا يَلْزَمُ مِنْ هَذِهِ الْخَاصِيَةِ الَّتِي اخْتَصَّ بِهَا الشَّهِيدُ أَنْ يُشَارِكُهُ الصَّدِيقُ فِي حَكْمِهَا، وَإِنْ كَانَ أَعْلَى مِنْهُ، فَخَوَاصُ الشُّهَدَاءِ، قَدْ تَنَنَّفِي عَمَّنْ هُوَ أَفْضَلُ مِنْهُمْ، وَإِنْ كَانَ أَعْلَى مِنْهُمْ دَرَجَةً.

وَأَمَّا حَدِيثُ ابْنِ مَاجَهَ: «مَنْ مَاتَ مَرِيضًا مَاتَ شَهِيدًا وَوَقِيَ فِتْنَةَ الْقَبْرِ»<sup>(١)</sup>، فَمَنْ إِفْرَادَ ابْنَ مَاجَهَ، وَفِي إِفْرَادِهِ غَرَائِبُ وَمُنْكَرَاتٌ، وَمِثْلُ هَذَا الْحَدِيثِ مِمَّا يَتَوَقَّفُ فِيهِ، وَلَا يَشْهَدُ بِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَإِنْ صَحَّ فَهُوَ مُقَيَّدٌ بِالْحَدِيثِ الْآخَرَ، وَهُوَ الَّذِي يَقْتُلُهُ بَطْنُهُ، فَإِنْ صَحَّ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «الْمَبْطُونُ شَهِيدٌ»<sup>(٢)</sup>، فَيَحْمَلُ هَذَا الْمَطْلُوقَ عَلَى ذَلِكَ الْمُقَيَّدِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَدْ جَاءَ فِيهَا يُنْجِي مِنَ عَذَابِ الْقَبْرِ حَدِيثٌ فِيهِ الشَّفَاءُ، رَوَاهُ أَبُو مُوسَى الْمَدِينِيُّ، وَبَنَى عَلَيْهِ كِتَابَهُ فِي «التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ» وَجَعَلَهُ شَرْحًا لَهُ، رَوَاهُ مِنْ حَدِيثِ الْفَرَجِ بْنِ فَضَالَةَ: حَدَّثَنَا هَلَالُ أَبُو جَبَلَةَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمَسِيْبِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ فِي صُفَّةِ الْمَدِينَةِ، فَقَامَ عَلَيْنَا فَقَالَ:

«إِنِّي رَأَيْتُ الْبَارِحَةَ عَجَبًا، رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي أَتَاهُ مَلِكُ الْمَوْتِ لِيَقْبُضَ رُوحَهُ، فَجَاءَهُ بِهِ بِوَالِدِيهِ فَرَدَّ مَلِكُ الْمَوْتِ عَنْهُ.

وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَدْ بُسُطَ عَلَيْهِ عَذَابُ الْقَبْرِ، فَجَاءَهُ وَضَوْؤُهُ فَاسْتَنْقَذَهُ مِنْ ذَلِكَ.

الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام- لا يفتنون في قبورهم وقد رجح هذا القول العلامة ابن عثيمين في شرحه على "الواسطية" ص (٤٧٦) والله أعلم.

(١) (ضعيف جدًا) تقدم تخريجه في هذه المسألة ص ( ).

(٢) أخرجه البخاري: (٥٧٣٣) ومسلم: (١٩١٤) عن أبي هريرة رَوَاهُ اللَّهُ عَنْهُ.

وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَدْ اِحْتَوَشْتَهُ الشَّيَاطِينُ<sup>(١)</sup> فَجَاءَ ذَكَرَ اللَّهِ فَطَرَدَ الشَّيَاطِينَ عَنْهُ.  
وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَدْ اِحْتَوَشْتَهُ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَجَاءَتْهُ صَلَوَاتُهُ فَاسْتَنْقَذَتْهُ  
مِنْ أَيْدِيهِمْ.

وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي يَلْهَثُ عَطْشًا كَلِمًا دَنَا مِنْ حَوْضٍ مَنَعَ وَطَرْدَ، فَجَاءَهُ صِيَامُ  
شَهْرِ رَمَضَانَ فَأَسْقَاهُ، وَأَرَوَاهُ.

وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي، وَرَأَيْتُ النَّبِيَّ جُلُوسًا حَلَقًا حَلَقًا، كَلِمًا دَنَا إِلَى حَلَقَةِ طَرْدَ،  
فَجَاءَهُ غَسَلُهُ مِنَ الْجَنَابَةِ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ فَأَقْعَدَهُ إِلَى جَنْبِي.

وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ظِلْمَةٌ، وَمِنْ خَلْفِهِ ظِلْمَةٌ، وَعَنْ يَمِينِهِ ظِلْمَةٌ،  
وَعَنْ يَسَارِهِ ظِلْمَةٌ، وَمِنْ فَوْقِهِ ظِلْمَةٌ، وَهُوَ مَتَحِيرٌ فِيهِ فَجَاءَهُ حُجْبُهُ وَعَمَرْتُهُ فَاسْتَخْرَجَاهُ  
مِنَ الظِّلْمَةِ وَأَدْخَلَاهُ فِي النُّورِ.

وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي يَتَّقِي بِوَجْهِهِ وَهَجَّ النَّارَ وَشَرَّهَا فَجَاءَتْهُ صِدْقَتُهُ فَصَارَتْ  
سِتْرًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ، وَظَلَّلَ عَلَى رَأْسِهِ.

وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي يَكَلِمُ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَكَلِّمُونَهُ فَجَاءَتْهُ صَلَاتُهُ لِرَحْمِهِ، فَقَالَتْ: يَا  
مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ إِنَّهُ كَانَ وَصُولًا لِرَحْمِهِ فَكَلِّمُوهُ، فَكَلَّمَهُ الْمُؤْمِنُونَ، وَصَافِحُوهُ وَصَافِحَهُمْ.  
وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَدْ اِحْتَوَشْتَهُ الزَّبَانِيَّةُ<sup>(٢)</sup> فَجَاءَ أَمْرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَمَنْعِهِ عَنِ  
الْمُنْكَرِ، فَاسْتَنْقَذَتْهُ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَأَدْخَلَتْهُ فِي مَلَائِكَةِ الرَّحْمَةِ.

وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي جَائِعًا عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ، فَجَاءَهُ حَسَنُ  
خَلْقِهِ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ فَأَدْخَلَهُ عَلَى اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ.

(١) أي جعلوه وسطهم. النهاية (حوش).

(٢) هم ملائكة العذاب.

وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَدْ ذَهَبَتْ صَحِيفَتُهُ مِنْ قَبْلِ شِمَالِهِ، فَجَاءَهُ خَوْفُهُ مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَأَخَذَ صَحِيفَتَهُ فَوَضَعَهَا فِي يَمِينِهِ.

وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي خَفَ مِيزَانَهُ، فَجَاءَهُ أَفْرَاطُهُ<sup>(١)</sup> فَتَقَلَّبُوا مِيزَانَهُ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَائِمًا عَلَى شَفِيرِ جَهَنَّمَ، فَجَاءَهُ رَجَاؤُهُ مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَاسْتَنْقَذَهُ مِنْ ذَلِكَ، وَمَضَى.

وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَدْ هَوَى فِي النَّارِ فَجَاءَتْهُ دَمَعَتُهُ النَّبِيَّ قَدْ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَاسْتَنْقَذَتْهُ مِنْ ذَلِكَ.

وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَائِمًا عَلَى الصَّرَاطِ يَرْعُدُ كَمَا تَرْعُدُ السَّعْفَةُ<sup>(٢)</sup> فِي رِيحِ عَاصِفٍ، فَجَاءَهُ حَسَنُ ظَنِّهِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَسَكَنَ رُوعَهُ، وَمَضَى.

وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي يَزْحَفُ عَلَى الصَّرَاطِ، وَيَجْثُو أحيانًا وَيَتَعَلَّقُ أحيانًا فَجَاءَتْهُ صَلَاتُهُ عَلَيَّ، فَأَقَامَتْهُ عَلَى قَدَمِيهِ وَأَنْقَذَتْهُ.

وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي أَنْتَهَى إِلَى أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَغَلَقَتْ الْأَبْوَابُ دُونَهُ، فَجَاءَتْهُ شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَفَتَحَتْ لَهُ الْأَبْوَابُ وَأَدْخَلَتْهُ الْجَنَّةَ. قَالَ الْحَافِظُ أَبُو مُوسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ جَدًّا، رَوَاهُ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ عُمَرَ بْنِ ذَرٍّ وَعَلِيَّ بْنَ زَيْدِ بْنِ جَدْعَانَ<sup>(٣)</sup>.

(١) جمع فَرَطٌ وهو ما تقدمك من أجر وعمل. يقال فَرَطٌ يَقْرِطُ، فَهُوَ فَارِطٌ وَفَرِطٌ إِذَا تَقَدَّمَ وَسَبَقَ الْقَوْمَ لِيَرْتَادَ هُمُ الْمَاءُ، وَبِهِيَّ هُمُ الدَّلَاءُ وَالْأَرَشِيَّةُ. وَمِنْهُ الدُّعَاءُ لِلطُّفْلِ الْمَيِّتِ «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ لَنَا فَرَطًا» أَي أَجْرًا يَتَقَدَّمُنَا. يُقَالُ: افْتَرَطَ فُلَانٌ ابْنًا لَهُ صَغِيرًا إِذَا مَاتَ قَبْلَهُ. «لسان العرب» و«النهاية» (فرط).

(٢) السَّعْفَةُ بالتحريك أغصان النخيل، وقيل: إذا يبست سميت سعفة، وإذا كانت رطبة فهي شطبة. «النهاية» (سعف).

(٣) (ضعيف) لم أقف على كتاب أبي موسى المديني، وقد أخرجه من هذه الطريق ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١١٦٥)، وإسناده ضعيف؛ الفرغ بن فضالة ضعيف، وهلال أبو جيلة مجهول، قال ابن

وَنَحْوُ هَذَا الْحَدِيثِ مِمَّا قِيلَ فِيهِ: أَنْ رُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ وَحِي، فَهِيَ عَلَى ظَاهِرِهَا لَا كُنْحُو مَا رَوَى عَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «رَأَيْتُ كَأَنَّ سَيْفِي انْقَطَعَ فَأَوَّلْتُهُ كَذًّا وَكَذًّا وَرَأَيْتُ بَقْرًا تَنْحَرُ». <sup>(١)</sup>. «وَرَأَيْتُ كَأَنَّ فِي دَارِ عَقْبَةَ بْنِ رَافِعٍ». <sup>(٢)</sup>.

الجوزي: «هذا حديث لا يصح فيه هلال أبو جبلة مجهول، وفيه الفرج بن فضالة قال ابن حبان: يقلب الأسانيد، ويلزق المتون الواهية بالأسانيد الصحيحة، لا ليجل الاحتجاج به».

\* وللحديث طريق أخرى:

أخرجه الطبراني في الأحاديث الطوال رقم (٣٩) - الملحق «بالمعجم الكبير»: (٢٨١-٢٨٢) فقال حدثنا علي بن عبد العزيز حدثنا سليمان بن أحمد الواسطي، حدثنا مروان بن معاوية الفزاري، حدثنا الوزير بن عبد الرحمن عن علي بن زيد بن جدعان، عن سعيد بن المسيب به. وهذا إسناد ضعيف جداً؛ سليمان بن أحمد الواسطي كذبه ابن معين وصالح جزرة، وقال ابن عدي: هو عندي ممن يسرق الحديث. والوزير بن عبد الرحمن هو الجزري قال ابن معين: ليس بشيء، وضعفه أبو زرعة والعقيلي ويعقوب بن شيبة والساجي. وعلي بن زيد بن جدعان ضعيف.

\* وله طريق ثالثة:

أخرجه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١١٦٦) من طريق ابن حبان قال أخبرنا الحسين بن عبد الله بن يزيد القطان حدثنا عامر بن سيار أخبرنا مخلد بن عبد الواحد الهذيل البصري عن علي بن زيد بن جدعان به. وهذا إسناد ضعيف جداً عامر بن سيار مجهول، ومخلد بن عبد الواحد قال فيه ابن حبان: منكر الحديث جداً، وذكره الذهبي في الميزان ونقل قول ابن حبان وذكر له هذا الحديث، وعلي بن زيد بن جدعان ضعيف.

فالحديث من هذه الطرق ضعيف، وقد وضعفه العلامة الألباني في «الضعيفة» (٧١٢٩) بقوله: «منكر جداً اضطرب فيه الرواة سنداً ومتناً، واتفق الحفاظ المتقدمون ومن سار سيرهم على استنكاره وتضعيفه...»، ثم أطال في تخريجه فراجعه إن شئت فإنه مفيد.

<sup>(١)</sup> أخرجه البخاري: (٣٦٢٢) ومسلم: (٢٢٧٢) عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دون قوله: «تنحر». وقد

أخرجه بهذه الزيادة النسائي في «الكبرى» (٣٨٩/٤) عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

<sup>(٢)</sup> أخرجه مسلم: (٢٢٧٠) عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَقَدْ رَوَى فِي رُؤْيَاهُ الطَّوِيلَةَ مِنْ حَدِيثِ سَمُرَةَ فِي الصَّحِيحِ<sup>(١)</sup>، وَمِنْ حَدِيثِ عَلِيٍّ<sup>(٢)</sup>، وَأَبِي أَمَامَةَ<sup>(٣)</sup>، وَرَوَايَاتِ هَوْلَاءِ الثَّلَاثَةِ قَرِيبَ بَعْضِهَا مِنْ بَعْضٍ مُشْتَمِلَةً عَلَى ذِكْرِ عَقُوبَاتِ جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ فِي الْبَرْزَخِ فَأَمَّا فِي هَذِهِ الرَّوَايَةِ فَذَكَرَ الْعُقُوبَةَ وَأَتْبَعَهَا بِمَا يُنَجِّي صَاحِبَهَا مِنَ الْعَمَلِ.

وَرَاوَى هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ ابْنِ الْمَسِيْبِ هَلَالُ أَبُو جَبَلَةَ مَدَنِي لَا يَعْرِفُ بِنَعْيِهِ هَذَا الْحَدِيثَ، ذَكَرَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ أَبِيهِ هَكَذَا، ذَكَرَهُ الْحَاكِمُ أَبُو أَحْمَدَ وَالْحَاكِمُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَبُو جَبَلِ بِلَاءَ هَاءَ وَحِكَايَاهُ عَنْ مُسْلِمٍ.

وَرَاوَاهُ عَنْهُ الْفَرَجُ بْنُ فَضَالَةَ وَهُوَ وَسَطٌ فِي الرَّوَايَةِ لَيْسَ بِالْقَوِي وَلَا الْمَثْرُوكَ، وَرَاوَاهُ عَنْهُ بَشْرُ ابْنِ الْوَلِيدِ الْفَقِيهِ الْمَعْرُوفُ بِأَبِي الْخَطِيبِ كَانَ حَسَنَ الْمَذْهَبِ جَمِيلَ الطَّرِيقَةِ، وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ يَعْظُمُ أَمْرَ هَذَا الْحَدِيثِ، وَقَالَ: أَصُولُ السُّنَّةِ تَشْهَدُ لَهُ وَهُوَ مِنْ أَحْسَنِ الْأَحَادِيثِ.

\* \* \*

<sup>(١)</sup> أخرجه البخاري: (١٣٨٦).

<sup>(٢)</sup> (موضوع) أخرجه ابن عساكر في "تاريخ دمشق" (٤٥١/١٩) و (٤٥٤/١٩) مطولاً، وابن عدي في "الكامل" (٢١٨/٦) مختصراً من طريقين عن أبي خالد الواسطي عن زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب به. وإسناده موضوع أبو خالد الواسطي هو عمرو بن خالد الكوفي كذبه وكيع وأحمد وابن معين.

<sup>(٣)</sup> (صحيح) أخرجه النسائي في "الكبرى" (٢٤٦/٢)، والحاكم (٢٠٩/٢-٢١٠)، وابن خزيمة (١٩٨٦)، ومن طريقه ابن حبان (٧٤٩١) من طرق عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن سليم بن عامر أبي يحيى الكلاعي قال حدثني أبو أمامة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: فذكره بطوله. وإسناده صحيح رجاله كلهم ثقات.

## فصل

## وأما المسألة الحادية عشرة

وهي: أن السؤال في القبر، هل هو عام في حق المسلمين والمنافقين والكفار أو يختص بالمسلم والمنافق؟

قال أبو عمر بن عبد البر في "كتاب التمهيد"<sup>(١)</sup>: والآثار الدالة تدل على أن الفتنه في القبر لا تكون إلا للمؤمن أو منافق ممن كان منسوباً إلى أهل القبلة ودين الإسلام بظاهر الشهادة، وأما الكافر الجاحد المبطل، فليس ممن يسأل عن ربه ودينه ونبيه، وإنما يسأل عن هذا أهل الإسلام، فثبت الله الذين آمنوا ويرتاب المبطلون.

والقرآن والسنة تدل على خلاف هذا القول، وأن السؤال للكافر والمسلم، قال الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

وقد ثبت في "الصحيح": "أتمها نزلت في عذاب القبر حين يسأل من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟"<sup>(٢)</sup>.

وفي "الصحيحين" عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ، أنه قال: «إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم»، وذكر الحديث<sup>(٣)</sup>، زاد البخاري: «وأما المنافق والكافر فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا

(١) (٢٥٢/٢٢).

(٢) أخرجه البخاري: (١٣٦٩)، ومسلم: (٢٨٧١) عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري: (١٣٧٤)، ومسلم: (٢٨٧٠).

أدري كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت، ويضرب بمطرقه من حديد يصيح صيحة يسمعه من يليه إلا الثقلين».

هكذا في البخاري<sup>(١)</sup> «وأما المنافق والكافر». بالواو.

وقد تقدم<sup>(٢)</sup> في حديث أبي سعيد الخدري الذي رواه ابن حبان والإمام أحمد كُنَّا فِي جَنَازَةِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تَبْتَلِي فِي قُبُورِهَا، فَإِذَا الْإِنْسَانُ دَفِنَ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ جَاءَهُ مَلِكٌ، وَفِي يَدِهِ مَطْرَاقٌ فَأَقْعَدُهُ، فَقَالَ مَا تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا، قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ لَهُ: صَدَقْتَ فَيَفْتَحُ لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، فَيَقُولُ لَهُ: هَذَا مَنْزِلُكَ لَوْ كَفَرْتَ بِرَبِّكَ.

وأما الكافر والمنافق فيقول له: مَا تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، فَيَقَالَ لَهُ: لَا دَرِيْتَ وَلَا اهِتَدَيْتَ، ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ لَهُ: هَذَا مَنْزِلُكَ لَوْ آمَنْتَ بِرَبِّكَ، فَأَمَّا إِذْ كَفَرْتَ فَإِنَّ اللَّهَ أَبْدَلَكَ بِهِ هَذَا، ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُ بَابَ إِلَى النَّارِ، ثُمَّ يَقْمَعُهُ الْمَلِكُ بِالْمَطْرَاقِ قَمْعَةً يَسْمَعُهُ خَلْقَ اللَّهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ». فَقَالَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: مَا أَحَدٌ يَقُومُ عَلَى رَأْسِهِ مَلِكٌ إِلَّا هَيْلٌ عِنْدَ ذَلِكَ<sup>(٣)</sup>، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ

(١) بالرقم المتقدم: (١٣٧٤).

(٢) كذا في كل النسخ، وحديث أبي سعيد هذا لم يتقدم، فكأن قوله: «وقد تقدم». متعلق بالحديث السابق إذ هو الذي تقدم، ثم لعله كان في الأصل: «وفي حديث أبي سعيد». فسقطت الواو.

(٣) أي إلا عاد رملاً سائلاً وكثيراً أهيل. النهاية (هيل).



الْقَابِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾ [إبراهيم]:  
[٢٧].<sup>(١)</sup>

وَفِي حَدِيثِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبِ الطَّوِيلِ: «وَأَمَّا الْكَافِرُ إِذَا كَانَ فِي قَبْلِ مِنَ الْآخِرَةِ  
وَأَنْقَطَعَ مِنَ الدُّنْيَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ مِنَ السَّمَاءِ مَعَهُمْ مُسَوِّحُونَ». وَذَكَرَ الْحَدِيثَ إِلَى أَنْ  
قَالَ: «ثُمَّ تُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ فِي قَبْرِهِ». وَذَكَرَ الْحَدِيثَ.

وَفِي لَفْظٍ: «فَإِذَا كَانَ فَاجِرًا<sup>(٢)</sup> جَاءَهُ مَلِكُ الْمَوْتِ فَجَلَسَ عِنْدَ رَأْسِهِ..». فَذَكَرَ  
الْحَدِيثَ، إِلَى قَوْلِهِ: «مَا هَذِهِ الرُّوحُ الْحَبِيثَةُ؟ فَيَقُولُونَ: فَلَانَ بِأَسْوَأَ أَسْمَائِهِ، فَإِذَا انْتَهَى بِهِ  
إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا أَغْلَقَتْ دُونَهُ، قَالَ: يَرْمَى بِهِ مِنَ السَّمَاءِ، ثُمَّ قَرَأَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ  
بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج:  
٣١]، قَالَ: فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلِكَانِ شَدِيدَا الْإِنْتِهَارِ فَيَجْلِسَانِهِ وَيَنْتَهَرَانِهِ،  
فَيَقُولَانِ مِنْ رَبِّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ لَا أُدْرِي فَيَقُولَانِ: لَا دَرَيْتَ، فَيَقُولَانِ: مَا هَذَا النَّبِيُّ  
الَّذِي بَعَثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ ذَلِكَ، لَا أُدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: لَا

<sup>(١)</sup> (حسن) لم أقف عليه عند ابن حبان، وقد أخرجه أحمد: (٣/٣-٤) من طريق عباد-يعني بن راشد-عن داود بن أبي هند عن أبي نصره عن أبي سعيد به. ورجال إسناده ثقات إلا عباد بن راشد فمختلف فيه ويظهر لي أنه لا بأس بتحسين حديثه، لا سيما مثل هذا الحديث الذي له شواهد كثيرة في الصحيحين وغيرهما كحديث البراء الطويل، والله أعلم.

<sup>(٢)</sup> في الأصل (كافرا)، وما أثبتناه من (ش) و(ف) هو الصواب، وهو الشاهد وعليه يدل كلام ابن القيم عقب الحديث فإنه قال: واسم الفاجر في عرف القرآن والسنة يتناول الكافر قطعاً.

درت، وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ [إبراهيم: ٢٧].  
وذكر الحديث<sup>(١)</sup>.

وَأَسْمُ الْفَاجِرِ فِي عُرْفِ الْقُرْآنِ وَالسَّنَّةِ يَتَنَاوَلُ الْكَافِرَ قَطْعًا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ \* وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾ [الانفطار: ١٣-١٤]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴾ [المطففين: ٧].

وَفِي لَفْظِ آخِرِ حَدِيثِ الْبَرَاءِ: «وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي قَبْلِ مِنَ الْآخِرَةِ وَأَنْقَطَعَ مِنَ الدُّنْيَا نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ شَدَادَ غَضَابٍ مَعَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ وَسَرَابِيلٌ مِنْ قَطْرَانٍ فَيَحْتَوِشُونَهُ فَتَنْزِعُ رُوحَهُ، كَمَا يَنْزِعُ السَّفُودَ الْكَثِيرَ الشَّعْبَ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْتَلِ، فَإِذَا خَرَجَتْ لَعْنَهُ كُلِّ مَلِكٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَكُلِّ مَلِكٍ فِي السَّمَاءِ». وَذَكَرَ الْحَدِيثَ إِلَى أَنْ قَالَ: «إِنَّهُ لَيَسْمَعُ حَفَقَ نَعَالِهِمْ إِذَا وَلُوا مُدْبِرِينَ، فَيُقَالُ يَا هَذَا مِنْ رَبِّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي فَيُقَالُ: لَا دَرِيْتِ»، وَذَكَرَ الْحَدِيثَ، رَوَاهُ حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ يُونُسَ بْنِ خُبَابٍ عَنِ الْمُنْهَالِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ زَادَانَ عَنِ الْبَرَاءِ<sup>(٢)</sup>.

وَفِي حَدِيثِ عَيْسَى بْنِ الْمَسِيْبِ عَنْ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ عَنِ الْبَرَاءِ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ ﷺ فِي جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَذَكَرَ الْحَدِيثَ إِلَى أَنْ قَالَ: «وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي دُبُرِ مِنَ الدُّنْيَا وَقَبْلَ مِنَ الْآخِرَةِ وَحَضَرَهُ الْمَوْتُ، نَزَلَتْ عَلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مَعَهُمْ كَفَنَ مِنْ نَارٍ وَحَنُوطٍ مِنْ نَارٍ»، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ، إِلَى أَنْ قَالَ: «فَتَرَدُّ رُوحُهُ إِلَى مَضْجَعِهِ، فَيَأْتِيهِ مُنْكَرٌ

(١) (صحيح)، تقدم تخريجه في أول المسألة السادسة ص ( ) .

(٢) بهذا اللفظ أخرجه أحمد: (٤/ ٢٩٥-٢٩٦) من طريق يونس بن خباب وهو منكر الحديث وقد كُذِّبَ. فحديث البراء في الجملة صحيح من الطرق المتقدمة، وليونس بن خباب فيه زيادات منكرة خالف فيها الثقات تقدم التنبيه على بعضها.

وَنَكِيرٍ يَثِيرَانِ الْأَرْضِ بِأَنْيَابِهِمَا وَيَفْحَصَانِ الْأَرْضَ بِأَشْعَارِهِمَا أَصْوَاتَهُمَا كَالرَّعْدِ الْقَاصِفِ وَأَبْصَارُهُمَا كَالْبَرْقِ الْخَاطِفِ، فَيَجْلِسَانِهِ ثُمَّ يَقُولَانِ: يَا هَذَا مِنْ رَبِّكَ، فَيَقُولُ: لَا أُدْرِي فَيَنَادِي مِنْ جَانِبِ الْقَبْرِ لَا دَرِيْتِ، فَيَضْرِبَانِهِ بِمِرْزَبَةٍ مِنْ حَدِيدٍ لَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهَا مِنْ بَيْنِ الْخَافِقِينَ لَمْ يُقَلَّ<sup>(١)</sup>، وَيَضِيقُ عَلَيْهِ قَبْرَهُ حَتَّى تَحْتَلِفَ أَضْلَاعُهُ». وَذَكَرَ الْحَدِيثَ.

رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» عَنْ أَبِي النَّظَرِ، هَاشِمِ بْنِ الْقَاسِمِ، حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ الْمُسَيْبِ، فَذَكَرَهُ<sup>(٢)</sup>.

وَفِي حَدِيثِ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَمَةَ عَنْ خَصِيفٍ عَنْ مُجَاهِدٍ عَنِ الْبَرَاءِ، قَالَ: كُنَّا فِي جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَمَعَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ إِلَى أَنْ قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَإِذَا وَضِعَ الْكَافِرُ أَتَاهُ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ فَيَجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: لَا أُدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: لَا دَرِيْتِ». الْحَدِيثَ، وَقَدْ تَقَدَّمَ<sup>(٣)</sup>.

وَبِالْجُمْلَةِ: فَعَامَةٌ مِنْ رَوَى حَدِيثَ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ فِيهِ: «وَأَمَّا الْكَافِرُ بِالْجَزْمِ وَبَعْضُهُمْ قَالَ: «وَأَمَّا الْفَاجِرُ»، وَبَعْضُهُمْ قَالَ: «وَأَمَّا الْمُنَافِقُ أَوْ الْمُرْتَابُ»، وَهَذِهِ [اللَّفْظَةُ] مِنْ شَكِّ بَعْضِ الرِّوَاةِ، هَكَذَا فِي الْحَدِيثِ: لَا أُدْرِي أَيُّ ذَلِكَ قَالَ. وَأَمَّا مِنْ ذِكْرِ الْكَافِرِ وَالْفَاجِرِ فَلَمْ يَشْكُ، وَرِوَايَةٌ مِنْ لَمْ يَشْكُ مَعَ كَثْرَتِهِمْ أَوْلَى مِنْ رِوَايَةٍ مِنْ شَكِّ مَعَ انْفِرَادِهِ عَلَى أَنَّهُ لَا تَنَاقُضَ بَيْنَ الرِّوَايَتَيْنِ، فَإِنَّ الْمُنَافِقَ يَسْأَلُ كَمَا يَسْأَلُ الْكَافِرَ وَالْمُؤْمِنُ، فَيَثْبِتُ اللَّهُ أَهْلَ الْإِيمَانِ، وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَهُمْ الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ.

(١) أَي: تُرْفَعُ وَتُحْمَلُ.

(٢) سَبَقَ تَخْرِيجهُ ص ( ) وَعَيْسَى بْنُ الْمُسَيْبِ ضَعِيفٌ وَقَدْ تَفَرَّدَ بِبَعْضِ الزِّيَادَاتِ فِي الْحَدِيثِ.

(٣) تَقَدَّمَ ص ( ) .

وقد جمع أبو سعيد الخدري في حديثه الذي رواه أبو عامر العقدي، حدثنا عباد بن راشد عن داود بن أبي هند عن أبي نصر عن أبي سعيد، قال: شهدنا مع رسول الله ﷺ جنازة فذكر الحديث، وقال: «وإن كان كافرًا أو منافقًا يقول له: ما تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري»<sup>(١)</sup>. وهذا صريح في أن السؤال للكافر والمنافق.

وقول أبي عمر رحمته الله: «وأما الكافر الجاحد المبطل، فليس ممن يسأل عن ربه ودينه ونبيه». فيقال له: ليس كذلك، بل هو من جملة المسئولين وأولى بالسؤال من غيره.

وقد أخبر الله في كتابه أنه يسأل [الكفار] يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿قَوْرَبَكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ \* عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢-٩٣]، وقال تعالى: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٦]، فإذا سئلوا يوم القيامة، فكيف لا يسألون في قبورهم، فليس لما ذكره أبو عمر رحمته الله وجه<sup>(٢)</sup>.

<sup>(١)</sup> (حسن) تقدم بداية هذه المسألة.

<sup>(٢)</sup> والذي رجحه ابن القيم في هذا الموضع هو الراجح وعليه تدل الأدلة - وأن السؤال في القبر عام في حق المسلم والمنافق والكافر - قال القرطبي في التذكرة (١٨٦/١) بعد أن ذكر أقوالاً في هذه المسألة: «قول أبي محمد عبد الحق أصوب والله أعلم، فإن الأحاديث التي ذكرناها من قبل تدل على أن الكافر يسأله الملكان ويختبرانه بالسؤال ويضرب بمطارق من حديد على ما تقدم والله أعلم».

وقال ابن رجب في «أهوال القبور» ص (١٦) بعد أن ذكر بعض الآثار في سؤال الملكين: «وذلك في حق الكافر والمؤمن».

وقال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٣/٣٠٣) في شرحه لحديث البراء عند قوله: «وأما المنافق والكافر»، فكر ألفاظاً وردت في الحديث ثم قال: «فأختلقت هذه الروايات لفظاً وهي مجتمعة على أن كلاً من الكافر والمنافق يسأل، ففيه تعقّب على من زعم أن السؤال إنما يقع على من يدعي الإيمان إن محققاً وإن مبطلاً، ومُستندهم في ذلك ما رواه عبد الرزاق من طريق عبيد بن عمير أحد كبار التابعين قال: «إنما يُفتن

## فصل

## وأما المسألة الثانية عشرة

وهي أن سؤال منكر ونكير هل هو مختص بهذه الأمة، أو يكون لها ولغيرها؟

رَجُلَانِ مُؤْمِنٌ وَمُنَافِقٌ وَأَمَّا الْكَافِرُ فَلَا يُسْأَلُ عَنْ مُحَمَّدٍ وَلَا يَعْرِفُهُ». وَهَذَا مَوْقُوفٌ وَالْأَحَادِيثُ النَّاصَةُ عَلَى أَنَّ الْكَافِرَ يُسْأَلُ مَرْفُوعَةً مَعَ كَثْرَةِ طُرُقِهَا الصَّحِيحَةِ فِيهِ أَوْلَى بِالْقَبُولِ، وَجَزَمَ التِّرْمِذِيُّ الْحَكِيمُ بِأَنَّ الْكَافِرَ يُسْأَلُ. انتهى.

قلت: أثر عبيد بن عمير الذي ذكره الحافظ لم أجده عند عبد الرزاق، ولكن ذكره ابن عبد البر في «التمهيد» (٢٢٢/٢٥٢) قال: «وكان عبيد بن عمير فيما ذكر ابن جريج عن الحارث بن أبي الحارث عنه يقول: «يفتن رجلاً مؤمناً ومناًقاً فأما المؤمن فيفتن سبعاً وأما المنافق فيفتن أربعين صباحاً»، وهو كما ترى معلق، وابن جريج مدلس وقد عنعن، والحارث بن أبي الحارث لم أجده له ترجمة.

\* وقد جاء هذا الأثر عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أخرجه عبد الرزاق عن ابن جريج قال: قال عبد الله بن عمر: «إنما يفتن رجلاً مؤمناً ومناًقاً، فأما المؤمن فيفتن سبعاً وأما المنافق فيفتن أربعين صباحاً وأما الكافر فلا يسأل عن محمد ولا يعرفه». وإسناده ضعيف ابن جريج مدلس ولم يصرح، ومع ذلك لم يسمع من عبد الله بن عمر فالأثر منقطع. وقد ذكر عبد الرزاق بعد هذا الأثر أثراً عن عبيد بن عمير وليس فيه ما تقدم.

\* وقال الرشيد في «التنبيهات السننية» ص (٢٢٢) عند قول شيخ الإسلام: «فإن الناس يفتنون في قبورهم» قال: «ظاهره أن السؤال في القبر عام للمؤمن والفاقد والكافر كما اختاره الشيخ تقي الدين وابن القيم وجمهور العلماء خلافاً لابن عبد البر...».

قلت: قد وافق ابن عبد البر على هذا السيوطي في «شرح الصدور» ص (١٩٠). وفي منظومته حيث قال:

قال ابن عبد البر فيما نقلوا	الكافر الصريح ليس يسأل
وإنما السؤال للمنافق	منهم كما دل حديث الصادق
والقرطبي خالف وابن القيم	والأول الأرجح عندي فاعلم

كما في «البحر الزاخرة» للسفاريني (١/١٩٧)، قال السفاريني بعد أن ذكر هذه الأبيات: «قلت: أنا أقول الثاني أرجح تبعاً للأعلام والله ولي الإنعام». والحمد لله رب العالمين.

فَهَذَا مَوْضِعٌ قَدْ تَكَلَّمَ فِيهِ النَّاسُ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ التِّرْمِذِيُّ<sup>(١)</sup>: إِنَّمَا سُؤَالَ الْمَيِّتِ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ خَاصَّةً؛ لِأَنَّ الْأُمَّمَ قَبْلَنَا كَانَتْ الرُّسُلُ تَأْتِيهِمْ بِالرِّسَالَةِ، فَإِذَا أَبَوْا كَفَتِ الرُّسُلُ وَاعْتَزَلُوهُمْ وَعَوَجَلُوا بِالْعَذَابِ، فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا بِالرَّحْمَةِ أَمَانًا لِلْخَلْقِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، أَمَسَكَ عَنْهُمْ الْعَذَابَ وَأَعْطَى السَّيْفَ حَتَّى يَدْخُلَ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ مِنْ دَخَلِ لِمَهَابَةِ السَّيْفِ، ثُمَّ يَرَسُخُ الْإِيمَانَ فِي قَلْبِهِ فَأُمْهَلُوا فَمَنْ هَا هُنَا ظَهَرَ أَمْرُ النِّفَاقِ، فَكَانُوا يُسِرُّونَ الْكُفْرَ وَيَعْلَنُونَ الْإِيمَانَ، فَكَانُوا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فِي سِتْرٍ، فَلَمَّا مَاتُوا قَيَّضَ اللَّهُ لَهُمْ فَتَانِي الْقَبْرِ لِيَسْتَخْرِجَا سِرَّهُمْ بِالسُّؤَالِ: ﴿لِيَمَيِّرَ اللَّهُ الْحَيِّثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [الأنفال: ٣٧]، ف ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

وَخَالَفَ فِي ذَلِكَ آخَرُونَ مِنْهُمْ عَبْدُ الْحَقِّ الْأَشْبِيلِيُّ وَالْقُرْطُبِيُّ<sup>(٢)</sup>، وَقَالُوا: السُّؤَالَ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ وَلِغَيْرِهَا.

وَتَوَقَّفَ فِي ذَلِكَ آخَرُونَ، مِنْهُمْ أَبُو عَمْرٍو بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ<sup>(٣)</sup>، فَقَالَ: وَفِي حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تَبْتَلَى فِي قُبُورِهَا». وَمِنْهُمْ مَنْ يَرُويهِ:

<sup>(١)</sup> هو أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن بشر الحكيم الترمذي، وكان له حِكْمٌ ومواعظ وجمالة لولا هفوة بدت منه. انظر "سير أعلام النبلاء" (٤٣٩/١٣) و"مجموع الفتاوى" (٢٦٧/١٣).

وكلامه هذا في كتابه "نوادير الأصول" (١٢١٦/٢) الأصل التاسع والسبعون والمائتان.

<sup>(٢)</sup> انظر التذكرة: (١٨٥/١-١٨٦).

<sup>(٣)</sup> انظر التمهيد (٢٥٣/٢٢).

«تُسأل»<sup>(١)</sup>، وعلى هذا اللفظ يَحْتَمَلُ أَنْ تكون هَذِهِ الأُمَّةُ خَصَتْ بِذَلِكَ، فَهَذَا أَمْرٌ لَا يَقْطَعُ عَلَيْهِ.

وَقَدْ اِحْتَجَّ مِنْ خِصِّهِ بِهِذِهِ الأُمَّةُ بِقَوْلِهِ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**: «إِنَّ هَذِهِ الأُمَّةُ تَبْتَلِي فِي قُبُورِهَا». وَبِقَوْلِهِ: «أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنْكُمْ تَفْتَنُونَ فِي قُبُورِكُمْ»<sup>(٢)</sup>، وَهَذَا ظَاهِرٌ فِي الإِخْتِصَاصِ بِهِذِهِ الأُمَّةِ، قَالُوا: وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُ الْمَلَكَيْنِ لَهُ: «مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي بَعَثَ فِيكُمْ؟» فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: «أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ»<sup>(٣)</sup>.

فَهَذَا خَاصٌّ بِالنَّبِيِّ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، وَقَوْلُهُ فِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ: «إِنَّكُمْ بِي تَمْتَحِنُونَ، وَعَنِي تَسْأَلُونَ»<sup>(٤)</sup>.

وَقَالَ الْآخَرُونَ: لَا يَدُلُّ هَذَا عَلَى إِخْتِصَاصِ السُّؤَالِ بِهِذِهِ الأُمَّةِ، دُونَ سَائِرِ الأُمَّمِ، فَإِنَّ قَوْلَهُ: «إِنَّ هَذِهِ الأُمَّةُ». إِمَّا أَنْ يُرَادَ بِهِ أُمَّةُ النَّاسِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ يُجَنِّحُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَّمٌ أُمَّتَالِكُمْ﴾ [الأَنْعَامُ: ٣٨]، وَكُلُّ جِنْسٍ مِنْ أَجْنَاسِ الْحَيَوَانَ يُسَمَّى أُمَّةً وَفِي الْحَدِيثِ: «لَوْ لَا أَنَّ الْكِلَابَ أُمَّةٌ مِنَ الأُمَّمِ لَأَمَرْتُ بِقَتْلِهَا»<sup>(٥)</sup>.

(١) أخرجه مسلم: (٢٨٦٧) باللفظ الأول.

وبلفظ «تسأل» ذكره ابن عبد البر في «التمهيد» (٢٥٤/٢٢).

(٢) أخرجه البخاري: (٨٦) ومسلم: (٢٨٧٠) عن أسهاء **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**.

وأخرجه مسلم: (٩٠٣) عن عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** ولفظه: «إني قد رأيتكم تفتنون في القبور كفتنة الدجال».

(٣) أخرجه البخاري: (١٣٧٤) ومسلم: (٢٨٧٠) عن أنس بن مالك **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

(٤) (صحيح) أخرجه أحمد: (٦/١٣٩ - ١٤٠) فقال حدثنا يزيد بن هارون قال أخبرنا ابن أبي ذئب عن محمد بن عمرو بن عطاء عن ذكوان عن عائشة به. وهذا إسناد صحيح.

(٥) (صحيح) أخرجه أحمد: (٤/٨٥)، وأبو داود: (٢٨٤٥)، والترمذي: (١٤٨٦)، والنسائي: (٤٢٨٠)،

وابن ماجه (٣٢٠٥) من طرق عن يونس بن عبيد عن الحسن بن عبد الله بن مغفل **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عن النبي

وَفِيهِ أَيضًا: حَدِيثُ النَّبِيِّ الَّذِي قَرَصَتْهُ نَمْلَةٌ فَأَمْرٌ بِقَرِيَةِ النَّمْلِ فَأُحْرِقَتْ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ مِنْ أَجْلِ أَنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ وَاحِدَةٌ أَحْرَقَتْ أُمَّةً مِنَ الْأُمَّمِ تَسْبِحُ<sup>(١)</sup>.

وَإِنْ كَانَ الْمُرَادُ بِهِ أُمَّتَهُ الَّذِي بَعَثَ فِيهِمْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا يَنْفِي سُؤَالَ غَيْرِهِمْ مِنَ الْأُمَّمِ، بَلْ قَدْ يَكُونُ ذِكْرُهُمْ أَخْبَارًا بِأَتْمُهُمْ مَسْئُولُونَ فِي قُبُورِهِمْ، وَأَنَّ ذَلِكَ لَا يَخْتَصُّ بِمَنْ قَبْلَهُمْ لِفَضْلِ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَشَرَفِهَا عَلَى سَائِرِ الْأُمَّمِ.

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ **رَضِيَ اللَّهُ**: «أَوْحَى إِلَيَّ أَنْكُمْ تَفْتَنُونَ فِي قُبُورِكُمْ».

وَكَذَلِكَ أَخْبَارُهُ عَنِ الْمَلَائِكَةِ: «مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بَعَثَ فِيكُمْ؟ هُوَ إِخْبَارٌ لِأُمَّتِهِ بِمَا تَمْتَحِنُ بِهِ فِي قُبُورِهَا، وَالظَّاهِرُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ نَبِيٍّ مَعَ أُمَّتِهِ كَذَلِكَ، وَأَتْمُهُمْ مَعْدُبُونَ فِي قُبُورِهِمْ بَعْدَ السُّؤَالَ هُمْ، وَإِقَامَةُ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ كَمَا يُعَذَّبُونَ فِي الْآخِرَةِ، بَعْدَ السُّؤَالَ وَإِقَامَةَ الْحُجَّةِ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ<sup>(٢)</sup>.

**رَضِيَ اللَّهُ** به. وإسناده على شرط الشيخين. وأما عنعنة الحسن فإنه قد صرح بالسماع عند أحمد: (٥٤ / ٥) وابن حبان (٥٦٥٦).

<sup>(١)</sup> أخرجه البخاري (٣٠١٩) ومسلم (٢٢٤١) عن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

<sup>(٢)</sup> والذي استظهره ابن القيم هنا، استظهره أيضًا ابن أبي العز في شرح الطحاوية ص (٤٠١) فبعد أن أشار إلى الخلاف قال: «ويظهر عدم الاختصاص والله أعلم». ورجح هذا القول السفاريني في البحور الزاخرة (١٩٨/١-٢٠٠) وردَّ على الحكيم الترمذي فيما استدل به، واستدل على إثبات السؤال للأمم الماضية بحديثين:

\* الاول: ما أخرجه أحمد: (١٣٩/٦) عن عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** قالت جاءت يهودية فاستطعمت على بابي فقالت: أطعموني أعاذكم من فتنة الدجال ومن فتنة عذاب القبر... الحديث وفيه أن عائشة ذكرت ذلك لرسول الله **رَضِيَ اللَّهُ** فصَدَّقَهَا.

والشاهد منه معرفة الأمم السابقة بفتنة القبر وأنهم كانوا يستعيذون منها لكونهم يعلمون أنها تحصل لهم.



## فصل

## وأما المسألة الثالثة عشرة

وهي: أن الأطفال هل يمتحنون في قبورهم؟  
 اختلف الناس في ذلك على قولين، هما وجهان لأصحاب أحمد.  
 وحجة من قال: أنهم يسألون أنه يشرع الصلاة عليهم والدعاء لهم، وسؤال الله أن  
 يقيهم عذاب القبر، وفتنة القبر كما ذكر مالك في موطنه عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنه <sup>(١)</sup>  
 صلى على جنازة صبي فسمع من دعائه «اللهم قه عذاب القبر» <sup>(٢)</sup>.

\* الثاني: ما رواه مسلم: (٢٨٦٧) عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال مر النبي صلى الله عليه وسلم بحائط لبني النجار فسمع صوتاً في قبر فقال: «متى مات صاحب هذا القبر؟ قالوا: في الجاهلية...». الحديث. قال السفاريني: «والذي يظهر أن عذاب القبر إنما يكون بعد السؤال والله الموفق».  
 وقال العلامة ابن عثيمين في شرح الواسطية ص (٤٧٨): «وهل تُسأل الأمم السابقة؟ ذهب بعض العلماء - وهو الصحيح - إلى أنهم يُسألون لأنه إذا كانت هذه الأمة وهي أشرف الأمم تُسأل فمن دونها من باب أولى».

قلت: وما يدل على هذا ما أخرجه مسلم: (٥٨٤) عائشة قالت: دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي امرأة من اليهود، وهي تقول: هل شعرت أنكم تُفتنون في القبور؟ قالت: فارتاع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: «إِنَّمَا تُفْتَنُ يَهُودُ» قالت عائشة: فلبثنا ليلتي، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هل شعرت أنه أوجي إلي أنكم تُفتنون في القبور؟» قالت عائشة: «فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، بعدُ يستعيد من عذاب القبر». فهذا الحديث نص صريح في أن اليهود فتن في القبور وهم من الأمم الماضية، والله أعلم.

<sup>(١)</sup> في الأصل زيادة: صلى الله عليه وسلم وكتب قبلها «لا» وبعدها «إلى». إشارة إلى أنها زائدة.  
<sup>(٢)</sup> (صحيح) أخرجه مالك في «الموطأ» (١٩٧/٢) عن يحيى بن سعيد أنه قال: سمعت سعيد بن المسيب يقول: صليت وراء أبي هريرة رضي الله عنه على صبي لم يعمل خطيئة قط فسمعتة يقول: «اللهم أعذه من عذاب القبر». وإسناده صحيح على شرط مسلم.

وَاحْتَجُّوا بِمَا رَوَاهُ عَلَى بَنِ مَعْبَدَ عَنِ عَائِشَةَ رضي الله عنها: أَنَّهُ مَرَّ عَلَيْهَا بِجَنَازَةِ صَبِيٍّ صَغِيرٍ فَبَكَتْ، فَقِيلَ لَهَا مَا يَبْكِيكَ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقَالَتْ: هَذَا الصَّبِيُّ بَكَتَ لَهُ شَفَقَةٌ عَلَيْهِ مِنْ ضَمَةِ الْقَبْرِ <sup>(١)</sup>.

وَاحْتَجُّوا بِمَا رَوَاهُ هِنَادُ بْنُ السَّرِيِّ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، عَنِ سَعِيدِ ابْنِ الْمَسِيبِ عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: إِنْ كَانَ لِيُصَلِّيَ عَلَى الْمَنفُوسِ، مَا إِنْ عَمِلَ خَطِيئَةً قَطٌّ فَيَقُولُ: اللَّهُمَّ أَجْرِهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ <sup>(٢)</sup>.

قَالُوا: وَاللَّهِ سُبْحَانَهُ يَكْمَلُ لَهُمْ عُقُوبَهُمْ لِيَعْرِفُوا بِذَلِكَ مَنَزَلَتَهُمْ، وَيُلْهِمُونَ الْجَوَابَ عَمَّا يَسْأَلُونَ عَنْهُ.

قَالُوا: وَقَدْ دَلَّ عَلَى ذَلِكَ الْأَحَادِيثِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي فِيهَا أَنَّهُمْ يَمْتَحَنُونَ فِي الْآخِرَةِ، وَحَكَاهُ الْأَشْعَرِيُّ عَنِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ <sup>(٣)</sup>، فَإِذَا امْتَحِنُوا فِي الْآخِرَةِ لَمْ يَمْتَنِعْ فِي الْقُبُورِ.

قَالَ الْآخَرُونَ: السُّؤَالُ إِنَّمَا يَكُونُ لِمَنْ عَقَلَ الرَّسُولُ وَالْمُرْسَلُ، فَيَسْأَلُ هَلْ آمَنَ بِالرَّسُولِ وَأَطَاعَهُ أَمْ لَا؟ فَيَقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي بَعَثَ فِيكُمْ فَأَمَّا

<sup>(١)</sup> (ضعيف) تقدم أن فيه رجلاً مبهماً.

<sup>(٢)</sup> (صحيح) أخرجه هناد في "الزهد" (٣٥١)، وعبد الرزاق (٣/٥٣٣)، وابن أبي شيبه (٣/٣١٧) من طريق يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب به. وإسناده صحيح على شرط مسلم وقد تقدم ممن طريق مالك.

\* وقد جاء هذا الأثر مرفوعاً أخرجه الخطيب في "تاريخ بغداد" (١١/٣٧٤) ثم قال: «تفرد برواية هذا الحديث هكذا مرفوعاً علي بن الحسين... وخالفه غيره فرواه موقوفاً على أبي هريرة وهو الصواب». انتهى مختصراً.

<sup>(٣)</sup> كلام ابن القيم هذا مأخوذ عن شيخ الإسلام كما في "مجموع الفتاوى" (٤/٢٧٧).

الطُّفْلَ الَّذِي لَا تَمَيِّزُ لَهُ بَوَاجِهَ مَا فَكَيْفَ يُقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي بَعَثَ فِيكُمْ؟ وَلَوْ رَدَّ إِلَيْهِ عَقْلُهُ فِي الْقَبْرِ، فَإِنَّهُ لَا يَسْأَلُ عَمَّا لَمْ يَتَمَكَّنْ مِنْ مَعْرِفَتِهِ وَالْعِلْمِ بِهِ، فَلَا فَائِدَةَ فِي هَذَا السُّؤَالِ.

وَهَذَا بِخِلَافِ امْتِحَانِهِمْ فِي الْآخِرَةِ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يُرْسِلُ إِلَيْهِمْ رَسُولًا وَيَأْمُرُهُمْ بِطَاعَةِ أَمْرِهِ، وَعَقُولِهِمْ مَعَهُمْ فَمَنْ أَطَاعَهُ مِنْهُمْ نَجَا وَمَنْ عَصَاهُ أَدْخَلَهُ النَّارَ، فَذَلِكَ امْتِحَانٌ بِأَمْرٍ يَأْمُرُهُمْ بِهِ يَفْعَلُونَهُ ذَلِكَ الْوَقْتُ، لَا أَنَّهُ سُؤَالٌ عَنِ أَمْرٍ مَضَى لَهُمْ فِي الدُّنْيَا مِنْ طَاعَةٍ أَوْ عَصْيَانٍ كَسُؤَالِ الْمَلَكَيْنِ فِي الْقَبْرِ.

وَأَمَّا حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَلَيْسَ الْمُرَادُ بِعَذَابِ الْقَبْرِ فِيهِ عُقُوبَةُ الطُّفْلِ عَلَى تَرْكِ طَاعَةٍ أَوْ فِعْلِ مَعْصِيَةٍ قَطْعًا، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَعْذِبُ أَحَدًا بِلَا ذَنْبٍ عَمَلَهُ، بَلْ عَذَابُ الْقَبْرِ قَدْ يُرَادُ بِهِ الْأَلَمُ الَّذِي يَحْصُلُ لِلْمَيِّتِ بِسَبَبِ غَيْرِهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عُقُوبَةً عَلَى عَمَلٍ عَمَلَهُ وَمِنْهُ قَوْلُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ الْمَيِّتَ لَيَعْذِبُ بِبِكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ»<sup>(١)</sup>، أَي: يَتَأَلَمُ بِذَلِكَ وَيَتَوَجَّعُ مِنْهُ، لَا أَنَّهُ يُعَاقَبُ بِذَنْبِ الْحَيِّ، وَلَا تَزْرُ وَازِرَةٌ وَزْرَ أُخْرَى.

وَهَذَا كَقَوْلِ النَّبِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنَ الْعَذَابِ»<sup>(٢)</sup>، فَالْعَذَابُ أَعْمٌ مِنَ الْعُقُوبَةِ وَلَا رَيْبَ أَنَّ فِي الْقَبْرِ مِنَ الْأَلَامِ وَالْهَمُومِ وَالْحَسْرَاتِ، مَا قَدْ يَسْرَى أَثْرَهُ إِلَى الطُّفْلِ فَيَتَأَلَمُ بِهِ فَيُشْرَعُ لِلْمَصْلِيِّ عَلَيْهِ أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ تَعَالَى لَهُ أَنْ يَقِيَهُ ذَلِكَ الْعَذَابِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه البخاري: (١٢٨٦) ومسلم: (٩٣٢) عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وأخرجه البخاري (١٢٩٢) ومسلم: (٩٢٧) عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأخرجه البخاري (١٢٩١) ومسلم: (٩٣٣) عن المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (١٨٠٤) ومسلم: (١٩٢٧) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

## فصل

## وأما المسألة الرابعة عشرة

وهي قوله: هل عذاب القبر دائم أم منقطع؟

فجوابها: أنه نوعان:

(١) وقد انتهى ابن القيم من هذه المسألة ولم يُرجح فيها شيئاً لعدم ورود دليل إيجاباً أو نفيّاً إلا أنه قدّم القول بأنهم يسألون.

وقد جزم القرطبي في التذكرة (١/١٦٤) بأنهم يسألون حيث قال: «فإن قالوا: ما حكم الصغار عندكم؟ قلنا: هم كالبالغين، وأن العقل يكمل لهم ليعرفوا بذلك منزلتهم وسعادتهم ويلهمون الجواب عما يسألون عنه وهذا ما تقتضيه ظواهر الأخبار... ثم ذكر أثر عائشة في ضغطة القبر على الصبي، وأثر أبي هريرة في صلاته على الصبي وقوله: «اللهم أجره من عذاب القبر». وقد تقدمت.

وصحح هذا القول شيخ الإسلام كما في «جامع المسائل» (٣/٢٣٨) حيث قال: «وأما امتحان غير المكلفين في الدنيا - كالصبيان والمجانين - ففيهم قولان لأصحابنا وغيرهم:

أحدهما: لا يُمتحنون، وعلى هذا فلا يُلقنون. وهذا قول القاضي وابن عقيل.

والثاني: يُمتحنون في قبورهم ويُلقنون. وهو قول أكثرهم، حكاه ابن عبدوس عن الأصحاب، وذكره أبو حكيم وغيره، وهو أصح، كما ثبت عن أبي هريرة، ورؤي مرفوعاً أنه صلى على طفل لم يعمل خطيئة قط، فقال: «اللهم قه عذاب القبر وفتنة القبر». وهذا الاختلاف في امتحانهم في البرزخ يُشبهه الاختلاف في امتحانهم في العرصة، وقول من يقول بامتحانهم أقرب إلى النصوص والقياس من قول من يقول: يُعاقبون بلا امتحان».

وقال - كما في «مجموع الفتاوى» (٤/٢٧٧) - «وهذا القول - أي القول بأنهم يمتحنون - موافق لقول من قال: إنهم يُمتحنون في الآخرة وإنهم مُكَلَّفون يوم القيامة كما هو قول أكثر أهل العلم وأهل السنة من أهل الحديث والكلام وهو الذي ذكره أبو الحسن الأشعري عن أهل السنة وأختاره وهو مقتضى نصوص الإمام أحمد والله أعلم».

وقال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٣/٣٠٥): «إن الامتحان لا يمنع في حق المميز دون غيره».

نوع دائم، سوى ما ورد في بعض الحديث أنه يُخَفَّف عَنْهُمْ مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ<sup>(١)</sup>، فإذا قاموا من قبورهم قالوا: ﴿يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ [يس: ٥٢]، ويدل على دَوَامِهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر: ٤٦].

ويدل عَلَيْهِ أَيْضًا مَا تَقَدَّمَ فِي حَدِيثِ سَمْرَةَ الَّذِي رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ<sup>(٢)</sup> فِي رُؤْيَا النَّبِيِّ ﷺ، وَفِيهِ: «فَهُوَ يَفْعَلُ بِهِ ذَلِكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قِصَّةِ الْجَرِيدَتَيْنِ: «لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَبْسُا»<sup>(٣)</sup>، فَجَعَلَ التَّخْفِيفَ مُقَيَّدًا بِرَطُوبَتَيْهَا فَقَطَّ.

وَفِي حَدِيثِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ عَنِ أَبِي الْعَالِيَةِ عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ: «ثُمَّ أَتَى عَلَى قَوْمٍ تَرْضَخُ رِءُوسُهُمْ بِالصَّخْرِ كُلَّمَا رَضَخَتْ عَادَتْ لَا يَفْتَرُ عَنْهُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ»<sup>(٤)</sup>. وَقَدْ تَقَدَّمَ.

<sup>(١)</sup> لم أقف على حديث مرفوع يدل على هذا بعد البحث في مظانِّه، وإنما جاءت آثار عن أبي بن كعب وقتادة وغيرهما يذكرها المفسرون عند قول الله تعالى: ﴿وَنُفِّخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ \* قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥١-٥٢]، قالوا: فقولهم: ﴿مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ [يس: ٥٢] أي النومة التي ينامونها بين النفختين فإذا نفخ النفخة الثانية قاموا من قبورهم يقولون هذا القول.

ومن أهل العلم من قال: لا يلزم أنهم ناموا ولكن لما خرجوا من القبور وعابنوا أهوال يوم القيامة كان مكوثهم في القبور كأنه رقاد وهذا القول ظاهر صنيع ابن كثير أنه يختاره، قال العلامة ابن عثيمين في "تفسيره" عند الآية: «وهو الأصح، وهو الذي مشى عليه ابن كثير في "تفسيره" لأنه ليس هناك دليل على أنهم ينامون بين النفختين».

<sup>(٢)</sup> رقم (١٣٨٦).

<sup>(٣)</sup> أخرجه البخاري: (٢١٨) ومسلم: (٢٩٢).

<sup>(٤)</sup> في المسألة السادسة ص ( ) وهو ضعيف.

وَفِي الصَّحِيحِ فِي قِصَّةِ الَّذِي لَبَسَ بَرْدِينَ وَجَعَلَ يَمْشِي وَيَتَبَخَّرُ: «فَخَسَفَ اللَّهُ بِهِ الْأَرْضَ فَهُوَ يَتَجَلَّجَلُ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»<sup>(١)</sup>.

وَفِي حَدِيثِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ فِي قِصَّةِ الْكَافِرِ: «ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى النَّارِ فَيَنْظُرُ إِلَى مَقْعَدِهِ فِيهَا حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»، رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ<sup>(٢)</sup> وَفِي بَعْضِ طَرِيقِهِ: «ثُمَّ يَحْرَقُ لَهُ خِرْقًا إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ غَمِّهَا وَدُخَانِهَا إِلَى الْقِيَامَةِ»<sup>(٣)</sup>.

النَّوْعُ الثَّانِي: إِلَى مُدَّةٍ ثُمَّ يَنْقَطِعُ، وَهُوَ عَذَابُ بَعْضِ الْعَصَاةِ الَّذِينَ خَفَتِ جَرَائِمُهُمْ فَيُعَذَّبُ بِحَسَبِ جُرْمِهِ، ثُمَّ يُخَفَّفُ عَنْهُ كَمَا يُعَذَّبُ فِي النَّارِ مُدَّةً ثُمَّ يَزُولُ عَنْهُ الْعَذَابُ. وَقَدْ يَنْقَطِعُ عَنْهُ الْعَذَابُ بِدُعَاءٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ اسْتِغْفَارٍ أَوْ ثَوَابٍ حَجٍّ أَوْ قِرَاءَةِ تَصَلٍّ إِلَيْهِ مِنْ بَعْضِ أَقْرَابِهِ أَوْ غَيْرِهِمْ، وَهَذَا كَمَا يَشْفَعُ الشَّافِعُ فِي الْمُعَذَّبِ فِي الدُّنْيَا، فَيُخَلِّصُ مِنَ الْعَذَابِ بِشَفَاعَتِهِ لَكِنْ هَذِهِ شَفَاعَةٌ قَدْ تَكُونُ بَدُونَ إِذْنِ الْمَشْفُوعِ عِنْدَهُ، وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يَتَقَدَّمُ أَحَدٌ بِالشَّفَاعَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ، فَهُوَ الَّذِي يَأْذَنُ لِلشَّافِعِ أَنْ يَشْفَعَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْحِمَ الْمَشْفُوعَ لَهُ.

وَلَا يُعْتَرَبُ بَعِيرٌ هَذَا فَإِنَّهُ شَرِكٌ وَبَاطِلٌ يَتَعَالَى اللَّهُ عَنْهُ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨]، ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا

(١) أخرجه البخاري: (٥٧٨٩) ومسلم: (٢٠٨٨) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه بهذا اللفظ الطبري في "تهذيب الآثار" (٧٢٣) وغيره من طريق عيسى بن المسيب وقد تقدم في المسألة السادسة ص ( ).

(٣) في حديث جابر عند الطبري في "تهذيب الآثار" (٧٣١) « ثم يحرق له إلى النار فيأتيه وهجها وغمها إلى يوم القيامة ». وإسناده ضعيف؛ فيه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى وهو ضعيف.

مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ﴿ [يونس: ٣]، ﴿ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾ [سبأ: ٢٣]، ﴿ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الزمر: ٤٤].

وقد ذكر ابن أبي الدنيا: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى الصَّائِغِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نَافِعٍ، قَالَ: مَاتَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ فَرَأَهُ رَجُلٌ كَانَتْهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَاغْتَمَّ لِذَلِكَ، ثُمَّ إِنَّهُ بَعْدَ سَابِعَةِ أَوْ ثَامِنَةِ رَأَهُ كَانَتْهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَقَالَ: أَلَمْ تَكُنْ قُلْتَ أَنْكَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ؟ قَالَ قَدْ كَانَ ذَلِكَ إِلَّا أَنَّهُ دُفِنَ مَعَنَا رَجُلٌ مِنَ الصَّالِحِينَ فَشَفَعَنِي فِي أَرْبَعِينَ مِنْ حِيرَانِهِ، فَكُنْتُ أَنَا مِنْهُمْ<sup>(١)</sup>.

قَالَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا: وَحَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ بُجَيْرٍ<sup>(٢)</sup>، قَالَ: حَدَّثَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا، قَالَ: مَاتَ أَخِي فَرَأَيْتُهُ فِي النَّوْمِ، فَقُلْتُ: مَا كَانَ حَالُكَ حِينَ وَضَعْتَ فِي قَبْرِكَ قَالَ أَتَانِي آتٍ بِشَهَابٍ مِنْ نَارٍ، فَلَوْلَا أَنْ دَاعِيَا دَعَا لِي لِرَأَيْتُ أَنَّهُ سَيُضْرَبُنِي بِهِ<sup>(٣)</sup>.  
وَقَالَ عَمْرُو بْنُ جَرِيرٍ، إِذَا دَعَا الْعَبْدُ لِأَخِيهِ الْمَيِّتِ أَتَاهُ بِهَا مَلِكٌ إِلَى قَبْرِهِ، فَقَالَ: يَا صَاحِبَ الْقَبْرِ الْغَرِيبِ هَدِيَّةٌ مِنْ أَخِيكَ شَفِيقٍ<sup>(٤)</sup>.

<sup>(١)</sup> أخرجه ابن أبي الدنيا في "القبور" (١٣٩) ومحمد بن موسى الصائغ لم أجد له ترجمة، وصاحب الرؤيا مجهول.

<sup>(٢)</sup> وقع في كل النسخ (أحمد بن يحيى) والصواب ما أثبتناه من أهوال القبور لابن رجب ص (١٦)، وأحمد بن بجير هو أبو عبد الله البزاز من مشايخ ابن أبي الدنيا، ترجمته في تاريخ الإسلام (٩٩٦/٥).

<sup>(٣)</sup> (ضعيف) ذكره ابن رجب في "أهوال القبور" ص (١٦) من طريق أحمد بن بجير حدثنا بعض أصحابنا به. وفي الإسناد رجل مبهم كما ترى.

<sup>(٤)</sup> أخرجه البيهقي في "الشعب" (١٧/٧) فقال أخبرنا أبو سعيد بن أبي عمرو أخبرنا أبو عبد الله الصَّفَّارُ أخبرنا أبو بكر بن أبي الدنيا أخبرنا الحسن بن الصباح سمعت عمرو بن جرير قال ... فذكره. وإسناده حسن إلى عمرو بن جرير، وأما عمرو صاحب الأثر فقد كذبه أبو حاتم وقال الدارقطني متروك.

وَقَالَ بشار بن غالب: رَأَيْتُ رَابِعَةَ فِي مَنَامِي، وَكَنتِ كَثِيرَ الدُّعَاءِ لَهَا، فَقَالَتْ لِي: يَا بشار بن غالب هداياك تأتينا على أطباق من نور مخمرة بمناديل الحرير، قلت: كيف ذلك؟ قالت: هكذا دُعَاءُ الْمُؤْمِنِينَ الْأَحْيَاءِ إِذَا دَعُوا لِلْمَوْتَى فَاسْتُجِيبَ لَهُمْ، جُعِلَ ذَلِكَ الدُّعَاءُ عَلَى أَطْبَاقِ النُّورِ، وَخَمْرَ بِمَنَادِيلِ الْحَرِيرِ، ثُمَّ أُتِيَ الَّذِي دُعِيَ لَهُ مِنَ الْمَوْتَى، فَقِيلَ: هَذِهِ هَدِيَّةٌ فَلانِ إِلَيْكَ<sup>(١)</sup>.

قَالَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا: وَحَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُجَيْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا، قَالَ: رَأَيْتُ أَخَا لِي فِي النَّوْمِ بَعْدَ مَوْتِهِ، فَقُلْتُ: أَيُصَلُّ إِلَيْكُمْ دُعَاءُ الْأَحْيَاءِ؟ قَالَ: إِي وَاللَّهِ يَتَرَفَّرُ مِثْلَ النَّوْرِ ثُمَّ نَلْبَسُهُ<sup>(٢)</sup>.

وَسَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى تَمَامَ هَذِهِ فِي جَوَابِ السُّؤَالِ عَنِ انْتِفَاعِ الْأَمْوَاتِ بِمَا يَهْدِيهِ  
إِلَيْهِمُ الْأَحْيَاءُ.



<sup>(١)</sup> ذكره ابن رجب في «أهوال القبور» ص (١٢٤) وعزاه لابن أبي الدنيا، ولعله في كتابه «القبور» وقد تقدم أنه لم يوجد منه إلا قطعة وأن باقيه مفقود، والله أعلم.

<sup>(٢)</sup> (ضعيف) ذكره ابن رجب في «أهوال القبور» ص (١٢٤) وإسناده ضعيف فيه رجل مبهم.



## فصل

## وأما المسألة الخامسة عشرة

وهي أين مُسْتَقَرُّ الأرواح ما بين الموت إلى يوم القيامة، هل هي في السماء أم في الأرض؟ وهل هي في الجنة والنار أم لا؟ وهل تودع في أجساد غير أجسادها التي كانت فيها، فتنعم وتعذب فيها أم تكون مُجَرَّدَةً<sup>(١)</sup>؟  
هذه مسألة عظيمة، تكلم فيها للناس واختلفوا فيها وهي إنما تتلقى من السمع فقط.

واختلف في ذلك:

فَقَالَ قَائِلُونَ: أرواح المؤمنين عند الله في الجنة شهداء كانوا أم غير شهداء، إذا لم يجسهم عن الجنة كبيرة، ولا دين وتلقاهم ربهم بالعفو عنهم والرحمة لهم، وهذا مذهب أبي هريرة وعبد الله بن عمرو رضي الله عنهم.

وَقَالَتْ طَائِفَةٌ هُمْ بِنَاءِ الْجَنَّةِ<sup>(٢)</sup> عَلَى بَابِهَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رُوحِهَا وَنَعِيمِهَا وَرِزْقِهَا.

وَقَالَتْ طَائِفَةٌ الأرواح على أفنية قبورها.

وَقَالَ مَالِكٌ: بلغني أن الروح مُرْسَلَةٌ تَذْهَبُ حَيْثُ شَاءَتْ.

وَقَالَ الإمام أحمد في رواية ابنه عبد الله: أرواح الكفار في النار، وأرواح المؤمنين في

الجنة<sup>(١)</sup>.

<sup>(١)</sup> وقد أطال ابن القيم في هذه المسألة، فذكر ما فيها من الأقوال، ثم ذكر الأدلة لتلك الأقوال وما اعترض عليها به، ثم ذكر القول الراجح. وسيأتي في ذلك الموضوع - إن شاء الله - كلام لأهل العلم حول هذه المسألة.

<sup>(٢)</sup> الفناء هو المتسع أمام الدار وما امتد من جوانبها ويجمع على أفنية. «النهاية» و«مختار الصحاح» (فنا).

وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَنْدَةَ: وَقَالَ طَائِفَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ: أَرْوَاحُ الْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَمْ يَزِيدُوا عَلَى ذَلِكَ.

قَالَ: وَرُوي عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ أَنَّ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ بِالْجَابِيَةِ، وَأَرْوَاحَ الْكُفَّارِ بِرِهوتٍ بَثْرٍ بِحَضْرِ مَوْتٍ.

وَقَالَ صَفْوَانُ بْنُ عَمْرٍو: سَأَلْتُ عَامِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ أَبَا الْيَمَانِ، هَلْ لِأَنْفُسِ الْمُؤْمِنِينَ جُمُوعٌ فَقَالَ إِنَّ الْأَرْضَ الَّتِي يَقُولُ اللَّهُ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، قَالَ هِيَ الْأَرْضُ الَّتِي يَجْتَمِعُ إِلَيْهَا أَرْوَاحُ الْمُؤْمِنِينَ حَتَّى يَكُونَ الْبَعْثُ، وَقَالُوا هِيَ الْأَرْضُ الَّتِي يُورِثُهَا اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا<sup>(٩)</sup>.

<sup>(٩)</sup> تابع ابن القيم في هذا القاضي أبا يعلى، وإلا فهذا القول عن أحمد لم ينقله ابنه عبد الله وإنما نقله عنه حنبل كما أبانه ابن رجب في أهوال "القبور" - المطبوع ضمن "مجموع رسائل ابن رجب" (٢٢٧/٥) طبعة أولاد الشيخ - حيث قال: «وقد حكى القاضي أبو يعلى في كتاب المعتمد ومن اتبعه من الأصحاب هذا الكلام عن عبد الله بن أحمد عن أبيه ولم ينقله عبد الله وإنما نقله حنبل.

وأما ما نقله عبد الله عن أبيه فقال الخلال: أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: سألت أبي أرواح الموتى أتكون في أفنية قبورهم أم في حواصل طير أم تموت كما تموت الأجساد؟ قال: روي عن النبي ﷺ قال: «نسمة المؤمن إذا مات طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده فيبعثه الله».

وقد روي عن عبد الله بن عمرو قال: أرواح المؤمنين في حواصل طير خضر كالزراير ثم تعود يتعارفون فيها ويرزقون من ثارها».

<sup>(٩)</sup> أخرجه ابن جرير (١٧/١٠٥) بإسناد رجاله ثقات، إلا أن عامراً الذي فسّر هذه الآية مجهول.

وتفسير الآية بهذا تفسير ضعيف، ضعفه أهل العلم:

قال ابن رجب في "أهوال القبور" ص (١١٢) بعد أن ذكر هذا الأثر: «خرّجه ابن مندة، وهذا غريب جداً وتفسير الآية بذلك ضعيف». وقال السيوطي في "شرح الصدور" ص (٣٣٧): «أخرجه ابن مندة وهو غريب جداً، وتفسير الآية بذلك أغرب»، وضعفه المصنف فيما سيأتي ص ( ).

وَقَالَ كَعْبٌ: أَرْوَاحُ الْمُؤْمِنِينَ فِي عِلْيَيْنَ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، وَأَرْوَاحُ الْكُفَّارِ فِي سَجِّينَ فِي الْأَرْضِ السَّابِعَةِ تَحْتَ خَدِ إِبْلِيسَ <sup>(١)</sup>.

وَقَالَتْ طَائِفَةٌ: أَرْوَاحُ الْمُؤْمِنِينَ بَبْئَرِ زَمْزَمَ وَأَرْوَاحُ الْكُفَّارِ بَبْئَرِ بَرهوت. وَقَالَ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ: أَرْوَاحُ الْمُؤْمِنِينَ فِي بَرْزَخٍ مِنَ الْأَرْضِ، تَذْهَبُ حَيْثُ شَاءَتْ وَأَرْوَاحُ الْكُفَّارِ فِي سَجِّينَ، وَفِي لَفْظِ عَنَّهُ: نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ تَذْهَبُ فِي الْأَرْضِ حَيْثُ شَاءَتْ <sup>(٢)</sup>.

وصنيع ابن جرير يشير إلى أن المراد بهذا الأثر أرض الجنة، حيث ذكر هذا الأثر ضمن الآثار التي فيها تفسير الأرض في الآية بأرض الجنة، والله أعلم.

<sup>(١)</sup> أخرجه ابن المبارك - كما في "أهوال القبور" لابن رجب، ص (١٠٤) من طريق الأعمش عن شمر بن عطية عن هلال بن يساف قال: كنا جلوساً إلى كعب ... فذكره. ورجاله ثقات. ولا يعتمد على مثل هذا الأثر فإن كعباً الأخبار رحمته الله كان رواية الإسرائيليات. وانظر حاشية "الآيات البينات" ص (١٣٩).

<sup>(٢)</sup> أخرجه ابن المبارك في "الزهد" (٤٢٩) من طريق سفيان بن عيينة عن يحيى بن سعيد وعلي بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب عن سلمان به. وهذا إسناد رجاله ثقات. ولكن يظهر لي أن الأثر بهذا اللفظ خطأ وأن المحفوظ عن سلمان خلافه لأمر:

١- أن ابن أبي الدنيا قد أخرجه في "المنامات" (٢١) من طريق جرير عن يحيى بن سعيد عن سعيد ابن المسيب قال: «التقى عبد الله بن سلام وسلمان الفارسي ... فقال أحدهما للآخر: وهل يلتقي الأموات والأحياء؟ فقال: نعم أرواحهم في الجنة تذهب حيث شاءت». وإسناده صحيح. وفيه أن أرواحهم في الجنة وهو مخالف للأثر المتقدم.

٢- وقد يقال إن الذي رواه باللفظ الأول عن ابن المسيب هو يحيى بن سعيد ومعه أيضاً علي بن زيد، والذي رواه باللفظ الثاني هو يحيى بن سعيد أيضاً؟

والجواب أن ذكر يحيى بن سعيد في السند الأول يغلب على الظن أنه خطأ ويدل عليه ما ذكره ابن رجب في "أهوال القبور" ص (١٠٩) حيث ذكر الأثر الأول من طريق علي بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب أن سلمان قال ... فذكره. أخرجه ابن مندة.

وَقَالَتْ طَائِفَةٌ: أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ يَمِينِ آدَمَ، وَأَرْوَاحَ الْكُفَّارِ عَنِ شِمَالِهِ.  
 وَقَالَتْ طَائِفَةٌ أُخْرَى مِنْهُمْ ابْنُ حَزْمٍ<sup>(١)</sup>: مُسْتَقَرُّهَا حَيْثُ كَانَتْ قَبْلَ خَلْقِ أَجْسَادِهَا.  
 قَالَ: وَالَّذِي نَقُولُ بِهِ فِي مُسْتَقَرِّ الْأَرْوَاحِ هُوَ مَا قَالَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَنَبِيهِ ﷺ لَا  
 نَتَعَدَاهُ، فَهُوَ الْبُرْهَانُ الْوَاضِحُ، وَهُوَ أَنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ  
 مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ<sup>(٢)</sup> وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا  
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ  
 صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا﴾ [الأعراف: ١١].

فصح أن الله تعالى خلق الأرواح جملة، وكذلك أخبر ﷺ أن الأرواح جنود  
 مجندة، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر<sup>(٣)</sup> منها اختلف وأخذ الله عهدها، وشهادتها له  
 بالربوبية وهي مخلوقة، مصورة عاقلة قبل أن يأمر الملائكة بالسجود لآدم، وقبل أن

فأنت ترى أن يحيى بن سعيد لم يذكر في الإسناد وإنما تفرد به علي بن زيد وهو ضعيف ولذا قال ابن رجب:  
 «وعلي بن زيد ليس بالحافظ وخالفه يحيى بن سعيد الأنصاري مع عظمتهم وجلالته وحفظه فروى عن  
 سعيد المسيب قال فيه: إن أرواح المؤمنين تذهب في الجنة حيث شاءت...». انتهى.  
 ٣- ومما يؤكد هذا أن ابن المبارك لما ذكر الأثر باللفظ الأول قال عقبه: «قال حسين - أحد رجال الإسناد -  
 تحرق علي من الكتاب باقيه فحدثني سعيد بن سليمان عن عباد بن العوام عن علي بن زيد جدعان عن  
 سعيد بن المسيب بمثل ما حدثنا سفيان...».

قلت: فتبين بهذا أن هذا الأثر عن سلمان يعتبر خطأ وأن المحفوظ عنه أن أرواح المؤمنين في الجنة والله أعلم.  
<sup>(١)</sup> انظر «الفصل» لابن حزم (٤/١٢٢-١٢٤)، وكلام ابن حزم هذا فيه ما ينتقد وقد ردَّ عليه ابن القيم فيما  
 سيأتي. وكذلك ردَّ عليه ابن رجب في «أهوال القبور» ص (١١٥-١١٦).

<sup>(٢)</sup> كذا في جميع النسخ، وهي قراءة أبي عمرو، وهي من القراءات السبع المتواترة.

<sup>(٣)</sup> أخرجه مسلم: (٢٦٣٨) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وأخرجه البخاري: (٣٣٣٦) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تعليقا  
 ووصله في «الأدب المفرد» (٩٠٠) بإسناد صحيح.

يدخلها في الأجساد، والأجساد يومئذ تُراب وماء، ثم أقرها حيث شاء وهو البرزخ الذي ترجع إليه عند الموت، ثم لا يزال يبعث منها الجملة بعد الجملة فينفخها في الأجساد المتولدة من المنى.

إلى أن قال: فصح أن الأرواح أجسام حاملة لأعراضها من التعارف والتناكر، وأمتها عارفة مميّزة فيلوههم الله في الدنيا كما يشاء، ثم يتوفاها فترجع إلى البرزخ الذي رآها فيه رسول الله ﷺ ليلة أسرى به عند سماء الدنيا، أرواح أهل السعادة عن يمين آدم وأرواح أهل الشقاء عن يساره<sup>(١)</sup>، وذلك عند مُنْقَطع العناصر، وتُعَجَّل أرواح الأنبياء والشهداء إلى الجنة.

قال: وقد ذكر محمد بن نصر المروزي<sup>(٢)</sup>، عن إسحاق بن راهويه<sup>(٣)</sup>: أنه ذكر هذا الذي قلنا بعينه، قال: وعلى هذا أجمع أهل العلم<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر ما أخرجه البخاري: (٣٤٩) ومسلم (١٦٣) عن أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) هو محمد بن نصر بن الحجاج المروزي أبو عبد الله الحافظ ولد سنة (٢٠٢) وتوفي سنة (٢٩٤) انظر "سير أعلام النبلاء" (٣٣/١٤).

(٣) هو إسحاق بن إبراهيم بن مخلد أبو يعقوب الحنظلي المروزي توفي سنة (٢٣٨)، وأما راهويه فهو لقب لأبيه وذلك لأن أباه ولد في طريق مكة فكان الماروة - أي أهل مرو - يقولون له راهويه لأنه ولد في الطريق. انظر "سير أعلام النبلاء" (٣٥٨/١١).

(٤) قال ابن رجب في "أهوال القبور" ص (١١٦): «وما حكاه -يعني ابن حزم- عن محمد بن نصر عن إسحاق بن راهويه فلا يدل على ما قاله بوجه فإن محمد بن نصر حكى عن إسحاق بن راهويه إجماع أهل العلم على أن الله استخرج ذرية آدم من صلبه قبل خلق أجسادهم فاستنطقهم واستشهدهم على أنفسهم: ﴿الَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ [الأعراف: ١٧٢]، ولم يذكر أكثر من هذا وهذا لا يدل على شيء مما قاله ابن حزم في مستقر الأرواح البتة...».

قَالَ ابْنُ حَزْمٍ وَهُوَ قَوْلُ جَمِيعِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ <sup>(١)</sup>، قَالَ: وَهَذَا هُوَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ \* وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ \* وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ \* أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ \* فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ \* ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ \* وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: ٨-١٤]، وَقَوْلُهُ: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ \* فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ﴾ [الواقعة: ٨٨-٨٩]، إِلَى خَرَاهَا، فَلَا تَزَالُ الْأَرْوَاحُ هُنَاكَ حَتَّى يَتِمَّ عَدَدُ الْأَرْوَاحِ كُلِّهَا بِنَفْسِهَا فِي الْأَجْسَادِ، ثُمَّ بَرَجُوعِهَا إِلَى الْبَرَزَخِ، فَتَقُومُ السَّاعَةُ، وَيَعِيدُ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ الْأَرْوَاحِ إِلَى الْأَجْسَادِ ثَانِيَةً وَهِيَ الْحَيَاةُ الثَّانِيَّةُ، وَيُجَاسِبُ الْخَلْقَ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ، مُخْلِدينَ أَبَدًا. انْتَهَى.

وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ: أَرْوَاحُ الشُّهَدَاءِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَرْوَاحُ عَامَّةِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى أَفْنِيَةِ قُبُورِهِمْ، وَنَحْنُ نَذَكُرُ كَلَامَهُ، وَمَا أَحْتَجُّ بِهِ وَنَبِينِ مَا فِيهِ.

وَقَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ: عَنِ ابْنِ جَرِيرٍ فِيمَا قَرَأَ عَلَيْهِ، عَنْ مُجَاهِدٍ لَيْسَ هِيَ فِي الْجَنَّةِ، وَلَكِنْ يَأْكُلُونَ مِنْ ثَمَرِهَا وَيَجِدُونَ رِيحَهَا <sup>(٢)</sup>.

<sup>(١)</sup> قال ابن رجب في "أهوال القبور" ص (١١٦): «فكيف يكون قول جميع أهل الإسلام وكلامه يقتضي أن الأرواح رآها النبي ﷺ ليلة الإسراء تحت السماء الدنيا والحديث يدل على أنه إنما رآها فوق السماء الدنيا».

<sup>(٢)</sup> أخرجه بقي بن مخلد - كما في "التمهيد" لابن عبد البر (٦٣/١١) - فقال حدثنا يحيى بن عبد الحميد وجعفر بن حميد قالوا حدثنا ابن المبارك به. ويحيى بن عبد الحميد هو الحماني كذبه أحمد ولكنه مقرون هنا بجعفر بن حميد وهو ثقة، وكذا بقية رجاله ثقات إلا أنه منقطع فابن جرير لم يسمع من مجاهد إلا حديثاً واحداً «فطلقوهن في قبل عدتهن» قاله: يحيى بن سعيد القطان كما في مقدمة «الجرح والتعديل» ص (٢٤٥)، وقال ابن معين في «تاريخه» (٣٧٢/٢): «لم يسمع ابن جرير من مجاهد إلا حرفاً».

وَذَكَرَ مُعَاوِيَةَ بْنَ صَالِحٍ عَنِ سَعِيدِ بْنِ سُوَيْدٍ: أَنَّهُ سَأَلَ ابْنَ شَهَابٍ عَنِ أَرْوَاحِ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقَالَ: بَلْغَنِي أَنَّ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ كَطِيرٍ خَضِرٍ مَعْلُوقَةٍ بِالْعَرْشِ، تَعْدُو وَتَرُوحُ إِلَى رِيَاضِ الْجَنَّةِ تَأْتِي رَبَّهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ تَسْلَمُ عَلَيْهِ<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ أَبُو عَمْرِو بْنِ عَبْدِ الْبَرِّ<sup>(٢)</sup> فِي شَرْحِ حَدِيثِ ابْنِ عَمْرٍو: «أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عَرَضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، يُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»<sup>(٣)</sup>.

قَالَ: وَقَدْ اسْتَدَلَّ بِهِ مِنْ ذَهَبٍ إِلَى أَنَّ الْأَرْوَاحَ عَلَى أَفْنِيَةِ الْقُبُورِ، وَهُوَ أَصَحُّ مَا ذُهِبَ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ، - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - لِأَنَّ الْأَحَادِيثَ بِذَلِكَ أَحْسَنُ مَجِيئًا، وَأَثْبَتُ نَقْلًا مِنْ غَيْرِهَا.

قَالَ: وَالْمَعْنَى عِنْدِي أَنَّهَا قَدْ تَكُونُ عَلَى أَفْنِيَةِ قُبُورِهَا لَا عَلَى أُمَّتِهَا تَلْزِمُ وَلَا تَفَارِقُ أَفْنِيَةَ الْقُبُورِ، [بل هي] كَمَا قَالَ مَالِكٌ رحمته الله: بَلْغَنَّا أَنَّ الْأَرْوَاحَ تَسْرَحُ حَيْثُ شَاءَتْ.

قَالَ: وَعَنْ مُجَاهِدٍ: أَنَّهُ قَالَ: الْأَرْوَاحُ عَلَى أَفْنِيَةِ الْقُبُورِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ مِنْ يَوْمِ دَفْنِ الْمَيِّتِ لَا تَفَارِقُ ذَلِكَ<sup>(٤)</sup>، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَالَتْ فِرْقَةٌ: مَسْتَقْرَاهَا الْعَدَمُ الْمَحْضُ، وَهَذَا قَوْلٌ مِنْ يَقُولُ أَنَّ النَّفْسَ عَرَضٌ مِنْ أَعْرَاضِ الْبَدَنِ كَحَيَاتِهِ وَإِدْرَاكِهِ، فَتَعْدَمُ بِمَوْتِ الْبَدَنِ كَمَا تَعْدَمُ سَائِرُ الْأَعْرَاضِ الْمَشْرُوطَةَ بِحَيَاتِهِ، وَهَذَا قَوْلٌ مُخَالَفٌ لِنُصُوصِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَإِجْمَاعِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ كَمَا

<sup>(١)</sup> (منقطع) أخرجه ابن مندة - كما في "أحوال القبور" لابن رجب ص (٩٢) - وهو بلاغ كما ترى الزهري يقول بلغني.

<sup>(٢)</sup> انظر "الاستذكار" (٨/ ٣٥٤)، والتمهيد: (١٤/ ١٠٩).

<sup>(٣)</sup> أخرجه البخاري: (١٣٧٩) ومسلم: (٢٨٦٦).

<sup>(٤)</sup> ذكره عن مجاهد شيخ الإسلام - كما في "مجموع الفتاوى" (٢٤/ ٣٦٥) - ولم أقف عليه مسندًا.

سنذكر ذلك إن شاء الله، والمقصود: أن عند هذه الفرقة المبطلة: مُستقر الأرواح بعد الموت العدم المحض.

وقالت فرقة: مستقرها بعد الموت أبدان أخر تناسب أخلاقها وصفاتها التي اكتسبتها في حال حياتها، فتصير كل روح إلى بدن حيوان يشاكل تلك الأرواح، فتصير النفس السبعية إلى أبدان السباع، والكلبية إلى أبدان الكلاب، والبهيمية إلى أبدان البهائم، والذنية السفلية إلى أبدان الحشرات، وهذا قول التناسخية منكري المعاد، وهو قول خارج عن أقوال أهل الإسلام كلهم.

فهذا ما تلخص لي من جميع أقوال الناس في مصير أرواحهم بعد الموت، ولا تظفر به مجموعا في كتاب واحد غير هذا البتة، ونحن نذكر مأخذ هذه الأقوال، وما لكل قول وما عليه وما هو الصواب من ذلك الذي دل عليه الكتاب والسنة على طريقتنا التي من الله بها وهو مرجو الإعانة، والتوفيق<sup>(١)</sup>.

## فصل

فأما من قال: هي في الجنة: فاحتج بقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ \* فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ﴿ [الواقعة: ٨٨-٨٩].

قال: وهذا ذكره سبحانه عقيب ذكر خروجها من البدن بالموت، وقسم الأرواح إلى ثلاثة أقسام مقربين، وأخبر أنهم في جنّة النعيم. وأصحاب يمين وحكم لها بالسّلام،

<sup>(١)</sup> وانظر للاستزادة في هذه المسألة وأقوال الناس فيها "مجموع الفتاوى" (٣٦٥/٢٤) و (٣٠٢/٢٤)، و "أهوال القبور" لابن رجب الحنبلي ص (٩١-١١٨)، وشرح "العقيدة الطحاوية" لابن أبي العز ص (٤٠٢-٤٠١)، و "شرح الصدور" للسيوطي ص (٣٠٧-٣٣٩)، و "البحور الزاهرة" للسفاري: (٣٢٨-٣٧٤)، و "الآيات البينات في عدم سماع الأموات" للألوسي ص (١٣٧-١٤٥).



وَهُوَ يَتَصَمَّنُ سَلَامَتَهَا مِنَ الْعَذَابِ. وَمَكْذِبَةٌ ضَالَّةٌ، وَأُخْبِرَ أَنَّ لَهَا نَزْلًا مِنْ حَمِيمٍ وَتَصْلِيَةً جَحِيمٍ.

قَالُوا: وَهَذَا بَعْدَ مَفَارَقَتِهَا لِلْبَدَنِ قِطْعًا، وَقَدْ ذَكَرَ سُبْحَانَهُ حَالَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي أَوَّلِ السُّورَةِ، فَذَكَرَ حَالَهَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَبَعْدَ الْبَعْثِ، وَاحْتَجُّوا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ \* ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً \* فَادْخُلِي فِي عِبَادِي \* وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠].

وَقَدْ قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ: إِنْ هَذَا يُقَالُ لَهَا عِنْدَ خُرُوجِهَا مِنَ الدُّنْيَا: يَبْشُرُهَا الْمَلِكُ بِذَلِكَ، وَلَا يُتَابَفِي ذَلِكَ قَوْلَ مَنْ قَالَ: إِنْ هَذَا يُقَالُ لَهَا فِي الْآخِرَةِ، فَإِنَّهُ يُقَالُ لَهَا عِنْدَ الْمَوْتِ، وَعِنْدَ الْبَعْثِ وَهَذِهِ مِنَ الْبُشْرَى الَّتِي قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠]، وَهَذَا التَّنَزُّلُ يَكُونُ عِنْدَ الْمَوْتِ وَيَكُونُ فِي الْقَبْرِ، وَيَكُونُ عِنْدَ الْبَعْثِ، وَأَوَّلُ بَشَارَةِ الْآخِرَةِ عِنْدَ الْمَوْتِ.

وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي حَدِيثِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ: أَنَّ الْمَلِكَ يَقُولُ لَهَا عِنْدَ قَبْضِهَا: «أَبْشِرِي بِرُوحِ وَرَيْحَانٍ»، وَهَذَا مِنْ رِيحَانِ الْجَنَّةِ.

وَاحْتَجُّوا بِمَا رَوَاهُ مَالِكٌ فِي «الْمَوْطَأِ» عَنْ ابْنِ شَهَابٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ: أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَاهُ كَعْبُ بْنُ مَالِكِ كَانَ يَحْدِثُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّهَا نَسْمَةُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ يَعْلُقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ حَتَّىٰ يَرْجِعَهُ اللَّهُ إِلَىٰ جَسَدِهِ يَوْمَ يَبْعَثُهُ»<sup>(١)</sup>.

<sup>(١)</sup> (صحيح) أخرجه مالك في «الموطأ» (٢/ ٢٢٠) ومن طريقه أحمد: (٣/ ٤٥٥) وإسناده صحيح على شرط الشيخين.

قَالَ أَبُو عَمْرٍ<sup>(١)</sup>: وَفِي رِوَايَةِ مَالِكٍ هَذِهِ بَيَانُ سَمَاعِ الزَّهْرِيِّ لِهَذَا الْحَدِيثِ مِنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، وَكَذَلِكَ رَوَاهُ يُونُسُ عَنِ الزَّهْرِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ يَحْدُثُ عَنْ أَبِيهِ، وَكَذَلِكَ رَوَاهُ الْأَوْزَاعِيُّ، عَنِ الزَّهْرِيِّ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ كَعْبٍ.

وَقَدْ أَعْلَى مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الذَّهَلِيُّ هَذَا الْحَدِيثَ: بِأَنَّ شُعَيْبَ بْنَ أَبِي حَمَزَةَ<sup>(٢)</sup>، وَمُحَمَّدَ بْنَ أَخِي الزَّهْرِيِّ، وَصَالِحَ بْنَ كَيْسَانَ<sup>(٣)</sup>، رَوَوْهُ عَنِ الزَّهْرِيِّ عَنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ عَنِ جَدِّهِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ فِيكونُ مُنْقَطِعًا، وَقَالَ صَالِحُ بْنُ كَيْسَانَ عَنِ ابْنِ شَهَابٍ عَنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ كَانَ يَحْدُثُ قَالَ الذَّهَلِيُّ، وَهَذَا الْمَحْفُوظُ عِنْدَنَا، وَهُوَ الَّذِي يُشَبَّهُ حَدِيثَ صَالِحٍ وَشُعَيْبِ وَابْنِ أَخِي الزَّهْرِيِّ. وَخَالَفَهُ فِي هَذَا غَيْرُهُ مِنَ الْحَفَازِ فَحَكَمُوا لِمَالِكٍ وَالْأَوْزَاعِيِّ.

قَالَ أَبُو عَمْرٍ: فَاتَّفَقَ مَالِكٌ<sup>(٤)</sup>، وَيُونُسُ بْنُ يَزِيدٍ<sup>(٥)</sup>، وَالْأَوْزَاعِيُّ<sup>(٦)</sup>، وَالْحَارِثُ بْنُ فُضَيْلٍ<sup>(٧)</sup> عَلَى رِوَايَةِ هَذَا الْحَدِيثِ عَنِ الزَّهْرِيِّ، عَنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ عَنِ أَبِيهِ وَصَحَّحَهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ.

<sup>(١)</sup> انظر «التمهيد» (١١/٥٦).

<sup>(٢)</sup> روايته عند أحمد (٤٥٦/٣) موافقة لرواية مالك ومن معه، فقد رواه عن الزهري قال أخبرنا عبد الرحمن بن كعب بن مالك.

<sup>(٣)</sup> روايته عند أحمد (٤٥٥/٣)، والطبراني في الكبير (١٩/٦٥-٦٦).

<sup>(٤)</sup> رواية مالك تقدمت.

<sup>(٥)</sup> روايته عند أحمد (٤٥٥/٣-٤٥٦).

<sup>(٦)</sup> روايته عند الطبراني في الكبير (١٩/٦٥).

<sup>(٧)</sup> روايته عند الطبراني في الكبير (١٩/٦٤-٦٥). ووافقهم أيضا معمر بن راشد. أخرجه أحمد (٤٥٥/٣).

قَالَ أَبُو عَمْرٍ: وَلَا وَجْهَ عِنْدِي، لَمَا قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى مِنْ ذَلِكَ، وَلَا دَلِيلَ عَلَيْهِ، وَاتِّفَاقَ مَالِكٍ، وَيُونُسَ بْنَ يَزِيدٍ وَالْأَوْزَاعِيِّ، وَمُحَمَّدَ بْنَ إِسْحَاقَ أُولَى بِالصَّوَابِ، وَالنَّفْسَ إِلَى قَوْلِهِمْ وَرَوَايَتِهِمْ أَسْكَنَ، وَهَمَّ مِنَ الْحِفْظِ وَالِاتِّقَانِ بِحَيْثُ لَا يُقَاسُ بِهِمْ مِنْ خَالَفَهُمْ فِي هَذَا الْحَدِيثِ. أَنْتَهَى.

وَقَدْ قَالَ مُحَمَّدُ الذَّهَلِيُّ: سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ الْمَدِينِيِّ يَقُولُ: وُلِدَ لَكَعْبِ خَمْسَةَ عَبْدِ اللَّهِ وَعَبِيدَ اللَّهِ وَمَعْبُدَ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ وَمُحَمَّدَ، قَالَ الذَّهَلِيُّ: فَسَمِعَ الزَّهْرِيَّ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ، وَكَانَ قَائِدَ أَبِيهِ حِينَ عَمِي، وَسَمِعَ مِنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبٍ، وَسَمِعَ مِنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ وَرَوَى عَنْ بَشِيرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبٍ، وَلَا أَرَاهُ سَمِعَ مِنْهُ أَنْتَهَى.

فَالْحَدِيثُ إِنْ كَانَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِيهِ كَعْبٍ كَمَا قَالَ مَالِكٌ، وَمَنْ مَعَهُ فَظَاهِرٌ، وَإِنْ كَانَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ عَنْ جَدِّهِ كَمَا قَالَ شُعَيْبٌ وَمَنْ مَعَهُ، فَنَهَائَتُهُ أَنْ يَكُونَ مُرْسَلًا مِنْ هَذَا الطَّرِيقِ وَمَوْصُولًا مِنَ الْآخَرَى، وَالَّذِينَ وَصَلُوهُ لَيْسُوا بِدُونَ الَّذِينَ أَرْسَلُوهُ قَدْرًا، وَلَا عَدَدًا، فَالْحَدِيثُ مِنْ صِحَاحِ الْأَحَادِيثِ، وَإِنَّمَا لَمْ يُخْرِجْهُ صَاحِبًا الصَّحِيحِ، لِهَذِهِ الْعِلَّةِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قَالَ أَبُو عَمْرٍو أَمَا قَوْلُهُ: «نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ»، فَالنَّسَمَةُ هَا هُنَا الرُّوحُ يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ، قَوْلُهُ فِي الْحَدِيثِ نَفْسُهُ: «حَتَّى يَرْجِعَهُ اللَّهُ إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ يَبْعَثُهُ»، وَقِيلَ: النَّسَمَةُ الرُّوحُ، وَالنَّفْسُ وَالْبَدَنُ. وَأَصْلُ هَذِهِ اللَّفْظَةِ أَعْنَى النَّسَمَةِ الْإِنْسَانَ بِعَيْنِهِ، وَإِنَّمَا قِيلَ لِلرُّوحِ نَسَمَةً

-والله أعلم:- لِأَنَّ حَيَاةَ الْإِنْسَانِ بِرُوحِهِ، وَإِذَا فَارَقَهُ عَدَمٌ أَوْ صَارَ كَالْمَعْدُومِ وَالِدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ النَّسْمَةَ الْإِنْسَانِ، قَوْلُهُ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: «مَنْ أَعْتَقَ نَسْمَةَ مُؤْمِنَةٍ»<sup>(١)</sup>.

وَقَوْلِ عَلِيِّ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: «وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسْمَةَ»<sup>(٢)</sup>، وَقَالَ الشَّاعِرُ:

بِأَعْظَمِ مِنْكَ تُقَى فِي الْحِسَابِ إِذَا النَّسَمَاتِ نَفَضْنَ الْغَبَارَ<sup>(٣)</sup>

يعني: إِذَا بَعَثَ النَّاسَ مِنْ قُبُورِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَقَالَ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ<sup>(٤)</sup>: النَّسْمَةُ الْإِنْسَانِ، قَالَ: وَالنَّسْمَةُ الرُّوحُ وَالنَّسِيمُ هُبُوبُ

الرَّيْحِ.

وَقَوْلُهُ: «تَعَلَّقَ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ». يُرْوَى بِفَتْحِ اللَّامِ وَهُوَ الْأَكْثَرُ، وَيُرْوَى بِضَمِّ اللَّامِ

وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ، وَهُوَ الْأَكْلُ وَالرَّعْيُ يَقُولُ: تَأْكُلُ مِنْ ثَمَارِ الْجَنَّةِ وَتَسْرَحُ بَيْنَ أَشْجَارِهَا.

<sup>(١)</sup> (صحيح بشواهده) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٤٦٦/٨) والطبراني في «الكبير» (١٠٩/١) من طريق أبي نعيم الفضل بن دكين، حدثنا الحكم بن عبد الرحمن بن أبي نعيم البجلي، قال: حدثتني فاطمة بنت علي بن أبي طالب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**، قالت: قال أبي، عن رسول الله **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: «مَنْ أَعْتَقَ نَسْمَةَ مُسْلِمَةٍ أَوْ مُؤْمِنَةٍ وَقَى اللَّهُ بِكُلِّ عَضْوٍ مِنْهُ عَضْوًا مِنَ النَّارِ». ورجال إسناده ثقات إلا الحكم بن عبد الرحمن فقد وثقه الفسوي، وقال أبو حاتم: صالح الحديث، وذكره ابن حبان في الثقات، وضعفه ابن معين، فيكون صدوقاً وعليه فالحديث حسن بهذا اللفظ، وله شاهد عند البخاري (٦٧١٥) ومسلم (١٥٠٩) عن أبي هريرة س قال: قال رسول الله **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** «مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُؤْمِنَةً...». هذا لفظ مسلم، ولفظ البخاري «رقبة مسلمة».

<sup>(٢)</sup> أخرجه البخاري (٦٩٠٣) ضمن حديث، وأخرجه مسلم (٧٨) ضمن حديث آخر كلاهما عن علي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

<sup>(٣)</sup> البيت للأعشى في «ديوانه» ص (١٠٠).

<sup>(٤)</sup> هو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري صاحب العربية ومنشئ علم العروض توفي سنة بضع وستين ومائة، وقيل: بقي إلى سنة سبعين ومائة. انظر «سير أعلام النبلاء» (٤٢٩/٧).

وكلامه هذا في كتابه العين مادة (نسم).

والعلوقة والعلاق والعلوق الأكل والرعي، تقول العرب: ما ذاق اليوم علوقاً، أي: طعاماً، قال الربيع ابن زياد يصف الخيل:

ومجَنَّبَاتٍ مَا يَذُقْنَ عُلُوقَةً  
وَقَالَ الْأَعْشَى:

وفلاةٌ كأنَّهَا ظهر ترس  
لَيْسَ فِيهَا [غير] الرجيعِ علاق<sup>(١)</sup>  
قلت: ومنه قول عائشة: «وَالنِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خَفَافٌ لَمْ يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ، إِنَّمَا يَأْكُلْنَ  
العَلَقَةَ مِنَ الطَّعَامِ»<sup>(٢)</sup>.

وأصل اللَّفْظَةُ مِنَ التَّعَلَّقِ، وَهُوَ مَا يَعْلُقُ الْقَلْبَ وَالنَّفْسَ مِنَ الْغَدَاءِ.  
قال: واختلف العلماء في معنى هَذَا الْحَدِيثِ، فَقَالَ قَائِلُونَ مِنْهُمْ: أَرْوَاحُ الْمُؤْمِنِينَ  
عِنْدَ اللَّهِ فِي الْجَنَّةِ شُهَدَاءٌ كَانُوا أُمَّ غَيْرِ شُهَدَاءٍ، إِذَا لَمْ يَجْبَسْهُمْ عَنِ الْجَنَّةِ كَبِيرَةً، وَلَا دِينَ  
وتلقاهم رَبِّهِمْ بِالْعَفْوِ عَنْهُمْ وَالرَّحْمَةِ لَهُمْ.  
قال: وَاحْتَجُّوا بِأَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ لَمْ يَخْصُ فِيهِ شَهِيداً مِنْ غَيْرِ شَهِيدٍ.

<sup>(١)</sup> البيت في «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري: (٣٢٢/٢) ولفظه:

ومجَنَّبَاتٍ مَا يَذُقْنَ عُدُوقاً  
يقذفن بالمهرات والأمهار

ومعنى «عدوفاً» و«يروى «عدوفاً» -بالدال المهملة- أي شيئاً قليلاً من العذف وهو العلف اليسير. فعلى هذا  
يكون البيت لا شاهد فيه لما ذكر هنا.

<sup>(٢)</sup> البيت للأعشى في «ديوانه» ص (١٣٤) ولفظه:

وفلاة كأنها ظهر ترس  
ليس إلا الرجيع فيها علاق

<sup>(٣)</sup> قطعة من حديث قصة الأفك الطويل أخرجه البخاري: (٤١٤١) ومسلم: (٢٧٧٠).

وَاحْتَجُّوا أَيضًا بِمَا رَوَى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ أَرْوَاحَ الْأَبْرَارِ فِي عَلِيَيْنِ، وَأَرْوَاحَ الْفَجَّارِ فِي سَجِّينَ وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو مِثْلَ ذَلِكَ<sup>(١)</sup>.

قَالَ أَبُو عَمْرٍو<sup>(٢)</sup>: وَهَذَا قَوْلٌ يُعَارِضُهُ مِنَ السَّنَةِ، مَا لَا مَدْفَعَ فِي صِحَّةِ نَقْلِهِ وَهُوَ قَوْلُهُ: «إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ عَرَضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ يُقَالُ لَهُ، هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(٣)</sup>.

وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّمَا مَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ فِي الشُّهَدَاءِ دُونَ غَيْرِهِمْ؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ وَالسَّنَةَ، إِنَّمَا يَدْلَانِ عَلَى ذَلِكَ، أَمَا الْقُرْآنُ فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ \* فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ \* [آل عمران: ١٦٩-١٧٠]، الْآيَةُ.

وَأَمَّا الْآثَارُ فَذَكَرَ حَدِيثَ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ رضي الله عنه مِنْ طَرِيقِ بَقِي بْنِ مَخْلَدٍ مَرْفُوعًا: «الشُّهَدَاءُ يَغْدُونَ وَيَرْوَحُونَ، ثُمَّ يَكُونُ مَاوَاهِمُ إِلَى قَنَادِيلٍ مَعْلُوقَةٍ بِالْعَرْشِ، فَيَقُولُ لَهُمُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: هَلْ تَعْلَمُونَ كَرَامَةَ أَفْضَلِ مَنْ كَرَّمَ أَكْرَمَتَكُمْوَهَا، فَيَقُولُونَ: لَا،

(١) هذان الأثران ذكرهما ابن عبد البر في «التمهيد» (١١/٥٩-٦٠) بدون إسناد، ولم أفف عليها مسندين.

(٢) ما زال هذا من كلام ابن عبد البر في «التمهيد» (١١/٦٠ وما بعدها).

(٣) أخرجه البخاري: (١٣٧٩) ومسلم: (٢٨٦٦) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

غير أَنَا وَوَدِدْنَا أَنَّكَ أَعَدْتَ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى تُقَاتِلَ مَرَّةً أُخْرَى، فَنَقْتُلَ فِي سَبِيلِكَ». رَوَاهُ عَنْ هِنَادٍ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ الْمُخْتَارِ عَنِ عَطِيَّةَ عَنْهُ<sup>(١)</sup>.

ثُمَّ سَأَلَ حَدِيثَ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ - يَعْنِي يَوْمَ أُحُدٍ - جَعَلَ اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي أَجْوَافِ طَيْرٍ خَضِرٍ تَرُدُّ أُنْهَارَ الْجَنَّةِ وَتَأْكُلُ مِنْ ثَمَارِهَا وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلٍ مِنْ ذَهَبٍ مُدَلَّلَةٍ<sup>(٢)</sup> فِي ظِلِّ الْعَرْشِ، فَلَمَّا وَجَدُوا طَيْبَ مَا كَلَهُمْ وَمَشَرَبَهُمْ وَمَقِيلَهُمْ، قَالُوا: مَنْ يَبْلُغُ إِخْوَانَنَا أَنَا [أَحْيَاءٌ] فِي الْجَنَّةِ نَرْزُقُ لَيْلًا يَنْكَلُوا عَنِ الْحَرْبِ، وَلَا يَزْهَدُوا فِي الْجِهَادِ، قَالَ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا أُبَلِّغُهُمْ عَنْكُمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩]. وَالْحَدِيثُ فِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ وَسَنَّ أَبِي دَاوُدَ<sup>(٣)</sup>.

ثُمَّ ذَكَرَ حَدِيثَ الْأَعْمَشِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَرَّةٍ عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: سَأَلْنَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ

<sup>(١)</sup> (إسناده ضعيف، ومنتنه ثابت في أحاديث أخرى)، أخرجه هناد في "الزهد" رقم (١٥٦) وابن عبد البر في "التمهيد" (٦٠ / ١١) من طريق إسماعيل بن المختار مولى موسى بن طلحة عن عطية العوفي عن أبي سعيد به.

وهذا إسناده ضعيف إسماعيل بن المختار هو الكوفي قال البخاري: فيه نظر لم يصح حديثه، وقال أبو حاتم: شيخ. وعطية العوفي ضعيف ومدلس وقد عنعن. فالإسناده ضعيف كما ترى إلا أن منتنه ثابت في أحاديث أخرى منها: حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في "صحيح مسلم"، ومنها حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في "مسند أحمد" وسيذكرها ابن القيم بعد هذا البحث.

<sup>(٢)</sup> في الأصل (مدلية)، وما أثبتناه من (ش) و(ف) وهو كذلك في التمهيد (٦١ / ١١). والمذلل هو الذي دُلِّيت عناقيدته ومنه قوله تعالى: ﴿ وَذُلِّكْتَ فَطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴾ [الإنسان: ١٤].

<sup>(٣)</sup> (صحيح) أخرجه أحمد: (٢٦٦ / ١) وأبو داود: (٢٥٢٠) وقد تقدم ص ( ).

يُزْرَقُونَ ﴿ [آل عمران: ١٦٩]، فَقَالَ: أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: «أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرِ خَضِرٍ تَسْرَحُ فِي الْجَنَّةِ فِي أَيِّهَا شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ، فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّكَ اطَّلَاعًا، فَقَالَ: هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا، قَالُوا: وَأَيُّ شَيْءٍ نَشْتَهِي، وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ، فَفَعَلَ بِهِمْ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَمْ يَتْرَكُوا مِنْ أَنْ يَسْأَلُوا قَالُوا: يَا رَبُّ نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نَقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى، فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تَرَكُوا». وَالْحَدِيثُ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»<sup>(١)</sup>.

قلت: وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ أُمَّ الرَّبِيعِ بِنْتَ الْبَرَاءِ وَهِيَ أُمُّ حَارِثَةَ بِنِ سَرِاقَةَ أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَلَا تَحْدِثُنِي عَنْ حَارِثَةَ، وَكَانَ قَتْلُ يَوْمِ بَدْرٍ أَصَابَهُ سَهْمٌ غَرِبَ<sup>(٢)</sup> قَالَتْ: فَإِنْ كَانَ فِي الْجَنَّةِ صَبْرْتُ، وَإِنْ كَانَ فِي غَيْرِ ذَلِكَ اجْتَهَدْتُ عَلَيْهِ فِي الْبُكَاءِ، قَالَ: «يَا أُمَّ حَارِثَةَ إِنَّهَا جَنَّانٌ، وَإِنْ ابْنُكَ أَصَابَ الْفَرْدُوسَ الْأَعْلَى»<sup>(٣)</sup>.

ثُمَّ سَأَلَ مِنْ طَرِيقِ بَقِي بْنِ مَخْلَدٍ: حَدَّثْنَا يَحْيَى بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ، حَدَّثَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ أَبِي يَزِيدٍ سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ، يَقُولُ: أَرْوَاحُ الشُّهَدَاءِ تَجُولُ فِي أَجْوَافِ طَيْرِ خَضِرٍ تَعْلُقُ فِي ثَمَرِ الْجَنَّةِ<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه مسلم (١٨٨٧).

(٢) أي لا يعرف راميها. النهاية «غرب».

(٣) أخرجه البخاري: (٢٨٠٩).

(٤) «التمهيد» لابن عبد البر (٦٣/١١) وإسناده ضعيف يحيى بن عبد الحميد هو الحماني متهم بالكذب. ويعني عن هذا الأثر ما صح من الأحاديث المرفوعة قبله.



ثمَّ ذَكَرَ عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: بَلَّغْنَا أَنَّ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ فِي صُورِ طَيْرٍ بِيضٍ تَأْكُلُ  
مِنْ ثَمَارِ الْجَنَّةِ<sup>(١)</sup>.

وَمِنْ طَرِيقِ أَبِي عَاصِمِ النَّبِيلِ عَنْ ثَوْرٍ بْنِ يَزِيدَ عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ  
عَمْرٍو: أَرْوَاحُ الشُّهَدَاءِ فِي طَيْرٍ كَالزَّرَازِيرِ<sup>(٢)</sup> يَتَعَارَفُونَ وَيُرْزَقُونَ مِنْ ثَمَرِ الْجَنَّةِ<sup>(٣)</sup>.

قَالَ أَبُو عَمْرٍو: هَذِهِ الْأَثَارُ كُلُّهَا تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الشُّهَدَاءَ دُونَ غَيْرِهِمْ، وَفِي بَعْضِهَا فِي  
صُورِ طَيْرٍ وَفِي بَعْضِهَا فِي أَجْوَافِ طَيْرٍ وَفِي بَعْضِهَا كَطَيْرِ خَضِرٍ.

قَالَ: وَالَّذِي يَشْبَهُ عِنْدِي -وَاللَّهِ أَعْلَمُ- أَنْ يَكُونَ الْقَوْلُ قَوْلَ مَنْ قَالَ: كَطَيْرٍ، أَوْ  
صُورِ طَيْرٍ لِمَطَابَقَتِهِ، لِحَدِيثِنَا الْمَذْكُورِ -يُرِيدُ حَدِيثَ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ وَقَوْلِهِ فِيهِ: «نَسَمَةٌ  
الْمُؤْمِنِ كَطَائِرٍ»، وَلَمْ يَقُلْ: «فِي جَوْفِ طَائِرٍ»-.

قَالَ: وَرَوَى عَيْسَى بْنُ يُونُسَ حَدِيثَ ابْنِ مَسْعُودٍ عَنِ الْأَعْمَشِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَرَّةٍ عَنْ  
مَسْرُوقٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ: «كَطَيْرٍ [خَضِرٍ]».

<sup>(١)</sup> أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٥/٢٦٣)، وفي «التفسير» (١/٦٣) ومن طريقه ابن جرير (٢/٣٩) عن معمر عن قتادة به. وهو منقطع كما ترى أن قتادة يقول فيه بلغنا. ثم هو من طريق معمر عن قتادة وقد تكلم فيها جماعة من الأئمة.

<sup>(٢)</sup> الزرازير جمع زرزور وهو طائر من مرتبة العصفوريات وهو أكبر قليلاً من العصفور. «المعجم الوسيط» (زرزر).

<sup>(٣)</sup> أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٤٤٦) عن ثور بن يزيد به. ورجاله ثقات إلا أنه منقطع بين خالد بن معدان وعبد الله بن عمرو.

قلت: والذي في "صحيح مسلم": «في أجواف طير خضر»<sup>(١)</sup>.  
 قَالَ أَبُو عَمْرٍو: فَعَلِيَ هَذَا التَّأْوِيلَ كَأَنَّهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «إِنَّمَا نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ مِنَ الشُّهَدَاءِ طَائِرٌ يعلِقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ».

قلت: لَا تَنَافِي بَيْنَ قَوْلِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ يعلِقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ»، وَبَيْنَ قَوْلِهِ: «إِنِ أَحَدُكُمْ إِذَا مَاتَ عَرَضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمَنْ أَهْلُ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ». وَهَذَا الْخَطَابُ يَتَنَاوَلُ الْمَيِّتَ عَلَى فَرَّاشِهِ وَالشَّهِيدَ، كَمَا أَنَّ قَوْلَهُ: «نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ يعلِقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ»، يَتَنَاوَلُ الشَّهِيدَ وَغَيْرَهُ وَمَعَ كَوْنِهِ يَعْضُ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، تَرِدُ رُوحُهُ أَنَهَارَ الْجَنَّةِ وَتَأْكُلُ مِنْ ثَمَارِهَا. وَأَمَّا الْمَقْعَدُ الْحَاصِلُ بِهِ وَالْبَيْتُ الَّذِي أُعِدَّ لَهُ فَإِنَّهُ إِنَّمَا يَدْخُلُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَيَدُلُّ عَلَيْهِ أَنَّ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَدُورَهُمْ وَقُصُورَهُمُ الَّتِي أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ لَيْسَتْ هِيَ تِلْكَ الْقَنَادِيلُ الَّتِي تَأْوِي إِلَيْهَا أَرْوَاحُهُمْ فِي الْبَرزَخِ قَطْعًا، فَهَمَّ يَرُونَ مَنَازِلَهُمْ وَمَقَاعِدَهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيَكُونُ مُسْتَقَرُّهُمْ فِي تِلْكَ الْقَنَادِيلِ الْمُعَلَّقَةِ بِالْعَرْشِ، فَإِنَّ الدُّخُولَ التَّامَّ الْكَامِلَ إِنَّمَا يَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَدُخُولَ الْأَرْوَاحِ الْجَنَّةَ فِي الْبَرزَخِ أَمْرٌ دُونَ ذَلِكَ.

وَنَظِيرُ هَذَا: أَهْلُ الشَّقَاءِ تَعْرُضُ أَرْوَاحَهُمْ عَلَى النَّارِ غَدَاً وَعَشِيًّا، فَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ دَخَلُوا مَنَازِلَهُمْ وَمَقَاعِدَهُمُ الَّتِي كَانُوا يَعْضُونَ عَلَيْهَا فِي الْبَرزَخِ، فَتَنْعَمُ الْأَرْوَاحُ بِالْجَنَّةِ فِي الْبَرزَخِ شَيْءً وَتَنْعَمُهَا مَعَ الْأَبْدَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِهَا شَيْءٌ آخَرَ، فَغَدَاءَ الرُّوحِ مِنَ الْجَنَّةِ فِي الْبَرزَخِ دُونَ غَدَائِهَا مَعَ بَدَنِهَا يَوْمَ الْبَعْثِ، وَهَذَا قَالَ: «تَعْلُقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ»،

<sup>(١)</sup> يعني من طريق عيسى ابن يونس بهذا اللفظ، وقد تابعه على هذا أبو معاوية وأساط وجرير -عند مسلم- وسفيان -عند الترمذي: (٣٠١١) كلهم يروونه عن الأعمش بهذا اللفظ، وأما طريق عيسى بن يونس الذي أشار إليها ابن عبد البر فلم أقف عليها، وتقدم أن روايته في "صحيح مسلم" موافقة لرواية الجماعة.

أي: تأكل العلقمة، وأما تمام الأكل والشرب واللبس والتمتع، فإنَّما يكون إذا رَدَّتْ إِلَى أجسادها يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَظَهَرَ أَنَّهُ لَا يُعَارِضُ هَذَا الْقَوْلَ مِنَ السُّنَّةِ شَيْءٌ، وَإِنَّمَا تَعَاوَدُهُ السُّنَّةُ وَتَوَافَقَهُ.

وَأَمَّا قَوْلُ مَنْ قَالَ: إِنَّ حَدِيثَ كَعْبٍ فِي الشُّهَدَاءِ دُونَ غَيْرِهِمْ، فَتَخْصِيصٌ لَيْسَ فِي اللَّفْظِ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ، وَهُوَ حَمَلُ اللَّفْظِ الْعَامِ عَلَى أَقْلٍ مَسْمِيَاتِهِ، فَإِنَّ الشُّهَدَاءَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى عُمُومِ الْمُؤْمِنِينَ قَلِيلٌ جَدًّا، وَالنَّبِيُّ ﷺ، عُلِقَ هَذَا الْجُزْءُ بِوَصْفِ الْإِيمَانِ فَهُوَ الْمُقْتَضِي لَهُ، وَلَمْ يَعْطِقْهُ بِوَصْفِ الشَّهَادَةِ.

أَلَا تَرَى أَنَّ الْحُكْمَ الَّذِي اخْتَصَّ بِالشُّهَدَاءِ عُلِقَ بِوَصْفِ الشَّهَادَةِ، كَقَوْلِهِ فِي حَدِيثِ الْمُقْدَامِ بْنِ مَعَدٍ يَكْرَبُ: «لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتٌّ خِصَالٌ: يَغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيَجْلِي حَلَّةَ الْإِيمَانِ، وَيَزُوجُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيَجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الْفَرْعِ الْأَكْبَرِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ الْيَاقُوتَةُ مِنْهُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيَزُوجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيَشْفَعُ فِي سَبْعِينَ [إِنْسَانًا] مِنْ أَقَارِبِهِ»<sup>(١)</sup>.

(١) (صحيح بشواهده) تقدم في أول المسألة العاشرة ص ( ).

وقد وقع بهذا اللفظ تعداد الخصال تسع مع أنه قال في أوله: «للشَّهِيدِ سِتٌّ خِصَالٌ»، فلعل هذا من اضطراب إسماعيل بن عياش الذي سبقت الإشارة إليه عند تخريج الحديث، حتى قال العلامة الألباني في «الصحيححة» (٣٢١٣): «وهذا من نوادر الاضطراب في المتن -فيما علمت- مع صحة السند...» إلى آخر كلامه فراجع.

فَلَمَّا كَانَ هَذَا يَخْتَصُّ بِالشَّهِيدِ، قَالَ: إِنَّ لِلشَّهِيدِ وَلَمْ يَقُلْ إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ فِي حَدِيثِ قَيْسِ الْجَذَامِيِّ: «يُعْطَى الشَّهِيدُ سِتَّ خِصَالٍ»<sup>(١)</sup>، وَكَذَلِكَ سَائِرُ الْأَحَادِيثِ وَالنُّصُوصِ الَّتِي عُلِّقَ فِيهَا الْجَزَاءُ بِالشَّهَادَةِ.

وَأَمَّا مَا عُلِّقَ فِيهِ الْجَزَاءُ بِالْإِيمَانِ، فَإِنَّهُ يَتَنَاوَلُ كُلَّ مُؤْمِنٍ شَهِيدًا كَانَ أَوْ غَيْرَ شَهِيدٍ. وَأَمَّا النُّصُوصُ وَالْآثَارُ الَّتِي ذَكَرَ فِي رِزْقِ الشُّهَدَاءِ وَكَوْنِ أَرْوَاحِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، فَكُلُّهَا حَقٌّ وَهِيَ لَا تَدُلُّ عَلَى انْتِفَاءِ دُخُولِ أَرْوَاحِ الْمُؤْمِنِينَ الْجَنَّةَ، وَلَا سِيَّمَا الصَّدِيقِينَ الَّذِينَ هُمْ أَفْضَلُ مِنَ الشُّهَدَاءِ بِلَا نِزَاعٍ بَيْنَ النَّاسِ، فَيُقَالُ لَهُؤُلَاءِ: مَا تَقُولُونَ فِي أَرْوَاحِ الصَّدِيقِينَ هَلْ هِيَ فِي الْجَنَّةِ أَمْ لَا؟

فَإِنْ قَالُوا: إِنَّهَا فِي الْجَنَّةِ -وَلَا يَسُوعُ لَهُمْ غَيْرَ هَذَا الْقَوْلِ- قِيلَ: فَتَبَّتْ أَنْ هَذِهِ النُّصُوصُ لَا تَدُلُّ عَلَى اخْتِصَاصِ أَرْوَاحِ الشُّهَدَاءِ بِذَلِكَ، وَإِنْ قَالُوا لَيْسَتْ فِي الْجَنَّةِ لَزِمَهُمْ مِنْ ذَلِكَ أَنْ تَكُونَ أَرْوَاحُ سَادَاتِ الصَّحَابَةِ كَأَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ وَأَبِي بَنِي كَعْبٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ وَحَدِيفَةَ بْنِ الْيَمَانِ وَأَشْبَاهَهُمْ، لَيْسَتْ فِي الْجَنَّةِ وَأَرْوَاحُ شُهُدَاءِ زَمَانِنَا فِي الْجَنَّةِ وَهَذَا مَعْلُومٌ الْبَطْلَانِ صُرُورَةً.

<sup>(١)</sup> أخرجه أحمد: (٢٠٠/٤) من طريق عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن أبيه عن مكحول عن كثير بن مرة عن قيس الجذامي به. وفي إسناده اختلاف على كثير بن مرة، قال العلامة الألباني في «الصححة»: «وهذا إسناد حسن إن كان حفظه عبد الرحمن وإلا فإسناده خالد بن معدان عن المقدم أصح». قلت: تقدم في تحريج حديث المقدم أن ابن أبي شيبه أخرجه من طريق برد بن سنان عن مكحول من قوله، بينما جعله عبد الرحمن بن ثابت -هنا- عن أبيه عن مكحول مرفوعاً وقد قال صالح جزرة في عبد الرحمن بن ثابت: «أنكروا عليه أحاديث يروونها عن أبيه عن مكحول»، فالله أعلم.

فَإِنْ قِيلَ: فَإِنْ كَانَ هَذَا حُكْمًا لَا يُخْتَصُّ بِالشُّهَدَاءِ، فَمَا الْمَوْجِبُ لِتَخْصِيصِهِم بِالذِّكْرِ فِي هَذِهِ النُّصُوصِ؟

قيل: تخصيصهم بالذكر في هذه النصوص دلٌّ على التَّنْبِيهِ عَلَى فَضْلِ الشَّهَادَةِ وَعُلُوِّ دَرَجَتِهَا، وَأَنَّ هَذَا مَضْمُونٌ لِأَهْلِهَا وَلَا بُدَّ، وَأَنَّ لَهُمْ مِنْهُ، أَوْ فَرَصَاتٍ نَصِيبًا. فَنَصِيبُهُمْ<sup>(١)</sup> مِنْ هَذَا النَّعِيمِ فِي الْبَرزَخِ أَكْمَلُ مِنْ نَصِيبِ غَيْرِهِمْ مِنَ الْأَمْوَاتِ عَلَى فُرْشِهِمْ، وَإِنْ كَانَ الْمَيِّتُ عَلَى فَرَاشِهِ أَعْلَى دَرَجَةٍ مِنْ كَثِيرٍ مِنْهُمْ فَلَهُ نَعِيمٌ يُخْتَصُّ بِهِ لَا يُشَارِكُهُ فِيهِ مِنْ هُوَ دُونَهُ.

وَيَدُلُّ عَلَى هَذَا أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ فِي أَجْوَافِ طَيْرِ خَضِرٍ، فَإِنَّهُمْ لَمَّا بَدَلُوا أَبْدَانَهُمْ لِلَّهِ حَتَّى أَتَلَفَهَا أَعْدَاؤُهُ فِيهِ أَعْضَاهُمْ، مِنْهَا فِي الْبَرزَخِ أَبْدَانًا خَيْرًا مِنْهَا تَكُونُ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَيَكُونُ تَنْعُمُهَا بِوَسِطَةِ تِلْكَ الْأَبْدَانِ أَكْمَلُ مِنْ نَعِيمِ الْأَرْوَاحِ الْمَجْرَدَةِ عَنْهَا، وَهَذَا كَانَتْ نَسْمَةُ الْمُؤْمِنِ فِي صُورَةِ طَيْرٍ أَوْ كَطَيْرٍ، وَنَسْمَةُ الشَّهِيدِ فِي جَوْفِ طَيْرٍ، وَتَأْمَلُ لَفْظَ الْحَدِيثَيْنِ: فَإِنَّهُ قَالَ: «نَسْمَةُ الْمُؤْمِنِ طَيْرٌ»، فَهَذَا يَعْمُ الشَّهِيدَ وَغَيْرَهُ، ثُمَّ خَصَّ الشَّهِيدَ بِأَنَّ قَالَ: «هِيَ فِي جَوْفِ طَيْرٍ»، وَمَعْلُومٌ أَنَّهَا إِذَا كَانَتْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ صَدَقَ عَلَيْهَا أَنَّهَا طَيْرٌ، فَصَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَى مَنْ يَصْدُقُ كَلَامُهُ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَيَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ حَقٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَهَذَا الْجَمْعُ أَحْسَنُ مِنْ جَمْعِ أَبِي عَمْرٍ وَتَرْجِيحُهُ رِوَايَةً مِنْ رَوَى: «أَرْوَاحُهُمْ كَطَيْرِ خَضِرٍ»، بَلِ الرَّوَايَتَانِ حَقٌّ وَصَوَابٌ، فَهِيَ كَطَيْرِ خَضِرٍ وَفِي أَجْوَافِ طَيْرِ خَضِرٍ.

(١) فِي الْأَصْلِ (فِيصِيهِمْ) وَهُوَ تَصْحِيفٌ.

## فصل

وَأَمَّا قَوْلُ مُجَاهِدٍ: لَيْسَ هِيَ فِي الْجَنَّةِ، وَلَكِنْ يَأْكُلُونَ مِنْ ثَمَارِهَا وَيَجِدُونَ رِيحَهَا، فَقَدْ يَحْتَجُّ لِهَذَا الْقَوْلِ بِمَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» مِنْ حَدِيثِ ابْنِ إِسْحَاقَ عَنْ عَاصِمِ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «الشُّهَدَاءُ عَلَى بَارِقٍ نَهْرٍ بِيَابِ الْجَنَّةِ فِي قَبَّةِ خَضْرَاءٍ يُخْرَجُ عَلَيْهِمْ رِزْقُهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ بِكَرَّةٍ وَعَشِيَّةٍ»<sup>(١)</sup>.

وَهَذَا لَا يُنَافِي كَوْنَهُمْ فِي الْجَنَّةِ، فَإِنَّ ذَلِكَ النَّهْرَ مِنَ الْجَنَّةِ وَرِزْقَهُمْ يُخْرَجُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْجَنَّةِ فِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنْ لَمْ يَصِيرُوا إِلَى مَقَاعِدِهِمْ مِنْهَا<sup>(٢)</sup>، فَمَجَاهِدٌ نَفَى الدُّخُولَ الْكَامِلَ مِنْ كُلِّ وَجْهِ وَالتَّعْبِيرَ يَقْصُرُ عَنِ الْإِحَاطَةِ بِتَمْيِيزِ هَذَا مِنْ هَذَا. وَأَكْمَلُ الْعِبَارَةِ وَأَدْلَاهَا عَلَى الْمُرَادِ عِبَارَةُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، ثُمَّ عِبَارَةُ أَصْحَابِهِ، وَكَلِمَا نَزَلَتْ رَأَيْتَ الشَّفَاءَ وَالْهُدَى وَالنُّورَ، وَكَلِمَا عَلَوْتَ رَأَيْتَ الْحَيْرَةَ وَالِدَعَاوَى وَالْقَوْلَ بِلَا عِلْمٍ.

<sup>(١)</sup> (حسن)، أخرجه أحمد: (٢٦٦/١)، فقال ثنا يعقوب حدثني أبي عن ابن إسحاق قال حدثني الحارث بن فضيل الأنصاري عن محمود بن لبيد الأنصاري عن ابن عباس به. وإسناده حسن ابن إسحاق هو محمد حسن الحديث، وقد صرح بالتحديث وباقي رجاله ثقات يعقوب هو ابن إبراهيم بن سعد ثقة، وأبوه ثقة. <sup>(٢)</sup> قال ابن كثير في «تفسيره» عند آية (١٦٩) من سورة آل عمران وهو يتكلم على حديث ابن عباس رضي الله عنهما، هذا وكأن الشهداء أقسام منهم من تسرح أرواحهم في الجنة ومنهم من يكون على هذا النهر بباب الجنة، وقد يحتمل أن يكون منتهي سيرهم إلى هذا النهر فيجتمعون هناك ويغدى عليهم برزقهم هناك ويراح. والله أعلم.

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَنَدَةَ: وَرَوَى مُوسَى بْنُ عَبِيدَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ عَنْ أُمِّ كَبْشَةَ بِنْتِ الْمَعْرُورِ، قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَسَأَلَنَا عَنْ هَذِهِ الْأَرْوَاحِ؟ فَوَصَفَهَا صِفَةً أَبْكَى أَهْلَ الْبَيْتِ، فَقَالَ: «إِنَّ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ فِي حَوَاصِلِ طَيْرِ خَضِرٍ تَرَعَى فِي الْجَنَّةِ، وَتَأْكُلُ مِنْ ثَمَارِهَا وَتَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلٍ مِنْ ذَهَبٍ تَحْتَ الْعَرْشِ تَقُولُ: رَبَّنَا أَلْحِقْ بِنَا إِخْوَانَنَا، وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا، وَإِنَّ أَرْوَاحَ الْكُفَّارِ فِي حَوَاصِلِ طَيْرٍ سَوْدٍ تَأْكُلُ مِنَ النَّارِ وَتَشْرَبُ مِنَ النَّارِ وَتَأْوِي إِلَى حُجْرٍ فِي النَّارِ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَا تَلْحَقْ بِنَا إِخْوَانَنَا وَلَا تَوْتِنَا مَا وَعَدْتَنَا»<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ الطَّبْرَانِيُّ: حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ الدَّمَشْقِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ [حَدَّثَنِي مُعَاوِيَةَ ابْنَ صَالِحٍ] عَنْ ضَمْرَةَ بْنِ حَبِيبٍ، قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ، عَنْ أَرْوَاحِ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقَالَ: «فِي طَيْرِ خَضِرٍ، تَسْرَحُ فِي الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ»، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَرْوَاحُ الْكُفَّارِ؟ قَالَ: «مَحْبُوسَةٌ فِي سَجِّينٍ».

وَرَوَاهُ أَبُو الشَّيْخِ عَنْ هِشَامِ بْنِ يُونُسَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَالِحٍ، وَرَوَاهُ أَبُو الْمُغِيرَةَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَبِي مَرْيَمَ عَنْ ضَمْرَةَ بْنِ حَبِيبٍ<sup>(٢)</sup>.

<sup>(١)</sup> (ضعيف) فيه موسى بن عبيدة وهو الربذي ضعيف وعبد الله بن يزيد لم أعرفه ولم أر من مشايخ موسى بن عبيدة من يسمى بهذا الاسم.

<sup>(٢)</sup> (مرسل ضعيف الإسناد وله شواهد) لم أقف عليه في عند الطبراني في شيء من مصنفاته المتوفرة عندي، وإسناده ضعيف؛ فيه عبد الله بن صالح وهو أبو صالح المصري كاتب الليث فيه ضعف. ورواية أبي الشيخ التي بعده أيضًا من طريق عبد الله بن صالح، ورواية أبي المغيرة فيها أبو بكر بن أبي مريم ضعيف جدًا. ولكن هذا المرسل له شواهد كثيرة تقدم بعضها.

وَذَكَرَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَنْدَةَ مِنْ حَدِيثِ غُنَجَارَ عَنِ الثُّورِيِّ عَنِ ثَوْرِ بْنِ يَزِيدَ عَنِ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَرْوَاحُ الْمُؤْمِنِينَ فِي طَيْرِ خَضِرٍ كَالزَّرَازِيرِ تَأْكُلُ مِنْ ثَمَرِ الْجَنَّةِ»، وَرَوَاهُ غَيْرُهُ مَوْقُوفًا<sup>(١)</sup>.

وَذَكَرَ يَزِيدُ الرَّقَاشِيُّ عَنِ أَنَسِ، وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ الشَّامِيُّ عَنِ تَمِيمِ الدَّارِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِذَا عَرَجَ مَلِكُ الْمَوْتِ بِرُوحِ الْمُؤْمِنِ إِلَى السَّمَاءِ، اسْتَقْبَلَهُ جِبْرَائِيلُ فِي سَبْعِينَ أَلْفًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ كُلِّ مِنْهُمْ يَأْتِيهِ بِبِشَارَةٍ مِنَ السَّمَاءِ سِوَى بِشَارَةِ صَاحِبِهِ، فَإِذَا انْتَهَى بِهِ إِلَى الْعَرْشِ خَرَّ سَاجِدًا فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمَلِكِ الْمَوْتِ، أَنْطَلِقْ بِرُوحِ عَبْدِ فُضِعِهِ فِي سَدْرٍ مَخْضُودٍ، وَطَلِحْ مَخْضُودٍ، وَظَلِّ مَمْدُودٍ وَمَاءَ مَسْكُوبٍ». رَوَاهُ بَكْرُ بْنُ خُنَيْسٍ عَنِ ضَرَّارِ بْنِ عَمْرٍو عَنِ يَزِيدِ وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ<sup>(٢)</sup>.

<sup>(١)</sup> (الموقوف أصح وإسناده منقطع) الموقوف أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٤٤٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢٨٩/١-٢٩٠)، وتقدم أنه منقطع.

والمرفوع أخرجه ابن مندة - ولم أرف على كتابه- ولكن ذكر ابن القيم هنا أنه من طريق غنجار وهو عيسى بن موسى أبو أحمد البخاري الأزرق قال الحافظ في «التقريب» صدوق ربما أخطأ وربما دلس يكثر من التحديث عن المتروكين وقد ذكر ابن حبان أنه كان يدلس عن الثقات ما سمع من الضعفاء. وقد ذكر هذا الحديث ابن رجب في «أهوال القبور» (١٠٣)، ثم قال: قال ابن مندة رواه جماعة عن الثوري موقوفاً يعني على عبد الله بن عمرو والصواب وقفه، وقد سبق أن الإمام أحمد ذكره في روايته عن ابنه موقوفاً. اهـ

<sup>(٢)</sup> (ضعيف جداً) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٤/١١-٥٨)، وأبو يعلى كما في «المطالب العالية» (١٠٩/٥-١١٤) ضمن حديث طويل من طريق بكر بن خنيس عن ضرار بن عمرو عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك عن تميم الداري به. وإسناده ضعيف جداً بكر بن خنيس وضرار بن عمرو ويزيد الرقاشي ثلاثهم ضعفاء وفيهم من هو ضعيف جداً وقد أنكر الأئمة هذا الحديث، قال أبو نعيم كما في ترجمة ضرار بن عمرو من «لسان الميزان» له عن يزيد الرقاشي عن أنس عن تميم حديث منكر. وذكره ابن كثير في «تفسيره» عند الآية (٢٧)، من سورة إبراهيم ثم قال: هذا الحديث غريب جداً وسياق



## فصل

وَأَمَّا قَوْلُ مَنْ قَالَ: الْأَرْوَاحُ عَلَى أَفْنِيَةِ قُبُورِهَا، فَإِنْ أَرَادَ أَنْ هَذَا أَمْرٌ لَازِمٌ لَهَا لَا تَفَارِقُ أَفْنِيَةَ الْقُبُورِ أَبَدًا، فَهَذَا خَطَأٌ، تَرَدُّهُ نُصُوصُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ وُجُوهِ كَثِيرَةٍ، قَدْ ذَكَرْنَا بَعْضَهَا، وَسَنَذَكُرُ مِنْهَا مَا لَمْ نَذَكُرْهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وَإِنْ أَرَادَ: أَنَّهَا تَكُونُ عَلَى أَفْنِيَةِ الْقُبُورِ، وَقَتًا أَوْلَهَا إِشْرَافٌ عَلَى قُبُورِهَا، وَهِيَ فِي مَقَرِّهَا فَهَذَا حَقٌّ وَلَكِنْ لَا يُقَالُ مُسْتَقَرُّهَا أَفْنِيَةُ الْقُبُورِ.

وَقَدْ ذَهَبَ إِلَى هَذَا الْمَذْهَبِ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ أَبُو عَمْرِو بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ قَالَ فِي «كِتَابِهِ»<sup>(١)</sup> فِي شَرْحِ حَدِيثِ ابْنِ عَمْرِو بْنِ اللَّهِ: «إِنْ أَحَدُكُمْ إِذَا مَاتَ عَرَضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ»، وَقَدْ اسْتَدَلَّ بِهِ مَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ الْأَرْوَاحَ عَلَى أَفْنِيَةِ الْقُبُورِ، وَهُوَ أَصْحَحُ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ مِنْ طَرِيقِ الْأَثَرِ، أَلَا تَرَى أَنَّ الْأَحَادِيثَ الدَّالَّةَ عَلَى ذَلِكَ ثَابِتَةٌ مُتَوَاتِرَةٌ وَكَذَلِكَ أَحَادِيثُ السَّلَامِ عَلَى الْقُبُورِ.

قُلْتُ: يُرِيدُ الْأَحَادِيثَ الْمُتَوَاتِرَةَ مِثْلَ حَدِيثِ ابْنِ عَمْرِو هَذَا، وَمِثْلَ حَدِيثِ الْبَرِّ ابْنِ عَازِبِ الَّذِي تَقْدَمُ<sup>(٢)</sup> وَفِيهِ: «هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، وَمِثْلَ حَدِيثِ

---

عجيب ويزيد الرقاشي راويه عن أنس رضي الله عنه، له غرائب ومنكرات، وهو ضعيف الرواية عند الأئمة. وقال الحافظ ابن حجر في «المطالب العالية» بعد أن ذكر الحديث: هذا حديث عجيب السياق وهو شاهد لكثير مما ثبت في حديث البراء رضي الله عنه، الطويل المشهور، ولكن هذا الإسناد غريب لانعرف أحدًا روى عن أنس عن تميم الداري رضي الله عنه، إلا من هذا الوجه، ويزيد الرقاشي سيء الحفظ جدًا كثير المناكير كان لا يضبط الإسناد فيلنزلق بأنس رضي الله عنه كل شيء يسمعه من غيره، ودونه —أي دون يزيد من رجال الإسناد— من هو مثله، أو أشد ضعفًا.

<sup>(١)</sup> انظر «التمهيد» (١٤/١٠٩)، و«الاستذكار» (٨/٣٥٤).

<sup>(٢)</sup> (صحيح)، وتقدم أول المسألة السادسة.

أنس: «إِن لِلْعَبْدِ إِذَا وَضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قِرْعَ نَعَالِهِمْ»<sup>(١)</sup>. وَفِيهِ أَنَّهُ يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَأَنَّهُ يَفْسَحُ لِلْمُؤْمِنِ فِي قَبْرِهِ سَبْعِينَ ذِرَاعًا وَيَضِيقُ عَلَى الْكَافِرِ، وَمِثْلَ حَدِيثِ جَابِرٍ: «إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تَبْلَى فِي قُبُورِهَا، فَإِذَا دَخَلَ الْمُؤْمِنُ قَبْرَهُ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ أَتَاهُ مَلِكٌ...». الْحَدِيثُ، وَأَنَّهُ يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: «دَعُونِي أَبْشُرْ أَهْلِي»، فَيُقَالُ لَهُ: «أَسْكُنْ فَهَذَا مَقْعَدُكَ أَبَدًا»<sup>(٢)</sup>. وَمِثْلَ سَائِرِ أَحَادِيثِ عَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ الَّتِي تَقَدَّمَتْ وَمِثْلَ أَحَادِيثِ السَّلَامِ عَلَى أَهْلِ الْقُبُورِ وَخَطَابِهِمْ وَمَعْرِفَتِهِمْ بِزِيَارَةِ الْأَحْيَاءِ لَهُمْ وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ ذَلِكَ كُلِّهِ.

وَهَذَا الْقَوْلُ تَرَدَّدَ السَّنَةَ الصَّحِيحَةَ وَالْآثَارَ الَّتِي لَا مَدْفَعَ لَهَا، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا، وَكُلُّ مَا ذَكَرَهُ مِنَ الْأَدِلَّةِ فَهُوَ يَتَنَاوَلُ الْأَرْوَاحَ الَّتِي هِيَ فِي الْجَنَّةِ بِالنَّصِّ وَفِي الرَفِيقِ الْأَعْلَى، وَقَدْ بَيَّنَّا أَنَّ عَرْضَ مَقْعَدِ الْمَيِّتِ عَلَيْهِ مِنَ الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الرُّوحَ فِي الْقَبْرِ وَلَا عَلَى فَنَائِهِ دَائِمًا مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ بَلْ لَهَا إِشْرَافٌ وَاتِّصَالٌ بِالْقَبْرِ وَفَنَائِهِ وَذَلِكَ الْقَدْرُ مِنْهَا يَعْضُضُ عَلَيْهِ مَقْعَدَهُ، فَإِنَّ لِلرُّوحِ شَأْنًا آخَرَ تَكُونُ فِي الرَفِيقِ الْأَعْلَى فِي أَعْلَى عَالَمَيْنِ، وَلَهَا اتِّصَالٌ بِالْبَدَنِ بِحَيْثُ إِذَا سَلَّمَ الْمُسْلِمُ عَلَى الْمَيِّتِ، رَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ رُوحَهُ فَيَرُدُّ عَلَيْهِ السَّلَامَ وَهِيَ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى<sup>(٣)</sup>.

<sup>(١)</sup> أخرجه البخاري: (١٣٧٤)، ومسلم: (٢٨٧٠).

<sup>(٢)</sup> (صحيح موقوفاً وله حكم الرفع)، أخرجه عبدالرزاق (٣/٣٥٨٥)، عن ابن جريج قال أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: ... فذكره موقوفاً. وإسناده صحيح على شرط الشيخين، وأخرجه أحمد (٣/٣٤٦)، والطبراني في الأوسط: (٩/٢٩-٣٠)، من طريق ابن لهيعة عن أبي الزبير عن جابر به مرفوعاً. وابن لهيعة ضعيف. وأبو الزبير مدلس وقد عنعن. فالموقوف أصح. ولكن له حكم الرفع إذ هو من أمور الغيب، وأيضاً شواهد من السنة كثيرة جداً في «الصحيحين» وغيرهما.

<sup>(٣)</sup> ثبت هذا في حق النبي ﷺ، وأما ما جاء في حق غيره فقد تقدم أنه ضعيف. انظر بداية المسألة الأولى.

وَإِنَّمَا يَغْلُظُ أَكْثَرَ النَّاسِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ حَيْثُ يُعْتَقَدُ أَنَّ الرُّوحَ مِنْ جِنْسٍ مَا يَعْهَدُ مِنَ الْأَجْسَامِ الَّتِي إِذَا شَغَلَتْ مَكَانًا لَمْ يُمَكِّنْ أَنْ تَكُونَ فِي غَيْرِهِ، وَهَذَا غَلَطٌ مَحْضٌ بَلِ الرُّوحُ يَكُونُ فَوْقَ السَّمَوَاتِ فِي أَعْلَى عَالَمَيْنِ، وَتَرْدُ إِلَى الْقَبْرِ فَتَرْدُ السَّلَامِ، وَتَعْلَمُ بِالْمُسْلِمِ، وَهِيَ فِي مَكَانِهَا هُنَاكَ وَرُوحَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى دَائِمًا، وَيُرْدهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ إِلَى الْقَبْرِ فَتَرْدُ السَّلَامِ عَلَى مَنْ سَلَّمَ عَلَيْهِ، وَتَسْمَعُ كَلَامَهُ، وَقَدْ رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُوسَى قَائِمًا يَصَلِّي فِي قَبْرِ وَرَأَاهُ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ أَوْ السَّابِعَةِ، فَإِنَّمَا أَنْ تَكُونَ سَرِيعَةَ الْحَرَكَةِ وَالانْتِقَالَ كَلِمَحِ الْبَصْرِ، وَإِنَّمَا أَنْ يَكُونَ الْمُتَّصِلُ مِنْهَا بِالْقَبْرِ وَفَنَائِهِ بِمَنْزِلَةِ شِعَاعِ الشَّمْسِ، وَجِرْمِهَا فِي السَّمَاءِ<sup>(١)</sup>.

وَقَدْ ثَبَتَ: أَنَّ رُوحَ النَّائِمِ تَصْعَدُ حَتَّى تَخْتَرِقَ السَّبْعَ الطَّبَاقَ، وَتَسْجُدُ لِلَّهِ بَيْنَ يَدَيْ الْعَرْشِ، ثُمَّ تَرْدُ إِلَى جَسَدِهِ فِي أَيْسَرِ زَمَانٍ، وَكَذَلِكَ رُوحُ الْمَيِّتِ تَصْعَدُ بِهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تَجَاوِزَ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ، وَتَقْفَهَا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ فَتَسْجُدُ لَهُ، وَيَقْضَى فِيهَا قَضَاءَهُ وَيُرِيهَا الْمَلِكُ مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهَا فِي الْجَنَّةِ ثُمَّ تَهْبِطُ فَتَشْهَدُ غَسْلَهُ وَحَمْلَهُ وَدَفْنَهُ.

وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي حَدِيثِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ: أَنَّ النَّفْسَ يُصْعَدُ بِهَا حَتَّى تَتَوَقَّفَ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ، فَيَقُولُ تَعَالَى: «اَكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عَالَمَيْنِ ثُمَّ أَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ»، فَيُعَادُ إِلَى الْقَبْرِ، وَذَلِكَ فِي مِقْدَارِ تَجْهِيزِهِ، وَتَكْفِينِهِ، فَقَدْ صَرَحَ بِهِ فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ حَيْثُ قَالَ: «فِيهِبُطُونَ عَلَى قَدْرِ فَرَاغِهِ مِنْ غَسْلِهِ، وَأُكْفَانِهِ فَيَدْخُلُونَ ذَلِكَ الرُّوحَ بَيْنَ جَسَدِهِ وَأُكْفَانِهِ»<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر «مجموع الفتاوى» (٤/٣٢٩)، (٢٤/٣٦٥).

(٢) (ضعيف)، من طريق حماد بن قيراط، وهو ضعيف، وأيضًا فيه انقطاع بين الضحاك، وابن عباس وتقدم تخريجه في المسألة السادسة.

وَقَدْ ذَكَرَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَنَدَةَ مِنْ حَدِيثِ عَيْسَى بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، حَدَّثَنَا ابْنُ شَهَابٍ حَدَّثَنَا عَامِرُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: أَرَدْتُ مَالِي بِالْغَابَةِ فَأَدْرَكَنِي اللَّيْلُ، فَأُوتِيتُ إِلَى قَبْرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ حَرَامٍ، فَسَمِعْتُ قِرَاءَةَ مِنَ الْقَبْرِ مَا سَمِعْتُ أَحْسَنَ مِنْهَا فَجِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: «ذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ، أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَبِضَ أَرْوَاحَهُمْ فَجَعَلَهَا فِي قَنَادِيلٍ مِنْ زَبْرُجَدٍ وَيَأْقُوتٍ، ثُمَّ عَلَقَهَا وَسَطَ الْجَنَّةِ، فَإِذَا كَانَ اللَّيْلُ رَدَّتْ إِلَيْهِمْ أَرْوَاحَهُمْ، فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ رَدَّتْ أَرْوَاحَهُمْ إِلَى مَكَانِهِمُ الَّذِي كَانَتْ بِهِ»<sup>(١)</sup>.

فَفِي هَذَا الْحَدِيثِ بَيَانٌ سُرْعَةَ انْتِقَالِ أَرْوَاحِهِمْ مِنَ الْعَرْشِ إِلَى الثَّرَى، ثُمَّ انْتِقَالَهَا مِنَ الثَّرَى إِلَى مَكَانِهَا، وَهَذَا قَالَ مَالِكٌ وَغَيْرُهُ مِنَ الْأَثَمَّةِ: أَنَّ الرُّوحَ مُرْسَلَةٌ، تَذْهَبُ حَيْثُ شَاءَتْ<sup>(٢)</sup>.

وَمَا يَرَاهُ النَّاسُ مِنْ أَرْوَاحِ الْمَوْتَى وَمَجِيئِهِمْ إِلَيْهِمْ مِنَ الْمَكَانِ الْبَعِيدِ أَمْرٌ يُعَلِّمُهُ عَامَّةُ النَّاسِ، وَلَا يَشْكُونَ فِيهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

<sup>(١)</sup> (ضعيف جدًا)، عيسى بن عبد الرحمن هو ابن فروة، ويقال ابن سبرة الأنصاري أبو عبد الله الزرقعي قال البخاري، وأبو حاتم، والنسائي: منكر الحديث. وقال أبو حاتم أيضًا: لا أعلم روى عن ابن شهاب حديثًا صحيحًا. وإسماعيل بن طلحة لم أعرفه، ولم أجد من أولاد طلحة من يسمى إسماعيل، فقد ذكر المزي في "تهذيبه" من الرواة عن طلحة ولده إسحاق فلعله تصحف، فإن يكن هو فقد قال الحافظ في ترجمته: مقبول. أي: عند المتابعة وإلا فلين.

<sup>(٢)</sup> أخرجه ابن أبي الدنيا كما في "الاستذكار" لابن عبد البر (٨/ ٣٦١) فقال: حدثنا خالد بن خدّاش، قال سمعت مالك بن أنس يقول: بلغني أن أرواح المؤمنين مرسلّة تذهب حيث شاءت. والسند إلى مالك حسن إلا أنه بلاغ فلا يُدرى عن من بلغه.

وَأَمَّا السَّلَامُ عَلَى أَهْلِ الْقُبُورِ وَخَطَابِهِمْ، فَلَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَرْوَاحَهُمْ لَيْسَتْ فِي الْجَنَّةِ، وَأَنَّهَا عَلَى أَفْنِيَةِ الْقُبُورِ، فَهَذَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ الَّذِي رُوحُهُ فِي أَعْلَى عَالَمَيْنِ مَعَ الرَّفِيقِ الْأَعْلَى، يُسَلِّمُ عَلَيْهِ عِنْدَ قَبْرِهِ وَيُرِدُ سَلَامَ الْمُسْلِمِ عَلَيْهِ.

وَقَدْ وَافَقَ أَبُو عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَلَى أَنَّ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ، فِي الْجَنَّةِ وَيُسَلِّمُ عَلَيْهِمْ عِنْدَ قُبُورِهِمْ كَمَا يُسَلِّمُ عَلَى غَيْرِهِمْ، كَمَا عَلَّمَنَا النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ نَسْلَمَ عَلَيْهِمْ، وَكَمَا كَانَ الصَّحَابَةُ يَسْلُمُونَ عَلَى شُهَدَاءِ أَحَدٍ، وَقَدْ ثَبَتَ: أَنَّ أَرْوَاحَهُمْ فِي الْجَنَّةِ تَسْرَحُ حَيْثُ شَاءَتْ كَمَا تَقْدُمُ.

وَلَا يَضِيقُ عَطْنُكَ عَن كَوْنِ الرُّوحِ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى تَسْرَحُ فِي الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، وَتَسْمَعُ سَلَامَ الْمُسْلِمِ عَلَيْهَا عِنْدَ قَبْرِهَا، وَتَدْنُو حَتَّى تَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ، وَلِلرُّوحِ شَأْنٌ آخَرٌ غَيْرُ شَأْنِ الْبَدَنِ، وَهَذَا جِرْيَلُ صَلَوَاتِ اللَّهِ وَسَلَامِهِ عَلَيْهِ رَأَى النَّبِيُّ ﷺ وَلَهُ سِتْمَاءَةٌ جَنَاحٌ مِنْهَا جَنَاحَانِ قَدْ سَدَّ بَيْنَهُمَا مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ<sup>(١)</sup>، وَكَانَ يَدْنُو مِنَ النَّبِيِّ ﷺ حَتَّى يَضَعَ رُكْبَتَيْهِ بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ وَيَدِيهِ عَلَى فَخْذَيْهِ<sup>(٢)</sup>، وَمَا أَظُنُّكَ يَتَسَّعُ بِطَانِكَ أَنَّهُ كَانَ حِينئِذٍ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى فَوْقَ السَّمَوَاتِ حَيْثُ هُوَ مُسْتَقَرُّهُ، وَقَدْ دَنَا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ هَذَا الدَّنْوُ، فَإِنَّ التَّصَدِيقَ بِهَذَا لَهُ قُلُوبٌ خَلَقَتْ لَهُ، وَأُهْلَتْ لِمَعْرِفَتِهِ وَمَنْ لَمْ يَتَسَّعْ بِطَانَةَ لَهُذَا، فَهُوَ أَضِيقُ

(١) أخرج البخاري: (٣٢٣٢) ومسلم: (١٧٤) عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شطره الأول.

وأخرج البخاري: (٣٢٣٤) ومسلم: (١٧٧) عن عائشة شطره الثاني.

وهو بتمامه عند أبي داود الطيالسي (٢٧٨) من طريق شعبة عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله - هو ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - به وهذا إسناد على شرط الشيخين.

(٢) أخرجه مسلم: (٨) عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلفظ: «فأسند ركبتيه إلى ركبتيه».

أَنْ يَتَّسِعَ لِلْإِيَّانِ بِالتَّنَزُّلِ الإِلَهِيِّ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا كُلِّ لَيْلَةٍ، وَهُوَ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ لَا يَكُونُ فَوْقَهُ شَيْءٌ الْبَتَّةَ، بَلْ هُوَ الْعَالِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَعَلَوُهُ مِنْ لَوَازِمِ ذَاتِهِ<sup>(١)</sup>.

وَكَذَلِكَ (دَنُوهُ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ مِنْ أَهْلِ الْمَوْقِفِ)<sup>(٢)</sup>، وَكَذَلِكَ مَجِيئُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِمَحَاسِبَةِ خَلْقِهِ وَإِشْرَاقِ الْأَرْضِ بِنُورِهِ، وَكَذَلِكَ مَجِيئُهُ إِلَى الْأَرْضِ حِينَ دَحَاهَا وَسَوَّاهَا وَمَدَّهَا وَبَسَطَهَا وَهَيَّأَهَا لِمَا يُرَادُ مِنْهَا، وَكَذَلِكَ مَجِيئُهُ إِلَيْهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ حِينَ يَقْبِضُ مِنْ عَلَيْهَا وَلَا يَبْقَى بِهَا أَحَدٌ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَأَصْبَحَ رَبُّكَ يَطُوفُ فِي الْأَرْضِ، وَقَدْ خَلَّتْ عَلَيْهِ الْبِلَادُ»<sup>(٣)</sup>. هَذَا وَهُوَ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ.

<sup>(١)</sup> هذا القول من ابن القيم رحمته الله، جاء الدليل بخلافه وفي الحديث ما يردُّه فإن جبريل عليه السلام جاء بصورة رجل وجلس مع النبي صلى الله عليه وآله وحوله الصحابة رضي الله عنهم وهم يرونه ويسمعون كلامه ثم خرج وذهبوا ينظرون في إثره، وكما هي الأحاديث التي فيها أن جبريل عليه السلام ينزل إلى الأرض ثم يصعد وفي بعضها أنه عند صعوده يسأله الله عن الأمر الذي أرسله من أجله - وهو أعلم به - ولو كان جبريل موجوداً في الملاء الأعلى لما جعل السؤال عند صعوده، وفي ليلة الإسراء صعد مع النبي صلى الله عليه وآله وجعل يستفتح في باب كل سماء، ولا يصح قياس هذا النزول بنزول الله تعالى فإن نزول الخالق ليس كنزول المخلوق، والله تعالى أخبرنا أنه ينزل ولم يخبرنا كيف ينزل، وأما نزول جبريل فإنه نزول مخلوق مناسب لحاله ويحُلُّ في الأرض ويراه من شاء الله أن يراه، فلا أدري بماذا استدل ابن القيم رحمته الله لهذا القياس الذي جاءت الأدلة صريحة بخلافه، والله الهادي إلى سواء السبيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

<sup>(٢)</sup> أخرجه مسلم: (١٣٤٨) عن عائشة.

<sup>(٣)</sup> (ضعيف) قطعة من حديث طويل أخرجه عبد الله بن أحمد في "زوائد المسند" (١٣/٤) وابن خزيمة في "التوحيد" (٤٦١/١) من عبد الرحمن بن المغيرة الحزامي حدثني عبد الرحمن بن عياش السمعاني الأنصاري القبايلي من بني عمرو بن عوف عن دهم بن الأسود بن عبد الله بن حاجب بن عامر بن المنتفق العقيلي عن أبيه عن عمه لقيط بن عامر. وهذا إسناد مُظلم؛ عبد الرحمن بن عياش ودهم ابن الأسود وأبوه ثلاثتهم مجاهيل.

## فصل

وَمِمَّا يَنْبَغِي: أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ شَأْنِ الرُّوحِ يَخْتَلِفُ بِحَسَبِ حَالِ الْأَرْوَاحِ مِنْ الْقُوَّةِ وَالضَّعْفِ وَالْكَبْرِ وَالصَّغَرِ، فَلِلرُّوحِ الْعَظِيمَةِ الْكَبِيرَةِ مِنْ ذَلِكَ مَا لَيْسَ لِمَنْ هُوَ دُونَهَا، وَأَنْتَ تَرَى أَحْكَامَ الْأَرْوَاحِ فِي الدُّنْيَا كَيْفَ تَتَفَاوَتُ أَعْظَمَ تَفَاوُتٍ، بِحَسَبِ [تَفَاوُتِ] الْأَرْوَاحِ فِي كَيْفِيَّاتِهَا، وَقَوَاهَا وَبَطَائِئِهَا وَإِسْرَاعِهَا وَالْمَعَاوَنَةَ لَهَا.

فَلِلرُّوحِ الْمُطْلَقَةِ مِنْ أَسْرِ الْبَدَنِ وَعِلَاقَتِهِ وَعَوَائِقِهِ مِنَ التَّصَرُّفِ وَالْقُوَّةِ وَالنَّفَازِ وَالْهَمَةِ، وَسُرْعَةِ الصَّعُودِ إِلَى اللَّهِ وَالتَّعَلُّقِ بِاللَّهِ مَا لَيْسَ لِلرُّوحِ الْمُهَيَّنَةِ الْمَحْبُوسَةِ فِي عِلَاقَتِ الْبَدَنِ وَعَوَائِقِهِ، فَذَا كَانَ هَذَا وَهِيَ مَحْبُوسَةٌ فِي بَدَنِهَا فَكَيْفَ إِذَا تَجَرَّدَتْ وَفَارَقَتْهُ، وَاجْتَمَعَتْ فِيهَا قَوَاهَا، وَكَانَتْ فِي أَصْلِ شَأْنِهَا رُوحًا عَلِيَّةً زَكِيَّةً كَبِيرَةً ذَاتَ هِمَّةٍ عَالِيَةٍ، فَهَذِهِ لَهَا بَعْدَ مُفَارَقَةِ الْبَدَنِ شَأْنٌ آخَرَ وَفَعَلَ آخَرَ.

وَقَدْ تَوَاتَرَتْ الرُّؤْيَا مِنْ أَصْنَافِ بَنِي آدَمَ عَلَى فِعْلِ الْأَرْوَاحِ بَعْدَ مَوْتِهَا مَا لَا تَقْدِرُ عَلَى مِثْلِهِ حَالِ اتِّصَالِهَا بِالْبَدَنِ مِنْ هَزِيمَةِ الْجِيُوشِ الْكَثِيرَةِ بِالوَاحِدِ وَالِاثْنَيْنِ، وَالْعَدَدِ الْقَلِيلِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَكَمْ قَدْ رَأَى النَّبِيُّ ﷺ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعَمْرٌ فِي النَّوْمِ قَدْ هَزَمَتْ أَرْوَاحَهُمْ عَسَاكِرَ الْكُفْرِ وَالظُّلْمِ فَإِذَا بِجِيُوشِهِمْ مَغْلُوبَةً مَكْسُورَةً مَعَ كَثْرَةِ عَدَدِهِمْ وَعَدْدِهِمْ وَضَعْفِ الْمُؤْمِنِينَ وَقِلَّتِهِمْ.

قال الحافظ ابن كثير في "البداية والنهاية" (٣٣٩/٧) بعد ذكره لهذا الحديث: (هذا حديث غريب جداً، وألفاظه في بعضها نكارة). وضعفه العلامة الألباني في "ظلال الجنة" (١/٢٣١).

وَمِنَ الْعَجَبِ أَنَّ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَعَارِفِينَ تَتَلَقَى، وَبَيْنَهَا أَعْظَمُ مَسَافَةٍ وَأَبْعَدَهَا، فَتَشَامُ<sup>(١)</sup> وَتَتَعَارَفُ، فَيَعْرِفُ بَعْضُهَا بَعْضًا، كَأَنَّهُ جَلِيسُهُ وَعَشِيرُهُ، فَإِذَا رَأَهُ طَابَقَ ذَلِكَ مَا كَانَ عَرَفْتَهُ بِهِ رُوحَهُ قَبْلَ رُؤْيَيْتِهِ.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو: (إِنَّ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ تَتَلَقَى عَلَى مَسِيرَةِ يَوْمٍ وَمَا رَأَى أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ قَطُّ. وَرَفَعَهُ بَعْضُهُمْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ)<sup>(٢)</sup>.

وَقَالَ عِكْرِمَةُ وَجَاهِدٌ: إِذَا نَامَ الْإِنْسَانُ فَإِنَّ لَهُ سَبَبًا يَجْرِي فِيهِ الرُّوحُ، وَأَصْلُهُ فِي الْجَسَدِ، فَتَبْلُغُ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ. فَمَا دَامَ ذَاهِبًا فَالْإِنْسَانُ نَائِمٌ فَإِذَا رَجَعَ إِلَى الْبَدَنِ انْتَبَهَ الْإِنْسَانُ، وَكَانَ بِمَنْزِلَةِ شُعَاعِ الشَّمْسِ الَّذِي هُوَ سَاقِطٌ بِالْأَرْضِ، وَأَصْلُهُ مُتَّصِلٌ بِالشَّمْسِ<sup>(٣)</sup>.

وَقَدْ ذَكَرَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَنْدَةَ عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ<sup>(٤)</sup> أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ الرُّوحَ تَغْهَخَمْتَدَ مِنْ مَنْخَرِ الْإِنْسَانِ، وَمَرْكَبُهُ وَأَصْلُهُ فِي بَدَنِهِ، فَلَوْ خَرَجَ الرُّوحُ بِالْكُلِّيَّةِ لَمَاتَ كَمَا أَنَّ السَّرَاحَ لَوْ فُرِّقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْفَتِيلَةِ لَطَفَّتْ، أَلَا تَرَى أَنَّ مَرْكَبَ النَّارِ فِي الْفَتِيلَةِ وَضَوْوُهَا

(١) في الأصل (فتشام) وما أثبتناه من (ش) و(ف).

(٢) (ضعيف) أخرجه أحمد: (١٧٥ / ٢) والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٦١) من طريق دراج عن عيسى بن هلال الصديقي عن عبد الله بن عمرو بن العاص به مرفوعاً. وهذا إسناد ضعيف؛ فإن دراجاً وهو ابن سمعان ضعيف بل أطلق الدار قطني أنه متروك وقد تفرد بهذا الحديث فهو حديث ضعيف، والله أعلم.

(٣) ذكره عنهما شيخ الإسلام كما في «مجموع الفتاوى» (٤٥٦-٤٥٧) ولم أف أف عليه مسنداً.

(٤) ذكره شيخ الإسلام كما في «مجموع الفتاوى» (٤٥٧/٥) فقال: (قَالَ ابْنُ مَنْدَةَ: وَأُخْبِرْتُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّمَرَقَنْدِيِّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ يَزِيدَ السَّمَرَقَنْدِيِّ - وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ وَلَهُ بَصَرٌ بِالطَّبِّ وَالتَّعْبِيرِ - قَالَ: إِنَّ الْأَرْوَاحَ تَمْتَدُّ... فذكره). وإسناده منقطع كما هو ظاهر؛ فإن ابن مندَةَ يقول أُخْبِرْتُ، وحتى لو صح فإن ما ذكر فيه يحتاج إلى دليل.



وشعاعها يملأ البيت، فكذلك الروح تمتد من منخر الإنسان في منامه حتى تأتي السماء وتجول في البلدان، وتلتقي مع أرواح الموتى، فإذا أراه الملك الموكل بأرواح العباد ما أحب أن يريه وكان المرء<sup>(١)</sup> في اليقظة عاقلاً ذكياً صدوقاً، لا يلتفت في يقظته إلى شيء من الباطل رجع إليه روحه، فأدى إلى قلبه الصدق مما أراه الله عز وجل على حسب خلقه، وإن كان خفيفاً نزقاً<sup>(٢)</sup> يجب الباطل والنظر إليه، فإذا نام وأراه الله أمراً من خير أو شر رجعت روحه إليه، فحينما رأى شيئاً من مخاريق الشيطان، أو الباطل وقفت روحه عليه كما تقف في يقظته، فكذلك يؤدي إلى قلبه فلا يعقل ما رأى؛ لأنه خلط الحق بالباطل، فلا يمكن معبر أن يعبر له، وقد خلط الحق بالباطل.

وهذا من أحسن الكلام، وهو دليل على معرفة قائله وبصيرته بالأرواح وأحكامها.

وأنت ترى الرجل يسمع العلم والحكمة، وما هو أنفع شيء له، ثم يمر بباطل وهو من غناء أو شبهة أو زور أو غيره، فيصغي إليه ويفتح له قلبه حتى يتأذى إليه فيتخبط عليه ذلك الذي سمعه من العلم والحكمة ويلتبس عليه الحق بالباطل، فهكذا شأن الأرواح عند النوم، وأما بعد المفارقة، فإنها تعذب بتلك الاعتقادات والشبه الباطلة التي كانت حظها حال اتصالها بالبدن، وينضاف إلى ذلك عذابها بتلك الإرادات والشهوات التي حيل بينها وبينها، وينضاف إلى ذلك عذاب آخر ينشئه الله لها، ولبدنها

(١) في الأصل (المرئي) وما أثبتناه من (ش) وهو كذلك في مجموع الفتاوى (٥/٤٥٧).

(٢) النزق هو الخفة في كل أمر، والعجلة في جهل وحمق، والطيش والسفه بعد حلم. "لسان العرب" (نزق).

من الأعمال التي اشتركت معه فيها، وهذه هي المعيشة الضنك في البرزخ، والزاد الذي يزود به إليه.

والروح الزكية العلوية المحقة التي لا تحب الباطل، ولا تألفه بصد ذلك كله تنعم بتلك الاعتقادات الصحيحة والعلوم والمعارف التي تلتقتها من مشكاة النبوة، وتلك الإيرادات والهمم الزكية وينشئ الله سبحانه لها من أعمالها نعيما ينعمها به في البرزخ، فتصير لها روضة من رياض الجنة، وكذلك حفرة من حفر النار.

### فصل

وأما قول من قال: أرواح المؤمنين عند الله تعالى ولم يزد على ذلك، فإنه تأدب مع لفظ القرآن حيث يقول الله عز وجل: ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

وقد احتج أرباب هذا القول بحجج منها، ما رواه محمد بن إسحاق الصاغاني، حدثنا يحيى بن أبي بكير حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب عن محمد بن عمرو بن عطاء عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة عن النبي ﷺ، قال: «إن الميت إذا خرجت نفسه يعرج بها إلى السماء حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله عز وجل، وإذا كان الرجل السوء يعرج بها إلى السماء، فإنه لا يفتح لها أبواب السماء فترسل من السماء فتصير إلى القبر»<sup>(١)</sup>.

وهذا إسناد لا تسأل عن صحته، وهو في «مسند أحمد» وغيره.

(١) (صحيح) تقدم مطولاً في المسألة السادسة ص ( ).

وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ عَاصِمِ بْنِ بَهْدَلَةَ، عَنْ أَبِي وَاثِلٍ، عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، قَالَ: «تَخْرُجُ رُوحُ الْمُؤْمِنِ أَطِيبٌ مِنْ رِيحِ الْمَسْكِ، فَتَنْتَلِقُ بِهَا الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ يَتَوَفُونَهُ فَيَتَلَقَّاهُ الْمَلَائِكَةُ مِنْ دُونَ السَّمَاءِ، فَيَقُولُونَ: هَذَا فَلَانُ ابْنُ فَلَانٍ، كَأَنَّ يَعْجَلُ بِهِ مِنَ الْبَابِ الَّذِي كَانَ يَصْعَدُ مِنْهُ عَمَلُهُ فَتَشْرُقُ فِي السَّمَوَاتِ، وَهِيَ بَرَهَانُ كِبْرَهَانَ الشَّمْسِ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى الْعَرْشِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ، فَإِذَا قَبِضَ انْتَلِقَ بِرُوحِهِ فَيَقُولُونَ: مَا هَذَا فَيَقُولُونَ: هَذَا فَلَانُ ابْنُ فَلَانٍ كَانَ يَعْجَلُ بِهِ مِنَ الْبَابِ الَّذِي كَانَ يَصْعَدُ مِنْهُ عَمَلُهُ، فَيَقُولُونَ: لَا مَرْحَبًا لَكَ مَرْحَبًا، رُدُّوهُ فَيُرَدُّ إِلَى أَسْفَلِ الْأَرْضِ إِلَى الشَّرِّ»<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ الْمَكِّيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ دَاوُدَ بْنِ يَزِيدِ الْأَوْدِيِّ، قَالَ: أَرَاهُ عَنْ عَامِرِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ حُدَيْفَةَ ابْنِ الْيَمَانَ: أَنَّهُ قَالَ: الْأَرْوَاحُ مَوْقُوفَةٌ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ تَنْتَظِرُ مَوْعِدَهَا حَتَّى يَنْفَخَ فِيهَا<sup>(٢)</sup>.

وَذَكَرَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ مَنْصُورِ بْنِ صَفِيَّةَ، عَنْ أُمِّهِ أَنَّهُ دَخَلَ ابْنُ عَمْرِو بْنِ الْمَسْجِدِ بَعْدَ قَتْلِ ابْنِ الزَّبِيرِ، وَهُوَ مَصْلُوبٌ فَاتَى أَسْمَاءَ يَعِزِّيَهَا، فَقَالَ: لَهَا عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالصَّبْرِ،

<sup>(١)</sup> (حسن) لم أجده في مسند الطيالسي المطبوع وقد عزاه إليه السيوطي في «الدر المشثور» (٨٣/٣). وأخرجه ابن أبي شيبة (٣/٣٨٢) ومن طريقه أبو نعيم في «الحلية» (١/٢٦٢) من طريق عاصم عن شقيق عن أبي موسى به. وهذا إسناد حسن.

وأخرجه اللالكائي في شرح «أصول اعتقاد أهل السنة» (٢١٦٣) من نفس الطريق ووقع عنده في آخر الأثر: (وهي - أي روح الكافر - بوادي حضر موت). ولم تقع هذه الزيادة عند غيره ممن أخرج الأثر.

<sup>(٢)</sup> (ضعيف) لضعف داود بن يزيد الأودي. وقد ذكره ابن رجب في «أهوال القبور» ص (١١٤) وضعفه.

فإن هذه الجثث ليست بشيء، وإنَّما الأرواح عند الله، فقالت: وما يَمْنَعُنِي من الصَّبْرِ، وقد أهدى رأس يحيى بن زكريَّا إلى بغي من بغايا بنى إسرائيل<sup>(١)</sup>.

وذكر جرير عن الأعمش عن شمر بن عطية عن هلال بن يساف، قال: كُنَّا جُلُوسًا إِلَى كَعْبِ وَالرَّبِيعِ بْنِ خَيْثَمٍ وَخَالِدِ بْنِ عَرْعَرَةَ فِي أَنَاسٍ، فَجَاءَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ: هَذَا ابْنُ عَمِّ نَبِيِّكُمْ، قَالَ: فَأَوْسَعَ لَهُ فَجَلَسَ، فَقَالَ: يَا كَعْبُ: كُلِّ مَا فِي الْقُرْآنِ، قَدْ عَرَفْتُ غَيْرَ أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ، فَأَخْبِرْنِي عَنْهُنَّ مَا سَجِّينَ؟ وَمَا عَلِيُونَ؟ وَمَا سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى؟ وَمَا قَوْلَ اللَّهِ لِإِدْرِيسَ: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧]؟

قال: أما عليون فالسما السابعة فيها أرواح المؤمنين، وأما سجين فالأرض السابعة السفلى، وأرواح الكفار تحت خد إيليس، وأما قول الله سبحانه وتعالى لإدريس: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧]، فإن الله أوحى إليه أني رافع لك كل يوم مثل أعمال بني آدم. وكلّم صديقاً له، من الملائكة أن يكلم له ملك الموت، فيؤخره حتى يزداد عملاً، فحمله بين جناحيه فخرج به حتى إذا كان في السماء الرابعة لقيه ملك الموت، فكلّمه في حاجته، فقال: وأين هو؟ قال: هو ذا بين جناحي، قال: فالعجب أني أمرت أن أقبض روحه في السماء الرابعة، فقبض روحه، وأما سدرة المنتهى، فإنها سدرة على رؤوس حملة العرش ينتهي إليها علم الخلائق، ثم ليس لأحد وراءها علم، فلذلك سميت سدرة المنتهى<sup>(٢)</sup>.

(١) (صحيح)، تقدم في المسألة السادسة، ص ( ).

(٢) أخرجه ابن جرير مرفقاً (٩٦/١٦) و (٩٤-٩٥/٣٠) و (١٠١/٣٠) ومدار طريقه عن الأعمش عن شمر بن عطية عن هلال بن يساف به. ورجال الإسناد كلهم ثقات إلا أنه من كلام كعب الأحبار راوي الإسرائيليات فليس في مثل هذا حجة، وقد قال ابن كثير في تفسير الآية (٥٦-٥٧) من سورة مريم: (وقد

قَالَ ابْنُ مَنْدَةَ: وَرَوَاهُ وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ عَنْ أَبِيهِ، وَرَوَاهُ يَعْقُوبُ الْقَمِي عَنْ شَمْرِ، وَرَوَاهُ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ الْعَوَامِ بْنِ حَوْشَبٍ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ عَوْفٍ عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ خَيْثَمٍ، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ كَعْبٍ، فَذَكَرَهُ.

وَذَكَرَ يَعْلَى بْنُ عُبَيْدٍ عَنِ الْأَجْلَحِ عَنِ الضَّحَّاكِ قَالَ إِذَا قَبِضَ رُوحَ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَنْطَلِقُ مَعَهُ الْمُقْرَبُونَ إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ ثُمَّ الثَّلَاثَةِ ثُمَّ الرَّابِعَةِ ثُمَّ الْخَامِسَةِ ثُمَّ السَّادِسَةَ ثُمَّ السَّابِعَةَ حَتَّى يُنْتَهِيَ بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، قُلْتُ لِلضَّحَّاكِ: لِمَ سَمِيَتْ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى؟ قَالَ: لِأَنَّهُ يَنْتَهِي إِلَيْهَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَعْدُوهَا، فَيَقُولُ رَبِّي عَبْدُكَ فَلَانَ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِ مِنْهُمْ فَيَبْعَثُ اللَّهُ إِلَيْهِ بِصُكِّ مَخْتُومٍ بِأَمْنِهِ مِنَ الْعَذَابِ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ \* وَمَا أَذْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ \* كِتَابٌ مَرْقُومٌ \* يَشْهَدُهُ الْمُقْرَبُونَ﴾ [المطففين: ١٨-٢١]<sup>(١)</sup>.

وَهَذَا الْقَوْلُ لَا يُنَافِي قَوْلَ مَنْ قَالَ: هُمْ فِي الْجَنَّةِ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَالْجَنَّةَ عِنْدَ اللَّهِ وَكَأَنَّ قَائِلَهُ رَأَى: أَنَّ هَذِهِ الْعِبَارَةَ أَسْلَمَ وَأَوْفَقَ، وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: أَنَّ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ عِنْدَهُ، وَأَخْبَرَ النَّبِيَّ ﷺ، أَنَّهَا تَسْرَحُ فِي الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ.

روى ابن جرير هاهنا أثرًا غريبًا عجيبًا... فذكره ثم قال: وهذا من أخبار كعب الأخبار الإسرائيلية وفي بعضه نكارة، والله أعلم).

وأخرج بعضه ابن أبي شيبة (٥٤٩/١١) من طريق عكرمة عن ابن عباس، قال: سألت كعبًا عن رفع إدريس مكانًا عليًا؟ فذكر نحوه.

<sup>(١)</sup> (ضعيف) أخرجه ابن جرير (١٠٢/٣٠) فقال حدثني جعفر بن محمد البزوري من أهل الكوفة قال حدثنا يعلى بن عبيد به. وهذا إسناد ضعيف جعفر بن محمد لم أجد له ترجمة، والأجلح هو ابن عبد الله ضعيف.

## فصل

وَأَمَّا قَوْلٌ مِنْ قَالٍ: إِنَّ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ بِالْجَابِيَةِ<sup>(١)</sup> وَأَرْوَاحَ الْكُفَّارِ بِحَضْرَمَوْتَ بَرَهَوْتَ<sup>(٢)</sup>، فَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ حَزْمٍ<sup>(٣)</sup>: هَذَا مِنْ قَوْلِ الرَّافِضَةِ، وَلَيْسَ كَمَا قَالَ، بَلْ قَدْ قَالَه جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ.

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَنْدَةَ: وَرَوَى عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ أَنَّ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ بِالْجَابِيَةِ، ثُمَّ قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ يُونُسَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَصَامٍ حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ سُلَيْمَانَ ابْنَ دَاوُدَ، حَدَّثَنَا هَمَامٌ، حَدَّثَنِي قَتَادَةُ حَدَّثَنِي رَجُلٌ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمَسِيْبِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، وَأَنَّهُ قَالَ: إِنَّ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ تَجْتَمِعُ بِالْجَابِيَةِ، وَإِنَّ أَرْوَاحَ الْكُفَّارِ تَجْتَمِعُ فِي سَبْخَةٍ بِحَضْرَمَوْتَ يُقَالُ لَهَا: بَرَهَوْتَ<sup>(٤)</sup>.

ثُمَّ سَأَلَ مِنْ طَرِيقِ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ عَنْ عَبْدِ الْجَلِيلِ بْنِ عَطِيَّةَ عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ: أَنَّ كَعْبًا رَأَى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو، وَقَدْ تَكَابَّ النَّاسُ عَلَيْهِ يَسْأَلُونَهُ، فَقَالَ لِرَجُلٍ: سَلْهُ أَيَّنَ

(١) الجابية قرية من أعمال دمشق. «معجم البلدان» (٢/٩١).

(٢) برهوت - بفتح الباء والراء - بئر عميقة بحضرموت لا يستطيع النزول إلى قعرها. «النهاية» (برهوت).

(٣) انظر الفصل (٤/١٢١).

(٤) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٣٠١٣) وابن أبي الدنيا في ذكر الموت (٥٤٤) وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢/٣٤٤) من طريق همام بن يحيى عن قتادة به. وإسناده ضعيف لإبهام الراوي عن ابن المسيب، ومع ضعف إسناده فقد خولف فيه همام بن يحيى حيث إن هشامًا الدستوائي وسعيدًا بن بشير روياه عن قتادة عن ابن المسيب من قوله. أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢/٣٤٤-٣٤٥).

قال ابن رجب في «أهوال القبور» ص (١١٠): (ورواه هشام الدستوائي عن قتادة عن سعيد بن المسيب من قوله، لم يذكر عبد الله بن عمرو، خرَّجه من طريقه ابن أبي الدنيا، وقد تبين أن قتادة لم يسمعه من سعيد إنما بلغه عنه ولم يُدرَ عنمن أخذه).

أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَرْوَاحَ الْكُفَّارِ؟ فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ بِالْجَائِيَةِ، وَأَرْوَاحَ الْكُفَّارِ بِرَهْوَتٍ <sup>(١)</sup>.

قَالَ ابْنُ مَنْدَةَ: وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ [عَنْ] عَبْدِ الْجَلِيلِ.  
ثُمَّ سَأَلَ مِنْ حَدِيثِ سُفْيَانَ عَنْ فِرَاتِ الْقَزَازِ عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: خَيْرٌ بئرٌ فِي الْأَرْضِ زَمَزَمٌ، وَشَرٌّ بئرٌ فِي الْأَرْضِ بِرَهْوَتٍ بِئرٌ فِي حَضْرَمَوْتٍ، وَخَيْرٌ وَادٍ فِي الْأَرْضِ وَادِي مَكَّةَ، وَالْوَادِي الَّذِي أَهْبَطَ فِيهِ آدَمُ بِالْهِنْدِ مِنْهُ طَيْبِكُمْ، وَشَرٌّ وَادٍ فِي الْأَرْضِ الْأَحْقَافُ وَهُوَ فِي حَضْرَمَوْتٍ تَرُدُّهُ أَرْوَاحُ الْكُفَّارِ <sup>(٢)</sup>.

قَالَ ابْنُ مَنْدَةَ: وَرَوَى حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ عَنْ يُونُسَ بْنِ مَهْرَانَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: أَبْغَضُ بَقْعَةٍ فِي الْأَرْضِ وَادٍ بِحَضْرَمَوْتٍ، يُقَالُ لَهُ: بِرَهْوَتٍ فِيهِ أَرْوَاحُ الْكُفَّارِ، وَفِيهِ بئرٌ مَأْوَاهَا بِالنَّهَارِ أَسْوَدٌ، كَأَنَّهُ قَيْحٌ تَأْوِي إِلَيْهِ الْهُوَامُ <sup>(٣)</sup>.

ثُمَّ سَأَلَ مِنْ طَرِيقِ إِسْمَاعِيلِ بْنِ إِسْحَاقَ الْقَاضِي: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا سُفْيَانَ حَدَّثَنَا أَبَانُ بْنُ تَغْلِبٍ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: بَتٌ فِيهِ يَعْنِي وَادِي بِرَهْوَتٍ، فَكَأَنَّمَا

<sup>(١)</sup> (إسناده ضعيف) ؛ فيه شهر بن حوشب وهو ضعيف.

<sup>(٢)</sup> (صحيح) أخرجه عبد الرزاق (١١٦/٥) عن ابن عيينة عن فرات القزاز به نحوه. وإسناده صحيح على شرط مسلم.

<sup>(٣)</sup> (ضعيف) أخرجه الفاكهي في «أخبار مكة» (١١١١) فقال حدثنا الحسن بن علي الحلواني حدثنا عمرو بن عاصم عن حماد بن سلمة به. وإسناده ضعيف لضعف علي بن زيد بن جدعان.

حشرت فيه أصوات النَّاسِ، وهم يَقُولُونَ: يَا دُومَةَ يَا دُومَةَ، قَالَ أَبَان: فحدثنا رجل من أهل الكتاب أن دُومَةَ هُوَ الْمَلِكُ الَّذِي عَلَى أَرْوَاحِ الْكُفَّارِ<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ سُفْيَان: وَسَأَلْنَا الْحَضْرَمِيِّينَ، فَقَالُوا: لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَبِيْتَ فِيهِ بِاللَّيْلِ<sup>(٢)</sup>.  
فَهَذَا جَمَلَةٌ مَّا عَلِمْتَهُ فِي هَذَا الْقَوْلِ، فَإِنْ أَرَادَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بِالْجَابِيَةِ التَّمْثِيلَ  
والتشبيه، وَأَنَّهَا تَجْمَعُ فِي مَكَانٍ فَسِيحٍ يَشْبَهُ الْجَابِيَةَ لِسَعْتِهِ، وَطِيبِ هَوَائِهِ، فَهَذَا قَرِيبٌ،  
وَإِنْ أَرَادَ نَفْسَ الْجَابِيَةِ دُونَ سَائِرِ الْأَرْضِ، فَهَذَا لَا يَعْلَمُ إِلَّا بِالتَّوْقِيفِ، وَلَعَلَّهُ مِمَّا تَلْقَاهُ  
عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكِتَابِ<sup>(٣)</sup>.

<sup>(١)</sup> (ضعيف) أخرجه الفاكهي في «أخبار مكة» (١١١٢) فقال حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان به. إلا أن راوي الخبر رجل مبهم الله أعلم ما حاله.

<sup>(٢)</sup> سفيان هو ابن عيينة وقوله هذا ذكره الفاكهي عقب الأثر المتقدم.

<sup>(٣)</sup> وقد رأيت أنه لم يصح في هذا الباب شيء إلا أثر علي رضي الله عنه، مع أنه قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم نحو أثر علي رضي الله عنه وليس فيه ذكر أرواح الكفار فقد أخرج الطبراني في «الكبير» (٩٨/١١) والفاكهي في «أخبار مكة» (١١٠٦) من طريق الحسن بن أحمد بن أبي شعيب الحراني، حدثنا مسكين بن بكير، حدثنا محمد بن مهاجر، عن إبراهيم بن أبي حرة، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خَيْرُ مَاءٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مَاءٌ زَمْزَمَ فِيهِ طَعَامٌ مِنَ الطُّعْمِ وَشِفَاءٌ مِنَ السُّقْمِ، وَشَرُّ مَاءٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مَاءٌ بَوَادِي بَرَهَوْتِ بِحَضْرَمَوْتِ كَرَجَلِ الْجَرَادِ مِنَ الْهَوَامِّ يُصْبِحُ يَتَدَفَّقُ وَيُمْسِي لَا بَلَالَ فِيهِ». وإسناده صحيح رجاله ثقات من رجال التهذيب غير إبراهيم بن أبي حرة وقد وثقه أحمد وابن معين وأبو حاتم كما في الجرح والتعديل.

فهذا الحديث فيه نحو ما ذكر عن علي رضي الله عنه ولكن ليس فيه أن أرواح الكفار ترد تلك البئر، وحتى أثر علي رضي الله عنه ليس فيه أن تلك البئر مستقر لأرواح الكفار حتى يستدل به في هذه المسألة وإنما فيه أنها ترد تلك البئر، والله أعلم.



## فصل

وَأَمَّا قَوْلُ مَنْ قَالَ: إِنَّهَا تَجْتَمِعُ فِي الْأَرْضِ الَّتِي قَالَ اللَّهُ فِيهَا: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، فَهَذَا إِنْ كَانَ قَالَهُ تَفْسِيرَ الْآيَةِ، فَلَيْسَ هُوَ تَفْسِيرًا لَهَا<sup>(١)</sup>.

وَقَدْ اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي الْأَرْضِ الْمَذْكُورَةِ هُنَا، فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ هِيَ أَرْضُ الْجَنَّةِ<sup>(٢)</sup>، وَهَذَا قَوْلُ أَكْثَرِ الْمُفَسِّرِينَ<sup>(٣)</sup>.

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: قَوْلُ آخِرِ آيَةِ الدُّنْيَا الَّتِي فَتَحَهَا اللَّهُ عَلَى أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم وَوَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [النور: ٥٥].

<sup>(١)</sup> وتقدم ص ( ) قول ابن رجب: (إن هذا غريب جدًا وتفسير الآية بذلك ضعيف).

<sup>(٢)</sup> (ضعيف) أخرجه ابن جرير (١٧/١٠٤) من طريق إسرائيل عن أبي يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس به. وإسناده ضعيف لضعف أبي يحيى القتات.

وأخرجه البيهقي في "الشعب" (٢٩١٢) من طريق محمد بن حميد حدثنا عمر بن هارون عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس به. وإسناده ضعيف أيضًا محمد بن حميد متهم بالكذب وشيخه عمر بن هارون متروك.

<sup>(٣)</sup> قال ابن كثير في تفسيره عند هذه الآية: (قال مجاهد عن ابن عباس أرض الجنة، وكذا قال أبو العالية ومجاهد وسعيد ابن جبير والشعبي وقتادة والسدي وأبو صالح والربيع بن أنس والثوري).

<sup>(٤)</sup> (ضعيف) أخرجه ابن جرير (١٧/١٠٤) وإسناده ضعيف فيه أبو صالح عبد الله بن صالح ضعيف. وعلي بن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس.

وَفِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «زَوَيْتُ لِي الْأَرْضَ مِشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَسَيَبْلُغُ مَلِكُ أُمَّتِي مَا زَوَى لِي مِنْهَا»<sup>(١)</sup>.

وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنَ الْمَفْسِّرِينَ: الْمُرَادُ بِذَلِكَ أَرْضَ بَيْتِ الْمَقْدَسِ. وَهِيَ مِنَ الْأَرْضِ الَّتِي أَوْرَثَهَا اللَّهُ عِبَادَهُ الصَّالِحِينَ، وَلَيْسَتْ الْآيَةُ مُحْتَصَةً بِهَا.

### فصل

وَأَمَّا قَوْلُ مَنْ قَالَ: إِنَّ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ فِي عِلْيَيْنَ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، وَأَرْوَاحَ الْكُفَّارِ فِي سَجِّينَ فِي الْأَرْضِ السَّابِعَةِ، فَهَذَا قَوْلٌ قَدْ قَالَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلْفِ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى»<sup>(٢)</sup>.

وَقَدْ تَقَدَّمَ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ الْمَيِّتَ إِذَا خَرَجَتْ رُوحُهُ عَرَجَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ حَتَّى يُنْتَهَى بِهَا إِلَى السَّمَاءِ [السَّابِعَةِ] الَّتِي فِيهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ»<sup>(٣)</sup>.

وَتَقَدَّمَ قَوْلُ أَبِي مُوسَى: أَنَّهَا تَصْعَدُ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى الْعَرْشِ<sup>(٤)</sup>. وَقَوْلُ حُدَيْفَةَ: أَنَّهَا مَوْقُوفَةٌ عِنْدَ الرَّحْمَنِ<sup>(٥)</sup>. وَقَوْلُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو: إِنَّ هَذِهِ الْأَرْوَاحَ عِنْدَ اللَّهِ<sup>(٦)</sup>.

<sup>(١)</sup> أخرجه مسلم: (٢٨٨٩) عن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولفظه: «إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتَ مِشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مَلِكُهَا مَا زَوَى لِي مِنْهَا».

<sup>(٢)</sup> أخرجه البخاري: (٤٤٦٣) ومسلم: (٦٢٩٧/٢٤٤٤) عن عائشة.

<sup>(٣)</sup> (صحيح). تقدم في المسألة السادسة ص ( ).

<sup>(٤)</sup> إسناده حسن. تقدم ص ( ).

<sup>(٥)</sup> (ضعيف). تقدم ص ( ).

<sup>(٦)</sup> (ضعيف). تقدم ص ( ).

وَتَقْدَمُ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَّ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ تَأْوِي إِلَى قَنَادِيلِ تَحْتَ الْعَرْشِ»<sup>(١)</sup>.  
وَتَقْدَمُ حَدِيثَ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ: «أَنَّهَا تَصْعَدُ مِنْ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ، وَيَشِيْعُهَا مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ  
مَقْرَبُوهَا حَتَّى يَنْتَهِيَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ»، وَفِي لَفْظٍ: «إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي فِيهَا اللَّهُ عَزَّ  
وَجَلَّ»<sup>(٢)</sup>.

وَلَكِنْ هَذَا لَا يَدُلُّ عَلَى اسْتِقْرَارِهَا هُنَاكَ، بَلْ يَصْعَدُ بِهَا إِلَى هُنَاكَ لِلْعَرْضِ عَلَى رَبِّهَا  
عَزَّ وَجَلَّ فَيَقْضَى فِيهَا أَمْرَهُ، وَيَكْتُبُ كِتَابَهُ: مِنْ أَهْلِ عِلْيَيْنَ، أَوْ مِنْ أَهْلِ سِجِّينَ، ثُمَّ تَعُودُ  
إِلَى الْقَبْرِ لِلْمَسْأَلَةِ، ثُمَّ تَرْجِعُ إِلَى مَقْرَاهَا الَّذِي أودَعَتْ فِيهِ، فَأَرْوَاحُ الْمُؤْمِنِينَ فِي عِلْيَيْنَ  
بِحَسَبِ مَنَازِلِهِمْ، وَأَرْوَاحُ الْكُفَّارِ فِي سِجِّينَ بِحَسَبِ مَنَازِلِهِمْ.

### فصل

وَأَمَّا قَوْلُ مَنْ قَالَ: إِنَّ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ تَجْتَمِعُ بِيْرَ زَمْزَمَ، فَلَا دَلِيلَ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ مِنْ  
كِتَابٍ وَلَا سَنَةَ يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهَا، وَلَا قَوْلَ صَاحِبِ يُوْتُقُ بِهِ، وَكَيْسَ بِصَحِيحٍ، فَإِنْ تَلَّكَ  
الْبُئْرَ لَا تَسْعُ أَرْوَاحُ الْمُؤْمِنِينَ جَمِيعَهُمْ، وَهُوَ مُخَالَفٌ لِمَا ثَبَتَ بِهِ السَّنَةُ الصَّرِيحَةَ مِنْ أَنَّ نَسْمَةَ  
الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ يَلْقَى فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ.  
وَبِالْجُمْلَةِ: فَهَذَا مِنْ أَبْطَلِ الْأَقْوَالِ وَأَفْسَدِهَا، وَهُوَ أَفْسَدُ مِنْ قَوْلِ مَنْ قَالَ: أَنَّهَا  
بِالْجَابِيَةِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مَكَانٌ مَتَّسِعٌ فَضِيٌّ بِخِلَافِ الْبُئْرِ الضَّيْقَةِ.

### فصل

(١) حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ تَقْدَمُ ص ( ).

(٢) انظره في أول المسألة السادسة.

وَأَمَّا قَوْلٌ مِنْ قَالٍ: إِنَّ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ فِي بَرزَخٍ مِنَ الْأَرْضِ تَذْهَبُ حَيْثُ شَاءَتْ، فَهَذَا مَرُوعٌ عَنِ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ<sup>(١)</sup>.

وَالْبَرزَخُ هُوَ الْحَاجِزُ بَيْنَ شَيْئَيْنِ، وَكَأَنَّ سَلْمَانَ أَرَادَ بِهَا فِي أَرْضِ بَيْنِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مُرْسَلَةً هُنَاكَ، تَذْهَبُ حَيْثُ شَاءَتْ.

وَهَذَا قَوْلٌ قَوِيٌّ فَإِنَّهَا قَدْ فَارَقَتْ الدُّنْيَا وَلَمْ تَلِجِ الْآخِرَةَ، بَلْ هِيَ فِي بَرزَخٍ بَيْنَهُمَا، فَأَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ فِي بَرزَخٍ وَاسِعٍ فِيهِ الرُّوحُ وَالرِّيحَانُ وَالنَّعِيمُ، وَأَرْوَاحَ الْكُفَّارِ فِي بَرزَخٍ ضَيِّقٍ فِيهِ الْغَمُّ وَالْعَذَابُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠]، فَالْبَرزَخُ هُنَا: مَا بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأَصْلُهُ الْحَاجِزُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ.

### فصل

وَأَمَّا قَوْلٌ مِنْ قَالٍ: إِنَّ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ يَمِينِ آدَمَ وَأَرْوَاحَ الْكُفَّارِ عَنِ يَسَارِهِ فَلَعَمْرُ اللَّهِ، لَقَدْ قَالَ قَوْلًا يُؤَيِّدُهُ الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ، وَهُوَ حَدِيثُ الْإِسْرَاءِ فَانِ النَّبِيِّ ﷺ رَأَاهُمْ كَذَلِكَ<sup>(٢)</sup>، وَلَكِنْ لَا يَدُلُّ ذَلِكَ عَلَى تَعَادُلِهِمْ فِي الْيَمِينِ وَالشَّمَالِ، بَلْ يَكُونُ هَؤُلَاءِ عَنِ يَمِينِهِ فِي الْعُلُوِّ وَالسَّعَةِ، وَهَؤُلَاءِ عَنِ يَسَارِهِ فِي السُّفْلِ وَالسَّجْنِ<sup>(٣)</sup>.

(١) تقدم التنبيه على هذا وأنه ليس بمحفوظ عن سلمان، وأن المحفوظ عنه أن أرواح المؤمنين في الجنة انظر ص (.)

(٢) انظر ما أخرجه البخاري: (٣٤٩) ومسلم: (١٦٣) عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) انظر كلامًا نحو هذا للنووي في شرح صحيح مسلم عند حديث (١٦٣) وأن المراد أن أهل الجنة في جهة اليمين وأهل النار في جهة الشمال وليس بلازم أنهم جميعًا في السماء.

وقد قال أبو محمد بن حزم<sup>(١)</sup>: إن ذلك البرزخ الذي رآه فيه رسول الله ﷺ، ليلة أسري به عند سماء الدنيا، قال: وذلك عند مُنْقَطع العناصر، قال: وهذا يدل على أنها عنده تحت السماء حيث تنقطع العناصر، وهي الماء والتراب والنار والهواء، وهو دائها يشنع على من قال قولاً لا دليل عليه، فأبي دليل له على هذا القول من كتاب وسنة، وسيأتي إشباع الكلام على قوله، إذا انتهينا إليه إن شاء الله تعالى.

فإن قيل: فإذا كانت أرواح أهل السعادة عن يمين آدم وادم في سماء الدنيا، وقد ثبت أن أرواح الشهداء في ظل العرش، والعرش فوق السماء السابعة، فكيف تكون عن يمينه، وكيف يراها النبي ﷺ، هناك في السماء الدنيا؟  
فالجواب من وجوه:

أحدها: أنه لا يمتنع كونها عن يمينه في جهة العلو، كما كانت أرواح الأشقياء عن يساره في جهة السفلى.

الثاني: أنه غير مُمتنع أن تعرض على النبي ﷺ في سماء الدنيا، وإن كان مستقرها فوق ذلك.

الثالث: أنه لم يخبر أنه رأى أرواح السعداء جميعاً هناك، بل قال: «فإذا عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة». ومعلوم قطعاً: أن روح إبراهيم وموسى فوق ذلك في السماء السادسة والسابعة، وكذلك الرفيق الأعلى أرواحهم فوق ذلك، وأرواح السعداء بعضها أعلى من بعض بحسب منازلهم كما أن أرواح الأشقياء بعضها أسفل من بعض بحسب منازلهم، والله أعلم.

(١) انظر «الفصل» لابن حزم (٤/١٢٣).

## فصل

وَأَمَّا قَوْل أَبِي مُحَمَّدٍ بْنِ حَزْمٍ: أَنَّ مَسْتَقَرَّهَا حَيْثُ كَانَتْ قَبْلَ خَلْقِ أَجْسَادِهَا<sup>(١)</sup>، فَهَذَا بِنَاءٌ مِنْهُ عَلَى مَذْهَبِهِ الَّذِي اخْتَارَهُ وَهُوَ أَنَّ الْأَرْوَاحَ مَخْلُوقَةٌ قَبْلَ الْأَجْسَادِ، وَهَذَا فِيهِ قَوْلَانِ لِلنَّاسِ، وَجُمْهُورُهُمْ عَلَى أَنَّ الْأَرْوَاحَ خَلِقَتْ بَعْدَ الْأَجْسَادِ، وَالَّذِينَ قَالُوا: أَنَّهَا خَلِقَتْ قَبْلَ الْأَجْسَادِ لَيْسَ مَعَهُمْ عَلَى ذَلِكَ دَلِيلٌ مِنْ كِتَابٍ وَلَا سُنَّةٍ وَلَا إِجْمَاعٍ إِلَّا مَا فَهَمُوهُ مِنْ نُصُوصٍ لَا تَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ، أَوْ أَحَادِيثٍ لَا تَصِحُّ كَمَا اخْتَجَّ بِهِ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ حَزْمٍ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾ [الأعراف: ١٧٢]، الْآيَةَ، وَيَقُولُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا﴾ [الأعراف: ١١].

قَالَ: فَصَحَّ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْأَرْوَاحَ جَمَلَةً وَهِيَ الْأَنْفُسُ، وَكَذَلِكَ أَخْبَرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ «الْأَرْوَاحَ جُنُودَ مَجْنُودَةٍ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَافَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ»<sup>(٢)</sup>.

قَالَ: وَأَخَذَ عَزَّ وَجَلَّ عَهْدَهَا وَشَهَادَتَهَا وَهِيَ مَخْلُوقَةٌ مَصُورَةٌ عَاقِلَةٌ قَبْلَ أَنْ يَأْمُرَ الْمَلَائِكَةَ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ، وَقَبْلَ أَنْ يَدْخُلَهَا فِي الْأَجْسَادِ وَالْأَجْسَادَ يَوْمَ مِئْذِنِ تُرَابٍ. وَقَالَ: لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى [ذَكَرَ]<sup>(٣)</sup> ذَلِكَ بِلَفْظَةٍ، ثُمَّ الَّتِي تَوْجِبُ التَّعْقِيبَ وَالْمَهْلَةَ، ثُمَّ أَقْرَأَهَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حَيْثُ شَاءَ، وَهُوَ الْبَرَزَخُ الَّذِي تَرْجِعُ إِلَيْهِ عِنْدَ الْمَوْتِ.

(١) انظر الفصل (٤/١٢٢-١٢٤).

(٢) أخرجه مسلم: (٢٦٣٨) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وأخرجه البخاري: (٣٣٣٦) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تعليقاً ووصله في الأدب المفرد (٩٠٠) بإسناد صحيح.

(٣) في الأصل (خلق) بدل (ذكر) وهو تحريف، والصواب ما أثبتناه من الفصل لابن حزم.

وَسَنذَكَرُ مَا فِي هَذَا الْإِسْتِدْلَالِ عِنْدَ جَوَابِ سُؤَالِ السَّائِلِ عَنِ الْأَرْوَاحِ أَهِيَ مَخْلُوقَةٌ مَعَ الْأَبْدَانِ أَمْ قَبْلَهَا؟<sup>(١)</sup> إِذْ الْغَرَضُ هُنَا الْكَلَامُ عَلَى مُسْتَقَرِّ الْأَرْوَاحِ بَعْدَ الْمَوْتِ.  
 وَقَوْلُهُ: «إِنَّهَا تَسْتَقِرُّ فِي الْبَرَزِخِ الَّذِي كَانَتْ فِيهِ قَبْلَ خَلْقِ الْأَجْسَادِ». مَبْنِيٌّ عَلَى هَذَا الْإِعْتِقَادِ الَّذِي اعْتَقَدَهُ.

وَقَوْلُهُ: «إِنَّ أَرْوَاحَ السُّعْدَاءِ عَنِ يَمِينِ آدَمَ وَأَرْوَاحَ الْكُفَّارِ الْأَشْقِيَاءِ عَنِ يَسَارِهِ». حَقٌّ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ.

وَقَوْلُهُ: «إِنَّ ذَلِكَ عِنْدَ مُنْقَطِعِ الْعُنَاصِرِ». لَا دَلِيلَ عَلَيْهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا سُنَّةٍ وَلَا يَشْبَهُ أَقْوَالَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، وَالْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْأَرْوَاحَ فَوْقَ الْعُنَاصِرِ فِي الْجَنَّةِ عِنْدَ اللَّهِ، وَأَدْلَةُ الْقُرْآنِ تَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ.

وَقَدْ وَافَقَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَلَى أَنَّ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ فِي الْجَنَّةِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الصَّدِيقِينَ أَفْضَلَ مِنْهُمْ فَكَيْفَ تَكُونُ رُوحُ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ وَحَدِيثُهُ بِنِ الْيَمَانِ وَأَشْبَاهِهِمْ رضي الله عنهم عِنْدَ مُنْقَطِعِ الْعُنَاصِرِ - وَذَلِكَ تَحْتَ هَذَا الْفَلَكَ الْأَدْنَى، وَتَحْتَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا - وَتَكُونُ أَرْوَاحُ شُهَدَاءِ زَمَانِنَا وَغَيْرِهِمْ فَوْقَ الْعُنَاصِرِ وَفَوْقَ السَّمَوَاتِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: قَدْ ذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرِ الْمُرُوزِيُّ عَنِ إِسْحَاقَ بْنِ رَاهَوِيَةَ: أَنَّهُ ذَكَرَ هَذَا الَّذِي قُلْنَا بِعَيْنِهِ. قَالَ: وَعَلَى هَذَا جَمِيعُ أَهْلِ الْعِلْمِ وَهُوَ قَوْلُ جَمِيعِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ.

قُلْتُ: مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرِ الْمُرُوزِيُّ ذَكَرَ فِي كِتَابِ الرَّدِّ عَلَى ابْنِ قُتَيْبَةَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، الْأَثَارُ النَّبِيُّ ذَكَرَهَا السَّلَفُ مِنْ اسْتِخْرَاجِ ذُرِّيَّةِ آدَمَ مِنْ صُلْبِهِ، ثُمَّ أَخَذَ

(١) سيأتي الكلام عن هذه المسألة مفصلاً في المسألة الثامنة عشرة إن شاء الله.

الميثاق عَلَيْهِم وردداهم فِي صلبه، وَأَنه أخرجهم مثل الدَّر، وَأَنه سُبْحَانَهُ قسمهم إِذْ ذَاكَ إِلَى شَقِي وَسَعِيد وَكُتِبَ آجَاهُم وَأَرْزَاقُهُم وَأَعْمَالُهُم، وَمَا يَصِيبُهُم من خَيْرٍ وَشَرٍّ، ثُمَّ قَالَ: قَالَ إِسْحَاقُ: أَجْمَعُ أَهْلَ الْعِلْمِ أَنَّهَا الْأَرْوَاحُ قَبْلَ الْأَجْسَادِ اسْتَنْطَقَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ أَنْ لَا يَقُولُوا: إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ، أَوْ يَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرِكُ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ.

هَذَا نَصُّ كَلَامِهِ وَهُوَ كَمَا تَرَى لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مُسْتَقَرَّ الْأَرْوَاحِ مَا ذَكَرَ أَبُو مُحَمَّدٍ حَيْثُ مَنْقَطَعُ الْعُنَاصِرِ بِوَجْهِهٍ مِنَ الْوُجُوهِ، بَلْ وَلَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْأَرْوَاحَ كَانَتْ قَبْلَ خَلْقِ الْأَجْسَادِ، بَلْ إِنَّهَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّه سُبْحَانَهُ اسْتَخْرَجَهَا حَيِّنِيذٍ، فَخَاطَبَهَا ثُمَّ رَدَّهَا إِلَى صَلْبِ آدَمَ، وَهَذَا الْقَوْلُ وَإِنْ كَانَ قَدْ قَالَه جَمَاعَةٌ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلْفِ، فَالْقَوْلُ الصَّحِيحُ غَيْرُهُ، كَمَا سَتَقِفُ عَلَيْهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

إِذْ لَيْسَ الْغَرَضُ فِي جَوَابِ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ: الْكَلَامُ فِي الْأَرْوَاحِ هَلْ هِيَ مَخْلُوقَةٌ قَبْلَ الْأَجْسَادِ أَمْ لَا؟ حَتَّى لَوْ سُلِّمَ لِأَبِي مُحَمَّدٍ هَذَا كُلُّهُ، لَمْ يَكُنْ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مُسْتَقَرَّهَا حَيْثُ مَنْقَطَعُ الْعُنَاصِرِ، وَلَا أَنَّ ذَلِكَ الْمَوْضِعَ كَانَ مُسْتَقَرَّهَا أَوْ لَا.

### فصل

وَأَمَّا قَوْلُ مَنْ قَالَ: إِنَّ مُسْتَقَرَّهَا الْعَدَمُ الْمَحْضُ، فَهَذَا قَوْلٌ مِنْ قَالَ: إِنَّهَا عَرَضٌ مِنْ أَعْرَاضِ الْبَدَنِ، وَهُوَ الْحَيَاةُ، وَهَذَا قَوْلُ ابْنِ الْبَاقِلَانِيِّ<sup>(١)</sup> وَمَنْ تَبِعَهُ، وَكَذَلِكَ قَالَ أَبُو

(١) هو محمد بن الطيب بن محمد أبو بكر بن الباقلاني من كبار علماء الكلام، انتصر لمذهب أبي الحسن الأشعري وكان يُضرب المثل بذكائه وفهمه توفي سنة (٤٠٣). انظر "سير أعلام النبلاء" (١٧/١٩٠).



الهذيل العلاف النفس عرض من الأعراض، ولم يُعِينهُ بِأَنَّهُ الْحَيَاةُ كَمَا عَيْنَهُ ابْنُ الْبَاقِلَانِي ثُمَّ قَالَ: هِيَ عَرْضُ كَسَائِرِ أَعْرَاضِ الْجِسْمِ.

وَهُؤُلَاءِ عِنْدَهُمْ: أَنَّ الْجِسْمَ إِذَا مَاتَ عَدِمَتْ رُوحُهُ كَمَا تَعْدُمُ سَائِرِ أَعْرَاضِهِ الْمَشْرُوطَةِ بِالْحَيَاةِ، وَمَنْ يَقُولُ مِنْهُمْ أَنَّ الْعَرْضَ لَا يَبْقَى زَمَانِينَ، كَمَا يَقُولُهُ أَكْثَرُ الْأَشْعَرِيَّةِ، فَمَنْ قَوْلُهُمْ: إِنَّ رُوحَ الْإِنْسَانِ الْآنَ هِيَ غَيْرُ رُوحِهِ قَبْلَ، وَهُوَ لَا يَنْفَكُ يَحْدُثُ لَهُ رُوحٌ ثُمَّ تُغَيَّرُ ثُمَّ رُوحٌ ثُمَّ تُغَيَّرُ، هَكَذَا أَبَدًا فَيَبْدُلُ لَهُ أَلْفَ رُوحٍ فَأَكْثَرَ فِي مِقْدَارِ سَاعَةٍ مِنَ الزَّمَانِ فَمَا دُونَهَا، فَإِذَا مَاتَ فَلَا [رُوح] تَصْعَدُ إِلَى السَّمَاءِ وَتَعُودُ إِلَى الْقَبْرِ، وَتَقْبِضُهَا الْمَلَائِكَةُ، وَيَسْتَفْتِحُونَ لَهَا أَبْوَابَ السَّمَوَاتِ، وَلَا تَنْعَمُ وَلَا تَعْذِبُ، وَإِنَّمَا يَنْعَمُ وَيُعْذِبُ الْجَسَدَ، إِذَا شَاءَ اللَّهُ تَنْعِيمَهُ وَعَذَابَهُ رَدَّ إِلَيْهِ الْحَيَاةَ فِي وَقْتٍ يُرِيدُ تَنْعِيمَهُ وَعَذَابَهُ، وَإِلَّا فَلَا رُوحَ هُنَاكَ قَائِمَةً بِنَفْسِهَا الْبَتَّةَ.

وَقَالَ بَعْضُ أَرْبَابِ هَذَا الْقَوْلِ: تَرُدُّ الْحَيَاةَ إِلَى عَجَبِ الذَّنْبِ<sup>(١)</sup>، فَهُوَ الَّذِي يُعْذِبُ وَيَنْعَمُ حَسَبَ.

وَهَذَا قَوْلٌ يَرُدُّهُ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَإِجْمَاعُ الصَّحَابَةِ، وَأَدْلَةُ الْعُقُولِ وَالْفِطْرِ<sup>(٢)</sup>، وَهُوَ قَوْلٌ مَنْ لَمْ يَعْرِفْ رُوحَهُ فَضْلًا عَنْ رُوحِ غَيْرِهِ، وَقَدْ خَاطَبَ [اللَّهُ] سُبْحَانَهُ النَّفْسَ بِالرُّجُوعِ وَالذُّخُولِ وَالخُرُوجِ، وَدَلَّتِ النُّصُوصُ الصَّحِيحَةُ الصَّرِيحَةُ عَلَى أَنَّهَا تَصْعَدُ وَتَنْزَلُ وَتَقْبِضُ وَتَمْسِكُ وَتَرْسُلُ وَتَسْتَفْتِحُ لَهَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَتَسْجُدُ وَتَتَكَلَّمُ وَأَنَّهَا تَخْرُجُ تَسِيلٌ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ، وَتَكْفَنُ وَتَحْنَطُ فِي أَكْفَانِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَأَنَّ مَلِكَ الْمَوْتِ يَأْخُذُهَا

(١) عَجَبُ الذَّنْبِ: هُوَ الْعِظْمُ الَّذِي فِي أَسْفَلِ الصُّلْبِ عِنْدَ الْعَجْزِ، وَهُوَ الَّذِي يُرَكَّبُ مِنْهُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

(٢) فِي الْأَصْلِ (وَأَدْلَةُ الْعُقُولِ وَالْفِطْرِ) وَالْمَثْبُوتِ مِنْ (ش) وَ(ف).

بِيَدِهِ ثُمَّ تَتَنَاوَلُهَا الْمَلَائِكَةُ مِنْ يَدِهِ وَيُشْتَمُّ لَهَا كَأَطِيبٍ نَفْحَةَ مَسْكَ، أَوْ أَنْتَنَ جِيْفَةَ، وَتَشِيْعُ مِنْ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ، ثُمَّ تُعَادُ إِلَى الْأَرْضِ مَعَ الْمَلَائِكَةِ، وَأَتَّهَا إِذَا خَرَجْتَ تَبْعُهَا الْبَصْرَ بِحَيْثُ يَرَاهَا، وَهِيَ خَارِجَةٌ وَدَلَّ الْقُرْآنُ عَلَى أَنَّهَا تَنْتَقِلُ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ حَتَّى تَبْلُغَ الْخُلُقُومَ فِي حَرَكَتِهَا.

وَجَمِيعُ مَا ذَكَرْنَا مِنَ الْأَدِلَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى تَلَاقِي الْأَرْوَاحِ وَتَعَارُفِهَا، وَأَنَّهَا أَجْنَادٌ مُجَنَّدَةٌ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ يَبْطُلُ هَذَا الْقَوْلُ، وَقَدْ شَهِدَ النَّبِيُّ ﷺ الْأَرْوَاحَ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ عَنِ يَمِينِ آدَمَ وَشِمَالِهِ، وَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّ نَسَمَةَ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ يَلْقَى فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ، وَأَنَّ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ فِي حَوَاصِلِ طَيْرِ خَضِرٍ وَأَخْبَرَ تَعَالَى عَنِ أَرْوَاحِ آلِ فِرْعَوْنَ: أَنَّهَا تُعْرَضُ عَلَى النَّارِ غَدَا وَعَشِيًّا.

وَمَا أُورِدَ ذَلِكَ عَلَى ابْنِ الْبَاقِلَانِيِّ لَجَّ فِي الْجَوَابِ، وَقَالَ: يُخْرَجُ هَذَا عَلَى أَحَدِ وَجْهَيْنِ: إِمَّا بِأَنْ يَوْضَعُ عَرْضُ مِنَ الْحَيَاةِ فِي أَقْلٍ<sup>(١)</sup> جُزْءٌ مِنْ أَجْزَاءِ الْجِسْمِ<sup>(٢)</sup>، وَإِمَّا أَنْ يَخْلُقَ لِنَيْلِكَ الْحَيَاةِ وَالنَّعِيمِ وَالْعَذَابِ جَسَدًا آخَرَ<sup>(٣)</sup>.

وَهَذَا قَوْلٌ فِي غَايَةِ الْفَسَادِ مِنْ وُجُوهِ كَثِيرَةٍ، أَي: قَوْلٌ أَفْسَدَ مِنْ قَوْلٍ مِنْ يَجْعَلُ رُوحَ الْإِنْسَانِ عَرْضًا مِنَ الْأَعْرَاضِ تَتَبَدَّلُ كُلَّ سَاعَةٍ أَلَوْفًا مِنَ الْمَرَاتِ، فَإِذَا فَارَقَهُ هَذَا الْعَرْضُ لَمْ يَكُنْ بَعْدَ الْمُفَارَقَةِ رُوحٌ تَنْعَمُ وَلَا تَعَذِّبُ، وَلَا تَصْعَدُ وَلَا تَنْزَلُ وَلَا تَمْسُكُ، وَلَا تُرْسَلُ.

(١) في الأصل (أول جزء) والمثبت من (ش) و(ف) وهو الموافق لما في كتاب الفصل.

(٢) قال ابن حزم في الفصل (٤/١٢٢): (وهذا أيضًا مُحْتَقٌّ آخَرَ، ودعاوى في غاية الفساد).

(٣) قال ابن رجب في "أهوال القبور" ص (١١٨): (وهذا باطل قطعًا لأنه يلزم منه أن يعذب بدن غير بدن الميت مع روح غير روحه فلا يعذب حينئذ بدن الميت ولا روحه، ولا ينعمان أيضًا وهذا باطل قطعًا).

فَهَذَا قَوْلٌ مُخَالَفٌ لِلْعَقْلِ، وَنُصُوصُ الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ وَالْفِطْرَةِ، وَهُوَ قَوْلٌ مِنْ لَمْ يَعْرِفَ نَفْسَهُ.

وَسَيَأْتِي ذِكْرُ الْوُجُوهِ الدَّالَّةِ عَلَى بَطْلَانِ هَذَا الْقَوْلِ فِي مَوْضِعِهِ مِنْ هَذَا الْجَوَابِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَهُوَ قَوْلٌ لَمْ يَقُلْ بِهِ أَحَدٌ مِنْ سَلَفِ الْأُمَّةِ، وَلَا مِنْ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَلَا أُمَّةِ الْإِسْلَامِ.

### فصل

وَأَمَّا قَوْلٌ مِنْ قَالَ: إِنْ مَسْتَقَرَّهَا بَعْدَ الْمَوْتِ أَبْدَانٌ أُخْرَى غَيْرَ هَذِهِ الْأَبْدَانِ، فَهَذَا الْقَوْلُ فِيهِ حَقٌّ وَبَاطِلٌ.

فَأَمَّا الْحَقُّ: فَمَا أَخْبَرَ [بِهِ] الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ عَنْ أَرْوَاحِ الشُّهَدَاءِ أَنَّهَا فِي حَوَاصِلِ طَيْرِ خَضِرٍ تَأْوِي إِلَى قَنَادِيلٍ مَعْلَقَةٍ بِالْعَرْشِ، هِيَ لَهَا كَالْأَوْكَارِ لِلطَّائِرِ، وَقَدْ صَرَحَ بِذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: «جَعَلَ اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي أَجْوَافِ طَيْرِ خَضِرٍ».

وَأَمَّا قَوْلُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ يَلْقَى فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ»، يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الطَّائِرُ مَرْكَبًا لِلرُّوحِ كَالْبَدَنِ لَهَا، وَيَكُونُ ذَلِكَ لِبَعْضِ الْمُؤْمِنِينَ وَالشُّهَدَاءِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الرُّوحُ فِي صُورَةِ طَائِرٍ، وَهَذَا اخْتِيَارُ أَبِي مُحَمَّدٍ بْنِ حَزْمٍ وَأَبِي عَمْرِو بْنِ عَبْدِ الْبَرِّ. وَقَدْ تَقَدَّمَ كَلَامُ أَبِي عَمْرِو وَالْكَلامُ عَلَيْهِ.

وَأَمَّا ابْنُ حَزْمٍ فَإِنَّهُ قَالَ مَعْنَى قَوْلِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ يَلْقَى» هُوَ عَلَى ظَاهِرَةِ لَا عَلَى ظَنِّ أَهْلِ الْجَهْلِ، وَإِنَّمَا أَخْبَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أَنَّ نَسَمَةَ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ يَلْقَى) بِمَعْنَى: أَنَّهَا تَطِيرُ فِي الْجَنَّةِ لَا أَنَّهَا تَمْسُخُ فِي صُورَةِ الطَّيْرِ.

قَالَ: فَإِنْ قِيلَ: إِنَّ النَّسْمَةَ مُؤَنَّثَةٌ، قُلْنَا قَدْ صَحَّ عَنْ عَرَبِيٍّ فَصِيحٌ أَنَّهُ قَالَ: أُنْتُكَ كِتَابِي فَاسْتَخَفَّتْ بِهَا فَاقِيلَ لَهُ: أُنْتُوثُ الْكِتَابِ؟ قَالَ: أَوْلَيْسَ صَحِيفَةً<sup>(١)</sup>، وَكَذَلِكَ النَّسْمَةَ [رُوح] فَتُذَكَّرُ لِذَلِكَ<sup>(٢)</sup>.

قَالَ: وَأَمَّا الزِّيَادَةُ الَّتِي فِيهَا أُنْمَا فِي حَوَاصِلِ طَيْرِ خَضِرٍ، فَإِنَّهَا صِفَةٌ تِلْكَ الْقَنَادِيلِ الَّتِي تَأْوِي إِلَيْهَا وَالْحَدِيثَانِ مَعًا حَدِيثٌ وَاحِدٌ.

وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ فِي غَايَةِ الْفَسَادِ لَفْظًا وَمَعْنَى، فَإِنْ حَدِيثٌ: «نَسْمَةُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ يَلْقَى فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ». غَيْرَ حَدِيثٍ: «أَرْوَاحُ الشُّهَدَاءِ فِي حَوَاصِلِ طَيْرِ خَضِرٍ»، وَالَّذِي ذَكَرَهُ مُحْتَمَلٌ فِي الْحَدِيثِ الْأَوَّلِ، وَأَمَّا الْحَدِيثُ الثَّانِي فَلَا يَحْتَمِلُهُ بَوَاجِهُ، فَإِنَّهُ أَخْبَرَ أَنَّ أَرْوَاحَهُمْ فِي حَوَاصِلِ طَيْرٍ، وَفِي لَفْظٍ: «فِي أَجْوَافِ طَيْرِ خَضِرٍ» وَفِي لَفْظٍ: «بِيضٍ»<sup>(٣)</sup>، وَإِنْ تِلْكَ [الطَيْرِ] تَسْرَحُ فِي الْجَنَّةِ، فَتَأْكُلُ مِنْ ثَمَارِهَا وَتَشْرَبُ مِنْ أَنْهَارِهَا، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى قَنَادِيلٍ تَحْتَ الْعَرْشِ هِيَ لَهَا، كَالْأَوْكَارِ لِلطَّائِرِ، وَقَوْلُهُ: إِنْ حَوَاصِلُ تِلْكَ الطَّيْرِ هِيَ صِفَةُ الْقَنَادِيلِ الَّتِي تَأْوِي إِلَيْهَا خَطَأً قَطْعًا، بَلِ تِلْكَ الْقَنَادِيلُ مَأْوَى لِتِلْكَ الطَّيْرِ، فَهَاهُنَا ثَلَاثَةُ أُمُورٍ صَرَحَ بِهَا الْحَدِيثُ: أَرْوَاحٌ، وَطَيْرٌ هِيَ فِي أَجْوَافِهَا، وَقَنَادِيلٌ هِيَ مَأْوَى لِتِلْكَ

<sup>(١)</sup> حكاه الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء قال سمعت أعرابياً من أهل اليمن يقول: فلان لغوب جاءته كتابي فاحتقرها فقلت أتقول جاءته كتابي! فقال: أليس بصحيفة؟! فقلت: ما اللغوب؟ قال: الأحمق. ذكره الجوهري في الصحاح (١/١٩٥) وابن منظور في لسان العرب (١٢/٢٩٥) مادة (لغب).

<sup>(٢)</sup> في الأصل (وكذلك النسمة تذكر كذلك) وما أثبتناه من الفصل وفيه زيادة يقتضيها السياق.

<sup>(٣)</sup> أخرجه أبو الشيخ الأصبهاني كما في أهوال القبور لابن رجب ص (٢١٠-٢١١) من طريق عبد الله بن ميمون عن عمه مصعب بن سليم عن أنس مرفوعاً: «بيعت الله الشهداء من حواصل طير بيض كانوا في قناديل معلقة بالعرش». وعبد الله بن ميمون هو الذي يُلقب بصاحب الطيالسة ذكره المزي في التهذيب ضمن الرواة عن عمه مصعب بن سليم، ولم أجد له ترجمة.

الطير، والقناديل مُسْتَقَرَّةٌ تَحْتَ الْعَرْشِ لَا تَسْرَحُ، وَالطَّيْرُ تَسْرَحُ وَتَذْهَبُ وَتُجِيءُ،  
وَالْأَرْوَاحُ فِي أَجْوَافِهَا.

فَإِنْ قِيلَ: يُحْتَمَلُ أَنْ تُجْعَلَ نَفْسُهَا فِي صُورَةِ طَيْرٍ، لَا أَنَّهَا تَرْكَبُ فِي بَدَنِ طَيْرٍ، كَمَا قَالَ  
تَعَالَى: ﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ [الانفطار: ٨]، وَيَدُلُّ [عَلَيْهِ] قَوْلُهُ فِي اللَّفْظِ الْآخَرَ:  
«أَرْوَاحُهُمْ كَطَيْرٍ خَضِرٍ». كَذَلِكَ رَوَاهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنِ  
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَرَّةٍ عَنِ مَسْرُوقٍ عَنِ عَبْدِ اللَّهِ <sup>(١)</sup>.

قَالَ أَبُو عَمْرٍ <sup>(٢)</sup>: وَالَّذِي يَشْبَهُ عِنْدِي، وَاللَّهِ أَعْلَمُ أَنْ يَكُونَ الْقَوْلُ قَوْلَ مَنْ قَالَ كَطَيْرٍ  
أَوْ صُورِ طَيْرٍ لِمُطَابَقَتِهِ، لِحَدِيثِنَا الْمَذْكُورِ يَعْنِي حَدِيثَ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ فِي نَسَمَةِ الْمُؤْمِنِ.  
فَالْجَوَابُ: أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ قَدْ رَوَى بِهِدَيْنِ اللَّفْظَيْنِ، وَالَّذِي رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي  
«الصَّحِيحِ» مِنْ حَدِيثِ الْأَعْمَشِ عَنِ مَسْرُوقٍ: «أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ». قَدْ رَوَاهُ ابْنُ  
عَبَّاسٍ وَكَعْبُ بْنُ مَالِكٍ، فَلَمْ يَخْتَلَفْ حَدِيثُهُمَا أَنَّهَا فِي أَجْوَافِ طَيْرٍ خَضِرٍ.

فَأَمَّا حَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ فَقَالَ عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِدْرِيسَ، عَنِ  
مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أُمَيَّةَ [عَنِ أَبِي الزَّبِيرِ] عَنِ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ  
عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ - يَعْنِي يَوْمَ أُحُدٍ - جَعَلَ  
اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي أَجْوَافِ طَيْرٍ خَضِرٍ تَرُدُّ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ، وَتَأْكُلُ مِنْ ثَمَارِهَا وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلٍ  
مِنْ ذَهَبٍ مَذْلَلَةٌ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ، فَلَمَّا وَجَدُوا طَيْبَ مَا كَلَّهْمُ وَمَشَرَّ بِهِمْ وَمَقِيلَهُمْ قَالُوا: مَنْ

<sup>(١)</sup> انظر مصنف ابن أبي شيبة (٣٠٨/٥) ولفظه: «أرواحهم طير خضر». وقد أخرجه مسلم: (١٨٨٧) من

طريق ابن أبي شيبة به ولفظه: «أرواحهم في جوف طير خضر».

<sup>(٢)</sup> انظر التمهيد (٦٤/١١).

يبلغ إخواننا عَنَّا أنا أحياء في الجنة نرزق لئلا ينكلوا عن الحرب، وَلَا يَزْهَدُوا فِي الْجِهَادِ؟ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا أبلغهم عَنْكُمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] <sup>(١)</sup>.

وَأما حَدِيثُ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ فَهُوَ فِي «السَّنَنِ الأَرْبَعَةِ» و«مَسْنَدِ أَحْمَدَ» وَلَفْظُهُ لِلتِّرْمِذِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ فِي طَيْرِ خَضِرٍ، تَعْلُقُ مِنْ ثَمَرِ الْجَنَّةِ، أَوْ شَجَرِ الْجَنَّةِ». قَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ <sup>(٢)</sup>.

وَلَا مَحْذُورٌ فِي هَذَا، وَلَا يَبْطُلُ قَاعِدَةٌ مِنْ قَوَاعِدِ الشَّرْعِ، وَلَا يُخَالَفُ نَصًّا مِنْ كِتَابٍ وَلَا سُنَّةً عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بَلْ هَذَا مِنْ تَمَامِ إِكْرَامِ اللَّهِ لِلشُّهَدَاءِ، أَنَّ أَعْضَاهُمْ مِنْ أَبْدَانِهِمُ الَّتِي مَزَقَهَا اللَّهُ أَبْدَانًا خَيْرًا مِنْهَا، تَكُونُ مَرْكَبًا لِأَرْوَاحِهِمْ؛ لِيَحْصَلَ بِهَا كَمَالُ تَنَعُّمِهِمْ، فَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رُدَّ أَرْوَاحُهُمْ إِلَى تِلْكَ الأَبْدَانِ الَّتِي كَانَتْ فِيهَا فِي الدُّنْيَا.

<sup>(١)</sup> صحيح. تقدم في المسألة الخامسة ص ( ).

<sup>(٢)</sup> أخرجه أحمد: (٤٥٥/٣) و (٣٨٦/٦) والترمذي: (١٦٤١) والنسائي: (٢٠٧٣) وابن ماجه (٤٢٧١) - ولم أقف عليه عند أبي داود - من طريق عمرو بن دينار عن الزهري عن ابن كعب بن مالك عن أبيه بهذا اللفظ.

وخالفه مالك ومعمرو ويونس بن يزيد الأيلي وصالح بن كيسان وشعيب بن أبي حمزة - عند أحمد: (٤٥٥/٣) والأوزاعي والحاارث بن فضيل - عند الطبراني (١٩/٦٤-٦٥) - سبعتهم يروون الحديث عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه بلفظ: «إنما نسمة المؤمن». وفي بعضها: «روح المؤمن». وفي بعضها: «روح المسلم». ولم يذكر أحد منهم لفظ: «أرواح الشهداء». وعليه فهي لفظة شاذة تفرد بها عمرو بن دينار وقد خالفه من هو أرجح منه حفظًا وأكثر عددًا، على أنه قد ثبت في أحاديث أخرى أن أرواح الشهداء في جوف طير خضر كحديث ابن مسعود في صحيح مسلم وحديث ابن عباس في مسند أحمد وقد تقدمت والله أعلم.

فان قيل: فَهَذَا هُوَ الْقَوْلُ بِالتَّنَاسُخِ، وَحُلُولِ الْأَرْوَاحِ فِي أَبْدَانٍ غَيْرِ أَبْدَانِهَا الَّتِي كَانَتْ فِيهَا؟

قيل: هَذَا الْمَعْنَى الَّذِي دَلَّتْ عَلَيْهِ السَّنَةُ الصَّرِيحَةُ حَقٌّ يَجِبُ اعْتِقَادُهُ، وَلَا يُبْطَلُهُ تَسْمِيهِ الْمُسَمَّى لَهُ تَنَاسُخًا كَمَا أَنَّ إِثْبَاتَ مَا دَلَّ عَلَيْهِ الْعَقْلُ وَالنَّقْلُ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَحَقَائِقِ أَسْمَائِهِ الْحَسَنَى حَقٌّ، لَا يُبْطَلُهُ تَسْمِيَةُ الْمُعْطَلِينَ لَهَا، تَرْكِيبًا وَتَجْسِيمًا، وَكَذَلِكَ مَا دَلَّ عَلَيْهِ الْعَقْلُ وَالنَّقْلُ مِنْ إِثْبَاتِ أَفْعَالِهِ، وَكَلَامِهِ بِمَشِيئَتِهِ، وَنَزُولِهِ كُلِّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، وَجِيئِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْفَصْلِ بَيْنِ عِبَادِهِ حَقٌّ لَا يُبْطَلُهُ تَسْمِيَةُ الْمُعْطَلِينَ لَهُ حُلُولِ حَوَادِثٍ، وَكَمَا أَنَّ مَا دَلَّ عَلَيْهِ الْعَقْلُ وَالنَّقْلُ مِنْ عُلُوِّ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَمَبَايَنَتِهِ لَهُمْ وَاسْتَوَائِهِ عَلَى عَرْشِهِ وَعُرُوجِ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ إِلَيْهِ، وَنَزُولِهَا مِنْ عِنْدِهِ وَصُعُودِ الْكَلِمِ الطَّيِّبِ إِلَيْهِ وَعُرُوجِ رُسُولِهِ إِلَيْهِ، وَدَنُوهِ مِنْهُ حَتَّى صَارَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى<sup>(١)</sup>، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَدِلَّةِ حَقٌّ لَا يُبْطَلُهُ تَسْمِيَةُ الْجَهْمِيَّةِ لَهُ حِيزًا وَجِهَةً وَتَجْسِيمًا.

(١) والمراد بالدنو في الآية دنو جبريل وتدليه، لا دنو الرب ﷻ، وأما ما جاء في حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى». فهذا مما تفرد به شريك بن عبد الله بن أبي نمر وقد أنكرت عليه ألفاظ في حديث الإسراء تفرد بها حتى قال الإمام الخطابي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (فإنه كثير التفرد بمناكير الألفاظ التي لا يتابعه عليها سائر الرواة). وانظر كلاماً حول هذه المسألة في فتح الباري عند حديث رقم (٧٥١٧) وتفسير ابن كثير عند قول الله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى \* فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ [النجم: ٨-٩]. وقال ابن كثير في كتابه «الفصول في سيرة الرسول ﷺ» ص (٣٤٧): (فالصحيح من قول المفسرين - بل المقطوع به - أن المتدلي في هذه الآية هو جبريل عليه السلام، كما أخرجاه في الصحيحين عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أنها سألت رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: «ذاك جبريل». فقد قطع هذا الحديث النزاع، وأزاح الإشكال». وانظر رسالة «الإسراء والمعراج» للعلامة الألباني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ص (٣٣-٣٤).

قَالَ الإِمَامُ أَحْمَدُ: لَا نَزِيلَ عَنِ اللَّهِ صِفَةً مِنْ صِفَاتِهِ <sup>(١)</sup> لِأَجْلِ شِنَاعَةِ الْمُشْنَعِينَ <sup>(٢)</sup>، فَإِنْ هَذَا شَأْنُ أَهْلِ الْبَدْعِ، يَلْقَبُونَ أَهْلَ السُّنَّةِ وَأَقْوَامَهُمْ بِالْأَلْقَابِ الَّتِي يَنْفِرُونَ مِنْهُ الْجُهَّالُ، وَيَسْمُونَهَا: حَشَوًا، وَتَرْكِبًا، وَتَجْسِيمًا. وَيَسْمُونَ عَرْشَ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: حَيِّزًا، وَجِهَةً؛ لِيَتَوَصَّلُوا بِذَلِكَ إِلَى نَفْسِي عَلَى خَلْقِهِ وَاسْتَوَائِهِ عَلَى عَرْشِهِ كَمَا تَسْمَى الرَّافِضَةُ مُوَالَاةَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كُلِّهِمْ وَمَحَبَّتَهُمْ وَالِدُعَاءَ لَهُمْ: نَصَبًا، وَكَمَا تَسْمَى الْقَدْرِيَّةُ الْمَجُوسِيَّةُ إِثْبَاتَ الْقَدْرِ: جَبْرًا، فَلَيْسَ الشَّأْنُ فِي الْأَلْقَابِ وَإِنَّمَا الشَّأْنُ فِي الْحَقَائِقِ.

وَالْمَقْصُودُ: أَنَّ تَسْمِيَةَ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ السُّنَّةُ الصَّرِيحَةَ مِنْ جَعْلِ أَرْوَاحِ الشُّهَدَاءِ فِي أَجْوَافِ طَيْرٍ [خَضِرٍ] تَنَاسَخًا لَا يَبْطُلُ هَذَا الْمَعْنَى، وَإِنَّمَا التَّنَاسُخُ الْبَاطِلُ مَا يَقُولُهُ أَعْدَاءُ الرَّسُولِ مِنَ الْمَلَاحِدَةِ وَغَيْرِهِمُ الَّذِينَ يُنْكِرُونَ الْمَعَادَ: أَنَّ الْأَرْوَاحَ تُصِيرُ بَعْدَ مُفَارَقَةِ الْأَبْدَانِ إِلَى أَجْنَاسِ الْحَيَوَانَ وَالْحَشْرَاتِ وَالطَّيُورِ الَّتِي تَنَاسَبُهَا، وَتَشَاكُلُهَا، فَإِذَا فَارَقَتْ

<sup>(١)</sup> وقع في الأصل (لا تزل الله عن صفة من صفاته) والمثبت هنا من (ش) و(ف) وهو الموافق للمصادر التي خرجت الأثر.

<sup>(٢)</sup> هذا الكلام عن أحمد رحمته الله قطعة من أثر مطول أخرجه «الخلال في السنة» - كما في درء تعارض العقل والنقل (٣١/٢) وبيان «تلبيس الجهمية» (٤٣١/١) و«اجتماع الجيوش الإسلامية» ص (٢١٢) - فقال أخبرني علي بن عيسى أن حنبلاً حدثهم فذكره. وحنبلي هو ابن إسحاق بن حنبلي ابن عم الإمام أحمد وتلميذه قال الخطيب كان ثقة ثبتمًا، وعلي بن عيسى هو ابن الوليد روى عنه الخلال في أكثر من عشرة مواضع من كتابه «السنة» ولم أقف له على ترجمة. على أن هذا الأثر مشهور عن أحمد متداول في كتب الأئمة فقد ذكره شيخ الإسلام وابن القيم في مواضع من كتبهم منها ما تقدم ومنها «مختصر الصواعق» (٣/١٢٢١) و«مفتاح دار السعادة» (٤٥٨/٢)، وذكره أبو يعلى في إبطال التأويلات (٤٤/١) وابنه في طبقات الحنابلة (١٤٤/١) وابن قدامة في لمعة الاعتقاد، وغيرهم.



هَذِهِ الْأَبْدَانُ انْتَقَلَتْ إِلَى أَبْدَانِ تِلْكَ الْحَيَوَانَاتِ، فَتَنَعَمُ فِيهَا أَوْ تَعَذِّبُ، ثُمَّ تَفَارِقُهَا وَتَحِلُّ فِي أَبْدَانٍ أُخْرَى، تَنَاسَبُ أَعْمَالُهَا وَأَخْلَاقُهَا، وَهَكَذَا أَبَدًا فَهَذَا مَعَادُهَا عِنْدَهُمْ وَنَعِيمُهَا وَعَذَابُهَا، لَا مَعَادَ لَهَا عِنْدَهُمْ غَيْرَ ذَلِكَ، فَهَذَا هُوَ التَّنَاسُخُ الْبَاطِلُ الْمُخَالَفُ لِمَا اتَّفَقَتْ عَلَيْهِ الرُّسُلُ وَالْأَنْبِيَاءُ مِنْ أَوْلَهُمْ إِلَى آخِرِهِمْ، وَهُوَ كَفَرُ بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ.

وَهَذِهِ الطَّائِفَةُ تَقُولُ: إِنْ مُسْتَقَرَّ الْأَرْوَاحُ بَعْدَ الْمَفَارِقَةِ أَبْدَانِ الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي تَنَاسَبُهَا، وَهُوَ أَبْطَلُ قَوْلٍ وَأَخْبَثُهُ.

وَيَلِيهِ قَوْلٌ مِنْ قَالٍ: إِنْ الْأَرْوَاحُ تَعْدَمُ جَمَلَةً بِالْمَوْتِ، وَلَا تَبْقَى هُنَاكَ رُوحٌ تَنَعَمُ، وَلَا تَعَذِّبُ، بَلِ النَّعِيمُ وَالْعَذَابُ يَقَعُ عَلَى أَجْزَاءِ الْجَسَدِ، أَوْ جُزْءٍ مِنْهُ، إِمَّا عَجَبٌ أَوْ غَيْرُهُ فَيَخْلُقُ اللَّهُ فِيهِ الْأَلْمَ وَاللَّذَّةَ، إِمَّا بِوِاسِطَةِ رَدِّ الْحَيَاةِ إِلَيْهِ، كَمَا قَالَ بَعْضُ أَرْبَابِ هَذَا الْقَوْلِ، أَوْ بِدُونِ رَدِّ الْحَيَاةِ كَمَا قَالَ آخَرُونَ مِنْهُمْ، فَهَؤُلَاءِ عِنْدَهُمْ لَا عَذَابَ فِي الْبَرَزِخِ إِلَّا عَلَى الْجَسَدِ.

وَمُقَابِلَهُمْ مَنْ يَقُولُ: إِنْ الرُّوحُ لَا تُعَادُ إِلَى الْجَسَدِ بِوَجْهِهِ وَلَا تَتَّصِلُ بِهِ، وَالْعَذَابُ وَالنَّعِيمُ عَلَى الرُّوحِ فَقَطْ.

وَالسَّنَةُ الصَّرِيحَةُ الْمُتَوَاتِرَةُ تَرِدُ قَوْلَ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ، وَتَبِينُ أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى الرُّوحِ وَالْجَسَدِ مُجْتَمِعِينَ وَمُنْفَرِدِينَ.

فَإِنْ قِيلَ: فَقَدْ ذَكَرْتُمْ أَقْوَالَ النَّاسِ فِي مُسْتَقَرِّ الْأَرْوَاحِ، وَمَأْخِذِهِمْ، فَمَا هُوَ الرَّاجِحُ مِنْ هَذِهِ الْأَقْوَالِ حَتَّى نَعْتَقِدَهُ؟

قِيلَ: الْأَرْوَاحُ مُتَّفَاوِتَةٌ فِي مُسْتَقَرِّهَا فِي الْبَرَزِخِ، أَعْظَمُ تَفَاوُتٍ، فَمِنْهَا أَرْوَاحٌ فِي أَعْلَى عِلِّيِّينَ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى، وَهِيَ أَرْوَاحُ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتِ اللَّهِ وَسَلَامِهِ عَلَيْهِمْ، وَهِيَ مُتَّفَاوِتُونَ فِي مَنَازِلِهِمْ كَمَا رَأَاهُمْ النَّبِيُّ ﷺ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ.

وَمِنْهَا: أَرْوَاحٌ فِي حَوَاصِلِ طَيْرِ خَضِرٍ تَسْرَحُ فِي الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، وَهِيَ أَرْوَاحُ بَعْضِ الشُّهَدَاءِ لَا جَمِيعِهِمْ، بَلْ مِنْ الشُّهَدَاءِ مَنْ تَحْبَسُ رُوحُهُ عَن دُخُولِ الْجَنَّةِ لَدَيْنَ عَلِيٍّ أَوْ غَيْرِهِ، كَمَا فِي "المسند" عَن مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ: أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لِي إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: «الْجَنَّةُ»، فَلَمَّا وَلِيَ قَالَ: «إِلَّا الَّذِينَ سَارَرَنِي بِهِ جِبْرِيلُ أَنْفًا»<sup>(١)</sup>.

<sup>(١)</sup> (صحيح لغيره) أخرجه أحمد: (١٣٩/٤) فقال حدثنا محمد بن بشر حدثنا محمد بن عمرو حدثني أبو كثير مولى الليثيين عن محمد بن عبد الله بن جحش به. وهذا إسناد حسن محمد بن بشر هو العبدي ثقة من رجال الشيخين، ومحمد بن عمرو هو بن علقمة الليثي صدوق له أوهام، ولكن قد تابعه على هذا الحديث العلاء بن عبد الرحمن عند النسائي: (٤٦٨٤) والطبراني (٢٤٨/١٩)، ومحمد بن أبي يحيى الأسلمي عند الطبراني (٢٤٨/١٩)، وأما أبو كثير مولى الليثيين فقد روى عنه جمع وذكره ابن حبان في الثقات وهو من التابعين فمثله لا بأس بتحسين حديثه والله أعلم.

تنبيه: هذا الحديث قد روي عن محمد بن عبد الله بن جحش عن أبيه. أخرجه أحمد: (١٣٩/٤-١٤٠) فقال حدثنا خلف بن الوليد حدثنا عباد بن عباد حدثنا محمد بن عمرو عن أبي كثير مولى الهذليين عن محمد بن عبد الله بن جحش عن أبيه به. والأمر في هذا سهل فإن محمد بن عبد الله بن جحش وأباه صحابيان، وإن كان لابد من الترجيح فيظهر لي أن جعله عن الابن أرجح وأن الوهم فيه من محمد بن عمرو بن علقمة؛ فإن له أوهاماً ولأن الذين روه عنه على الوجهين ثقات فمحمد بن بشر ثقة وعباد بن عباد ثقة. ومما يؤكد هذا أنه قد رواه - كما تقدم - العلاء بن عبد الرحمن ومحمد بن أبي يحيى الأسلمي عن أبي كثير عن محمد بن عبد الله بن جحش دون ذكر أبيه، فرواية هذين الثقتين ترجح لنا أن المعتمد عن محمد بن عمرو هي الطريق التي جعل الحديث فيها عن محمد بن عبد الله بن جحش والله أعلم، وكأنه لأجل هذا الأمر جزم ابن القيم هنا أنه عن محمد بن عبد الله بن جحش.

وللحديث شواهد منها حديث أبي قتادة وحديث عبد الله بن عمرو عند مسلم: (١٨٨٥) و (١٨٨٦)، وحديث أبي هريرة عند النسائي: (٣١٥٥) فالحديث صحيح بهذه الشواهد وغيرها.

وَمِنْهُمْ: من يكون مَجْبُوسًا على بَابِ الْجَنَّةِ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ: «رَأَيْتُ صَاحِبَكُمْ مَجْبُوسًا على بَابِ الْجَنَّةِ»<sup>(١)</sup>.

<sup>(١)</sup> (صحيح) أخرجه أحمد: (١١/٥) والحاكم (٢٥/٢) وغيرهما من طرق عن إسماعيل بن أبي خالد قال سمعت الشعبي يحدث عن سمرة بن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال صلى النبي ﷺ الصبح فقال: (هاهنا أحد من بني فلان؟ قالوا: نعم قال: إن صاحبكم محتبس على باب الجنة في دين عليه) هذا لفظ أحمد. ورجال إسناده ثقات إلا أن بعض الأئمة تشكك في سماع الشعبي من سمرة ففي المراسيل لابن أبي حاتم ص (١٣٢) عن أبيه أنه قال: (لا أدري سمع الشعبي من سمرة أم لا لأنه أدخل بينه وبينه رجل) اهـ قلت: قد صرح الشعبي بسماعه هذا الحديث من سمرة عند الطيالسي (٨٩١) من طريق شعبة عن فراس قال سمعت الشعبي قال سمعت سمرة فذكره.

وقد خالف شعبة في هذا أبو عوانة - عند أحمد: (٢٠/٥) والطيالسي (٨٩٢) والحاكم (٢٥/٢) - ويزيد الدالاني - عند الحاكم (٢٥/٢) - فروياه عن فراس عن الشعبي عن سمرة بالنعنة. بل قد أخرجه الحاكم (٢٥/٢) من طريق شعبة عن فراس عن الشعبي عن سمرة بالنعنة. فالذي يظهر لي أن ما وقع من التصريح بالسماع عند الطيالسي إما وهم وإما خطأ من النساخ والله أعلم. على أن سماع الشعبي من سمرة ممكن فقد وُلد الشعبي فيما بين سنة عشرين إلى ثلاثين على ما نُقل من الخلاف بينما تُوفي سمرة سنة ثمان وخمسين وكلاهما كان بالعراق فسماعه منه محتمل جدًا. والحديث له شواهد تدل على ثبوته منها:

\* ما أخرجه أحمد: (٧/٥) والبيهقي (٢٤٠/١٠) من طريق حماد بن سلمة عن الجريري عن أبي نضرة عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ أن أخاه مات ... فقال النبي ﷺ: «إن أخاك مجبوس بدينه فاقض عنه». وإسناده صحيح على شرط مسلم. الجريري هو سعيد بن إياس وكان قد اختلط إلا أن رواية حماد بن سلمة عنه قبل الاختلاط، وأبو نضرة هو المنذر بن مالك بن قطعة، ولا يضر إبهام الصحابي فإنهم كلهم عدول. ومحتمل أنه سعد بن الأطول فقد أخرجه أحمد: (٧/٥) من طريق حماد بن سلمة قال أخبرنا عبد الملك أبو جعفر عن أبي نضرة عن سعد بن الأطول به.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ مَحْبُوسًا فِي قَبْرِهِ كَحَدِيثِ صَاحِبِ الشَّمْلَةِ الَّتِي غَلَّهَا، ثُمَّ اسْتَشْهَدَ فَقَالَ النَّاسُ: هَنِيئًا لَهُ الْجَنَّةُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «كَلَّا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ الشَّمْلَةَ الَّتِي غَلَّهَا لَتَشْتَعَلَ عَلَيْهِ نَارًا فِي قَبْرِهِ»<sup>(١)</sup>.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ مَقْرَهُ بِيَابِ الْجَنَّةِ كَمَا فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ: «الشُّهَدَاءُ عَلَى بَارِقِ نَهْرِ بِيَابِ الْجَنَّةِ فِي قَبَّةِ خَضْرَاءٍ يُخْرَجُ عَلَيْهِمْ رِزْقُهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ بَكْرَةً وَعَشِيَّةً»، رَوَاهُ أَحْمَدُ<sup>(٢)</sup>، وَهَذَا بِخِلَافِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، حَيْثُ أَبَدَلَهُ اللَّهُ مِنْ يَدَيْهِ جَنَاحَيْنِ يَطِيرُ بِهِمَا فِي الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَ<sup>(٣)</sup>.

\* وله شاهد من حديث ابن عباس أخرجه البزار - كما في كشف الأستار (١١٧/٢) - والطبراني في الكبير (١٠/١٢)، وشاهد آخر من حديث أبي هريرة أخرجه الترمذي: (١٠٧٩)، وغيرها من الشواهد. فالحديث بمجموعها صحيح.

<sup>(١)</sup> أخرجه البخاري: (٦٧٠٧) ومسلم: (١١٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وليس عندهما قوله: (في قبره).

<sup>(٢)</sup> (حسن). تقدم في هذه المسألة (١) وتقدم كلام ابن كثير في بيان معنى الحديث.

<sup>(٣)</sup> أخرج الحاكم (٢١٢/٣) فقال حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحِ بْنِ هَانِيٍّ، ثنا الْحُسَيْنُ بْنُ الْفَضْلِ، ثنا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، ثنا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُخْتَارِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَرَّ بِي جَعْفَرُ اللَّيْلَةَ فِي مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَهُوَ مُحْضَبُ الْجَنَاحَيْنِ بِالِدَّمِ أَبْيَضُ الْفُؤَادِ». ورجال إسناده ثقات إلا عبدالله بن المختار فصدوق. محمد بن صالح بن هانئ شيخ الحاكم ترجمته في تاريخ نيسابور ص (٤١٥) قال الحاكم ثقة ثبت وقال أبو جعفر الوراق ثقة زاهد.

وقد روي هذا الحديث مرسلًا أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣٩/٤) فقال أخبرنا سليمان بن حرب وعامر بن الفضل قالوا حدثنا حماد بن زيد عن عبدالله بن المختار قال قال رسول الله ﷺ به. وهذا معضل.

وللحديث شاهد عن ابن عباس أخرجه الحاكم (٢٠٩/٣).

وقد جاء الحديث عن ابن عمر وابن عباس وعلي بن أبي طالب وأبي عامر والبراء رضي الله عنه. كما في السلسلة الصحيحة (١٢٢٦) للعلامة الألباني رضي الله عنه.

وقد أخرج البخاري: (٣٧٠٩) عن ابن عمر رضي الله عنه أنه كان إذا سلم على ابن جعفر قال: «السلام عليك يا ابن ذي الجناحين».

وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ مَحْبُوسًا فِي الْأَرْضِ، لَمْ تَعْلُ رُوحُهُ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى، فَإِنَّهَا كَانَتْ رُوحًا سَفَلِيَّةً أَرْضِيَّةً، فَإِنَّ الْأَنْفُسَ الْأَرْضِيَّةَ لَا تَجَامِعُ الْأَنْفُسَ السَّمَاوِيَّةَ، كَمَا لَا تَجَامِعُهَا فِي الدُّنْيَا، وَالنَّفْسُ الَّتِي لَمْ تَكْتَسِبْ فِي الدُّنْيَا مَعْرِفَةَ رَبِّهَا وَمَحَبَّتَهُ، وَذَكَرَهُ وَالْأَنْسَ بِهِ، وَالتَّقَرُّبَ إِلَيْهِ بَلْ هِيَ أَرْضِيَّةٌ سَفَلِيَّةٌ لَا تَكُونُ بَعْدَ الْمَفَارَقَةِ لِبَدْنِهَا، إِلَّا هُنَاكَ كَمَا أَنَّ النَّفْسَ الْعُلُويَّةَ الَّتِي كَانَتْ فِي الدُّنْيَا عَاكِفَةً عَلَى مَحَبَّةِ اللَّهِ، وَذَكَرَهُ وَالتَّقَرُّبَ إِلَيْهِ وَالْأَنْسَ بِهِ، تَكُونُ بَعْدَ الْمَفَارَقَةِ مَعَ الْأَرْوَاحِ الْعُلُويَّةِ الْمُنَاسِبَةِ لَهَا، فَالمرءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ فِي الْبَرزَخِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُزَوِّجُ النَّفْسَ بَعْضَهَا بِبَعْضٍ فِي الْبَرزَخِ، وَيَوْمَ الْمَعَادِ كَمَا تَقَدَّمَ فِي الْحَدِيثِ، وَيَجْعَلُ رُوحَهُ - يَعْنِي الْمُؤْمِنَ - مَعَ النَّسَمِ <sup>(١)</sup> الطَّيِّبِ، أَيِ: الْأَرْوَاحِ الطَّيِّبَةِ الْمَشَاكِلَةِ، فَالرُّوحُ بَعْدَ الْمَفَارَقَةِ تَلْحَقُ بِأَشْكَالِهَا وَإِخْوَانِهَا، وَأَصْحَابِ عَمَلِهَا فَتَكُونُ مَعَهُمْ هُنَاكَ.

وَمِنْهَا: أَرْوَاحٌ تَكُونُ فِي تَنُورِ الزَّنَاةِ وَالزَّانِي، وَأَرْوَاحٌ فِي نَهْرِ الدَّمِّ تَسْبِحُ فِيهِ، وَتَلْقَمُ الْحِجَارَةَ، فَلَيْسَ لِلْأَرْوَاحِ سَعِيدُهَا وَشَقِيحُهَا مُسْتَقَرٌّ وَاحِدٌ، بَلْ رُوحٌ فِي أَعْلَى عَلِيَيْنَ، وَرُوحٌ أَرْضِيَّةٌ سَفَلِيَّةٌ لَا تَصْعَدُ عَنِ الْأَرْضِ <sup>(٢)</sup>، وَأَنْتِ إِذَا تَأَمَّلْتِ السَّنَنَ وَالْآثَارَ فِي هَذَا الْبَابِ، وَكَانَ لَكَ بِهَا فَضْلٌ اعْتِنَاءً، عَرَفْتَ صِحَّةَ ذَلِكَ.

وَلَا تَظُنْ أَنَّ بَيْنَ الْآثَارِ الصَّحِيحَةِ فِي هَذَا الْبَابِ، تَعَارُضًا، فَإِنَّهَا كُلُّهَا حَقٌّ يَصْدُقُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ، لَكِنَّ الشَّأْنَ فِي فَهْمِهَا وَمَعْرِفَةِ النَّفْسِ وَأَحْكَامِهَا، وَأَنَّ لَهَا شَأْنًا غَيْرَ شَأْنِ الْبَدَنِ، وَأَنَّهَا مَعَ كَوْنِهَا فِي الْجَنَّةِ فَهِيَ فِي السَّمَاءِ، وَتَتَّصِلُ بِفَنَاءِ الْقَبْرِ، وَبِالْبَدَنِ فِيهِ وَهِيَ أَسْرَعُ شَيْءٍ حَرَكَةً وَانْتِقَالًا وَصُعُودًا وَهَبُوطًا، وَأَنَّهَا تَنْقَسِمُ إِلَى مُرْسَلَةٍ وَمَحْبُوسَةٍ وَعُلُويَّةٍ

(١) فِي الْأَصْلِ (النَّسِيمِ) وَمَا أُثْبِتَهُ مِنْ (ش) وَ(ف).

(٢) وَمَا ذَكَرَهُ ابْنُ الْقَيْمِ فِي هَذَا التَّفْصِيلِ يَجْمَعُهُ أَنَّ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْجَنَّةِ، وَأَرْوَاحَ الْكَافِرِينَ فِي النَّارِ، وَلَكِنْ لَهُمْ مَنَازِلٌ تَخْتَلِفُ بِحَسَبِ دَرَجَاتِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ، عَلَى مَا ذَكَرَ هَاهُنَا، وَهُوَ تَفْصِيلٌ جَيِّدٌ دَلَّتْ عَلَيْهِ الْأَدْلَةُ الَّتِي ذَكَرَهَا.

وسفلية، ولها بعد المفارقة صحّة ومرض ولذّة ونعيم وألم أعظم ممّا كان لها حال اتصاها بالبدن بكثير، فهناك الحبس والألم والعذاب والمرض والحسرة، وهنالك اللذّة والراحة والنعيم والإطلاق، ومما أشبه حالها في هذا البدن بحال البدن في بطن أمه، وحالها بعد المفارقة بحاله بعد خروجه من البطن إلى هذه الدار.

فلهذه الأنفس أربع دور: كل دار أعظم من التي قبلها.

الدار الأولى: في بطن الأم، وذلك الحصر والضيق والغم، والظلمات الثلاث. والدار الثانية: هذه الدار التي نشأت فيها، وألفتها واكتسبت فيها الخير والشر، وأسباب السعادة والشقاوة.

والدار الثالثة: دار البرزخ وهي أوسع من هذه الدار وأعظم، بل نسبتها إليها كنسبة هذه الدار إلى الأولى.

والدار الرابعة: دار القرار وهي الجنة أو النار، فلا دار بعدها، والله ينقلها في هذه الدور طبقاً بعد طبق حتى يبلغها الدار التي لا يصلح لها غيرها، ولا يليق بها سواها وهي التي خلقت لها، وهيئت للعمل الموصل لها إليها، ولها في كل دار من هذه الدور حكم وشأن غير شأن الدار الأخرى، فتبارك الله فاطرها ومنشيها، ومميته ومحبيها، ومُسعدُها ومشقيها، الذي فاوتَ بينها في درجات سعادتها وشقاوتها، كما فاوتَ بينها في مراتب علوّها وأعمالها وقواها وأخلاقها.

فمن عرفها كما ينبغي شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الذي له الملك كله، وله الحمد كله، ويبيده الخير كله، وإليه يرجع الأمر كله، وله القوة كلها والقدرة كلها، والعز كله، والحكمة كلها، والكمال المطلق من جميع الوجوه، وعرف بمعرفة نفسه صدق أنبيائه ورُسُلِهِ وَأَنَّ الَّذِي جَاءُوا بِهِ هُوَ الْحَقُّ الَّذِي تَشْهَدُ بِهِ الْعُقُولُ، وتقر به الفطر، ومما خالفه هو الباطل، وبالله التّوفيق.

## فصل

## المسألة السادسة عشرة

وهي: هل تنتفع أرواح الموتى بشيء من سعي الأحياء أم لا؟  
فالجواب: أنها تنتفع من سعي الأحياء، بأمرين مجمع عليهما بين أهل السنة، من  
الفُقهاء، وأهل الحديث والتفسير<sup>(١)</sup>.

أحدهما: ما تسبب إليه الميت في حياته.

والثاني: دُعاء المسلمين له، واستغفارهم له، والصدقة، والحج، على نزاع: ما الذي  
يصل من ثوابه؟ هل ثواب الإنفاق أو ثواب العمل؟ فعند الجمهور يصل ثواب العمل  
نفسه<sup>(٢)</sup>، وعند بعض الحنفية: إنما يصل ثواب الإنفاق<sup>(٣)</sup>.

واختلفوا في العبادة البدنية كالصوم، والصلاة، وقراءة القرآن، والذكر.

فمذهب الإمام أحمد وجمهور السلف: وصولها<sup>(٤)</sup>، وهو قول بعض أصحاب  
أبي حنيفة، نص على هذا الإمام أحمد في رواية محمد بن يحيى الكحال، قال: قيل لأبي

<sup>(١)</sup> ومن نقل الإجماع على انتفاعه بالصدقة والدعاء والاستغفار النووي في شرح مسلم: (٢٠٥/١) و  
(٩٦/١١) وشيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (٤٩٩/٧) وجامع الرسائل (١٣٣/٣) وابن كثير في  
تفسيره عند الآية (٣٩) من سورة النجم وانظر أضواء البيان (٧٠٩/٧).

<sup>(٢)</sup> قال ابن أبي العز في شرح الطحاوية ص (٤٥٢): وهو الصحيح.

قلت: ويدل عليه أنه يسقط عنه هذا الركن ولو كان لا يصل إليه إلا ثواب الإنفاق لبقى الركن لازماً عليه.

<sup>(٣)</sup> نقل هذا القول عن محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة انظر شرح الطحاوية ص (٤٥٢).

<sup>(٤)</sup> كذا قال ابن القيم رحمته الله، بينما نسب النووي خلاف هذا القول إلى الجمهور، قال في شرح مسلم:  
(٢٠٥/١): (وأما الصلاة والصوم فمذهب الشافعي وجهاهير العلماء أنه لا يصل ثوابها إلى الميت إلا إذا  
كان الصوم واجباً على الميت فقتضاه عنه وليه).

عبد الله: الرجل يعمل الشيء من الخير من صلاة أو صدقة، أو غير ذلك، فيجعل نصفه لأبيه أو لأمه؟ قال: أزجو. وقال: الميت يصل إليه كل شيء من صدقة أو غيرها. وقال أيضا: اقرأ «آية الكرسي» ثلاث مرات، و ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، وقال: اللهم إن فضله لأهل المقابر<sup>(١)</sup>.

والمشهور من مذهب الشافعي، ومالك: أن ذلك لا يصل. وذهب بعض أهل البدع من أهل الكلام: أنه لا يصل إلى الميت شيء البتة، لادعاء ولا غيره<sup>(٢)</sup>.

<sup>(١)</sup> أخرجه ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة (١/٢٤٦) فقال حدثني الحسن بن مهران بن الوليد الأصبهاني قال: سمعت محمد بن أحمد المروزي يقول سمعت أحمد بن حنبل يقول: إذا دخلتم المقابر فاقرؤوا «آية الكرسي» ثلاث مرات و «قل هو الله أحد» ثم قولوا: اللهم فضله لأهل المقابر. وقال ابن أبي يعلى أيضا: وروى أبو بكر في الشافعي قال: محمد بن أحمد المروزي سمعت أحمد بن محمد بن حنبل يقول: إذا دخلتم المقابر فاقرؤوا «آية الكرسي» وثلاث مرات ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثم قولوا: اللهم إن فضله لأهل المقابر.

وقال أيضا: وروى أبو بكر في الشافعي قال: قال محمد بن أحمد المروزي سمعت أحمد بن حنبل يقول: إذا دخلتم المقابر فاقرؤوا بـ «فاتحة الكتاب» و «المعوذتين» و ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، واجعلوا ثواب ذلك لأهل المقابر فإنه يصل إليهم.

<sup>(٢)</sup> وهذا قول المعتزلة ومن وافقهم قال الإمام النووي في شرح مسلم: (١/٢٠٥): «فهو مذهب باطل وخطأ بين مخالف لنصوص الكتاب والسنة وإجماع الأمة فلا التفات إليه ولا تعريض عليه».

والقول الصواب في هذه المسألة أن الميت ينتفع من سعي الأحياء بها وورد في الأدلة أنه ينتفع به، وما عدا ذلك فليس لنا أن نثبت انتفاعه بشيء منه إلا بدليل يدل عليه، ومما ورد في الأدلة انتفاعه به ما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له». فهذه الأمور المذكورة في الحديث ينتفع بها الميت ويصل ثوابها إليه.



وكذلك الصيام والحج إن كان فرضًا أو واجبًا بنذر أو كفارة فإنه إذا أدي عن الميت أثيب عليه وسقط عنه وجوبه.

وأما ما عدا ذلك من صيام التطوع، وحج التطوع، وكذلك الصلاة، وقراءة القرآن، وكذلك إهداء ثواب سائر الأعمال، فإن هذا لا دليل على وصوله ولم يكن من فعل السلف وقد قال النبي ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد».

وأيضًا فإن الذي يهدي ثواب عمله كأنه يقطع أن عمله قد قبل منه، وصار له فيه ثواب يتصرف فيه، وهذا لا سبيل إلى معرفته والقطع به.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في الاختيارات الفقهية للبعلي ص (١٣٧): (ولم يكن من عادة السلف إذا صلوا تطوعًا أو صاموا تطوعًا أو حجوا تطوعًا أو قرءوا القرآن يهدون ثواب ذلك إلى أموات المسلمين فلا ينبغي العدول عن طريق السلف فإنه أفضل وأكمل). اهـ

هذا قول شيخ الإسلام في هذا الموضوع، وله قول آخر بخلاف هذا وأن الميت ينتفع بجميع العبادات كما في المصدر المذكور، وأيضًا في مجموع الفتاوى (٣٠٦-٣١٣) و (٢٤/٣٢١) وما بعدها).

وقال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» عند قول الله تعالى: ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾: (ومن هذه الآيات الكريمة استنبط الشافعي رحمه الله، ومن اتبعه أن القراءة لا يصل إهداء ثوابها إلى الموتى؛ لأنه ليس من عملهم ولا كسبهم؛ ولهذا لم يندب إليه رسول الله ﷺ أمته ولا حثهم عليه، ولا أرشدهم إليه بنص ولا إيماء، ولم ينقل ذلك عن أحد من الصحابة، رضي الله عنهم، ولو كان خيرًا لسبقونا إليه، وباب القربات يقتصر فيه على النصوص، ولا يتصرف فيه بأنواع الأقيسة والآراء، فأما الدعاء والصدقة فذاك مجمع على وصولها، ومنصوص من الشارع عليهما).

وقال العلامة ابن باز رحمه الله كما في مجموع فتاويه (١٣/٢٤٩): (أما إهداء الصلاة والقراءة إلى الموتى أو الطواف أو صيام التطوع فلا أعلم لذلك أصلا، والمشروع تركه؛ لقول النبي ﷺ: «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد»). رواه مسلم في صحيحه).

وقال رحمه الله (١٣/٢٥١): (هذه الأمور توقيفية لا مجال للرأي فيها، وإنما يعمل فيها بما يقتضيه الدليل). ومن أشاد بهذا القول ونصره بكلام يطول ذكره هنا العلامة الألباني رحمه الله في أحكام الجنائز (ص ٢١٩-٢٢٣) وبالله التوفيق .

فالدليل على انتفاعه بما تسبب إليه في حياته ما رواه مسلم في "صحيحه" من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»<sup>(١)</sup>.

فاستثناء هذه الثلاث من عمله يدل على أهمّتها منه، فإنه هو الذي تسبب إليها. وفي "سنن ابن ماجه" من حديث أبي هريرة، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ مِمَّا يُلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ، عِلْمًا عِلْمَهُ وَنَشْرَهُ أَوْ وَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ، أَوْ مُصْحَفًا وَرَثُهُ أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ، أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ، أَوْ نَهْرًا أَكْرَاهُ»<sup>(٢)</sup>، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ، وَحَيَاتِهِ تَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ»<sup>(٣)</sup>.

وفي "صحيح مسلم" أيضًا من حديث جرير بن عبد الله، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سَنَةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرٌ مِنْ عَمَلٍ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سَنَةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرٌ مِنْ عَمَلٍ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ»<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه مسلم: (١٦٣١).

(٢) وقع في كل النسخ: «أو نهرا أكراه». والذي عند ابن ماجه: «أو نهرا أجراه». ووقع عند ابن خزيمة: «أو نهرا كراه». قال ابن خزيمة كراه يعني حفره. ولم يقع عند ابن خزيمة: «أو مصحفًا ورثه».

(٣) (حسن) أخرجه ابن ماجه (٢٤٢) وابن خزيمة (٢٤٩٠) من طريق مرزوق بن أبي الهذيل أخبرنا الزهري قال حدثني أبو عبدالله الأغر عن أبي هريرة رضي الله عنه به، ورجال إسناده ثقات إلا مرزوق بن أبي الهذيل فمختلف فيه ويظهر لي أن حديثه لا ينزل عن درجة الحسن لا سيما روايته عن الزهري فقد قال دحييم هو صحيح الحديث عن الزهري. وللحديث شواهد منها حديث أبي هريرة في صحيح مسلم وقد تقدم قبله. ومن شواهد حديث أبي قتادة عند ابن ماجه (٢٤١).

(٤) أخرجه مسلم: (١٠١٧).

وَهَذَا الْمَعْنَى رَوَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ عِدَّةٍ وَجُوهٍ صِحَاحٍ وَحَسَانٍ .  
 وَفِي "المسند" عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: سَأَلَ رَجُلٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَمْسَكَ  
 الْقَوْمَ، ثُمَّ إِنْ رَجُلًا أَعْطَاهُ فَأَعْطَى الْقَوْمَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ سَنَّ خَيْرًا فَاسْتَنْ بِهِ كَانَ  
 لَهُ أَجْرُهُ وَمَنْ أَجُورٌ مِنْ يَتَّبِعُهُ غَيْرَ مُنْتَقِصٍ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ سَنَّ شَرًّا، فَاسْتَنْ بِهِ  
 كَانَ عَلَيْهِ، وَزَرَهُ وَمَنْ أَوْزَارَ مِنْ يَتَّبِعُهُ غَيْرَ مُنْتَقِصٍ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا»<sup>(١)</sup>.  
 وَقَدْ دَلَّ عَلَى هَذَا قَوْلُهُ ﷺ: «لَا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ  
 مِنْ دَمِهَا؛ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ»<sup>(٢)</sup>. فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي الْعَذَابِ وَالْعِقَابِ، فَفِي الْفَضْلِ  
 وَالثَّوَابِ أُولَى وَأَحْرَى.

### فصل

وَالدَّلِيلُ عَلَى انْتِفَاعِهِ بِغَيْرِ مَا تَسَبَّبَ فِيهِ الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ وَالْإِجْمَاعُ وَقَوَاعِدُ الشَّرْعِ .  
 أَمَا الْقُرْآنُ فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا  
 الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ﴾ [الحشر: ١٠]، فَأَثْنَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِمْ بِاسْتِغْفَارِهِمْ لِلْمُؤْمِنِينَ  
 قَبْلَهُمْ، فَدَلَّ عَلَى انْتِفَاعِهِمْ بِاسْتِغْفَارِ الْأَحْيَاءِ .

<sup>(١)</sup> (حسن) أخرجه أحمد (٣٨٧/٥) والحاكم (٥١٦/٢-٥١٧) من طرق عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي عبيدة بن حذيفة عن حذيفة به . ورجاله ثقات رجال الشيخين غير أبي عبيدة بن حذيفة وقد روى عنه جمع ووثقه العجلي وذكره ابن حبان في الثقات فالحديث حسن. وله شواهد منها حديث جرير الذي قبله وغيره من الشواهد.

<sup>(٢)</sup> أخرجه البخاري: (٣٣٣٥) ومسلم: (١٦٧٧) عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قوله: «كِفْلٌ» الكِفْل - بالكسر - هو الحظ والنصيب. «النهاية» (كفل).

وَقَدْ يُمَكَّنُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّمَا انْتَفَعُوا بِاسْتِغْفَارِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ سَنُوا هُمْ الْإِيْمَانَ بِسَبْقِهِمْ إِلَيْهِ، فَلَمَّا اتَّبَعُوهُمْ فِيهِ كَانُوا كَالْمَتَسَبِّبِينَ فِي حُصُولِهِ لَهُمْ، لَكِنْ قَدْ دَلَّ عَلَى انْتِفَاعِ الْمَيِّتِ بِالِدُّعَاءِ إِجْمَاعُ الْأُمَّةِ عَلَى الدُّعَاءِ لَهُ فِي صَلَاةِ الْجَنَازَةِ.

وَفِي «السَّنَنِ» مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَى الْمَيِّتِ فَأَخْلَصُوا لَهُ الدُّعَاءَ»<sup>(١)</sup>.

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» مِنْ حَدِيثِ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ عَلَى جَنَازَةٍ، فَحَفِظْتُ مِنْ دُعَائِهِ وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ، وَعَافِهِ وَاعْفُ عَنْهُ، وَأَكْرِمْ نَزْلَهُ وَوَسِّعْ مُدْخَلَهُ، وَاغْسِلْهُ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ، وَنَقِهِ مِنَ الْخَطَايَا كَمَا نَقَيْتَ الثَّوْبَ الْأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ، وَأَبْدَلْهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ وَأَهْلًا خَيْرًا مِنْ أَهْلِهِ وَزَوْجًا خَيْرًا مِنْ زَوْجِهِ، وَأَدْخُلْهُ الْجَنَّةَ، وَأَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ»<sup>(٢)</sup>.

وَفِي «السَّنَنِ» عَنْ وَائِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ، قَالَ صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَسَمِعْتَهُ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنْ فَلَانَا ابْنِ فَلَانٍ فِي ذِمَّتِكَ وَحَبْلِ جِوَارِكَ، فَقِهِ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ وَعَذَابِ النَّارِ، وَأَنْتَ أَهْلُ الْوَفَاءِ وَالْحَقِّ، فَاعْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ إِنَّكَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ»<sup>(٣)</sup>.

<sup>(١)</sup> (حسن) أخرجه أبو داود: (٣١٩٩) وابن ماجه (١٤٩٧) وابن حبان (٣٠٧٦) من طرق عن محمد بن سلمة الحراني عن محمد بن إسحاق عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة به. وإسناده حسن رجاله ثقات إلا محمد بن إسحاق فإنه صدوق مدلس إلا أنه صرح بالتحديث عند ابن حبان (٣٠٧٧)، فالحديث حسن.

<sup>(٢)</sup> أخرجه مسلم: (٩٦٣).

<sup>(٣)</sup> (حسن أو صحيح) أخرجه أحمد: (٤٩١/٣) وأبو داود: (٣٢٠٢) وابن ماجه (١٤٩٩) من طرق عن الوليد بن مسلم، قال: حدثنا مروان بن جناح عن يونس بن ميسرة بن حلبس عن وائلة بن الأسقع به.

وهذا كثير في الأحاديث، بل هو المقصود بالصلاة على الميت وكذلك الدعاء له بعد الدفن.

وفي «السّنن» من حديث عثمان بن عفان قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا فَرَّغَ مِنْ دَفْنِ الْمَيِّتِ وَقَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ: «اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ واسألوا له التثبيت، فإنه الآن يسأل»<sup>(١)</sup>.  
وكذلك الدعاء لهم عند زيارة قبورهم كما في «صحيح مسلم» من حديث بريدة بن الحصيب قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْلَمُهُمْ إِذَا خَرَجُوا إِلَى الْمَقَابِرِ أَنْ يَقُولُوا: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، نَسْأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَكُمْ الْعَافِيَةَ»<sup>(٢)</sup>.

وفي «صحيح مسلم» أن عائشة [رضي الله عنها] سألت النبي ﷺ كَيْفَ تَقُولُ إِذَا اسْتَغْفَرْتَ لِأَهْلِ الْقُبُورِ؟ قَالَ: «قُولِي: السَّلَامُ عَلَى أَهْلِ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ وَيَرْحَمَ اللَّهُ الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنَّا وَالْمُسْتَأْخِرِينَ، وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ»<sup>(٣)</sup>.

وهذا إسناده جيد؛ رجاله كلهم ثقات إلا مروان بن جناح فهو صدوق وأرفع، والوليد بن مسلم قد صرح عن شيخه وشيخه عند ابن ماجه والطبراني في «الكبير»: (٨٩/٢٢).  
تنبية: قوله: «وأنت أهل الوفاء والحق». وقع عند أبي داود: «وأنت أهل الوفاء والحمد».  
<sup>(١)</sup> (حسن) أخرجه أبو داود: (٣٢٢١)، فقال: حدثنا إبراهيم بن موسى الرازي أخبرنا هشام -يعني ابن يوسف- عن عبدالله بن بحير عن هانئ مولى عثمان بن عفان عن عثمان به، وإسناده حسن رجاله ثقات إلا هانئ البربري أبو سعيد مولى عثمان فإنه صدوق - كما قال الحافظ في «التقريب».

<sup>(٢)</sup> أخرجه مسلم: (٩٧٥).

<sup>(٣)</sup> أخرجه مسلم: (٢٢٥٦/٩٧٤).

وَفِي "صَحِيحِهِ" عَنْهَا أَيْضًا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ فِي لَيْلَتِهَا مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ إِلَى الْبَقِيعِ، فَقَالَ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَأَنَا كُمْ مَا تُوْعَدُونَ غَدًا مُؤْجَلُونَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَهْلِ بَقِيعِ الْغَرَقَدِ»<sup>(١)</sup>.  
 وَدُعَاءُ النَّبِيِّ ﷺ لِلْأَمْوَاتِ فِعْلًا وَتَعْلِيمًا وَدُعَاءُ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَالْمُسْلِمِينَ عَصْرًا بَعْدَ عَصْرٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يَذْكَرَ، وَأَشْهَرُ مِنْ أَنْ يُنْكَرَ، وَقَدْ جَاءَ: «أَنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ دَرَجَةَ الْعَبْدِ فِي الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: أُنِي لِي هَذَا؟ فَيُقَالُ: بِدُعَاءِ وَلَدِكَ لَكَ»<sup>(٢)</sup>.

### فصل

وَأَمَّا وُصُولُ ثَوَابِ الصَّدَقَةِ، فَفِي "الصَّحِيحِينَ" عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنْ أُمِّي افْتَلَتْ نَفْسَهَا، وَلَمْ تُوَصِّرْ، وَأُظْنَهَا لَوْ تَكَلَّمْتَ تَصَدَّقْتَ، أَفَلَهَا أَجْرٌ إِنْ تَصَدَّقْتَ عَنْهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ»<sup>(٣)</sup>.  
 وَفِي "صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ" عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ سَعْدَ بْنَ عَبَادَةَ تُوَفِّيتُ أُمَّهُ وَهُوَ غَائِبٌ عَنْهَا، فَاتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنْ أُمِّي تُوَفِّيتُ وَأَنَا غَائِبٌ

<sup>(١)</sup> أخرجه مسلم: (٢٢٥٥/٩٧٤).

<sup>(٢)</sup> (حسن) أخرجه أحمد: (٥٠٩/٢) وابن أبي شيبة (٣٩٦-٣٩٧/١٠) وابن ماجه (٣٦٦٠) والبيهقي في "الكبرى" (٧٩-٧٨/٧) - واللفظ له - من طرق عن عاصم بن أبي النجود عن أبي صالح عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ به. وإسناده حسن عاصم صدوق وأبو صالح هو ذكوان السمان ثقة ثبت من رجال الشيخين.

تنبيه: هذه الأدلة التي ذكرها ابن القيم في هذا الفصل، كلها في انتفاع الميت بالدعاء والاستغفار، وقد تقدم أن الميت ينتفع بالدعاء والاستغفار بالإجماع، فلا يقاس عليها غيرها.

<sup>(٣)</sup> أخرجه البخاري: (١٣٨٨) ومسلم: (١٠٠٤) قوله: «افتلت نفسها» أي: ماتت بغتة وفجأة.

عَنْهَا، فَهَلْ يَنْفَعُهَا إِنْ تَصَدَّقْتَ عَنْهَا؟ قَالَ: «نعم» قَالَ: فَإِنِّي أَشْهَدُكَ أَنْ حَائِطِي الْمِخْرَافِ صَدَقَةٌ عَنْهَا <sup>(١)</sup>.

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: إِنْ أَبِي مَاتَ وَتَرَكَ مَالًا وَلَمْ يُوَصِّ، فَهَلْ يَكْفِي عَنْهُ أَنْ أَتَصَدَّقَ عَنْهُ؟ قَالَ: «نعم» <sup>(٢)</sup>.

وَفِي «السَّنَنِ» وَ«مُسْنَدِ أَحْمَدَ»: عَنْ سَعْدِ بْنِ عَبَادَةَ رضي الله عنه: أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنْ أُمُّ سَعْدٍ مَاتَتْ فَأَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «الماء»، فَحَفَرَ بَيْتًا وَقَالَ: هَذِهِ لِأُمِّ سَعْدٍ <sup>(٣)</sup>.

<sup>(١)</sup> أخرجه البخاري: (٢٧٥٦).

<sup>(٢)</sup> أخرجه مسلم: (١٦٣٠)، ولفظه: «فهل يكفر عنه».

<sup>(٣)</sup> (حسن بمجموع طرقه وشواهده) أخرجه أحمد: (٢٨٤-٢٨٥/٥) والنسائي: (٣٦٦٦) من طريق شعبة عن قتادة، قال: سمعت الحسن يحدث عن سعد بن عبادة فذكره. ورجاله ثقات إلا أنه منقطع، فإن الحسن البصري لم يسمع من سعد ولم يدركه. وللحديث طريق أخرى أخرجه أبو داود: (١٦٧٩)، والنسائي: (٣٦٦٥)، وابن ماجه: (٣٦٨٤)، من طرق عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن سعد بن عبادة به - دون ذكر قصة وفاة أمه - وإسناده منقطع أيضًا سعيد بن المسيب لم يدرك سعدًا، وأما عن قتادة فإن الراوي عنه شعبة عند أبي داود: (١٦٨٠). وللحديث طريق ثالثة أخرجه أبو داود: (١٦٨١) من طريق إسرائيل عن أبي إسحاق عن رجل عن سعد بن عبادة، ورجاله ثقات لولا أن فيه رجلًا مبهمًا ومحمّل أنه الحسن البصري أو سعيد بن المسيب اللذان تقدما في الطرق الأولى.

وللحديث شاهد عن أنس بن مالك رضي الله عنه أخرجه الطبراني في «الأوسط»: (٢٨/٩)، فقال حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ هَارُونَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَمَرَ الْعَدَنِيُّ، حَدَّثَنَا مَرْوَانُ بْنُ مُعَاوِيَةَ، عَنْ حُمَيْدِ الطَّوِيلِ، عَنْ أَنَسِ، أَنَّ سَعْدًا أَمَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ أُمِّي تُوفِّيتْ، وَلَمْ تُوصِّ، أَفَيَنْفَعُهَا أَنْ أَتَصَدَّقَ عَنْهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَعَلَيْكَ بِالمَاءِ». قال الطبراني: قَالَ مُوسَى بْنُ هَارُونَ وَهَمَّ فِيهِ مَرْوَانُ بِمَكَّةَ إِنَّمَا هُوَ عَنْ حُمَيْدٍ عَنِ الْحَسَنِ. يعني مرسلًا.

قلت: على كل حال سواء كان مرسلًا أم مسندًا فإنه شاهد لحديث سعد بن عبادة.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ الْعَاصِ بْنَ وَاثِلٍ نَذَرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَنْ يَنْحَرَ مِائَةَ بَدَنَةٍ، وَإِنْ هَشَامُ بْنُ الْعَاصِ نَحَرَ حِصَّتَهُ خَمْسِينَ، وَأَنْ عَمْرًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: «أَمَا أَبُوكَ، فَلَوْ أَقْرَبَ بِالتَّوْحِيدِ فَصُمْتَ، وَتَصَدَّقْتَ عَنْهُ نَفَعَهُ ذَلِكَ». رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ<sup>(١)</sup>.

### فصل

وَأَمَّا وُصُولُ ثَوَابِ الصَّوْمِ، فَفِي «الصَّحِيحِينَ» عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ صَامَ عَنْهُ وَلِيهِ»<sup>(٢)</sup>.  
وَفِي «الصَّحِيحِينَ» أَيْضًا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَا: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: أُمِّي مَاتَتْ وَعَلَيْهَا صَوْمٌ شَهْرٌ أَفَأَفْضِيهِ عَنْهَا، قَالَ: «نَعَمْ فَدِينُ اللَّهِ أَحَقُّ أَنْ يَقْضَى»<sup>(٣)</sup>.

ومن شواهده حديث ابن عباس الذي ذكره ابن القيم قبل هذا في قصة حائط المخراف، وقد احتمل بعضهم أن في ذلك الحائط بئراً جعلها سعد ضمن ما أوقفه، والله أعلم.  
وقد حسن الحديث العلامة الألباني في «صحيح سنن أبي داود»: (٣٦٦/٥).  
وقد جاء الحديث عن أبي هريرة أخرجه البيهقي في «الشعب»: (٣/٢٢٠-٢٢١)، ولفظه: «ليس صدقة أعظم أجراً من ماء». وإسناده ضعيف.  
وجاء عن ابن عباس بنحوه أخرجه البيهقي في «الشعب»: (٣/٢٢١)، وفي إسناده جهالة.  
<sup>(١)</sup> (حسن): أخرجه أحمد: (١٨٢/٢)، فقال: حدثنا هشيم أخبرنا حجاج حدثنا عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده به، وهذا إسناده حسن، وحجاج بن أرطاة وإن كان كثير الخطأ إلا أنه متابع فقد تابعه حسان بن عطية عند أبي داود: (٢٨٨٣)، وحسان ثقة.  
تنبيه: هذه الأدلة التي ذكرها ابن القيم في هذا الفصل فيها انتفاع الميت بالصدقة ووصول ثوابها إليه، وقد تقدم أن هذا مجمع عليه.

<sup>(٢)</sup> أخرجه البخاري: (١٩٥٢)، ومسلم: (١١٤٧).

<sup>(٣)</sup> أخرجه البخاري: (١٩٥٣)، ومسلم: (٢٦٩٤/١١٤٨).



وَفِي رِوَايَةٍ: جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أُمَّي مَاتَتْ وَعَلَيْهَا صَوْمٌ نَذَرَ أَفْصُومَ عَنْهَا؟ قَالَ: «أَفَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَى أُمِّكَ دِينَ فَقَضَيْتِهِ أَكَانَ يُؤَدِي ذَلِكَ عَنْهَا؟»، قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: «فَصُومِي عَنِ أُمِّكَ». وَهَذَا اللَّفْظُ لِلْبُخَارِيِّ وَحْدَهُ تَعْلِيْقًا<sup>(١)</sup>.

وَعَنْ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: بَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ أَتَتْهُ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ: إِنِّي تَصَدَّقْتُ عَلَى أُمَّي بِجَارِيَةٍ وَأَمَّتْ مَاتَتْ فَقَالَ: «وَجِبَ أَجْرُكَ وَرَدَّهَا عَلَيْكَ الْمِيرَاثُ»، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ كَانَ عَلَيَّهَا صَوْمٌ شَهْرَ أَفْصُومَ عَنْهَا قَالَ: «صُومِي عَنْهَا»، قَالَتْ: إِنَّهَا لَمْ تَحْجِ قَطُّ أَفَاحِجَ عَنْهَا، قَالَ: «حَجِي عَنْهَا». رَوَاهُ مُسْلِمٌ<sup>(٢)</sup>. وَفِي لَفْظٍ: «صَوْمٌ شَهْرَيْنِ»<sup>(٣)</sup>.

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (أَنَّ امْرَأَةً رَكِبَتِ الْبَحْرَ فَنَذَرَتْ إِنْ نَجَّاهَا اللَّهُ أَنْ تَصُومَ شَهْرًا فَجَاحَهَا اللَّهُ فَلَمْ تَصُمْ حَتَّى مَاتَتْ، فَجَاءَتْ بِنْتَهَا أَوْ أُخْتُهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَمَرَهَا أَنْ تَصُومَ عَنْهَا). رَوَاهُ أَهْلُ السُّنَنِ وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ<sup>(٤)</sup>.  
وَكَذَلِكَ رُوِيَ عَنْهُ وَصُولُ ثَوَابِ بَدْلِ الصَّوْمِ وَهُوَ الْإِطْعَامُ.

<sup>(١)</sup> هذه الرواية علقها البخاري عقب الحديث المتقدم: (١٩٥٣)، وأخرجها مسلماً: (٢٦٩٦/١١٤٨) موصولة.

<sup>(٢)</sup> أخرجه مسلم: (١١٤٩).

<sup>(٣)</sup> أخرجه مسلم أيضاً عقب الحديث المتقدم.

<sup>(٤)</sup> (صحيح) أخرجه أبو داود: (٣٣٠٨) والنسائي: (٣٨١٦) وأحمد: (٢١٦/١) من طرق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به، وإسناده صحيح.

فَفِي «السَّنَنِ» عَنْ ابْنِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ شَهْرٍ فَلْيَطْعَمْ عَنْهُ لِكُلِّ يَوْمٍ مِسْكِينًا». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ، قَالَ التِّرْمِذِيُّ: وَلَا نَعْرِفُهُ مَرْفُوعًا إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، وَالصَّحِيحُ عَنْ ابْنِ عَمْرِو بْنِ قَوْلِهِ مَوْفُوفًا<sup>(١)</sup>.  
وَفِي «سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ» عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: إِذَا مَرَضَ الرَّجُلُ فِي رَمَضَانَ وَلَمْ يَصُمْ أَطْعَمَ عَنْهُ وَلَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ قَضَاءٌ، وَإِنْ نَذَرَ قَضَى عَنْهُ وَلِيهِ<sup>(٢)</sup>.

<sup>(١)</sup> (الموقوف أصح) أخرجه الترمذي: (٧١٨)، وابن ماجه: (١٧٥٧) من طريق قتيبة قال: حدثنا عشر عن أشعث عن محمد بن محمد بن نافع عن ابن عمر به مرفوعاً، وهذا إسناد ضعيف، أشعث هو ابن سوار، ومحمد هو ابن عبدالرحمن بن أبي ليلى وهما ضعيفان.

ووقع عند ابن ماجه: (عن محمد بن سيرين عن نافع) وهو وهم. نبه عليه الحافظ ابن حجر في «التلخيص الحبير» (٢/٣٩٩)، وابن الملقن في «البدرد المنير» (٥/٧٣٠)، وقبلها الحافظ المزني في «تحفة الاشراف»: (٦/٢٢٧).

ومما يؤيد أنه ابن أبي ليلى أنه قد أخرجه ابن خزيمة: (٢٠٥٧) من طريق شريك بن عبدالله عن ابن أبي ليلى عن نافع به، فهذا يؤيد أنه ليس ابن سيرين، وهذا متابعه من شريك لأشعث بن سوار فتبقى علة الحديث هي ابن أبي ليلى، ومع ذلك فالحفاظ يرجحون الموقوف، قال الدارقطني كما في «التلخيص الحبير»: المحفوظ وقفه على ابن عمر.

وأخرجه البيهقي في «الكبرى»: (٤/٢٥٤) من طريق جويرية بن أسماء عن نافع عن ابن عمر موقوفاً، ثم قال: هذا هو الصحيح موقوف على ابن عمر، وقد رواه محمد بن عبدالرحمن بن أبي ليلى عن نافع فأخطأ فيه. اهـ.

وسياتي قول ابن القيم رحمه الله: (فإنه حديث باطل على رسول الله ﷺ).

<sup>(٢)</sup> (صحيح) أخرجه أبو داود: (٢٤٠١) فقال: حدثنا محمد بن كثير أخبرنا سفيان عن أبي حصين عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس به، وإسناده على شرط البخاري

تنبيه: هذه الأدلة التي ذكرها ابن القيم هنا كلها في انتفاع الميت بما كان عليه من صوم واجب، وقد تقدم أن قضاء الصوم الواجب عن الميت ينفعه ويصل ثوابه إليه ويسقط عنه وجوبه، ولا يستفاد من هذه الأدلة شرعية التطوع بالصيام عن الميت فنبقى على ما جاء في الأدلة والله أعلم.

## فصل

وَأَمَّا وُصُولُ ثَوَابِ الْحَجِّ، فَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَنَّ امْرَأَةً مِنْ جُهَيْنَةَ جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَتْ: إِنَّ أُمَّي نَذَرْتُ أَنْ تَحْجَّ فَلَمْ تَحْجَّ حَتَّى مَاتَتْ أَفَأَحْجَّ عَنْهَا، قَالَ: «حَجِّي عَنْهَا، أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ عَلَى أَمِّكَ دِينَ أَكُنْتَ قَاضِيَتَهُ اقْضُوا لِلَّهِ فَالْهُ أَحَقُّ بِالْقَضَاءِ»<sup>(١)</sup>.

وَقَدْ تَقَدَّمَ حَدِيثُ بُرَيْدَةَ، وَفِيهِ: أَنَّ أُمَّي لَمْ تَحْجَّ قَطُّ أَفَأَحْجَّ عَنْهَا؟ قَالَ: «حَجِّي عَنْهَا»<sup>(٢)</sup>.

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: إِنَّ امْرَأَةً سِنَانِ بْنِ سَلَمَةَ الْجُهَيْنِيِّ سَأَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: أَنَّ أُمَّهَا مَاتَتْ وَلَمْ تَحْجَّ أَفِيَجْزِي أَنْ أَحْجَّ عَنْهَا قَالَ: «نَعَمْ لَوْ كَانَ عَلَى أُمَّهَا دِينَ فَقَضَيْتَهُ عَنْهَا أَلَمْ يَكُنْ يَجْزِي عَنْهَا»، رَوَاهُ النَّسَائِيُّ<sup>(٣)</sup>.

وَرَوَى أَيْضًا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ امْرَأَةً سَأَلَتْ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم عَنْ أَبِيهَا مَاتَ وَلَمْ يَحْجَّ؟ قَالَ: «حَجِّي عَنْ أَبِيكَ»<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه البخاري: (١٨٥٢).

(٢) أخرجه مسلم: (١١٤٩).

(٣) (صحيح) أخرجه النسائي: (٢٦٣٣)، وأحمد: (٢٧٩/١) مطولاً، وابن خزيمة: (٣٠٣٤) من طرق عن أبي التياح قال: حدثني موسى بن سلمة الهذلي عن ابن عباس به، وإسناده صحيح على شرط مسلم، أبو التياح هو يزيد بن حميد.

تنبيه: قوله: (إن امرأة سنان بن سلمة الجهني سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم). كذا وقع هنا، ووقع عند النسائي: (أمرت امرأة سنان بن سلمة الجهني أن يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم). ووقع عند أحمد وابن خزيمة: (أمرت امرأة سنان بن عبد الله الجهني).

وروى أيضا عنه قال: قال رجل يا نبي الله إن أبي مات ولم يحج أفأحج عنه؟ قال: «أرأيت لو كان على أهلك دين أكنت قاضيه؟»، قال: نعم، قال: «فدين الله أحق»<sup>(٢)</sup>.  
 وأجمع المسلمون على أن قضاء الدين يسقطه من ذمته ولو كان من أجنبي أو من غير تركته، وقد دل عليه حديث أبي قتادة حيث ضمن الدينارين عن الميت فلما قضاها قال له النبي ﷺ: «الآن بردت عليه جلده»<sup>(٣)</sup>.

<sup>(٢)</sup> (صحيح) أخرجه النسائي: (٢٦٣٤) فقال: أخبرني عثمان بن عبد الله قال: حدثني علي بن حكيم الأودي حدثنا حميد بن عبد الرحمن الرؤاسي قال: حدثني حماد بن زيد عن أيوب السختياني عن الزهري عن سليمان بن يسار عن ابن عباس به، وهذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات.  
<sup>(٣)</sup> أخرجه النسائي: (٢٦٣٩) فقال: أخبرنا أبو عاصم خشيش بن أصرم النسائي عن عبدالرزاق قال: أنبأنا معمر عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس به، ورجال إسناده ثقات إلا الحكم بن أبان فإنه صدوق عابد وله أوهام قاله الحافظ، وقد تقدم الحديث من عدة طرق، وفيه أن السائل امرأة، وفي هذه الطريق جعل السائل رجلاً ولذا ضعف الأئمة هذه الطريق قال العلامة الألباني في "ضعيف سنن النسائي" (ص ٨٢): (شاذ أو منكر بذكر الرجل، والمحفوظ أن السائل امرأة كما تقدم قبل باين ويأتي بعده).

<sup>(٣)</sup> (صحيح) دون قوله: «الآن بردت عليه جلده».

هذا الحديث بهذا اللفظ هو حديث جابر في قصة أبي قتادة أخرجه أحمد: (٣/٣٣٠)، والحاكم: (٥٨/٢) وغيرهما من طرق عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر به، وعبد الله بن محمد بن عقيل فيه ضعف، ولكن قد تابعه أبو سلمة بن عبدالرحمن عند أحمد: (٣/٢٩٦)، وأبي داود: (٣٣٤٣)، والنسائي: (١٩٦٢)، فذكر الحديث بنحوه دون قوله: «الآن بردت عليه جلده». فالحديث صحيح دون هذه الزيادة.

وقد جاء الحديث عن أبي قتادة نفسه أخرجه أحمد: (٥/٢٩٧) فقال: حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا محمد بن عمرو عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه به، دون قوله: «الآن بردت عليه جلده». وإسناده حسن، رجاله كلهم ثقات إلا محمد بن عمرو وهو ابن علقمة الليثي فإنه صدوق له

وَأَجْمَعُوا عَلَى أَنْ الْحَيِّ إِذَا كَانَ لَهُ قَبْلَ الْمَيِّتِ حَقٌّ مِنَ الْحُقُوقِ فَأَحَلَّهُ مِنْهُ [أَنَّهُ يَنْفَعُهُ وَيَبْرَأُ مِنْهُ كَمَا يَسْقُطُ مِنْ ذِمَّةِ الْحَيِّ، فَإِذَا سَقَطَ مِنْ ذِمَّةِ الْحَيِّ بِالنَّصِّ وَالْإِجْمَاعِ] <sup>(١)</sup> مَعَ إِمْتِكَانِ أَدَائِهِ لَهُ بِنَفْسِهِ وَلَوْ لَمْ يَرْضَ [بِهِ] بَلْ رَدَّهُ، فَسَقُوطُهُ مِنْ ذِمَّةِ الْمَيِّتِ بِالْإِبْرَاءِ حَيْثُ لَا يَتِمَّكَّنُ مِنْ أَدَائِهِ أَوْلَى وَأَخْرَى، وَإِذَا انْتَفَعَ بِالْإِبْرَاءِ وَالْإِسْقَاطِ فَكَذَلِكَ يَنْتَفِعُ بِالْهَبَةِ وَالْإِهْدَاءِ وَلَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا، فَإِنَّ ثَوَابَ الْعَمَلِ حَقٌّ لِلْمُهْدِي الْوَاهِبِ، فَإِذَا جَعَلَهُ لِلْمَيِّتِ انْتَقَلَ إِلَيْهِ كَمَا أَنَّ مَا عَلَى الْمَيِّتِ مِنَ الْحُقُوقِ مِنَ الدِّينِ وَغَيْرِهِ هُوَ مَخْضُ حَقِّ الْحَيِّ، [فَإِذَا أَبْرَأَهُ وَصَلَ الْإِبْرَاءَ إِلَيْهِ وَسَقَطَ مِنْ ذِمَّتِهِ فَكِلَاهُمَا حَقٌّ لِلْحَيِّ] فَأَيُّ نَصٍّ أَوْ قِيَاسٍ أَوْ قَاعِدَةٍ مِنْ فَوَائِدِ الشَّرْعِ يُوجِبُ وَصُولَ أَحَدِهِمَا وَيَمْنَعُ وَصُولَ الْآخَرِ <sup>(٢)</sup>.

أوهام، ولكنه قد توبع فقد أخرجه أحمد: (٣١١ / ٥) من طريق أبي عوانة عن عثمان بن عبدالله بن موهب عن عبدالله بن أبي قتادة به.  
وأخرجه النسائي: (١٩٦٠) من طريق شعبة عن عثمان بن عبدالله بن موهب به، فحديث أبي قتادة صحيح من هذه الطرق. وجاء الحديث عن سلمة بن الأكوع أخرجه البخاري: (٢٢٨٩).  
فهذه الأحاديث كما ترى كلها صحيحة وألفاظها متقاربة وليس في شيء منها: «الآن بردت عليه جلده» وإنما تفرد بها عبدالله بن محمد بن عقيل على ما فيه من ضعف؛ فهي زيادة منكرة، وهي مخالفة لبعض ما جاء في الحديث من نفس الطريق حيث إن أبا قتادة لما قال: قال النبي ﷺ: «حَقُّ الْغَرِيمِ وَبَرٌّ مِنْهَا الْمَيِّتُ». فكيف يكون قد برأ منها ثم يعذب فيها.

<sup>(١)</sup> ما بين المعقوفين وقع مكانه في الأصل [أنه ينفعه وتبرأ من ذمة الحي فإذا سقط من ذمة الحي بالنص والإجماع] فكأنه سقط منه بعض الكلمات مما أدى إلى اضطراب في النص.  
<sup>(٢)</sup> وهذا القياس غير صحيح فإن سقوط الدين عن الميت إذا قُضِيَ عنه قد جاء به الدليل فلا يقاس عليه غيره؛ لأن أمر القربات والعبادات يتوقف فيها على النص وسبق قول ابن كثير رحمته الله: (وباب القربات يقتصر فيه على النصوص ولا يتصرف فيها بأنواع الأقيسة والآراء). وكما تقدم أن مثل هذا فيه القطع من الإنسان أن

وهذه النُّصُوصُ متظاهرة على وُصُولِ ثَوَابِ الْأَعْمَالِ إِلَى الْمَيِّتِ إِذَا فَعَلَهَا الْحَيِّ عَنْهُ وَهَذَا مَحْضُ الْقِيَاسِ، فَإِنَّ الثَّوَابَ حَقٌّ لِلْعَامِلِ فَإِذَا وَهَبَهُ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ لَمْ يَمْنَعْ مِنْ ذَلِكَ كَمَا لَمْ يَمْنَعْ مِنْ هَبَةِ مَالِهِ لَهُ فِي حَيَاتِهِ وَإِبْرَائِهِ لَهُ مِنْهُ بَعْدَ مَوْتِهِ، وَقَدْ نَبِهَ النَّبِيُّ ﷺ بِوَصُولِ ثَوَابِ الصَّوْمِ الَّذِي هُوَ مُجَرَّدُ تَرْكِ وَنِيَّةٍ تَقُومُ بِالْقَلْبِ <sup>(١)</sup> لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ، وَكَيْسَ بِعَمَلِ الْجَوَارِحِ عَلَى وُصُولِ ثَوَابِ الْقِرَاءَةِ الَّتِي هِيَ عَمَلٌ بِاللِّسَانِ تَسْمَعُهُ الْأُذُنُ وَتَرَاهُ الْعَيْنُ بِطَرِيقِ الْأُولَى.

يُوضِحُهُ أَنَّ الصَّوْمَ نِيَّةٌ مَحْضَةٌ وَكَفٌّ لِلنَّفْسِ عَنِ الْمَفْطَرَاتِ، وَقَدْ أَوْصَلَ اللَّهُ ثَوَابَهُ إِلَى الْمَيِّتِ فَكَيْفَ بِالْقِرَاءَةِ الَّتِي هِيَ عَمَلٌ وَنِيَّةٌ، بَلْ لَا تَفْتَقِرُ إِلَى النِّيَّةِ فَوْصُولِ ثَوَابِ الصَّوْمِ إِلَى الْمَيِّتِ فِيهِ تَنْبِيهُ عَلَى وُصُولِ سَائِرِ الْأَعْمَالِ.

وَالْعِبَادَاتُ قِسْمَانِ: مَالِيَّةٌ وَبَدَنِيَّةٌ، وَقَدْ نَبِهَ الشَّارِعُ بِوَصُولِ ثَوَابِ الصَّدَقَةِ عَلَى وُصُولِ ثَوَابِ سَائِرِ الْعِبَادَاتِ الْمَالِيَّةِ، وَنَبِهَ بِوَصُولِ ثَوَابِ الصَّوْمِ عَلَى وُصُولِ ثَوَابِ سَائِرِ الْعِبَادَاتِ الْبَدَنِيَّةِ، وَأَخْبَرَ بِوَصُولِ ثَوَابِ الْحَجِّ الْمَرْكَبِ مِنَ الْمَالِيَّةِ وَالبَدَنِيَّةِ، فَالْأَنْوَاعُ الثَّلَاثَةُ ثَابِتَةٌ بِالنَّصِّ وَالِإِعْتِبَارِ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.

قَالَ الْمَانِعُونَ مِنَ الْوُصُولِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم: ٣٩]، وَقَالَ: ﴿وَلَا تُحْزِنُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يس: ٥٤]، وَقَالَ: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وَقَدْ ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا مَاتَ الْعَبْدُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ عَلَيْهِ، أَوْ وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ، أَوْ عِلْمٌ يَنْتَفِعُ بِهِ

عمله قد قُبلَ منه وأُثِيبَ عليه وصار يتصرف في ثوابه كما شاء مع أن الله يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧] ثم لنفرض أنه قد قُبلَ منه العمل وأُثِيبَ عليه فما هو الدليل على أن له يتصرف فيه.

<sup>(١)</sup> في الأصل (ونية تقرب بالقلب) وفي (ش) (ونية يقوم بالقلب) والمثبت من (ف) هو أقرها.

من بعد»<sup>(١)</sup>، فأخبر أنه إنَّما يَنْتَفِعُ بِمَا كَانَ تَسْبَبَ إِلَيْهِ فِي الْحَيَاةِ، وَمَا لَمْ يَكُنْ قَدْ تَسَبَّبَ إِلَيْهِ فَهُوَ مُنْقَطِعٌ عَنْهُ.

وَأَيْضًا فَحَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْمُتَقَدِّمَ وَهُوَ قَوْلُهُ: «إِنْ مِمَّا يَلْحَقُ الْمَيِّتَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ عِلْمًا نَشَرَهُ»<sup>(٢)</sup>، الْحَدِيثُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ إِنَّمَا يَنْتَفِعُ بِمَا كَانَ قَدْ تَسَبَّبَ فِيهِ. وَكَذَلِكَ حَدِيثُ أَنَسٍ يَرْفَعُهُ: «سَبْعٌ يَجْرِي عَلَى الْعَبْدِ أَجْرَهُنَّ وَهُوَ فِي قَبْرِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ: مِنْ عِلْمٍ عِلْمًا، أَوْ أَكْرَى نَهْرًا، أَوْ حَفْرٍ بئرًا، أَوْ غَرْسٍ نَخْلًا، أَوْ بَنَى مَسْجِدًا، أَوْ وَرِثَ مُصْحَفًا، أَوْ تَرَكَ وَلَدًا صَالِحًا يَسْتَغْفِرُ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ»<sup>(٣)</sup>، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَا عَدَا ذَلِكَ لَا يَحْصُلُ لَهُ مِنْهُ ثَوَابٌ وَإِلَّا لَمْ يَكُنْ لِلْحَصْرِ مَعْنَى.

قَالُوا: وَالْإِهْدَاءُ حَوَالَةَ، وَالْحَوَالَةُ إِنَّهَا تَكُونُ بِحَقِّ لَازِمٍ، وَالْأَعْمَالُ لَا تَوْجِبُ الثَّوَابَ وَإِنَّهَا هُوَ مُجَرَّدُ تَفَضُّلِ اللَّهِ وَإِحْسَانِهِ فَكَيْفَ يَحِيلُ الْعَبْدُ عَلَى مُجَرَّدِ الْفَضْلِ الَّذِي لَا يَجِبُ عَلَى اللَّهِ، بَلْ إِنْ شَاءَ آتَاهُ وَإِنْ لَمْ يَشَأْ لَمْ يَزَلْهُ، وَهُوَ نَظِيرُ حَوَالَةِ الْفَقِيرِ عَلَى مَنْ يَرْجُو أَنْ يَتَصَدَّقَ عَلَيْهِ، وَمِثْلُ هَذَا لَا يَصِحُّ إِهْدَاؤُهُ وَهَبْتَهُ كَصَلَاةٍ تَرْجَى مِنْ مَلِكٍ لَا يَتَحَقَّقُ حُصُولُهَا.

(١) أخرجه مسلم: (١٦٣١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولفظه: «إذا مات الإنسان».

(٢) (حسن) تقدم بداية هذه المسألة ص ( ) .

(٣) (ضعيف جدًا) أخرجه البزار كما في «كشف الأستار»: (١/٨٩)، وأبو نعيم في «الحلية»: (٢/٣٤٣-٣٤٤) من طريق عبدالرحمن بن هانئ قال: حدثنا محمد بن عبيد الله العرزمي حدثنا قتادة عن أنس به، وإسناده ضعيف جدًا فيه عدة علل:

١- عبدالرحمن بن هانئ أبو نعيم النخعي ضعيف جدًا.

٢- محمد بن عبيد الله العرزمي متروك.

٣- قتادة مدلس، وقد عنعن.

قَالُوا: وَأَيْضًا فَاإِيثار بِأَسْبَابِ الثَّوَابِ مَكْرُوهٌ، وَهُوَ الْإِيثارُ بِالقَرَبِ فَكَيْفَ الْإِيثارُ بِنَفْسِ الثَّوَابِ الَّذِي هُوَ غَايَةٌ فَإِذَا كَرِهَ الْإِيثارُ بِالْوَسِيلَةِ فَالغَايَةُ أَوْلَى وَأُخْرَى.

وَكَذَلِكَ كَرِهَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ التَّأخَّرَ عَنِ الصَّفِّ الْأَوَّلِ وَإِيثارَ الْغَيْرِ بِهِ لَمَّا فِيهِ مِنَ الرَّغْبَةِ عَنِ سَبَبِ الثَّوَابِ، قَالَ أَحْمَدُ فِي رِوَايَةِ حَنْبَلٍ: وَقَدْ سُئِلَ عَنِ الرَّجُلِ يَتَأَخَّرُ عَنِ الصَّفِّ الْأَوَّلِ وَيَقْدُمُ أَبَاهُ فِي مَوْضِعِهِ قَالَ: مَا يُعْجِبُنِي هُوَ يَقْدِرُ أَنْ يَبْرَأَ بِغَيْرِ هَذَا.

قَالُوا: أَيْضًا لَوْ سَاعَ الْإِهْدَاءِ إِلَى الْمَيِّتِ لَسَاعَ نَقْلِ الثَّوَابِ وَالْإِهْدَاءِ إِلَى الْحَيِّ، وَأَيْضًا لَوْ سَاعَ ذَلِكَ لَسَاعَ إِهْدَاءِ نِصْفِ الثَّوَابِ وَرَبِيعَهُ وَقِرَاطٍ مِنْهُ.

وَأَيْضًا لَوْ سَاعَ ذَلِكَ لَسَاعَ إِهْدَاؤِهِ بَعْدَ أَنْ يَعْمَلَهُ لِنَفْسِهِ، وَقَدْ قُلْتُمْ: إِنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يُنَوَى حَالُ الْفِعْلِ إِهْدَاؤَهُ إِلَى الْمَيِّتِ وَإِلَّا لَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ، فَإِذَا سَاعَ لَهُ نَقْلُ الثَّوَابِ، فَأَيُّ فَرْقٍ بَيْنَ أَنْ يَنْوَى قَبْلَ الْفِعْلِ أَوْ بَعْدَهُ<sup>(١)</sup>.

وَأَيْضًا لَوْ سَاعَ الْإِهْدَاءِ لَسَاعَ إِهْدَاءِ ثَوَابِ الْوَأَجِبَاتِ عَلَى الْحَيِّ كَمَا يَسُوغُ إِهْدَاءَ ثَوَابِ التَّطَوُّعَاتِ الَّتِي يَتَطَوَّعُ بِهَا.

قَالُوا: وَإِنَّ التَّكَالِيفَ امْتِحَانًا وَابْتِلَاءً لَا تَقْبَلُ الْبَدَلَ، فَإِنَّ الْمُقْصُودَ مِنْهَا عَيْنَ الْمُكَلَّفِ الْعَامِلِ الْمَأْمُورِ الْمُنْهَى فَلَا يُبَدَلُ الْمُكَلَّفُ الْمَمْتَحِنُ بِغَيْرِهِ وَلَا يَنْوِبُ غَيْرُهُ عَنْهُ فِي ذَلِكَ، إِذِ الْمُقْصُودُ طَاعَتُهُ هُوَ نَفْسُهُ وَعِبُودِيَّتُهُ وَلَوْ كَانَ يَنْتَفِعُ بِإِهْدَاءِ غَيْرِهِ لَهُ مِنْ غَيْرِ عَمَلٍ مِنْهُ لَكَانَ أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ أَوْلَى بِذَلِكَ، وَقَدْ حَكَمَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ لَا يَنْتَفِعُ إِلَّا بِسَعْيِهِ وَهَذِهِ سُنَّتُهُ تَعَالَى

(١) قال العز بن عبد السلام كما في «أحكام الجنائز» للعلامة الألباني رحمته الله (٢٢٠): (ومن فعل طاعة الله تعالى، ثم أهدى ثوابها إلى حي أو ميت، لم ينتقل ثوابها إليه: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم: ٣٩]، فإن شرع في الطاعة ناوياً أن يقع عن الميت لم يقع عنه، إلا فيما استثناه الشرع كالصدقة والصوم والحج).



فِي خَلْقِهِ وَقَضَائِهِ كَمَا هِيَ سُنَّتُهُ فِي أَمْرِهِ وَشَرَعِهِ، فَإِنَّ الْمَرِيضَ لَا يَنْتُوبُ عَنْهُ غَيْرَهُ فِي شَرْبِ الدَّوَاءِ، وَالْجَائِعَ وَالظَّمْآنَ وَالْعَارِيَّ لَا يَنْتُوبُ عَنْهُ غَيْرَهُ فِي الْأَكْلِ وَالشَّرْبِ وَاللِّبَاسِ، قَالُوا وَلَوْ نَفَعَهُ عَمَلٌ غَيْرُهُ لِنَفَعَهُ تَوْبَةُ غَيْرِهِ.

قَالُوا: وَهَذَا لَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِسْلَامَ أَحَدٍ عَنْ أَحَدٍ وَلَا صَلَاتَهُ عَنْ صَلَاتِهِ، فَإِذَا كَانَ رَأْسَ الْعِبَادَاتِ لَا يَصِحُّ إِهْدَاءُ ثَوَابِهِ فَكَيْفَ فُرُوعِهَا.

قَالُوا: وَأَمَّا الدُّعَاءُ فَهُوَ سُؤَالٌ وَرَغْبَةٌ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَى الْمَيِّتِ وَيَسَاحِدَهُ وَيَعْفُو عَنْهُ، وَهَذَا غَيْرُ إِهْدَاءِ ثَوَابِ عَمَلِ الْحَيِّ إِلَيْهِ.

قَالَ: الْمُقْتَصِرُونَ عَلَى وُصُولِ الْعِبَادَاتِ الَّتِي يَدْخُلُهَا النَّيَابَةُ كَالصَّدَقَةِ وَالْحَجِّ الْعِبَادَاتِ نَوْعَانِ: نَوْعٌ لَا يَدْخُلُهُ النَّيَابَةُ بِحَالِ كَالْإِسْلَامِ، وَالصَّلَاةِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَالصِّيَامِ فَهَذَا النَّوْعُ يَخْتَصُّ ثَوَابَهُ بِفَاعِلِهِ لَا يَتَعَدَاهُ وَلَا يَنْقُلُ عَنْهُ كَمَا أَنَّهُ فِي الْحَيَاةِ لَا يَفْعَلُهُ أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ وَلَا يَنْتُوبُ فِيهِ عَنْ فَاعِلِهِ غَيْرِهِ، وَنَوْعٌ يَدْخُلُهُ النَّيَابَةُ كَرَدِ الْوَدَائِعِ، وَأَدَاءِ الدُّيُونِ، وَإِخْرَاجِ الصَّدَقَةِ، وَالْحَجِّ فَهَذَا يَصِلُ ثَوَابُهُ إِلَى الْمَيِّتِ؛ لِأَنَّهُ يَقْبَلُ النَّيَابَةَ وَيَفْعَلُهُ الْعَبْدُ عَنْ غَيْرِهِ فِي حَيَاتِهِ فَبَعْدَ مَوْتِهِ بِطَرِيقِ الْأُولَى وَالْأُخْرَى.

قَالُوا: وَأَمَّا حَدِيثُ: «مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ صَامَ عَنْهُ وَلِيهِ»<sup>(١)</sup>، فَجَوَابُهُ مِنْ وَجْهِهِ: أَحَدُهَا: مَا قَالَهُ مَالِكٌ فِي «مَوْطِئِهِ» قَالَ لَا يَصُومُ أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ، قَالَ: وَهُوَ أَمْرٌ مَجْتَمِعٌ عَلَيْهِ عِنْدَنَا لَا خِلَافَ فِيهِ<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه البخاري: (١٩٥٣) ومسلم: (١١٤٧) عن عائشة رضي الله عنها.

الثَّانِي: أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما هُوَ الَّذِي رَوَى حَدِيثَ الصَّوْمِ عَنِ الْمَيْتِ، وَقَدْ رَوَى عَنْهُ النَّسَائِيُّ: ابْنَا مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الْأَعْلَى حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ حَدَّثَنَا حُجَّاجُ الْأَحْوَالِ حَدَّثَنَا أَيُّوبُ بْنُ مُوسَى عَنِ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: «لَا يَصِلِي أَحَدٌ عَنِ أَحَدٍ، وَلَا يَصُومُ أَحَدٌ عَنِ أَحَدٍ»<sup>(١)</sup>.

الثَّالِثُ: أَنَّهُ حَدِيثٌ اخْتَلَفَ فِي إِسْنَادِهِ، هَكَذَا قَالَ صَاحِبُ «الْمُفْهَمِ فِي شَرْحِ مُسْلِمٍ»<sup>(٢)</sup>.

الرَّابِعُ: أَنَّهُ مَعَارِضُ بِنَصِّ الْقُرْآنِ كَمَا تَقَدَّمَ مِنْ قَوْلِهِ [تَعَالَى]: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم: ٣٩]<sup>(٤)</sup>.

الخَامِسُ: أَنَّهُ مَعَارِضُ بِمَا رَوَاهُ النَّسَائِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَصِلِي أَحَدٌ عَنِ أَحَدٍ، وَلَا يَصُومُ أَحَدٌ عَنِ أَحَدٍ، وَلَكِنْ يَطْعَمُ عَنْهُ مَكَانَ كُلِّ يَوْمٍ مَدًّا مِنْ حِنْطَةٍ»<sup>(١)</sup>.

<sup>(١)</sup> انظر «الموطأ»: (٣٢٢-٣٢٣) رواية أبي مصعب الزهيري: (وليس فيه وهذا أمر مجمع عليه) ، وهذا القول عن مالك بتمامه ذكره ابن عبد البر في «الاستذكار»: (١٠/١٦٧-١٦٨) ، وليس الأمر كذلك بل فيه خلاف كما في «الاستذكار» وكما سيأتي من كلام ابن القيم.

<sup>(٢)</sup> (صحيح) أخرجه النسائي في «الكبرى»: (٢٩١٨) وإسناده صحيح.

<sup>(٣)</sup> هو أبو العباس القرطبي وكلامه هذا في «المفهم»: (٣/٢٠٩) ، وهذه الأوجه التي ذكرها ابن القيم هنا مأخوذة من كلام القرطبي في كتابه المشار إليه، وسيأتي جواب ابن القيم عن هذه الأوجه المذكورة هنا، وقد أجاب عن هذا الاعتراض الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»: (٤/٢٤٦) ، حيث قال: (وادعى القرطبي تبعاً لعياض أن الحديث مضطرب... وليس الاضطراب فيه مسلماً).

<sup>(٤)</sup> ليس بين الآية والحديث تعارض، فإن الآية عامة والحديث خاص ولا تعارض بين عام وخاص، فتبقى الآية على عمومها إلا ما خص بدليل والله أعلم.

السَّادِسُ: أنه معارض بِحَدِيثِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما: «مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صَوْمٌ رَمَضَانَ يَطْعَمُ عَنْهُ»<sup>(١)</sup>.  
السَّابِعُ: أنه معارض بِالْقِيَاسِ الْجَلِيِّ عَلَى الصَّلَاةِ وَالْإِسْلَامِ وَالتَّوْبَةِ، فَإِنْ أَحَدًا لَا يَفْعَلُهَا عَنْ أَحَدٍ.

قَالَ الشَّافِعِيُّ<sup>(٢)</sup> فِيمَا تَكَلَّمَ بِهِ عَلَى خَيْرِ ابْنِ عَبَّاسٍ: لَمْ يَسْمَعْ ابْنَ عَبَّاسٍ مَا كَانَ نَذْرًا أَمْ سَعِدَ فَاحْتَمَلَ أَنْ يَكُونَ نَذْرًا حَجًّا أَوْ عَمْرَةً أَوْ صَدَقَةً فَأَمَرَهُ بِقَضَائِهِ عَنْهَا، فَأَمَّا مَنْ نَذَرَ صَلَاةً أَوْ صِيَامًا ثُمَّ مَاتَ فَإِنَّهُ يَكْفُرُ عَنْهُ فِي الصَّوْمِ وَلَا يَصَامُ عَنْهُ، وَلَا يَصَلِّي عَنْهُ، وَلَا يَكْفُرُ عَنْهُ فِي الصَّلَاةِ.

ثُمَّ قَالَ: فَإِنْ قِيلَ فَرَوِيَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَمَرَ أَحَدًا أَنْ يَصُومَ عَنْ أَحَدٍ؟ قِيلَ: نَعَمْ، رَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم<sup>(٣)</sup>.

فَإِنْ قِيلَ: فَلَمْ لَا تَأْخُذُ بِهِ؟ قِيلَ: حَدِيثُ الزُّهْرِيِّ عَنِ عُبَيْدِ اللَّهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم نَذْرًا وَلَمْ يَسْمَعْهُ مَعَ حِفْظِ الزُّهْرِيِّ، وَطَوَّلَ مَجَالِسَهُ<sup>(٤)</sup> عُبَيْدُ اللَّهِ لِابْنِ عَبَّاسٍ

<sup>(١)</sup> تقدم أنه: (صحيح موقوفًا) أخرجه النسائي في «الكبرى»: (٢٩٣٠)، ولم أقف عليه مرفوعًا، وسيأتي رد ابن القيم على من رواه مرفوعًا.

<sup>(٢)</sup> تقدم أنه: (ضعيف مرفوعًا)، وأن الحفاظ رجحوا وقفه.

<sup>(٣)</sup> كلام الشافعي في كتابه «اختلاف الحديث» (٢١٤-٢١٦)، و«الأم» (١٤٤/٢-١٤٥) ط دار الكتب العلمية.

<sup>(٤)</sup> (متفق عليه) وتقدم في هذا عدة أحاديث، انظر ص ( ) .

<sup>(٥)</sup> في الأصل و(ش) (مجالسته) والصواب ما أثبتناه من كتاب اختلاف الحديث للشافعي.

فَلَمَّا جَاءَ غَيْرُهُ عَنِ رَجُلٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ بَغَيْرٍ<sup>(١)</sup> مَا فِي حَدِيثِ عبيد الله أشبه أن لا يكون محموظاً<sup>(٢)</sup>.

فإن قيل فتعرف الرجل الذي جاء بهذا الحديث يغلط<sup>(٣)</sup> عن ابن عباس؟ قيل: نعم روى أصحاب ابن عباس عن ابن عباس أنه قال لابن الزبير: إن الزبير حل من ممتعة الحج. فروى هذا عن ابن عباس أمّتها ممتعة النساء، وهذا غلط فاحش.

فهذا الجواب عن فعل الصوم، وأما فعل الحج فإتّما يصل منه ثواب الإنفاق، وأما أفعال المناسك فهي كأفعال الصلاة إتما تقع عن فاعلها.

قال أصحاب الوصول: ليس في شيء مما ذكرتم ما يعارض أدلة الكتاب والسنة، واتفاق سلف الأمة ومقتضى قواعد الشرع، ونحن نجيب عن كل ما ذكرتموه بالعدل والإنصاف.

أما قوله [تعالى]: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم: ٣٩]، فقد اختلفت طرق الناس في المراد بالآية، فقالت طائفة: الإنسان ها هنا الكافر، وأما المؤمن فله ما سعى وما سعى له بالأدلة التي ذكرناها. قالوا: وغاية ما في هذا التخصيص، وهو جائز إذا دل عليه الدليل.

(١) في الأصل و(ش) (يعني) والصواب ما أثبتناه من المصدر الأصل.

(٢) الحديث الذي أشار إليه الشافعي من طريق الزهري أخرجه البخاري: (٢٧٦١) ومسلم: (١٦٣٨).

وكلام الشافعي هذا قد أجاب عنه ابن القيم فيما سيأتي إن شاء الله، وأجاب عنه البيهقي في "الكبرى": (٢٥٦/٤-٢٥٧) بكلام طويل ذكر فيه ما ورد من الأحاديث في الصيام عن الميت ثم قال: (والأحاديث المرفوعة - يعني التي فيها الصيام عن الميت - أصح إسناداً وأشهر رجالاتها، وقد أودعها صاحبنا الصحيح كتابيها، ولو وقف الشافعي رحمه الله على جميع طرقها ونظاها لم يخالفها إن شاء الله تعالى، وبالله التوفيق).

(٣) في الأصل و(ش) (فغلط) وما أثبتناه من المصدر الأصل.

وَهَذَا الْجَوَابُ ضَعِيفٌ جَدًّا وَمِثْلُ هَذَا الْعَامَ لَا يُرَادُ بِهِ الْكَافِرُ وَحْدَهُ بَلْ هُوَ لِلْمُسْلِمِ  
وَالْكَافِرِ وَهُوَ كَالْعَامِ الَّذِي قَبْلَهُ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام:  
١٦٤].

والسياق كله من أوله إلى آخره كالصريح في إرادة العموم لقوله تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ  
سَوْفَ يُرَى﴾ \* ثُمَّ يُجِزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى ﴿[النجم: ٤٠-٤١]، وَهَذَا يَعْمُ الْحَيْرَ وَالشَّرَّ قِطْعًا،  
وَيَتَنَاوَلُ الْبِرَّ وَالْفَاجِرَ وَالْمُؤْمِنَ وَالْكَافِرَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ \*  
وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿[الزلزلة: ٧-٨]، وَكَقَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ الْإِلَهِيِّ: «يَا عَبَادِي  
إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصَيْهَا لَكُمْ ثُمَّ أَوْفَيْكُمْ بِهَا»، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلِيُحْمَدَ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ  
غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ»<sup>(١)</sup>، وَهُوَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى  
رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ [الانشقاق: ٦].

وَلَا يُغْتَرَّ بِقَوْلِ كَثِيرٍ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ فِي لَفْظِ الْإِنْسَانِ فِي الْقُرْآنِ، الْإِنْسَانُ هَا هُنَا أَبُو  
جَهْلٍ، وَالْإِنْسَانُ هَا هُنَا عَقَبَةُ ابْنِ أَبِي مَعِيْطٍ، وَالْإِنْسَانُ هَا هُنَا الْوَلِيدُ ابْنُ الْمُغَيْرَةِ، فَالْقُرْآنُ  
أَجَلَ مِنْ ذَلِكَ بَلْ الْإِنْسَانُ هُوَ الْإِنْسَانُ مِنْ حَيْثُ هُوَ مِنْ غَيْرِ اخْتِصَاصٍ بِوَاحِدٍ بِعَيْنِهِ  
كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ [العصر: ٢]، وَ ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ ﴿  
[العاديات: ٦]، وَ ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ [المعارج: ١٩]، وَ ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْطَعَى﴾ \* أَنْ  
رَأَهُ اسْتَعْنَى ﴿[العلق: ٦-٧]، وَ ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، وَ ﴿وَحَمَلَهَا  
الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢].

(١) أخرجه مسلم: (٢٥٧٧) عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مطولاً.

فَهَذَا شَأْنُ الْإِنْسَانِ مِنْ حَيْثُ ذَاتَهُ وَنَفْسُهُ وَخُرُوجُهُ عَنِ هَذِهِ الصِّفَاتِ بِفَضْلِ رَبِّهِ وَتَوْفِيقِهِ لَهُ وَمَنْتَهُ عَلَيْهِ لَا مِنْ ذَاتِهِ، فَلَيْسَ لَهُ مِنْ ذَاتِهِ إِلَّا هَذِهِ الصِّفَاتُ، وَمَا بِهِ مِنْ نِعْمَةٍ فَمَنْ اللَّهُ وَحْدَهُ فَهُوَ الَّذِي حَبَّبَ إِلَى عَبْدِهِ الْإِيْمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قَلْبِهِ، وَكَرِهَ إِلَيْهِ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ، وَهُوَ الَّذِي كَتَبَ فِي قَلْبِهِ الْإِيْمَانَ، وَهُوَ الَّذِي ثَبَّتَ أَنْبِيَاءَهُ وَرُسُلَهُ وَأَوْلِيَاءَهُ عَلَى دِينِهِ، وَهُوَ الَّذِي يَصْرِفُ عَنْهُمْ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ، وَكَانَ يُخَدِّي بَيْنَ يَدَيْهِ النَّبِيَّ ﷺ:

وَاللَّهُ لَوْلَا اللَّهُ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَقْنَا وَلَا صَلِينَا<sup>(١)</sup>

وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٠٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [المدثر: ٥٦]، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩]، فَهُوَ رَبُّ جَمِيعِ الْعَالَمِ رَبُّوبِيَّةً شَامِلَةً لَجَمِيعِ مَا فِي الْعَالَمِ مِنْ ذَوَاتٍ<sup>(٢)</sup> وَأَفْعَالٍ وَأَحْوَالٍ.

وَقَالَتْ طَائِفَةٌ: الْآيَةُ إِخْبَارٌ عَنِ شَرَعٍ مِنْ قَبْلِنَا، وَقَدْ دَلَّ شَرَعُنَا عَلَى أَنَّ لَهُ مَا سَعَى وَمَا سَعَى لَهُ، وَهَذَا أَيْضًا أَضْعَفُ مِنَ الْأَوَّلِ أَوْ مِنْ جِنْسِهِ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَخْبَرَ بِذَلِكَ إِخْبَارًا مُقَرَّرًا لَهُ مُحْتَجٌّ بِهِ لَا أَخْبَارًا مُبْطَلًا لَهُ، وَهَذَا قَالَ: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى﴾ [النجم: ٣٦]، فَلَوْ كَانَ هَذَا بَاطِلًا فِي هَذِهِ الشَّرِيعَةِ لَمْ يَخْبُرْ بِهِ أَخْبَارًا مُقَرَّرًا لَهُ مُحْتَجٌّ بِهِ.

<sup>(١)</sup> قائل هذا البيت -وبعده أبيات- هو عامر بن الأكوع وكان يحدو بها في غزوة خيبر كما في "صحيح البخاري": (٤١٩٦) ومسلم: (٤٦٦٨/١٨٠٢)، وقد كان النبي ﷺ يتمثل بها يوم الخندق كما في "صحيح البخاري": (٤١٠٤) ومسلم: (١٨٠٣) عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

<sup>(٢)</sup> في الأصل (من دواب) وما أثبتناه من (ش) و(ف) أحسن حتى يقابل الأفعال والأحوال.

وَقَالَتْ طَائِفَةٌ: اللَّامُ بِمَعْنَى عَلَى، أَي: وَلَيْسَ عَلَى الْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى، وَهَذَا أَبْطَلُ مِنَ الْقَوْلَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ؛ فَإِنَّهُ قَلْبُ مَوْضُوعِ الْكَلَامِ إِلَى ضِدِّ مَعْنَاهُ الْمَفْهُومِ مِنْهُ، وَلَا يَسُوغُ مِثْلَ هَذَا، وَلَا تَحْتَمِلُهُ اللَّغَةُ، وَأَمَّا نَحْوُ: ﴿وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾ [غافر: ٥٢] فَهِيَ عَلَى بَابِهَا، أَي: هِيَ نَصِيْبُهُمْ وَحِظُهُمْ، وَأَمَّا أَنْ الْعَرَبَ تَعْرِفُ فِي لُغَاتِهَا: لِي دِرْهَمٌ، بِمَعْنَى: عَلَيَّ دِرْهَمٌ فَكَلَامًا.

وَقَالَتْ طَائِفَةٌ: فِي الْكَلَامِ حَذْفُ تَقْدِيرِهِ: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم: ٣٩]، أَوْ سَعَى لَهُ، وَهَذَا أَيْضًا مِنَ النَّمَطِ الْأَوَّلِ فَإِنَّهُ حَذْفُ مَا لَا يَدُلُّ السِّيَاقُ عَلَيْهِ بِوَجْهِ، وَقَوْلُ عَلَى اللَّهِ وَكِتَابَهُ بِلَا عِلْمٍ.

وَقَالَتْ طَائِفَةٌ أُخْرَى: الْآيَةُ مَنْسُوخَةٌ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَأَتْبَعْنَاهُمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ بِإِيمَانٍ الْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ [الطور: ٢١]<sup>(١)</sup>، وَهَذَا مَنْقُولٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه<sup>(٢)</sup>، وَهَذَا ضَعِيفٌ أَيْضًا. وَلَا يُرْفَعُ حُكْمُ الْآيَةِ بِمَجْرَدِ قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه وَلَا غَيْرِهِ: إِنَّهَا مَنْسُوخَةٌ.

وَالْجَمِيعُ بَيْنَ الْآيَتَيْنِ غَيْرُ مُتَعَدِّرٍ، وَلَا مُتَمَتِّعٍ فَإِنَّ الْأَبْنََاءَ تَبَعُوا الْآبَاءَ فِي الْآخِرَةِ كَمَا كَانُوا تَبَعًا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَهَذِهِ التَّبَعِيَّةُ هِيَ مِنْ كَرَامَةِ الْآبَاءِ وَثَوَابِهِمُ الَّذِي نَالُوهُ بِسَعِيهِمْ، وَأَمَّا كَوْنُ الْأَبْنََاءِ لِحَقْوَاهُمْ فِي الدَّرَجَةِ بِلَا سَعْيٍ مِنْهُمْ، فَهَذَا لَيْسَ هُوَ لَهُمْ وَإِنَّمَا هُوَ لِلْآبَاءِ

(١) كذا وردت هذه الآية على قراءة أبي عمرو - من السبعة - وكانت هذه القراءة هي السائدة في الشام في زمن المؤلف، وقد تقدم التنبيه على مثل هذا.

(٢) **(ضعيف)** أخرجه ابن جرير: (٧٤/٢٧)، وأبو جعفر النحاس في "الناسخ والمنسوخ": (٣/٣٦) من طريق عبدالله بن صالح قال: حدثني معاوية بن صالح قال: حدثني علي بن أبي طلحة عن ابن عباس به. وهذا إسناد ضعيف لضعف عبدالله بن صالح، وللانقطاع بين علي بن أبي طلحة وابن عباس.

أقرَّ الله أعينهم بإلحاق ذُرِّيَّتِهِمْ بِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، وتفضل على الأبناء بِشَيْءٍ لم يكن هُمْ كَمَا تفضل بذلك على الوَالِدَانِ والخور العين والخلق الذين ينشئهم للجنة بِغَيْرِ أَعْمَالٍ<sup>(١)</sup>، وَالْقَوْمَ الَّذِينَ يَدْخُلُهُمُ الْجَنَّةُ بِلا خَيْرِ قَدَمُوهُ وَلَا عَمَلٍ عَمَلُوهُ<sup>(٢)</sup>.

فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [النجم: ٣٨]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم: ٣٩]، آيتان محكمتان يقتضيهما عدل الرب تَعَالَى وحكمته، وكَمَالُهُ الْمُقَدَّسُ وَالْعَقْلُ وَالْفِطْرَةُ شَاهِدَانِ بِهِمَا. فَالْأُولَى تَقْتَضِي أَنَّهُ لَا يُعَاقَبُ بِجَرْمِ غَيْرِهِ، وَالثَّانِيَةُ تَقْتَضِي أَنَّهُ لَا يَفْلَحُ إِلَّا بِعَمَلِهِ وَسَعْيِهِ، فَالْأُولَى تَوْمِّنُ الْعَبْدَ مِنْ أَخْذِهِ بِجَرِيرَةٍ غَيْرِهِ<sup>(٣)</sup> كَمَا يَفْعَلُهُ مُلُوكُ الدُّنْيَا، وَالثَّانِيَةُ تَقْطَعُ طَمَعَهُ مِنْ نَجَاتِهِ<sup>(٤)</sup> بِعَمَلِ آبَائِهِ وَسَلْفِهِ وَمَشَايخِهِ كَمَا عَلَيْهِ أَصْحَابُ الطَّمَعِ الْكَاذِبِ، فَتَأْمَلُ حَسَنَ اجْتِمَاعِ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ.

وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، فَحُكْمُ سُبْحَانَهُ لِعِبَادِهِ بِأَرْبَعَةِ أَحْكَامٍ هِيَ غَايَةُ الْعَدْلِ وَالْحِكْمَةِ:

- أحدها: أَنْ هُدِيَ الْعَبْدُ لِلْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ لِنَفْسِهِ لَا لِغَيْرِهِ.
- الثَّانِي: أَنْ ضَلَّاهُ بِقَوَاتِ ذَلِكَ وَتَخَلَّفَهُ عَنْهُ عَلَى نَفْسِهِ لَا عَلَى غَيْرِهِ.
- الثَّالِث: أَنْ أَحَدًا لَا يُؤَاخِذُ بِجَرِيرَةِ غَيْرِهِ.

(١) أخرجه البخاري: (٤٨٥٠) ومسلم: (٧١٧٥ / ٢٨٤٦) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأخرجه البخاري: (٧٣٨٤) ومسلم: (٧١٧٩ / ٢٨٤٨) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري: (٧٤٣٩) ومسلم: (١٨٣) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) الجريرة: هي الجناية والذنب، النهاية (جرر).

(٤) في الاصل (لحاقه) والمثبت من (ش) و(ف).



الرَّابِع: أَنَّهُ لَا يَعْذِبُ أَحَدًا إِلَّا بَعْدَ إِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ بِرُسُلِهِ.  
 فتأمل مَا فِي ضَمَنِ هَذِهِ الْأَحْكَامِ الْأَرْبَعَةِ مِنْ حِكْمَتِهِ تَعَالَى وَعَدْلِهِ وَفَضْلِهِ، وَالرَّدَّ  
 عَلَى أَهْلِ الْغُرُورِ وَالْأَطْمَاعِ الْكَاذِبَةِ، وَعَلَى أَهْلِ الْجَهْلِ بِاللَّهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ.  
 وَقَالَتْ طَائِفَةٌ أُخْرَى: الْمُرَادُ بِالْإِنْسَانِ هَا هُنَا الْحَيِّ دُونَ الْمَيِّتِ، وَهَذَا أَيْضًا مِنَ النَّمْطِ  
 الْأَوَّلِ فِي الْفَسَادِ، وَهَذَا كُلُّهُ مِنْ سُوءِ التَّصَرُّفِ فِي اللَّفْظِ الْعَامِّ، وَصَاحِبِ هَذَا التَّصَرُّفِ  
 لَا يَنْفِذُ تَصْرُفَهُ فِي دَلَالَاتِ الْإِلْفَازِ وَحَمَلِهَا عَلَى خِلَافِ مَوْضُوعِهَا، وَمَا يَتْبَادَرُ إِلَى الذَّهْنِ  
 مِنْهَا وَهُوَ تَصْرُفُ فَاسِدٍ قِطْعًا يُبْطِلُهُ السِّيَاقُ وَالْإِعْتِبَارُ، وَقَوَاعِدُ الشَّرْعِ وَأَدْلَتُهُ وَعَرَفَهُ  
 وَسَبَبَ هَذَا التَّصَرُّفِ السَّيِّئِ أَنَّ صَاحِبَهُ يُعْتَقِدُ قَوْلًا ثُمَّ يَرُدُّ كُلَّ مَا دَلَّ عَلَى خِلَافِهِ بِأَيِّ  
 طَرِيقٍ اتَّفَقَتْ لَهُ، فَالْأَدْلَةُ الْمُخَالَفَةُ لِمَا اعْتَقَدَهُ عِنْدَهُ مِنْ بَابِ الصَّائِلِ لَا يُبَالِي بِأَيِّ شَيْءٍ  
 دَفَعَهُ، وَأَدْلَةُ الْحَقِّ لَا تَتَعَارَضُ وَلَا تَتَنَاقِضُ بَلْ يَصْدُقُ بَعْضُهَا بَعْضًا.

وَقَالَتْ طَائِفَةٌ أُخْرَى: وَهُوَ جَوَابُ أَبِي الْوَفَاءِ بْنِ عَقِيلٍ<sup>(١)</sup> قَالَ: الْجَوَابُ الْجَيِّدُ عِنْدِي  
 إِنْ يُقَالُ لِلْإِنْسَانِ بِسَعِيهِ وَحَسَنِ عَشْرَتِهِ اِكْتَسَبَ الْأَصْدِقَاءَ، وَأَوْلَدَ الْأَوْلَادَ، وَنَكَحَ  
 الْأَزْوَاجَ، وَأَسَدَى الْحَيْرَ، وَتَوَدَّدَ إِلَى النَّاسِ فَتَرَحَّمُوا عَلَيْهِ وَأَهْدُوا لَهُ الْعِبَادَاتِ، وَكَانَ  
 ذَلِكَ أَثْرَ سَعِيهِ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ أَطْيَبَ مَا أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ، وَإِنْ وُلِدَهُ مِنْ  
 كَسْبِهِ»<sup>(٢)</sup>. وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ فِي الْحَدِيثِ الْآخَرَ: «إِذَا مَاتَ الْعَبْدُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ

<sup>(١)</sup> هو أبو الوفاء علي بن محمد بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي الظفري شيخ الحنابلة عيب عليه مجالسته لبعض  
 المعتزلة، توفي سنة: (٥١٣) انظر "سير أعلام النبلاء": (١٩/٤٤٣).

<sup>(٢)</sup> (حسن) هذا الحديث اختُلف في إسناده اختلافاً كثيراً بينه الدارقطني في "العلل": (١٤/٢٥٠-٢٥٥)،  
 وقد بين رحمه الله، أصح طرقه حيث قال: ( وروى الحديث منصور بن المعتمر، فحفظ إسناده، رواه عن

ثلاث: علم ينتفع به من بعده، وصدق جارية، وولد صالح يدعو له<sup>(١)</sup>. ومن هنا قال الشافعي: إذا بذل له ولده طاعة الحج كان ذلك سبباً لوجوب الحج عليه حتى كأنه في ماله زاد وراحلة بخلاف بذل الأجنبي.

وهذا جواب متوسط يحتاج إلى تمام فإن العبد بإيمانه وطاعته لله ورسوله قد سعى في انتفاعه بعمل إخوانه المؤمنين مع عمله كما ينتفع بعملهم في الحياة الدنيا مع عمله، فإن المؤمنين ينتفع بعضهم بعمل بعض في الأعمال التي يشتركون فيها كالصلاة في جماعة، فإن كل واحد منهم تضاعف صلاته إلى سبع وعشرين ضعفاً لمشاركة غيره له في الصلاة فعمل غيره كان سبباً لزيادة أجره كما أن عمله سبب لزيادة أجر الآخر، بل قد قيل: إن الصلاة يُضاعف ثوابها بعدد المصلين<sup>(٢)</sup>، وكذلك اشتراكهم في الجهاد

إبراهيم، عن عمارة بن عمير، عن عمته، عن عائشة، عن النبي ﷺ.... ثم قال بعد أسطر: والصحيح حديث منصور، عن إبراهيم، عن عمارة، عن عمته، عن عائشة.

قلت: من هذه الطريق التي أشار إليها الدارقطني أخرجه أحمد: (٣١/٦)، وأبو داود: (٣٥٢٨)، ومن طريقه البيهقي في «الكبرى» (٤٧٩/٧) من طريق منصور عن إبراهيم به، وهذا إسناد رجاله ثقات إلا عمارة بن عمير فلم أقف لها على ترجمة، ولم يترجم لها صاحب التهذيبين مع أنها على شرطهما إذ أخرج لها أبو داود. وللحديث شاهد عن عبدالله بن عمرو أخرجه أحمد: (١٧٩/٢)، وأبو داود: (٣٥٣٠)، وابن ماجه (٢٢٩٢) من طرق عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه، قال: أتى أعرابي رسول الله ﷺ، فقال: إن أبي يريد أن يمتاح مالي؟ قال: «أنت ومالك لوالدك، إن أطيب ما أكلتم من كسبكم، وإن أموال أولادكم من كسبكم، فكلوه هنيئاً». هذا لفظ أحمد وإسناده حسن، وهو شاهد لحديث عائشة والحمد لله رب العالمين.

<sup>(١)</sup> أخرجه مسلم: (١٦٣١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ولفظه: «إذا مات الإنسان».

<sup>(٢)</sup> يدل على هذا ما أخرجه أبو داود: (٥٥٤)، والنسائي: (٨٤٣) عن أبي بن كعب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «إن صلاة الرجل مع الرجل أزكى من صلاة الرجل وحده، وإن صلاته مع الرجلين أزكى من صلاته

وَالْحَجَّ وَالْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالتَّعَاوُنَ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبَنِيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُمُ بَعْضًا»، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ<sup>(١)</sup>، وَمَعْلُومٌ أَنَّ هَذَا بِأُمُورِ الدِّينِ أَوْلَى مِنْهُ بِأُمُورِ الدُّنْيَا.

فدخول المسلم مع جملة المسلمين في عقد الإسلام من أعظم الأسباب في وصول نفع كل من المسلمين إلى صاحبه في حياته وبعد مماته ودعوة المسلمين تحيط من ورائهم، وقد أخبر الله سبحانه عن حملة العرش ومن حوله أنهم يستغفرون للمؤمنين ويدعون لهم، وأخبر عن دعاء رسله واستغفارهم للمؤمنين كنوح وإبراهيم ومحمد ع، فالعبد بإيمانه قد تسبب إلى وصول هذا الدعاء إليه فكأنه من سعيه.

يوضحه أن الله سبحانه جعل الإيمان سبباً لانتفاع صاحبه بدعاء إخوانه من المؤمنين وسعيهم، فإذا أتى به فقد سعى في السبب الذي يوصل إليه ذلك، وقد دل على ذلك قول النبي ﷺ لعمر بن العاص: «إِنَّ أَبَاكَ لَوْ كَانَ أَقْرَبَ بِالتَّوْحِيدِ نَفَعَهُ ذَلِكَ»<sup>(٢)</sup>.  
يعنى: العتق الذي فعل عنه بعد موته فلو أتى بالسبب لكان قد سعى في عمل يوصل إليه ثواب العتق، فهذه طريقة لطيفة حسنة جداً.

وقالت طائفة أخرى: القرآن لم ينف انتفاع الرجل بسعي غيره وإنما نفى ملكه لغير سعيه، وبين الأمرين من الفرق ما لا يخفي فأخبر تعالى أنه لا يملك إلا سعيه وأما سعى

مَعَ الرَّجُلِ، وَمَا كَثُرَ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَهُوَ حَدِيثٌ حَسَنٌ بِشَوَاهِدِهِ، وَقَدْ صَحَّحَهُ الْأَثَمَةُ، انظُرِ «التلخيص الحبير»: (٥٥ / ٢).

<sup>(١)</sup> أخرجه البخاري: (٢٤٤٦) ومسلم: (٢٥٨٥) عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

<sup>(٢)</sup> (حسن): تقدم في هذه المسألة ص ( ).

غَيْرِهِ فَهُوَ مَلِكٌ لِسَاعِيهِ فَإِنْ شَاءَ أَنْ يَبْذُلَهُ لِغَيْرِهِ وَإِنْ شَاءَ أَنْ يَبْقِيَهُ لِنَفْسِهِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَقُلْ لَا يَنْتَفِعُ إِلَّا بِهَا سَعَى، وَكَانَ شَيْخَنَا يَخْتَارُ هَذِهِ الطَّرِيقَةَ وَيَرْجِحُهَا<sup>(١)</sup>.

### فصل

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يس: ٥٤].

عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ أَصْرَحُ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ سِيَاقَهَا إِنَّمَا يَنْفِي عُقُوبَةَ الْعَبْدِ بِعَمَلِ غَيْرِهِ وَأَخْذَهُ بِجَرِيرَتِهِ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَالَ: ﴿قَالِيَوْمَ لَا تُظَلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يس: ٥٤]، فَنفَى أَنْ يَظْلَمَ بِأَنْ يُزَادَ عَلَيْهِ فِي سَيِّئَاتِهِ أَوْ يَنْقُصَ مِنْ حَسَنَاتِهِ أَوْ يُعَاقَبَ بِعَمَلِ غَيْرِهِ، وَلَمْ يَنْفِ أَنْ يَنْتَفِعَ بِعَمَلِ غَيْرِهِ لَا عَلَى وَجْهِ الْجَزَاءِ، فَإِنْ انْتَفَاعَهُ بِهَا يُهْدِي إِلَيْهِ لَيْسَ جَزَاءً عَلَى عَمَلِهِ وَإِنَّمَا هُوَ صَدَقَةٌ تَصَدَّقُ اللَّهُ بِهَا عَلَيْهِ وَتَفْضُلٌ بِهَا عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ سَعَى مِنْهُ، بَلْ وَهَبَهُ ذَلِكَ عَلَى يَدِ بَعْضِ عِبَادِهِ لَا عَلَى وَجْهِ الْجَزَاءِ.

### فصل

وَأَمَّا اسْتِدْلَالُكُمْ بِقَوْلِهِ ﷺ: «إِذَا مَاتَ الْعَبْدُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ». فَاسْتِدْلَالٌ سَاقِطٌ، فَإِنَّهُ ﷺ لَمْ يَقُلْ انْقَطَعَ انْتِفَاعُهُ وَإِنَّمَا أَخْبَرَ عَنِ انْقِطَاعِ عَمَلِهِ، وَأَمَّا عَمَلُ غَيْرِهِ فَهُوَ لِعَامِلِهِ فَإِنْ وَهَبَهُ [لَهُ] فَقَدْ وَصَلَ إِلَيْهِ ثَوَابُ عَمَلِ الْعَامِلِ لَا ثَوَابُ عَمَلِهِ هُوَ، فَالْمَنْقَطَعُ شَيْءٌ وَالْوَاصِلُ إِلَيْهِ شَيْءٌ آخَرُ، وَكَذَلِكَ الْحَدِيثُ الْآخَرُ وَهُوَ قَوْلُهُ: «إِنْ مِمَّا يُلْحَقُ الْمَيِّتَ مِنْ حَسَنَاتِهِ وَعَمَلِهِ»<sup>(٢)</sup>، فَلَا يَنْفِي أَنْ يُلْحَقَهُ غَيْرَ ذَلِكَ مِنْ عَمَلِ غَيْرِهِ وَحَسَنَاتِهِ.

(١) انظر «مجموع الفتاوى»: (٣١٢/٢٤) و (١٤٣/١٨).

(٢) (حسن) تقدم ص ( ).

## فصل

وَأَمَّا قَوْلُكُمْ: الإِهْدَاءُ حَوَالَةَ، وَالْحَوَالَةَ إِنَّمَا تَكُونُ بِحَقِّ لَازِمٍ، فَهَذِهِ حَوَالَةُ الْمَخْلُوقِ عَلَى الْمَخْلُوقِ، وَأَمَّا حَوَالَةَ الْمَخْلُوقِ عَلَى الْخَالِقِ فَأَمْرٌ آخِرٌ فَلَا يَصِحُّ قِيَاسُهَا عَلَى حَوَالَةِ الْعَبِيدِ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَهَلْ هَذَا إِلَّا مِنْ أَبْطَلِ الْقِيَاسِ وَأَفْسَدِهِ، وَالَّذِي يُبْطِلُهُ إِجْمَاعُ الْأُمَّةِ عَلَى انْتِفَاعِهِ بِأَدَاءِ دِينِهِ وَمَا عَلَيْهِ مِنَ الْحَقُوقِ وَإِبْرَاءِ الْمُسْتَحَقِّ لِدَمَتِهِ، وَالصَّدَقَةَ وَالْحَجَّ عَنْهُ بِالنَّصِّ الَّذِي لَا سَبِيلَ إِلَى رَدِّهِ وَدَفْعِهِ وَكَذَلِكَ الصَّوْمِ، فَهَذِهِ الْأَقْيَسَةُ الْفَاسِدَةُ لَا تَعَارِضُ نُصُوصَ الشَّرْعِ وَقَوَاعِدِهِ.

## فصل

وَأَمَّا قَوْلُكُمْ: الْإِيثَارُ بِسَبَبِ الثَّوَابِ مَكْرُوهٌ، وَهُوَ مَسْأَلَةُ الْإِيثَارِ بِالْقُرْبِ.  
كَيْفَ الْإِيثَارُ الثَّوَابِ بِنَفْسِ الَّذِي هُوَ الْغَايَةُ فَقَدْ أُجِيبَ عَنْهُ بِأَجُوبَةٍ:  
أَحَدُهَا: أَنْ حَالِ الْحَيَاةِ حَالٌ لَا يُوَثِّقُ فِيهَا بِسَلَامَةِ الْعَاقِبَةِ لِحَوَازِ أَنْ يَرْتَدَّ الْحَيِّ فَيَكُونُ قَدْ آثَرَ بِالْقُرْبَةِ غَيْرَ أَهْلِهَا وَهَذَا قَدْ أَمِنَ بِالْمَوْتِ.  
فَإِنْ قِيلَ: وَالْمُهْدَى إِلَيْهِ أَيْضًا قَدْ لَا يَكُونُ مَاتَ عَلَى الْإِسْلَامِ بَاطِنًا فَلَا يَنْتَفِعُ بِمَا يَهْدَى إِلَيْهِ، فَهَذَا سُؤَالٌ فِي غَايَةِ الْبَطْلَانِ فَإِنَّ الْإِهْدَاءَ لَهُ مِنْ جِنْسِ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ وَالْإِسْتِغْفَارَ لَهُ وَالِدَعَاءَ لَهُ، فَإِنْ كَانَ أَهْلًا وَإِلَّا انْتَفَعَ بِهِ الدَّاعِي وَحَدَهُ.  
الْجَوَابُ الثَّانِي: أَنَّ الْإِيثَارَ بِالْقُرْبِ يَدُلُّ عَلَى قَلَّةِ الرَّغْبَةِ فِيهَا وَالتَّأَخُّرِ عَنْ فِعْلِهَا، فَلَوْ سَاعَ الْإِيثَارُ بِهَا لِأَفْضَى إِلَى التَّقَاعِدِ عَنْهَا وَالتَّكَاثُلِ وَالتَّأَخُّرِ بِخِلَافِ إِبْدَاءِ ثَوَابِهَا، فَإِنَّ الْعَامِلَ يَحْرُسُ عَلَيْهَا لِأَجْلِ ثَوَابِهَا لِيَنْتَفِعَ بِهِ أَوْ يَنْفَعُ بِهِ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ فَبَيْنَهُمَا فَرْقٌ ظَاهِرٌ.  
الْجَوَابُ الثَّلَاثُ: أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَجِبُ الْمُبَادَرَةُ أَوْ الْمَسَارَعَةُ إِلَى خِدْمَتِهِ وَالتَّنَافُسِ فِيهَا فَإِنَّ ذَلِكَ أْبْلَغُ فِي الْعُبُودِيَّةِ، فَإِنَّ الْمُلُوكَ تَحِبُّ الْمَسَارَعَةَ وَالتَّنَافُسَ فِي طَاعَتِهَا

وَخَدَمَتَهَا، فَلَا يُثَارُ بِذَلِكَ مَنْفٌ لِمَقْصُودِ الْعُبُودِيَّةِ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَمَرَ عَبْدَهُ بِهَذِهِ الْقَرْبَةِ  
إِمَّا إِجْبَابًا وَإِمَّا اسْتِحْبَابًا، فَإِذَا آثَرَ بِهَا تَرَكَ مَا أَمَرَهُ وَوَلَاهُ غَيْرَهُ بِخِلَافِ مَا إِذَا فَعَلَ مَا أَمَرَ  
بِهِ طَاعَةً وَقَرْبَةً ثُمَّ أُرْسِلَ ثَوَابُهُ إِلَى أَخِيهِ الْمُسْلِمِ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ  
رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحديد: ٢١]، وَقَالَ: ﴿فَاسْتَبِقُوا

الْحَيْرَاتِ﴾ [البقرة: ١٤٨]، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْإِثَارَ بِهَا يُنَافِي الْإِسْتِبَاقَ إِلَيْهَا وَالْمَسَارِعَةَ.

وَقَدْ كَانَ الصَّحَابَةُ يُسَابِقُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِالْقُرْبِ وَلَا يُؤَثِّرُ الرَّجُلُ مِنْهُمْ غَيْرَهُ بِهَا،  
قَالَ عُمَرُ: وَاللَّهِ مَا سَابَقَنِي أَبُو بَكْرٍ إِلَى خَيْرٍ إِلَّا سَبَقَنِي إِلَيْهِ حَتَّى قَالَ: وَاللَّهِ لَا أَسَابِقُكَ إِلَى  
خَيْرٍ أَبَدًا<sup>(١)</sup>.

وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦]، يُقَالُ: نَافَسْتُ  
فِي الشَّيْءِ مُنَافَسَةً وَنَفَاسًا إِذَا رَغَبْتَ فِيهِ عَلَى وَجْهِ الْمُبَارَاةِ، وَمَنْ هَذَا قَوْلُهُمْ شَيْءٌ نَفِيسٌ  
أَيُّ: هُوَ أَهْلٌ أَنْ يَتَنَافَسَ فِيهِ وَيَرْغَبُ فِيهِ، وَهَذَا أَنْفُسٌ مَالِي أَيُّ: أَحَبُّهُ إِلَيَّ، وَأَنْفُسِي فَلَانٌ  
فِي كَذَا أَيُّ: أَرْغَبُنِي فِيهِ، وَهَذَا كُلُّهُ ضِدُّ الْإِثَارِ بِهِ وَالرَّغْبَةِ عَنْهُ.

## فصل

(١) هذا القول عن عمر جاء في حديثين :

الأول أخرجه أحمد: (١/ ٢٥-٢٦) فقال: حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عمر  
رضي الله عنه أنه قال: «والله ما سابقته إلى خير قط إلا سبقني إليه». في قصة تبشير ابن مسعود رضي الله عنه وإسناده  
صحيح.

الثاني: أخرجه أبو داود: (١٦٧٨) ، والترمذي: (٣٦٧٥) من طرق عن الفضل بن دكين حدثنا هشام بن  
سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: سمعت عمر - فذكره وفيه قصة الصدقة - ثم قال عمر: «قلت: لا  
أسابقك إلى شيء أبداً». ورجال إسناده ثقات إلا هشام بن سعد ففيه ضعف إلا أنه يروي الحديث عن زيد  
ابن أسلم، وقد قال أبو داود: هشام بن سعد أثبت الناس في زيد بن أسلم، فالحديث صحيح.

وَأَمَّا قَوْلُكُمْ: لَوْ سَأَغَ الْإِهْدَاءَ إِلَى الْمَيِّتِ لَسَأَغَ إِلَى الْحَيِّ.  
فَجَوَابُهُ مِنْ وَجْهَيْنِ:

أحدهما: أنه قد ذهب إلى ذلك بعض الفقهاء من أصحاب أحمد وغيرهم، قال القاضي: وكلام أحمد لا يقتضي التخصيص بالميت فإنه قال: يفعل الخير ويجعل نصفه لأبيه وأمه ولم يفرق.

وأعترض عليه أبو الوفاء بن عقيل وقال: هذا فيه بعد. وهو تلاعب بالشرع، وتصرف في أمانة الله، وإسجالاً على الله سبحانه بثواب على عمل ينقله إلى غيره، وبعد الموت قد جعل لنا طريقاً إلى إيصال النفع كالاستغفار والصلاة على الميت.

ثم أورد على نفسه سؤالاً وهو: فإن قيل أليس قضاء الدين وتحمل الكل<sup>(١)</sup> حال الحياة كقضائه بعد الموت فقد استوى ضمان الحياة وضمان الموت في أمهما يزيلان المطالبة عنه، فإذا وصل قضاء الديون بعد الموت وحال الحياة فاجعلوا ثواب الإهداء أصلاً حال الحياة وبعد الموت؟

وأجاب عنه: بأنه لو صح هذا وجب أن تكون الذنوب تكفر عن الحي بتوبة غيره عنه ويندفع عنه مآثم الآخرة بعمل غيره واستغفاره.

قلت: وهذا لا يلزم بل طرد ذلك انتفاع الحي بدعاء غيره له واستغفاره له وتصدقه عنه وقضاء ديونه وهذا حق، وقد أذن النبي ﷺ [في] أداء فريضة الحج عن الحي المعضوب<sup>(٢)</sup> والعاجز وهما حيّان.

(١) الكل: هو الثقل من كل ما يتكلف ويطلق على العيال. «النهاية» (كلل).

(٢) المعضوب هو الزمن الذي لا حراك به. «النهاية» (عضب).

وَقَدْ أَجَابَ غَيْرُهُ مِنَ الْأَصْحَابِ: بِأَنَّ حَالَ الْحَيَاةِ لَا نَتَقُ بِسَلَامَةِ الْعَاقِبَةِ خَوْفًا أَنْ يَرْتَدَّ الْمَهْدَى لَهُ فَلَا يَنْتَفَعُ بِمَا يَهْدَى إِلَيْهِ.

قَالَ ابْنُ عَقِيلٍ: وَهَذَا عَذْرٌ بَاطِلٌ بِإِهْدَاءِ هَذَا الْحَيِّ فَإِنَّهُ لَا يُؤْمِنُ أَنْ يَرْتَدَّ وَيَمُوتَ فَيَحْبِطُ عَمَلُهُ كُلَّهُ، وَمَنْ جَمَلَتْهُ ثَوَابٌ مَا أَهْدَى إِلَى الْمَيِّتِ.

قُلْتُ: هَذَا لَا يُلْزِمُهُمْ، وَمَوَارِدُ النَّصِّ وَالْإِجْمَاعِ تَبْطُلُهُ وَتَرُدُّهُ فَانِ النَّبِيِّ ﷺ أَذْنٌ فِي الْحَجِّ وَالصَّوْمِ عَنِ الْمَيِّتِ، وَأَجْمَعَ النَّاسُ عَلَى بَرَاءَةِ ذِمَّتِهِ مِنَ الدِّينِ إِذَا قَضَاهُ عَنْهُ الْحَيُّ مَعَ وجودِ مَا ذَكَرَ مِنَ الْإِحْتِمَالِ.

وَالْجَوَابُ أَنْ يُقَالَ: مَا أَهْدَاهُ مِنْ أَعْمَالِ الْبَرِّ إِلَى الْمَيِّتِ فَقَدْ صَارَ مَلَكًا لَهُ فَلَا يَبْطُلُ بِرَدِّهِ فَاعْلَمْ بَعْدَ خُرُوجِهِ عَنْ مَلِكِهِ كَتَصْرِفَاتِهِ الَّتِي تَصْرِفُهَا قَبْلَ الرَّدِّ مِنْ عَتَقٍ وَكَفَّارَةٍ، بَلْ لَوْ حَجَّ عَنْ مَعْضُوبٍ ثُمَّ ارْتَدَّ بَعْدَ ذَلِكَ لَمْ يُلْزَمِ الْمَعْضُوبُ أَنْ يُقِيمَ غَيْرَهُ يَحْجُّ عَنْهُ فَإِنَّهُ لَا يُؤْمِنُ فِي الثَّانِي وَالثَّلَاثِ ذَلِكَ.

عَلَى أَنَّ الْفَرْقَ بَيْنَ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ: أَنَّ الْحَيَّ لَيْسَ بِمُحْتَاجٍ كَحَاجَةِ الْمَيِّتِ إِذْ يُمَكِّنُهُ أَنْ يَبَاشِرَ ذَلِكَ الْعَمَلَ أَوْ نَظِيرَهُ فَعَلَيْهِ اكْتِسَابُ الثَّوَابِ بِنَفْسِهِ وَسَعِيهِ بِخِلَافِ الْمَيِّتِ.

وَأَيْضًا فَإِنَّهُ يُفْضِي إِلَى اتِّكَالِ بَعْضِ الْأَحْيَاءِ عَلَى بَعْضٍ وَهَذِهِ مَفْسَدَةٌ كَبِيرَةٌ فَإِنَّ أَرْبَابَ الْأَمْوَالِ إِذَا فَهَمُوا ذَلِكَ وَاسْتَشْعَرُوهُ اسْتَأْجَرُوا مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ عَنْهُمْ فَتَّصِيرُ الطَّاعَاتِ مَعَاوِضَاتٍ وَذَلِكَ يُفْضِي إِلَى إِسْقَاطِ الْعِبَادَاتِ وَالنَّوَافِلِ وَيَصِيرُ مَا يَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ يَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى الْآدَمِيِّينَ فَيُخْرِجُ عَنِ الْإِخْلَاصِ فَلَا يَحْصُلُ الثَّوَابُ لَوَاحِدٍ مِنْهُمَا، وَنَحْنُ نَمْنَعُ مِنْ أَخْذِ الْأَجْرَةِ عَلَى كُلِّ قَرَبَةٍ وَنَحْبِطُهَا بِأَخْذِ الْأَجْرِ عَلَيْهَا كَالْقَضَاءِ وَالْفَتْيَا وَتَعْلِيمِ الْعِلْمِ وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَغَيْرِهَا، فَلَا يَثِيبُ اللَّهُ عَلَيْهَا إِلَّا لِمَخْلَصٍ اخْتَلَصَ الْعَمَلُ لَوَجْهِهِ، فَإِذَا فَعَلَهُ لِلْأَجْرَةِ لَمْ يَثِيبْ عَلَيْهِ الْفَاعِلُ وَلَا الْمُسْتَأْجِرُ، فَلَا يَلِيقُ بِمُحَاسِنِ



الشَّرْعُ أَنْ يَجْعَلَ الْعِبَادَاتِ الْخَالِصَةَ لَهُ مَعَامَلَاتٍ يُقْصَدُ بِهَا الْمَعَاوِضَاتُ وَالْإِكْسَابُ الدُّنْيَوِيَّةَ وَفَارَقَ قَضَاءَ الدُّيُونِ وَضَمَانَهَا فَإِنَّمَا حُقُوقٌ لِلْأَدَمِيِّينَ يَنْبُؤُ بِبَعْضِهِمْ فِيهَا عَنْ بَعْضٍ، فَلِذَلِكَ جَازَتْ فِي الْحَيَاةِ وَبَعْدَ الْمَوْتِ.

### فصل

وَأَمَّا قَوْلُكُمْ: لَوْ سَاغَ ذَلِكَ لَسَاغَ إِهْدَاءُ نِصْفِ الثَّوَابِ وَرَبْعَهُ إِلَى الْمَيِّتِ، فَالْجَوَابُ مِنْ وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: مَنَعَ الْمُلَازِمَةَ، فَإِنَّكُمْ لَمْ تَذْكُرُوا عَلَيْهَا دَلِيلًا إِلَّا مُجَرَّدَ الدَّعْوَى.  
الثَّانِي: التَّرَامُ ذَلِكَ، وَالْقَوْلُ بِهِ نَصٌّ عَلَيْهِ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي رِوَايَةِ مُحَمَّدَ بْنَ يَحْيَى الْكِحَالِ، وَوَجْهٌ هَذَا أَنَّ الثَّوَابَ مَلِكٌ لَهُ فَلَهُ أَنْ يَهْدِيَهُ جَمِيعَهُ وَلَهُ أَنْ يَهْدِي بَعْضَهُ يُوضِّحُهُ أَنَّهُ لَوْ أَهْدَاهُ إِلَى أَرْبَعَةٍ، مَثَلًا يَحْصُلُ لِكُلِّ مِنْهُمْ رُبْعُهُ فَإِذَا أَهْدَى الرَّبِيعَ [وَأَبْقَى لِنَفْسِهِ الْبَاقِي جَازَ كَمَا لَوْ أَهْدَاهُ إِلَى غَيْرِهِ.

### فصل

وَأَمَّا قَوْلُكُمْ: لَوْ سَاغَ ذَلِكَ لَسَاغَ إِهْدَاؤُهُ بَعْدَ أَنْ يَعْمَلَهُ لِنَفْسِهِ، وَقَدْ قُلْتُمْ: أَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَنْوِي حَالَ الْفِعْلِ إِهْدَاءَهُ إِلَى الْمَيِّتِ وَإِلَّا لَمْ يَصِلْ.

فَالْجَوَابُ: أَنَّ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ غَيْرَ مَنْصُوصَةَ عَنْ أَحْمَدَ وَلَا هَذَا الشَّرْطُ فِي كَلَامِ الْمُتَقَدِّمِينَ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَإِنَّمَا ذَكَرَهُ الْمُتَأَخَّرُونَ كَالْقَاضِي وَأَتْبَاعِهِ.

قَالَ ابْنُ عَقِيلٍ: إِذَا فَعَلَ طَاعَةَ مِنْ صَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَقِرَاءَةِ قُرْآنٍ وَأَهْدَاهَا بِأَنْ جَعَلَ ثَوَابَهَا لِلْمَيِّتِ الْمُسْلِمِ فَإِنَّهُ يَصِلُ إِلَيْهِ ذَلِكَ وَيَنْفَعُهُ بِشَرْطٍ: أَنْ تَتَقَدَّمَ نِيَّةُ الْهَدْيَةِ عَلَى الطَّاعَةِ أَوْ تَقَارَنَاهَا.

وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمْدَانَ فِي رِعَايَتِهِ<sup>(١)</sup>: وَمَنْ تَطَوَّعَ بِقَرْبَةٍ مِنْ صَدَقَةٍ وَصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَحَجٍّ وَعَمْرَةٍ وَقِرَاءَةٍ وَعَتَقٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ عِبَادَةٍ بَدَنِيَّةٍ تَدْخُلُهَا النَّيَابَةُ أَوْ عِبَادَةٍ مَالِيَّةٍ وَجَعَلَ جَمِيعَ ثَوَابِهَا أَوْ بَعْضَهُ لَمَيِّتٍ مُسْلِمٍ حَتَّى النَّبِيِّ ﷺ وَدَعَا لَهُ أَوْ اسْتَغْفَرَ لَهُ أَوْ قَضَى مَا عَلَيْهِ مِنْ حَقِّ شَرْعِيٍّ أَوْ وَاجِبٍ تَدْخُلُهُ النَّيَابَةُ نَفَعَهُ ذَلِكَ وَوَصَلَ إِلَيْهِ أَجْرَهُ، وَقِيلَ: إِنْ نَوَاهُ حَالَ فَعَلِهِ أَوْ قَبْلَهُ وَصَلَ إِلَيْهِ وَإِلَّا فَلَا.

وسر المسألة: أَنْ شَرَطَ<sup>(٢)</sup> حُصُولَ الثَّوَابِ أَنْ يَقَعَ لِمَنْ أُهْدِيَ لَهُ أَوْ لَأَخِي، أَوْ يَجُوزُ أَنْ يَقَعَ لِلْعَامِلِ ثُمَّ يَنْتَقِلَ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ، فَمَنْ شَرَطَ أَنْ يَنْوَى قَبْلَ الْفِعْلِ أَوْ الْفِرَاقِ مِنْهُ وَوُصُولِهِ، قَالَ: لَوْ لَمْ يَنْوِهِ وَقَعَ الثَّوَابُ لِلْعَامِلِ، وَلَا يَقْبَلُ انْتِقَالَهُ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ، فَإِنَّ الثَّوَابَ يَتَرْتَّبُ عَلَى الْعَمَلِ تَرْتَّبُ الْأَثَرُ عَلَى مُؤَثِّرِهِ، وَهَذَا لَوْ أَعْتَقَ عَبْدًا عَنْ نَفْسِهِ كَانَ وَلَاؤُهُ لَهُ فَلَوْ نَقَلَ وَلَاءَهُ إِلَى غَيْرِهِ بَعْدَ الْعَتَقِ لَمْ يَنْتَقِلْ بِخِلَافِ مَا لَوْ أَعْتَقَهُ عَنِ الْغَيْرِ فَإِنَّ وِلَاةَهُ يَكُونُ لِلْمُعْتَقِ عَنْهُ، وَكَذَلِكَ لَوْ أَدَّى دِينَاً عَنِ نَفْسِهِ ثُمَّ أَرَادَ بَعْدَ الْأَدَاءِ أَنْ يَجْعَلَهُ عَنِ غَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَكَذَلِكَ لَوْ حَجَّ أَوْ صَامَ أَوْ صَلَّى لِنَفْسِهِ ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ أَرَادَ أَنْ يَجْعَلَ ذَلِكَ عَنِ غَيْرِهِ لَمْ يَمْلِكْ ذَلِكَ.

وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ أَنَّ الَّذِينَ سَأَلُوا النَّبِيَّ ﷺ عَنِ ذَلِكَ لَمْ يَسْأَلُوهُ عَنِ إِهْدَاءِ ثَوَابِ الْعَمَلِ بَعْدَهُ وَإِنَّمَا سَأَلُوهُ عَمَّا يَفْعَلُونَهُ عَنِ الْمَيِّتِ كَمَا قَالَ سَعْدٌ: أَيَنْفَعُهَا إِنْ تَصَدَّقْتَ عَنْهَا؟ وَلَمْ يَقُلْ: أَنْ أُهْدِيَ لَهَا ثَوَابٌ مَا تَصَدَّقْتَ بِهِ عَنِ نَفْسِي، وَكَذَلِكَ قَوْلُ الْمَرْأَةِ الْأُخْرَى: أَفَأَحْجُ

(١) هو أحمد بن حمدان بن شبيب بن حمدان النمري الحراني أبو عبدالله بن أبي الثناء نزيل القاهرة توفي سنة (٦٩٥)، وصنف تصانيف كثيرة منها «الرعاية الصغرى» في الفقه، «والرعاية الكبرى»، وفيها نقول كثيرة جداً لكنها غير محررة، قاله ابن رجب في «ذيل طبقات الحنابلة»: (٤/ ٣٣١).

(٢) في الأصل (أن أو ان شرط) وما أثبتناه من (ش) و(ف).

عَنْهَا؟ وَقَوْلُ الرَّجُلِ الْآخَرِ: أَفَأَحْجَ عَنْ أَبِي؟ فَأَجَابَهُمُ بِالْإِذْنِ فِي الْفِعْلِ عَنِ الْمَيِّتِ، لَا بِإِهْدَاءِ ثَوَابِ مَا عَمَلُوهُ لِأَنْفُسِهِمْ إِلَى مَوْتَاهُمْ، فَهَذَا لَا يَعْرِفُ أَنَّهُ صَلَّى سُئِلَ عَنْهُ قَطٌّ وَلَا يَعْرِفُ عَنْ أَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ أَنَّهُ فَعَلَهُ وَقَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِفُلَانٍ ثَوَابَ عَمَلِي الْمَتَّقِمِ أَوْ ثَوَابِ مَا عَمَلْتَهُ لِنَفْسِي.

فَهَذَا سِرُّ الْإِشْتِرَاطِ وَهُوَ أَفْقَهُ، وَمَنْ لَمْ يَشْتَرِطْ ذَلِكَ يَقُولُ: الثَّوَابُ لِلْعَامِلِ فَإِذَا تَبَرَّعَ بِهِ وَأَهْدَاهُ إِلَى غَيْرِهِ كَانَ بِمَنْزِلَةِ مَا يَهْدِيهِ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ.

### فصل

وَأَمَّا قَوْلُكُمْ: لَوْ سَاغَ الْإِهْدَاءُ لَسَاغَ إِهْدَاءُ ثَوَابِ الْوَاجِبَاتِ الَّتِي تَجِبُ عَلَى الْحَيِّ. فَالْجَوَابُ: أَنَّ هَذَا الْإِلْزَامَ مَحَالٌ عَلَى أَصْلِ مَنْ شَرَطَ فِي الْوُصُولِ نِيَّةَ الْفِعْلِ عَنِ الْمَيِّتِ، فَإِنَّ الْوَاجِبَ لَا يَصِحُّ أَنْ يَفْعَلَهُ عَنِ الْغَيْرِ، فَإِنَّ هَذَا وَاجِبٌ عَلَى الْفَاعِلِ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَنْوِي بِهِ الْقُرْبَةَ إِلَى اللَّهِ. وَأَمَّا مَنْ لَمْ يَشْتَرِطْ نِيَّةَ الْفِعْلِ عَنِ الْغَيْرِ فَهَلْ يَسُوغُ عِنْدَهُ أَنْ يَجْعَلَ لِلْمَيِّتِ ثَوَابَ فَرَضٍ مِنْ فُرُوضِهِ؟

فِيهِ وَجْهَانِ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمْدَانَ: وَقِيلَ إِنَّ جَعْلَ لَهُ ثَوَابِ فَرَضٍ مِنْ صَلَاةٍ أَوْ صَوْمٍ أَوْ غَيْرِهِمَا جَائِزٌ وَأَجْزَأُ فَاعْلَهُ.

قلت: وقد نُقِلَ عَنْ جَمَاعَةٍ أَنَّهُمْ جَعَلُوا ثَوَابَ أَعْمَالِهِمْ مِنْ فَرَضٍ، وَنَقَلَ لِلْمُسْلِمِينَ وَقَالُوا: نَلْقَى اللَّهَ بِالْفَقْرِ وَالْإِفْلَاسِ الْمُجَرَّدِ، وَالشَّرِيعَةَ لَا تَمْنَعُ مِنْ ذَلِكَ، فَلَا أُجْرَ مَلِكِ الْعَامِلِ إِنْ شَاءَ أَنْ يَجْعَلَهُ لغيره فَلَا حَجْرَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ<sup>(١)</sup>.

### فصل

وَأَمَّا قَوْلُكُمْ: إِنْ التَّكَالِيفُ امْتِحَانٌ وَابْتِلَاءٌ، لَا تَقْبَلُ الْبَدَلَ إِذِ الْمَقْصُودُ مِنْهَا عَيْنُ الْمَكْلَفِ الْعَامِلِ إِلَى آخِرِهِ.

فَالجَوَابُ عَنْهُ: أَنَّ ذَلِكَ لَا يَمْنَعُ إِذْنِ الشَّارِعِ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَنْفَعُ أَخَاهُ بِشَيْءٍ مِنْ عَمَلِهِ بَلْ هَذَا مِنْ تَمَامِ إِحْسَانِ الرَّبِّ وَرَحْمَتِهِ لِعِبَادِهِ، وَمِنْ كَمَالِ هَذِهِ الشَّرِيعَةِ الَّتِي شَرَعَهَا لَهُمُ الَّتِي مَبْنَاهَا عَلَى الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَالتَّعَاوُنِ، وَالرَّبُّ تَعَالَى أَقَامَ مَلَائِكَتَهُ وَحَمَلَةَ عَرْشِهِ يَدْعُونَ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَيَسْتَعْفِرُونَ لَهُمْ وَيَسْأَلُونَهُ لَهُمْ أَنْ يَقِيَهُمُ السَّيِّئَاتِ، وَأَمْرٌ خَاتَمَ

<sup>(١)</sup> ولكن هذا الفعل خلاف هدي رسول الله ﷺ وخلاف ما كان عليه السلف، وكم من الأحاديث التي حث فيها رسول الله ﷺ أمته على فعل الخيرات والمسارة فيها؛ لأجل اكتساب الدرجات والتكثير من الحسنات فإن فلاح الإنسان وخسارته هو بأعماله - بعد رحمة الله - والله عز وجل يقول: ﴿مَنْ تَقَلَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ \* وَمَنْ حَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدِينَ﴾ [المؤمنون: ١٠٢-١٠٣].

والإنسان أحوج ما يكون إلى الحسنات والدرجات وقد أخبر النبي ﷺ: «أَنْ اخْتَصَمَ الْمَلَأُ الْأَعْلَى فِي الْكُفَرَاتِ وَالدرجات»، والأنبياء عليهم السلام يقول أحدهم يوم القيامة: «نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي»، والله عز وجل يقول: ﴿يَوْمَ يَقْرَأُ الرَّءُفُ مِنْ أَخِيهِ \* وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ \* وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ \* لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤-٣٧]، ويقول سبحانه: ﴿يَوْمَ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ \* وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ \* وَقَصِيْبَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ \* وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾ [المارج: ١١-١٤]، والله سبحانه وتعالى أعلى وأعلم.

الرسول أَن يَسْتَغْفِرَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَيُقِيمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَقَامًا مَّحْمُودًا يَشْفَعُ فِي الْعَصَاةِ مِنْ أَتْبَاعِهِ وَأَهْلِ سُنَّتِهِ، وَقَدْ أَمَرَهُ تَعَالَى أَنْ يَصِلِيَ عَلَى أَصْحَابِهِ فِي حَيَاتِهِمْ وَبَعْدَ مَمَاتِهِمْ، وَكَانَ يَقُومُ عَلَى قُبُورِهِمْ فَيَدْعُوهُمْ.

وَقَدْ اسْتَقَرَّتْ الشَّرِيعَةُ عَلَى أَنَّ الْمَأْتَمَ الَّذِي عَلَى الْجَمِيعِ بَتَرَكَ فَرُوضِ الْكُفَايَاتِ يَسْقُطُ إِذَا فَعَلَهُ مِنْ يَحْصُلُ الْمَقْصُودُ بِفِعْلِهِ وَلَوْ وَاحِدًا، وَأَسْقَطَ سُبْحَانَهُ الْارْتِهَانُ وَحَرَارَةُ الْجُلُودِ فِي الْقَبْرِ بَضْمَانَ الْحَيِّ دِينَ الْمَيِّتِ وَأَدَائِهِ عَنْهُ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ الْوُجُوبَ امْتِحَانًا فِي حَقِّ الْمُكَلَّفِ، وَأَذِنَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْحَجِّ وَالصَّيَامِ عَنِ الْمَيِّتِ، وَإِنْ كَانَ الْوُجُوبَ امْتِحَانًا فِي حَقِّهِ، وَأَسْقَطَ عَنِ الْمَأْمُومِ سُجُودَ السَّهْوِ بِصِحَّةِ صَلَاةِ الْإِمَامِ وَخَلُوهَا مِنَ السَّهْوِ وَقِرَاءَةَ الْفَاتِحَةِ بِتَحْمِلِ الْإِمَامِ لَهَا فَهُوَ يَتَحَمَّلُ عَنِ الْمَأْمُومِ سَهْوَهُ وَقِرَاءَتَهُ وَسِتْرَتَهُ لِقِرَاءَةِ الْإِمَامِ وَسِتْرَتَهُ قِرَاءَةَ مَنْ خَلْفَهُ وَسِتْرَةَ لَهُ.

وَهَلِ الْإِحْسَانُ إِلَى الْمُكَلَّفِ بِإِهْدَاءِ الثَّوَابِ إِلَيْهِ إِلَّا تَأْسٌ بِإِحْسَانِ الرَّبِّ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، (والخلق عيال الله فأحبهم إليه أنفعهم لعياله)<sup>(١)</sup>، وَإِذَا كَانَ سُبْحَانَهُ يَجِبُ مَنْ يَنْفَعُ عِيَالَهُ بِشَرْبَةِ مَاءٍ وَمَذْقَةِ لَبَنٍ وَكَسْرَةِ خَبْزٍ فَكَيْفَ مَنْ يَنْفَعُهُمْ فِي حَالِ ضَعْفِهِمْ وَفَقْرِهِمْ وَأَنْقِطَاعِ أَعْمَالِهِمْ وَحَاجَتِهِمْ إِلَى شَيْءٍ، يَهْدِي إِلَيْهِمْ أَحْوَجَ مَا كَانُوا إِلَيْهِ، فَأَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَى اللَّهِ مَنْ يَنْفَعُ عِيَالَهُ فِي هَذِهِ الْحَالِ.

(١) قد جاء في هذا حديث ضعيف زوي عن أنس وابن مسعود وأبي هريرة وكلها شديدة الضعف انظرها في "السلسلة الضعيفة": (١٩٠٠).

وَهَذَا جَاءَ أَثْرَ عَنِ بَعْضِ السَّلَفِ أَنَّهُ مِنْ قَالِ كُلِّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً: رَبِّ اغْفِرْ لِي  
وَلِوَالِدِي وَلِلْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ حَصَلَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ بَعْدَ كُلِّ  
مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ وَمُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ<sup>(١)</sup>. وَلَا تَسْتَبْعِدُ هَذَا فَإِنَّهُ إِذَا اسْتَغْفَرَ لِإِخْوَانِهِ فَقَدْ أَحْسَنَ  
إِلَيْهِمْ وَاللَّهُ لَا يَضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ.

<sup>(١)</sup> قد جاء نحو هذا مرفوعاً عن جماعة من الصحابة وهم:

١- عبادة بن الصامت: أخرجه الطبراني في "مسند الشاميين" (٢٣٤ / ٣) ولفظه: «من استغفر للمؤمنين  
والمؤمنات كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة». وإسناده مسلسل بالضعفاء فإنه من طريق بكر بن  
خنيس عن عتبة بن حميد عن عيسى بن سنان وثلاثتهم ضعفاء على تفاوت في ضعفهم.  
٢- أم سلمة: أخرجه الطبراني في "الكبير" (٣٧٠ / ٢٣) وإسناده ضعيف جداً من طريق أبي أمية بن يعلى  
واسمه إسما عيل متروك.

٣- أنس بن مالك: أخرجه ابن بشران في "الأمالي": (٢٤٥) ، والعقيلي في "الضعفاء": (١٨٢ / ٢) من  
طريق إسحاق بن راهويه أنا عمرو بن عبيد الطنافسي عن شعيب بن كيسان عن أنس بن مالك مرفوعاً:  
«من استغفر للمؤمنين والمؤمنات رد الله عز وجل عليه من آدم فما دونه». ورجال إسناده ثقات إلا شعيب  
بن كيسان فقد قال عنه الذهبي في "الميزان": ذكره البخاري في الضعفاء ولينه العقيلي، وذكر الحافظ في  
لسان الميزان أن أبا حاتم قال فيه: صالح الحديث.

ومع ذلك فهو لم يسمع من أنس، وهذا الحديث مما أُنكر عليه، فقد ذكره البخاري في "التاريخ الكبير":  
(٢١٩ / ٤) ثم قال: شعيب بن كيسان لا يُعرف له سماع من أنس ولا يتابع عليه، وقال العقيلي بعد أن ذكر  
لشعيب عدة أحاديث هذا منها: كل هذه الأحاديث لا يتابع عليها شعيب ولا تعرف إلا به.

٤- أبو الدرداء: أخرجه الطبراني كما في "مجمع الزوائد": (٢١٠ / ١٠) قال الهيثمي: رواه الطبراني وفيه عثمان  
ابن أبي العاتكة وقال فيه: حدثت عن أم الدرداء، وعثمان هذا وثقه غير واحد وضعفه الجمهور....، قلت:  
وعثمان هذا مع الضعف الذي عنده فإن بينه وبين الصحابة أكثر من واحد وهو يقول هنا: حدثت  
فالحديث مع ضعفه معضل.

فالخلاصة: أن الحديث من هذه الطرق ضعيف والله أعلم.

## فصل

وَأَمَّا قَوْلُكُمْ: إِنَّهُ لَوْ نَفَعَهُ عَمَلٌ غَيْرُهُ لَنَفَعَهُ تَوْبَتُهُ عَنْهُ وَإِسْلَامُهُ عَنْهُ، فَهَذِهِ الشُّبْهَةُ تورد على صُورَتَيْنِ:

صُورَةٌ تَلْزِمُ يُدْعَى فِيهَا اللَّزُومُ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ، ثُمَّ يُبَيِّنُ انْتِفَاءَ اللَّازِمِ فَيَنْتَهِي مَلْزُومَهُ وَصُورَتَهَا هَكَذَا لَوْ نَفَعَهُ عِلْمُ الْغَيْرِ عَنْهُ لَنَفَعَهُ إِسْلَامُهُ وَتَوْبَتُهُ عَنْهُ لَكِنْ لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ فَلَا يَنْفَعُهُ عَمَلُ الْغَيْرِ.

وَالصُّورَةُ الثَّانِيَّةُ: أَنْ يُقَالَ لَا يَنْتَفِعُ بِإِسْلَامِ الْغَيْرِ وَتَوْبَتِهِ عَنْهُ فَلَا يَنْتَفِعُ بِصَلَاتِهِ وَصِيَامِهِ وَقِرَاءَتِهِ عَنْهُ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ هَذَا التَّلَازِمَ وَالْاِقْتِرَانَ بَاطِلٌ قَطْعًا.

أَمَّا أَوَّلًا: فَلِأَنَّهُ قِيَاسٌ مُصَادِمٌ لِمَا تَظَاهَرَتْ بِهِ النُّصُوصُ وَأَجْمَعَتْ عَلَيْهِ الْأُمَّةُ.  
وَأَمَّا ثَانِيًا: فَلِأَنَّهُ جَمْعٌ بَيْنَ مَا فَرَقَ اللَّهُ بَيْنَهُ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ فَرَقَ بَيْنَ إِسْلَامِ الْمَرْءِ عَنْ غَيْرِهِ وَبَيْنَ صَدَقَتِهِ وَحُجَّةِ وَعَتَقِهِ عَنْهُ، فَالْقِيَاسُ الْمَسْوِيُّ بَيْنَهُمَا مِنْ جِنْسِ قِيَاسِ الَّذِينَ قَاسُوا الْمَيْتَةَ عَلَى الْمَذْكِيِّ، وَالرَّبَا عَلَى الْبَيْعِ.

وَأَمَّا ثَالِثًا: فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ الْإِسْلَامَ سَبَبًا لِنَفْعِ الْمُسْلِمِينَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فِي الْحَيَاةِ وَبَعْدَ الْمَوْتِ، فَإِذَا لَمْ يَأْتِ بِسَبَبِ انْتِفَاعِهِ بِعَمَلِ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يَحْصُلْ لَهُ ذَلِكَ النَّفْعُ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعَمْرُو: «إِنْ أَبَاكَ لَوْ كَانَ أَقْرَبَ بِالتَّوْحِيدِ فَصَمْتُ أَوْ تَصَدَّقْتَ عَنْهُ نَفَعَهُ ذَلِكَ»<sup>(١)</sup>، وَهَذَا كَمَا جَعَلَ سُبْحَانَهُ الْإِسْلَامَ سَبَبًا لِانْتِفَاعِ الْعَبْدِ بِمَا عَمِلَ مِنْ خَيْرٍ فَإِذَا فَاتَهُ هَذَا السَّبَبُ لَمْ يَنْفَعَهُ خَيْرٌ عَمِلَهُ وَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ كَمَا جَعَلَ الْإِخْلَاصَ وَالتَّمَاتِعَةَ سَبَبًا لِقَبُولِ

(١) (حديث حسن) تقدم ص (١).

الأعمال، فإذا فُقدت لم تقبل الأعمال وكما جعل الوضوء وسائر شروط الصلاة سبباً لصحتها، فإذا فُقدت فقدت الصحة، وهذا شأن سائر الأسباب مع مسببات الشرعية والعقلية والحسية، فمن سوى بني حاليين وجود السبب وعدمه فهو مُبطل.

ونظير هذا الهوس<sup>(١)</sup> أن يقال: لو قبلت الشفاعة في العصاة لقبلت في المُشركين ولو خرج أهل الكبائر من الموحدين من النار لخرج [الكفار]<sup>(٢)</sup> منها، وأمثال ذلك من الأفيسة التي هي من نجاسات معد أصحابها ورجيع أفواهم.

وبالجُملة فالأولى بأهل العلم الأعراض عن الاشتغال بدفع هذه الهذيان كولا أنهم قد سودوا بها صحف الأعمال والصحف التي بين الناس.

### فصل

وأما قولكم: العبادات نوعان: نوع تدخله النيابة فيصل ثواب إهدائه إلى الميت، ونوع لا تدخله فلا يصل ثوابه.

فهذا هو نفس المذهب والدعوى فكيف تحتجون به ومن أين لكم هذا الفرق فأى كتاب أم أي سنة أم أي اعتبار دل عليه حتى يجب المصير إليه.

وقد شرع النبي ﷺ الصوم عن الميت مع أن الصوم لا تدخله النيابة وشرع للأمة أن ينوب بعضهم عن بعض في أداء فرض الكفاية، فإذا فعله واحد ناب عن الباقي في

(١) الهوس: هو طرف من الجنون وخفة العقل.

(٢) الكفار) ساقطة من الأصل، واستدرك بعضهم في الحاشية لعله: (المشركون)، وفي سائر النسخ (الكفار) كما أثبتناه.



فعله وَسَقَطَ عَنْهُمْ الْمَأْثَمُ، وَشَرَعَ لِقِيَمِ الطِّفْلِ الَّذِي لَا يَعْقِلُ أَنْ يُنُوبَ عَنْهُ فِي الْإِحْرَامِ وَأَفْعَالِ الْمُنَاسِكِ وَحَكَمَ لَهُ بِالْأَجْرِ بِفِعْلِ نَائِبِهِ.

وَقَدْ قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يُحْرِمُ الرَّفَقَةَ عَنِ الْمَغْمَى عَلَيْهِ فَجَعَلُوا إِحْرَامَ رَفَقَتِهِ بِمَنْزِلَةِ إِحْرَامِهِ، وَجَعَلَ الشَّارِعُ إِسْلَامَ الْأَبْوَيْنِ بِمَنْزِلَةِ إِسْلَامِ أَطْفَالِهِمَا، وَكَذَلِكَ إِسْلَامُ السَّابِي وَالْمَالِكِ عَلَى الْقَوْلِ الْمَنْصُورِ.

فَقَدْ رَأَيْتَ كَيْفَ عَدَّتْ هَذِهِ الشَّرِيعَةُ الْكَامِلَةَ أَفْعَالَ الْبِرِّ مِنْ فَاعِلِهَا إِلَى غَيْرِهِمْ فَكَيْفَ يَلِيقُ بِهَا أَنْ تَحْجَرَ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَنْفَعِ وَالِدِيهِ وَرَحْمَهُ وَإِخْوَانَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي أَعْظَمِ أَوْقَاتِ حَاجَتِهِمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَيْرِ وَالْبِرِّ يَفْعَلُهُ وَيَجْعَلُ ثَوَابَهُ لَهُمْ؟ وَكَيْفَ يَتَحَجَّرُ الْعَبْدُ وَاسْعًا أَوْ يَحْجَرَ عَلَى مَنْ لَمْ يَحْجَرَ عَلَيْهِ الشَّارِعُ فِي ثَوَابِ عَمَلِهِ أَنْ يَصْرِفَ مِنْهُ مَا شَاءَ إِلَى مَنْ شَاءَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ؟ وَالَّذِي أَوْصَلَ ثَوَابَ الْحَجِّ وَالصَّدَقَةِ وَالْعِتْقِ هُوَ بَعِيْنُهُ الَّذِي يُوَصِّلُ ثَوَابَ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالْقِرَاءَةِ وَالْإِعْتِكَافِ وَهُوَ إِسْلَامُ الْمُهْدَى وَتَبَرُّعُ الْمُهْدِي وَإِحْسَانِهِ، وَعَدَمُ حَجْرِ الشَّارِعِ عَلَيْهِ فِي الْإِحْسَانِ، بَلْ نَدَبُهُ إِلَى الْإِحْسَانِ بِكُلِّ طَرِيقٍ.

وَقَدْ تَوَاطَأَتْ رُؤْيَا الْمُؤْمِنِينَ وَتَوَاتَرَتْ أَعْظَمُ تَوَاتُرًا عَلَى أَخْبَارِ الْأَمْوَاتِ لَهُمْ بِوَصُولِ مَا يَهْدُونَهُ إِلَيْهِمْ مِنْ قِرَاءَةٍ وَصَلَاةٍ وَصَدَقَةٍ وَحَجٍّ وَغَيْرِهِ، وَلَوْ ذَكَرْنَا مَا حَكَى لَنَا مِنْ أَهْلِ عَصْرِنَا وَمَا بَلَّغْنَا عَمَّنْ قَبْلَنَا مِنْ ذَلِكَ لَطَالَ جَدًّا وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَرَى رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَأَتْ عَلَى أُمَّهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ»<sup>(١)</sup>، فَاعْتَبِرْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تَوَاطُؤَ رُؤْيَا الْمُؤْمِنِينَ، وَهَذَا كَمَا

<sup>(١)</sup> أخرجه البخاري: (١١٥٨)، ومسلم: (٢٧٦٣/١١٦٥) عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وقد جاء بلفظ: «السبع

الأواخر»، أخرجه البخاري: (٢٠١٥)، ومسلم: (٢٧٦١/١١٦٥) وراجع حاشية ص (٠).

يُعتبر تواطؤ روايتهم عمًا شاهده فهم لا يكذبون في روايتهم ولا في رؤياهم إذا تواطأت.

### فصل

وَأَمَّا رَدُّ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ قَوْلُهُ: «مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ صَامَ عَنْهُ وَلِيهِ». بِتِلْكَ الْوُجُوهِ الَّتِي ذَكَرْتُمُوهَا.

فَنَحْنُ نَنْتَصِرُ لِحَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَنَبِينِ مُوَافَقَتِهِ لِلصَّحِيحِ مِنْ تِلْكَ الْوُجُوهِ، وَأَمَّا الْبَاطِلُ مِنْهَا فَيَكْفِينَا بَطْلَانَهُ مِنْ مَعَارِضَتِهِ لِلْحَدِيثِ الصَّحِيحِ الصَّرِيحِ الَّذِي لَا تُعْمَزُ قَنَاتُهُ وَلَا سَبِيلُ إِلَى مُقَابَلَتِهِ إِلَّا بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَالِإِذْعَانَ وَالْقَبُولِ، وَكَيْسَ لَنَا بَعْدَهُ الْخَيْرَةَ بِلِ الْخَيْرَةِ كُلِّ الْخَيْرَةِ فِي التَّسْلِيمِ لَهُ وَالْقَوْلِ بِهِ وَكَوْ خَالَفَهُ مِنْ بَيْنِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ. فَأَمَّا قَوْلُكُمْ: نَرِدُهُ بِقَوْلِ مَالِكٍ فِي مَوْطِئِهِ: لَا يَصُومُ أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ، فَمِنَّا زَعَوَكُمْ يَقُولُونَ: بَلْ نَرِدُ قَوْلَ مَالِكٍ هَذَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالصَّوَابِ وَأَحْسَنُ رَدًّا؟

وَأَمَّا قَوْلُهُ: وَهُوَ أَمْرٌ مُجْمَعٌ عَلَيْهِ عِنْدَنَا لَا خِلَافَ فِيهِ، فَهَالِكٌ ﷻ لَمْ يَحِكْ إِجْمَاعَ الْأُمَّةِ مِنْ شَرْقِ الْأَرْضِ وَغَرْبِهَا وَإِنَّمَا حَكَى قَوْلَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ فِيمَا بَلَغَهُ وَلَمْ يَبْلُغْهُ خِلَافَ بَيْنَهُمْ، وَعَدَمَ إِطْلَاعِهِ ﷻ عَلَى الْخِلَافِ فِي ذَلِكَ لَا يَكُونُ مُسْقَطًا لِحَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بَلْ لَوْ أَجْمَعَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْمَدِينَةِ كُلُّهُمْ لَكَانَ الْأَخْذُ بِالْحَدِيثِ الْمَعْصُومِ أَوْلَى مِنَ الْأَخْذِ بِقَوْلِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ الَّذِينَ لَمْ تَضْمَنْ لَنَا الْعِصْمَةَ فِي قَوْلِهِمْ دُونَ الْأُمَّةِ وَلَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَقْوَالَهُمْ حُجَّةً يَجِبُ الرَّدُّ عِنْدَ التَّنَازُعِ إِلَيْهَا بَلْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ ﴾

فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾

[النساء: ٥٩].

وإن كَانَ مَالِكٌ وَأَهْلُ الْمَدِينَةِ قَدْ قَالُوا: لَا يَصُومُ أَحَدٌ عَنِّ أَحَدٍ فَقَدْ رَوَى الْحَكَمُ بْنُ عَتِيْبَةَ وَسَلَمَةَ بْنُ كَهَيْلٍ عَن سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَن ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّهُ أَفْتَى فِي قَضَاءِ رَمَضَانَ يُطْعَمُ عَنْهُ وَفِي النَّذْرِ يَصَامُ عَنْهُ<sup>(١)</sup>.

وَهَذَا مَذْهَبُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ وَكَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَقَوْلُ أَبِي عُبَيْدٍ، وَقَالَ أَبُو ثَوْرٍ: يَصَامُ عَنْهُ النَّذْرُ وَغَيْرُهُ، وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ صَالِحٍ فِي النَّذْرِ: يَصُومُ عَنْهُ وَلِيهِ.

### فصل

أَمَّا قَوْلُكُمْ: ابْنُ عَبَّاسٍ هُوَ رَوَى حَدِيثَ الصَّوْمِ عَنِ الْمَيْتِ، وَقَدْ قَالَ: (لَا يَصُومُ أَحَدٌ عَن أَحَدٍ). فَعَايَةُ هَذَا أَنَّ يَكُونُ الصَّحَابِيُّ قَدْ أَفْتَى بِخِلَافِ مَا رَوَاهُ وَهَذَا لَا يَقْدَحُ فِي رِوَايَتِهِ، فَإِنَّ رِوَايَتَهُ مَعْصُومَةٌ وَفَتْوَاهُ غَيْرُ مَعْصُومَةٍ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ نَسَى الْحَدِيثَ أَوْ تَأَوَّلَهُ أَوْ اعْتَقَدَ لَهُ مَعَارِضًا رَاجِحًا فِي ظَنِّهِ، أَوْ لَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَسْبَابِ، عَلَى أَنْ فَتَوَى ابْنُ

(١) (صحيح) : أخرجه أبو داود: (٢٤٠١) من طريق أبي حصين عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس به، وإسناده على شرط البخاري وقد تقدم، ولم أجده موقوفاً من الطريق التي ذكرها ابن القيم. وقد ذكر ابن عبد البر في «الاستذكار»: (١٠/١٧١) حديث ابن عباس مرفوعاً: أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: إن أمي ماتت وعليها صوم شهر... الحديث - وقد تقدم أنه متفق عليه - قال ابن عبد البر بعد ذكره لهذا الحديث: ورواه الحكم بن عتيبة وسلمة بن كهيل عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس عن النبي ﷺ بمعناه. اهـ وانظر «صحيح البخاري»: (١٩٥٣) ومسلم: (١١٤٨/٢٦٩٥).

عَبَّاسٌ غَيْرُ مُعَارِضَةٍ لِلْحَدِيثِ فَإِنَّهُ أَفْتَى فِي رَمَضَانَ: أَنَّهُ لَا يَصُومُ أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ، وَأَفْتَى فِي النَّذْرِ: أَنَّهُ يَصَامُ عَنْهُ وَكَيْسَ هَذَا بِمُخَالَفِ لِرَوَايَتِهِ بَلْ حَمَلَ الْحَدِيثَ عَلَى النَّذْرِ. ثُمَّ إِنَّ حَدِيثَ: «مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ صَامَ عَنْهُ وَلِيهِ»، هُوَ ثَابِتٌ مِنْ رِوَايَةِ عَائِشَةَ رضي الله عنها، فَهَبَّ أَنْ ابْنَ عَبَّاسٍ خَالَفَهُ فَكَانَ مَاذَا؟ فَخَالَفَ ابْنَ عَبَّاسٍ لَا يَقْدَحُ فِي رِوَايَةِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ بَلْ رَدَّ قَوْلَ ابْنِ عَبَّاسٍ بِرِوَايَةِ عَائِشَةَ رضي الله عنها أُولَى مِنْ رَدِّ رِوَايَتِهَا بِقَوْلِهِ. وَأَيْضًا فَإِنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنها، قَدْ اخْتَلَفَ عَنْهُ فِي ذَلِكَ وَعَنْهُ رِوَايَتَانِ<sup>(١)</sup>، فَلَيْسَ إِسْقَاطُ الْحَدِيثِ لِلرِّوَايَةِ الْمُخَالَفَةِ لَهُ عَنْهُ أُولَى مِنْ إِسْقَاطِهَا بِالرِّوَايَةِ الْأُخْرَى وَبِالْحَدِيثِ.

### فصل

وَأَمَّا قَوْلُكُمْ: إِنَّهُ حَدِيثٌ اخْتَلَفَ فِي إِسْنَادِهِ، فَكَلَامٌ مُجَازِفٌ لَا يُقْبَلُ قَوْلُهُ. فَالْحَدِيثُ صَحِيحٌ ثَابِتٌ مُتَّفَقٌ عَلَى صِحَّتِهِ، رَوَاهُ صَاحِبَا الصَّحِيحِ وَلَمْ يَخْتَلَفْ فِي إِسْنَادِهِ.

قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ<sup>(٢)</sup>: ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ صَامَ عَنْهُ وَلِيهِ»، وَصَحَّحَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَذَهَبَ إِلَيْهِ، وَعَلَّقَ الشَّافِعِيُّ الْقَوْلَ بِهِ عَلَى صِحَّتِهِ فَقَالَ: وَقَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي الصَّوْمِ عَنِ الْمَيْتِ شَيْءٌ، فَإِنْ كَانَ ثَابِتًا صِيمَ عَنْهُ كَمَا يَجِبُ

<sup>(١)</sup> الرواية الأولى هي هذه التي ذكرها المؤلف.

والرواية الثانية أخرجها عبدالرزاق: (٢٤٠/٤) ومن طريقه البيهقي في «الكبرى»: (٢٥٤/٤) عن معمر بن يحيى بن أبي كثير عن محمد بن عبدالرحمن بن ثوبان الأنصاري: قال: سئل ابن عباس رضي الله عنهما عن رجل مات وعليه صيام شهر رمضان وعليه نذر صيام شهر فقال: «يُطْعَمُ عَنْهُ سِتُونَ مَسْكِينًا». ورجاله ثقات رجال الشيخين إلا أن يحيى بن أبي كثير يرويه بالنعنة وهو مدلس.

<sup>(٢)</sup> انظر «الاستذكار»: (١٧٠/١٠).

عنه<sup>(١)</sup>، وقد ثبت بلا شك فهو مذهب الشافعي كذلك قال غير واحد من أئمة أصحابه، قال البيهقي بعد حكايته هذا اللفظ عن الشافعي<sup>(٢)</sup>: قد ثبت جواز القضاء عن الميت برواية سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء وعن عكرمة عن ابن عباس، وفي رواية أكثرهم: إن امرأة سألت فأشبهه أن يكون غير قصة أم سعد. وفي رواية بعضهم: «صومي عن أمك».

وسياي تقرير ذلك عند الجواب عن كلامه رحمه الله.

قولكم: إنه معارض بنص القرآن، وهو قوله: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى﴾ [النجم: ٣٩]، إساءة أدب في اللفظ وخطأ عظيم في المعنى، وقد أعاد الله رسوله أن تعارض سنته لنصوص القرآن بل تعاضدها وتؤيدها، والله ما يصنع التعصب ونصرة التقليد، وقد تقدم من الكلام على الآية ما فيه كفاية وبيننا أنها لا تعارض بينها وبين سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجه وإنما يظن التعارض من سوء الفهم، وهذه طريقة وخيمة ذميمة وهي رد السنن الثابتة بما يفهم من ظاهر القرآن، والعلم كل العلم تنزيل السنن على القرآن فإنها مشتقة منه ومأخوذة ممن جاء به وهي بيان له لا أنها مناقضة له.

قولكم: إنه معارض بما رواه النسائي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا يصلي أحد عن أحد، ولا يصوم أحد عن أحد، ولكن يطعم عنه كل يوم مد من حنطة»<sup>(٣)</sup>. فخطأ فإن النسائي رواه هكذا أخبرنا محمد بن عبد الأعلى حدثنا يزيد بن زريع حدثنا حجاج

<sup>(١)</sup> قاله الشافعي في كتاب «المناسك القديم»، كما في كتاب «معرفة السنن والآثار»: (٢٠٩/٦) للبيهقي.

<sup>(٢)</sup> انظر «معرفة السنن والآثار»: (٣٠٩/٦)، و«السنن الكبرى»: (٢٥٧/٤).

<sup>(٣)</sup> «سنن النسائي الكبرى»: (٢٩١٨) وتقدم أنه صحيح موقوفاً.

الأحول حَدَّثَنَا أَيُّوبُ بْنُ مُوسَى عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: لَا يَصِلِي أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ وَلَا يَصُومُ أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ وَلَكِنْ يَطْعَمُ [عَنْهُ] مَكَانَ كُلِّ يَوْمٍ مَدَّ مِنْ حِنْطَةٍ.

هَكَذَا رَوَاهُ: قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ لَا قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَكَيْفَ يُعَارِضُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِقَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ ثُمَّ يَقْدَمُ عَلَيْهِ مَعَ ثُبُوتِ الْخِلَافِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما؟ وَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لَمْ يَقُلْ هَذَا الْكَلَامَ قَطُّ، وَكَيْفَ يَقُولُهُ وَقَدْ ثَبَتَ عَنْهُ فِي «الصَّحِيحِينَ» أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ صَامَ عَنْهُ وَلِيهِ»<sup>(١)</sup>.

وَكَيفَ يَقُولُهُ وَقَدْ قَالَ فِي حَدِيثِ بُرَيْدَةَ الَّذِي رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ: أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ لَهُ: إِنَّ أُمِّي مَاتَتْ وَعَلَيْهَا صَوْمٌ شَهْرٌ قَالَ: «صَوْمِي عَنْ أُمِّكَ»<sup>(٢)</sup>.

وَأَمَّا قَوْلُكُمْ: إِنَّهُ مَعَارِضُ بِحَدِيثِ ابْنِ عَمْرِو رضي الله عنهما: (مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صَوْمٌ رَمَضَانَ يَطْعَمُ عَنْهُ)<sup>(٣)</sup>، فَمِنْ هَذَا النَّمْطِ فَإِنَّهُ حَدِيثٌ بَاطِلٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم.

قَالَ الْبَيْهَقِيُّ<sup>(٤)</sup>: حَدِيثُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عَمْرِو رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صَوْمٌ رَمَضَانَ يَطْعَمُ عَنْهُ»، لَا يَصِحُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ كَثِيرُ الْوَهْمِ، وَإِنَّمَا رَوَاهُ أَصْحَابُ نَافِعٍ عَنْهُ نَافِعٌ عَنْ ابْنِ عَمْرِو رضي الله عنهما مِنْ قَوْلِهِ.

(١) أخرجه البخاري: (١٩٥٢)، ومسلم: (١١٤٧) عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه مسلم: (١١٤٩).

(٣) تقدم ص ( )، وأنه لم يصح مرفوعاً.

(٤) انظر «معرفة السنن والآثار»: (٣١١/٦).

وَأَمَّا قَوْلُكُمْ: إِنَّهُ مَعَارِضُ بِالْقِيَاسِ الْجَيِّ عَلَى الصَّلَاةِ وَالْإِسْلَامِ وَالتَّوْبَةِ، فَإِنْ أَحَدًا لَا يَفْعَلُهَا عَنْ أَحَدٍ، فَلِعَمْرِ اللَّهِ إِنَّهُ لِقِيَاسٌ جَلِيٌّ الْبَطْلَانِ وَالْفُسَادِ، لِرِدِّ سَنَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الصَّحِيحَةِ الصَّرِيحَةِ لَهُ وَشَهَادَتِهَا بِبُطْلَانِهِ.

وَقَدْ أَوْضَحْنَا الْفَرْقَ بَيْنَ قَبُولِ الْإِسْلَامِ عَنِ الْكَافِرِ بَعْدَ مَوْتِهِ وَبَيْنَ انْتِفَاعِ الْمُسْلِمِ بِمَا يَهْدِيهِ إِلَيْهِ أَخُوهُ الْمُسْلِمُ مِنْ ثَوَابِ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ صَلَاةٍ، وَلِعَمْرِ اللَّهِ إِنْ الْفَرْقَ بَيْنَهُمَا أَوْضَحَ مِنْ أَنْ يَخْفِيَ وَهَلْ فِي الْقِيَاسِ أَفْسَدَ مِنْ قِيَاسِ انْتِفَاعِ الْمُسْلِمِ بَعْدَ مَوْتِهِ بِمَا يَهْدِيهِ إِلَيْهِ أَخُوهُ الْمُسْلِمُ مِنْ ثَوَابِ عَمَلِهِ عَلَى قَبُولِ الْإِسْلَامِ عَنِ الْكَافِرِ بَعْدَ مَوْتِهِ أَوْ قَبُولِ التَّوْبَةِ عَنِ الْمَجْرِمِ بَعْدَ مَوْتِهِ.

### فصل

وَأَمَّا كَلَامُ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَغْلِيظِ رَاوِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنْ نَذَرَ أَمَّ سَعْدٍ كَانَ صَوْمًا. فَقَدْ أَجَابَ عَنْهُ أَنْصَرُ النَّاسِ لَهُ هُوَ الْبَيْهَقِيُّ وَنَحْنُ نَذَكَرُ كَلَامَهُ بِلَفْظِهِ. قَالَ فِي كِتَابِ «الْمَعْرِفَةِ» بَعْدَ أَنْ حَكَى كَلَامَهُ<sup>(١)</sup>: قَدْ ثَبَتَ جَوَازُ الْقَضَاءِ عَنِ الْمَيِّتِ بِرِوَايَةِ سَعِيدِ ابْنِ جُبَيْرٍ وَجَاهِدٍ وَعَطَاءٍ وَعِكرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَفِي رِوَايَةِ أَكْثَرِهِمْ أَنَّ امْرَأَةً سَأَلَتْ فَأَشْبَهَ أَنْ يَكُونَ غَيْرَ قِصَّةِ أُمِّ سَعْدٍ، وَفِي رِوَايَةِ بَعْضِهِمْ: «صَوْمِي عَنْ أُمِّكَ».

قَالَ: وَيَشْهَدُ لَهُ بِالصَّحَّةِ رِوَايَةُ عَبْدِ اللَّهِ [بن عطاء المدني] قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بَرِيْدَةَ الْأَسْلَمِيُّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ تَصَدَّقْتُ بِوَلِيدَةٍ عَلَى أُمِّي فَهَاتَتْ وَبَقِيَتْ الْوَلِيدَةُ، قَالَ: «قَدْ وَجِبَ أَجْرُكَ وَرَجَعَتْ

(١) انظر كتاب معرفة السنن والآثار للبيهقي (٣٠٩/٦) وبنحوه في «السنن الكبرى» (٢٥٧/٤).

إِلَيْكَ فِي الْمِيرَاثِ»، قَالَتْ: فَإِنَّهَا مَاتَتْ وَعَلَيْهَا صَوْمُ شَهْرٍ، قَالَ: «صَوْمِي عَنْ أُمِّكَ»، قَالَتْ: وَإِنَّهَا مَاتَتْ وَلَمْ تَحْجِ قَالَ: «فَحَجِّي عَنْ أُمِّكَ»، رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ مِنْ أَوْجِهٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَطَاءٍ أَنْتَهَى.

قلت: وقد روى أبو بكر بن أبي شيبة: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ مُسْلِمِ الْبَطِينِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ أُمِّي مَاتَتْ وَعَلَيْهَا صِيَامُ شَهْرٍ أَفَأَقْضِيهِ عَنْهَا؟ قَالَ: «فَدِينُ اللَّهِ أَحَقُّ أَنْ يُقْضَى»<sup>(١)</sup>.

وَرَوَاهُ ابْنُ أَبِي خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرٍو حَدَّثَنَا زَائِدَةٌ عَنِ الْأَعْمَشِ فَذَكَرَهُ<sup>(٢)</sup>.  
وَرَوَاهُ النَّسَائِيُّ عَنِ قُتَيْبَةَ بْنِ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا عَبَثَرٌ عَنِ الْأَعْمَشِ فَذَكَرَهُ<sup>(٣)</sup>.  
فَهَذَا غَيْرُ حَدِيثِ أُمِّ سَعْدٍ إِسْنَادًا وَمَتْنًا فَإِنَّ قِصَّةَ أُمِّ سَعْدٍ رَوَاهَا مَالِكٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْتَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَنَّ سَعْدَ بْنَ عَبَادَةَ اسْتَفْتَى رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: إِنْ أُمِّي مَاتَتْ وَعَلَيْهَا نَذْرٌ فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «اقْضِهِ عَنْهَا». وَهَكَذَا أَخْرَجَاهُ فِي «الصَّحِيحِينَ»<sup>(٤)</sup>.

<sup>(١)</sup> لم أقف عليه في «مصنف ابن أبي شيبة» وقد أخرجه من هذه الطريق أحمد: (٢٢٤/١)، وعلقه البخاري: (١٩٥٣)، وفيه: أن السائل امرأة والحديث في «الصحيحين» البخاري: (١٩٥٣)، ومسلم: (١١٤٨) من غير طريق أبي معاوية وفيه أن السائل رجل.

<sup>(٢)</sup> من هذه الطريق عند أحمد: (٢٥٨/١).

<sup>(٣)</sup> في «السنن الكبرى»: (٢٩١٢).

<sup>(٤)</sup> البخاري: (٢٧٦١) ومسلم: (٤٢٣٦/١٦٣٨).



فَهَبَ أَنْ هَذَا هُوَ الْمَحْفُوظُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّهُ نَذْرٌ مُطْلَقٌ لَمْ يَسْمَعْ، فَهَلْ يَكُونُ هَذَا [علةً] فِي حَدِيثِ الْأَعْمَشِ عَنِ مُسْلِمِ الْبَطِينِ عَنِ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ [عنه] عَلَى أَنْ تَرَكَ اسْتِفْصَالَ النَّبِيِّ ﷺ لِسَعْدٍ فِي النَّذْرِ هَلْ كَانَ صَلَاةً أَوْ صَدَقَةً أَوْ صِيَامًا مَعَ أَنَّ النَّاذِرَ قَدْ يَنْذِرُ هَذَا وَهَذَا، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَا فَرْقَ بَيْنَ قَضَاءِ نَذْرِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالْأَلَّا لِقَالَ لَهُ مَا هُوَ النَّذْرُ؟ فَانِ النَّذْرَ إِذَا انْقَسَمَ إِلَى قَسْمَيْنِ نَذْرٌ يَقْبَلُ الْقَضَاءَ عَنِ الْمَيْتِ وَنَذْرٌ لَا يَقْبَلُهُ لَمْ يَكُنْ بَدًّا مِنَ الْاسْتِفْصَالِ.

### فصل

وَنَحْنُ نَذْكُرُ أَقْوَالَ أَهْلِ الْعِلْمِ: فِي الصَّوْمِ عَنِ الْمَيْتِ؛ لِئَلَّا يَتَوَهَّمُ أَنْفِي الْمَسْأَلَةِ إِجْمَاعًا بِخِلَافِهِ.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: يَصَامُ عَنْهُ فِي النَّذْرِ وَيَطْعَمُ عَنْهُ فِي قَضَاءِ رَمَضَانَ، وَهَذَا مَذْهَبُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ.

وَقَالَ أَبُو ثَوْرٍ: يَصَامُ عَنْهُ النَّذْرُ وَالْفَرَضُ، وَكَذَلِكَ قَالَ دَاوُدُ بْنُ عَلِيٍّ وَأَصْحَابُهُ: يَصَامُ عَنْهُ نَذْرًا كَانَ أَوْ فَرَضًا.

وَقَالَ الْأَوْزَاعِيُّ: يَجْعَلُ وَلِيَهُ مَكَانَ الصَّوْمِ صَدَقَةً فَإِنْ لَمْ يَجِدْ صَامَ عَنْهُ، وَهَذَا قَوْلُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ فِي إِحْدَى الرَّوَايَتَيْنِ عَنْهُ.

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمُ بْنُ سَلَامٍ: يَصَامُ عَنْهُ النَّذْرُ وَيَطْعَمُ عَنْهُ فِي الْفَرَضِ.

وَقَالَ الْحَسَنُ: إِذَا كَانَ عَلَيْهِ صِيَامٌ شَهْرَ فَصَامٍ عَنْهُ ثَلَاثُونَ رَجُلًا يَوْمًا وَاحِدًا جَازَ<sup>(١)</sup>.

### فصل

وَأَمَّا قَوْلُكُمْ: إِنَّهُ يَصِلُ إِلَيْهِ فِي الْحَجِّ ثَوَابَ النَّفَقَةِ دُونَ أَفْعَالِ الْمَنَاسِكِ، فَدَعْوَى مُجَرَّدَةٍ بِلَا بَرَهَانٍ وَالسَّنَةُ تَرُدُّهَا فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «حَجٌّ عَنْ أَبِيكَ»<sup>(٢)</sup>، وَقَالَ لِلْمَرْأَةِ: «حَجِّي عَنْ أُمِّكَ»<sup>(٣)</sup>، فَأَخْبَرَ أَنَّ الْحَجَّ نَفْسَهُ عَنِ الْمَيْتِ وَلَمْ يَقُلْ إِنْ الْإِنْفَاقُ هُوَ الَّذِي يَقَعُ عَنْهُ. وَكَذَلِكَ قَالَ لِلَّذِي سَمِعَهُ يَلْبِي عَنِ شَبْرَمَةَ: «حَجٌّ عَنْ نَفْسِكَ ثُمَّ حَجٌّ عَنْ شَبْرَمَةَ»<sup>(٤)</sup>.

<sup>(١)</sup> وَأَصَحُّ هَذِهِ الْأَقْوَالُ قَوْلُ أَبِي ثَوْرٍ وَمَنْ وَاظَفَهُ، وَقَدْ عَزَاهُ الْحَافِظُ ابْنُ حَجْرٍ فِي «فَتْحِ الْبَارِي» وَالصَّنْعَانِيُّ فِي «سَبِيلِ السَّلَامِ» إِلَى أَصْحَابِ الْحَدِيثِ، وَرَجَّحَهُ الْبَيْهَقِيُّ وَابْنُ حَزْمٍ وَابْنُ حَجْرٍ وَابْنُ عَثِيمِينَ وَالْوَادِعِيُّ رَحِمَهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا، وَاسْتَدَلُّوا بِعُمُومِ حَدِيثِ عَائِشَةَ مَرْفُوعًا: «مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صَوْمٌ صَامَ عَنْهُ وَلِيهِ».

<sup>(٢)</sup> (صحيح) أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَةَ: (٢٩٠٤) : فَقَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى الصَّنْعَانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ قَالَ: أَنْبَأَنَا سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، عَنْ سُلَيْمَانَ الشَّيْبَانِيِّ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ الْأَصَمِّ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: أَحُجُّ عَنْ أَبِي؟ قَالَ: «نَعَمْ حُجَّ عَنْ أَبِيكَ، فَإِنْ لَمْ تَرِدْهُ حَيْرًا، لَمْ تَرِدْهُ شَرًّا». وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ.

<sup>(٣)</sup> أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: (١٨٥٢) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ: (١١٤٩) عَنْ بَرِيدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَقَدْ تَقَدَّمَتْ.

<sup>(٤)</sup> (صحيح) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ: (١٨١١)، وَابْنُ مَاجَةَ: (٢٩٠٣) مِنْ طَرَفِ عَبْدِ بَنِ سُلَيْمَانَ عَنْ ابْنِ أَبِي عَرُوبَةَ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ عِزَّةَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ بِهِ، وَرِجَالُ إِسْنَادِهِ ثِقَاتٌ إِلَّا أَنَّهُ قَدْ ائْتَفَقَ عَلَى ابْنِ أَبِي عَرُوبَةَ فِي رَفْعِهِ وَوَقْفِهِ:

فَرَوَاهُ عَبْدَةُ بْنُ سُلَيْمَانَ وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشْرِ الْعَبْدِيِّ وَأَبُو يُونُسَ الْقَاضِي وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيُّ أَرْبَعَتَهُمْ عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي عَرُوبَةَ عَنْ قَتَادَةَ بِهِ مَرْفُوعًا، وَعَبْدَةُ بْنُ سُلَيْمَانَ هُوَ أَثْبَتُ النَّاسِ سَاعًا فِي ابْنِ أَبِي عَرُوبَةَ قَالَهُ ابْنُ مَعِينٍ.

وخالفهم محمد بن جعفر - غندر - والحسن بن صالح بن حَيّ فروياه عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة به موقوفاً، وللوقوف على هذه الطرق انظر "سنن الدارقطني": (٢٧٠-٢٧١).

ومن صحح رواية الرفع ابن خزيمة وابن حبان والبيهقي وعبدالحق الأشبيلي وابن القطان. ومن رجح الوقف الإمام أحمد وقال: رفعه خطأ، وابن المنذر وقال: لا يثبت رفعه، والطحاوي وقال: الصحيح أنه موقوف.

قلت: ذكر صالح بن الإمام أحمد في "مسائله": (١٣٩/٢) رقم (٧٠٦) عن أبيه أنه نسب الحديث إلى رسول الله ﷺ فقال: لا يحج أحد عن أحد حتى يحج عن نفسه وقد بين ذلك النبي ﷺ... فذكر الحديث. اهـ. فهذا القول من الإمام أحمد فيه نسبة الحديث إلى رسول الله ﷺ، وقد ذكر هذا شيخ الاسلام في "شرح العمدة": (١/٢٩١-٢٩٢) حيث قال: فإن قيل هذا الحديث موقوف على ابن عباس ذكر الأثر من أحمد أن رفعه خطأ، وقال: رواة عدة موقوفاً على ابن عباس وهو مشهور من حديث قتادة عن عذرة عن سعيد ابن جبير، وقد قال يحيى: عذرة لا شيء قلنا قد تقدم أنه أحمد حكم بأنه مسند وأنه من قول رسول الله ﷺ فيكون قد اطلع على ثقة من رفعه، وقرر رفعه جماعة). اهـ.

قلت: قول يحيى بن معين: عذرة ليس بشيء. إنما هو في عذرة بن قيس، والذي عندنا هنا إنما هو عذرة بن عبدالرحمن وهو ثقة وثقه ابن معين وغيره.

فيبقى في الإسناد عنقته قتادة إلا أنه متابع فقد أخرجه الطبراني في "الصغير": (رقم ٦٣٠) فقال: حدثنا عبدالله بن سندة بن الوليد الأصبهاني حدثنا عبدالرحمن بن خالد الرقي حدثنا يزيد بن هارون حدثنا حماد ابن سلمة عن عمرو بن دينار عن عطاء عن ابن عباس به مرفوعاً، وهذا إسناد رجاله ثقات إلا عبدالرحمن ابن خالد الرقي فهو صدوق، عبدالله بن سندة مترجم في "طبقات المحدثين بأصبهان": (٣/٥٢٧) قال أبو الشيخ: كان ثقة صدوقاً. وبقية رجاله من رجال التهذيب.

فهذه طريق أخرى لحديث ابن عباس تقوي الطريق الأولى مما يجعل النفس مطمئن إلى صحة الحديث مرفوعاً مع القرائن الأخرى التي تقدمت والتي منها: أن فيمن رواه مرفوعاً عبدة بن سليمان وهو كما يقول ابن معين: أثبت الناس سماعاً في ابن أبي عروبة، وأما قول أحمد بوقف الحديث فقد تقدم النقل عنه أنه حكم بكون الحديث مسنداً فلعله - كما قال شيخ الاسلام - اطلع على ثقة من رواه مرفوعاً فقال برفعه والله أعلم.

وَمَا سَأَلْتَهُ الْمَرْأَةَ عَنِ الطِّفْلِ الَّذِي مَعَهَا فَقَالَتْ: أَهَذَا حَجٌّ؟ قَالَ: «نعم ولك أجر»<sup>(١)</sup>، ولم يقل إِنَّمَا لَهُ ثَوَابُ الْإِنْفَاقِ بَلْ أَخْبَرَ أَنْ لَهُ حَجًّا مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ شَيْئًا، بَلْ وَلِيَهُ يُنُوبُ عَنْهُ فِي أَفْعَالِ الْمُنَاسِكِ.

ثُمَّ إِنَّ النَّابِغَ عَنِ الْمَيْتِ قَدْ لَا يَنْفِقُ شَيْئًا فِي حَجَّتِهِ غَيْرَ نَفَقَةِ مَقَامِهِ، فَمَا الَّذِي يَجْعَلُ ثَوَابَ نَفَقَةِ مَقَامِهِ لِلْمَحْجُوجِ عَنْهُ وَهُوَ لَمْ يَنْفِقْهَا عَلَى الْحَجِّ، بَلْ تِلْكَ نَفَقَتُهُ أَقَامَ أَمَّ سَافِرٍ فَهَذَا الْقَوْلُ تَرَدُّهُ السُّنَّةُ وَالْقِيَاسُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

### فصل

فَإِنْ قِيلَ: فَهَلْ تَشْتَرِطُونَ فِي وُضُوعِ الثَّوَابِ أَنْ يَهْدِيَهُ بِلَفْظِهِ أَمْ يَكْفِي فِي وُضُوعِهِ مُجَرَّدُ نِيَّةِ الْعَامِلِ أَنْ يَهْدِيَهَا إِلَى الْغَيْرِ.

قِيلَ: السُّنَّةُ لَمْ تَشْتَرِطِ التَّلَفُّظَ بِالْإِهْدَاءِ فِي حَدِيثِ وَاحِدٍ بَلْ أَطْلَقَ ﷺ الْفِعْلَ عَنِ الْغَيْرِ كَالصَّوْمِ وَالْحَجِّ وَالصَّدَقَةِ وَلَمْ يَقُلْ لِفَاعِلِ ذَلِكَ قُلْ: اللَّهُمَّ هَذَا عَنْ فُلَانِ ابْنِ فُلَانٍ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يَعْلَمُ نِيَّةَ الْعَبْدِ وَقَصْدَهُ بِعَمَلِهِ، فَإِنْ ذَكَرَهُ جَازَ وَإِنْ تَرَكَ ذَكَرَهُ، وَكَتَفَى بِالنِّيَّةِ وَالْقَصْدِ وَصَلَ إِلَيْهِ، وَلَا يَحْتَاجُ أَنْ يَقُولَ: اللَّهُمَّ إِنِّي صَائِمٌ غَدًا عَنْ فُلَانِ ابْنِ فُلَانٍ، وَهَذَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ اشْتَرَطَ مَنْ اشْتَرَطَ نِيَّةَ الْفِعْلِ عَنِ الْغَيْرِ قَبْلَهُ لِيَكُونَ وَقَاعًا بِالْقَصْدِ عَنِ الْمَيْتِ.

ومن صحح الحديث مرفوعاً العلامة الألباني في "إرواء الغليل": (١٧١/٤)، والعلامة الوادعي في "الصحيح المسند": (رقم ٦٣١)، والكلام على الحديث مطول جداً، فمن أراد الوقوف عليه فليراجع "نصب الرأية": (١٥٥/٣)، و"البدر المنير": (٤٥/٦)، و"التلخيص الحبير": (٤٢٦/٢).

<sup>(١)</sup> أخرجه مسلم: (١٣٣٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

فَأَمَّا إِذَا فَعَلَهُ لِنَفْسِهِ ثُمَّ نَوَى أَنْ يَجْعَلَ ثَوَابَهُ لِلْغَيْرِ لَمْ يَصِرْ لِلْغَيْرِ بِمُجَرَّدِ النِّيَّةِ كَمَا لَوْ نَوَى أَنْ يَهَبَ أَوْ يَعْتَقَ أَوْ يَتَصَدَّقَ لَمْ يَحْصُلْ ذَلِكَ بِمُجَرَّدِ النِّيَّةِ.

وَمَا يُوضِحُ ذَلِكَ أَنَّهُ لَوْ بَنَى مَكَانًا بِنِيَّةِ أَنْ يَجْعَلَهُ مَسْجِدًا أَوْ مَدْرَسَةً أَوْ سَقَايَةً وَنَحْوَ ذَلِكَ صَارَ وَقْفًا بِفِعْلِهِ مَعَ النِّيَّةِ وَلَمْ يَحْتَجْ إِلَى تَلْفِظِ.

وَكَذَلِكَ لَوْ أُعْطِيَ الْفَقِيرُ مَالًا بِنِيَّةِ الزَّكَاةِ سَقَطَتْ عَنْهُ [الزَّكَاةُ] وَإِنْ لَمْ يَتَلَفَّظْ بِهَا، وَكَذَلِكَ لَوْ أَدَّى عَنْ غَيْرِهِ دَيْنًا حَيًّا كَانَ أَوْ مَيِّتًا سَقَطَ مِنْ ذِمَّتِهِ وَإِنْ لَمْ يَقُلْ هَذَا عَنْ فُلَانٍ.

فَإِنْ قِيلَ: فَهَلْ يَتَعَيَّنُ عَلَيْهِ تَعْلِيْقُ الْإِهْدَاءِ، بِأَنْ يَقُولَ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ قَبِلْتَ هَذَا الْعَمَلَ وَأَثْبَتَنِي عَلَيْهِ فَاجْعَلْ ثَوَابَهُ لِفُلَانٍ أَمْ لَا؟

قِيلَ: لَا يَتَعَيَّنُ ذَلِكَ لَفْظًا وَلَا قَصْدًا بَلْ لَا فَائِدَةَ فِي هَذَا الشَّرْطِ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ إِنَّمَا يَفْعَلُ هَذَا سِوَاءَ شَرْطِهِ أَوْ لَمْ يَشْرُطْهُ، فَلَوْ كَانَ سُبْحَانَهُ يَفْعَلُ غَيْرَ هَذَا بِدُونِ الشَّرْطِ كَانَ فِي الشَّرْطِ فَائِدَةٌ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ أَثْبَتَنِي عَلَى هَذَا فَاجْعَلْ ثَوَابَهُ لِفُلَانٍ فَهُوَ بِنَاءٌ عَلَى أَنْ الثَّوَابَ يَقَعُ لِلْعَامِلِ ثُمَّ يَنْتَقِلُ مِنْهُ إِلَى مَنْ أَهْدَى لَهُ، وَكَانَ كَذَلِكَ بَلْ إِذَا نَوَى حَالَ الْفِعْلِ أَنَّهُ عَنْ فُلَانٍ وَقَعَ الثَّوَابُ أَوْلَا عَنِ الْمُعْمُولِ لَهُ كَمَا لَوْ أَعْتَقَ عَبْدَهُ عَنْ غَيْرِهِ، لَا نَقُولُ إِنْ الْوَلَاءُ يَقَعُ لِلْمُعْتَقِ ثُمَّ يَنْتَقِلُ عَنْهُ إِلَى الْمُعْتَقِ عَنْهُ فَهَكَذَا هَذَا، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.

فَإِنْ قِيلَ: فَمَا الْأَفْضَلُ أَنْ يُهْدَى إِلَى الْمَيِّتِ؟

قيل: الأَفْضَلُ مَا كَانَ أَنْفَعَ فِي نَفْسِهِ فَالْعَتَقُ عَنْهُ وَالصَّدَقَةُ أَفْضَلُ مِنَ الصِّيَامِ عَنْهُ، وَأَفْضَلُ الصَّدَقَةِ مَا صَادَفَ حَاجَةً مِنَ الْمُتَصَدِّقِ عَلَيْهِ وَكَانَتْ دَائِمَةً مُسْتَمِرَّةً، وَمِنْهُ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ سَقْيُ الْمَاءِ»<sup>(١)</sup>، وَهَذَا فِي مَوْضِعٍ يَقِلُّ فِيهِ الْمَاءُ وَيَكْثُرُ فِيهِ الْعَطَشُ، وَإِلَّا فَسَقْيُ الْمَاءِ عَلَى الْأَنْهَارِ وَالْقُنْيِ لَا يَكُونُ أَفْضَلَ مِنْ إِطْعَامِ الطَّعَامِ عِنْدَ الْحَاجَةِ.

وَكَذَلِكَ الدُّعَاءُ وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُ إِذَا كَانَ بِصَدَقٍ مِنَ الدَّاعِي وَإِخْلَاصٍ وَتَضَرُّعٍ فَهُوَ فِي مَوْضِعِهِ أَفْضَلُ مِنَ الصَّدَقَةِ عَنْهُ كَالصَّلَاةِ عَلَى جِنَازَتِهِ وَالْوُقُوفُ لِلدُّعَاءِ عَلَى قَبْرِهِ. وَبِالْجُمْلَةِ فَأَفْضَلُ مَا يَهْدِي إِلَى الْمَيِّتِ الْعَتَقُ وَالصَّدَقَةُ وَالِاسْتِغْفَارُ [لَهُ] وَالِدُّعَاءُ لَهُ وَالْحَجُّ عَنْهُ.

وَأَمَّا قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ وَإِهْدَاؤُهَا لَهُ تَطَوُّعًا بِغَيْرِ أُجْرَةٍ، فَهَذَا يَصِلُ إِلَيْهِ كَمَا يَصِلُ ثَوَابُ الصَّوْمِ وَالْحَجِّ.

فَإِنْ قِيلَ: فَهَذَا لَمْ يَكُنْ مَعْرُوفًا فِي السَّلَفِ وَلَا يُمَكِّنُ نَقْلَهُ عَنْ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَعَ شِدَّةِ حِرْصِهِمْ عَلَى الْحَيْثُورِ وَلَا أُرْشِدِهِمُ النَّبِيَّ ﷺ إِلَيْهِ، وَقَدْ أُرْشِدُهُمْ إِلَى الدُّعَاءِ وَالِاسْتِغْفَارِ وَالصَّدَقَةِ وَالْحَجِّ وَالصِّيَامِ، فَلَوْ كَانَ ثَوَابُ الْقِرَاءَةِ يَصِلُ لِأُرْشِدِهِمْ إِلَيْهِ وَلَكَانُوا يَفْعَلُونَهُ؟

فَالْجَوَابُ: أَنْ مُورِدَ هَذَا السُّؤَالَ إِنْ كَانَ مُعْتَرِفًا بِوُجُودِ ثَوَابِ الْحَجِّ وَالصِّيَامِ وَالِدُّعَاءِ وَالِاسْتِغْفَارِ، قِيلَ لَهُ: مَا هَذِهِ الْخَاصِيَّةُ الَّتِي مَنَعَتْ وَصُولَ ثَوَابِ الْقُرْآنِ

(١) (حسن بشواهد) وقد تقدم ص ( ) .

واقتضت وُصول ثَوَابِ هَذِهِ الْأَعْمَالِ وَهَلْ هَذَا إِلَّا تَفْرِيقٌ بَيْنَ الْمِثَالِاتِ (١)، وَإِنْ لَمْ يَعْتَرَفْ بِوُصُولِ تِلْكَ الْأَشْيَاءِ إِلَى الْمَيِّتِ فَهُوَ مَحْجُوجٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ وَقَوَاعِدِ الشَّرْعِ.

وَأَمَّا السَّبَبُ الَّذِي لِأَجْلِهِ لَمْ يَظْهَرِ ذَلِكَ فِي السَّلَفِ: فَهُوَ أَنَّهُمْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ أَوْقَافٌ عَلَى مَنْ يَقْرَأُ وَيَهْدِي إِلَى الْمَوْتَى، وَلَا كَانُوا يَعْرِفُونَ ذَلِكَ الْبِتَّةِ، وَلَا كَانُوا يَقْصِدُونَ الْقَبْرَ لِلْقِرَاءَةِ عِنْدَهُ كَمَا يَفْعَلُهُ النَّاسُ الْيَوْمَ، وَلَا كَانَ أَحَدُهُمْ يُشْهَدُ مِنْ حَضْرِهِ مِنَ النَّاسِ عَلَى أَنْ ثَوَابِ هَذِهِ الْقِرَاءَةِ لِفُلَانٍ الْمَيِّتِ بَلْ وَلَا ثَوَابِ هَذِهِ الصَّدَقَةِ وَالصَّوْمِ.

ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الْقَائِلُ: لَوْ كَلَفْتُ أَنْ تَنْقُلَ عَنِّي وَاحِدًا مِنَ السَّلَفِ أَنَّهُ، قَالَ: اللَّهُمَّ ثَوَابِ هَذَا الصَّوْمِ لِفُلَانٍ لَعَجَزْتُ، فَإِنَّ الْقَوْمَ كَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى كِتْمَانِ أَعْمَالِ الْبَرِّ، فَلَمْ يَكُونُوا لِيُشْهَدُوا عَلَى اللَّهِ بِإِيصَالِ ثَوَابِهَا إِلَى أَمْوَاتِهِمْ.

فَإِنْ قِيلَ: فَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَرَشَدَهُمْ إِلَى الصَّوْمِ وَالصَّدَقَةِ وَالْحَجِّ دُونَ الْقِرَاءَةِ. قِيلَ: هُوَ ﷺ لَمْ يَبْتَدِئَهُمْ بِذَلِكَ بَلْ خَرَجَ مِنْهُ مَخْرَجُ الْجَوَابِ لَهُمْ، فَهَذَا سَأَلَهُ عَنِ الْحَجِّ عَنِ مَيِّتِهِ فَإِذْنٌ لَهُ فِيهِ، وَهَذَا سَأَلَهُ عَنِ الصِّيَامِ [عَنْهُ] فَإِذْنٌ لَهُ، وَهَذَا سَأَلَهُ عَنِ الصَّدَقَةِ فَإِذْنٌ لَهُ، وَلَمْ يَمْنَعُهُمْ مِمَّا سِوَى ذَلِكَ، وَأَيُّ فَرْقٍ بَيْنَ وُصُولِ ثَوَابِ الصَّوْمِ الَّذِي هُوَ مُجَرَّدُ نِيَّةٍ وَإِمْسَاكِ وَبَيْنَ وُصُولِ ثَوَابِ الْقِرَاءَةِ وَالذِّكْرِ.

وَالْقَائِلُ: أَنْ أَحَدًا مِنَ السَّلَفِ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ قَائِلٌ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ فَإِنَّ هَذِهِ شَهَادَةٌ عَلَى نَفْسِي مَا لَمْ يَعْمَلْهُ، فَمَا يَدْرِيهِ أَنَّ السَّلَفَ كَانُوا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ وَلَا يُشْهَدُونَ مِنْ حَضْرِهِمْ

(١) قلت: هذه الخاصية هي: أن الأمور ورد النص بوصولها إلى الميت، وثواب القرآن لم يأت كذلك ولم يكن عليه عمل السلف، وهذه عبادات مبناها على التوقيف، ولا يتوسع فيها بالأقيسة والآراء كما تقدم عن ابن كثير والله أعلم.

عَلَيْهِ بَلْ يَكْفِي إِطْلَاعَ عِلْمِ الْغُيُوبِ عَلَى نِيَاتِهِمْ وَمَقاصِدِهِمْ لَا سِيَّمَا وَالتَّلَفُظِ بِنِيَةِ الْإِهْدَاءِ لَا يَشْتَرِطُ كَمَا تَقْدُمُ.

وسر المسألة: أن الثَّوَابَ مِلْكٌ لِلْعَامِلِ فَإِذَا تَبَرَّعَ بِهِ وَأَهْدَاهُ إِلَى أَخِيهِ الْمُسْلِمِ أَوْصَلَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ فَمَا الَّذِي خَصَّ مِنْ هَذَا ثَوَابَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَحَجْرٍ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يُوصلَهُ إِلَى أَخِيهِ، وَهَذَا عَمَلُ النَّاسِ حَتَّى الْمُنْكَرِينَ فِي سَائِرِ الْإِعْصَارِ وَالْأَمْصَارِ مِنْ غَيْرِ نَكِيرٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ.

فَإِنْ قِيلَ: فَمَا تَقُولُونَ فِي الْإِهْدَاءِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قِيلَ: مِنَ الْفُقَهَاءِ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنْ اسْتَحْبِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَسْتَحِبْهُ وَرَأَاهُ بَدْعَةً، لِأَنَّ الصَّحَابَةَ لَمْ يَكُونُوا يَفْعَلُونَهُ وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَهُ أَجْرٌ كُلٌّ مِنْ عَمَلٍ خَيْرًا مِنْ أُمَّتِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِ الْعَامِلِ شَيْءٌ؛ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي دَلَّ أُمَّتَهُ عَلَى كُلِّ خَيْرٍ وَأَرْشَدَهُمْ وَدَعَاهُمْ إِلَيْهِ: «وَمَنْ دَعَا إِلَى هُدًى فَلَهُ مِنْ أَجْرِ مِثْلِ أَجْرِ مَنْ أَتبعَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْوَرِهِمْ شَيْءٌ»، وَكُلُّ هُدًى وَعِلْمٍ فَإِنَّمَا نَالَ أُمَّتَهُ عَلَى يَدِهِ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ أَتبعَهُ أَهْدَاهُ إِلَيْهِ أَوْ لَمْ يَهْدِهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.<sup>(١)</sup>



<sup>(١)</sup> قال شيخ الإسلام كما في «الاختيارات الفقهية» للبعلي (ص ١٣٨): ولا يستحب إهداء القرب إلى رسول الله ﷺ بل هو بدعة هذا هو الصواب المقطوع به.

وقال كما في «مجموع الفتاوى» (١/٣٢٧ وما بعدها): ولهذا لم يكن الصحابة والسلف يهدون إليه ثواب أعمالهم ولا يحجون عنه ولا يتصدقون ولا يقرؤون القرآن ويهدون له.... وانظر «مجموع الفتاوى»:



## فصل

## وأما المسألة السابعة عشرة

وهي: هل الروح قديمة أو محدثة مخلوقة؟

وَإِذَا كَانَتْ مَحْدُثَةً مَخْلُوقَةً وَهِيَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ، فَكَيْفَ يَكُونُ أَمْرُ اللَّهِ مُحْدِثًا مَخْلُوقًا وَقَدْ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ نَفَخَ فِي آدَمَ مِنْ رُوحِهِ فَهَذِهِ الْإِضَافَةُ إِلَيْهِ هَلْ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا قَدِيمَةٌ أَمْ لَا؟ وَمَا حَقِيقَةُ هَذِهِ الْإِضَافَةِ فَقَدْ أَخْبَرَ عَنِ آدَمَ أَنَّهُ خَلَقَهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ فَأَضَافَ الْيَدَ وَالرُّوحَ إِلَيْهِ إِضَافَةً وَاحِدَةً؟

فَهَذِهِ مَسْأَلَةٌ زَلَّ فِيهَا عَالَمٌ، وَضَلَّ فِيهَا طَوَائِفٌ مِنْ بَنِي آدَمَ، وَهَدَى اللَّهُ أَتْبَاعَ رَسُولِهِ ﷺ فِيهَا لِلْحَقِّ الْمُبِينِ وَالصَّوَابِ الْمُسْتَبِينِ، فَأَجْمَعَتِ الرُّسُلُ صَلَوَاتِ اللَّهِ وَسَلَامِهِ عَلَيْهِمْ: عَلَى أَنَّهَا مَحْدُثَةٌ مَخْلُوقَةٌ مَصْنُوعَةٌ مَرْبُوبَةٌ مُدْبِرَةٌ، هَذَا مَعْلُومٌ بِالْإِضْطِرَارِ مِنْ دِينِ الرُّسُلِ صَلَوَاتِ اللَّهِ وَسَلَامِهِ عَلَيْهِمْ، كَمَا يَعْلَمُ بِالْإِضْطِرَارِ مِنْ دِينِهِمْ أَنَّ الْعَالَمَ حَادِثٌ، وَأَنَّ مَعَادَ الْأَبْدَانِ وَقَعَ، وَأَنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ الْخَالِقُ وَكُلِّ مَا سِوَاهُ مَخْلُوقٌ لَهُ.

وَقَدْ انطوى عَصْرُ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَتَابِعِيهِمْ وَهُمْ الْقُرُونُ الْمَفْضَلَةُ عَلَى ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ اخْتِلَافٍ بَيْنَهُمْ فِي حَدُوثِهَا، وَأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ حَتَّى نَبَغَتْ نَابِغَةً مِمَّنْ قَصَرَ فَهْمُهُ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ فَرَزَعَمَ أَنَّهَا قَدِيمَةٌ غَيْرَ مَخْلُوقَةٍ وَاحْتَجَّ عَلَى ذَلِكَ بِأَنَّهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَأَمْرِهِ غَيْرَ مَخْلُوقٍ وَبِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَضَافَهَا إِلَيْهِ كَمَا أَضَافَ إِلَيْهِ عِلْمَهُ وَكِتَابَهُ وَقُدْرَتَهُ وَسَمْعَهُ وَبَصْرَهُ وَيَدَهُ، وَتَوَقَّفَ آخَرُونَ وَقَالُوا: لَا نَقُولُ: مَخْلُوقَةٌ وَلَا غَيْرَ مَخْلُوقَةٌ.

وَسُئِلَ عَنِ ذَلِكَ حَافِظُ أَصْبَهَانَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَنْدَةَ فَقَالَ: أَمَا بَعْدَ فَإِنْ سَأِلْنَا سَأَلْنِي عَنِ الرُّوحِ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ قِوَامَ أَنْفُسِ الْخَلْقِ وَأَبْدَانِهِمْ، وَذَكَرَ أَنَّ أَقْوَامًا تَكَلَّمُوا فِي الرُّوحِ وَزَعَمُوا أَنَّهَا غَيْرَ مَخْلُوقَةٍ وَخَصَّ بَعْضُهُمْ مِنْهَا أَرْوَاحَ الْقُدْسِ وَأَنَّهَا مِنْ ذَاتِ اللَّهِ، قَالَ: وَأَنَا أَذْكَرُ اخْتِلَافَ أَقْوَابِلِ مُتَقَدِّمِيهِمْ وَأَبِينِ مَا يُخَالِفُ أَقْوَابِلَهُمْ مِنْ

الكتاب والأثر، وأقاويل الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَأهل العلم وأذكر بعد ذَلِكَ وَجُوهَ الرُّوحِ من الكتاب والأثر وأوضح خطأ المتكلم في الروح بِغَيْرِ علم، وَأَنْ كَلَامُهُمْ يُوَافِقُ قَوْلَ جَهْمٍ<sup>(١)</sup>، وَأَصْحَابِهِ فَنَقُولُ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ:

إِنَّ النَّاسَ اخْتَلَفُوا فِي مَعْرِفَةِ الْأَرْوَاحِ وَمَحَلِّهَا مِنَ النَّفْسِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْأَرْوَاحُ كُلُّهَا مَخْلُوقَةٌ، وَهَذَا مَذْهَبُ أَهْلِ الْجَمَاعَةِ وَالْأَثَرِ، وَاحْتَجَّتْ بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مَجْنُودَةٌ»، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ وَمَا تَنَافَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ<sup>(٢)</sup>، وَالْجُنُودُ الْمَجْنُودَةُ لَا تَكُونُ إِلَّا مَخْلُوقَةٌ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْأَرْوَاحُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ أَخْفَى اللَّهُ حَقِيقَتَهَا وَعَلِمَهَا عَنِ الْخَلْقِ، وَاحْتَجَّتْ بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥].

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْأَرْوَاحُ نُورٌ مِنْ أَنْوَارِ اللَّهِ تَعَالَى وَحَيَاةٌ مِنْ حَيَاتِهِ، وَاحْتَجَّتْ بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ خَلْقَهُ فِي ظِلْمَةٍ ثُمَّ أَلْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ»<sup>(٣)</sup>.

ثُمَّ ذَكَرَ الْخِلَافَ فِي الْأَرْوَاحِ هَلْ تَمُوتُ أَمْ لَا؟ وَهَلْ تَعَذِّبُ مَعَ الْأَجْسَادِ فِي الْبَرْزَخِ وَفِي مَسْتَقَرِّهَا بَعْدَ الْمَوْتِ؟ وَهَلْ هِيَ النَّفْسُ أَوْ غَيْرُهَا؟

<sup>(١)</sup> هو جهم بن صفوان أبو محرز السمرقندي أس الضلالة ورأس الجهمية كان ينكر الصفات ويقول بنخلق القرآن، ويقول إن الله في الأمكنة كلها وغير ذلك، قيل: إن الذي قتله هو سلم بن أحوز لإنكاره أن الله كلم موسى. انظر "سير أعلام النبلاء": (٢٦/٦) وقال الذهبي في "ميزان الاعتدال" (٤٢٦/١): هلك في زمن التابعين وما علمته روى شيئاً ولكنه زرع شراً عظيماً.

<sup>(٢)</sup> أخرجه مسلم: (٢٦٣٨) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

<sup>(٣)</sup> (صحيح) أخرجه أحمد: (١٧٦/٢)، وابن حبان (٦١٦٩)، وابن أبي عاصم في "السنة": (٢٤٣)، و (٢٤٤) من طرق عن الأوزاعي حدثني ربيعة بن يزيد عن عبدالله بن الدلمي عن عبدالله بن عمرو به، وإسناده صحيح. وللحديث إسناد آخر عند الترمذي: (٢٦٤٢)، وثالث عند أحمد: (١٩٧/٢).

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرِ الْمُرُوزِيِّ فِي كِتَابِهِ: تَأْوَلُ صَنْفٌ مِنَ الزَّنَادِقَةِ وَصَنْفٌ مِنَ الرُّوَافِضِ فِي رُوحِ آدَمَ مَا تَأْوَلْتَهُ النَّصَارَى فِي رُوحِ عِيسَى وَمَا تَأْوَلَهُ قَوْمٌ مِنْ أَنَّ الرُّوحَ انْفَصَلَ مِنْ ذَاتِ اللَّهِ فَصَارَ فِي الْمُؤْمِنِ. فَعَبَدَ صَنْفٌ مِنَ النَّصَارَى عِيسَى وَمَرِيَمَ جَمِيعًا؛ لِأَنَّ عِيسَى عِنْدَهُمْ رُوحٌ مِنَ اللَّهِ صَارَ فِي مَرِيَمَ فَهُوَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ عِنْدَهُمْ.

وَقَالَ صَنْفٌ مِنَ الزَّنَادِقَةِ وَصَنْفٌ مِنَ الرُّوَافِضِ: إِنْ رُوحُ آدَمَ مِثْلُ ذَلِكَ أَنَّهُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ وَتَأْوَلُوا قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾ [ص: ٧٢]، وَقَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ﴾ [السجدة: ٩]، فزعموا: أَنَّ رُوحَ آدَمَ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ، كَمَا تَأْوَلُ مِنْ قَالٍ: أَنَّ النُّورَ مِنَ الرَّبِّ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، قَالُوا: ثُمَّ صَارَ بَعْدَ آدَمَ فِي الوَصِيِّ بَعْدَهُ، ثُمَّ هُوَ فِي كُلِّ نَبِيٍّ وَوَصِيٍّ إِلَى أَنْ صَارَ فِي عَلِيِّ ثُمَّ فِي الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ ثُمَّ فِي كُلِّ وَصِيٍّ وَإِمَامٍ فِيهِ يَعْلَمُ الْإِمَامُ كُلَّ شَيْءٍ وَلَا يَحْتَاجُ أَنْ يَتَعَلَّمَ مِنْ أَحَدٍ.

وَلَا خِلَافَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ: أَنَّ الْأَرْوَاحَ الَّتِي فِي آدَمَ وَبَنِيهِ وَعِيسَى وَمَنْ سِوَاهُ مِنْ بَنِي آدَمَ كُلِّهَا مَخْلُوقَةٌ لِلَّهِ خَلَقَهَا وَأَنْشَأَهَا وَكَوْنَهَا وَخْتَرَعَهَا، ثُمَّ أَضَافَهَا إِلَى نَفْسِهِ كَمَا أَضَافَ إِلَيْهِ سَائِرَ خَلْقِهِ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ ﴾ [الجن: ١٣].

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ<sup>(١)</sup>: رُوحُ الْآدَمِيِّ مَخْلُوقَةٌ مُبْتَدَعَةٌ بِاتِّفَاقِ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَتْمَتِهَا وَسَائِرِ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَقَدْ حَكَى إِجْمَاعُ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ غَيْرُ وَاحِدَةٍ مِنْ أُمَّةٍ الْمُسْلِمِينَ مِثْلَ مُحَمَّدِ بْنِ نَصْرِ الْمُرُوزِيِّ الْإِمَامِ الْمَشْهُورِ الَّذِي هُوَ مِنْ أَعْلَمِ أَهْلِ زَمَانِهِ بِالْإِجْمَاعِ وَالْاِخْتِلَافِ.

(١) انظر «مجموع الفتاوى»: (٤/٢١٦).

وَكَذَلِكَ أَبُو مُحَمَّدٍ بِنِ قُتَيْبَةَ قَالَ فِي كِتَابِ اللَّفْظِ<sup>(١)</sup> لَمَّا تَكَلَّمَ عَلَى الرُّوحِ قَالَ: النِّسْمُ الأَرْوَاحُ، قَالَ: وَأَجْمَعَ النَّاسُ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ فَالِقُ الحَبَّةِ وَبَارِئُ النَّسْمَةِ أَي: خَالِقُ الرُّوحِ.

وَقَالَ أَبُو إِسْحَاقَ ابْنُ شَاقِلَةَ فِيمَا أَجَابَ بِهِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ: سَأَلْتُ رَجُلًا مِنَ اللَّهِ عَنِ الرُّوحِ مَخْلُوقَةٌ هِيَ أَوْ غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ؟ قَالَ: وَهَذَا مِمَّا لَا يَشْكُ فِيهِ مِنْ وَفْقٍ لِلصَّوَابِ أَنَّ الرُّوحَ مِنَ الأَشْيَاءِ المَخْلُوقَةِ.

وَقَدْ تَكَلَّمَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ طَوَائِفٌ مِنْ أَكْبَرِ العُلَمَاءِ وَالمَشَايخِ وَرَدُوا عَلَى مَنْ يَزْعُمُ إِتْمَانَهَا غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ، وَصَنَّفَ الحَافِظُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بِنِ مَنذَةَ فِي ذَلِكَ كِتَابًا كَبِيرًا وَقَبْلَهُ الإِمَامُ مُحَمَّدُ بِنِ نَصْرِ المَرْوَزِيِّ وَغَيْرِهِ، وَالشَّيْخُ أَبُو سَعِيدِ الخِرَازِ، وَأَبُو يَعْقُوبَ النَّهْرَجُورِيِّ، وَالقَاضِي أَبُو يَعْلَى.

وَقَدْ نَصَّ عَلَى ذَلِكَ الأَيْمَةُ الكِبَارُ وَاشْتَدَّ نَكِيرُهُمْ عَلَى مَنْ يَقُولُ ذَلِكَ فِي رُوحِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فَكَيْفَ بِرُوحِ غَيْرِهِ كَمَا ذَكَرَهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ فِيمَا كَتَبَهُ فِي مَحَبْسِهِ فِي "الرَّدِّ عَلَى الزَّنَادِقَةِ وَالجَهْمِيَّةِ"<sup>(٢)</sup>: «ثُمَّ إِنَّ الجَهْمِيَّ ادَّعَى أَمْرًا فَقَالَ: أَنَا أَجِدُ آيَةَ فِي كِتَابِ اللَّهِ بِمَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ القُرْآنَ مَخْلُوقٌ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا المَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ القَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ [النساء: ١٧١]، وَعِيسَى مَخْلُوقٌ قُلْنَا لَهُ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَنَعَكَ الفَهْمَ لِلقُرْآنِ، إِنَّ عِيسَى تَجَرَّى عَلَيْهِ الفَاطُ لَا تَجَرَّى عَلَى القُرْآنِ؛ لِأَنَّ نُسْمِيَهُ مَوْلُودًا وَطِفْلًا وَصَبِيًّا وَغُلَامًا يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ، وَهُوَ مُحَاطَبٌ بِالأَمْرِ وَالنَّهْيِ يَجْرِي عَلَيْهِ الخُطَابُ

<sup>(١)</sup> وهو كتاب "الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة"، والاجماع المنقول في كتابه هذا ص (٦٦) ط دار الراجعية.

<sup>(٢)</sup> انظر كتاب "الرد على الزنادقة والجهمية" للإمام أحمد ص (٣٢) ط المطبعة السلفية

والوعد والوعيد، ثم هو من ذرية نوح ومن ذرية إبراهيم فلا يحل لنا أن نقول في القرآن ما نقول في عيسى .

ولكن المعنى في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ ﴾ [النساء: ١٧١]، فالكلمة التي القاها إلى مريم حين قال له: كن فكان عيسى بـ«كن» وليس عيسى هو «كن»، ولكن كان بـ«كن» فـ«كن» من الله قول وليس «كن» مخلوقاً.

وكذبت النصارى والجهمية على الله في أمر عيسى وذلك أن الجهمية قالوا: روح الله وكلمته، إلا أن كلمته مخلوقة. وقالت النصارى: عيسى روح الله وكلمته، فالكلمة من ذاته كما يقال: هذه الخزفة من هذا الثوب.

قلنا نحن: إن عيسى بالكلمة كان وليس عيسى هو الكلمة، وإنما الكلمة قول الله. وقوله: ﴿ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾ [النساء: ١٧١]، يقول من أمره كان الروح فيه كقوله تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ ﴾ [الجن: ١٣]، يقول من أمره، وتفسير روح الله إنما معناها بكلمة الله خلقها كما يقال عبد الله، وساء الله، وأرض الله<sup>(١)</sup>.

فقد صرح بأن روح المسيح مخلوقة فكيف بسائر الأرواح، وقد أضاف الله إليه الروح الذي أرسله إلى مريم وهو عبده ورسوله، ولم يدل على ذلك أنه قديم غير مخلوق فقال تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ \* قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ

(١) هنا انتهى النقل عن الإمام أحمد من كتابه الرد على الزنادقة والجهمية.

إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا \* قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ [لَأَهَبَ لَكَ غُلَامًا زَكِيًّا] ﴿١٦﴾ [مريم: ١٦-١٩]، فَهَذَا  
الرُّوحُ هُوَ رُوحُ اللَّهِ وَهُوَ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ<sup>(١)</sup>.

وَسَنَذَكُرُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى أَقْسَامَ الْمُضَافِ إِلَى اللَّهِ وَإِنِّي يَكُونُ الْمُضَافُ صِفَةً لَهُ قَدِيمَةً،  
وَأَنِّي يَكُونُ مَخْلُوقًا وَمَا ضَابِطٌ ذَلِكَ.

### فصل

وَالَّذِي يَدُلُّ عَلَى خَلْقِهَا وَجُوه:

أحدها: قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]، فَهَذَا اللَّفْظُ عَامٌ لَا  
تَخْصِيصَ فِيهِ بَوَجْهِ مَا وَلَا يَدْخُلُ فِي ذَلِكَ صِفَاتُهُ فَإِنَّهَا دَاخِلَةٌ فِي مُسَمَّى اسْمِهِ، فَاللَّهُ  
سُبْحَانَهُ هُوَ الْإِلَهَ الْمَوْصُوفُ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ فَعَلِمَهُ وَقَدْرَتَهُ وَحَيَاتِهِ وَإِرَادَتِهِ وَسَمِعَهُ  
وَبَصَرَهُ وَسَائِرَ صِفَاتِهِ دَاخِلٌ فِي مُسَمَّى اسْمِهِ لَيْسَ دَاخِلًا فِي الْأَشْيَاءِ الْمَخْلُوقَةِ كَمَا لَمْ  
تَدْخُلْ ذَاتُهُ فِيهَا، فَهُوَ سُبْحَانَهُ بِذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ الْخَالِقِ وَمَا سِوَاهُ مَخْلُوقٍ، وَمَعْلُومٌ قَطْعًا أَنَّ  
الرُّوحَ لَيْسَتْ هِيَ اللَّهُ وَلَا صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِهِ، وَإِنَّمَا هِيَ مَصْنُوعَةٌ مِنْ مَصْنُوعَاتِهِ فَوْقَ  
الْخَلْقِ عَلَيْهَا كَوُقُوعِهِ عَلَى الْمَلَائِكَةِ وَالْجِنِّ وَالْإِنْسِ.

الْوَجْهُ الثَّانِي: قَوْلُهُ تَعَالَى زَكْرِيَّا: ﴿وَقَدْ خَلَقْتِكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ [مريم: ٩]،  
وَهَذَا الْخِطَابُ لِرُوحِهِ وَبَدَنِهِ لَيْسَ لِبَدَنِهِ فَقَطْ، فَإِنَّ الْبَدْنَ وَحْدَهُ لَا يَفْهَمُ وَلَا يُخَاطَبُ وَلَا  
يَعْقَلُ وَإِنَّمَا الَّذِي يَفْهَمُ وَيَعْقَلُ وَيَخَاطَبُ هُوَ الرُّوحُ.

<sup>(١)</sup> كل هذا من كلام شيخ الاسلام كما في "مجموع الفتاوى": (٤/٢١٦-٢٣١)، وقد اختصره ابن القيم هنا،  
وهو كلام طويل مفيد في هذه المسألة.

الثَّالِثُ: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصفات: ٩٦].

الرَّابِعُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾ [الأعراف: ١١]، وَهَذَا الْإِخْبَارُ إِنَّمَا يَتَنَاوَلُ أَرْوَاحَنَا وَأَجْسَادَنَا كَمَا يَقُولُهُ الْجُمْهُورُ، وَأَمَّا أَنْ يَكُونَ وَقَعًا عَلَى الْأَرْوَاحِ قَبْلَ خَلْقِ الْأَجْسَادِ كَمَا يَقُولُهُ مِنْ يَزْعُمُ ذَلِكَ، وَعَلَى التَّقْدِيرِينَ فَهُوَ صَرِيحٌ فِي خَلْقِ الْأَرْوَاحِ.

الخَامِسُ: النَّصُوصُ الدَّالَّةُ عَلَى أَنَّهُ سُبْحَانَهُ رَبُّنَا وَرَبُّ آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ وَرَبُّ كُلِّ شَيْءٍ، وَهَذِهِ الرَّبُوبِيَّةُ شَامِلَةٌ لِأَرْوَاحِنَا وَأَبْدَانِنَا، [فالأرواح] مَرْبُوبَةٌ لَهُ مَخْلُوقَةٌ مَمْلُوكَةٌ كَمَا أَنَّ الْأَجْسَامَ كَذَلِكَ وَكُلُّ مَرْبُوبٍ مَمْلُوكٌ فَهُوَ مَخْلُوقٌ.

السَّادِسُ: أَوَّلُ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ وَهِيَ الْفَاتِحَةُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْأَرْوَاحَ مَخْلُوقَةَ مِنْ عَدَّةٍ أَوْجِه:

أَحَدُهَا: قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الفاتحة: ٢]، وَالْأَرْوَاحُ مِنْ جَمَلَةِ الْعَالَمِ فَهُوَ رَبُّهَا.

الثَّانِي: قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥]، فَالْأَرْوَاحُ عَابِدَةٌ لَهُ مُسْتَعِينَةٌ بِهِ وَلَوْ كَانَتْ غَيْرَ مَخْلُوقَةٍ لَكَانَتْ مَعْبُودَةً مُسْتَعَانًا بِهَا.

الثَّالِثُ: إِنَّمَا فَقِيرَةٌ إِلَى هِدَايَةِ فَاطِرِهَا وَرَبِّهَا تَسْأَلُهُ أَنْ يَهْدِيَهَا صِرَاطَهُ الْمُسْتَقِيمَ.

الرَّابِعُ: أَنَّمَا مَنَعَمَ عَلَيْهَا مَرْحُومَةٌ وَمَغْضُوبٌ عَلَيْهَا وَضَالَةٌ شَقِيَّةٌ، وَهَذَا شَأْنُ الْمَرْبُوبِ وَالْمَمْلُوكِ لَا شَأْنُ الْقَدِيمِ غَيْرِ الْمَخْلُوقِ.

السَّابِعُ: النَّصُوصُ الدَّالَّةُ عَلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ عَبْدٌ بِجَمَلَتِهِ وَكَيْسَتْ عِبُودِيَّتُهُ وَاقِعَةٌ عَلَى بَدَنِهِ دُونَ رُوحِهِ؛ بَلْ عِبُودِيَّةُ الرُّوحِ أَصْلٌ وَعِبُودِيَّةُ الْبَدَنِ تَبَعٌ، كَمَا أَنَّهُ تَبَعٌ لَهَا فِي الْأَحْكَامِ، وَهِيَ الَّتِي تَحْرِكُهُ وَتَسْتَعْمَلُهُ، فَهُوَ تَبَعٌ لَهَا فِي الْعِبُودِيَّةِ.

الْوَجْهُ الثَّامِنُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾ [الإنسان: ١]، فَلَوْ كَانَتْ رُوحُهُ قَدِيمَةً لَكَانَ الْإِنْسَانُ لَمْ يَزَلْ شَيْئًا مَّذْكُورًا فَإِنَّهُ إِنَّمَا هُوَ إِنْسَانٌ بِرُوحِهِ لَا بِبَدَنِهِ فَقَطَّ كَمَا قِيلَ:

يَا خَادِمَ الْجِسْمِ كَمْ تَشْقَى بِخِدْمَتِهِ فَأَنْتَ بِالرُّوحِ لَا بِالْجِسْمِ إِنْسَانٌ<sup>(١)</sup>

الْوَجْهُ التَّاسِعُ: النَّصُوصُ الدَّالَّةُ عَلَى أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ كَانَ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرَهُ كَمَا ثَبَتَ فِي "صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ" مِنْ حَدِيثِ عَمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ: أَنَّ أَهْلَ الْيَمَنِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ جَنَّاتِكَ لَتَتَفَقَّهُ فِي الدِّينِ وَنَسْأَلُكَ عَنْ أَوَّلِ هَذَا الْأَمْرِ فَقَالَ: «كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَكُتِبَ فِي الذِّكْرِ كُلِّ شَيْءٍ»<sup>(٢)</sup>. فَلَمْ يَكُنْ مَعَ اللَّهِ أَرْوَاحٌ وَلَا نَفُوسٌ قَدِيمَةٌ يَسَاوِي وَجُودَهَا وَجُودَهُ تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عَلَوًا كَبِيرًا؛ بَلْ هُوَ الْأَوَّلُ وَحْدَهُ لَا يُشَارِكُهُ غَيْرُهُ فِي أَوْلِيَّتِهِ بِوَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ.

<sup>(١)</sup> قائله هو أبو الفتح علي بن محمد البستي ذكر عنه العاملي في "الكشكول" ص (١١٦)، والدميري في "حياة الحيوان" (٢٤٩/١) باب الثاء المثلثة، ولفظها:

أَتَطْلُبُ الرِّيحَ فِيمَا فِيهِ خَسْرَانٌ  
فَأَنْتَ بِالنَّفْسِ لَا بِالْجِسْمِ إِنْسَانٌ

يَا خَادِمَ الْجِسْمِ كَمْ تَسْعَى لَخِدْمَتِهِ  
أَقْبَلْ عَلَى النَّفْسِ وَاسْتَكْمِلْ فِضَائِلَهَا

قال الدميري: ويقال إنها لأمير المؤمنين الراضي بالله.

<sup>(٢)</sup> أخرجه البخاري (٣١٩١).



الْوَجْهَ الْعَاشِرَ: النُّصُوصُ الدَّالَّةُ عَلَى خَلْقِ الْمَلَائِكَةِ وَهُمْ أَرْوَاحٌ مُسْتَغْنِيَةٌ عَنِ أَجْسَادِ قَوْمٍ بِهَا<sup>(١)</sup>، وَهُمْ مَخْلُوقُونَ قَبْلَ خَلْقِ الْإِنْسَانِ وَرُوحِهِ، فَإِذَا كَانَ الْمَلِكُ الَّذِي يُحْدِثُ الرُّوحَ فِي جَسَدِ ابْنِ آدَمَ بِنَفْسِهِ مَخْلُوقًا فَكَيْفَ تَكُونُ الرُّوحُ الْحَادِثَةُ بِنَفْسِهِ قَدِيمَةً، وَهَؤُلَاءِ الْغَالِطُونَ يَظُنُّونَ أَنَّ الْمَلِكَ يُرْسَلُ إِلَى الْجَنِينِ بِرُوحٍ قَدِيمَةٍ أَزَلِيَّةٍ يَنْفَخُهَا فِيهِ كَمَا يُرْسَلُ الرَّسُولُ بِثَوْبٍ إِلَى الْإِنْسَانِ يَلْبَسُهُ إِيَّاهُ، وَهَذَا ضَلَالٌ وَخَطَأٌ وَإِنَّمَا يُرْسَلُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ إِلَيْهِ الْمَلِكُ فَيَنْفَخُ فِيهِ نَفْخَةً تَحْدِثُ لَهُ الرُّوحَ بِوَاسِطَةِ تِلْكَ النَفْخَةِ فَتَكُونُ النَفْخَةُ هِيَ سَبَبُ حُصُولِ الرُّوحِ وَحُدُوثِهَا لَهُ كَمَا كَانَ الْوَطْءُ وَالْإِنْزَالُ سَبَبَ تَكْوِينِ جِسْمِهِ، وَالغِذَاءُ سَبَبَ نُمُوهِ فَهَادَةُ الرُّوحِ مِنْ نَفْخَةِ الْمَلِكِ وَمَادَةُ الْجِسْمِ مِنْ صَبِّ الْمَاءِ فِي الرَّحِمِ، فَهَذِهِ مَادَّةٌ سَمَاوِيَّةٌ وَهَذِهِ مَادَّةٌ أَرْضِيَّةٌ، فَمَنْ النَّاسُ مِنْ تَغْلِبِ عَلَيْهِ الْمَادَّةُ السَّمَاوِيَّةُ فَتَصِيرُ رُوحَهُ عُلُويَّةً شَرِيفَةً تَنَاسَبُ الْمَلَائِكَةَ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَغْلِبُ عَلَيْهِ الْمَادَّةُ الْأَرْضِيَّةُ فَتَصِيرُ رُوحَهُ سَفَلِيَّةً تَرَابِيَّةً مَهِينَةً تَنَاسَبُ الْأَرْوَاحَ السَفَلِيَّةَ، فَالْمَلِكُ أَبٌ لِرُوحِهِ وَالتُّرَابُ أَبٌ لِبَدَنِهِ وَجِسْمِهِ.

الْوَجْهَ الْحَادِي عَشَرَ: حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه الَّذِي فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» وَغَيْرِهِ: عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: «الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ وَمَا تَنَاسَرَ مِنْهَا ائْتَلَفَ». <sup>(٢)</sup> وَالْجُنُودُ الْمُجَنَّدَةُ لَا تَكُونُ إِلَّا مَخْلُوقَةً، وَهَذَا الْحَدِيثُ رَوَاهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَبُو

(١) هذا القول غير صحيح وقد تقدم التنبيه ص ( ) .

(٢) أخرجه البخاري: (٣٣٣٦) معلقاً عن عائشة رضي الله عنها، ووصله في «الأدب المفرد»: (٩٠٠) بإسناد صحيح.

وأما حديث أبي هريرة فإنها أخرجه مسلم: (٢٦٣٨) دون البخاري.

هُرَيْرَةَ<sup>(١)</sup> وَعَائِشَةَ أُمَ الْمُؤْمِنِينَ<sup>(٢)</sup> ، وسلمان الفَارِسِيِّ<sup>(٣)</sup> ، وَعبد الله بن عَبَّاسٍ<sup>(٤)</sup> ، وَعبد الله ابن مَسْعُودٍ<sup>(٥)</sup> ،

<sup>(١)</sup> أخرجه مسلم: (٢٦٣٨) .

<sup>(٢)</sup> علقه البخاري: (٣٣٣٦)، ووصله في «الأدب المفرد»: (٩٠٠) وأخرجه موصولاً أبو يعلى: (٤٣٨١) من طريقين عن يحيى بن سعيد عن عمرة عن عائشة به، وإسناده صحيح.

<sup>(٣)</sup> (ضعيف) أخرجه الطبراني في «الكبير»: (٢٦٣/٦)، و«الأوسط»: (٣٤٦/٢) من طريق محمد بن عمار الموصلي حدثنا عيسى بن يونس عن محمد بن عبدالله بن علاثة عن الحجاج بن فرافصة عن أبي عمر عن سلمان به، وهذا إسناد ضعيف محمد بن عبدالله بن علاثة ضعيف، وحجاج بن فرافصة قال الحافظ: صدوق عابد بهم، وأبو عمر - وفي «الأوسط» وقع أبو عمير - وذكره ابن كثير من طريق الطبراني وسماه أبو عمر البصري، ولم يتبين من هو.

\* وقد جاء الحديث عن سلمان بلفظ: «الأزواج جنود مجندة، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا فِي اللَّهِ اتَّخَلَفَ، وَمَا تَنَافَرَ مِنْهَا فِي اللَّهِ ائْتَلَفَ». بزيادة: «في الله». في الموضوعين، وفيه قصة أخرجه الطبراني في «الكبير»: (٢٦٤/٦) وإسناده ضعيف جداً من طريق عبد الأعلى بن أبي المساور قال الحافظ: متروك وكذَّبه ابن معين.

<sup>(٤)</sup> أخرجه السهمي في «تاريخ جرجان»: (٢٤٣-٢٤٤) فقال: أخبرني أبي حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحافظ حدثنا عبد المؤمن بن عيسى حدثنا إبراهيم بن معاوية البصري حدثنا عكرمة بن إبراهيم العوني عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس به، وفي الإسناد مَنْ لم أجد له ترجمة.

<sup>(٥)</sup> (صحيح موقوفاً) رُوِيَ عن ابن مسعود مرفوعاً وموقوفاً.

فأما المرفوع فأخرجه الطبراني في «الكبير»: (٢٣٠/١٠) فقال: حدثنا الحسن بن علي المعمرى حدثنا هذبة بن خالد حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن صفوان بن محرز عن عبدالله بن مسعود أو غيره به مرفوعاً، وهذا إسناد رجاله ثقات إلا الحسن بن علي المعمرى فهو مع صدقه، وحفظه كان يرفع بعض الموقوفات ويزيد في المتون ما ليس منها قال ابن عدي: «رفع أحاديث وهي موقوفة، وزاد في المتون أشياء ليس منها». وقال الخطيب: «في حديثه غرائب وأشياء يتفرد بها».

وأما الموقوف فأخرجه مسدد في مسنده - كما في «المطالب العلية»: - (٤٧/٤) وأبو نعيم في «الحلية»: (٢٠٣/٧) من طريق شعبة حدثني أبو إسحاق عن مرة عن عبدالله به موقوفاً، وإسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين، ولا تضر عننة أبي إسحاق فإن الراوي عنه شعبة.

وله إسناد آخر أخرجه البيهقي في «الشعب»: (٤٩٧/٦) وفيه ضعف تقدم ص (٠).

وَعَبْدُ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو<sup>(١)</sup>، وَعَلَى بْنِ أَبِي طَالِب<sup>(٢)</sup>، وَعَمْرُو بْنُ عَبْسَةَ<sup>(٣)</sup> صِيغَةُ اللَّهِ.

<sup>(١)</sup> (ضعيف جدًا) أخرجه ابن عدي في "الكامل": (١٦٩/٢) ترجمة (بشر بن إبراهيم الأنصاري) فقال: أخبرنا أبو يعلى حدثنا الحسن بن خالد السكري حدثنا بشر بن إبراهيم حدثنا عبد الله بن مروان عن أبي هاشم صاحب الرمان عن زاذان عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «الأرواح جنود مجنونة فما كان في الله اثنتان وما كان في غير الله اختلف». قال ابن عدي: «وهذا الحديث غير محفوظ منكر المتن والإسناد، وبشر بن إبراهيم هذا لا أدري كيف غفل من تكلم في الرجال عنه فإني لم أجد لهم فيه كلامًا وهو بين الضعف جدًا ورواياته التي يرويها عن يروي غير محفوظة، وهو عندي ممن يضع الحديث على الثقات». وقال ابن حبان: «كان يضع الحديث على الثقات». وقال العقيلي: «يروي عن الأوزاعي أحاديث موضوعة لا يتابع عليها».

وللحديث عن ابن عمر طريق أخرى أخرجه ابن عدي في "الكامل": (٣٨٤/٧) من طريق محمد بن عبد الرحمن بن البيهقي عن أبيه، ومحمد هذا متروك وأبوه ضعيف قال ابن حبان: (حدث عن أبيه بنسخة شبيهة ببائتي حديث كلها موضوعة)، وقال الحاكم: (روى عن أبيه عن ابن عمر المعضلات).  
<sup>(٢)</sup> أخرجه الطبراني في "الأوسط": (١٠٥/٦)، والحاكم (٣٩٦-٣٩٧/٤) مطولاً من طريق أزهر بن عبدالله، قال: العقيلي حديثه غير محفوظ، وقد أنكر عليه هذا الحديث بطوله، وقد تقدم الكلام عليه ص (٤).

وللحديث طريق أخرى في "الحلية": (١١٠/٤) قال: حدثنا علي بن محمد بن حبيش حدثنا محمد بن هارون بن مجمع حدثنا غالب بن جبريل السمرقندي حدثنا أحمد بن أبي عبدالله إمام مسجد سمرقند عن أبي حمزة السكري عن الأعمش عن أبي وائل عن علي به مختصراً، ورجال إسناده ثقات إلا غالب بن جبريل السمرقندي، وقد ذكره نجم الدين النسفي في كتابه "القند في ذكر علماء سمرقند" ترجمة رقم: (٩١٦) ووصفه بالحافظ، وكذلك شيخه أحمد بن أبي عبدالله لم أقف له على ترجمة.

<sup>(٣)</sup> (ضعيف جدًا) أخرجه ابن مندة كما سيأتي ص (٤)، فقد ساقه ابن القيم بإسناده وفيه عتبه بن السكن وعطاء بن عجلان وكلاهما منسوب إلى الوضع وراجع الكلام عليه في ذلك الموضوع.

**فائدة:** قد جاء الحديث أيضًا عن أبي الطفيل أخرجه أبو نعيم في "الحلية": (٦٧/٥) من طريق إسماعيل بن أبي الحكم قال: حدثنا يحيى بن اليهان عن سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي الطفيل به، وهذا إسناد ضعيف، إسماعيل بن أبي الحكم قال أبو حاتم: شيخ، ويحيى بن اليهان ضعيف، وحبيب بن أبي ثابت مدلس وقد عنعن.

الْوَجْهَ الثَّانِي عشر<sup>(١)</sup>: أَنَّ الرُّوحَ تُوصَفُ بِالْوَفَاةِ وَالْقَبْضِ وَالْإِمْسَاكِ وَالْإِرْسَالِ، وَهَذَا شَأْنُ الْمَخْلُوقِ الْمُحْدَثِ الْمَرْبُوبِ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الزمر: ٤٢]، وَالْأَنْفُسُ هَا هُنَا هِيَ الْأَرْوَاحُ قِطْعًا، وَفِي «الصَّحِيحِينَ» مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَرِينَا مَعَ رَسُولِ اللهِ فِي سَفَرِ ذَاتِ لَيْلَةٍ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ عَرَسْتَ بِنَا فَقَالَ: «إِنِّي أَخَافُ أَنْ تَنَامُوا فَمَنْ يُوَقِّظُنَا لِلصَّلَاةِ»، فَقَالَ بِلَالٌ: أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَعَرَسَ بِالْقَوْمِ فَاضْطَجَعُوا وَاسْتَدَّ بِلَالٌ إِلَى رَاحِلَتِهِ فَغَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ فَاسْتَيْقِظَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَدْ طَلَعَ حَاجِبُ الشَّمْسِ فَقَالَ: «يَا بِلَالُ أَيْنَ مَا قُلْتَ لَنَا»، فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَلْقَيْتَ عَلَيَّ نَوْمَةً مِثْلَهَا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهُ قَبِضَ أَرْوَاحَكُمْ حِينَ شَاءَ وَرَدَّهَا حِينَ شَاءَ»<sup>(٢)</sup>.

فَهَذِهِ الرُّوحُ الْمَقْبُوضَةُ هِيَ النَّفْسُ الَّتِي يَتَوَفَّاها اللهُ حِينَ مَوْتِهَا وَفِي مَنَامِهَا، وَهِيَ الَّتِي يَتَوَفَّاها مَلِكُ الْمَوْتِ، وَهِيَ الَّتِي تَتَوَفَّاها رَسُلُ اللهِ سُبْحَانَهُ، وَهِيَ الَّتِي يَجْلِسُ الْمَلِكُ عِنْدَ رَأْسِ صَاحِبِهَا وَيُخْرِجُهَا مِنْ بَدَنِهِ كَرَاهَا وَيَكْفِنُهَا بِكَفْنٍ مِنَ الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ، وَيَصْعَدُ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ فَتُصَلِّي عَلَيْهَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ تَلْعَنُهَا، وَتَوَقَّفُ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهَا فَيَقْضَى فِيهَا أَمْرَهُ ثُمَّ

وجاء أيضًا عن جابر بن عبد الله أخرجه البغوي في حديث حماد بن سلمة: (٤٣) كما في «الاياء إلى زوائد الأمالي والأجزاء»: (١٧٤/٢).

وعلى كل حال فمتن الحديث ثابت في الصحيح وغيره، والأحاديث التي ذكرها هنا منها ما صح سندها ومنها ما لم يصح، والمتن ثابت على كل حال، والحمد لله رب العالمين.

<sup>(١)</sup> وهذه اثنا عشر وجهًا ذكرها ابن القيم مدللًا بها على أن الروح مخلوقة، وللمزيد على ذلك راجع «مجموع الفتاوى» لابن تيمية: (٢١٦-٢٣١).

<sup>(٢)</sup> أخرجه البخاري: (٥٩٥) واللفظ له، ومسلم: (٦٨١) بنحوه من طريق عبد الله بن رباح عن أبي قتادة.

تُعَاد إِلَى الْأَرْضِ فَتَدْخُلُ بَيْنَ الْمَيِّتِ وَأَكْفَانِهِ فَتُسْأَلُ وَتُتَحَنُّ وَتُعَاقَبُ وَنَعَمٌ، وَهِيَ الَّتِي تُجْعَلُ فِي أَجْوَافِ الطَّيْرِ الْخَضِرِ تَأْكُلُ وَتَشْرَبُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَهِيَ الَّتِي تَعْرُضُ عَلَى النَّارِ غَدَوًا وَعَشِيًّا.

وَهِيَ الَّتِي تَوْمَنُ وَتَكْفُرُ وَتَطِيعُ وَتَعْصِي، وَهِيَ الْأَمَارَةُ بِالسُّوءِ، وَهِيَ اللُّوَامَةُ، وَهِيَ الْمَطْمِئِنَّةُ إِلَى رَبِّهَا وَأَمْرُهُ وَذِكْرُهُ، وَهِيَ الَّتِي تَعَذِّبُ وَتَنْعَمُ وَتَسْعُدُ وَتَشْقَى وَتَجْبَسُ وَتَرْسَلُ وَتَصِحُّ وَتَسْقَمُ وَتَلْدُ وَتَأْلُمُ وَتَخَافُ وَتَحْزَنُ.

وَمَا ذَاكَ إِلَّا سَمَاتٌ مَخْلُوقٌ مَبْدَعٌ وَصِفَاتٌ مُنْشَأٌ مَخْتَرَعٌ، وَأَحْكَامٌ مَرْبُوبٌ مُدَبَّرٌ مُصَرَّفٌ تَحْتَ مَشِيئَةِ خَالِقِهِ وَفَاطِرِهِ وَبَارئِهِ.

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ عِنْدَ نَوْمِهِ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ خَلَقْتَ نَفْسِي وَأَنْتَ تَوْفَاهَا لَكَ مَمَاتُهَا وَمَحْيَاهَا فَإِنْ أَمْسَكْتَهَا فَارْحَمْهَا، وَإِنْ أُرْسَلْتَهَا فَأَحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ»<sup>(١)</sup>.

وَهُوَ تَعَالَى بَارئُ النَّفُوسِ كَمَا هُوَ بَارئُ الْأَجْسَادِ قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢]، قيل: من قبل أن نبرأ المصيبة، وقيل: من قبل أن نبرأ الأرض، وقيل: من

<sup>(١)</sup> جمع المصنف بين حديثين:

\* أحدهما: أخرجه البخاري: (٦٣٢٠) ومسلم: (٢٧١٤) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا بلفظ: «باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه إن أمسكت نفسي فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين».

\* والثاني: أخرجه مسلم: (٢٧١٢) عن ابن عمر مرفوعًا بلفظ: «اللهم خلقت نفسي وأنت توفاهَا لَكَ مَمَاتُهَا وَمَحْيَاهَا، إِنْ أَحْيَيْتَهَا فَاَحْفَظْهَا وَإِنْ أَمْتَهَا فَاغْفِرْ لَهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ».

قبل أن نبرأ الأنفس وهو أولى؛ لأنه أقرب مذكور إلى الصمير، ولو قيل يرجع إلى الثلاثة أي: من قبل أن نبرأ المصيبة والأرض والأنفس لكان أوجه.

وكيف تكون قديمة مستغنية عن خالق مُحدث مبدع لها وشواهد الفقر والحاجة، والضرورة أعدل شواهد على أنها مخلوقة مربوبة مصنوعة، وأن وجود ذواتها وصفاتها وأفعالها من ربها وفاطرها ليس لها من نفسها إلا العدم فهي لا تملك لنفسها ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، لا تستطيع أن تأخذ من الخير إلا ما أعطاهَا، ولا تتقي من الشر إلا ما وقاهَا، ولا تهتدي إلى شيء من مصالح دنياها وأخرها إلا بهداه، ولا تصلح إلا بتوفيقه لها وإصلاحه إياها، ولا تعلم إلا ما علمها، ولا تتعدى ما أهمها فهو الذي خلقها فسواها وأهمها فجورها وتقواها، فأخبر سبحانه أنه خالقها ومبدعها وخالق أفعالها من الفجور والتقوى خلافاً لمن يقول إنها ليست مخلوقة، ولمن يقول إنها وإن كانت مخلوقة فليس خالقاً لأفعالها بل هي التي تخلق أفعالها، وهما قولان لأهل الضلال والغبي (١).

ومعلوم أنها لو كانت قديمة غير مخلوقة لكانت مستغنية بنفسها في وجودها وصفاتها وكمالها، وهذا من أبطل الباطل فإن فقرها إليه سبحانه في وجودها وكمالها وصلاحتها هو من لوازم ذاتها ليس مُعللاً بعلّة، فإنه أمر ذاتي لها كما أن غنى ربها وفاطرها ومبدعها من لوازم ذاته ليس مُعللاً بعلّة، فهو الغني بالذات وهي الفقيرة إليه بالذات فلا يُشاركه سبحانه في غناه مشارك، كما لا يُشاركه في قدمه وربوبيته وإلاهيته

(١) الأول: قول صنف من الصابئة والفلاسفة، وصنف من زنادقة هذه الأمة وضلّالها من المتصوفة والمتكلمة والمحدثة، انظر «مجموع الفتاوى»: (٤/٢٢١-٢٢٢).

والثاني: قول المعتزلة القدرية الذين مجوس هذه الأمة الذين يقولون إن العبد خالق فعله دون الله ﷻ.

وَمَلِكُهُ التَّامُّ وَكَمَالُهُ الْمُقَدَّسُ مُشَارِكٌ، فَشَوَاهِدُ الْخَلْقِ وَالْحُدُوثِ عَلَى الْأَرْوَاحِ كَشَوَاهِدِهِ عَلَى الْأَبْدَانِ قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]، وَهَذَا الْخُطَابُ بِالْفَقْرِ إِلَيْهِ لِلْأَرْوَاحِ وَالْأَبْدَانِ لَيْسَ هُوَ لِلْأَبْدَانِ فَقَطْ، وَهَذَا الْغِنَى التَّامُّ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا يَشْرِكُهُ فِيهِ غَيْرُهُ.

وَقَدْ أَرَشَدَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عِبَادَهُ إِلَى أَوْضَحِ دَلِيلٍ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿قُلُوبًا إِذَا بَلَغَتِ الْخُلُقُومَ\* وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ\* وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ\* قُلُوبًا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ\* تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الواقعة: ٨٧]، أَيُّ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَمْلُوكِينَ وَمَقْهُورِينَ وَمَرْبُوبِينَ وَمَجَازِينَ بِأَعْمَالِكُمْ تَرُدُونَ الْأَرْوَاحَ إِلَى الْأَبْدَانِ إِذَا وَصَلَتْ إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ، أَوْ لَا تَعْلَمُونَ بِذَلِكَ أَنَّهَا مَدِينَةٌ مَمْلُوكَةٌ مَرْبُوبَةٌ مُحَاسَبَةٌ مَجْزِيَةٌ بِعَمَلِهَا.

وَكُلُّ مَا تَقَدَّمَ ذَكَرَهُ فِي هَذَا الْجَوَابِ مِنْ أَحْكَامِ الرُّوحِ وَشَأْنِهَا وَمَسْتَقْرَرِهَا بَعْدَ الْمَوْتِ فَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهَا [مُحَدَّثَةٌ] مَخْلُوقَةٌ مَرْبُوبَةٌ مُدَبَّرَةٌ لَيْسَتْ بِقَدِيمَةٍ، وَهَذَا الْأَمْرُ أَوْضَحُ مِنْ أَنْ تَسَاقَ الْأَدِلَّةُ عَلَيْهِ لَوْلَا ضَلَالُ مِنَ الْمُتَصَوِّفَةِ وَأَهْلِ الْبِدْعِ وَمَنْ قَصَرَ فَهْمُهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَسَنَةِ رَسُولِهِ فَأَتَى مِنْ سَوْءِ الْفَهْمِ لَا مِنَ النَّصِّ، تَكَلَّمُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَأَرْوَاحِهِمْ بِمَا دَلَّ عَلَى أَنَّهُمْ مِنْ أَجْهَلِ النَّاسِ بِهَا.

وَكَيْفَ يُمَكِّنُ مِنْ لَهُ أَدْنَى مَسْكَةٍ مِنْ عَقْلِ<sup>(١)</sup> أَنْ يُنْكَرَ أَمْرًا تَشْهَدُ بِهِ عَلَيْهِ نَفْسُهُ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ وَجَوَارِحِهِ وَأَعْضَاؤُهُ؛ بَلْ تَشْهَدُ بِهِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْخَلِيقَةُ، فَلِلَّهِ

(١) (مسكة من عقل) أي: من له بقية من عقل، والمسكة: هي الرأي والعقل الذي يرجع إليه، "لسان العرب": (مسك).

سُبْحَانَهُ فِي كُلِّ مَا سِوَاهُ آيَةٌ بَلْ آيَاتٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ مَخْلُوقٌ مَرْبُوبٌ وَأَنَّهُ خَالِقُهُ وَرَبُّهُ وَمَلِيكُهُ، وَلَوْ جَحَدَ ذَلِكَ، فَمَعَهُ شَاهِدٌ عَلَيْهِ بِهِ.

### فصل

وَأَمَّا مَا احْتَجَّتْ بِهِ هَذِهِ الطَّائِفَةُ، فَأَمَّا مَا أَتُوا بِهِ مِنْ اتِّبَاعِ مِثْلَابِ الْقُرْآنِ وَالْعُدُولِ عَنِ مُحْكَمِهِ - وَهَذَا شَأْنٌ كُلُّ ضَالٍّ وَمُبْتَدِعٌ - فَمُحْكَمُ الْقُرْآنِ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَالِقُ الْأَرْوَاحِ وَمُبْدِعُهَا.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ [الإسراء: ٨٥]، فَمَعْلُومٌ قَطْعًا أَنَّهُ لَيْسَ الْمُرَادُ هَا هُنَا بِالْأَمْرِ بِالَّذِي هُوَ أَحَدُ أَنْوَاعِ الْكَلَامِ فَيَكُونُ الْمُرَادُ أَنَّ الرُّوحَ كَلَامُهُ الَّذِي يُأْمَرُ بِهِ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ بِالْأَمْرِ هَا هُنَا الْمَأْمُورُ<sup>(١)</sup> وَهُوَ عَرَفَ مُسْتَعْمَلٌ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ وَفِي الْقُرْآنِ مِنْهُ كَثِيرٌ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ ﴾ [النحل: ١]، أَي: مَأْمُورٌ الَّذِي قَدَرَهُ وَقَضَاهُ وَقَالَ لَهُ: كُنْ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ سَعْيٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ [هود: ١٠١]، أَي: مَأْمُورُهُ الَّذِي أَمَرَ بِهِ مِنْ إِهْلَاكِهِمْ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ ﴾ [النحل: ٧٧].

(١) ومحمّل أن (من) في قوله: ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ [الإسراء: ٨٥]، ابتدائية فتكون الروح مكوّنة ومخلوقة بأمر الله فتكون (من) لابتداء الغاية إذا الروح كوّنت بأمر الله وصدرت عنه، وقد أجاب بهذا الإمام أحمد رحمته الله واستدل عليه بقول الله: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مِمَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمِمَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ ﴾ [الجاثية: ١٣]، والذي في السموات والأرض ليس بعضًا من الله ولكن وقع بأمر الله وصدر منه انظر «مجموع الفتاوى»:



وَكَذَلِكَ لَفْظُ الْخَلْقِ يَسْتَعْمَلُ بِمَعْنَى الْمَخْلُوقِ كَثِيرًا كَقَوْلِهِ: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ﴾ [لقمان: ١١] والرحمة تُسْتَعْمَلُ بِمَعْنَى الْمَخْلُوقِ بِالرَّحْمَةِ كَقَوْلِهِ لِلْجَنَّةِ: «أَنْتَ رَحْمَتِي»<sup>(١)</sup>.  
فَلَيْسَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥]، مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا قَدِيمَةٌ غَيْرُ مَخْلُوقَةٌ بِوَجْهِ مَا، وَقَدْ قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ فِي تَفْسِيرِهَا جَرَى بِأَمْرِ اللَّهِ فِي أَجْسَادِ الْخَلْقِ وَبِقُدْرَتِهِ اسْتَقَرَّ.

وَهَذَا بِنَاءٌ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالرُّوحِ فِي الْآيَةِ: رُوحَ الْإِنْسَانِ، وَفِي ذَلِكَ خِلَافٌ بَيْنَ السَّلَفِ وَالْخَلْفِ وَأَكْثَرُ السَّلَفِ بَلَّ كَلِمَةً عَلَى أَنَّ الرُّوحَ الْمَسْئُولَ عَنْهَا فِي الْآيَةِ لَيْسَتْ أَرْوَاحُ بَنِي آدَمَ بَلْ هُوَ الرُّوحُ الَّذِي أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْهُ فِي كِتَابِهِ أَنَّهُ يَقُومُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ الْمَلَائِكَةِ وَهُوَ مَلِكٌ عَظِيمٌ<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه البخاري: (٤٨٥٠) ومسلم: (٢٨٤٦) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) وفي نسبة هذا القول إلى كل السلف نظر لا يخفى وغاية ما في الأمر أنه جاء عن ابن عباس وابن مسعود وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأسانيد كلها ضعيفة، وقد استنكر بعضها ابن كثير.

\* فأثر ابن مسعود أخرجه ابن جرير: (٢٢/٣٠) من طريق رواد بن الجراح عن أبي حمزة عن الشعبي عن علقمة عن ابن مسعود به، وهذا إسناد ضعيف جداً رواد بن الجراح قال البخاري: اختلط لا يكاد أن يقوم حديثه، وقال النسائي: ليس بالقوي روى غير حديث منكر وكان قد اختلط، وتركه الدارقطني، وشيخه أبو حمزة لم أعرفه، قال ابن كثير بعد أن ساق هذا الأثر: (وهذا قول غريب جداً).

\* وأثر ابن عباس أخرجه ابن جرير: (٢٢/٣٠) من طريق أبي صالح حدثني معاوية عن علي عن ابن عباس، وأبو صالح هو عبدالله بن صالح ضعيف، وعلي هو ابن أبي طلحة لم يدرك ابن عباس.

\* وأثر علي بن أبي طالب أخرجه ابن جرير: (١٧٤/١٥) من طريق عبدالله بن صالح حدثني أبو هزان يزيد بن سمرة صاحب قيسارية عن حدثه عن علي، وهذا إسناد ضعيف عبدالله بن صالح هو كاتب الليث تقدم في الذي قبله أنه ضعيف، وأبو هزان ترجمه ابن عساكر: (٢٠٥/٦٥)، فذكر أنه روى عنه جمع ولم

وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ الْأَعْمَشِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَلْقَمَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ بَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي حَرَّةِ الْمَدِينَةِ وَهُوَ مَتَكِّئٌ عَلَى عَسِيبٍ<sup>(١)</sup> فَمَرَرْنَا عَلَى نَفَرٍ مِنَ الْيَهُودِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا تَسْأَلُوهُ عَسَى أَنْ يَجِيءَ فِيهِ بَشِيءٌ تَكْرَهُونَهُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: نَسْأَلُهُ، فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ مَا الرُّوحُ؟ فَسَكَتَ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَعَلِمْتُ أَنَّهُ يُوحِي إِلَيْهِ فَقُمْتُ، فَلَمَّا تَجَلَّى عَنْهُ

أجد فيه جرحًا أو تعديلاً، وهو يروي عن الأوزاعي فيظهر أن بينه وبين علي أكثر من واحد، وشيخه في الإسناد رجل مبهم قال ابن كثير بعد أن ذكر هذا الأثر: (وهذا أثر غريب عجيب). ولم أقف على قائل بهذا القول غير هؤلاء، وقد رأيت أنه لم يثبت عن أحد منهم، فتبين من هذا أن نسبة هذا القول إلى كل السلف غير صحيح مع كون هذا القول خلاف الصواب، والظاهر المتبادر من الآية أنهم سألوه عن أرواح بني آدم وقد عزی الخطابي هذا القول إلى الأكثر فقال: (وقال الأكثر سألوه عن الروح التي تكون بها الحياة في الجسد)، وقال القرطبي: (الراجح أنهم سألوه عن روح الإنسان؛ لأن اليهود لا تعترف بأن عيسى روح الله ولا تجهل بأن جبريل ملك وأن الملائكة أرواح)، وقال الرازي: (المختار أنهم سألوه عن الروح الذي هو سبب الحياة)، وقال الحافظ ابن حجر: (وجنح ابن القيم في كتاب «الروح» إلى ترجيح أن المراد بالروح المسؤول عنها في الآية ما وقع في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾ [النبا: ٣٨]، وأما أرواح بني آدم فلم يقع تسميتها في القرآن إلا نفسًا كذا قال، ولا دلالة في ذلك لما رجحه بل الراجح الأول)، انظر «فتح الباري»: (٨/٥١١-٥١٣)، وقد ذكر الحافظ ابن حجر في الموضوع المشار إليه أقوالاً كثيرة في هذه المسألة وأكثرها أقوال لا دليل عليها ولا طائل تحتها، وما أحسن ما قاله الشوكاني في «فتح القدير»: (٣/٣٥١-٣٥٢): (وقد اختلف الناس في الروح المسؤول عنه فقيل هو الروح المدبر للبدن الذي تكون به حياته، وبهذا قال أكثر المفسرين..... ثم ساق أقوالاً ثم قال: وقيل غير ذلك مما لا طائل تحته ولا فائدة في إيراده والظاهر القول الأول).

(١) قوله (عسيب) أي: جريدة من النخل، «النهاية» (عسب).

قَالَ: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٥] <sup>(١)</sup>.

وَمَعْلُومٌ أَنَّهُمْ إِنَّمَا سَأَلُوهُ عَن أَمْرٍ لَا يَعْرِفُ إِلَّا بِالْوَحْيِ، وَذَلِكَ هُوَ الرُّوحُ الَّتِي عِنْدَ اللَّهِ لَا يَعْلَمُهَا النَّاسُ.

وَأَمَّا أَرْوَاحُ بَنِي آدَمَ فَلَيَسَّتْ مِنَ الْغَيْبِ، وَقَدْ تَكَلَّمَ فِيهَا طَوَائِفٌ مِنَ النَّاسِ مِنْ أَهْلِ الْمَلَلِ وَغَيْرِهِمْ فَلَمْ يَكُنِ الْجَوَابَ عَنْهَا مِنْ أَعْلَامِ النَّبُوَّةِ.

فَإِنْ قِيلَ: فَقَدْ قَالَ أَبُو الشَّيْخِ حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ إِبْرَاهِيمَ [أَبْنَانَا إِبْرَاهِيمَ] بْنِ الْحَكَمِ عَنِ أَبِيهِ عَنِ السَّيِّدِ عَنِ أَبِي مَالِكٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: بَعَثَتْ فَرِيشٌ عَقِبَةَ بْنَ أَبِي مَعِيطٍ وَعَبْدَ اللَّهِ ابْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ إِلَى يَهُودِ الْمَدِينَةِ يَسْأَلُونَهُمْ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا لَهُمْ: إِنَّهُ قَدْ خَرَجَ فِينَا رَجُلٌ يُزْعَمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ وَلَيْسَ عَلَيْنَا دِينُنَا وَلَا عَلَيْنَا دِينُكُمْ، قَالُوا: فَمَنْ تَبِعَهُ قَالُوا: سَفَلْتَنَا وَالضَّعْفَاءَ وَالْعَبِيدَ وَمَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ، وَأَمَّا أَشْرَافُ قَوْمِهِ فَلَمْ يَتَّبِعُوهُ فَقَالُوا: إِنَّهُ قَدْ أَظْلَمَ زَمَانُ نَبِيِّ يَخْرُجُ وَهُوَ عَلَى مَا تَصِفُونَ مِنْ أَمْرِ هَذَا الرَّجُلِ فَاتَتْهُ فَاسْأَلُوهُ عَنِ ثَلَاثِ خِصَالٍ نَأْمُرُكُمْ بِهِنَّ فَإِنْ أَخْبَرَكُمْ بِهِنَّ فَهُوَ نَبِيٌّ صَادِقٌ، وَإِنْ لَمْ يُخْبِرْكُمْ بِهِنَّ فَهُوَ كَذَّابٌ، سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ الَّتِي نَفَخَ اللَّهُ تَعَالَى فِي آدَمَ فَإِنْ قَالَ لَكُمْ: هِيَ مِنْ اللَّهِ فَقُولُوا لَهُ: كَيْفَ يَعَذِّبُ اللَّهُ فِي النَّارِ شَيْئًا هُوَ مِنْهُ؟ فَسَأَلَ جَبْرِيلُ عَنْهَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ [الإسراء: ٨٥]، يَقُولُ هُوَ خَلَقَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ لَيْسَ هُوَ مِنَ اللَّهِ <sup>(٢)</sup> ثُمَّ ذَكَرَ بَاقِيَ الْحَدِيثِ <sup>(١)</sup>.

<sup>(١)</sup> أخرجه البخاري: (٤٧٢١) ومسلم: (٢٧٩٤).

<sup>(٢)</sup> في (ش) (ليس هو شيء من الله).

قيل: مثل هذا الإسناد لا يُحتج به فإنه من تفسير السدي عن أبي مالك وفيه أشياء منكرة وسياق هذه القصة في السؤال من الصحاح والمسند كلها تخالف سياق السدي، وقد رواها الأعمش والمغيرة بن مقسم عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال: مر النبي ﷺ على ملاء من اليهود وأنا أمشي معه فسألوه عن الروح قال: فسكت فظننت أنه يوحى إليه فنزلت: ﴿وَسَأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ [الإسراء: ٨٥]، يعني: اليهود: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِي وَمَا أوتُوا مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].<sup>(١)</sup>

وكذلك هي في قراءة عبد الله فقالوا: كذلك نجد مثله في التوراة أن الروح من أمر الله عز وجل، رواه جرير بن عبد الحميد وغيره عن المغيرة.

وروى يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أتت اليهود إلى النبي ﷺ فسألوه عن الروح فلم يجبهم النبي ﷺ بشيء فأنزل الله عز وجل: ﴿وَسَأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِي وَمَا أوتِيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].<sup>(٢)</sup>

(١) (ضعيف) لم أقف على من أخرجه بهذا السياق، والذي في العظمة لأبي الشيخ مختصر وسيدكره ابن القيم هنا، والإسناد الذي ساقه ابن القيم هنا ضعيف جداً فيه إبراهيم بن الحكم وهو ابن ظهير الكوفي شيعي جلد كذبه أبو حاتم الرازي كما في "الجرح والتعديل" (٢/٩٤-٩٥) وأبوه الحكم بن ظهير قال فيه الحافظ: متروك رومي بالرفض واتهمه ابن معين.

وقد روي هذا الأثر عن ابن عباس من طرق أخرى صحيحة كما سيأتي ولكن بغير هذا السياق.

وقد أخرج البيهقي في "دلائل النبوة": (٢/٢٦٩) نحو هذا السياق وفيه: أنهم بعثوا النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط، وإسناده ضعيف فيه رجل مبهم.

(٢) هذه القراءة أخرجه البخاري: (١٢٥) ومسلم: (٧٠٦٠/٢٧٩٤)، زاد البخاري: «قال الأعمش: هكذا في قراءتنا». قال الحافظ ابن حجر: (وليست هذه القراءة في السبعة، بل ولا في المشهور من غيرها).

(٣) لم أقف عليه بهذا اللفظ من هذه الطريق.

فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى ضَعْفِ حَدِيثِ السَّيِّدِيِّ، وَأَنَّ السُّؤَالَ كَانَ بِمَكَّةَ فَإِنَّ هَذَا الْحَدِيثَ وَحَدِيثَ ابْنِ مَسْعُودٍ صَرِيحٌ أَنَّ السُّؤَالَ كَانَ بِالْمَدِينَةِ مُبَاشَرَةً مِنَ الْيَهُودِ وَلَوْ كَانَ قَدْ تَقَدَّمَ السُّؤَالَ وَالْجَوَابَ بِمَكَّةَ لَمْ يَسْكُتِ النَّبِيُّ ﷺ وَلِبَادِرِ إِلَى جَوَابِهِمْ بِمَا تَقَدَّمَ مِنْ إِعْلَامِ اللَّهِ لَهُ وَمَا أَنْزَلَهُ عَلَيْهِ.

ولكن أخرجه ابن جرير: (١٥٦/١٥) فقال: حدثنا محمد بن سعد قال: حدثني أبي قال: حدثني عمي قال: حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿وَسَأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، وذلك أن اليهود قالوا للنبي ﷺ: أخبرنا ما الروح..... الحديث، وإسناده ضعيف جداً وهذه سلسلة العوفيين، وقد أكثر منها ابن جرير وهي طريق مسلسلة بالضعفاء.

وأما الطريق التي ذكرها ابن القيم فأخرجها أحمد: (٢٥٥/١)، والترمذي: (٣١٤٠)، والنسائي في «الكبرى»: (١١٣١٤)، والحاكم: (٥٣١/٢)، وابن حبان: (٩٩) وأبو يعلى: (٢٥٠١)، وأبو الشيخ في «العظمة»: (٤٠٣) وغيرهم من طرق عن يحيى بن زكرياء بن أبي زائدة عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال: قالت قريش لليهود أعطونا شيئاً نسأل عنه هذا الرجل.... الحديث، وإسناده صحيح ولكن كما ترى أن السائل هم قريش ولم أجد من أخرجه بالطريق التي ذكرها ابن القيم، وفيه أن السائل هم اليهود فالله أعلم.

إذا تبين هذا فظاهر هذا الحديث مخالف لحديث ابن مسعود المتفق عليه الذي فيه: أن السائل هم اليهود. وقد أجاب عن هذا أهل العلم: قال الحافظ ابن كثير عند الآية (٨٥) من سورة الإسراء: (وَهَذَا السِّيَاقُ يَقْتَضِي فِيهَا يَظْهَرُ بَادِي الرَّأْيِ: أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مَدِينِيَّةٌ، وَأَنَّهَا إِنَّمَا نَزَلَتْ عَلَيْهِ حِينَ سَأَلَهُ الْيَهُودُ، عَنْ ذَلِكَ بِالْمَدِينَةِ، مَعَ أَنَّ السُّورَةَ كُلَّهَا مَكِّيَّةٌ. وَقَدْ يُجَابُ عَنْ هَذَا: بِأَنَّهُ قَدْ يُكُونُ نَزَلَتْ عَلَيْهِ بِالْمَدِينَةِ مَرَّةً ثَانِيَةً كَمَا نَزَلَتْ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ قَبْلَ ذَلِكَ، أَوْ أَنَّهُ نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ بِأَنَّهُ يُجِيبُهُمْ عَمَّا سَأَلُوا بِالْآيَةِ الْمُتَقَدِّمِ أَنْزَالُهَا عَلَيْهِ، وَهِيَ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَسَأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ [الإسراء: ٨٥]، وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ بِمَكَّةَ..... ثم ذكر حديث ابن عباس هذا).

وقال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»: (٥١٠/٨) بعد أن أشار إلى حديث ابن عباس: (ويمكن الجمع بأن يتعدد النزول بحمّل سكوته في المرة الثانية على توفّع مزيد بيان في ذلك، وإن ساغ هذا وإلا فما في «الصحيحين» أصح).

وَقَدْ اضْطَرَبَتْ الرَّوَايَاتُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ أَعْظَمَ اضْطِرَابٍ، فَأَمَّا أَنْ تَكُونَ مِنْ قَبْلِ الرَّوَاةِ أَوْ تَكُونَ أَقْوَالَهُ، قَدْ اضْطَرَبَتْ فِيهَا. وَنَحْنُ نَذَكُرُ ذَلِكَ. فَقَدْ ذَكَرْنَا رِوَايَةَ السُّدِيِّ عَنِ أَبِي مَالِكٍ عَنْهُ وَرِوَايَةَ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ عَنِ عِكْرِمَةَ عَنْهُ تَخَالَفَهَا، وَفِي رِوَايَةِ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ هَذِهِ اضْطِرَابٌ فَقَالَ مَسْرُوقُ بْنُ الْمَرْزُبَانَ وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَنِ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا عَنْهُ: إِنَّ الْيَهُودَ أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ الْحَدِيثَ<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرِ الْمَرْوَزِيِّ حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّا عَنْ دَاوُدَ عَنِ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَتْ قُرَيْشٌ لِلْيَهُودِ أَعْطَوْنَا شَيْئًا نَسْأَلُ عَنْهُ هَذَا الرَّجُلُ فَقَالُوا: سَلُوهُ عَنِ الرَّوْحِ فَنَزَلَتْ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرَّوْحِ﴾ [الإسراء: ٨٥]، الْآيَةَ<sup>(٢)</sup>.

وَهَذَا يُخَالَفُ الرَّوَايَةَ الْأُخْرَى عَنْهُ وَحَدِيثَ ابْنِ مَسْعُودٍ<sup>(٣)</sup>.

<sup>(١)</sup> بل إن رواية مسروق بن المرزبان عند أبي يعلى: (٢٥٠١)، وابن حبان: (٩٩)، وأبي الشيخ في "العظمة": (٤٠٣) بلفظ: (قالت قريش لليهود....).

فلم تبق إلا رواية إبراهيم بن أبي طالب ولم أقف عليها، وعلى فرض ثبوتها فقد خالفه قتيبة بن سعيد عند أحمد: (٢٥٥/١)، ويحيى بن يحيى عند الحاكم: (٥٣١/٢)، ومسروق بن المرزبان عند من تقدم، وإسحاق عند ابن نصر المرزوي كما سيأتي في الذي بعده أربعتهم روه بلفظ: (قالت قريش لليهود...) فعلى فرض ثبوت رواية إبراهيم بن أبي طالب فهي شاذة كما ترى والمحفوظ في حديث ابن عباس أن السائل قريش لا اليهود والله أعلم.

<sup>(٢)</sup> (صحيح) تقدم تخريجه.

<sup>(٣)</sup> أما الرواية الأخرى عنه فهي غير محفوظة كما تقدم.

وأما حديث ابن مسعود فلا مخالفة بينه وبينه، وقد تقدم كلام أهل العلم في الجمع بين الحديثين فراجع قبل تعليقات من هذا.

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رِوَايَةٌ ثَالِثَةٌ: قَالَ هُشَيْمٌ حَدَّثَنَا أَبُو بَشْرِ عَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: قَالَ الرُّوحُ أَمْرٌ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَخُلِقَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ، وَصُورَ مِنْ صُورِ بَنِي آدَمَ، وَمَا نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكٌ إِلَّا وَمَعَهُ وَاحِدٌ مِنَ الرُّوحِ<sup>(١)</sup>. وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا غَيْرُ الرُّوحِ الَّتِي فِي ابْنِ آدَمَ.

وَعَنْهُ رِوَايَةٌ رَابِعَةٌ: قَالَ ابْنُ مَنَدَةَ: وَرَوَى عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ حَرْبٍ عَنْ خَصِيفٍ عَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥]، قَدْ نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ بِمَنْزِلَةٍ كُنْ نَقُولُ كَمَا قَالَ اللَّهُ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥]<sup>(٢)</sup>، ثُمَّ سَأَلَ مِنْ طَرِيقِ خَصِيفٍ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ كَانَ لَا يُفَسِّرُ أَرْبَعَةَ أَشْيَاءَ الرِّقِيمِ، وَالغَسْلِينَ، وَالرُّوحَ، وَقَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾ [الجن: ١٣]<sup>(٣)</sup>.

<sup>(١)</sup> (ضعيف) أخرجه أبو الشيخ في «العظمة»: (٤٠٤)، والبيهقي في «الأسماء والصفات»: (٧٧٩) من طريق هُشَيْمٍ عن أبي بَشْرِ به، وهذا إسناد ضعيف هُشَيْمٍ هو ابن بشير مدلس وقد عنعن، وأبو بَشْرِ هو جعفر بن أبي وحشية ثقة ضعفه شعبة في حبيب بن سالم ومجاهد وهي هنا كذلك فإن شيخه في هذه الرواية مجاهد.

<sup>(٢)</sup> (ضعيف) عبد السلام بن حرب ثقة له مناكير وخصيف هو ابن عبد الرحمن الجزري فيه ضعف.

<sup>(٣)</sup> (ضعيف) عزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٣٤/٦) لابن المنذر من طريق عكرمة عن ابن عباس، والإسناد الذي ساقه ابن القيم فيه أنه من طريق خصيف عن عكرمة، وتقدم أن خصيفاً فيه ضعف.

فائدة: أخرج عبد الرزاق في التفسير: (٣٩٧/١) فقال: أَخْبَرَنَا إِسْرَائِيلُ، عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «كُلُّ الْقُرْآنِ أَعْلَمُهُ إِلَّا أَرْبَعًا: غَسْلِينَ، وَحَنَانًا، وَالْأَوَاهُ، وَالرِّقِيمَ». ورواية سماك عن عكرمة مضطربة.

وَعَنْهُ رِوَايَةٌ خَامِسَةٌ: رَوَاهَا جُوَيْرِبٌ عَنِ الضَّحَّاكِ عَنْهُ: أَنَّ الْيَهُودَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الرُّوحِ فَقَالَ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ [الإسراء: ٨٥] يَعْنِي: خَلْقًا مِنْ خَلْقِي: ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٥]، يَعْنِي: لَوْ سَأَلْتُمْ عَنْ خَلْقِ أَنْفُسِكُمْ وَعَنْ مَدْخَلِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَمَخْرَجِهَا مَا وَصَفْتُمْ ذَلِكَ حَقَّ صِفَتِهِ وَمَا اهْتَدَيْتُمْ لَصِفَتِهَا<sup>(١)</sup>.

وَعَنْهُ رِوَايَةٌ سَادِسَةٌ: رَوَى عَبْدُ الْغَنِيِّ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ ابْنِ جَرِيحٍ عَنْ عَطَاءِ بْنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَعَنْ مَقَاتِلِ بْنِ الضَّحَّاكِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ﴾ [الإسراء: ٨٥]، وَذَلِكَ أَنَّ قُرَيْشًا اجْتَمَعَتْ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: وَاللَّهِ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ يَكْذِبُ وَلَقَدْ نَشَأَ فِينَا بِالصِّدْقِ وَالْأَمَانَةِ، فَأَرْسَلُوا جَمَاعَةً إِلَى الْيَهُودِ فَاسْأَلُوهُمْ عَنْهُ وَكَانُوا مُسْتَبْشِرِينَ بِهِ، يَكْثُرُونَ ذِكْرَهُ، وَيَدَّعُونَ نُبُوته، وَيَرْجُونَ نَصْرته، مَوْقِنِينَ بِأَنَّهُ سَيَهْجُرُ إِلَيْهِمْ وَيَكُونُونَ لَهُ أَنْصَارًا فَسَأَلُوهُمْ عَنْهُ فَقَالَتْ لَهُمُ الْيَهُودُ: سَلُوهُ عَنْ ثَلَاثٍ: سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَيْسَ فِي التَّوْرَةِ قِصَّةٌ وَلَا تَفْسِيرُهُ إِلَّا ذَكَرَ اسْمَ الرُّوحِ فَانزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ [الإسراء: ٨٥]، يُرِيدُ مِنْ خَلْقِ رَبِّي عِزَّ وَجَلَّ<sup>(٢)</sup>.

وأخرج أيضًا: (١/٩٨٨) من طريق معمر عن قتادة في قوله: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ﴾ [الإسراء: ٨٥]، قال: كان ابن عباس يكتمه. ورواية معمر عن قتادة ضعفتها ابن معين والدارقطني وغيرهما، وقاتدة لم يسمع من ابن عباس.

<sup>(١)</sup> (ضعيف جدًا) جوَيْرِبٌ هو ابن سعيد الأزدي ضعيف جدًا، والضحَّاك لم يسمع من ابن عباس.

<sup>(٢)</sup> (ضعيف جدًا) بل هذه الطريق موضوعة عبد الغني بن سعيد هو الثَّقَفِيُّ ضَعَّفَهُ ابن يونس، وذكره ابن حبان في الثقات قال الحافظ في لسان الميزان: قلت: ابن يونس أعلم به.



وَالرُّوحِ فِي الْقُرْآنِ عَلَى عِدَّةِ أَوْجِهٍ:

أحدها: الْوَحْيِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [غافر: ١٥]، وَاسْمَى الْوَحْيِ رُوحًا لِمَا يَحْصُلُ بِهِ مِنْ حَيَاةِ الْقُلُوبِ وَالْأَرْوَاحِ.

الثَّانِي: الْقُوَّةُ وَالثَّبَاتُ وَالنَّصْرَةُ الَّتِي يُؤَيِّدُ بِهَا مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢].

الثَّلَاثُ: جِبْرِيلُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿نَزَّلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ﴾ [البقرة: ٩٧]، وَهُوَ رُوحُ الْقُدُسِ قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ﴾ [النحل: ١٠٢].

الرَّابِعُ: الرُّوحُ الَّتِي سَأَلَ عَنْهَا الْيَهُودُ فَأَجِيبُوا بِأَنَّهَا أَمْرٌ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّهَا الرُّوحُ الْمَذْكُورَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ﴾ [النبأ: ٣٨]، وَأَنَّهَا الرُّوحُ الْمَذْكُورَةُ فِي قَوْلِهِ: ﴿تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ [القدر: ٤]<sup>(١)</sup>.

قلت: ولذا لم يذكر الذهبي في الميزان إلا تضعيفه، وموسى بن عبد الرحمن هو الصنعاني، قال ابن عدي: منكر الحديث، وقال ابن حبان: دجال وضع على ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس كتاباً في التفسير، وقال الذهبي: متروك.

فتبين من هذا أن قول ابن عباس لم يضطرب في تفسير الآية، وأنه لم يصح عنه إلا قول واحد وهو الأول: «أن قريشاً أرسلوا إلى اليهود...». وما عداه فهو ضعيف لا ينسب إليه.  
(١) تقدم ص ( ) أن تفسير هذه الآيات بذلك ضعيف.

الخامس: المسيح ابن مريم قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَكَلَّمْتُهُ الْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ [النساء: ١٧١]، وأما أرواح بني آدم فلم يقع تسميتها في القرآن إلا بالنفس<sup>(١)</sup>، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ [الفجر: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: ٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يوسف: ٥٣]، وقال تعالى: ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٣]، وقال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا \* قَالَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس: ٧-٨]، وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وأما في السنة فجاءت بلفظ: النفس والروح، والمقصود أن كونها من أمر الله لا يدل على قدمها وأنها غير مخلوقة.

### فصل

وأما استدلالهم بإضافتها إليه سبحانه بقوله تعالى ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ [الحجر: ٢٩]، فينبغي أن يعلم أن المضاف إلى الله سبحانه نوعان<sup>(٢)</sup>: صفات لا تقوم بأنفسها كالعلم، والقدرة، والكلام، والسمع، والبصر، فهذه إضافة صفة إلى الموصوف بها فعلمه وكلامه وإرادته وقدرته وحياته صفات له غير مخلوقة، وكذلك وجهه ويده سبحانه.

<sup>(١)</sup> وهذا بناء على ما اختاره: أن الروح المسؤول عنها في الآية هو ملك عظيم، وتقدم كلام أهل العلم في أن هذا غير صحيح، وأن الصحيح: أن الروح المسؤول عنها في الآية هي روح الإنسان، فيكون قد وقع في القرآن تسمية أرواح بني آدم روحاً.

<sup>(٢)</sup> انظر «مجموع الفتاوى»: (٩/ ٢٩٠-٢٩١)، و«درء تعارض العقل والنقل»: (٧/ ٢٦٥)، و«الجواب الصحيح»: (٢/ ١٥٥ وما بعدها).

وَالثَّانِي: إِضَافَةُ أَعْيَانٍ مُنْفَصِلَةٍ [عَنْهُ] كَالْبَيْتِ، وَالنَّاقَةِ، وَالْعَبْدِ، وَالرَّسُولِ، وَالرُّوحِ، فَهَذِهِ إِضَافَةٌ مَخْلُوقٍ إِلَى خَالِقِهِ وَمَصْنُوعٍ إِلَى صَانِعِهِ، لَكِنَّهَا إِضَافَةٌ تَقْتَضِي تَخْصِيصًا وَتَشْرِيفًا يَتَمَيَّزُ بِهِ الْمُضَافُ عَنِ غَيْرِهِ كَبَيْتِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَتْ الْبُيُوتُ كُلُّهَا مَلَكًا لَهُ، وَكَذَلِكَ نَاقَةُ اللَّهِ وَالنُّوقُ كُلُّهَا مَلِكَةً وَخَلَقَهُ لَكِنَّ هَذِهِ إِضَافَةٌ إِلَى إِلَهِيَّتِهِ تَقْتَضِي مَحَبَّتَهُ لَهَا وَتَكْرِيمَهُ وَتَشْرِيفَهُ بِخِلَافِ الْإِضَافَةِ الْعَامَّةِ إِلَى رَبُوبِيَّتِهِ حَيْثُ تَقْتَضِي خَلْقَهُ وَإِيجَادَهُ، فَالْإِضَافَةُ الْعَامَّةُ تَقْتَضِي الْخَلْقَ وَالْإِيجَادَ، وَالْخَاصَّةُ تَقْتَضِي الْإِخْتِيَارَ، وَاللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مِمَّا خَلَقَهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨]، وَإِضَافَةُ الرُّوحِ إِلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الْإِضَافَةِ الْخَاصَّةِ لَا مِنَ الْعَامَّةِ وَلَا مِنْ بَابِ إِضَافَةِ الصِّفَاتِ، فَتأمل هَذَا الْمَوْضِعَ فَإِنَّهُ يَخْلُصُكَ مِنْ ضَلَالَاتٍ كَثِيرَةٍ وَقَعَ فِيهَا مِنْ شَاءِ اللَّهِ مِنَ النَّاسِ<sup>(١)</sup>.

فَإِنْ قِيلَ: فَمَا تَقُولُونَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَتَفَعَّلْتُ فِيهِ﴾ [ص: ٧٢]، فَأَضَافَ النَّفْخَ إِلَى نَفْسِهِ وَهَذَا يَقْتَضِي الْمُبَاشَرَةَ مِنْهُ تَعَالَى كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، وَهَذَا قَرْنٌ بَيْنَهُمَا فِي الذِّكْرِ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ فِي قَوْلِهِ: «فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ آدَمُ أَبُو الْبَشَرِ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ»<sup>(٢)</sup>، فَذَكَرُوا لِآدَمَ أَرْبَعَ خَصَائِصَ اخْتَصَّ بِهَا عَنْ غَيْرِهِ، وَلَوْ كَانَتْ الرُّوحُ الَّتِي فِيهِ إِنَّمَا هِيَ مِنْ نَفْخَةِ الْمَلِكِ لَمْ يَكُنْ لَهُ خَصِيصَةٌ بِذَلِكَ وَكَانَ بِمَنْزِلَةِ الْمَسِيحِ بِلِ وَسَائِرِ أَوْلَادِهِ

<sup>(١)</sup> وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ فِي «الْجَوَابِ الصَّحِيحِ»: (١٦١/٢): (وَهَذَا الْأَصْلُ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْفَرْقِ فِيهَا يُضَافُ إِلَى اللَّهِ بَيْنَ صِفَاتِهِ وَيَبِينُ مَمْلُوكَاتِهِ أَصْلٌ عَظِيمٌ ضَلَّ فِيهِ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ مِنْ أَهْلِ الْمَلَلِ كُلِّهِمْ).

<sup>(٢)</sup> أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: (٦٥٦٥) وَ (٧٤١٠)، وَمُسْلِمٌ: (١٩٣) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَأَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: (٣٣٤٠)، وَمُسْلِمٌ: (١٩٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَليْسَ فِيهِ: «وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ». وَفِيهِ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ: «وَأَسْكَنْكَ الْجَنَّةَ».

فإنَّ الرُّوحَ حصلتَ فيهِم من نفخة الملك، وقد قالَ تَعَالَى: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾ [ص: ٧٢]، فَهُوَ الَّذِي سِوَاهُ بِيَدِهِ وَهُوَ الَّذِي نَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ؟  
 قيل: هَذَا المَوْضِعَ الَّذِي أَوْجِبَ لَهُذِهِ الطَّائِفَةُ أَنْ قَالَتْ بِقَدَمِ الرُّوحِ وَتَوَقَّفَ فِيهَا آخَرُونَ وَلَمْ يَفْهَمُوا مُرَادَ الْقُرْآنِ، فَأَمَّا الرُّوحُ المِضَافَةُ إِلَى الرَّبِّ فَهِيَ رُوحٌ مَخْلُوقَةٌ أَضَافَهَا إِلَى نَفْسِهِ إِضَافَةً تَخْصِيصًا وَتَشْرِيفًا كَمَا بَيْنَا، وَأَمَّا النَفْخُ فَقَدْ قَالَ تَعَالَى فِي مَرْيَمَ: ﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا ﴾ [الأنبياء: ٩١].

وقد أخبر في مَوْضِعٍ آخَرَ أَنَّهُ أَرْسَلَ إِلَيْهَا المَلِكَ فَنَفَخَ فِي فَرْجِهَا، وَكَانَ النَفْخُ مُضَافًا إِلَى اللَّهِ أَمْرًا وَإِذْنًا وَإِلَى الرَّسُولِ مُبَاشَرَةً.  
 يَبْقَى هَا هُنَا أَمْرَانِ:

أحدهما: أَنْ يُقَالَ فَإِذَا كَانَ النَفْخُ حَصَلَ فِي مَرْيَمَ مِنْ جِهَةِ المَلِكِ وَهُوَ الَّذِي يَنْفِخُ الأَرْوَاحَ فِي سَائِرِ البَشَرِ فَمَا وَجِهَ تَسْمِيَةَ المَسِيحِ رُوحَ اللَّهِ، وَإِذَا كَانَ سَائِرِ النَّاسِ تَحْدِثُ أَرْوَاحَهُمْ مِنْ هَذِهِ الرُّوحِ فَمَا خَاصِيَةُ المَسِيحِ؟

الثاني: أَنْ يُقَالَ: فَهَلْ تَعَلَّقَ الرُّوحُ بِأَدَمَ كَانَتْ بِوَاسِطَةِ نَفْخِ هَذَا الرُّوحِ هُوَ الَّذِي نَفَخَهَا فِيهِ بِإِذْنِ اللَّهِ كَمَا نَفَخَهَا فِي مَرْيَمَ؟ أَمْ الرَّبُّ تَعَالَى هُوَ الَّذِي نَفَخَهَا بِنَفْسِهِ كَمَا خَلَقَهُ بِيَدِهِ؟

قيل: لَعَمْرُ اللَّهِ أَنَّهُمَا سِوَالَانِ مَهْمَانِ. فَأَمَّا الأَوَّلُ فَالْجَوَابُ عَنْهُ: أَنَّ الرُّوحَ الَّذِي نَفَخَ فِي مَرْيَمَ هُوَ الرُّوحُ المِضَافُ إِلَى اللَّهِ الَّذِي اخْتَصَمَهُ لِنَفْسِهِ وَأَضَافَهُ إِلَيْهِ وَهُوَ رُوحٌ خَاصٌ

من بين سائر الأرواح<sup>(١)</sup> وليس بالملك الموكل بالنفخ في بطون الحوامل من المؤمنين والكفار، فإن الله سبحانه وكل بالرحم ملكاً ينفخ الروح في الجنين فيكتب رزق المولود وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، وأما هذا الروح المرسل إلى مريم فهو روح الله الذي اصطفاه من الأرواح لنفسه، فكان مريم بمنزلة الأب لسائر النوع فإن نفخته لما دخلت في فرجها كان ذلك بمنزلة لقاح الذكر لأنثى من غير أن يكون هناك وطء<sup>(٢)</sup>.

وأما ما اختص به آدم فهو أنه لم يخلق كخلق المسيح من أم ولا كخلق سائر النوع من أب وأم ولا كان الروح الذي نفخ الله فيه منه هو الملك الذي ينفخ الروح في سائر أولاده، ولو كان كذلك لم يكن لآدم فيه اختصاص وإنما ذكر في الحديث ما اختص به على غيره وهو أربعة أشياء: خلق الله له بيده، ونفخه فيه من روحه، وإسجاد ملائكته

<sup>(١)</sup> قال شيخ الاسلام كما في "مجموع الفتاوى" (١٧/٢٦٣): (وقد بين الله سبحانه أن الرسول الذي هو روحه وهو جبريل هو الروح الذي خاطبها).

وقال ابن كثير عند الآية: (١٧) من سورة مريم: (قال مجاهد، والضحاك، وقتادة، وابن جريج، وهب بن منبه، والسدي، في قوله: ﴿فَأرسلنا إليها روحنا﴾ [مريم: ١٧]، يعني: جبريل عليه السلام، وهذا الذي قالوه هو ظاهر القرآن).

<sup>(٢)</sup> قال ابن كثير عند الآية: (١٧١) من سورة النساء: ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ [النساء: ١٧١]، (أي: خلقه بالكلمة التي أرسل بها جبريل، عليه السلام، إلى مريم، فنفخ فيها من روحه بإذن ربه، عز وجل، فكان عيسى بإذن الله، عز وجل، وصارت تلك النفخة التي نفخها في جيب درعها فنزلت حتى ولدت فرجها بمنزلة لقاح الأب الأم والجميع مخلوق لله عز وجل...).

وراجع كلاماً مفيداً حول هذا لشيخ الاسلام في "مجموع الفتاوى": (١٧/٢٦٢-٢٦٣).

وقال في كتابه "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح": (٤/٦٩): (وقوله عن المسيح: ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ خص المسيح بذلك؛ لأنه نفخ في أمه من الروح، فحبلت به من ذلك النفخ، وذلك غير روحه التي يساركه فيها سائر البشر فامتاز بأن حبلت به من نفخ الروح، فلهذا سمي روحاً منه).

لَهُ، وتعليمه أسماء كل شيء، فنفخه فيه من روحه يستلزم نافعاً ونفخاً ومنفوخاً منه، فالمنفوخ منه هو الروح المضافة إلى الله فمنها سرت النفخة في طينة آدم والله تعالى هو الذي نفخ في طينته من تلك الروح، هذا هو الذي دل عليه النص، وأما كون النفخة بمباشرة منه سبحانه كما خلقه بيده أو أمها حصلت بأمره كما حصلت في مريم عليها السلام فهذا يحتاج إلى دليل.

والفرق بين خلق الله له بيده ونفخه فيه من روحه: أن اليد غير مخلوقة والروح مخلوقة والخلق فعل من أفعال الرب، وأما النفخ فهل هو من أفعاله القائمة به أو هو مفعول من مفعولاته القائمة بغيره المنفصلة عنه، هذا مما لا يحتاج إلى دليل. وهذا بخلاف النفخ في فرج مريم فإنه مفعول من مفعولاته وأضافه إليه؛ لأنه بإذنه وأمره.

فنفخه في آدم هل هو فعل له أو مفعول؟ وعلى كل تقدير فالروح الذي نفخ منها في آدم روح مخلوقة غير قديمة وهي مادة روح آدم فروحه أولى أن تكون حادثة مخلوقة وهو المراد.



### المسألة الثامنة عشرة

وهي: هل تقدم خلق الأرواح على الأجساد أو تأخر خلقها عنها؟  
فهذه المسألة للناس فيها قولان معروفان: حكاهما شيخ الإسلام وغيره، وممن ذهب إلى تقدم خلقها محمد بن نصر المروزي، وأبو محمد بن حزم، وحكاه ابن حزم إجماعاً<sup>(١)</sup>.

ونحن نذكر حجج الفريقين وما هو الأولى منها بالصواب.

قال: من ذهب إلى تقدم خلقها على خلق البدن، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا﴾ [الأعراف: ١١]، قالوا: وثم للترتيب والمهلة فقد تضمنت الآية أن خلقنا مقدم على أمر الله للملائكة بالسجود لآدم ومن المعلوم قطعاً أن أبداننا حادثه بعد ذلك فعلم أنها الأرواح.

قالوا: ويدل عليه قوله سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، قالوا: وهذا الاستنطاق والإشهاد إنما كان لأرواحنا [إذ] لم تكن الأبدان حينئذ موجودة.

ففي «الموطأ» حدثنا مالك عن زيد ابن أبي أنيسة أن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب أخبره عن مسلم بن يسار الجهني أن عمر بن الخطاب سئل عن هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يسأل عنها فقال: «خلق الله آدم ثم مسح ظهره بيمينه

<sup>(١)</sup> انظر «الفصل» لابن حزم: (٤/١٢٣-١٢٤)، وفيه النقل عن محمد بن نصر وإسحاق بن راهويه، وقد تقدم أن نقل ابن القيم كلام ابن نصر وابن راهويه. انظر ص (١).

فاستخرج منه ذريةً فقال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون، وخلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون»، فقال رجل: يا رسول الله ففيم العمل فقال رسول الله ﷺ: «إن الله إذا خلق الرجل للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله به الجنة، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله به النار»، قال الحاكم: هذا حديث على شرط مسلم<sup>(١)</sup>.

وروى الحاكم أيضًا من طريق هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعاً: «لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نمسة هو خالقها إلى يوم القيامة أمثال الذر، ثم جعل بين عيني كل إنسان منهم وبيصاً من نور، ثم

<sup>(١)</sup> (ضعيف) أخرجه مالك في «الموطأ»: (٢٧٧/٤)، ت سليم الهلالي ومن طريقه أحمد: (٤٤/١)، وأبو داود: (٤٧٠٣)، والترمذي: (٣٠٧٥)، والنسائي في «الكبرى»: (١١١٩٠)، والحاكم: (٣٢٤/٢)، وإسناده ضعيف، مسلم بن يسار الجهني مجهول تفرد بالرواية عنه عبد الحميد بن عبد الرحمن ولم يوثقه معتبر، وأيضاً مسلم هذا لم يدرك عمر فالإسناد مع ضعفه منقطع.

قال الترمذي: (وقد وذكر بعضهم في هذا الإسناد بين مسلم بن يسار وبين عمر رجلاً مجهولاً). وكذا قال أبو حاتم: (وبينهما نعيم بن ربيعة). نقله عنه ابن كثير في تفسير الآية: (١٧٢) من سورة الأعراف، ومن رجح الطريق التي فيها ذكر نعيم بن ربيعة الدارقطني في «العلل»: (٢٢٢/٢)، وكذا الطحاوي في «شرح مشكل الآثار»: (٢٧-٢٦/١٠) قال ابن كثير: (الظاهر أن الإمام مالكاً أسقط ذكر نعيم بن ربيعة عمداً لما جهل حاله ولم يعرفه....).

قلت: قد أخرجه من هذه الطريق أبو داود: (٤٧٠٤)، وابن أبي عاصم في «السنة»: (٢٠١)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار: (٢٧-٢٥/١٠) من طرق عن زيد بن أبي أنيسة عن عبد الحميد بن عبد الرحمن عن مسلم بن يسار عن نعيم بن ربيعة قال: كنت عند عمر فذكره، وإسناده ضعيف أيضاً مسلم بن يسار تقدم أنه مجهول، وكذلك نعيم بن ربيعة مجهول تفرد بالرواية عنه مسلم بن يسار.



عرضهم على آدم فقال: من هؤلاء يا رب؟ قال: هؤلاء ذريتك فرأى رجلاً منهم أعجبه وبيص ما بين عينيه فقال: يا رب من هذا؟ فقال: هذا ابنك داود يكون في آخر الأمم قال: كم جعلت له من العمر؟ قال: ستين سنة، قال: يا رب زده عمري أربعين سنة، فقال الله تعالى: إذا يكتب ويختتم فلا يُبدل، فلما انقضى عمر آدم جاء ملك الموت قال: أو لم يبق من عمري أربعون سنة؟ فقال: أو لم تجعلها لابنك داود قال: قال فوجدت ذريته، ونسى فنسيت ذريته، وخطئ فخطئت ذريته»، قال: هذا على شرط مسلم، ورواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح<sup>(١)</sup>.

ورواه الإمام أحمد من حديث ابن عباس قال لما نزلت آية الدين قال رسول الله ﷺ: «إن أول من جحد آدم»، وزاد محمد بن سعد: «ثم أكمل الله لأدم ألف سنة ولد داود مائة سنة»<sup>(٢)</sup>.

<sup>(١)</sup> (صحيح) أخرجه الحاكم: (٣٢٥ / ٢)، والترمذي: (٣٠٧٦) من طريق أبي نعيم قال: حدثنا هشام بن سعد به، وإسناده صحيح هشام بن سعد فيه ضعف إلا أنه أثبت الناس في زيد بن أسلم - قاله أبو داود - وباقي الإسناد على شرط مسلم.

قال الترمذي: (وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ). قلت: للحديث طرق انظرها في «السنن» لابن أبي عاصم: (٢٠٥-٢٠٦)، مع تحقيق العلامة الألباني، فالحديث صحيح.

<sup>(٢)</sup> (حسن) دون قوله: «ثم أكمل الله لأدم...».

أخرجه أحمد: (٢٩٩ / ١)، وابن سعد في «الطبقات»: (٢٨ / ١)، من طرق عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس به، وإسناده ضعيف لضعف علي بن زيد بن جدعان، ولكن يشهد له حديث أبي هريرة الذي قبله فيكون به حسناً دون قوله: «ثم أكمل الله لأدم ألف سنة ولد داود مائة سنة»، فتبقى على الضعف.

وَفِي «صَحِيحِ الْحَاكِمِ» أَيضًا مِنْ حَدِيثِ أَبِي جَعْفَرِ الرَّازِيِّ حَدَّثَنَا الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، الآية، قَالَ: جَمَعَهُمْ لَهُ يَوْمَئِذٍ جَمِيعًا مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَجَعَلَهُمْ أَرْوَاحًا ثُمَّ صَوَّرَهُمْ وَاسْتَنْطَقَهُمْ فَتَكَلَّمُوا، وَأَخَذَ عَلَيْهِمُ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ: ﴿وَأَشْهَدُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، قَالَ: فَإِنِّي أَشْهَدُ عَلَيْكُمْ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ وَأَشْهَدُ عَلَيْكُمْ آبَائِكُمْ آدَمَ: ﴿أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، فَلَا تُشْرِكُوا بِي شَيْئًا فَإِنِّي أَرْسَلْتُ إِلَيْكُمْ رُسُلِي يَذْكُرُونَكُمْ عَهْدِي وَمِيثَاقِي، وَأَنْزَلَ عَلَيْكُمْ كِتَابِي فَقَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ رَبُّنَا وَإِلَهُنَا لَا رَبَّ لَنَا غَيْرَكَ وَرَفَعَ لَهُمْ أَبُوهُمْ آدَمَ فَرَأَى فِيهِمُ الْغِنَى وَالْفَقِيرَ وَحَسَنَ الصُّورَةَ وَغَيْرَ ذَلِكَ فَقَالَ: رَبُّ لَوْ سَوَيْتَ بَيْنَ عِبَادِكَ فَقَالَ: إِنِّي أَحِبُّ أَنْ أَشْكُرَ، وَرَأَى فِيهِمُ الْأَنْبِيَاءَ مِثْلَ السَّرِجِ وَخُصَّوًا بِمِيثَاقٍ آخَرَ بِالرِّسَالَةِ وَالنَّبُوَّةِ فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ﴾ [الأحزاب: ٧]، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠]، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّذِيرِ الْأُولَى﴾ [النجم: ٥٦]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٢]، وَكَانَ رُوحَ عِيسَى مِنْ تِلْكَ الْأَرْوَاحِ الَّتِي أَخَذَ عَلَيْهَا الْمِيثَاقَ فَأَرْسَلَ

تنبيه: قول ابن القيم هنا: (زاد محمد بن سعد...) . يوهوم أن هذه الزيادة ليست عن أحمد، وليس كذلك بل هي عند أحمد بالرقم المذكور، وأما قوله في أول الحديث: (لما نزلت آية الدين) فليست عند أحمد.

ذَلِكَ الرُّوحِ إِلَى مَرِيَمَ حِينَ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا فَدَخَلَ مِنْ فِيهَا، وَهَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهُوِيَّةَ: حَدَّثَنَا بَقِيَّةُ بْنُ الْوَلِيدِ قَالَ: أَخْبَرَنِي الزَّيْدِيُّ مُحَمَّدُ بْنُ الْوَلِيدِ عَنْ رَاشِدِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ قَتَادَةَ النَّصْرِيِّ<sup>(٢)</sup> عَنْ أَبِيهِ عَنْ هِشَامِ بْنِ حَكِيمِ بْنِ حَزَامٍ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَبْتَدَأُ الْأَعْمَالَ أَمْ قَدْ مَضَى الْقَضَاءُ؟ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ لَمَّا أَخْرَجَ ذُرِّيَّةَ آدَمَ مِنْ ظَهْرِهِ أَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ثُمَّ أَقَاضَ بِهِمْ فِي كَفِيهِ فَقَالَ: هَؤُلَاءِ لِلْجَنَّةِ وَهَؤُلَاءِ لِلنَّارِ فَأَهْلُ الْجَنَّةِ مَيَسُرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَأَهْلُ النَّارِ مَيَسُرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ»<sup>(٣)</sup>.

<sup>(١)</sup> (صحيح) دون قوله: (وكان روح عيسى من تلك الأرواح.....).

أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ: (٢/٣٢٣-٣٢٤)، وَابْنُ جَرِيرٍ: (٩/١١٥) مِنْ طَرِيقِ أَبِي جَعْفَرِ الرَّازِيِّ بِهِ، وَهَذَا إِسْنَادٌ ضَعِيفٌ لضعف أبي جعفر الرازي، ولكنه متابع فقد تابعه سليمان التيمي وهو ثقة فرواه عن الربيع بن أنس به نحوه أخرجه عبدالله بن أحمد في "زوائد المسند": (٥/١٣٥)، وهذه المتابعة من طريق محمد بن يعقوب الربالي وهو مجهول حال، ولكنه متابع أيضًا فقد تابعه يحيى بن حبيب بن عربي وهو ثقة أخرجه ابن بطة في "الإبانة": (١٣٣٩)، إلا أن شيخ ابن بطة فيه لم أجد له ترجمة، فالأثر من هذه الطرق صحيح دون الفقرة الأخيرة منه وهي قوله: (وكان روح عيسى من تلك الأرواح.....) الخ، فإن فيها نكارة كما سيأتي بيانها من كلام ابن القيم ص ( )، وقد ذكر ابن كثير هذه الفقرة التي في آخره عند الآية: (١٧) من سورة مريم ثم قال: (وهذا في غاية الغرابة والنكارة وكأنه إسرائيلي).

<sup>(٢)</sup> وقع في كل النسخ: (عبد الرحمن بن أبي قتادة). والنصري في الأصل غير منقوط وفي (ش) (البصري) والصواب ما أثبتناه. انظر "الإصابة" للحافظ ابن حجر: (٤/٢٩٥) ترجمة (عبد الرحمن بن قتادة السلمي) و"الإكمال" لابن ماكولا (١/٣٩٠-٣٩١).

<sup>(٣)</sup> (حسن بشواهد) أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده - كما في "المطالب العالية" (٣/٢٨٠) -، وابن جرير (٩/١١٧)، والبيهقي في "الأسماء والصفات" (٧١١-٧١٢)، وابن أبي عاصم في "السنن" =

وَقَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا النَّصْرُ أَنَا أَبُو مَعْمَرٍ عَنْ سَعِيدِ الْمَقْبَرِيِّ وَنَافِعِ مَوْلَى الزَّبِيرِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: «لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ فَذَكَرَ خَلْقَ آدَمَ فَقَالَ لَهُ: يَا آدَمُ أَيُّ يَدِي أَحَبُّ إِلَيْكَ أَنْ أَرِيكَ ذُرِّيَّتَكَ فِيهَا فَقَالَ: يَمِينِ رَبِّي وَكِلْتَا يَدَيِ رَبِّي يَمِينِ، فَبَسَطَ يَمِينَهُ وَإِذَا فِيهِ ذُرِّيَّتُهُ كُلُّهُمْ مَا هُوَ خَالِقٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، الصَّحِيحُ عَلَى هَيْئَتِهِ. وَالْمَبْتَلَى عَلَى هَيْئَتِهِ، وَالْأَنْبِيَاءُ عَلَى هَيْئَتِهِمْ، فَقَالَ: أَلَا أَعْصَيْتَهُمْ<sup>(١)</sup> كُلَّهُمْ فَقَالَ: إِنِّي أَحَبُّ أَنْ أَشْكُرَ». وَذَكَرَ الْحَدِيثَ<sup>(٢)</sup>.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرٍ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى ثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ أَنَا اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ حَدَّثَنِي ابْنُ عَجْلَانَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدِ الْمَقْبَرِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ قَالَ: (خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ ثُمَّ قَالَ بِيَدَيْهِ فقبضهما فَقَالَ: اخْتَرِ يَا آدَمُ فَقَالَ: اخْتَرْتُ يَمِينِ رَبِّي وَكِلْتَا

(١٦٨-١٦٩)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٨/١٩١-١٩٢)، وغيرهم، وقد اختلف في إسناده على وجوه متعددة تركناها خشية الإطالة وراجعها في حاشية «تفسير الطبري» للشيخ أحمد شاکر: (١٣/٢٤٤-٢٤٨)، وكذا في «الإصابة» للحافظ ابن حجر: (٤/٢٩٥) ترجمة (عبدالرحمن بن قتادة السلمى)، والحديث أعله البخاري رحمته، ونصّ ابن السكن على أنه مضطرب، وكذلك ابن عبد البر في «الاستيعاب» (١٤٥٠)، والحسيني في «الإكمال» ترجمة (٥٣٢)، ومع هذا الاضطراب إلا أن كل الأوجه التي رُوِي بها صالحة في الشواهد ليس منها ما هو شديد الضعف، وبالنظر إلى شواهد قد يحكم الباحث بثبوته لما له من الشواهد منها ما تقدم ومنها ما سيأتي، وقد صححه العلامة الألباني في «ظلال الجنة»: (٧٤/١).

(١) في الأصل (أغنيتهم) وما أثبتناه من (ش) و(ف) وهو أوفق لسياق الكلام، وأيضا هو الموافق لما في «شفاء العليل».

(٢) (إسناده ضعيف) فيه أبو معمر وهو نجیح بن عبد الرحمن السندي قال الحافظ: ضعيف أسن واختلط. وقد تقدم أن الحديث صحيح عن أبي هريرة من طرق أخرى.

يَدِيهِ يَمِينٍ فَبَسَطَهَا فَإِذَا فِيهَا ذُرِّيَّتَهُ فَقَالَ: مَنْ هُوَ لِأَيِّ رَبِّ؟ قَالَ: مَنْ قَضَيْتَ أَنْ أُخْلَقَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ<sup>(١)</sup>.

قَالَ: وَأَخْبَرَنَا إِسْحَاقُ حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ عَوْنٍ أَنَا هِشَامُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ مَسَحَ ظَهْرَهُ فَسَقَطَ مِنْ ظَهْرِهِ كُلُّ نَسَمَةٍ هُوَ خَالِقُهَا مِنْ ذُرِّيَّتِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»<sup>(٢)</sup>.

وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ وَعَمْرُ بْنُ زُرَّارَةَ أَنَا إِسْمَاعِيلُ عَنْ كُثُومِ بْنِ جَبْرِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، الْآيَةِ، قَالَ: «مَسَحَ رَبُّكَ ظَهْرَ آدَمَ فَخَرَجَتْ مِنْهُ كُلُّ نَسَمَةٍ هُوَ خَالِقُهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ بِنِعْمَانِ هَذَا الَّذِي وَرَاءَ عَرَفَةَ فَأَخَذَ مِيثَاقَهُمْ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ [الأعراف: ١٧٢].

وَرَوَاهُ أَبُو جَمْرَةَ الضَّبْعِيُّ وَمُجَاهِدٌ وَحَبِيبُ بْنُ أَبِي ثَابِتٍ وَأَبُو صَالِحٍ وَغَيْرُهُمْ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(٣)</sup>.

<sup>(١)</sup> (حسن موقوفاً) رجاله ثقات إلا ابن عجلان وهو محمد صدوق، وإنما اختلطت عليه أحاديث المقبري عن أبي هريرة، وأما حديثنا هذا فهو عن عبد الله بن سلام.

<sup>(٢)</sup> (صحيح) تقدم مطوياً من طريق الحاكم.

<sup>(٣)</sup> (صحيح موقوفاً) هذا الحديث روي مرفوعاً وموقوفاً:

\* فأما المرفوع فرواه جرير بن حازم عند أحمد: (٢٧٢/١)، والنسائي في «الكبرى»: (١١١٩١) عن كلثوم بن جبر عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس به مرفوعاً.

\* وأما الموقوف فرواه عبد الوارث بن سعيد عند ابن جرير: (١١١/٩)، وحماد بن زيد عند ابن سعد في «الطبقات»: (٢٩/١)، وإسماعيل بن علية عند ابن جرير: (١١١/٩) وربيعه بن كلثوم بن جبر عند ابن جرير: (١١٢/٩) أربعتهم عن كلثوم بن جبر عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس به موقوفاً.

وَقَالَ إِسْحَاقُ أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو فِي هَذِهِ الْآيَةِ قَالَ: أَخَذَهُمْ كَمَا يُؤْخَذُ بِالْمَشْطِ فِي الرَّأْسِ<sup>(١)</sup>.

وَحَدَّثَنَا حُجَّاجٌ عَنْ ابْنِ جَرِيحٍ عَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ مُوسَى عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ ضَرَبَ مَنْكِبَهُ الْأَيْمَنَ فَخَرَجَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَخْلُوقَةٌ لِلْجَنَّةِ بَيَّضَاءَ نَقِيَّةٍ فَقَالَ: هَؤُلَاءِ أَهْلُ الْجَنَّةِ، ثُمَّ ضَرَبَ مَنْكِبَهُ الْأَيْسَرَ فَخَرَجَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَخْلُوقَةٌ لِلنَّارِ سَوْدَاءَ فَقَالَ: هَؤُلَاءِ أَهْلُ النَّارِ، ثُمَّ أَخَذَ عَهْدَهُ عَلَى الْإِبْرَانِ بِهِ وَالْمَعْرِفَةَ لَهُ وَلَا أَمْرَهُ

\* وقد تابع كلثومًا على وقفه حبيب بن أبي ثابت عند ابن جرير: (١١١/٩)، وعطاء بن السائب عند ابن جرير: (١١١/٩)، وعلي بن بذيمة عند ابن جرير: (١١٢/٩)، ثلاثهم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به موقوفًا.

وتابع سعيد بن جبير على وقفه أبو جرة الضبعي فرواه عن ابن عباس موقوفًا أخرجه ابن جرير: (١١٢/٩)، فمن هذه الطرق يتضح جليًا أن الموقوف أرجح من المرفوع، وقد أشار إلى ترجيح الموقوف ابن كثير عند تفسير الآية: (١٧٢) من سورة الأعراف، وقال العلامة الألباني في «الصحيحة» (٤/١٥٩): (هو كما قال رحمته الله تعالى -يعني ابن كثير- ولكن ذلك لا يعني أن الحديث لا يصح مرفوعًا؛ وذلك لأن الموقوف في حكم المرفوع، لسببين:

١- أنه في تفسير القرآن.

٢- أن له شواهد مرفوعة عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جمع من الصحابة).

قلت: والموقوف صحيح من هذه الطرق.

<sup>(١)</sup> (صحيح موقوفًا) أخرجه ابن جرير: (١١٣/٩)، وابن أبي حاتم: (١٦١٣/٥) من طرق عن منصور عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو به، وهذا إسناد صحيح على شرط البخاري.

وقد روي مرفوعًا ولا يصح أخرجه ابن جرير: (١١٣/٩)، وقد صحح الموقوف ابن جرير: (١١٨/٩)، وابن كثير عند الآية: (١٧٢) من سورة الأعراف.

والتصديق له وبأمره من بنى آدم كلهم وأشهدهم على أنفسهم فأمنوا وصدقوا وعرفوا وأقروا<sup>(١)</sup>.

وذكر مُحَمَّد بن نصر من تَفْسِير السدي عَن أَبِي مَالِك وَعَن أَبِي صَالِح عَن ابْنِ عَبَّاس وَعَن مَرَّة الهمداني عَن ابْنِ مَسْعُود وَعَن أَنَاسٍ مِّنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ﴾ الآية [الأعراف: ١٧٢] «لما أخرج الله آدم من الجنة قبل أن يهبط من السماء مسح صفحة ظهر آدم اليمنى فأخرج منه ذريرة بيضاء مثل اللؤلؤ وكهيئة الدر فقال لهم: ادخلوا الجنة برحمتي ومسح صفحة ظهره اليسرى فأخرج منه ذريرة سوداء كهيئة الدر فقال لهم: ادخلوا النار ولا أبالي فذلك حيث يقول: ﴿وَأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾، ﴿وَأَصْحَابِ الشَّمَالِ﴾، ثُمَّ أَخَذَ مِنْهُمْ الْمِيثَاقَ فَقَالَ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ [الأعراف: ١٧٢]، فَأَعْطَاهُ طَائِفَةٌ طَائِعِينَ وَطَائِفَةٌ كَارِهِينَ عَلَى وَجْهِ التَّقِيَّةِ فَقَالَ: هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ: ﴿شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ \* أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧٣]، فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ وَلَدِ آدَمَ إِلَّا وَهُوَ يَعْرِفُ أَنَّ اللَّهَ رَبُّهُ وَلَا مُشْرَكَ إِلَّا وَهُوَ يَقُولُ: إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ

<sup>(١)</sup> أخرجه ابن جرير: (١١٤/٩)، وابن بطة في «الإبانة»: (١٣٤٠)، من طريق حجاج عن ابن جريج به، وابن جريج مدلس وقد عنعن، والزبير بن موسى هو ابن ميناء المكي روى عنه جمع ولم أجد فيه جرماً ولا تعديلاً.

فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴿ [آل عمران: ٨٣]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأنعام: ١٤٩]، قَالَ: يَعْنِي يَوْمَ أَخَذَ عَلَيْهِمِ الْمِيثَاقَ <sup>(١)</sup>.  
 قَالَ إِسْحَاقُ: وَأَخْبَرَنَا رُوحُ بْنُ عَبَّادَةَ ثَنَا مُوسَى بْنُ عُبَيْدَةَ الرِّبْذِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ كَعْبِ الْقُرْظِيِّ يَقُولُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، الْآيَةَ، أَقْرَأُوهُ بِالْإِيمَانِ وَالْمَعْرِفَةِ الْأَرْوَاحِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ أَجْسَادَهَا <sup>(٢)</sup>.  
 قَالَ: وَثَنَا الْفَضْلُ بْنُ مُوسَى عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ عَنْ عَطَاءٍ فِي هَذِهِ الْآيَةِ قَالَ: أُخْرِجُوا مِنْ صَلْبِ آدَمَ حِينَ أَخَذَ مِنْهُمْ الْمِيثَاقَ ثُمَّ رَدُوا فِي صَلْبِهِ <sup>(٣)</sup>.

<sup>(١)</sup> (ضعيف)، أخرجه ابن عبد البر في "التمهيد": (٨٥ / ١٨) من طريق أسباط بن نصر السدي به، وهذا الإسناد من السدي قد جمع فيه عن جماعة ولم يتميز بعضها من بعض فساقها مساقًا واحدًا. قال الإمام أحمد كما في ترجمة السدي من "التهذيب": إنه ليحسن الحديث إلا أن هذا التفسير الذي يجيء به قد جعل له إسنادًا واستكلفه.  
 وقال ابن جرير: (O) بعد أن ساق أثرًا بهذا الإسناد ... فإن كان ذلك صحيحًا ولست أعلمه صحيحًا إذ كنت بإسناده مرتابًا. وقال ابن كثير عند الآية: (٣٤) من سورة البقرة: فهذا الإسناد إلى هؤلاء الصحابة مشهور في تفسير السدي ويقع فيه إسرائيليات كثيرة فلعل بعضها مدرج وليس من كلام الصحابة، أو أنهم أخذوه من بعض الكتب المتقدمة.  
 وله كلام نحو هذا في "البداية والنهاية" (٣٤ / ١) ت التركي حيث قال: وهذا الإسناد يذكر به السدي أشياء كثيرة فيها غرابة وكان كثيرٌ منها متلقى من الإسرائيليات.  
 وقال الحافظ ابن حجر في كتابه "العجاب في بيان الأسباب" (٢١٢ / ١) بعد أن ذكر هذا الإسناد: وخلط روايات الجميع فلم تتميز رواية الثقة من الضعيف ولم يلق السدي من الصحابة إلا أنس بن مالك ...  
<sup>(٢)</sup> (ضعيف) أخرجه ابن أبي شيبة: (١١٥ / ١٤)، وابن جرير: (١١٧ / ٩) - وألفاظهم متقاربة - من طرق عن موسى بن عبيدة به، وهذا إسناد ضعيف لضعف موسى بن عبيدة وهو الربذي.  
<sup>(٣)</sup> (صحيح) أخرجه ابن جرير: (١١٦ / ٩) من طرق عن عبد الملك عن عطاء به، وإسناده صحيح، عبد الملك هو ابن عبد العزيز بن جريح ثقة ولا تضر عنعنته عن عطاء لما روى ابن أبي خيثمة في تاريخه ص



قَالَ إِسْحَاقُ: وَأَخْبَرَنَا يَعْلَى عَنِ الْأَجْلَحِ<sup>(١)</sup>: عَنِ الضَّحَّاكِ قَالَ: أَنَّ اللَّهَ أَخْرَجَ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ يَوْمَ خَلَقَهُ مَا يَكُونُ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ فَأَخْرَجَهُمْ مِثْلَ الذَّرِّ فَقَالَ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: ﴿شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، ثُمَّ قَبِضَ قَبْضَةَ بِيَمِينِهِ فَقَالَ: هُوَ لَاءٌ فِي الْجَنَّةِ، وَقَبِضَ أُخْرَى فَقَالَ هُوَ لَاءٌ فِي النَّارِ<sup>(٢)</sup>.

قَالَ إِسْحَاقُ: وَأَخْبَرَنَا أَبُو عَامِرٍ الْعَقَدِيُّ وَأَبُو نَعِيمٍ الْمَلَائِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ يَحْيَىٰ وَكَيْسِ بْنِ سَعِيدٍ قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ الْمَسِيْبِ مَا تَقُولُ فِي الْعَزْلِ؟ قَالَ: إِنْ شِئْتُ حَدَّثْتُكَ حَدِيثًا هُوَ حَقٌّ: إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمَّا خَلَقَ آدَمَ أَرَاهُ كَرَامَةً لَمْ يَرَهَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ أَرَاهُ كُلَّ نَسَمَةٍ هُوَ خَالِقُهَا مِنْ ذُرِّيَّتِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ يَزِيدُ فِيهِمْ شَيْئًا أَوْ يَنْقُصُ مِنْهُمْ فَقَدْ كَذَبَ وَلَوْ كَانَ لِي سَبْعُونَ مَا بَالَيْتَ<sup>(٣)</sup>.

(١٥٧) فقال: حدثنا إبراهيم بن عرعة قال: حدثني يحيى بن سعيد عن ابن جريج قال: (إذا قلت قال عطاء فأنا سمعته منه وإن لم أقل سمعته)، وإسناده صحيح.

<sup>(١)</sup> وقع في جميع النسخ المخطوطة والمطبوعة التي رأيتها من كتاب "الروح" (قال إسحاق وأخبرنا علي بن الأجلح). وهو تصحيف والصواب ما أثبتناه (أخبرنا يعلى عن الأجلح). كما في سند ابن أبي حاتم، وأيضاً لم أر في مشايخ إسحاق من اسمه علي بن الأجلح، وفيهم يعلى بن عبيد.

<sup>(٢)</sup> (ضعيف) أخرجه ابن أبي حاتم: (١٦١٥/٥) فقال: حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا يعلى بن عبيد حدثنا الأجلح عن الضحاك به، دون قوله: ثم قبض قبضة... إلخ، وإسناده ضعيف لضعف الأجلح وهو ابن عبد الله بن حجيرة الكندي.

<sup>(٣)</sup> (ضعيف) أخرجه ابن وهب في كتابه "القدر وما ورد فيه من الآثار" رقم (١٤) فقال: أخبرني هشام بن سعد به، وهذا إسناد ضعيف لضعف هشام بن سعد، وأما يحيى الذي في الإسناد فهو ابن حسان البكري كما صرح به في كتاب القدر، وهو ثقة وثقه النسائي وابن يونس.

وَفِي «تَفْسِيرِ ابْنِ عُيَيْنَةَ» عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ عَنِ أَبِي الْعَالِيَةِ: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا﴾ [آل عمران: ٨٣]، قَالَ: يَوْمَ أَخَذَهُ الْمِيثَاقَ<sup>(١)</sup>.

قَالَ إِسْحَاقُ: فَقَدْ كَانُوا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ مُقْرِنِينَ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَخْبَرَ أَنَّهُ قَالَ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يُخَاطَبُ إِلَّا مَنْ يَفْهَمُ عَنْهُ الْمَخَاطَبَةَ، وَلَا يُجِيبُ إِلَّا مَنْ فَهَمَ السُّؤَالَ فَاجَابَتَهُمْ إِيَّاهُ بِقَوْلِهِمْ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُمْ قَدْ فَهَمُوا عَنِ اللَّهِ وَعَقَلُوا عَنْهُ اسْتِشْهَادَهُ إِيَّاهُمْ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، فَأَجَابُوهُ مِنْ بَعْدِ عَقْلِ مِنْهُمْ لِلْمَخَاطَبَةِ وَفَهَمَ هَذَا بِأَنَّ: ﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، فَأَقْرَوُا لَهُ بِالرَّبُوبِيَّةِ.

(١) لم أفف عليه عن أبي العالوية بهذا اللفظ في تفسير هذه الآية.

وقد أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: (٥/ ١٥٣٠)، ولكن ذكره في تفسير قول الله: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ﴾ [الأعراف: ١٠٢]، قال: هو ذلك العهد يعني يوم أخذ الميثاق. وإسناده حسن. وأخرج ابن جرير: (٣/ ٣٣٦) عن أبي العالوية أنه قال في هذه الآية: كل آدمي قد أقر على نفسه بأن الله ربي وأنا عبده، فمن أشرك في عبادته فهو الذي أسلم كرهاً، ومن أخلص له العبودية، فهو الذي أسلم طوعاً. وإسناده ضعيف من طريق ابن أبي جعفر عن أبيه، وابن أبي جعفر هو عبدالله قال الحافظ صدوق يخطئ، وأبوه هو أبو جعفر الرازي عيسى بن ماهان ضعيف.

والأثر الذي ذكره ابن القيم هنا جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أخرجه ابن جرير: (٣/ ٣٣٦) من طريق الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران: ٨٣]، (قال حين أخذ الميثاق ) ، ورجاله ثقات إلا أن الأعمش يروي عن مجاهد بالعنعنة، وقد قال أبو حاتم - كما في «العلل» لولده - (٢/ ٢١٠) رقم (٢١١٩) : (.... الأعمش قليل السماع من مجاهد وعامة ما يروي عن مجاهد مدلس).

## فصل

وَاحْتَبَّجُوا أَيضًا بِمَا رَوَاهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَنَدَةَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ صَابِرِ الْبُخَارِيِّ، ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُنْذِرِ بْنِ سَعِيدِ الْهَرَوِيِّ ثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ هَارُونَ الْمِصْبِيِّ ثَنَا عَبْتَةُ بْنُ السَّكَنِ ثَنَا أَرْطَاءَةُ بْنُ الْمُنْذِرِ ثَنَا عَطَاءُ بْنُ عَجْلَانَ عَنْ يُونُسَ بْنِ حَلْبَسَ عَنْ عَمْرِو بْنِ عَبْسَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ أَرْوَاحَ الْعِبَادِ قَبْلَ الْعِبَادِ بِالْفِي عَامٍ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ وَمَا تَنَافَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ»<sup>(١)</sup>، فَهَذَا بَعْضُ مَا احْتَجَّ بِهِ هُوَ لَاءِ.

قَالَ الْآخَرُونَ: الْكَلَامُ مَعَكُمْ فِي مَقَامَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: ذِكْرُ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ الْأَرْوَاحَ إِنَّمَا خَلِقَتْ بَعْدَ خَلْقِ الْأَبْدَانِ.

الثَّانِي: الْجَوَابُ عَمَّا اسْتَدَلَّتُمْ بِهِ.

فَأَمَّا الْمَقَامُ الْأَوَّلُ فَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ [الحجرات: ١٣]، وَهَذَا خُطَابٌ لِلنَّاسِ الَّذِي هُوَ رُوحٌ وَبَدَنٌ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ جَمَلَتَهُ مَخْلُوقَةٌ بَعْدَ خَلْقِ الْأَبْوَابِ.

<sup>(١)</sup> (موضوع) في إسناده عبته بن السكن قال الدارقطني: متروك، وقال البيهقي: (عبته بن السكن وإه) منسوب إلى الوضع ، وعطاء بن عجلان قال عنه الحافظ: (متروك بل أطلق عليه ابن معين و الفلاس وغيرهما الكذب).

وقد جاء الحديث عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخرجه ابن الجوزي في "الموضوعات": (٤٠١/١) ، ثم قال: (هذا حديث موضوع قال الأزدي: عبدالله بن أيوب وأبوه كذابان لا تحل الرواية عنهما) ، عبدالله بن أيوب هو ابن أبي علاج، راجع ترجمته وترجمة والده في "ميزان الاعتدال" للذهبي.

وأصرح منه [قوله]: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾ الآية [النساء: ١] وهذا صريح في أن خلق جملة النوع الإنساني بعد خلق أصله.

فإن قيل: هذا لا ينفي تقدم خلق الأرواح على أجسادها وإن خلقت بعد خلق أبي البشر كما دلت عليه الآثار المتقدمة.

قيل: سنين إن شاء الله تعالى أن الآثار المذكورة لا تدل على سبق الأرواح الأجساد سبقاً مستقراً ثابتاً، وغايتها أن تدل بعد صحتها وثبوتها على أن بارئها وفاطرها سبحانه صور النسب وقدر خلقها وآجالها وأعمالها واستخرج تلك الصور من مادتها ثم أعادها إليها، وقدر خروج كل فرد من أفرادها في وقته المقدر له، ولا تدل على أنها خلقت خلقاً مستقراً ثم استمرت موجودة حية عالمة ناطقة كلها في موضع واحد ثم ترسل منها إلى الأبدان جملة بعد جملة كما قاله أبو محمد بن حزم، فهل تحمل الآثار ما لا طاقة لها به؟! نعم الرب سبحانه يخلق منها جملة بعد جملة على الوجه الذي سبق به التقدير أولاً، فيجيء الخلق الخارجي مطابقاً للتقدير السابق كشأنه تعالى في جميع مخلوقاته فإنه قدر لها أقداراً وآجالاً وصفات وهيئات ثم أبرزها إلى الوجود مطابقة لذلك التقدير الذي قدره لها لا تزيد عليه ولا تنقص منه.

فالآثار المذكورة إنما تدل على إثبات القدر السابق، وبعضها يدل على أنه سبحانه استخرج أمثالهم وصورهم وميز أهل السعادة من أهل الشقاوة، وأما مخاطبتهم

واستنطاقهم وإقرارهم له بالربوبية وشهادتهم على أنفسهم بالعبودية فمن قاله من السلف فإنما هو بناء منه على فهم الآية، والآية لم تدل على هذا بل دلت على خلافه<sup>(١)</sup>.

وأما حديث مالك فقال أبو عمر: هو حديث منقطع مسلم بن يسار لم يلق عمر بن الخطاب، وبينهما في هذا الحديث نعيم بن ربيعة وهو أيضا مع هذا الإسناد لا يقوم به حجة، ومسلم ابن يسار هذا مجهول قيل: إنه مدني وليس بمسلم بن يسار البصري، قال ابن أبي خيثمة: قرأت على يحيى بن معين حديث مالك هذا عن زيد بن أبي أنيسة فكتب بيده على مسلم بن يسار لا يعرف.

ثم ساقه أبو عمر من طريق النسائي أخبرنا محمد بن وهب ثنا محمد بن سلمة قال: حدثني أبو عبد الرحيم قال: حدثني زيد بن أبي أنيسة عن عبد الحميد بن عبد الرحمن عن مسلم بن يسار عن نعيم بن ربيعة.

ثم ساقه من طريق سنجر<sup>(٢)</sup> حدثنا أحمد بن عبد الملك بن واقد ثنا محمد بن سلمة عن أبي عبد الرحيم عن زيد بن أبي أنيسة عن عبد الحميد عن مسلم بن نعيم قال أبو

<sup>(١)</sup> بل إن الآية صريحة في الدلالة على ما نفاه ابن القيم - رحمه الله - وقد جاء هذا المعنى في أحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم في حديث هشام بن حكيم، وكما في حديث أنس المتفق عليه وفيه أن الله يقول للعبد يوم القيامة: «قد أخذت عليك في ظهر آدم أن لا تشرك بي شيئاً فأبيت إلا أن تشرك بي». وتقدمت في هذا عدة آثار عن السلف، وهذا هو مذهب أهل الحديث وكبراء أهل العلم في هذه الآية - كما سيأتي من كلام ابن الأنباري - بل إن نفي دلالة الآية على هذا المعنى يعتبر تعطيلاً لها عن المعنى الظاهر المتبادر منها والله أعلم. انظر «السلسلة الصحيحة» للعلامة الألباني رحمه الله (٤/١٦٠-١٦١).

<sup>(٢)</sup> وقع في المطبوع (سخبرة) وهو تصحيف صوابه ما أثبتناه من المخطوطتين و(ف)، وهو الموافق لما في التمهيد: (٤/٦) فقد ساقه من طريق محمد بن عبد الله بن سنجر. وانظر ترجمته في «تاريخ الاسلام وفيات»: (٢٥١-٢٦٠) ص (٢٩٦).

عَمَرُو: وَزِيَادَةَ مِنْ زَادٍ فِي هَذَا الْحَدِيثِ نَعِيمُ بْنُ رَبِيعَةَ لَيْسَتْ حُجَّةً لِأَنَّ<sup>(١)</sup> الَّذِي لَمْ يَذْكُرْهُ أَحْفَظُ وَإِنَّهَا تَقْبَلُ الزِّيَادَةَ مِنَ الْحَافِظِ الْمُتَقِنِ<sup>(٢)</sup>.

وَجُمْلَةُ الْقَوْلِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: أَنَّهُ حَدِيثٌ لَيْسَ إِسْنَادُهُ بِالْقَائِمِ؛ لِأَنَّ مُسْلِمَ بْنَ يَسَارٍ وَنَعِيمَ بْنَ رَبِيعَةَ جَمِيعًا غَيْرَ مَعْرُوفِينَ بِحَمْلِ الْعِلْمِ، وَلَكِنْ مَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ قَدْ صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ وُجُوهٍ كَثِيرَةٍ ثَابِتَةٌ يَطُولُ ذِكْرُهَا مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَغَيْرِهِ وَجَمَاعَةَ يَطُولُ ذِكْرُهُمْ.

وَمُرَادُ أَبِي عُمَرَ الْأَحَادِيثَ الدَّالَّةَ عَلَى الْقَدْرِ السَّابِقِ فَإِنَّهَا هِيَ الَّتِي سَاقَهَا بَعْدَ ذَلِكَ فَذَكَرَ حَدِيثَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ فِي الْقَدْرِ وَقَالَ فِي آخِرِهِ: وَسَأَلَهُ رَجُلٌ مِنْ مَزِينَةَ أَوْ جُهَيْنَةَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَفَيْمِ الْعَمَلِ؟ فَقَالَ: «أَنْ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَسِرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَأَهْلُ النَّارِ يَسِرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ»<sup>(٣)</sup>.

قَالَ: وَرُوي هَذَا الْمَعْنَى عَنْ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ طَرَفٍ. وَمَنْ رَوَى هَذَا الْمَعْنَى فِي الْقَدْرِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَأَبِي بَنِي كَعْبٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ، وَأَبْنُ عُمَرَ، وَأَبُو هُرَيْرَةَ، وَأَبُو سَعِيدٍ، وَأَبُو سَرِيحَةَ الْغَفَّارِي، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ

(١) في الأصل و(ف) (أن الذي) والصواب ما أثبتناه من (ش) وهو الموافق لما في التمهيد.

(٢) تقدم في تخريج الحديث أن الدارقطني رجح الطريق التي فيها زيادة (نعيم بن ربيعة)، وكذلك أشار إليه أبو حاتم والترمذي وابن كثير.

(٣) (صحيح) أخرجه أحمد: (٢٧/١)، وأبو داود: (٤٦٩٦) ضمن حديث ابن عمر الطويل في القدر كلاهما من طريق يحيى بن سعيد عن عثمان بن غياث قال: حدثني عبد الله بن بريدة عن يحيى بن يعمر وحيد بن عبد الرحمن قالوا: لقينا عبد الله بن عمر به، وإسناده صحيح على شرط مسلم والحديث قد أخرجه مسلم (٨) دون هذه الزيادة.

عَمْرُو، وَعَمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ، وَعَائِشَةُ، وَأَنْسُ بْنُ مَالِكٍ، وَسِرَاقَةُ ابْنُ جَعْشَمٍ، وَأَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ، وَعِبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ، وَأَكْثَرُ أَحَادِيثِ هَؤُلَاءِ لَهَا طَرَقٌ شَتَّى.

ثُمَّ سَاقَ كَثِيرًا مِنْهَا بِإِسْنَادِهِ<sup>(١)</sup>.

وَأَمَّا حَدِيثُ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ فَإِنَّهَا يَدُلُّ عَلَى اسْتِخْرَاجِ الدُّرِّيَّةِ وَتَمَثِيلِهِمْ فِي صُورِ الذَّرِّ، وَكَانَ مِنْهُمْ حِينَئِذٍ الْمَشْرُقُ وَالْمَظْلَمُ، وَلَيْسَ فِيهِ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ خَلَقَ أَرْوَاحَهُمْ قَبْلَ الْأَجْسَادِ وَأَقْرَبَهَا بِمَوْضِعٍ وَاحِدٍ ثُمَّ إِنَّهُ يُرْسَلُ كُلُّ رُوحٍ مِنْ تِلْكَ الْأَرْوَاحِ عِنْدَ حُدُوثِ بَدْنِهَا إِلَيْهِ، نَعَمْ هُوَ سُبْحَانَهُ يَخْصُ كُلَّ بَدَنٍ بِالرُّوحِ الَّتِي قَدَرَ أَنْ تَكُونَ لَهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، وَأَمَّا أَنَّهُ خَلَقَ نَفْسَ ذَلِكَ الْبَدَنِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ وَفَرَّغَ مِنْ خَلْقِهَا وَأَوْدَعَهَا فِي مَكَانٍ مَعْطَلَةٍ عَنْ بَدْنِهَا حَتَّى إِذَا أَحْدَثَ بَدْنَهَا أَرْسَلَهَا إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ فَلَا يَدُلُّ شَيْءٌ مِنَ الْأَحَادِيثِ عَلَى ذَلِكَ الْبَيِّنَةِ لِمَنْ تَأْمَلَهَا.

وَأَمَّا حَدِيثُ أَبِي بَنٍ بِنِ كَعْبٍ فَلَيْسَ هُوَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَغَايَتُهُ لَوْ صَحَّ -وَلَمْ يَصَحَّ- أَنْ يَكُونَ مِنْ كَلَامِ أَبِي، وَهَذَا الْإِسْنَادُ يَرُودُ بِهِ أَشْيَاءٌ مُنْكَرَةٌ جَدًّا مَرْفُوعَةٌ وَمَوْقُوفَةٌ، وَأَبُو جَعْفَرِ الرَّازِيِّ وَثِقٌ وَضَعْفٌ، وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ: كَانَ ثِقَةً وَقَالَ أَيْضًا: كَانَ يَخْلُطُ، وَقَالَ ابْنُ مَعِينٍ: هُوَ ثِقَةٌ، وَقَالَ أَيْضًا: يَكْتُبُ حَدِيثَهُ إِلَّا أَنَّهُ يُخْطِئُ، وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: لَيْسَ بِقَوِيٍّ فِي الْحَدِيثِ، وَقَالَ أَيْضًا: صَالِحُ الْحَدِيثِ، وَقَالَ الْفَلَّاسُ: سَيِّءُ الْحِفْظِ، وَقَالَ أَبُو زُرْعَةَ: يَهْمُ كَثِيرًا، وَقَالَ ابْنُ حَبَانَ: يَنْفَرِدُ بِالْمَنَاقِيرِ عَنِ الْمَشَاهِيرِ.

قُلْتُ: وَمِمَّا يُنْكَرُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ قَوْلُهُ: «فَكَانَ رُوحَ عِيسَى مِنْ تِلْكَ الْأَرْوَاحِ الَّتِي أَخَذَ عَلَيْهَا الْمِيثَاقَ فَأَرْسَلَ ذَلِكَ الرُّوحَ إِلَى مَرْيَمَ حِينَ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا

(١) انظر «التمهيد»: (٦/٧ وما بعدها).

فدخل من فيها». ومعلوم أن الروح الذي أرسل إلى مريم ليس هو روح المسيح بل ذلك الروح [الذي] نفخ فيها فحملت بالمسيح قال تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا \* قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا \* قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴾ [مريم: ١٧ - ١٩]، فروح المسيح لا يخاطبها عن نفسه بهذه المخاطبة قطعاً.

وفي بعض طرق حديث أبي جعفر هذا: أن روح المسيح هو الذي خطبها وهو الذي أرسل إليها.  
وها هنا أربع مقامات:

أحدها: أنه سبحانه استخرج صورهم وأمثالهم فميز شقيهم وسعيدهم ومعافاهم من مبتلاهم.

الثاني: أنه سبحانه أقام عليهم الحجة حينئذ وأشهدهم بربوبيته واستشهد عليهم ملائكته.

الثالث: أن هذا تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

الرابع: أنه أقر تلك الأرواح كلها بعد إخراجها بمكان وفرغ من خلقها، وإنما يتجدد كل وقت إرسال جملة منها بعد جملة إلى أبدانها.

فأما المقام الأول فالآثار متظاهرة به مرفوعة وموقوفة.

وأما المقام الثاني فإنما أخذه من أخذ من المفسرين من الآية وظنوا أنه تفسيرها وهذا قول جمهور المفسرين من أهل الأثر.



قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ<sup>(١)</sup>: جَائِزٌ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ جَعَلَ لِأَمْثَالِ الذَّرِّ الَّتِي أَخْرَجَهَا فِيهَا تَعْقِلُ بِهِ كَمَا قَالَ: ﴿ حَتَّى إِذَا أَنْتَوْنَا عَلَى وَادِ التَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ ﴾ [النمل: ١٨]، وَقَدْ سَخَّرَ مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ تَسْبِيحَ مَعَهُ وَالطَّيْرَ.

وَقَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: مَذْهَبُ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ وَكُتُبَاءِ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: أَنَّ اللَّهَ أَخْرَجَ ذُرِّيَّةَ آدَمَ مِنْ صَلْبِهِ وَأَصْلَابِ أَوْلَادِهِ وَهُمْ فِي صُورِ الذَّرِّ فَأَخَذَ عَلَيْهِمِ الْمِيثَاقَ أَنَّهُ خَالِقُهُمْ وَأَتَمَّهُمْ مَصْنُوعُونَ فَأَعْتَرَفُوا بِذَلِكَ وَقَبِلُوا وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ رَكِبَ فِيهِمْ عَقُولًا عَرَفُوا بِهَا مَا عَرَضَ عَلَيْهِمْ كَمَا جَعَلَ لِلْجِبَلِ عَقْلًا حَتَّى خُوطِبَ<sup>(٢)</sup>، وَكَمَا فَعَلَ ذَلِكَ بِالْبَعِيرِ لَمَّا سَجَدَ<sup>(٣)</sup> وَالنَّخْلَةَ حَتَّى سَمِعَتْ وَانْقَادَتْ حِينَ دَعِيَتْ<sup>(٤)</sup>.

وَقَالَ الْجُرْجَانِيُّ<sup>(٥)</sup>: لَيْسَ بَيْنَ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ مَسَحَ ظَهْرَ آدَمَ فَأَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً»، وَبَيْنَ الْآيَةِ اخْتِلَافٌ بِحَمْدِ اللَّهِ؛ لِأَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا أَخَذَهُمْ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ فَقَدْ أَخَذَهُمْ مِنْ ظُهُورِ ذُرِّيَّتِهِ؛ لِأَنَّ ذُرِّيَّةَ آدَمَ ذُرِّيَّةٌ لَذُرِّيَّتِهِ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى:

<sup>(١)</sup> هو الزجاج إبراهيم بن السري. وكلامه هذا في كتابه "معاني القرآن وإعرابه" (٣١٦/٢) ط. دار الحديث عند الآية (١٧٢) من سورة الأعراف.

<sup>(٢)</sup> كما قال تعالى: ﴿ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ﴾ [سبأ: ١٠]، فكانت تسبح مع داود: ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ﴾ [الأنبياء: ٧٩].

<sup>(٣)</sup> (صحيح) أخرجه أحمد: (١٥٨/٣)، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو في "الصحيح المسند من دلائل النبوة" للعلامة الوادعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ص (١١٠).

<sup>(٤)</sup> أخرجه مسلم: (٣٠١٢) عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأخرجه أحمد: (٢٢٣/١) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

<sup>(٥)</sup> هو أبو علي الحسن بن يحيى بن نصر الجرجاني له تصانيف منها "نظم القرآن"، ترجمته في "تاريخ جرجان" للسهمي ص (١٨٧).

﴿أَنْ يَقُولُوا<sup>(١)</sup> يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، أي: عن الميثاق المأخوذ عَلَيْهِمْ فَإِذَا قَالُوا ذَلِكَ كَانَتْ الْمَلَائِكَةُ شُهُودًا عَلَيْهِمْ بِأَخْذِ الْمِيثَاقِ.

قَالَ: وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى التَّفْسِيرِ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ الرَّوَايَةُ مِنْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِلْمَلَائِكَةِ: اشْهَدُوا فَقَالُوا: شَهِدْنَا.

قَالَ: وَزَعَمَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ الْمِيثَاقَ إِنَّمَا أُخِذَ عَلَى الْأَرْوَاحِ دُونَ الْأَجْسَادِ، لِأَنَّ الْأَرْوَاحَ هِيَ الَّتِي تَعْقِلُ وَتَفْهَمُ وَهِيَ الثَّوَابُ وَعَلَيْهَا الْعِقَابُ، وَالْأَجْسَادُ مَوَاتٌ لَا تَعْقِلُ وَلَا تَفْهَمُ.

قَالَ: وَكَانَ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهُوَيْهِ يَذْهَبُ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى، وَذَكَرَ أَنَّهُ قَوْلُ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ إِسْحَاقُ وَأَجْمَعَ أَهْلُ الْعِلْمِ أَنَّهَا الْأَرْوَاحُ قَبْلَ الْأَجْسَادِ أَسْتَنْطَقَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ.

قَالَ الْجَرَجَانِيُّ: وَاحْتَجُّوا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، وَالْأَجْسَادُ قَدْ بَلِيَتْ وَضَلَّتْ فِي الْأَرْضِ، وَالْأَرْوَاحُ تَرْزُقُ وَتَفْرَحُ وَهِيَ الَّتِي تَلْذُ وَتَأْلُمُ وَتَفْرَحُ وَتَحْزَنُ وَتَعْرِفُ وَتَنْكُرُ، وَبَيَانَ ذَلِكَ فِي الْأَحْلَامِ مَوْجُودٌ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَصْبِحُ وَأَثَرُ لَذَّةِ الْفَرَحِ وَأَلَمِ الْحُزَنِ بَاقٍ فِي نَفْسِهِ مِمَّا تَلْقَى الرُّوحَ دُونَ الْجَسَدِ.

قَالَ: وَحَصَلَ<sup>(٢)</sup> الْفَائِدَةُ فِي هَذَا الْفَصْلِ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ قَدْ أَثْبَتَ الْحُجَّةَ عَلَى كُلِّ مَنْفُوسٍ مِمَّنْ بَلَغَ وَبِمَنْ لَمْ يَبْلُغْ بِالْمِيثَاقِ الَّذِي أَخَذَهُ عَلَيْهِمْ وَزَادَ عَلَى مَنْ بَلَغَ مِنْهُمْ الْحُجَّةَ بِالْآيَاتِ وَالِدَلَائِلِ الَّتِي نَصَبَهَا فِي نَفْسِهِ وَفِي الْعَالَمِ وَبِالرُّسُلِ الْمُنْفِذَةِ إِلَيْهِمْ مَبْشِرِينَ وَمُنْذِرِينَ،

(١) كذا وردت الآية (يقولوا) بالياء على قراءة أبي عمرو، ولم ينقط حرف المضارعة في الأصل.

(٢) كذا في الكل، وفي النسخ المطبوعة (وحاصل).

وبالمواعظ بالمثلثات المنقولة إليهم أخبرها غير أنه عز وجل لا يطالب أحدا منهم من الطاعة إلا بقدر ما لزمه من الحجّة، وركب فيهم من القُدرة، وآتاهم من الآلة، وبين سُبْحانه ما هو عامِل في البالغين الذين أدركوا الأمر والنهي وحجب عنا علم ما قدره في غير البالغين إلا أنا نعلم أنه عدل لا يجور في حكمه وحكيم لا تفاوت في صنعه، وقادر لا يسأل عما يفعل له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين.

### فصل

وَنَازِعَ هُوَ لَاءٍ غَيْرِهِمْ فِي كَوْنِ هَذَا مَعْنَى الْآيَةِ وَقَالُوا مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، أَي: أخرجهم وأنشأهم بعد أن كانوا نطفًا في أصلاب الآباء إلى الدنيا على ترتيبهم في الوجود، وأشهدهم على أنفسهم أنه ربه بما أظهر لهم من آياته وبراهينه التي تضطرهم إلى أن يعلموا أنه خالقهم، فليس من أحد إلا وفيه من صنعة ربه ما يشهد على أنه بارئ ونافذ الحكم فيه، فلما عرفوا ذلك ودعاهم كل ما يرون ويشاهدون إلى التصديق به كانوا بمنزلة الشاهدين والمشهدين على أنفسهم بصحته كما قال في غير هذا الموضع: ﴿شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ﴾ [التوبة: ١٧]، يريدهم بمنزلة الشاهدين، وإن لم يقولوا نحن كفر كما تقول: قد شهدت جوارحي بقولك. تريد: قد عرفته فكأن جوارحي لو استشهدت وفي وسعها أن تنطق لشهدت، ومن هذا الباب أيضا ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ١٨] يريد أعلم وبين، فأشبهه إعلامه وتبينه ذلك شهادة من شهد عند الحكام وغيرهم هذا كلام ابن الأنباري.

وَرَادَ الْجُرْجَانِي بَيَانًا لِهَذَا الْقَوْلِ فَقَالَ: حَاكِيَا عَنِ أَصْحَابِهِ: إِنَّ اللَّهَ لَمَّا خَلَقَ الْخَلْقَ وَنَفَذَ عِلْمَهُ فِيهِمْ بِمَا هُوَ كَائِنٌ صَارَ مَا لَمْ يَكُنْ بَعْدَ -بِمَا هُوَ كَائِنٌ- كَالْكَائِنِ؛ إِذْ عِلْمُهُ

بِكَوْنِهِ مَانَعٌ مِنْ غَيْرِ كَوْنِهِ، فَسَائِعٌ فِي مَجَازِ الْعَرَبِيَّةِ أَنْ يَقَعَ مَا هُوَ مُنْتَظَرٌ - مِمَّا لَمْ يَقَعَ بَعْدَ - مَوْجِعِ الْوَاقِعِ لِسَبْقِ عِلْمِهِ بِوُقُوعِهِ<sup>(١)</sup> كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي مَوَاضِعٍ مِنَ الْقُرْآنِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ ﴾ [الأعراف: ٥٠]، ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ﴾ [الأعراف: ٤٤]، ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ ﴾ [الأعراف: ٤٨]، قَالَ: فَيَكُونُ تَأْوِيلُ قَوْلِهِ: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، وَإِذْ يَأْخُذُ رَبُّكَ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ وَأَشْهَدُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، أَي: وَيَشْهَدُهُمْ بِمَا رَكَبَهُ فِيهِمْ مِنَ الْعَقْلِ الَّذِي يَكُونُ بِهِ الْفَهْمُ وَيَجِبُ بِهِ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ، وَكُلٌّ مِنْ وَلَدٍ وَبَلِغِ الْحِنْتِ وَعَقْلِ الضَّرِّ وَالنَّفْعِ وَفَهْمِ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ صَارَ كَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَخَذَ عَلَيْهِ الْمِيثَاقَ فِي التَّوْحِيدِ بِمَا رَكَبَ فِيهِ مِنَ الْعَقْلِ وَأَرَاهُ مِنَ الْآيَاتِ وَالدَّلِيلِ عَلَى حُدُوثِهِ، وَأَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَدْ خَلَقَ نَفْسَهُ وَإِذَا لَمْ يَجْزِ ذَلِكَ فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ خَالِقٍ هُوَ غَيْرُهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ وَلَيْسَ مِنْ مَخْلُوقٍ يَبْلُغُ هَذَا الْمَبْلُغَ، وَلَمْ يَقْدَحْ فِيهِ مَانَعٌ مِنْ فَهْمٍ إِلَّا إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ يَفْزَعُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حِينَ يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَيُشِيرُ إِلَيْهَا بِإِصْبَعِهِ عِلْمًا مِنْهُ بِأَنَّ خَالِقَهُ تَعَالَى فَوْقَهُ، وَإِذَا كَانَ الْعَقْلُ الَّذِي مِنْهُ الْفَهْمُ وَالْإِفْهَامُ مُؤَدِيًا إِلَى مَعْرِفَةِ مَا ذَكَرْنَا وَدَالًا عَلَيْهِ فَكُلٌّ مِنْ بَلِغِ هَذَا الْمَبْلُغِ فَقَدْ أَخَذَ عَلَيْهِ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ إِذْ جَعَلَ فِيهِ السَّبَبَ وَالْآلَةَ اللَّذِينَ بِهِمَا يُوْخَذُ الْعَهْدُ وَالْمِيثَاقُ وَجَائِزُ أَنْ يُقَالَ لَهُ قَدْ أَقَرَّ وَأَذْعَنَ وَأَسْلَمَ كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ [الرعد: ١٥].

(١) وقع في هذه الجملة من بداية كلام الجرجاني اختلاف كثير بين النسخ حاولت أن أثبت ما أراه أقرب إلى الصواب من خلال النظر في المخطوطتين والمطبوعة، ولم أشتر إلى اختلاف النسخ في كل كلمة حتى لا يطول ذلك.

قَالَ: وَاحْتَجُّوا بقوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثٍ: عَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَفِيقَ، وَعَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَنْتَبَهَ»<sup>(١)</sup>، وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾ [الأحزاب: ٧٢]، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾ [الأحزاب: ٧٢]، الْأَمَانَةُ هَا هُنَا عَهْدٌ وَمِيثَاقٌ فَامْتِنَاعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ مِنْ حَمْلِ الْأَمَانَةِ خَلُوهَا مِنَ الْعَقْلِ الَّذِي يَكُونُ بِهِ الْفَهْمُ وَالْإِفْهَامُ، وَحَمَلَ الْإِنْسَانُ إِيَّاهَا لِمَكَانِ الْعَقْلِ فِيهِ، قَالَ: وَلِلْعَرَبِ فِي هَذَا الْمَعْنَى ضُرُوبٌ نَظَمَ فَمِنْهَا قَوْلُهُ:

<sup>(١)</sup> (صحيح بشواهده) جاء الحديث عن علي وعائشة وأبي قتادة وغيرهم:

١- حديث علي أخرجه أبو داود: (٤٣٩٩) و (٤٤٠٠)، والنسائي في «الكبرى»: (٧٣٤٣)، والبيهقي في «الكبرى»: (٢٦٤/٨) من طرق عن الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس عن علي به وفيه قصة، ورجال إسناده ثقات رجال الشيخين، وله عن علي طرق أخرى راجعها في «الإرواء»: (٢٩٧).  
وقد أعله الدارقطني بالوقف انظر «العلل»: (١٩٢/٣)، وكذلك النسائي في «الكبرى»: (٧٣٤٧)، والناظر في طرق الحديث يرى أن فيها ما يشير إلى أنه مرفوع فقد جاء في بعضها أن علياً قال لعمر: (أما علمت أن القلم قد رفع)، وفي بعضها: (أو ما تذكر أن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال....). فهو وإن كان موقوفاً إلا أن له حكم الرفع.

٢- حديث عائشة أخرجه أبو داود: (٤٣٩٨)، وابن ماجه: (٢٠٤١)، والنسائي: (٣٤٣٢)، وفي إسناده ضعف حماد بن سلمة يرويه عن حماد بن أبي سليمان، وقد قال الإمام أحمد: حماد بن سلمة عنده عنه - يعني حماد بن أبي سليمان - تخليط.

٣- حديث أبي قتادة أخرجه الحاكم: (٣٨٩/٤)، وفي إسناده عكرمة بن إبراهيم قال الذهبي: (ضعفوه) وقد جاء الحديث عن غير هؤلاء انظرها في «نصب الراية»: (١٦١-١٦٥)، فالحاصل من هذا أن الحديث صحيح بمجموع طرقه وشواهده والله أعلم.

ضَمِنَ الْقَنَانَ لِفَقْعَسٍ سَوَاتِمَا      إِنَّ الْقَنَانَ لِفَقْعَسٍ لَا يَأْتِي<sup>(١)</sup>  
والقنان جبل فذكر أنه قد ضمن لفقعس وضمانه لها أنهم كانوا إذا حزبهم أمر من  
هزيمة أو خوف لجأوا إليه فجعل ذلك كالضمان منه لهم.  
وَمِنْهُ قَوْلُ النَّبِغَةِ:

كأجارف الجولان هلك ربّه      وحوران منها خاشع متضائل<sup>(٢)</sup>  
وأجارف الجولان جبالها<sup>(٣)</sup> وحوران الأرض التي إلى جانبها.

وَقَالَ هَذَا الْقَائِلُ إِنْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ  
\* أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾ [الأعراف: ١٧٣]، دليلاً على  
هَذَا التَّأْوِيلِ؛ لِأَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَخْذَ لِلْعَهْدِ عَلَيْهِمْ لِثَلَاثًا يَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ:  
﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٧٢] والغفلة هاهنا لا تخلو من أحد وجهين:  
إما أن تكون عن يوم القيامة، أو عن أخذ الميثاق.

(١) ذكره الحموي في "معجم البلدان": (٤/٤٠١) ولفظه:

ضمن القنان لفقعس سواتمها إن القنان لفقعس لمعمّر

قال الحموي: معمّر أي ملجأ، وقال الأزهري: قنان جبل بأعلى نجد.

(٢) البيت في "ديوان النابغة" ص (١٥٦) ط دار الكتب العلمية ولفظه: -

بكى حارث الجولان من فقد ربه      وحوران منه موحش متضائل

وهو بهذا اللفظ في "الصحاح" للجوهري: (١/٢٤٧) مادة: "حرث" إلا أنه قال: "خائف" بدل  
"موحش".

(٣) تقدم أن البيت في "ديوان النابغة" بكى حارث الجولان، والحارث قلة من قُلل الجولان وهو جبل الشام،

كذا في "الصحاح" للجوهري (١/٢٤٧) "حرث".

فَأَمَّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلَمْ يَذْكُرْ سُبْحَانَهُ فِي الْكِتَابِ أَنَّهُ أَخَذَ عَلَيْهِمْ عَهْدًا وَمِيثَاقًا بِمَعْرِفَةِ  
 الْبَعْثِ وَالْحِسَابِ وَإِنَّمَا ذَكَرَ مَعْرِفَتَهُ فَقَطْ، وَأَمَّا أَخَذَ الْمِيثَاقَ فَالْأَطْفَالُ وَالْأَسْقَاطُ إِنْ كَانَ  
 هَذَا الْعَهْدَ مَأْخُودًا عَلَيْهِمْ كَمَا قَالَ الْمُخَالَفُ فَهَمْ لَمْ يَبْلُغُوا بَعْدَ أَخْذِ هَذَا الْمِيثَاقِ عَلَيْهِمْ  
 مَبْلَغًا يَكُونُ مِنْهُمْ غَفْلَةً عَنْهُ فَيَجْحَدُونَهُ وَيَنْكُرُونَهُ، فَمَتَى تَكُونُ هَذِهِ الْعَفْلَةُ مِنْهُمْ وَهُوَ  
 عَزَّ وَجَلَّ لَا يُوَاخِذُهُمْ بِمَا لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ؟ وَذَكَرَ مَا لَا يَجُوزُ وَلَا يَكُونُ مَحَالًا وَقَوْلُهُ تَعَالَى:  
 ﴿أَوْ يَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧٣]، فَلَا يَخْلُو  
 هَذَا الشَّرْكَ الَّذِي يُوَاخِذُونَ بِهِ أَنْ يَكُونَ مِنْهُمْ أَنْفُسَهُمْ أَوْ مِنْ آبَائِهِمْ، فَإِنْ كَانَ مِنْهُمْ فَلَا  
 يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ إِلَّا بَعْدَ الْبُلُوغِ وَثُبُوتِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ إِذْ الطُّفْلُ لَا يَكُونُ مِنْهُ شَرِكٌ  
 وَلَا غَيْرُهُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ غَيْرِهِمْ فَلَأَمَّةٌ مُجْمَعَةٌ عَلَى أَنْ ﴿لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ كَمَا قَالَ  
 عَزَّ وَجَلَّ فِي الْكِتَابِ.

وَلَيْسَ [هَذَا] بِمُخَالَفٍ لِمَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَّ اللَّهَ مَسَحَ ظَهْرَ آدَمَ وَأَخْرَجَ مِنْهُ  
 ذُرِّيَّتَهُ فَأَخَذَ عَلَيْهِمُ الْعَهْدَ»؛ لِأَنَّهُ ﷺ اقْتَصَصَ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَجَاءَ مِثْلُ نَظْمِهِ فَوَضَعَ  
 الْمَاضِي مِنَ اللَّفْظِ مَوْضِعَ الْمُسْتَقْبَلِ.

قَالَ: وَهَذَا شَبِيهِ الْقِصَّةِ بِقِصَّةِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ  
 مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ﴾ [آل عمران: ٨١]،  
 فَجَعَلَ سُبْحَانَهُ مَا أَنْزَلَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ مِيثَاقًا أَخَذَهُ مِنْ أَمَمِهِمْ بَعْدَهُمْ،  
 يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ  
 وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ [آل عمران: ٨١]، ثُمَّ قَالَ لِلْأَمَمِ: ﴿أَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا  
 أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١]، فَجَعَلَ سُبْحَانَهُ بَلُوغَ

الأمم كتابه المنزل على أنبيائهم حجة كأخذ الميثاق عليهم، وجعل معرفتهم به إقراراً منهم<sup>(١)</sup>.

قلت: وشيبه به أيضاً قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ وِمِيثَاقِهِ الَّذِي وَاثَقَّكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [المائدة: ٧]، فهذا ميثاقه الذي أخذه عليهم بعد إرسال رسله إليهم بالإيمان به وتصديقه، ونظيره قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ [الرعد: ٢٠]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ \* وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [يس: ٦٠-٦١]، فهذا عهده إليهم على السنة رسله، ومثله قوله تعالى لبنى إسرائيل: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠]، ومثله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيُبَيِّنَنَّ<sup>(٢)</sup> لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ

<sup>(١)</sup> وهذا المعنى فيه صرف للآية عن ظاهرها؛ فإن الآية صريحة في أن الميثاق أخذ على الأنبياء لا على الأمم، وهذا هو الذي رجحه ابن جرير ولم يذكر ابن كثير غيره، وأما ما ذكر هنا من أن الميثاق في الآية هو على الأمم بإنزال الكتب على أنبيائهم فإن هذا لا تدل عليه الآية بوجه من الوجوه، وقد رده ابن جرير بقوله: ولا معنى لقول من زعم أن الميثاق إنما أخذ على الأمم دون الأنبياء؛ لأن الله عز وجل قد أخبر أنه أخذ ذلك من النبيين.

وقال شيخ الإسلام في «الرد على المنطقيين» ص (٤٥٢) بعد أن ذكر هذا القول: وهذا قول باطل ولولا أنه ذكر لما حكته فإن ما بين لוחي المصحف متواتر، والقرآن صريح في أن الله أخذ الميثاق على النبيين فلا يلتفت إلى من قال إنما أخذ على أممهم.

فتبين بهذا أن الميثاق في هذه الآية مأخوذ على الأنبياء أنهم إن جاءهم رسول مصدق لما معهم أنهم يؤمنون به وينصرونه فأقروا على ذلك وشهدوا به، ولا مانع أن يكون الميثاق مأخوذاً على أممهم بالتبع فإن في أخذ الميثاق على المتبوع دلالة على أخذه على التابع كما أشار إلى هذا شيخ الإسلام في المصدر السابق ص (٤٥١).

<sup>(٢)</sup> كذا وردت الآية في جميع النسخ على قراءة أبي عمرو.



مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ [الأحزاب: ٧]، فَهَذَا مِيثَاقٌ أَخَذَهُ مِنْهُمْ بَعْدَ بَعْثِهِمْ كَمَا أَخَذَ مِنْ أُمَّهُمْ بَعْدَ إِنْذَارِهِمْ.

وَهَذَا الْمِيثَاقُ الَّذِي لَعَنَ سُبْحَانَهُ مِنْ نَقْضِهِ وَعَاقِبِهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فِيمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعْنَتَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ [المائدة: ١٣]، فَإِنَّمَا عَاقِبَهُمْ بِنَقْضِ الْمِيثَاقِ الَّذِي أَخَذَهُ عَلَيْهِمْ عَلَى السِّنَةِ رَسَلَهُ، وَقَدْ صَرَحَ بِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٦٣].

وَلَمَّا كَانَتْ هَذِهِ الْآيَةُ وَنَظِيرَتَهَا فِي سُورَةِ مَدِينَةِ خَاطَبَ بِالتَّذْكِيرِ بِهَذَا الْمِيثَاقِ فِيهَا أَهْلَ الْكِتَابِ فَإِنَّهُ مِيثَاقٌ أَخَذَهُ عَلَيْهِمْ بِالْإِيمَانِ بِهِ وَبِرَسَلِهِ، وَلَمَّا كَانَتْ هَذِهِ آيَةُ الْأَعْرَافِ فِي سُورَةِ مَكِّيَّةٍ ذَكَرَ فِيهَا الْمِيثَاقَ وَالْإِشْهَادَ الْعَامَ لِجَمِيعِ الْمَكَلَّفِينَ بِالْإِقْرَارِ بِرَبُوبِيَّتِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ وَبَطْلَانِ الشَّرْكِ وَهُوَ مِيثَاقٌ وَإِشْهَادٌ تَقُومُ بِهِ عَلَيْهِمْ الْحُجَّةُ، وَيَنْقَطِعُ بِهِ الْعُذْرُ وَتَحُلُّ بِهِ الْعُقُوبَةُ، وَيُسْتَحَقُّ بِمُخَالَفَتِهِ الْإِهْلَاكُ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونُوا ذَاكِرِينَ لَهُ عَارِفِينَ بِهِ وَذَلِكَ مَا فَطَرَهُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْإِقْرَارِ بِرَبُوبِيَّتِهِ، وَأَنَّهُ رَبُّهُمْ وَفَاطَرُهُمْ، وَأَنَّهُمْ مَخْلُوقُونَ مَرْبُوبُونَ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رَسَلَهُ يَذْكُرُونَهُمْ بِمَا فِي فِطْرَتِهِمْ وَعَقُولِهِمْ وَيَعْرِفُونَهُمْ حَقَّهُ عَلَيْهِمْ وَأَمْرَهُ وَنَهْيَهُ وَوَعْدَهُ وَوَعِيدَهُ<sup>(١)</sup>.

<sup>(١)</sup> وهذا الذي ذكره ابن القيم هنا وما نقله عن ابن الأنباري والجرجاني في تأويل آية الأعراف لا يساعدهم عليه ظاهر الآية، ولو أنهم أبقوا الآية على ظاهرها - وأن الله أخرج ذرية آدم وأشهدهم على أنفسهم وأنهم أقروا بهذه الشهادة ثم جاءت رسله مذكرة لهم بهذا الميثاق - لكان أسلم وأبعد عن هذه التخريجات المتكلفة التي يردّها ظاهر الآية، وأعجبتني كلمة للعلامة الألباني رحمته الله حيث قال في "السلسلة الصحيحة": (٤ / ١٦١) بعد أن ذكر بعضاً من كلام ابن القيم هذا: وقد أفاض جداً - يعني ابن القيم - في تفسير الآية وتأويلها تأويلاً ينافي ظاهرها بل ويعطل دلالتها أشبه ما يكون بصنيع المعطلة لآيات و

ونظم الآية إنَّما يدل على هَذَا من وُجوه مُتعدِّدة:

أحدها: أَنه قَالَ: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، ولم يقل آدم، وَبَنُو آدم غير آدم.

الثَّانِي: أَنه قَالَ: ﴿ مِنْ ظُهُورِهِمْ ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، ولم يقل من ظهره<sup>(١)</sup>، وَهَذَا بدل بعض من كل أو بدل اشتِمَال وَهُوَ أَحسن<sup>(٢)</sup>.

الثَّالِث: أَنه قَالَ ذرياتهم ولم يقل ذريَّته.

الرَّابِع: أَنه قَالَ: ﴿ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، أي: جعلهم شَاهِدِينَ على أَنفُسِهِمْ، فَلَا بُدَّ أَن يكون الشَّاهِد ذَاكِرًا لما شهد به وهو إنَّما يذكر شَهَادَتَهُ بعد خُرُوجه إِلَى هَذِهِ الدَّار لَا يذكر شَهَادَةَ قَبْلَهَا<sup>(٣)</sup>.

أحاديث الصفات حين يتأولونها، وهذا خلاف مذهب ابن القيم رحمته الله الذي تعلمناه منه و من شيخه ابن تيمية، فلا أدري لماذا خرج عنه هنا.

<sup>(١)</sup> قلت: قد جاء في حديث أبي هريرة المتقدم: « لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره... »، ففيه أنه أخرجهم من ظهر آدم، وما وقع في الآية أنه أخرجهم من ظهور بني آدم فلا يعارض ما وقع في الحديث، وقد تقدم في كلام ابن الأنباري ما يشير إلى الجمع بينهما حيث قال: مذهب أهل الحديث وكبراء أهل العلم في هذه الآية: أن الله أخرج ذرية آدم من صلبه وأصلاب أولاده.... فتأمل قوله: من صلبه وأصلاب أولاده.

وقال ابن الجوزي في «زاد المسير» عند الآية: وإنما قال من ظهورهم ولم يقل من ظهر آدم؛ لأنه أخرج بعضهم من ظهور بعض فاستغنى عن ذكر ظهر آدم؛ لأنه قد علم أنهم بنوه وقد أُخْرِجُوا من ظهره.

<sup>(٢)</sup> والذي يظهر أنه بدل بعض من كل قال سليمان الجمل في حاشيته على «الجلالين» (١٣٨/٣): والذي في الكشف أنه بدل بعض من كل قال الحلبي: وهو الظاهر كقولك ضربت زيداً ظهره، وقطعته يده، لا يعرب هذا أحد بدل اشتِمَال.

<sup>(٣)</sup> ولكن قد جاءت الرسل مذكرة للناس بتلك الشهادة التي شهدوا بها، وقول الرسل حق وصدق يجب قبوله، ورسولنا صلى الله عليه وآله وسلم قد أخبرنا أن تلك الشهادة وقعت منا.

الخامس: أنه سبحانه أخبر أن حكمة هذا الإِشهاد إقامة الحجّة عليهم لئلا يقولوا يوم القيامة: ﴿ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، والحجّة إنّما قامت عليهم بالرسول والفترة التي فطروا عليها كما قال تعالى: ﴿ رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ [النساء: ١٦٥].<sup>(١)</sup>

السادس: تذكيرهم بذلك لئلا يقولوا يوم القيامة: ﴿ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، ومعلوم أنهم غافلون بالإخراج لهم من صلب آدم كلهم وإشهادهم جميعاً ذلك الوقت فهذا لا يذكره أحد منهم.

السابع: قوله تعالى: ﴿ أَوْ يَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾ [الأعراف: ١٧٣]، فذكر حكمتين في هذا التعريف والإشهاد: إحداهما: أن لا يدعوا الغفلة، والثانية: أن لا يدعوا التقليد فالغافل لا شعوره، والمقلد مُتَّبِعٌ في تقليده لغيره.

الثامن: قوله تعالى: ﴿ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٣]، أي لو عذبهم بجحودهم وشركهم لقالوا ذلك، وهو سبحانه إنّما يهلكهم لمخالفة رسله وتكذيبهم، فلو أهلكهم بتقليد آبائهم في شركهم من غير إقامة الحجّة عليهم بالرسول لأهلكهم بما

<sup>(١)</sup> قلت: الحجّة قائمة بإرسال الرسول مذكرين للناس بذلك الميثاق، وأما الإِشهاد بمفرده فلا يكون حجّة على الناس وهم لا يذكرونه فلما جاءت الرسل مذكرة للناس الميثاق قامت عليهم الحجّة، وهذا الوجه الذي ذكره مما يرد قوله الذي يميل إليه حيث يقال هل الميثاق بالمعنى الذي ذكرتموه - وهو أن المراد بالميثاق ما ركبه فيهم من دلائل وحدانيته وما نصبه لهم من الأدلة وفطروهم عليه، - فهل الميثاق بهذا المعنى يكون حجّة على الناس؟

لا شك أن الجواب لا؛ إذ أن الله سبحانه أخبر في مواضع من كتابه أن الحجّة قائمة على الناس ببعثة الرسل: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء: ١٥]، ﴿ رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ [النساء: ١٦٥].

فعل المبطلون أو أهلكتهم مع غفلتهم عن معرفة بطلان ما كانوا عليه، وقد أخبر سبحانه أنه لم يكن ليهلك القرى بظلم وأهلها غافلون، وإنما يهلكهم بعد الأعدار والإنذار.

**التاسع:** أنه سبحانه أشهد كل واحدٍ واحدٍ على نفسه أنه ربه وخالقه، واحتج عليهم بهذا الإشهاد في غير موضع من كتابه كقوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَإِنِّي يُوَفِّكُونُ ﴾ [الزخرف: ٨٧]، أي: فكيف يصرفون عن التوحيد بعد هذا الإقرار منهم أن الله ربهم وخالقهم، وهذا كثير في القرآن فهذه هي الحجة التي أشهدهم على أنفسهم بمضمونها وذكرتهم بها رسله بقوله تعالى: ﴿ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [إبراهيم: ١٠]، فالله تعالى إنما ذكرهم على السنة رسله بهذا الإقرار والمعرفة ولم يذكرهم قط بإقرار سابق على إيجادهم ولا أقام به عليهم حجة.

**العاشر:** أنه جعل هذا آية: وهي الدلالة الواضحة البيّنة المستلزمة [لمدلولها بحيث لا يتخلف عنها المدلول، وهذا شأن آيات الرب تعالى] فإنها أدلة معينة على مطلوب معين مستلزمة للعلم به فقال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ ﴾ [الأنعام: ٥٥]، أي: مثل هذا التفصيل والتبيين فنصل الآيات لعلمهم يرجعون من الشرك إلى التوحيد، ومن الكفر إلى الإيمان.

وهذه الآيات التي فصلها هي التي بينها في كتابه من أنواع مخلوقاته، وهي آيات أفقية ونفسية، آيات في نفوسهم وذواتهم وخلقهم، وآيات في الأقطار والنواحي مما يحدثه الرب تبارك وتعالى مما يدل على وجوده ووحدانيته وصدق رسله وعلى المعاد والقيامة، ومن أبينها ما أشهد به كل واحد على نفسه من أنه ربه وخالقه ومبدعه، وأنه مربوب مصنوع مخلوق حادث بعد أن لم يكن، ومحال أن يكون حدث بلا محدث أو

يكون هُوَ المُحدث لِنَفْسِهِ، فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ مَوْجِدٍ أَوْجَدَهُ لَيْسَ هُوَ كَمِثْلِهِ، وَهَذَا الإِثْرَارُ وَالشَّاهِدَةُ فَطْرَةَ فَطَرُوا عَلَيْهَا لَيْسَتْ بِمَكْتَسِبَةٍ.

وَهَذِهِ الآيَةُ وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، مُطَابَقَةً لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ»<sup>(١)</sup>، وَلِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ \* مُنْبِئِينَ إِلَيْهِ \* [الروم: ٣٠-٣١].  
وَمِنَ الْمُفَسِّرِينَ مَنْ لَمْ يَذْكُرْ إِلَّا هَذَا الْقَوْلَ فَقَطَّ كَالزُّخْمِيِّ<sup>(٢)</sup>، وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَذْكُرْ إِلَّا الْقَوْلَ الْأَوَّلَ فَقَطَّ، وَمِنْهُمْ مَنْ حَكَى الْقَوْلَيْنِ كَابْنِ الْجُوزِيِّ<sup>(٣)</sup>، وَالوَاحِدِيِّ<sup>(٤)</sup>، وَالْمَاوَرِدِيِّ<sup>(٥)</sup> وَغَيْرِهِمْ.

قَالَ الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى الْجُرْجَانِيُّ: فَإِنْ اعْتَرَضَ مُعْتَرِضٌ فِي هَذَا الْفَصْلِ بِحَدِيثِ يَرُوى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ مَسَحَ ظَهْرَ آدَمَ فَأَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّتَهُ وَأَخَذَ عَلَيْهِمُ الْعَهْدَ ثُمَّ رَدَّهُمْ فِي ظَهْرِهِ»<sup>(٦)</sup>. وَقَالَ: إِنْ هَذَا مَانِعٌ مِنْ جَوَازِ التَّأْوِيلِ الَّذِي ذَهَبَتْ إِلَيْهِ لِإِمْتِنَاعِ رَدِّهِمْ فِي الظَّهْرِ، إِنْ كَانَ أَخَذَ المِيثَاقَ عَلَيْهِ بَعْدَ الْبُلُوغِ وَتَمَّامِ الْعَقْلِ.

(١) أخرجه البخاري: (١٣٨٥)، ومسلم: (٢٦٥٨) عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) انظر «الكشاف»: (١٠٣/٢) عند الآية: (١٧٢) من سورة الأعراف.

(٣) انظر «زاد المسير»: (٢١٧-٢١٩/٣) عند الآية: (١٧٢) من سورة الأعراف.

(٤) انظر «تفسير الواحدي» المسمى بـ «الوسيط»: (٤٢٤-٤٢٦).

(٥) انظر «تفسير الماوردي» المسمى بـ «النكت والعيون»: (٢٧٨/٢).

(٦) هذا الحديث أولُهُ صحيح كما تقدم عن أبي هريرة وغيره.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: «ثُمَّ رَدَّهُمْ فِي ظَهْرِهِ». فَقَدْ جَاءَتْ هَذِهِ الزِّيَادَةُ فِي حَدِيثِ أَبِي أَمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الكبير»: (٢٤٢/٨) وَإِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ جَدًّا فِيهِ جَعْفَرُ بْنُ الزُّبَيْرِ الْحَنْفِيُّ مَتْرُوكٌ.

قيل له: أن معنى «ثم ردهم في ظهره» [ثم يردُّهم في ظهره]، كما قلنا: إن معنى +أَحَدَ رَبُّكَ\_ يأخذ ربك، فيكون معناه: ثم يردهم في ظهره بوفاتهم؛ لأنهم إذا ماتوا ردوا إلى الأرض للدفن وادم خلق منها، ورد فيها فإذا ردوا فيها فقد ردوا في آدم وفي ظهره إذ كان آدم خلق منها، وفيها رد وبعض الشيء من الشيء، وفيما ذهبتم إليه من تأويل هذا الحديث على ظاهره تفاوت بينه وبين ما جاء به القرآن في هذا المعنى إلا أن يرد تأويله إلى ما ذكرنا؛ لأنه عز وجل قال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، ولم يذكر آدم في القصة إنما هو هاهنا مضاف إليه لتعريف ذريته أنهم منه وأولاده، وفي الحديث: «أنه مسح ظهر آدم»، فلا يمكن رد ما جاء في القرآن وما جاء في الحديث إلى الاتفاق إلا بالتأويل الذي ذكرناه.

قال الجرجاني: وأنا أقول ونحن إلى ما روى في الآية عن رسول الله ﷺ وما ذهب إليه أهل العلم من السلف الصالح أميل وله أقبل وبه انس والله ولي التوفيق لما هو أولى وأهدى.

على أن بعض أصحابنا من أهل السنة قد ذكر في الرد على هذا القائل معنى يَحْتَمِل ويسوغ في النظم الجاري ومجاز العربية بسهولة وإمكان من غير تعسف ولا استكراه وهو أن يكون قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، مُبْتَدَأً خبر من

وجاءت هذه الزيادة أيضًا في حديث أبي موسى الأشعري أخرجه البزار: (٣٠٣٢) وإسناده ضعيف جدًا من طريق روح بن المسيب عن يزيد الرقاشي، وروح بن المسيب قال ابن عدي: يروي عن ثابت ويزيد الرقاشي أحاديث غير محفوظة، ويزيد الرقاشي ضعيف وتركه بعضهم، وتقدم أنه صح موقوفًا على عبد الله بن عمرو.

الله عز وجل عمّا كان منه في أخذ العهد عليهم، وإذ تفتضي جواباً يُجعل جوابه قوله تعالى: ﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، وانقطع هذا الخبر بتمام قصته. ثم ابتدأ عز وجل خبراً آخر بذكر ما يقوله المشركون يوم القيامة فقالوا شهدنا يعني نشهد كما قال الخطيئة:

شهد الخطيئة حين يلقي ربه أن الوليد أحق بالعدر<sup>(١)</sup>

بمعنى يشهد الخطيئة. يقول تعالى: نشهد أنكم ستقولون يوم القيامة ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ أي: عمّا هم فيه من الحساب والمناقشة والمؤاخذة بالكفر. ثم أضاف إليه خبراً آخر فقال: ﴿أَوْ تَقُولُوا﴾ [الأعراف: ١٧٣]، بمعنى: وأن تقولوا؛ لأن أو بمعنى واو النسق مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعُ مِنْهُمْ آيْمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢٤]، فتأويله ونشهد أن تقولوا يوم القيامة: ﴿إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧٣]، أي: أنهم أشركوا وحملونا على مذهبهم في الشرك في صابنا فجرينا على مذهبهم واقتدينا بهم فلا ذنب لنا إذ كنا مقتدين بهم، والذنب في ذلك لهم قولوا: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣]، يدل على ذلك قولهم: ﴿أَفْتَهَلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٣]، أي: حملهم إيانا على الشرك.

فتكون القصة الأولى خبراً عن جميع المخلوقين بأخذ الميثاق عليهم، والقصة الثانية خبراً عمّا يقول المشركون يوم القيامة من الإعتذار.

(١) ذكره أبو الفتح بن جني في "صناعة الإعراب": (٧٥/٢)، والعسكري في "الأوائل": ص (١٨٦).

وَقَالَ: فِيمَا ادَّعَاهُ الْمُخَالَفُ أَنَّهُ تَفَاوَتْ فِيمَا بَيْنَ الْكِتَابِ وَالْحَبْرِ لِاخْتِلَافِ أَلْفَاظِهَا فِيهِمَا قَوْلًا يَجِبُ قَبُولُهُ بِالنِّظَائِرِ وَالْعِبَرِ الَّتِي تَأْيِدُ بِهَا لِمُخَالَفَتِهِ، فَقَالَ: إِنَّ الْحَبْرَ عَنِ الرَّسُولِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «أَنَّ اللَّهَ مَسَحَ ظَهْرَ آدَمَ» أَفَادَ زِيَادَةَ خَبَرٍ كَانَتْ فِي الْقِصَّةِ الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْكِتَابِ بَعْضُهَا وَلَمْ يَذْكُرْ كِلَيْهَا، وَلَوْ أَخْبَرَ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بِسُورَى هَذِهِ الزِّيَادَةَ الَّتِي أَخْبَرَ بِهَا - مِمَّا عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدْ كَانَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ الَّذِي أَخَذَ فِيهِ الْعَهْدَ مِمَّا لَمْ يُضَمِّنْهُ اللَّهُ كِتَابَهُ - لَمَا كَانَ فِي ذَلِكَ خِلَافٌ وَلَا تَفَاوَتْ بَلْ كَانَ زِيَادَةً فِي الْفَائِدَةِ.

وَكَذَلِكَ الْإِلْفَازُ إِذَا اخْتَلَفَتْ فِي ذَاتِهَا وَكَانَ مَرْجِعُهَا إِلَى أَمْرٍ وَاحِدٍ لَمْ يُوجِبْ ذَلِكَ تَنَاقُضًا كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ فِي خَلْقِ آدَمَ فَذَكَرَ مَرَّةً أَنَّهُ خُلِقَ مِنْ تُرَابٍ وَمَرَّةً أَنَّهُ خُلِقَ مِنْ حَمَاءٍ مَسْنُونٍ وَمَرَّةً مِنْ طِينٍ لَازِبٍ وَمَرَّةً مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ، فَهَذِهِ الْإِلْفَازُ مُخْتَلَفَةٌ وَمَعَانِيهَا أَيْضًا فِي الْأَحْوَالِ مُخْتَلَفَةٌ لِأَنَّ الصَّلْصَالَ غَيْرَ الْحَمَاءِ، وَالْحَمَاءُ غَيْرَ التُّرَابِ، إِلَّا أَنْ مَرْجِعُهَا كِلَيْهَا فِي الْأَصْلِ إِلَى جَوْهَرٍ وَاحِدٍ وَهُوَ التُّرَابُ وَمِنْ التُّرَابِ تَدْرَجَتْ هَذِهِ الْأَحْوَالُ.

فَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، وَقَوْلُهُ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إِنَّ اللَّهَ مَسَحَ ظَهْرَ آدَمَ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّتَهُ» مَعْنَى وَاحِدٍ فِي الْأَصْلِ، إِلَّا أَنْ قَوْلَهُ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «مَسَحَ ظَهْرَ آدَمَ» زِيَادَةٌ فِي الْحَبْرِ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَسَحَهُ عَزَّ وَجَلَّ ظَهْرَ آدَمَ، وَاسْتَخْرَجَ ذُرِّيَّتَهُ مِنْهُ، مَسَحَ لظُهُورِ ذُرِّيَّتِهِ وَاسْتَخْرَجَ ذُرِّيَّتَهُمْ مِنْ ظُهُورِهِمْ كَمَا ذَكَرَ تَعَالَى، لِأَنَّا قَدْ عَلِمْنَا أَنَّ جَمِيعَ ذُرِّيَّةِ آدَمَ لَمْ يَكُونُوا مِنْ صَلْبِهِ لَكِنْ لَمَّا كَانَ الطَّبَقُ الْأَوَّلُ مِنْ صَلْبِهِ، ثُمَّ الثَّانِي مِنْ صَلْبِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ الثَّلَاثُ مِنْ صَلْبِ الثَّانِي جَازَ أَنْ يُنْسَبَ ذَلِكَ كُلُّهُ إِلَى ظَهْرِ آدَمَ؛ لِأَنَّهُمْ فَرَعَهُ وَهُوَ أَصْلُهُمْ.



وكما جاز أن يكون ما ذكر الله عز وجل أنه استخرجه من ظهور ذرية آدم من ظهر آدم، جاز أن يكون ما ذكر ﷺ أنه استخرجه من ظهر آدم من ظهور ذريته؛ إذ الأصل والفرع شيء واحد.

وفيه أيضا أنه عز وجل لما أضاف الذرية إلى آدم في الخبر احتمل أن يكون الخبر عن الذرية وعن آدم كما قال عز وجل: ﴿ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾ [الشعراء: ٤٤]، فالخبر في الظاهر عن الأعناق والنعث للأسماء المكنية فيها، وهو مضاف إليها كما كان آدم مضافاً إليه هناك، وليساً جميعاً بالمقصودين في الظاهر بالخبر، ولا يحتمل أن يكون قوله خاضعين للأعناق؛ لأن وجه جمعها خاضعات ومنه قول الشاعر:

وتشرق بالقول الذي قد أذعته      كما شرت صدر القناة من الدم<sup>(١)</sup>  
فالصدر المذكور، وقوله: «شرت» أنت لإضافة الصدر إلى القناة.

### فصل

فهذا بعض كلام السلف والخلف في هذه الآية<sup>(٢)</sup>، وعلى كل تقدير فلا تدل على خلق الأرواح قبل الأجساد خلقاً مستقراً، وإثبات غايتها أن تدل على إخراج صورهم

(١) هذا البيت للأعشى وهو في ديوانه ص (١٧٦) ط دار المعرفة.

(٢) وحاصل ذلك أن فيها قولين للمفسرين:

الأول: أن الله أخرج ذرية آدم من ظهر آدم وظهور ذريته وأشهدهم على أنفسهم بلسان المقال: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، ثم أرسل رسله مذكراً لهم بهذا الميثاق الذي أخذه عليهم بعد ما صاروا ناسين له غير ذاكين لشيء منه فيكون إخبار الرسل به محصلاً لليقين بوجوده، وهذا مذهب أهل الحديث وكبراء أهل العلم، قال الرازي: وهو مذهب المفسرين وأهل الأثر، وعزاه الجرجاني إلى أهل العلم من السلف الصالح كما تقدم، وقال الشنقيطي - كما في العذب المنير - وعليه أكثر المتقدمين من

وأمثالهم في صور الذر واستنطاقهم ثم ردهم إلى أصلهم، إن صحَّ الخبر بذلك، والذي صحَّ إنَّما هو إثبات القدر السابق وتقسيمهم إلى شقي وسعيد.

وأما استدلال أبي محمد بن حزم بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ [الأعراف: ١١]، فما أليق هذا الاستدلال بظاهريته لترتيب

السلف...، وقال الشوكاني في "فتح القدير" (٢/ ٣٧٤): (وهذا هو الحق الذي لا ينبغي العدول عنه، ولا المصير إلى غيره، لثبوته مرفوعاً إلى النبي ﷺ، وموقوفاً على غيره من الصحابة، ولا ملجأ إلى المصير إلى المجاز، وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل. اهـ وهذا القول هو الصواب وهو ظاهر القرآن والسنة والله أعلم.

الثاني: أن معنى أخذه ذرية بني آدم من ظهورهم هو إيجاد قرن منهم بعد قرن وإنشاء قوم بعد آخرين فيكون معنى قوله: ﴿وَأَشْهَدُهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، أي: بما ركَّب فيهم من دلائل وحدانيته وبما نصب لهم من الأدلة القاطعة بأنه ربهم وخالقهم المستحق للعبادة وحده دون غيره فقامت هذه الأدلة مقام الإشهاد فصاروا كأنهم قالوا: بلى وإن لم يكن هناك قول باللسان، وبهذا القول قالت المعتزلة: عزاه إليهم الرازي في تفسيره حيث قال: (هو قول أصحاب النظر وأرباب المعقولات)، وقال بهذا القول من أئمة السنة ابن القيم في هذا الموضوع وابن كثير في تفسيره وتابعهم ابن أبي العز في "شرح الطحاوية"، قال العلامة الألباني رحمه الله في "السلسلة الصحيحة" (٤/ ١٦٢): (وقد عزَّ عليَّ كثيراً أن يتبعهم - يعني المعتزلة - في ذلك مثل ابن القيم وابن كثير خلافاً للمعهود عنهم من الرد على المبتدعة ما هو دون ذلك من التأويل، والعصمة لله وحده). اهـ، والله سبحانه أعلى وأعلم.

راجع لهذه المسألة "شرح الطحاوية" لابن أبي العز: (ص ٢٤٠ وما بعدها)، و"تفسير الرازي": (١٥/ ٤٦-٥٢)، و"روح المعاني": (٦/ ١٤٦)، و"أضواء البيان": (٢/ ٣٣٥-٣٣٨)، و"معارج القبول": (١/ ١٠١ وما بعدها)، و"السلسلة الصحيحة": (٤/ ١٥٨-١٦٣).

تنبيه:

هذه المسألة إنما ذكرها ابن القيم هنا؛ لأنه قد استدلل بها مَنْ يقول إنَّ الأرواح مخلوقة قبل الأجساد، وكما سيأتي من كلام ابن القيم أنها لا تدل على خلق الأرواح خلقاً مستقراً، وأنها بقيت من ذلك الحين إلى حين تذهب كل روح إلى جسدها، فهذا لم يذكر فيها ويحتاج في إثباته إلى دليل خاص والله أعلم.

الأمر بالسُّجود لآدم على خلقنا وتصويرنا، والخطاب للجملة المركبة من البدن والروح وذلك مُتأخراً عن خلق آدم.

ولهذا قال ابن عباس: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ﴾ [الأعراف: ١١] آدم، ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ [الأعراف: ١١]، لذريته<sup>(١)</sup>، ومثال هذا ما قاله مجاهد: ﴿خَلَقْنَاكُمْ﴾ [الأعراف: ١١]، يعني: آدم، وصورناكم في ظهر آدم<sup>(٢)</sup>، وإِنَّمَا قَالَ: ﴿خَلَقْنَاكُمْ﴾ [الأعراف: ١١]، بلفظ الجمع وهو يريد آدم كما تقول ضربناكم، وإِنَّمَا ضربت سيدهم.

واختار أبو عبيد في هذه الآية قول مجاهد لقوله تعالى بعد: ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا﴾ [الأعراف: ١١]، وكان قوله تعالى للملائكة اسجدوا قبل خلق ذرية آدم وتصويرهم في الأرحام، وثم توجب الترابي والتربيت، فمن جعل الخلق والتصوير في هذه الآية لأولاد آدم في الأرحام يكون قد راعى حكم، ثم في الترتيب إلا أن يأخذ بقول الأخفش فإنه يقول: ثم ها هنا في معنى الواو قال: الزجاج<sup>(٣)</sup> وهذا خطأ لا يُجيزه الخليل وسيبويه وجميع من يوثق بعلمه.

(١) (ضعيف) أخرجه ابن جرير بإسنادين كلاهما ضعيف:

الأول: فيه عبد الله بن صالح ضعيف وعلي بن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس.

الثاني: من طريق العوفيين وهو إسناد مسلسل بالضعفاء، ولا يتقوى الأثر بالطريقين لكون الثاني شديد الضعف.

(٢) (صحيح) أخرجه ابن أبي حاتم: (١٤٤٢/٥)، وابن جرير: (١٢٧/٨) من طرق عن ابن أبي نجيح عن

مجاهد به، وإسناده صحيح.

(٣) انظر كتاب "معاني القرآن وإعرابه": ( ).

قَالَ أَبُو عبيد: وَقَد بَيْنَهُ مُجَاهِدٌ حِينَ قَالَ: إِنَّ [اللَّهَ تَعَالَى] خَلَقَ وَلَدَ آدَمَ وَصَوَّرَهُمْ فِي ظَهْرِهِ ثُمَّ أَمَرَ بَعْدَ ذَلِكَ بِالسُّجُودِ، قَالَ: وَهَذَا بَيْنَ فِي الْحَدِيثِ وَهُوَ أَنَّهُ أَخْرَجَهُمْ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ فِي صُورِ الدَّرِّ.

قلت: وَالْقُرْآنُ يُفَسِّرُ بَعْضَهُ بَعْضًا وَنَظِيرُ هَذِهِ الْآيَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ [الحج: ٥]، فَأَوْقَعَ الْخَلْقَ مِنْ تُرَابٍ عَلَيْهِمْ وَهُوَ لِأَبِيهِمْ آدَمَ إِذْ هُوَ أَصْلُهُمْ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يُخَاطَبُ الْمَوْجُودِينَ، وَالْمَرَادُ آبَاؤُهُمْ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ [البقرة: ٦١]، وَالْآيَةُ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾ [البقرة: ٧٢]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ [البقرة: ٩٣]، وَهُوَ كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ يُخَاطَبُهُمْ وَالْمَرَادُ آبَاؤُهُمْ فَهَكَذَا قَوْلُهُ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ [الأعراف: ١١].

وَقَدْ يَسْتَطِرِدُ سُبْحَانَهُ مِنْ ذِكْرِ الشَّخْصِ إِلَى ذِكْرِ النَّوْعِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ \* ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢-١٣]، فَاَلْمَخْلُوقُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ: آدَمُ، وَالْمَجْعُولُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ: ذُرِّيَّتُهُ.

وَأَمَّا حَدِيثُ: خَلَقَ الْأَرْوَاحَ قَبْلَ الْأَجْسَادِ بِالْفِي عَامٍ، فَلَا يَصِحُّ إِسْنَادُهُ فَفِيهِ عَتَبَةُ بِنِ السَّكَنِ قَالَ الدَّارِقُطَنِيُّ: مَثْرُوكٌ. وَأَرْطَاةُ بِنِ الْمُنْذَرِ قَالَ ابْنُ عَدِي: بَعْضُ أَحَادِيثِهِ غَلَطٌ<sup>(١)</sup>.

(١) (موضوع) تقدم تخريجه ص (٥).

## فصل

وَأَمَّا الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ خَلْقَ الأَرْوَاحِ مُتَأَخَّرٌ عَنِ خَلْقِ أبدَانِهَا فَمِنْ وَجُوهٍ:  
أحدها: أَنَّ خَلْقَ أَبِي البَشْرِ، وَأصلهم كَانَ هَكَذَا، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَرْسَلَ جِبْرِيلَ  
فَقَبَضَ قَبْضَةً مِنَ الأَرْضِ، ثُمَّ خَمَرَهَا حَتَّى صَارَتْ طِينًا، ثُمَّ صَوَّرَهُ، ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ  
بعد أن صَوَّرَهُ، فَلَمَّا دَخَلَتِ الرُّوحُ فِيهِ صَارَ لَحْمًا وَدَمًا حَيًّا نَاطِقًا.

فَفِي تَفْسِيرِ أَبِي مَالِكٍ وَأَبِي صَالِحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَعَنِ مَرَّةَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَعَنِ  
نَاسٍ مِنَ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَمَّا فَرَّغَ اللهُ مِنَ خَلْقِ مَا أَحَبَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ فَجَعَلَ  
إِبْلِيسَ عَلَى مُلْكِ سَمَاءِ الدُّنْيَا، وَكَانَ مِنْ قَبِيلَةٍ مِنْ مَلَائِكَةٍ يُقَالُ لَهُمْ: الجِنِّ وَإِنَّهَا سَمَوُا  
الجِنِّ؛ لِأَنَّهُمْ خُزَّانُ الجَنَّةِ، وَكَانَ إِبْلِيسَ مَعَ مَلِكِهِ خَازِنًا فَوْقَ فِي صَدْرِهِ، وَقَالَ: مَا أَعْطَانِي  
اللهُ هَذَا إِلَّا لِمَزِيدِي، - وَفِي لَفْظٍ: لِمَزِيَّةٍ لِي - عَلَى المَلَائِكَةِ، [فَلَمَّا وَقَعَ ذَلِكَ الكَبْرُ فِي نَفْسِهِ  
أَطَّلَعَ اللهُ عَلَى ذَلِكَ مِنْهُ فَقَالَ اللهُ لِلْمَلَائِكَةِ]: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]  
، قَالُوا: رَبَّنَا وَمَا يَكُونُ حَالَ الخَلِيفَةِ؟ قَالَ: تَكُونُ لَهُ ذُرِّيَّةٌ يَفْسِدُونَهُ فِي الأَرْضِ  
وَيَتَحَاسَدُونَ وَيَقْتُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، قَالُوا: رَبَّنَا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ  
الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]، يَعْنِي:  
مِنْ شَأْنِ إِبْلِيسَ.

فَبَعَثَ جِبْرِيلَ إِلَى الأَرْضِ لِيَأْتِيَهُ بِطِينٍ مِنْهَا فَقَالَتِ الأَرْضُ: إِنِّي أَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ أَنْ  
تَقْبِضَ مِنِّي، فَرَجَعَ وَلَمْ يَأْخُذْ وَقَالَ: رَبِّ إِنَّمَا عَادَتُ بِكَ فَأَعَدْتَهَا، فَبَعَثَ مِيكَائِيلَ فَعَادَتِ  
مِنْهُ فَأَعَادَهَا، فَبَعَثَ مَلِكَ المَوْتِ فَعَادَتِ مِنْهُ، فَقَالَ: وَأَنَا أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَرْجِعَ وَلَمْ أَنْفِذْ  
أَمْرَهُ فَأَخَذَ مِنْ وَجْهِ الأَرْضِ وَخَلَطَ فَلَمْ يَأْخُذْ مِنْ مَكَانٍ وَاحِدٍ فَأَخَذَ مِنْ تَرْتِبَةِ حَمْرَاءِ

وبيضاء وسوداء، فلذلك خرج بنو آدم مختلفين فصعد به فبل الثراب<sup>(١)</sup> حتى عاد طينا لازبا، واللازب: هو الذي يلزق بعضه ببعض.

ثم قال للملائكة: ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ \* فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [ص: ٧١-٧٢]، فخلقه الله بيده لكيلا يتكبر إبليس عنه ليقول له: تتكبر عما عملت بيدي ولم أتكبر أنا عنه فخلقه بشرا، فكان جسدا من طين أربعين سنة فمرت به الملائكة ففرغوا منه لما رأوه، وكان أشدهم منه فزعا إبليس فكان يمر به فيضربه فيصوت الجسد كما يصوت الفخار تكون له صلصة فذلك حين يقول: ﴿مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ [الرحمن: ١٤]، ويقول: لأمر ما خلقت! ودخل من فيه فخرج من دبره فقال للملائكة: لا ترهبوا من هذا فإن ربكم صمد وهذا أجوف، لئن سلطت عليه لأهلكنه.

فلما بلغ الحين الذي يريد الله جل ثناؤه أن ينفخ فيه الروح قال للملائكة: إذا نفخت فيه من روحي فاسجدوا له، فلما نفخ فيه الروح فدخل الروح في رأسه عطس فقالت الملائكة: قل الحمد لله، فقال: الحمد لله، فقال له الله: يرحمك ربك، فلما دخل الروح في عينيه نظر إلى ثمار الجنة، فلما دخل في جوفه اشتهي الطعام، قبل أن يبلغ الروح رجله فنهض عجلا إلى ثمار الجنة، فذلك حين يقول: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: ٣٧]، وذكر باقي الحديث<sup>(٢)</sup>.

(١) وقع في الأصل: (فصعد به قبل الرب) والمثبت من (ف) وهو كذلك في تفسير الطبري، وهو الذي يقتضيه السياق.

(٢) (ضعيف) أخرجه ابن جرير: (٢٠٣/١)، وقد تقدم الكلام على هذا الإسناد وأنه لا يعتمد على ما روي به.

وَقَالَ يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ثَنَا ابْنُ زَيْدٍ قَالَ: لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ النَّارَ ذَعَرَتْ مِنْهَا الْمَلَائِكَةُ ذَعْرًا شَدِيدًا وَقَالُوا: رَبَّنَا لِمَ خَلَقْتَ هَذِهِ النَّارَ وَلَأَيِّ شَيْءٍ خَلَقْتَهَا قَالَ: لِمَنْ عَصَانِي مِنْ خَلْقِي، وَلَمْ يَكُنْ لِي مِنْ خَلْقِي يَوْمَئِذٍ إِلَّا الْمَلَائِكَةُ، وَالْأَرْضُ لَيْسَ فِيهَا خَلْقٌ إِلَّا مَا خَلَقَ آدَمَ بَعْدَ ذَلِكَ وَقَرَأَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا ﴾ [الإنسان: ١]، قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْتَ ذَلِكَ الْحِينِ ثَمَّ قَالَ: وَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ وَيَأْتِي عَلَيْنَا دَهْرٌ نَعْصِيكَ فِيهِ؟ - لَا يَرُونَ لَهُ خَلْقًا غَيْرَهُمْ - قَالَ: لَا، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَخْلُقَ فِي الْأَرْضِ خَلْقًا وَأَجْعَلَ فِيهَا خَلِيفَةً وَذَكَرَ الْحَدِيثَ (١).

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَيُقَالُ وَاللَّهِ أَعْلَمُ خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ ثُمَّ وَضَعَهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ أَرْبَعِينَ عَامًا قَبْلَ أَنْ يَنْفَخَ فِيهِ الرُّوحَ حَتَّى عَادَ صَلْصَالًا كَالْفَخَّارِ وَلَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ فَيُقَالُ وَاللَّهِ أَعْلَمُ: لَمَّا انْتَهَى الرُّوحُ إِلَى رَأْسِهِ عَطَسَ فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَذَكَرَ الْحَدِيثَ (٢).

فَالْقُرْآنُ وَالْحَدِيثُ وَالْآثَارُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ نَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ بَعْدَ خَلْقِ جَسَدِهِ فَمِنْ تِلْكَ النَفْخَةِ حَدَثَتْ فِيهِ الرُّوحُ، وَلَوْ كَانَتْ رُوحُهُ مَخْلُوقَةً قَبْلَ بَدْنِهِ مَعَ جَمَلَةٍ أَرْوَاحَ ذُرِّيَّتِهِ لَمَا عَجَبَتْ الْمَلَائِكَةُ مِنْ خَلْقِهِ وَلَمَا تَعَجَّبَتْ مِنْ خَلْقِ النَّارِ وَقَالَتْ لَأَيِّ شَيْءٍ خَلَقْتَهَا وَهِيَ تَرَى أَرْوَاحَ بَنِي آدَمَ فِيهِمُ الْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ وَالطَّيِّبُ وَالخَبِيثُ. وَلَمَا [كَانَتْ]

(١) (معضل) أخرجه ابن جرير: (٢٠٧/١)، فقال: حدثني يونس بن عبد الأعلى به، وابن زيد هو عبد بن زيد بن أسلم ضعيف من الطبقة الثامنة، فهذا الأثر مع أنه ضعيف الإسناد، أيضًا هو معضل.

(٢) (ضعيف جدًا) أخرجه ابن جرير: (٢٠٨/١) ضمن أثر طويل فقال: حدثنا ابن حميد حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق به وهذا إسناد ضعيف جدًا، ابن حميد هو محمد بن حميد الرازي ضعيف وقد كذبه بعضهم، وسلمة بن الفضل هو الأبرش فيه ضعف، وحتى لو صح إسناده فلا يعتمد عليه فإن ابن إسحاق لا بد أن يسند هذا الخبر وإلا فلا يقبل منه.

أَرْوَاحِ الْكُفَّارِ كُلِّهَا تَبَعًا لِإِبْلِيسَ بَلْ كَانَتْ الْأَرْوَاحُ الْكَافِرَةَ مَخْلُوقَةً قَبْلَ كُفْرِهِ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ إِنَّمَا حَكَمَ عَلَيْهِ بِالْكَفْرِ بَعْدَ خَلْقِ بَدَنِ آدَمَ وَرُوحِهِ، وَلَمْ يَكُنْ قَبْلَ ذَلِكَ كَافِرًا فَكَيْفَ تَكُونُ الْأَرْوَاحُ قَبْلَهُ كَافِرَةً وَمُؤْمِنَةً وَهُوَ لَمْ يَكُنْ كَافِرًا إِذْ ذَٰكَ، وَهَلْ حَصَلَ الْكَفْرُ لِلْأَرْوَاحِ إِلَّا بِتَزْيِينِهِ وَإِغْوَائِهِ؟ فَالْأَرْوَاحُ الْكَافِرَةُ إِنَّمَا حَدَثَتْ بَعْدَ كُفْرِهِ، إِلَّا أَنْ يُقَالَ: كَانَتْ كُلُّهَا مُؤْمِنَةً ثُمَّ ارْتَدَّتْ بِسَبَبِهِ، وَالَّذِي احْتَجُّوا بِهِ عَلَى تَقْدِيمِ خَلْقِ الْأَرْوَاحِ يُخَالِفُ ذَلِكَ.

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي تَخْلِيقِ الْعَالَمِ الْإِخْبَارِ عَنِ خَلْقِ أَجْنَاسِ الْعَالَمِ وَتَأَخُّرِ خَلْقِ آدَمَ إِلَى يَوْمِ الْجُمُعَةِ<sup>(١)</sup>، وَلَوْ كَانَتْ الْأَرْوَاحُ مَخْلُوقَةً قَبْلَ الْأَجْسَادِ لَكَانَتْ مِنْ جَمَلَةِ الْعَالَمِ

<sup>(١)</sup> أخرجه مسلم: (٢٧٨٩). وقد اختلف أهل العلم في هذا الحديث ما بين مضعف له ومدافع عنه وسأذكر ما وقفت عليه من كلام أهل العلم حول هذا الحديث:

١- الذين يرون ضعف الحديث:

من أعل الحديث الإمام البخاري في «تاريخه الكبير»: (١/٤١٣-٤١٤)، حيث ذكر الحديث عن أبي هريرة مرفوعاً ثم قال: وقال بعضهم عن أبي هريرة عن كعب - يعني كعب الأخبار - وهو أصح. أ.هـ. وأعله أيضاً ابن المديني نقله عنه البيهقي في «الأسماء والصفات» عند حديث رقم: (٨١٣). وأعله أيضاً ابن معين نقله عنه شيخ الاسلام في «التوسل والوسيلة»: (ص ٢٢٨)، ت: الشيخ ربيع المدخلي.

\* وقال شيخ الاسلام كما في «مجموع الفتاوى» (١٧/٢٣٥-٢٣٦): وأما الحديث الذي رواه مسلم في قوله: «خلق الله التربة يوم السبت» فهو حديث معلول قدح فيه أئمة الحديث كالبخاري وغيره، قال البخاري: الصحيح أنه موقوف على كعب الأخبار، وقد ذكر تعليقه البيهقي أيضاً، وبينوا أنه غلط ليس مما رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ وهو مما أنكر الخذاق على مسلم إخرجه إياه. أ.هـ.

\* وقال أيضاً في «التوسل والوسيلة» (ص ٢٢٧ وما بعدها): وكذلك روى مسلم: «خلق الله التربة يوم السبت» ونازعه فيه من هو أعلم منه كيحيى بن معين والبخاري وغيرهما فبينوا أن هذا غلط ليس من كلام النبي ﷺ والحجة مع هؤلاء، فإنه قد ثبت بالكتاب والسنة والإجماع أن الله تعالى خلق السموات



المخلوق في ستة أيام فلما لم يجبر عن خلقها في هذه الأيام علم أن خلقها تابع لخلق الذرّية، وأن خلق آدم وحده هو الذي وقع في تلك الأيام الستة، وأما خلق ذرّيته فعلى الوجه المشاهد المعاین.

والأرض في ستة أيام، وأن آخر ما خلقه هو آدم وكان خلقه يوم الجمعة، وهذا الحديث المختلف فيه يقتضي أنه خلق ذلك في الأيام السبعة، وقد روي إسناد أصح من هذا أن أول الخلق كان يوم الأحد. اهـ  
\* وقال ابن القيم في "المنار المنيف" (ص ٦٢): ولكن وقع فيه الغلط في رفعه وإنما هو من قول كعب الأبحار كذلك قال إمام أهل الحديث محمد بن إسماعيل البخاري في "تاريخه الكبير"، وقاله غيره من علماء المسلمين أيضًا وهو كما قالوا؛ لأن الله أخبر أن خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وهذا الحديث يقتضي أن مدة التخليق سبعة أيام. اهـ

\* وقال الحافظ ابن كثير عند الآية: (٢٩) من سورة البقرة: وهذا الحديث من غرائب "صحيح مسلم"، وقد تكلم عليه علي بن المديني والبخاري وغير واحد من الحفاظ، وجعلوه من كلام كعب، وأن أبا هريرة إنما سمعه من كعب الأبحار، وإنما اشتبه على بعض الرواة فجعلوه مرفوعاً، وقد حرر ذلك البيهقي. اهـ.  
قلت: هذا الحديث فيه أن خلق ما في الأرض فقط - دون ما في السماء - في سبعة أيام مع أن القرآن أخبر أن خلق السموات والأرض وما فيها وما بينهما في ستة أيام وهذا وجه إنكار الأئمة لهذا الحديث، وانظر أيضًا "تفسير ابن كثير" عند الآية: (٥٤) من سورة الأعراف، و"فيض القدير" للمناوي: (٤٤٨/٣).

٢- الذين يرون صحة الحديث: وممن اعتبر صحة الحديث أبو بكر بن الأنباري، وأبو الفرج ابن الجوزي وغيرهما نقله عنها شيخ الاسلام - كما في "مجموع الفتاوى": (١٨/١٨)، وكذلك العلامة العلمي، ودافع عنه بكلام طويل في "الأنوار الكاشفة": (ص ١٨٨-١٩٣)، والعلامة الألباني في "الصحيحة": (١٨٣٣)، و"المشكاة": (٥٧٣٤).

ويظهر لي أن قول الأئمة هو الصواب، وأن الحديث غلط فيه بعض الرواة - لا كما يقول بعض المنحرفين وهو أبو رية -: إن أبا هريرة إنما سمعه من كعب الأبحار ثم تعمّد نسبته إلى رسول الله ﷺ كذبًا، فحاشا أبا هريرة رضي الله عنه عن ذلك. وانظر ما قرره العلامة العلمي في "الأنوار الكاشفة": ص (١٩٣)، ردًا على هذه الفرية، والله أعلم.

وَلَوْ كَانَ لِلرُّوحِ وجود قبل البدن وَهِيَ حَيَّةٌ عَالِمَةٌ نَاطِقَةٌ لَكَانَتْ ذَاكِرَةً لِدَلِكِ فِي هَذَا الْعَالَمِ شَاعِرَةً بِهِ وَلَوْ بِوَجْهِ مَا، وَمِنَ الْمُتَمَتِّعِ أَنْ تَكُونَ حَيَّةٌ عَالِمَةٌ نَاطِقَةٌ عَارِفَةٌ بِرَبِّهَا وَهِيَ بَيْنَ مَلَأٍ مِنَ الْأَرْوَاحِ ثُمَّ تَنْتَقِلُ إِلَى هَذَا الْبَدَنِ وَلَا تَشْعُرُ بِحَالِهَا قَبْلَ ذَلِكَ بِوَجْهِ مَا، [وَإِذَا كَانَتْ بَعْدَ الْفَرَاقَةِ تَشْعُرُ بِحَالِهَا وَهِيَ فِي الْبَدَنِ عَلَى التَّفْصِيلِ وَتَعْلَمُ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ هَا هُنَا مَعَ] أَتَمَّتْهَا أَكْتَسَبَتْ بِالْبَدَنِ أُمُورًا عَاقَبَتْهَا عَنْ كَثِيرٍ مِنْ كَمَا هِيَ فَلَأَنَّ تَشْعُرُ بِحَالِهَا الْأَوَّلِ وَهِيَ غَيْرُ مَعُوقَةٍ هُنَاكَ بِطَرِيقِ الْأَوَّلِيِّ إِلَّا أَنْ يُقَالَ تَعْلَقَتْهَا بِالْبَدَنِ وَاشْتَغَالَهَا بِتَدْيِيرِهِ مَنَعَهَا مِنْ شَعُورِهَا بِحَالِهَا الْأَوَّلِ فَتَقُولُ: هَبْ أَنَّهُ مَنَعَهَا مِنْ شَعُورِهَا بِهِ عَلَى التَّفْصِيلِ وَالْكَمَالِ، فَهَلْ يَمْنَعُهَا عَنْ أَدْنَى شُعُورٍ بِوَجْهِ مَا مِمَّا كَانَتْ عَلَيْهِ قَبْلَ تَعْلَقِهَا بِالْبَدَنِ؟ وَمَعْلُومٌ أَنَّ تَعْلَقَهَا بِالْبَدَنِ لَمْ يَمْنَعَهَا عَنِ الشُّعُورِ بِأَوَّلِ أَحْوَالِهَا وَهِيَ فِي الْبَدَنِ فَكَيْفَ يَمْنَعُهَا مِنَ الشُّعُورِ بِمَا كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ؟!.

وَأَيْضًا فَإِنَّهَا لَوْ كَانَتْ مَوْجُودَةً قَبْلَ الْبَدَنِ لَكَانَتْ عَالِمَةٌ حَيَّةٌ نَاطِقَةٌ عَاقِلَةٌ فَلَمَّا تَعَلَّقَتْ بِالْبَدَنِ سَلَبَتْ ذَلِكَ كُلَّهُ، ثُمَّ حَدَثَ لَهَا الشُّعُورُ وَالْعِلْمُ وَالْعَقْلُ شَيْئًا فَشَيْئًا، وَهَذَا لَوْ كَانَ لَكَانَ أَعْجَبَ الْأُمُورِ أَنَّ تَكُونَ الرُّوحُ كَامِلَةً عَاقِلَةً ثُمَّ تَعُودُ نَاقِصَةً ضَعِيفَةً جَاهِلَةً ثُمَّ تَعُودُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى عَقْلِهَا وَقُوَّتِهَا فَأَيِّنَ فِي الْعَقْلِ وَالنَّقْلِ وَالْفِطْرَةِ مَا يَدُلُّ عَلَى هَذَا وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل: ٧٨].

فَهَذِهِ الْحَالُ الَّتِي أَخْرَجَنَا عَلَيْهَا هِيَ حَالُنَا الْأَصْلِيَّةُ وَالْعِلْمُ وَالْعَقْلُ وَالْمَعْرِفَةُ وَالْقُوَّةُ طَارِئٌ عَلَيْنَا حَدَثٌ فِينَا بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ، وَلَمْ نَكُنْ نَعْلَمُ قَبْلَ ذَلِكَ شَيْئًا الْبَتَّةِ إِذْ لَمْ يَكُنْ لَنَا وجود نعلم ونعقل به.

وَأَيْضًا فَلَوْ كَانَتْ مَخْلُوقَةٌ قَبْلَ الْأَجْسَادِ وَهِيَ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ الْآنَ مِنْ طَيِّبٍ وَخَبِيثٍ وَكَفْرٍ وَإِيْمَانٍ وَخَيْرٍ وَشَرٍّ لَكَانَ ذَلِكَ ثَابِتًا لَهَا قَبْلَ الْأَعْمَالِ، وَهِيَ إِتَمَّتْهَا أَكْتَسَبَتْ هَذِهِ

الصفات والهيئات من أعمالها التي سعت في طلبها واستعانت عليها بالبدن فلم تكن تتصف بتلك الهيئات والصفات قبل قيامها بالأبدان التي بها عملت تلك الأعمال. وإن كان قدّر لها قبل إيجادها ذلك ثم خرجت إلى هذه الدار على ما قدّر لها فنحن لا ننكر الكتاب والقدر السابق لها من الله، ولو دلّ دليل على أنها خلقت جملة ثم أودعت في مكان حيّة عالمه ناطقة ثم كل وقت تبرز إلى أبدانها شيئاً فشيئاً لكننا أول قائل به، فالله سبحانه على كل شيء قدير ولكن لا نخبر عنه خلقاً وأمرًا إلا بما أخبر به عن نفسه على لسان رسوله ﷺ، ومعلوم أن الرسول ﷺ لم يخبر عنه بذلك وإنما أخبر بما في الحديث الصحيح: «إن خلق ابن آدم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقه مثل ذلك، ثم يكون مضغاً مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح»<sup>(١)</sup>.

فالملك وحده يرسل إليه فينفخ فيه فإذا نفخ فيه كان ذلك سبب حدوث الروح فيه، ولم يقل يرسل الملك إليه بالروح فيدخلها في بدنه وإنما أرسل إليه الملك وحده فأحدث فيه الروح بنفخته فيه لا أن الله سبحانه أرسل إليه الروح التي كانت موجودة قبل ذلك بالزمان الطويل مع الملك، ففرق بين أن يرسل إليه ملك ينفخ فيه الروح وبين أن يرسل إليه روح مخلوقة قائمة بنفسها مع الملك، وتأمل ما دلّ عليه النص من هذين المعنيين، وبالله التوفيق<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه البخاري: (٣٢٠٨)، ومسلم: (٢٦٤٣) عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) وقد انتهى ابن القيم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من هذه المسألة، وخلاصة القول أن فيها قولين لأهل العلم:

**القول الأول:** أن خلق الأرواح متقدم على خلق الأجساد ومن ذهب إلى هذا القول محمد بن نصر المروزي، وإسحاق بن راهويه، وابن حزم وحكاة إجماعاً. ونسبه ابن القيم إلى الفلاسفة المشائين حيث قال في «روضة المحبين»: (١٥٦) في سياق تعريف العشق: وأما الفلاسفة المشاؤون فقالوا هو اتفاق أخلاق

وتشاكل محبات وتجانسها وشوق كل نفس إلى مُشاكلها ومجانسها في الحلقة القديمة قبل إهباطها إلى الأجساد، قلت -ابن القيم-: هذا مبني على قولهم الفاسد بتقدم النفوس على الأبدان. اهـ واستدل أصحاب هذا القول بأدلة:

\* قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ [الأعراف: ١١]، قالوا: فدلّت الآية على أن خلقنا مقدم على أمر الله للملائكة بالسجود لآدم؛ لأن ثم نفيذ الترتيب والمهلة، ومعلوم قطعاً أن الأجساد مخلوقة بعد آدم فدل على أنها الأرواح.

\* الآية والأحاديث التي فيها أخذ الميثاق على بني آدم قالوا: فذلك الإشهاد والاستنطاق إنما كان للأرواح؛ لأن الأجساد لم تكن حينئذ موجودة.

\* حديث: «إن الله خلق أرواح العباد قبل العباد بألفي عام». وتقدم أنه جاء عن أبي أمامة وعلي رضي الله عنهما.

**القول الثاني:** هو أن الأجساد متقدم على خلق الأرواح، ومن ذهب إلى هذا القول شيخ الاسلام ابن تيمية وجموع من أهل العلم - فيما ذكره السفاريني - وابن القيم في هذا الموضوع واستدل أصحاب هذا القول بأدلة:

\* قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ [الحجرات: ١٣]. وهذا خطاب للإنسان بروحه وجسده فدل على أن جملة مخلوقة بعد خلق الأوبين.

\* قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء: ١]، وهذه الآية صريحة في أن خلق جملة النوع الإنساني بأبدانهم وأرواحهم كان بعد خلق أصله.

\* حديث ابن مسعود المتفق عليه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقه مثل ذلك، ثم يكون مضغاً مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح».

قال السفاريني في «لوامع الأنوار» (٤٤/٢): فالملك وحده يرسل إليه فينفخ فيه فإذا نفخ فيه كان ذلك سبب حدوث الروح فيه، ولم يقل يرسل إليه الملك بالروح فيدخلها في بدنه، وإنما أرسل إليه الملك فأحدث فيه الروح بنفخته فيه لا أنه تعالى أرسل إليه الروح التي كانت موجودة قبل ذلك بالزمن الطويل مع الملك، ففرق بين أن يرسل إليه ملك ينفخ فيه الروح وبين أن يرسل إليه روح مخلوقة قائمة بنفسها مع الملك، وتأمل ما دل عليه النص.

وقال أبو العباس القرطبي في "المفهم" (٦/٦٥١): ونفخ الملك في الصورة سبب يخلق الله عنده بها الروح والحياة؛ لأنَّ النفخ المتعارف إنَّما هو إخراج ريح من النفخ يتصل بالمنفوخ فيه، ولا يلزم منه عقلاً، ولا عادة في حقنا تأثير في المنفوخ فيه؟ فإنَّ قُدِّرَ حدوث شيء عند ذلك النفخ، فذلك بإحداث الله تعالى لا بالنفخ.

قلت: الذي يظهر لي أن القول الثاني هو الصواب لقوة دليhle وقد رجَّحه العلامة ابن باز في تعليقه على "شرح العقيدة الطحاوية": (١/٤٩٩-٥٠٠) حيث إنَّ شارح الطحاوية ذكر قول ابن حزم في أن الأرواح خلقت خلقاً مستقرّاً واستمرت ناطقة موجودة ثم يرسل إلى الأبدان منها جملة بعد جملة قال ابن باز رحمته: لا وجه له، في بعضها -يعني الأحاديث- أنه أعادها إلى صلبه، بعدما أخذ عليها الميثاق أعادها إلى صلبه، وإرسال الملك عند نفخ الروح، يرسل إليه فينفخ الملك الروح من جديد فتكون مخلوقة من جديد. اهـ.

وأما ما استدل به أصحاب القول الأول فجوابه كما يلي:

١- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ [الأعراف: ١١]، ليس معنى الآية كما قالوا، وإنما المعنى الصواب في الآية هو ما رجحه إمام المفسرين أبو جعفر بن جرير وتابعه أبو الفداء ابن كثير من أن الآية في سياق ذكر آدم، وأن المراد خلقناكم ثم صورناكم أي: بخلقنا وتصويرنا لأصلكم وأبيكم آدم عليه السلام، وهذا وارد في القرآن بكثرة أن مخاطب الحاضرون بأفعال تضاف إليهم وهي إنما كانت لأسلافهم قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾، وقال: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّجُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٩]، وقال: ﴿وَوَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوى﴾ [البقرة: ٥٧]. فمخاطب اليهود الموجودين في زمن رسول الله صلوات الله والمراد أسلافهم وأجدادهم الذين مضوا.

وعلى هذا فالآية التي نحن بصددنا إنما هي في آدم وإنما أطلق عليه لفظ الجمع؛ لأنه لما كان أبا البشر وكان وجوده أصلاً في وجودهم كان خلقه وتصويره كأنه خلق للجمع، فإذا تبين هذا فلا دلالة في الآية على ما استدلوا به والله أعلم.

٢- وأما استدلالهم بالآية والأحاديث التي فيها أخذ الميثاق، فالجواب أن هذه الأدلة ليست صريحة في أنها الأرواح بل قد جاء في حديث أبي هريرة المتقدم: «ثم جعل بين عيني كل إنسان منهم وبيصاً من نور»، وفيه: «فرأى آدم رجلاً منهم أعجبه وبيص ما بين عينيه»، فهذا الحديث فيه أنهم رجال وأن لهم عيوناً فمحمتمل أنها أرواحهم تشكلت في صور أجسادهم، ومحمتمل أن الله أخرجهم بأبدانهم وأرواحهم أمثال

## فصل

### وأما المسألة التاسعة عشرة

وَهِيَ مَا حَقِيقَةُ النَّفْسِ هَلْ هِيَ جُزْءٌ مِنْ أَجْزَاءِ الْبَدَنِ أَوْ عَرَضٌ مِنْ أَعْرَاضِهِ<sup>(١)</sup>؟ أَوْ جِسْمٌ مُسَاكِنٌ لَهُ مُودِعٌ فِيهِ؟ أَوْ جَوْهَرٌ مُجَرَّدٌ<sup>(٢)</sup>؟ وَهَلْ هِيَ الرُّوحُ أَوْ غَيْرُهَا؟ وَهَلْ الْإِمَارَةُ وَاللَّوَامَةُ وَالْمَطْمَئِنَّةُ نَفْسٌ وَاحِدَةٌ لَهَا هَذِهِ الصِّفَاتُ أَمْ هِيَ ثَلَاثَةٌ أَنْفُسٍ<sup>(٣)</sup>؟

الذر، فإذا كان الأمر محتملاً فما الدليل على القطع بأنها الأرواح فمحتمل أنها مع الأبدان أيضاً، فهل يقال إن الأبدان والأرواح بقيت من ذلك الزمن؟ هذا مما لا قائل به، ثم لو سلمنا جدلاً أنها الأرواح فليس في الأدلة أنها خلقت خلقاً مستقراً وبقيت من ذلك الزمن إلى حين يبعث الله كل روح إلى جسدها، وإنما في الأدلة أنه أخرجها وخاطبها فشهدت وأقرت... إلخ، أما إثبات بقائها من ذلك الزمن فيحتاج إلى دليل أخص، هذا كله إنما هو بيان لعدم صحة هذا الاستدلال وإلا فإن الآيات التي استدلت بها أصحاب القول الثاني صريحة أن خلق بني آدم بأرواحهم وأبدانهم إنما كان بعد آدم لا سيما الآية الثانية وهي قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء: 1]، فالآية قاطعة أن خلق الناس -رجالاً ونساءً- إنما كان بعد خلق أبيهم ولا شك أن هذا لأرواحهم وأجسادهم إذ هو الأصل عند إطلاق الناس أو بني آدم فهذه الآية مما يضعف الاستدلال بأدلة أخذ الميثاق على تقدم خلق الأرواح.

٣- وأما حديث: «إن الله خلق أرواح العباد قبل خلق العباد بألفي عام». فهو حديث موضوع كما تقدم بيانه، والله سبحانه أعلى وأعلم، ومنه نستمد الإعانة والتوفيق.

(١) العرض عند أهل الكلام ما قام بغيره مطلقاً، وقد يراد به ما يقوم بالجسم من الصفات انظر "مجموع الفتاوى": (٣٠٠/٩).

(٢) الجوهر يطلق عند أهل الكلام على ما قام بنفسه وله معاني أخرى راجعها في "مقالات الإسلاميين": (٨/٢)، و"التعريفات" للجرجاني.

(٣) كذا في كل النسخ جمع المؤلف في هذا العنوان ثلاث مسائل، ولم يتكلم في هذا المسألة إلا على المسألة الأولى، وأفرد الثانية والثالثة في مسألتين مستقلتين المسألة العشرون، والمسألة الحادية والعشرون، فكأنه أراد أن يتكلم عليها جميعاً تحت هذه المسألة، ثم أفرد كل مسألة منها بكلام مستقل لطلوها.

فالجواب: أن هذه مسائل قد تكلم النَّاس [فيها] من سائر الطوائف واضطربت فيها أقوالهم، وكثر فيها خطوهم وهدى الله أتباع الرسول ﷺ وأهل سنته لِمَا اختلفوا فيه من الحق بإذنه: ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [النور: ٤٦].  
فندكر أقوال النَّاس وما هم وما عليهم من تلك الأقوال ونذكر الصَّواب بحمد الله وعونه:

قال أبو الحسن الأشعري في "مقالاته"<sup>(١)</sup>: اختلف النَّاس في الرُّوح والنَّفْس والحياة وهل الرُّوح هي الحياة أو غيرها؟ وهل الرُّوح جسم أم لا؟  
فقال النُّظام<sup>(٢)</sup>: الرُّوح جسم وهي النَّفس وزعم أن الرُّوح حيِّ بنفسه، وأنكر أن تكون الحياة والقوة معنى غير الحيِّ القوي.  
وقال آخرون: الرُّوح عرض.

وقال قائلون منهم جعفر بن حرب<sup>(٣)</sup>: لا ندري الرُّوح جوهر أو عرض، واعتلوا في ذلك بقوله تعالى: ﴿وَسَأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥]، ولم

<sup>(١)</sup> هو علي بن إسماعيل بن أبي بشر من نسل الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كان على مذهب المعتزلة قرره ودافع عنه ثم تركه، وانتقل إلى طريقة ابن كلاب ثم تركها واعتنق مذهب السلف وألف كتباً في بيانه منها "الإبانة" ومنها "مقالات الإسلاميين" وغيرها قيل توفي سنة: (٣٢٤) وقيل غير ذلك، انظر "سير أعلام النبلاء": (١٥ / ٨٥). وكلامه الذي نقله ابن القيم هنا في "مقالات الإسلاميين": (٢ / ٢٨ وما بعدها).

<sup>(٢)</sup> شيخ المعتزلة أبو إسحاق إبراهيم بن سيار البصري المتكلم شيخ الجاحظ، وقال بعضهم: كان النُّظام على دين البراهمة المنكرين للنبوة والبعث ويُخفى ذلك، ورد أنه سقط من غرفة وهو سكران فها في خلافة المعتصم أو الواثق سنة بضع وعشرين ومائتين، انظر "سير أعلام النبلاء": (١٠ / ٥٤١).

<sup>(٣)</sup> هو جعفر بن حرب الهمداني المعتزلي أبو الفضل توفي سنة: (٢٣٦)، انظر "سير أعلام النبلاء": (١٠ / ٥٤٩).

يخبر عنها ما هي لا [أنتها] جوهر ولا عرض. قال: وأظن جعفرًا أثبت الحياة غير الروح، وأثبت الحياة عرضًا.

وكان الجبائي يذهب إلى أن الروح جسم وأنتها غير الحياة، والحياة عرض ويعتدل بقول أهل اللغة: خرجت روح الإنسان. وزعم أن الروح لا تجوز عليها الأعراض.

وقال قائلون: ليس الروح شيئًا أكثر من اعتدال الطبائع الأربع ولم يرجعوا من قولهم [اعتدال] إلا إلى المعتدل ولم يثبتوا في الدنيا شيئًا إلا الطبائع الأربع التي هي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة<sup>(١)</sup>.

وقال قائلون: إن الروح معنى خامس غير الطبائع الأربع، وأنه ليس في الدنيا إلا الطبائع الأربع والروح.

واختلفوا في [أعمال] الروح فثبتها بعضهم طباعًا وثبتها بعضهم اختياريًا. وقال قائلون: الروح الدم الصافي الخالص من الكدر والعفونات، وكذلك قالوا في القوة.

وقال قائلون: الحياة هي الحرارة الغريزية. وكل هؤلاء الذين حكينا قولهم في الروح من أصحاب الطبائع يثبتون أن الحياة هي الروح.

وكان الأصم<sup>(٢)</sup> لا يثبت الحياة والروح شيئًا غير الجسد ويقول: ليس عقل إلا الجسد الطويل العريض العميق الذي أراه وأشاهده، وكان يقول: النفس هي هذا

(١) وقع في النسخ الخطية بعض التغيير لهذه الفقرة وتم إصلاحه من المقالات (٢/ ٢٥٤).

(٢) هو عبد الرحمن بن كيسان أبو بكر الأصم المعتزلي، انظر "لسان الميزان": (٣/ ٤٩٠)، وقد نسب إليه هذه المقالة ابن حزم في "الفصل": (٥/ ٢٠١).



البدن بعينه لا غير وَإِنَّمَا جَرَى عَلَيْهَا هَذَا [الذِّكْر] عَلَى جِهَةِ الْبَيَانِ وَالتَّأْكِيدِ بِحَقِيقَةِ الشَّيْءِ لَا عَلَى أُمَّتِهَا مَعْنَى غَيْرِ الْبَدَنِ.

وَذَكَرَ عَنِ أَرِسْطَالَيْسٍ<sup>(١)</sup>: أَنَّ النَّفْسَ مَعْنَى [مُرْتَفَعٍ] عَنِ الْوُقُوعِ تَحْتَ النِّشْوَءِ وَالْكَوْنِ<sup>(٢)</sup>، وَأَنَّهَا جَوْهَرٌ مَنْبَسُطٌ مَنْبَثٌ فِي الْعَالَمِ كُلِّهِ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ عَلَى جِهَةِ الْأَعْمَالِ لَهُ وَالتَّدْبِيرِ، وَأَنَّهُ لَا تَجُوزُ عَلَيْهِ صِفَةُ قَلَّةٍ وَلَا كَثْرَةٍ. قَالَ: وَهِيَ عَلَى مَا وَصَفْتُ مِنْ انْبِسَاطِهَا فِي هَذَا الْعَالَمِ غَيْرِ مَنْقَسِمَةِ الذَّاتِ وَالْبُنْيَةِ، فَإِنَّهَا فِي كُلِّ حَيَوَانَاتٍ بِمَعْنَى وَاحِدٍ لَا غَيْرِ. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلِ النَّفْسُ مَعْنَى مَوْجُودَاتِ [حُدُودٍ] وَأَرْكَانِ وَطُولِ وَعَرْضِ وَعَمَقِ، وَأَنَّهَا غَيْرُ مُفَارَقَةٍ فِي هَذَا الْعَالَمِ لِغَيْرِهَا مِمَّا يَجْرِي عَلَيْهِ حُكْمُ الطُّولِ وَالْعَرْضِ وَالْعَمَقِ، وَكُلٌّ وَاحِدٌ مِنْهُمَا يَجْمَعُهَا صِفَةُ الْحَدِّ وَالنَّهَائَةِ<sup>(٣)</sup>.

<sup>(١)</sup> هو أرسطاليس بن نيقوماقوس من أهل اصطخر - بلدة بفارس - من كبار الفلاسفة، وكان يُتَّهَمُ بالإلحاد، وألَّفَ كِتَابًا كَثِيرَةً فِي الْمَنْطِقِ وَالْعُلُومِ الطَّبِيعِيَّةِ وَالْأَخْلَاقِ السِّيَاسِيَّةِ، انظر "الفصل" لابن حزم: (٢٠٦/١)، حاشية.

<sup>(٢)</sup> في المقالات (٢/٢٥٥): (تحت التدبير والنشوء والبلى غير دائرة)، وما أثبتناه من الأصل.

<sup>(٣)</sup> في المقالات زيادة: (وهذا قول طائفة من الثنوية يُقال لهم المنانية).

والثنوية: هم قوم قالوا إن صانع العالم اثنان ففاعل الخير نور، وفاعل الشر ظلمة، وهما قديمان لم يزا لاقويين حاسين داركين سميعين بصيرين.... انظر "تلبس إبليس": (٢/٣١٠)، ت: (أحمد عثمان المزيدي) و"الملل" و"النحل": للشهرستاني: (١/٢٤٤).

والمنانية: هم فرقة من الثنوية أصحاب ماني بن فاتك الحكيم الثنوي الزنديق صاحب القول بالنور والظلمة. انظر "الملل" و"النحل" للشهرستاني: (١/٢٤٤).

وَقَالَتْ طَائِفَةٌ: إِنَّ النَّفْسَ مَوْصُوفَةٌ بِمَا وَصَفَهَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَدِمْنَا ذَكَرَهُمْ مِنْ مَعْنَى  
الْحُدُودِ وَالنِّهَايَاتِ إِلَّا أَنَّهَا غَيْرُ مُفَارِقَةٍ لغيرِهَا مِمَّا لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَوْصُوفًا بِصِفَةِ  
الْحَيَوَانَ <sup>(١)</sup>.

وَحَكَى الْحَرِيرِيُّ عَنِ جَعْفَرِ بْنِ مُبَشَّرٍ: أَنَّ النَّفْسَ جَوْهَرٌ لَيْسَ هُوَ هَذَا الْجِسْمَ وَلَيْسَ  
بِجِسْمٍ، وَلَكِنَّهُ مَعْنَى بَيِّنِ الْجَوْهَرِ وَالْجِسْمِ.

وَقَالَ آخَرُونَ: النَّفْسُ مَعْنَى غَيْرِ الرُّوحِ، وَالرُّوحُ غَيْرُ الْحَيَاةِ، وَالْحَيَاةُ عِنْدَهُ عَرْضٌ  
وَهُوَ أَبُو الْهُذَيْلِ، يَزْعَمُ أَنَّهُ قَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ فِي حَالِ نَوْمِهِ مَسْلُوبَ النَّفْسِ  
وَالرُّوحِ دُونَ الْحَيَاةِ وَاسْتَشْهَدَ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا  
وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢].

وَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ حَرْبٍ: النَّفْسُ [عرض] مِنَ الْأَعْرَاضِ يُوجَدُ فِي هَذَا الْجِسْمِ وَهُوَ  
أَحَدُ الْأَلَاتِ الَّتِي يَسْتَعِينُ بِهَا الْإِنْسَانُ عَلَى الْفِعْلِ كَالصِّحَّةِ وَالسَّلَامَةِ وَمَا أَشْبَهَهَا، وَأَنَّهَا  
غَيْرُ مَوْصُوفَةٌ بِشَيْءٍ مِنْ صِفَاتِ الْجَوَاهِرِ وَالْأَجْسَامِ.  
هَذَا مَا حَكَاهُ الْأَشْعَرِيُّ.

وَقَالَتْ طَائِفَةٌ: النَّفْسُ هِيَ النَّسِيمُ الدَّاخِلُ وَالخَارِجُ بِالنَّفْسِ، قَالُوا: وَالرُّوحُ عَرْضٌ  
وَهِيَ الْحَيَاةُ فَقَطْ وَهُوَ غَيْرُ النَّفْسِ، وَهَذَا قَوْلُ الْقَاضِي أَبِي بَكْرِ بْنِ الْبَاقِلَانِيِّ وَمَنْ اتَّبَعَهُ  
مِنَ الْأَشْعَرِيَّةِ.

<sup>(١)</sup> هذا قول الديصانية وهم فرقة من الثنوية أيضًا أصحاب ديصان، زعموا أن طينة العالم كانت طينة خشنة  
وكانت تحاكي جسم الباري - الذي هو النور - زمانًا فتأذى بها فلما طال ذلك عليه قصد تنقيتها عنه  
فتوَحَّلَ فيها واختلط بها فتركب بينهما هذا العالم النوري والظلمي، فما كان من جهة الصلاح فمن النور  
وما كان من جهة الفساد فمن الظلمة.... انظر "تلييس إبليس": (٢/ ٣١٣)، و"الملل" و"النحل":  
(٢٥٠/١).

وَقَالَتْ طَائِفَةٌ: لَيْسَتْ النَّفْسُ جِسْمًا وَلَا عَرْضًا وَلَيْسَتْ فِي مَكَانٍ، وَلَا لَهَا طُولٌ وَلَا عَرْضٌ وَلَا عَمَقٌ وَلَا لَوْنٌ وَلَا بَعْضٌ وَلَا هِيَ فِي الْعَالَمِ وَلَا خَارِجُهُ وَلَا مَحَايِثَةٌ لَهُ وَلَا مَبَايِنَةٌ وَهَذَا قَوْلُ الْمَشَائِينِ<sup>(١)</sup>، وَهُوَ الَّذِي حَكَاهُ الْأَشْعَرِيُّ عَنِ أَرَسْطَاطَالِيسَ وَزَعَمُوا أَنَّ تَعْلُقَهَا بِالْبَدَنِ لَا بِالْحُلُولِ فِيهِ وَلَا بِالْمَجَاوِرَةِ وَلَا بِالْمَسَاكِنَةِ وَلَا بِالِاتِّصَالِ وَلَا بِالْمُقَابَلَةِ وَإِنَّمَا هُوَ بِالتَّدْبِيرِ لَهُ فَقَطْ.

وَاخْتَارَ هَذَا الْمَذْهَبَ الْبُوشَنجِيُّ<sup>(٢)</sup> وَمُحَمَّدُ بْنُ النُّعْمَانَ الْمَلْقَبُ بِالْمَغِيدِ<sup>(٣)</sup>، وَمُعَمَّرُ بْنُ عَبَّادٍ<sup>(٤)</sup> وَالغَزَالِيُّ<sup>(٥)</sup>،

<sup>(١)</sup> هم قوم من فلاسفة اليونان أتباع أرسطو، والمشاء كثير المشي والمشائي هو الأرسطي سُمِّي مشائياً؛ لأن أرسطو كان يعلم تلامذته ماشياً، انظر "الجواب الصحيح" لشيخ الاسلام: (٢٩٠/٣).

<sup>(٢)</sup> الظاهر أنه علي بن أحمد أبو الحسن البوشنجي الصوفي، مترجم في "تاريخ مدينة دمشق" لابن عساكر: (٢١١/٤١)، ومما يؤيد أنه هو هذا، أن هذا القول قد قال به كثير من الصوفية من أهل المكاشفة والرياضة كما ذكره الألويسي في تفسيره "روح المعاني": (٥٨٠/٨) عند الآية: (٨٥) من سورة الإسراء.

<sup>(٣)</sup> هو محمد بن النعمان أبو جعفر الأحول عراقي شيعي جلد يلقب بشيطان الطاق، ويلقبه الشيعة بمؤ من الطاق انظر "سير أعلام النبلاء": (٥٥٣/١٠)، و"الفهرست" لابن النديم: (ص ٢٥٠).

<sup>(٤)</sup> هو معمر بن عباد السلمي معتزلي من الغلاة من أهل البصرة سكن بغداد وناظر النظام وكان أعظم القدرية غلوًا توفي سنة: (٢١٥)، انظر "الأعلام" للزركلي: (٢٧٢/٧).

<sup>(٥)</sup> زين الدين أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي الغزالي، وكان على ذكاء عظيم وفهم ثاقب إلا أنه لم يكن له علم بالآثار ولا خبرة بالسنن النبوية القاضية على العقل، وحبب إليه إدمان النظر في كتاب: "رسائل إخوان الصفا" وهو داء عضال وجربٌ مُرْدٍ وَسُمُّ قَتَالٍ، ولولا أن أبا حامد من كبار الأذكياء وخيار المخلصين لَتَلَفَ، قاله الذهبي توفي سنة: (٥٠٥). انظر "سير أعلام النبلاء": (٣٢٢/١٩).

وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ سِينَا<sup>(١)</sup> وَاتَّبَاعِهِ وَهُوَ أَرَادَى الْمَذَاهِبَ وَأَبْطَلَهَا وَأَبْعَدَهَا مِنَ الصَّوَابِ.  
 قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ بِنِ حَزْمٍ<sup>(٢)</sup>: وَذَهَبَ سَائِرُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ وَالْمَلَلِ الْمَقْرَةِ بِالْمَعَادِ إِلَى أَنَّ  
 النَّفْسَ جِسْمَ طَوِيلٍ عَرِضٍ عَمِيقٍ ذَاتَ مَكَانٍ حَيَّةٍ<sup>(٣)</sup> مُمَيَّزَةٌ مَصْرُفَةٌ لِلْجَسَدِ، قَالَ: وَمِهَذَا  
 نَقُولُ، قَالَ: وَالنَّفْسُ وَالرُّوحُ اسْمَانِ مُتَرَادِفَانِ لِمَعْنَى وَاحِدٍ وَمَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ.  
 وَقَدْ ضَبَطَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بِنِ الْخَطِيبِ<sup>(٤)</sup> مَذَاهِبَ النَّاسِ فِي النَّفْسِ، فَقَالَ: مَا يُشِيرُ إِلَيْهِ  
 كُلُّ إِنْسَانٍ بِقَوْلِهِ: «أَنَا» إِمَّا أَنْ يَكُونَ جِسْمًا أَوْ عَرَضًا سَارِيًّا فِي الْجِسْمِ أَوْ لَا جِسْمًا وَلَا  
 عَرَضًا سَارِيًّا فِيهِ.

وقد رد شيخ الاسلام على الغزالي وساق كثيرًا من أقواله، وأنه يمشي على طريقة الفلاسفة، انظر "بغية  
 المرتاد" ص (١٠٦ وما بعدها) .

<sup>(١)</sup> الفيلسوف أبو علي الحسين بن عبدالله بن الحسن بن علي بن سينا البلخي ثم البخاري له كتاب "الشفاء"  
 وغيره، وله أشياء لا تُحتمل، وكُتِّره الغزالي توفي سنة: (٤٢٨)، انظر "سير أعلام النبلاء": (١٧ / ٥٣١) .  
 وعده شيخ الاسلام من الزنادقة كما في "مجموع الفتاوى": (٤ / ١١٤) .

وقال أيضاً (٩ / ١٣٤): (..... وإن كان -يعني ابن سينا- إنما أخذ عن الملاحدة المنتسبين إلى الإسلام  
 كالإسماعيلية. وكان هو وأهل بيته وأتباعهم معروفين عند المسلمين بالإلحاد وأحسن ما يظهر من دين  
 الرفض وهم في الباطن يبطنون الكفر المحض...).

<sup>(٢)</sup> انظر "الفصل": (٥ / ٢٠٢) .

<sup>(٣)</sup> في الأصل (جثة) والمثبت من (ش) و(ف) .

<sup>(٤)</sup> هو فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الطبرستاني الأصل، الرازي المولد الملقب فخر الدين الرازي  
 المعروف بابن الخطيب وكان يتوقد ذكاءً، وقد بدت منه في تواليفه بلايا وعظائم وسحر وانحرافات عن  
 السنة والله يعفو عنه فإنه توفي على طريقة حميدة والله يتولى السرائر توفي سنة: (٦٠٦)، انظر "سير أعلام  
 النبلاء": (٢١ / ٥٠٠)، "وفيات الأعيان": (٤ / ٢٤٨) .

أما القسم الأول: وهو أنه جسم فذلك الجسم إما أن يكون هو هذا البدن، وإما أن يكون جسمًا مشاركًا لهذا البدن، وإما أن يكون خارجًا عنه.

وأما القسم الثالث: وهو أن نفس الإنسان عبارة عن جسم خارج هذا البدن فهذا لم يقله أحد.

وأما القسم الأول: وهو أن الإنسان عبارة عن هذا البدن والهيكَل المخصوص فهو قول جمهور الخلق وهو المختار عند أكثر المتكلمين.

قلت: هو قول جمهور الخلق الذين عرف الرّازي أقوالهم من أهل البدع وغيرهم من المضلين، وأما أقوال الصحابة والتابعين وأهل الحديث فلم يكن له بها شعور البتة ولا اعتقد أن لهم في ذلك قولًا على عادته في حكاية المذاهب الباطلة في المسألة، والمذهب الحق الذي دلّ عليه القرآن والسنة وأقوال الصحابة لم يعرفه ولم يذكره، وهذا الذي نسبته إلى جمهور الخلق من أن الإنسان هو هذا البدن المخصوص فقط وليس وراءه شيء هو من أطل الأقوال في المسألة، بل هو أطل من قول ابن سينا وأتباعه، بل الذي عليه جمهور العقلاء: أن الإنسان هو البدن والروح معًا، وقد يطلق اسمه على أحدهما دون الآخر بقريينة.

فالناس لهم أربعة أقوال في مسمى الإنسان: هل هو الروح فقط؟ أو البدن فقط؟ أو مجموعهما؟ أو كل واحد منهما؟ وهذه الأقوال الأربعة هم في كلامه هل هو اللفظ

فَقَطُّ؟ أَوْ الْمَعْنَى فَقَطُّ؟ أَوْ مَجْمُوعَهُمَا؟ أَوْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا؟ فَالْخِلَافُ بَيْنَهُمْ فِي النَّاطِقِ وَنَطْقِهِ<sup>(١)</sup>.

قَالَ الرَّازِيُّ: وَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّانِي: وَهُوَ أَنَّ الْإِنْسَانَ عِبَارَةٌ عَنِ جِسْمٍ مَخْصُوصٍ مَوْجُودٍ فِي دَاخِلِ هَذَا الْبَدَنِ فَالْقَائِلُونَ بِهَذَا الْقَوْلِ اخْتَلَفُوا فِي تَعْيِينِ ذَلِكَ الْجِسْمِ عَلَى وُجُوهِ: الْأُولَى: أَنَّهُ عِبَارَةٌ عَنِ الْأَخْلَاطِ الْأَرْبَعَةِ الَّتِي مِنْهَا يَتَوَلَّدُ هَذَا الْبَدَنُ<sup>(٢)</sup>. وَالثَّانِي: أَنَّهُ الدَّمُ.

وَالثَّلَاثُ: أَنَّهُ الرُّوحُ اللَّطِيفُ الَّذِي يَتَوَلَّدُ فِي الْجَانِبِ الْأَيْسَرِ مِنَ الْقَلْبِ وَيَنْفِذُ فِي الشَّرِيَانَاتِ إِلَى سَائِرِ الْأَعْضَاءِ.

وَالرَّابِعُ: أَنَّهُ الرُّوحُ الَّذِي يَصْعَدُ فِي الْقَلْبِ إِلَى الدِّمَاغِ وَيَتَكَيَّفُ بِالْكَيفِيَةِ الصَّالِحَةِ لِقَبُولِ قُوَّةِ الْحِفْظِ وَالْفِكْرِ وَالذِّكْرِ. وَالخَامِسُ: أَنَّهُ جُزْءٌ لَا يَتَجَزَّأُ فِي الْقَلْبِ.

وَالسَّادِسُ: أَنَّهُ جِسْمٌ مُخَالَفٌ بِالْمَاهِيَةِ لِهَذَا الْجِسْمِ الْمَحْسُوسِ وَهُوَ جِسْمٌ نُورَانِي<sup>(٣)</sup> عَلَوِي خَفِيفٌ حَيٌّ مُتَحَرِّكٌ<sup>(٤)</sup> يَنْفِذُ فِي جَوْهَرِ الْأَعْضَاءِ وَيَسْرِي فِيهَا سَرِيانَ الْمَاءِ فِي الْوَرْدِ

<sup>(١)</sup> وقد حكى هذه الأربعة الأقوال أيضًا شيخ الإسلام كما في «مجموع الفتاوى»: (١٢/٦٧)، و (٥٣٣/٦)، وصحح أن الإنسان يطلق على الروح والبدن جميعًا، وأن الكلام يطلق على اللفظ والمعنى جميعًا، وإن كان مع التقييد يراد به هذا تارة وهذا تارة وذكر أن هذا قول السلف وأئمة الفقهاء والجمهور.

<sup>(٢)</sup> أخلاط الإنسان في الطب القديم هي أمزجته الأربعة: وهي الصفراء، والبلغم، والدم، والسوداء، وهي معتدلة فإذا تغلب أحد هذه العناصر حصل التأثير في جسم الإنسان، «المعجم الوسيط»: (خلط، مزج).

<sup>(٣)</sup> وُصِفَ الرُّوحُ بِأَنَّهُ نُورَانِيٌّ يَحْتَاجُ إِلَى دَلِيلٍ. وَ«انظر مجموع الفتاوى»: (٣/٣٢-٣٣).

وسريان الدهن في الزيتون والنار في الفحم، فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف بقي ذلك الجسم اللطيف مشابكا لهذه الأعضاء، [وأفادها هذه الآثار من الحس والحركة الإرادية، وإذا فسدت هذه الأعضاء] بسبب استيلاء الأخلاط الغليظة عليها وخرجت عن قبول تلك الآثار فارق الروح البدن وانفصل إلى عالم الأرواح.

وهذا القول هو الصواب في المسألة، وهو الذي لا يصح غيره، وكل الأقوال سواه باطلة وعليه دل الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأدلة العقل والفطرة<sup>(١)</sup>، ونحن نسوق الأدلة عليه على نسق واحد:

(١) في الأصل (متحول).

(٢) وهذه الأقوال التي ساقها ابن القيم في بيان حقيقة الروح هي قليل من كثير، وقد طال الكلام في بيان حقيقة الروح بأقوال لا يسندها دليل ولا تقوم عليها إثارة من علم، وغالبها من أقوال أهل الكلام الذين ضلوا في هذا الباب وفي غيره، وما أحسن ما قاله الإمام الشوكاني في "فتح القدير": (٣/٣٥٢): (وفي هذه الآية - يعني قوله تعالى: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، ما يزجر الخائضين في شأن الروح المتكلمين لبيان ماهيته وإيضاح حقيقته أبلغ زجر ويردعهم أعظم ردع، وقد أطلوا المقال في هذا البحث بما لا يتم له المقام، وغالبه بل كله من الفضول الذي لا يأتي بنفع في دين ولا دنيا، وقد حكى بعض المحققين أن أقوال المختلفين في الروح بلغت إلى ثمانية عشر ومائة قول، فانظر إلى هذا الفضول الفارغ والتعب العاطل عن النفع، بعد أن علموا أن الله سبحانه قد استأثر بعلمه ولم يطلع عليه أنبياءه ولا أذن لهم بالسؤال عنه ولا البحث عن حقيقته فضلاً عن أهمهم المقتدين بهم، فيالله العجب حيث تبلغ أقوال أهل الفضول إلى هذا الحد الذي لم تبلغه ولا بعضه في غير هذه المسألة مما أذن الله بالكلام فيه، ولم يستأثر بعلمه ) اهـ

**الدليل الأول:** قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزمر: ٤٢].  
ففي الآية ثلاثة أدلة: الأَخْبَارُ بتوفيها، وإمساكها، وإرسالها.

**الرابع:** قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُحْزَرُونَ عَذَابِ الْهُونِ﴾ [الأنعام: ٩٣]، إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ٩٤]، وفيها [أربعة] أدلة:  
أحدها: بسط الملائكة أيديهم لتناولها.  
الثاني: وصفها بالإخراج والخروج.  
الثالث: الإخبار عن عذابها ذلك اليوم.  
الرابع: الإخبار عن مجيئها إلى ربها فهذه سبعة أدلة.

**الثامن:** قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثْكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٠]، إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرَطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١]، وفيها ثلاثة أدلة:

أحدها: الإخبار بتوفي الأنفس بالليل.  
الثاني: بعثها إلى أجسادها بالنهار.  
الثالث: توفي الملائكة له عند الموت فهذه عشرة أدلة.

**الحادي عشر:** قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ \* ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً \* فَادْخُلِي فِي عِبَادِي \* وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠]، وفيها ثلاثة أدلة:



أحدها: وصفها بِالرُّجُوعِ.

الثَّانِي: وصفها بِالدُّخُولِ.

الثَّالِث: وصفها بِالرِّضَا.

وَاختلف السَّلَف هل يُقال لها ذَلِكَ عِنْد المَوْتِ أو عِنْد البَعْثِ أو فِي المَوْضِعَيْنِ؟ على ثَلَاثة أَقْوَال، وَقَد روى فِي حَدِيثِ مَرْفُوعِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِأبي بكر الصِّدِّيقِ: «أما أَنَّ المَلِكِ سيقوها لَكَ عِنْد المَوْتِ»<sup>(١)</sup>.

<sup>(١)</sup> (حسن) أخرجه ابن جرير: (٣٠/١٩١)، وابن أبي حاتم: (٣٤٣٠/١٠)، وأبو نعيم في «الحلية»: (٢٨٣/٤) من طرق عن يحيى بن بيان عن أشعث عن جعفر عن سعيد بن جبير قال: قُرئت هذه الآية عند النبي ﷺ فذكر الحديث، وإسناده ضعيف؛ لضعف يحيى بن بيان، وأيضاً جعفر وهو ابن أبي المغيرة وإن كان قد وثقه أحمد إلا أنه يروي الحديث عن سعيد بن جبير، وقد قال ابن مندة: ليس بالقوي في سعيد بن جبير، ثم رأيت الذهبي يقول في تاريخ الإسلام (٦٣/٨): إنه كَانَ مُخْتَصَّاً بِسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَدَخَلَ مَعَهُ مَكَّةَ فِي أَيَّامِ ابْنِ الزُّبَيْرِ، فتكون علة الإسناد ضعف يحيى بن بيان، ومع ضعفه فهو مرسل.

وقد خولف يحيى بن بيان خالفه عبد الله بن سعد بن عثمان الدشتكي وهو صدوق فرواه موصولاً أخرجه ابن أبي حاتم: (٣٤٢٩/١٠-٣٤٣٠)، والضياء المقدسي في «المختارة»: (١٢٤/١٠) من طريقه عن أشعث بن إسحاق عن جعفر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به بلفظ: «أما إنه سيقال لك هذا». دون قوله: «عند الموت». وهذا إسناد لا بأس به. أشعث بن إسحاق هو القمي ثقة، وجعفر هو ابن أبي المغيرة وثقه أحمد، وقال ابن مندة: ليس بالقوي في سعيد بن جبير، وتقدم قول الذهبي: إنه كان مختصاً بسعيد بن جبير. فالإسناد حسن أو صحيح.

وله طريق أخرى أخرجه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول»: (٧٤) الأصل العاشر، فقال: حدثنا عمر بن أبي عمر حدثنا علي بن بحر عن سويد بن عبد العزيز عن ثابت بن عجلان عن سليم بن أبي عامر - كذا والصواب سليم بن عامر - قال: سمعت أبا بكر فذكره، وإسناده ضعيف سويد بن عبد العزيز هو ابن نمير السلمي ضعيف، وعمر بن أبي عمر شيخ الحكيم الترمذي لم يتبين لي مَنْ هو.

قَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ: بَشَرَتْ بِالْجَنَّةِ عِنْدَ الْمَوْتِ وَيَوْمَ الْجُمُعِ وَعِنْدَ الْبَعْثِ <sup>(١)</sup>.  
 وَقَالَ أَبُو صَالِحٍ: ﴿ارْجِعِي إِلَى رَبِّكَ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ [الفجر: ٢٨]، هَذَا عِنْدَ الْمَوْتِ:  
 ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي \* [وَادْخُلِي جَنَّتِي]﴾ [الفجر: ٢٩ - ٣٠]، قَالَ: هَذَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ <sup>(٢)</sup>.  
 فَهَذِهِ أَرْبَعَةُ عَشْرَ دَلِيلًا <sup>(٣)</sup>.

**الخامس عشر:** قَوْلُهُ: «إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قَبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ» <sup>(٤)</sup> فِيهِ دَلِيلَانِ:  
 أَحَدُهُمَا: وَصَفَهُ بِأَنَّهُ يَقْبِضُ.  
 الثَّانِي: أَنَّ الْبَصَرَ يَرَاهُ.

**السادس عشر:** مَا رَوَاهُ النَّسَائِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ عَنْ عَفَّانَ عَنْ حَمَّادَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ  
 عَنْ عَمَّارَةَ بِنْتِ خَزِيمَةَ: أَنَّ أَبَاهُ قَالَ: رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنِّي أَسْجُدُ عَلَى جِهَةِ النَّبِيِّ ﷺ

<sup>(١)</sup> (ضعيف) أخرجه ابن جرير: (١٩١/٣٠) من طريق أبي كريب قال: حدثنا ابن بيان عن أسامة بن زيد عن أبيه به، وإسناده ضعيف ابن بيان هو يحيى تقدم في الذي قبله أنه ضعيف، وأسامة بن زيد بن أسلم ضعيف أيضاً.

<sup>(٢)</sup> (ضعيف جداً) أخرجه ابن جرير: (١٩١/٣٠) من طريق ابن حميد قال: حدثنا مهران عن سفيان عن إسماعيل بن أبي خالد عن أبي صالح به، وهذا إسناد ضعيف ابن حميد هو محمد متهم بالكذب، ومهران هو ابن أبي عمر العطار متهم بالكذب.

**فائدة:** اختار ابن كثير أن هذا الخطاب يقال للنفس عند الاحتضار ويوم القيامة كما أن الملائكة يبشرون المؤمن عند احتضاره وعند قيامه من قبره فكذلك هاهنا.

<sup>(٣)</sup> كذا وقع في كل النسخ، وهو غير صحيح، فإنها إلى هنا ثلاثة عشر دليلاً، وستأتي أخطاء في العدد نقيبها على ما وردت به النسخ، حتى لا يختل ترقيم المؤلف.

<sup>(٤)</sup> أخرجه مسلم: (٩٢٠) عن أم سلمة رضي الله عنها، وبنحوه عند مسلم عن أبي هريرة.

فَأَخْبِرْ بِذَلِكَ فَقَالَ: «إِنَّ الرُّوحَ لِيَلْقَى الرُّوحَ»، فَأَقْنَعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، هَكَذَا - قَالَ عَفَّانُ بِرَأْسِهِ إِلَى خَلْفِهِ - فَوَضَعَ جَبْهَتَهُ عَلَى جَبْهَةِ النَّبِيِّ ﷺ<sup>(١)</sup>.

<sup>(١)</sup> هذا الحديث قد اختلف في إسناده وامتته على وجوه بيانها كما يلي:

رواه عمارة بن خزيمة بن ثابت واختلف عليه، رواه عنه الزهري وأبو جعفر الخطمي واختلف عليها، فمدار طرق الحديث على الزهري وأبي جعفر الخطمي - وهما ثقتان - وإليك بيان الاختلاف:

\* رواية أبي جعفر الخطمي:

- رواه شعبة حدثني أبو جعفر المدني - الخطمي - قال: سمعت عمارة بن عثمان بن سهل بن حنيف يحدث عن خزيمة بن ثابت أنه رأى في منامه أنه يقبل النبي ﷺ فأتى النبي ﷺ فناوله النبي ﷺ فقبل جبهته، أخرجه أحمد: (٢١٤/٥)، والنسائي في «الكبرى»: (٧٦٣٢)، إلا أنه جعله عن عمارة بن عثمان بن حنيف دون ذكر سهل وهو الصواب كما في «تهذيب التهذيب».

- ورواه حماد بن سلمة قال: أخبرنا أبو جعفر الخطمي عن عمارة بن خزيمة بن ثابت أن أباه قال: رأيت في المنام... فذكر الحديث وفيه أنه رأى أنه سجد على جبهة النبي ﷺ أخرجه أحمد: (٢١٤/٥)، والنسائي في «الكبرى»: (٧٦٣١).

فأنت ترى أن شعبة جعله عن أبي جعفر عن عمارة بن عثمان والرؤيا فيها التقبيل، بينما حماد جعله عن أبي جعفر عن عمارة بن خزيمة والرؤيا فيها السجود.

\* رواية الزهري:

- رواه صالح بن أبي الأخضر - وهو ضعيف - عن الزهري أخبرني عمارة بن خزيمة أن خزيمة رأى في المنام فذكر الحديث، وفيه رؤيا السجود أخرجه أحمد: (٢١٦/٥).

- وخالفه يونس بن يزيد الأيلي - وهو ثقة - فرواه عن الزهري عن عمارة بن خزيمة بن ثابت عن عمه - وكان من أصحاب رسول الله ﷺ - أن خزيمة بن ثابت رأى في المنام فذكر الحديث، وفيه رؤيا السجود، أخرجه أحمد: (٢١٥/٥) و (٢١٦/٥)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني»: (٢٠٨٨)، والحارث بن أبي أسامة كما في «المطالب العالية»: (٢٣٧/١).

\* ثم الرواة عن يونس بن يزيد اختلفوا:

فرواه عثمان بن عمر بن فارس - وهو ثقة -، وأيوب بن سويد - وهو ضعيف -، وعامر بن صالح الزبيدي - وهو متروك - عن يونس على ما سبق.

فأخبر: أن الأرواح تتلاقى في المنام.

وقد تقدم قول ابن عباس: تلتقي أرواح الأحياء والأموات في المنام فيتساءلون بينهم فيمسك الله أرواح الموتى<sup>(١)</sup>.

**الثامن عشر:** قوله صلى الله عليه وسلم في حديث بلال: «إن الله قبض أرواحكم وردها إليكم حين شاء»<sup>(٢)</sup>، ففيه دليلان وصفها بالقبض والرد.

**العشرون:** قوله: «نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة»<sup>(٣)</sup>، وفيه دليلان: أحدهما: كونها طائراً.

الثاني: تعلقها في شجر الجنة أو أكلها على اختلاف التفسيرين.

وخالفهم عبدالله بن وهب - وهو ثقة حافظ عابد - فرواه عن يونس عن ابن شهاب أخبرني خزيمة بن ثابت بن خزيمة بن ثابت أن خزيمة بن ثابت أري في المنام فذكره، وفيه رؤيا السجود، أخرجه ابن حبان: (٧١٤٩)، والراوي عن ابن وهب فيه حرملة بن يحيى.

\* ثم إن الرواة عن حرملة اختلفوا:

فرواه محمد بن الحسن بن قتيبة العسقلاني - وهو ثقة - عن حرملة بن يحيى عن ابن وهب على ما سبق. ورواه الحسن بن سفيان الشيباني - وهو ثقة أيضاً - عن حرملة بن يحيى عن ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب أخبرني ابن خزيمة بن ثابت أخبره عن عمه وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن خزيمة بن ثابت أري في المنام فذكره وفيه رؤيا السجود، أخرجه أبو نعيم في «معرفة الصحابة»: (٢٠٧٦/٤).

فالذي يظهر لي أن الحديث مضطرب لكثرة الاختلاف فيه ولتعدد الترجيح بين طرقه والله أعلم.

<sup>(١)</sup> تقدم تخريجه أول المسألة الثالثة ص ( ).

<sup>(٢)</sup> أخرجه البخاري: (٥٩٥)، ومسلم: (٦٨١)، عن أبي قتادة رضي الله عنه.

<sup>(٣)</sup> (صحيح) تقدم تخريجه ص ( ).

**الثاني والعشرون:** قوله: «أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت وتأوي إلى قناديل معلقة بالعرش فأطلع إليهم ربك اطلاعةً فقال: أي شيء تُريدون...». الحديث، وقد تقدم<sup>(١)</sup> وفيه ستة أدلة:

أحدها: كونها مودعة في جوف طير.

الثاني: أنها تسرح في الجنة.

الثالث: أنها تأكل من ثمارها وتشرب من أنهارها.

الرابع: أنها تأوي إلى تلك القناديل أي: تسكن إليها.

الخامس: أن الرب تعالى خاطبها واستنطقها فأجابته وخاطبته.

السادس: أنها طلبت الرجوع إلى الدنيا فعلم أنها مما يقبل الرجوع.

فإن قيل هذا كله صفة الطير لا صفة الروح.

قيل: بل الروح المودعة في الطير قصداً، وعلى الرواية التي رجحها أبو عمر وهي

قوله: «أرواح الشهداء كطير»، ينفي السؤال بالكلية<sup>(٢)</sup>.

**الثالث والعشرون:** قوله في حديث طلحة بن عبيد الله أردت مالي بالغاية فأدركني

الليل فأويت إلى قبر عبد الله بن عمرو بن حرام فسمعت قراءة من القبر ما سمعت

أحسن منها فقال رسول الله ﷺ: «ذاك عبد الله ألم تعلم أن الله قبض أرواحهم فجعلها

في قناديل من زبرجد ويأقوت ثم علقها وسط الجنة، فإذا كان الليل ردت إليهم

<sup>(١)</sup> أخرجه مسلم: (١٨٨٧)، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

<sup>(٢)</sup> تقدم أن ابن القيم لم يوافق ابن عبد البر في هذا انظر ص ( ).

أَزْوَاحَهُمْ فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّىٰ إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ رَدَّتْ أَرْوَاحَهُمْ إِلَىٰ مَكَانِهَا الَّتِي كَانَتْ فِيهَا»<sup>(١)</sup>. وَفِيهِ أَرْبَعَةٌ أَدَلَّةٌ سِوَىٰ مَا تَقْدَمُ:

أَحَدُهَا: جَعَلَهَا فِي الْقَنَادِيلِ .

الثَّانِي: انْتَقَالُهَا مِنْ حَيْزٍ إِلَىٰ حَيْزٍ .

الثَّالِث: تَكَلُّمُهَا وَقِرَاءَتُهَا فِي الْقَبْرِ .

الرَّابِع: وَصْفُهَا بِأَنَّهَا فِي مَكَانٍ .

**الثَّالِثُ وَالثَّلَاثُونَ:** حَدِيثُ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ وَقَدْ تَقَدَّمَ<sup>(٢)</sup> سِيَّاقُهُ وَفِيهِ عَشْرُونَ دَلِيلًا:

أَحَدُهَا: قَوْلُ مَلِكِ الْمَوْتِ لِنَفْسِهِ: ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴾ [الفجر: ٢٧ - ٢٨]،

وَهَذَا الْخُطَابُ لِمَنْ يَعْقِلُ وَيَفْهَمُ .

الثَّانِي: قَوْلُهُ: « اخْرُجِي إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ » .

الثَّالِث: قَوْلُهُ: « فَتَخْرُجُ تَسِيلٌ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السَّقَاءِ » .

الرَّابِع: قَوْلُهُ: « فَلَا يَدْعُونَهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّىٰ يَأْخُذُوهَا مِنْهُ » .

الخَامِس: قَوْلُهُ: « حَتَّىٰ يَكْفِنُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفْنِ وَيَحْنُطُوهَا بِذَلِكَ الْحَنُوطِ » . فَأَخْبَرَ

أَنَّهَا تَكْفَنُ وَتَحْنُطُ .

السَّادِس: قَوْلُهُ: « ثُمَّ يَصْعَدُ بِرُوحِهِ إِلَى السَّمَاءِ » .

السَّابِع: قَوْلُهُ: « وَيُؤْجَدُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مَسْكَ وَجَدتْ » .

الثَّامِن: قَوْلُهُ: « فَتَفْتَحُ لَهُ أَبْوَابَ السَّمَاءِ » .

<sup>(١)</sup> (ضعيف جدًا) تقدم تخريجه ص ( ) .

<sup>(٢)</sup> (صحيح) تقدم في المسألة السادسة ص ( ) .

التَّاسِع: قَوْلُهُ: «وَيَشِيَعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مَقْرُبُوهَا حَتَّى يَنْتَهِي إِلَى الرَّبِّ تَعَالَى».  
العَاشِر: قَوْلُهُ: «فَيَقُولُ تَعَالَى: رُدُّوا عِبْدِي إِلَى الْأَرْضِ».  
الحَادِي عَشْر: قَوْلُهُ: «فَتَرُدُّ رُوحَهُ فِي جَسَدِهِ».  
الثَّانِي عَشْر: [قَوْلُهُ فِي رُوحِ الْكَافِرِ: «فَتَفْرُقُ فِي جَسَدِهِ فَيَجْذِبُهَا فَتَنْقَطِعُ مِنْهَا الْعُرُوقُ وَالْعَصَبُ»].

الثَّلَاثُ عَشْر: قَوْلُهُ: «وَيُوجَدُ لِرُوحِهِ كَأَنَّ رِيحًا وَجَدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ».  
الرَّابِعُ عَشْر: قَوْلُهُ: «فَيَقْدَفُ بِرُوحِهِ عَنِ السَّمَاءِ وَتَطْرَحُ طَرَحًا فَتَهْوِي إِلَى الْأَرْضِ».  
الخَامِسُ عَشْر: قَوْلُهُ: «فَلَا يَمْرُونَ بِهَا عَلَى مَلَأَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرَّوحُ الطَّيِّبُ»، «وَمَا هَذَا الرَّوحُ الْخَبِيثُ».

السَّادِسُ عَشْر: قَوْلُهُ: «فِي جِلْسَانِهِ وَيَقُولَانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟»، فَإِنْ كَانَ هَذَا لِلرُّوحِ [فَظَاهِرًا]، وَإِنْ كَانَ لِلْبَدَنِ فَهُوَ بَعْدَ رُجُوعِ الرَّوحِ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ.  
السَّابِعُ عَشْر: قَوْلُهُ: «فَإِذَا صَعِدَ بِرُوحِهِ قِيلَ: أَيُّ رَبِّ عَبْدِكَ فَلَانَ».  
الثَّامِنُ عَشْر: قَوْلُهُ: «أَرْجِعُوهُ فَأَرُوهُ مَاذَا أَعَدَدْتُمْ لَهُ مِنَ الْكَرَامَةِ»، فَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ.

التَّاسِعُ عَشْر: قَوْلُهُ فِي الْحَدِيثِ: «إِذَا خَرَجَتْ رُوحُ الْمُؤْمِنِ صَلَّى عَلَيْهَا كُلُّ مَلِكٍ لِلَّهِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَالْمَلَائِكَةُ تَصِلُ عَلَى رُوحِهِ وَبَنُو آدَمَ يَصِلُونَ عَلَى جَسَدِهِ».  
العِشْرُونَ: قَوْلُهُ: «فَيَنْظُرُ إِلَى مَقْعَدِهِ مِنَ الْجَنَّةِ»، أَوْ «النَّارِ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»، وَالْبَدَنُ قَدْ تَمَزَّقَ وَتَلَاشَى وَإِنَّمَا [الَّذِي] يَرَى الْمَقْعَدَيْنِ الرَّوحُ.

## فصل

**الرَّابِعُ وَالْحَمْسُونَ:** حَدِيثُ أَبِي مُوسَى: «تَخْرُجُ نَفْسُ الْمُؤْمِنِ أَطِيبًا مِنْ رِيحِ الْمَسْكِ، فَتَنْطَلِقُ بِهَا الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ يَتَوَفَّوْنَهُ فَتَلْقَاهُمْ مَلَائِكَةٌ مِنْ دُونَ السَّمَاءِ فَيَقُولُونَ: هَذَا فَلَانُ ابْنِ فَلَانَ كَانَ يَعْمَلُ كَيْتًا وَكَيْتًا بِمَحَاسِنِ عَمَلِهِ فَيَقُولُونَ: مَرْحَبًا بِكُمْ وَبِهِ فَيَقْبِضُونَهَا مِنْهُمْ فَيَصْعَدُ بِهِ مِنَ الْبَابِ الَّذِي كَانَ يَصْعَدُ مِنْهُ عَمَلُهُ فَيَشْرُقُ فِي السَّمَوَاتِ وَهُوَ بَرَهَانٌ كَبْرَهَانِ الشَّمْسِ حَتَّى يَنْتَهِيَ بِهَا إِلَى الْعَرْشِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَإِذَا قَبِضَ انْطَلَقَ بِرُوحِهِ فَيَقُولُونَ: مَنْ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: فَلَانُ ابْنُ فَلَانَ كَانَ يَعْمَلُ كَيْتًا وَكَيْتًا لِمَسَاوِي أَعْمَالِهِ فَيَقُولُونَ: لَا مَرْحَبًا لَكَ مَرْحَبًا رُدُّوهُ فَيُرَدُّ إِلَى أَسْفَلِ الْأَرْضِ إِلَى الثَّرَى»<sup>(١)</sup>، فَفِيهِ عَشْرَةٌ أُدِلَّةٌ:

أَحَدُهَا: خُرُوجُ نَفْسِهِ.

الثَّانِي: طِيبُ رِيحِهَا.

الثَّلَاثُ: انْطِلَاقُ الْمَلَائِكَةِ بِهَا.

الرَّابِعُ: تَحِيَّةُ الْمَلَائِكَةِ لَهَا.

الخَامِسُ: قَبْضُهُمْ لَهَا.

السَّادِسُ: صَعُودُهُمْ بِهَا.

السَّابِعُ: إِشْرَاقُ السَّمَوَاتِ لَضَوْئِهَا.

الثَّامِنُ: انْتِهَائُهَا إِلَى الْعَرْشِ.

التَّاسِعُ: قَوْلُ الْمَلَائِكَةِ: مَنْ هَذَا؟ وَهَذَا سُؤَالٌ عَنِ عَيْنِ وَذَاتِ قَائِمَةٍ بِنَفْسِهَا.

العَاشِرُ: قَوْلُهُ: «رُدُّوهُ إِلَى فَيْرِدِ أَسْفَلِ الْأَرْضِينَ».

## فصل

(١) (حسن موقوفاً) تقدم تخريجه ص ( ) .



**الرَّابِعُ وَالسُّتُونَ:** حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ: «إِذَا خَرَجَتْ رُوحُ الْمُؤْمِنِ تَلْقَاهُ مَلَكَانُ فَيصعدانه إِلَى السَّمَاءِ فَيَقُولُ أَهْلُ السَّمَاءِ: رُوحٌ طَيِّبَةٌ جَاءَتْ مِنْ قَبْلِ الْأَرْضِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ وَعَلَى جَسَدِكَ كُنْتَ تَعْمُرِينَهُ وَذَكَرَ الْمَسْكَ ثُمَّ يَصْعَدُ بِهِ إِلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَيَقُولُ: رُدُّوهُ إِلَى آخِرِ الْأَجَلَيْنِ»<sup>(١)</sup>، فَبِهِ سِتَّةُ أَدِلَّةٍ: أَحَدُهَا: قَوْلُهُ: «تَلْقَاهُ مَلَكَانُ». الثَّانِي: قَوْلُهُ: «فَيصعدانه إِلَى السَّمَاءِ». الثَّلَاثُ: قَوْلُ الْمَلَائِكَةِ: «رُوحٌ طَيِّبَةٌ جَاءَتْ مِنْ قَبْلِ الْأَرْضِ». الرَّابِعُ: صَلَاتُهُمْ عَلَيْهَا. الْخَامِسُ: طَيِّبُ رِيحِهَا. السَّادِسُ: الصُّعُودُ بِهَا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

### فصل

**الْحَادِي وَالسَّبْعُونَ:** حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ الْمُؤْمِنَ تَحْضُرُهُ الْمَلَائِكَةُ فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ الصَّالِحَ قَالُوا: أَخْرِجِي أَيَّتَهَا النَّفْسِ الطَّيِّبَةَ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ أَخْرِجِي حَمِيدَةً وَأَبْشِرِي بِرُوحٍ وَرَيْحَانٍ وَرَبِّ غَيْرِ غَضْبَانَ، فَمَا يَزَالُ يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ حَتَّى تَخْرُجَ فَيَعْرِجُ بِهَا حَتَّى يَنْتَهِيَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ فَيَسْتَفْتَحُ لَهَا فَيُقَالُ: مَنْ هَذَا؟ فَيُقَالُ: فَلَانُ ابْنُ فَلَانٍ فَيُقَالُ: مَرْحَبًا بِالنَّفْسِ الطَّيِّبَةِ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ ادْخُلِي حَمِيدَةً وَأَبْشِرِي بِرُوحٍ وَرَيْحَانٍ

<sup>(١)</sup> أخرجه مسلم: (٢٨٧٢) وقال: في آخره: (فرد رسول الله ﷺ ريطة كانت عليه على أنه هكذا) ، وفي هذه الزيادة بيان أن الحديث مرفوع.

وَرَبٍ غَيْرِ عَضْبَانَ، فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ حَتَّى يَنْتَهِيَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي فِيهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ السُّوءَ قَالَ: أَخْرَجِي أَيُّهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ كَأَنَّكَ فِي الْجَسَدِ الْخَبِيثِ أَخْرَجِي ذَمِيمَةَ وَأَبْشِرِي بِحَمِيمٍ وَغَسَاقٍ وَآخِرٍ مِنْ شَكْلِهِ أَرْوَاجٌ فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ حَتَّى تَخْرُجَ فَيُنْتَهِيَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ فَيُقَالُ: مَنْ هَذَا؟ فَيُقَالُ: فَلَانُ ابْنُ فَلَانَ فَيُقَالُ: لَا مَرْحَبًا بِالنَّفْسِ الْخَبِيثَةِ كَأَنَّكَ فِي الْجَسَدِ الْخَبِيثِ أَرْجِعِي ذَمِيمَةَ فَإِنَّهُ لَا تَفْتَحُ لَكَ أَبْوَابَ السَّمَاءِ فَتُرْسَلُ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ تُصِيرُ إِلَى الْقَبْرِ»<sup>(١)</sup>، وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ وَفِيهِ عَشْرَةٌ أَدَلَّةٌ:

أَحَدُهَا: قَوْلُهُ: «كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ»، وَ «كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الْخَبِيثِ»، فَهَذَا هُنَا حَالٌ وَمَحَلٌّ.

الثَّانِي: قَوْلُهُ: «أَخْرَجِي حَمِيمَةَ».

الثَّلَاثُ: قَوْلُهُ: «وَأَبْشِرِي بِرُوحٍ وَرَيْحَانٍ»، فَهَذَا بَشَارَةٌ بِمَا تُصِيرُ إِلَيْهِ بَعْدَ خُرُوجِهَا.

الرَّابِعُ: قَوْلُهُ: «فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ حَتَّى يَنْتَهِيَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ».

الخَامِسُ: قَوْلُهُ: «فَيَسْتَفْتَحُ لَهَا».

السَّادِسُ: قَوْلُهُ: «ادْخُلِي حَمِيمَةَ».

السَّابِعُ: قَوْلُهُ: «حَتَّى يَنْتَهِيَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي فِيهَا اللَّهُ تَعَالَى».

الثَّامِنُ: قَوْلُهُ لِنَفْسِ الْفَاجِرِ: «أَرْجِعِي ذَمِيمَةَ».

التَّاسِعُ: فَإِنَّهُ لَا تَفْتَحُ لَكَ أَبْوَابَ السَّمَاءِ.

العَاشِرُ: قَوْلُهُ: «فَتُرْسَلُ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ تُصِيرُ إِلَى الْقَبْرِ».

(١) (صحيح) تقدم تخريجه ص (.)

## فصل

**الحادي والثمانون:** قَوْلُهُ: «الأرواح جنود مجنّدة، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف»<sup>(١)</sup>، فوصفها بأنّها جنود مجنّدة والجنود ذوات قائمة بنفسها، ووصفها بالتعارف والتناكر، ومُحال أن تكون هذه الجنود أعراضاً أو تكون لا داخل العالم ولا خارجه ولا بعض لها ولا كل.

**الثاني والثمانون:** قَوْلُهُ فِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَعَلِيٍّ: «الأرواح تتلاقى وتشام كما تشام الخيل»، وقد تقدم<sup>(٢)</sup>.

**الثالث والثمانون:** قَوْلُهُ فِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أن أرواح المؤمنين تتلاقى على مسيرة يومين وما رأى أحدهما صاحبه»<sup>(٣)</sup>.

**الرابع والثمانون:** الآثار التي ذكرناها في خلق آدم، وأن الروح لما دخل في رأسه عطس فقال: الحمد لله فلما وصل الروح إلى عينيه نظر إلى ثمار الجنة فلما وصل إلى جوفه اشتهي الطعام فوثب قبل أن يبلغ الروح رجليه، وأثّها دخلت كارهة وتخرج كارهة<sup>(٤)</sup>.

**الخامس والثمانون:** الآثار التي فيها إخراج الرب تعالى النسم وتمييز شقيهم من سعيدهم، وتفاوتهم حينئذ في الإشراق والظلمة، وأرواح الأنبياء فيهم مثل السرج، وقد تقدمت<sup>(٥)</sup>.

(١) أخرجه مسلم: (٢٦٣٨) عن أبي هريرة، وقد جاء عن جماعة من الصحابة تقدم تخريجها ص (٠).

(٢) (ضعيف) تقدم تخريجه ص (٠).

(٣) (ضعيف) تقدم تخريجه ص (٠).

(٤) (ضعيف) تقدم تخريجه ص (٠).

(٥) تقدمت جملة من هذه الآثار راجعها في المسألة الثامنة عشرة ص (٠).

**السادس والثمانون:** حَدِيث تَمِيم الدَّارِيِّ: أَنَّ رُوحَ الْمُؤْمِنِ إِذَا صُعدَ بِهَا إِلَى اللَّهِ خَرَّ سَاجِدًا بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَلَقَى الرُّوحَ بالبشرى، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ لَمَلِكِ الْمَوْتِ: انْطَلِقْ بِرُوحِ عَبْدِي فضعه في مكان كذا وكذا، وقد تقدم<sup>(١)</sup>.

**السابع والثمانون:** الآثار التي ذكرناها في مُسْتَقَرِّ الأرواح بعد الموت واختلاف النَّاسِ فِي ذَلِكَ<sup>(٢)</sup>، وَفِي ضَمَنِ ذَلِكَ الإختلافِ إِجماعِ السَّلفِ على أَنَّ للروح مُسْتَقَرًّا بعد المَوْتِ وَإِن اختلف فِي تَعْيِينِهِ.

**الثامن والثمانون:** ما قد علم بالضرورة أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَاءَ بِهِ وَأخْبَرَ بِهِ الأُمَّةَ أَنَّهُ تَنَبَّتَ أَجْسَادَهُمْ فِي القُبُورِ، فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ رَجَعَتْ كُلُّ رُوحٍ إِلَى جَسَدِهَا فَدَخَلَتْ فِيهِ فَانشقت الأَرْضُ عَنْهُ فَقامَ من قَبْرِهِ<sup>(٣)</sup>.

وَفِي حَدِيثِ الصُّورِ: (أَنَّ إِسْرَافِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَدْعُو الأرواحَ فَتَأْتِيهِ جَمِيعًا أرواحَ المُسلمين نورًا والأخرى مظلمةً فيجمعها جَمِيعًا فيعلقها فِي الصُّورِ ثُمَّ يَنْفَخُ فِيهِ فيَقُولُ الربُّ جَلَّ جلاله: وَعَزَّزِي ليرجعن كلُّ رُوحٍ إِلَى جَسَدِهِ فَتُخْرَجُ الأرواحُ مِنَ الصُّورِ مِثْلَ النَّحْلِ قَدْ مَلَأَتْ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ فَيَأْتِي كُلُّ رُوحٍ إِلَى جَسَدِهِ فَيَدْخُلُ وَيَأْمُرُ اللَّهُ

(١) (ضعيف جدًا) تقدم تخريجه ص (١).

(٢) انظرها في المسألة الخامسة عشرة ص (١).

(٣) أخرج البخاري: (٤٩٣٥)، ومسلم: (٢٩٥٥) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ وَفِيهِ: «ثُمَّ يَنْزِلُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبِتُونَ كَمَا يَنْبِتُ الْبَقْلُ». وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»: (٢٩٤٠)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ وَفِيهِ: «ثُمَّ يَرْسِلُ اللَّهُ» أَوْ قَالَ: «يَنْزِلُ اللَّهُ مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ أَوْ الظَّلُّ فَتَنْبِتُ مِنْهُ أَجْسَادَ النَّاسِ».

الأَرْضَ فَتَنَشَقَّ عَنْهُمْ فَيَخْرُجُونَ سَرَّاعًا إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسَلُونَ مَهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِي يَسْمَعُونَ  
الْمُنَادِي مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ<sup>(١)</sup>.

وَهَذَا مَعْلُومٌ بِالضَّرُورَةِ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ أَخْبَرَ بِهِ وَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَا يَنْشِئُ لَهُمْ  
أَرْوَاحًا غَيْرَ أَرْوَاحِهِمُ الَّتِي كَانَتْ فِي الدُّنْيَا بَلْ هِيَ الْأَرْوَاحُ الَّتِي اكْتَسَبَتْ الْحَيْرَ وَالشَّرَّ  
أَنْشَأَ أَبْدَانَهَا نَشَأَةً أُخْرَى ثُمَّ رَدَّهَا إِلَيْهَا.

**التاسع والثمانون:** أَنَّ الرُّوحَ والجسد يختصمان بين يدي الرب عز وجل يَوْمَ الْقِيَامَةِ  
قَالَ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ عِيَّاشَ عَنْ أَبِي سَعْدِ  
الْبَقَّالِ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «مَا تَزَالُ الْخُصُومَةُ بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ

<sup>(١)</sup> (ضعيف) أخرجه الطبراني في «الأحاديث الطوال»: (٣٦)، الملحق «بالمعجم الكبير»: (٢٥/٢٦٦)،  
وابن جرير: (٢/٣٣٠)، وإسحاق بن راهويه - كما في «المطالب العالية»: (٣/٢٩٩)، وأبو يعلى كما في  
«البداية والنهاية»: (١٩/٣١٠)، وغيرهم من طرق وقع فيها اضطراب واختلاف ومداره على إسماعيل  
بن رافع المدني وهو ضعيف قال عنه النسائي والدارقطني وابن خراش: متروك، وقال عمرو بن علي  
الفلاس وأحمد بن حنبل وأبو حاتم منكر الحديث، وفي الإسناد أيضًا رجل مبهم.  
وهذا الحديث قد ضعّفه الأئمة منهم ابن حجر في «المطالب العالية»، وقال في «فتح الباري»: (١١/٤٤٨):  
ومداره على إسماعيل بن رافع واضطرب في سنده مع ضعفه... ثم نقل تضعيفه عن البيهقي وعبد الحق  
الأشبيلي، وقال الحافظ ابن كثير في تفسير الآية: (٧٣) من سورة الأنعام: هذا حديث مشهور وهو غريب  
جدًّا، ولبعضه شواهد في الأحاديث المتفرقة وفي بعض ألفاظه نكارة، تفرد به إسماعيل بن رافع قاص أهل  
المدينة، وقد اختلف فيه، فمنهم من وثقه، ومنهم من ضعفه، ونص على نكارة حديثه غير واحد من الأئمة،  
كأحمد بن حنبل، وأبي حاتم الرازي، وعمرو بن علي الفلاس، ومنهم من قال: هو متروك، وقال ابن عدي:  
أحاديثه كلها فيها نظر إلا أنه يكتب حديثه في جملة الضعفاء.

قلت: وقد اختلف عليه في إسناد هذا الحديث على وجوه كثيرة، قد أفردتها في جزء على حدة، وأما سياقه  
فغريب جدًّا، ويقال: إنه جمعه من أحاديث كثيرة، وجعله سياقًا واحدًا، فأنكر عليه بسبب ذلك). ١.هـ

الْقِيَامَةَ حَتَّى يُجَاوِزَ الرُّوحَ الْجَسَدَ فَيَقُولَ الرُّوحُ يَا رَبِّ إِنَّمَا كُنْتُ رُوحًا مِنْكَ جَعَلْتَنِي فِي هَذَا الْجَسَدِ فَلَا ذَنْبَ لِي، وَيَقُولُ الْجَسَدُ: يَا رَبِّ كُنْتُ جَسَدًا خَلَقْتَنِي وَدَخَلْتُ فِي هَذَا الرُّوحِ مِثْلَ النَّارِ، فَبِهِ كُنْتُ أَقُومُ وَبِهِ كُنْتُ أَقْعُدُ وَبِهِ أَذْهَبُ وَبِهِ أَحْيَا لَا ذَنْبَ لِي»  
 قَالَ: «فَيَقَالُ: أَنَا أَقْضِي بَيْنَكُمَا أَخْبَرَانِي عَنْ أَعْمَى وَمَقْعَدٌ دَخَلَ حَائِطًا فَقَالَ الْمَقْعَدُ لِلْأَعْمَى: إِنِّي أَرَى ثَمْرًا فَلَوْ كَانَتْ لِي رَجُلَانِ لَتَنَاوَلْتُ فَقَالَ الْأَعْمَى: أَنَا أَهْمُكَ عَلَى رَقَبَتِي فَحَمَلَهُ فَتَنَاوَلَ مِنَ الثَّمْرِ فَأَكَلَا جَمِيعًا فَعَلِيَ مِنَ الذَّنْبِ؟ قَالَا: عَلَيْهِمَا جَمِيعًا فَقَالَ: قَضَيْتُمَا عَلَى أَنْفُسِكُمَا»<sup>(١)</sup>.

التَّسْعُونَ: الْأَحَادِيثُ وَالْآثَارُ الدَّالَّةُ عَلَى عَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ<sup>(٢)</sup>،  
 فَمَعْلُومٌ أَنَّ الْجَسَدَ تَلَاشَى وَاضْمَحَلَّ، وَأَنَّ الْعَذَابَ وَالنَّعِيمَ الْمُسْتَمْرَيْنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ  
 إِنَّمَا هُوَ عَلَى الرُّوحِ.

<sup>(١)</sup> (ضعيف) أخرجه محمد بن يحيى العدني في «الإيمان»: (٧١)، فقال: حدثنا سفيان عن أبي سعد به، وهذا إسناد ضعيف فإن أبا سعد البقال - وهو سعيد بن المرزبان - ضعيف ومدلس.  
 وقد جاء بنحوه عن أنس مرفوعاً أخرجه ابن الجوزي في «الموضوعات»: (٣/٢٤٩)، وفي إسناده المسيب بن شريك أبو سعيد التميمي: متروك قال ابن معين: ليس بشيء، وقال أحمد: ترك الناس حديثه، وقال مسلم وجماعة: متروك كما في «الميزان»، وفيه أيضاً سعيد بن المرزبان وهو ضعيف ومدلس قال الذهبي في «تلخيص الموضوعات» ص (٣٥٠) بعد أن ذكر هذا الحديث: يروى عن المسيب بن شريك - تألف - عن سعيد بن المرزبان - وإه - عن أنس.

ثم إن سعيد بن المرزبان قد تقدم أنه رواه عن عكرمة عن ابن عباس موقوفاً، ثم في هذا الإسناد يرويه عن أنس مرفوعاً فكأنه واحد ولكن المسيب بن شريك أخذه وجعله عن أنس مرفوعاً فالله أعلم، وقد ذكر السيوطي في «النكت البديعات على الموضوعات»: أن الحديث قد جاء عن سلمان أخرجه عبدالله بن أحمد في «زوائد الزهد»، ولم أقف عليه.

<sup>(٢)</sup> وقد ذكر ابن القيم كثيراً من هذه الأحاديث والآثار في المسألة السابعة والثامنة والتاسعة فراجعها.

**الحادي والتسعون:** إخبار الصادق المصدوق في الحديث الصحيح عن الشهداء: إنهم لما سئلوا ما تريدون قالوا: نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل فيك مرة أخرى<sup>(١)</sup>، فهذا سؤال وجواب من ذات حية عالمة ناطقة تقبل الرد إلى الدنيا والدخول في أجساد خرجت منها، وهذه الأرواح سُئلت وهي تسرح في الجنة والأجساد قد مزقتها البلى.

الثاني والتسعون: ما ثبت عن سلمان الفارسي وغيره من الصحابة رضوان الله عليهم: أن أرواح المؤمنين في برزخ تذهب حيث شاءت وأرواح الكفار في سجين وقد تقدم<sup>(٢)</sup>.

**الثالث والتسعون:** رؤية النبي ﷺ لأرواح الناس عن يمين آدم ويساره ليلة الإسراء فرآها متحيزة بمكان معين<sup>(٣)</sup>.

**الرابع والتسعون:** رؤيته أرواح الأنبياء في السموات وسلامهم عليه وترحيبهم به كما أخبر به<sup>(٤)</sup>، وأما أبدانهم ففي الأرض.

**الخامس والتسعون:** رؤيته أرواح الأطفال حول إبراهيم الخليل عليه السلام<sup>(٥)</sup>.

(١) أخرجه مسلم: (١٨٨٧) عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) تقدم ص ( ) أنه ضعيف بهذا اللفظ، وأن الثابت عن سلمان: «أن أرواح المؤمنين في الجنة تذهب حيث شاءت».

(٣) أخرجه البخاري: (٣٤٩)، ومسلم: (١٦٣) عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري: (٣٤٩)، ومسلم: (١٦٣) عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه.

وأخرجه البخاري: (٧٥١٧)، ومسلم: (١٦٢) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٥) أخرجه البخاري: (٧٠٤٧) عن سمرة بن جندب رضي الله عنه في حديث طويل.

**السادس والتسعون:** رُوِيَته أرواح المُعذِّبين في البرزخ بأنواع العذاب في حديث سَمْرَةَ الَّذِي رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ»<sup>(١)</sup> وَقَدْ تَلَاثَتْ أَجْسَادَهُمْ وَاضْمَحَلَتْ وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي رَأَاهُ أَرْوَاحَهُمْ وَنَسَمَهُمْ يَفْعَلُ بِهَا ذَلِكَ.

**السابع والتسعون:** إخباره سُبْحَانَهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَّهُمْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ، وَأَنَّهُمْ فَرِحُونَ مُسْتَبْشِرِينَ بِإِخْوَانِهِمْ، وَهَذَا لِلأَرْوَاحِ قِطْعًا؛ إِذِ الْأَبْدَانُ فِي التُّرَابِ تَنْظُرُ عَوْدَ أَرْوَاحِهَا إِلَيْهَا يَوْمَ الْبَعْثِ.

**الثامن والتسعون:** مَا تَقَدَّمَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَنَحْنُ نَسُوْقُهُ لِيَتَبَيَّنَ كَمْ فِيهِ مِنْ دَلِيلٍ عَلَى بَطْلَانِ قَوْلِ الْمَلَاحِدَةِ وَأَهْلِ الْبِدْعِ فِي الرُّوحِ، وَقَدْ ذَكَرْنَا إِسْنَادَهُ فِيمَا تَقَدَّمَ قَالَ بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ قَاعِدٌ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ﴾ [الأنعام: ٩٣]، الْآيَةَ، ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا مِنْ نَفْسٍ تَفَارِقُ الدُّنْيَا حَتَّى تَرَى مَقْعِدَهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَإِذَا كَانَ عِنْدَ ذَلِكَ صُفِّ لَهَا سَمَاطَانٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَنْتَظِمَانِ مَا بَيْنَ الْحَافِقِينَ كَأَنَّ وُجُوهُهُمْ الشَّمْسُ فَيَنْظُرُ إِلَيْهِمْ مَا يَرَى غَيْرَهُمْ، مَعَ كُلِّ مَلِكٍ مِنْهُمْ أَكْفَانٌ وَحَنُوطٌ فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا بَشَرُوهُ بِالْجَنَّةِ وَقَالُوا: أَخْرِجِي أَيْتَاهَا النَّفْسَ الْمَطْمَئِنَّةَ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ وَجَنَّتَهُ فَقَدْ أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ مِنَ الْكِرَامَةِ مَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، فَلَا يَزَالُونَ يُبَشِّرُونَهُ فَلَهُمْ أَلْطَفٌ بِهِ وَأَرْأَفٌ مِنَ الْوَالِدَةِ بِوَلَدِهَا.

ثُمَّ يَسْلُونَ رُوحَهُ مِنْ تَحْتِ كُلِّ ظِفْرٍ وَمِفْصَلِ يَمُوتِ الْأَوَّلِ فَالْأَوَّلِ وَيُورِ كُلَّ عَضْوِ الْأَوَّلِ فَالْأَوَّلِ. وَيَهْوَنُ عَلَيْهِ مَا كُنْتُمْ تَرَوْنَهُ شَدِيدًا حَتَّى تَبْلُغَ ذَقْنَهُ فَلَهَا أَشَدُّ كَرَاهِيَةً لِلْخُرُوجِ مِنَ الْجَسَدِ مِنَ الْوَلَدِ حِينَ يَخْرُجُ مِنَ الرَّحِمِ فَيَسْتَدْرُونَهَا كُلَّ مَلِكٍ مِنْهُمْ أَيُّهُمْ

(١) أخرجه البخاري: (٧٠٤٧).



يَقْبِضُهَا فَيَتَوَلَّى قَبْضَهَا مَلِكُ الْمَوْتِ»، ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: ١١]، فَيَتَلَقَّاها بِأَكْفَانٍ بِيضٍ ثُمَّ يَحْتَضِنُهَا إِلَيْهِ فَلَهُوَ أَشَدُّ لُزُومًا لَهَا مِنَ الْمَرْأَةِ لَوْلِهَا.

ثُمَّ يَفُوحُ مِنْهَا رِيحٌ أَطِيبٌ مِنَ الْمَسْكِ فَيَنْشَقُونَ رِيحًا طَيِّبًا وَيَتَبَاشَرُونَ بِهَا وَيَقُولُونَ مَرْحَبًا بِالرَّيْحِ الطَّيِّبِ وَالرُّوحِ الطَّيِّبِ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ رُوحًا وَصَلِّ عَلَىٰ جَسَدِ خَرَجَتْ مِنْهُ، قَالَ: «فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَتَفُوحُ لَهُمْ رِيحٌ أَطِيبٌ مِنَ الْمَسْكِ فَيَصِلُونَ عَلَيْهَا وَيَتَبَاشَرُونَ بِهَا وَتَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ [وَيَصِلِي] عَلَيْهَا كُلُّ مَلِكٍ فِي كُلِّ سَمَاءٍ تَمْرِبُهُمْ حَتَّىٰ تُتَهَيَّ بِهَا بَيْنَ يَدَيْ الْجَبَّارِ جَلَّ جَلَالُهُ فَيَقُولُ الْجَبَّارُ عَزَّ وَجَلَّ: مَرْحَبًا بِالنَّفْسِ الطَّيِّبَةِ أَدْخُلُوهَا الْجَنَّةَ وَأَرُوهَا مَقْعَدَهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَاعْرَضُوا عَلَيْهَا مَا أَعَدَدْتُمْ لَهَا مِنَ الْكِرَامَةِ وَالنَّعِيمِ، ثُمَّ أَذْهَبُوا بِهَا إِلَى الْأَرْضِ فَإِنِّي قَضَيْتُ أَنِّي مِنْهَا خَلَقْتَهُمْ وَفِيهَا أَعِيدَهُمْ وَمِنْهَا أَخْرَجْتُهُمْ تَارَةً أُخْرَى، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ هِيَ أَشَدُّ كَرَاهِيَةً لِلْخُرُوجِ مِنْهَا حِينَ كَانَتْ تَخْرُجُ مِنَ الْجَسَدِ وَتَقُولُ: أَيْنَ تَذْهَبُونَ بِي إِلَىٰ ذَلِكَ الْجَسَدِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ فَيَقُولُونَ: إِنَّا مَأْمُورُونَ بِهَذَا فَلَا بُدَّ لَكَ مِنْهُ فَيَهْبِطُونَ بِهِ عَلَىٰ قَدَرِ فِرَاعِهِمْ مِنْ غَسَلِهِ وَأَكْفَانِهِ فَيَدْخُلُونَ ذَلِكَ الرَّوحَ بَيْنَ الْجَسَدِ وَأَكْفَانِهِ»<sup>(١)</sup>.

فَتَأْمَلُ كَمْ فِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنْ مَوْضِعٍ يَشْهَدُ بِبُطْلَانِ قَوْلِ الْمُبْطِلِينَ فِي الرَّوحِ.

**التَّاسِعُ وَالتَّسْعُونَ:** مَا ذَكَرَهُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ عَنَ مَعْمَرِ عَنَ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ [ابْنِ] الْبَيْهَقِيِّ عَنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: (إِذَا تَوَفَّى الْمُؤْمِنُ بَعَثَ إِلَيْهِ مَلَكَانِ بَرِيحَانِ مِنَ الْجَنَّةِ وَخَرَقَةٌ تَقْبِضُ فِيهَا [رُوحَهُ] فَتَخْرُجُ كَأَطِيبِ رَائِحَةِ وَجَدِهَا أَحَدٌ

(١) (ضعيف) تقدم تخريجه في المسألة السادسة ص ( ).

قَطُّ بِأَنْفِهِ حَتَّى يُؤْتَى بِهِ إِلَى الرَّحْمَنِ جَلَّ جَلَالُهُ فَتَسْجُدُ الْمَلَائِكَةُ قَبْلَهُ وَيَسْجُدُ بَعْدَهُمْ ثُمَّ يَدْعَى مِيكَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيَقَالُ: اذْهَبْ بِهَذِهِ النَّفْسِ فَاجْعَلْهَا مَعَ أَنْفُسِ الْمُؤْمِنِينَ حَتَّى أَسْأَلَكَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ<sup>(١)</sup>.

وَقَدْ تَظَاهَرَتِ الْآثَارُ عَنِ الصَّحَابَةِ أَنَّ رُوحَ الْمُؤْمِنِ تَسْجُدُ بَيْنَ يَدَيْ الْعَرْشِ فِي وَفَاةِ النَّوْمِ وَوَفَاةِ الْمَوْتِ<sup>(٢)</sup> وَأَمَّا حِينَ قَدُومِهَا عَلَى اللَّهِ فَأَحْسَنُ تَحِيَّتِهَا أَنْ تَقُولَ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ»<sup>(٣)</sup>.

<sup>(١)</sup> (ضعيف) أخرجه عبد الرزاق في "المصنف": (٣/٥٦٤)، وإسناده ضعيف؛ عبد الرحمن بن البيهقي ضعيف قال أبو حاتم: لين، وقال الدارقطني: ضعيف لا تقوم به حجة، وقال صالح جزرة: حديثه منكر ولا يعرف أنه سمع من أحد من الصحابة إلا من سُرق - قلت: هو سُرق ويقال اسم أبيه أسد صحابي نزل مصر مترجم في "الإصابة" وغيره - فالإسناد مع ضعفه منقطع.

<sup>(٢)</sup> في الأصل (في وفاة النوم دون وفاة الموت). والمثبت من (ش) و(ف) وهو الموافق لما تقدم من الآثار، ففيها سجود الروح في الوفايتين.

<sup>(٣)</sup> جاء هذا المعنى في أثر عبد الله بن عمرو الذي قبل هذا، وتقدم أنه ضعيف.

وجاء أيضًا في أثر أبي الدرداء، وقد ذكره المصنف في المسألة الثالثة ص ( )، وتقدم أنه ضعيف.

وجاء أيضًا بنحوه في مرسل عن أبي جعفر الباقر أخرجه أبو نعيم في "صفة الجنة": (٤١١)، والآجري في "الشريعة": (٦٢٦)، وابن أبي الدنيا في "صفة الجنة": (٥٣)، وغيرهم من طريق أبي إلياس إدريس بن سنان عن محمد بن علي بن الحسين أبي جعفر الباقر قال: قال رسول الله ﷺ فذكره مطولاً، وهذا إسناد ضعيف معضل، إدريس بن سنان هو الصنعاني ابن بنت وهب بن منبه ضعيف بل قال الدارقطني: متروك، وأبو جعفر الباقر من الرابعة ممن جُلُّ روايتهم عن كبار التابعين، وقد ضَعَّفَ الحديث جمع من أهل العلم قال المنذري: رواه ابن أبي الدنيا وأبو نعيم هكذا معضلاً ورفعته منكر. ١. هـ وضعفه أيضاً ابن القيم في "حادي الأرواح": (١/٥٨١)، وابن كثير في "النهاية": (٢/٤٠٦).

ولم أقف على شيء صح في هذا المعنى والله أعلم.

وحدثني القاضي نور الدين بن الصائغ<sup>(١)</sup> قال: كانت لي خالة<sup>(٢)</sup> وكانت من الصالحات العابدات قال: عدتها في مرض موتها فقالت لي: الروح إذا قدمت على الله ووقفت بين يديه ما تكون تحيتها وقولها له قال: فعظمت عليّ مسألتها وفكرت فيها ثم قلت: تقول اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام، قال: فلما توفيت رأيته في المنام فقالت لي: جزاك الله خيراً لقد دهشت فما أدري ما أقوله، ثم ذكرت تلك الكلمة التي قلت لي فقلتها.

### فصل

**المائة:** ما قد اشترك في العلم به عامة أهل الأرض من لقاء أرواح الموتى، وسؤالهم لهم وإخبارهم إياهم بأمر خفيت عليهم، فأروها عياناً وهذا أكثر من أن يتكلف إيراده.

وأعجب من هذا الوجه الحادي والمائة: أن روح النائم يحصل لها في المنام آثار فتصبح يراها على البدن عياناً وهي من تأثير الروح في الروح، كما ذكر القيرواني في

وقال العلامة الألباني في "ضعيف الترغيب والترهيب": (٥٠٩ / ٢): وهو عندي موضوع، لوائح الضنع والوضع عليه ظاهره.

<sup>(١)</sup> هو محمد بن محمد بن محمد عبد القادر ابن الصائغ نور الدين توفي في الطاعون بحلب سنة: (٧٤٩)، انظر "الدرر الكامنة": (١٣٨ / ٤).

<sup>(٢)</sup> هي أسماء بنت الفخر إبراهيم بن عرصة خالة القاضي نور الدين ابن الصائغ ولدت سنة: (٦٤٦)، وتزهدت فكانت تلقن النسوة القرآن وتعلمهن العلم والقرب وكانت تجهد نفسها فيما يقربها إلى الله قال البرزالي: مع الزهد الحقيقي باطنا وظاهراً ماتت ليلة الجمعة تاسع جمادى الأولى سنة: (٧٠٨). انظر "الدرر الكامنة": (٢١٠ / ١).

كتاب «البُستَان»<sup>(١)</sup> عن بعض السلف قَالَ: كَانَ لِي جَارٌ يُشْتَمُ أَبَا بَكْرٍ وَعَمْرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ شْتَمِهَا فَتَنَاوَلْتَهُ وَتَنَاوَلِي وَانصرفت إلى منزلي وأنا مغموم حزين فَنَمْتُ وَتَرَكْتُ العِشَاءَ فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي المَنَامِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَلَانِ يَسِبُ أَصْحَابَكَ قَالَ: مِنْ أَصْحَابِي؟ قُلْتُ: أَبُو بَكْرٍ وَعَمْرٌ فَقَالَ: خُذْ هَذِهِ المَدِيَةَ فَأَذْبَحْ بِهَا فَأَخَذْتُهَا فَأَضْجَعْتَهُ وَذَبَحْتَهُ وَرَأَيْتُ كَأَنَّ يَدِي أَصَابَهَا مِنْ دَمِهِ فَأَلْقَيْتُ المَدِيَةَ وَأَهْوَيْتُ بِيَدِي إِلَى الأَرْضِ لِأَمْسَحَهَا فَانْتَبَهْتُ وَأَنَا أَسْمَعُ الصَّرَاحَ مِنْ نَحْوِ دَارِهِ فَقُلْتُ: مَا هَذَا الصَّرَاحُ؟ قَالُوا: فَلَانٌ مَاتَ فَجَاءَهُ فَلَمَّا أَصْحَنَا جِئْتُ فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ فَإِذَا خَطٌّ مَوْضِعَ الذَّبْحِ<sup>(٢)</sup>.

وَفِي كِتَابِ المَنَامَاتِ لِابْنِ أَبِي الدُّنْيَا عَنِ شَيْخٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ: رَأَيْتُ رَجُلًا بِالسَّامِ قَدْ أَسْوَدَ نِصْفَ وَجْهِهِ وَهُوَ يَغْطِيهِ فَسَأَلْتُهُ عَنِ ذَلِكَ فَقَالَ: قَدْ جَعَلْتُ لِلَّهِ عَلَى أَنْ لَا يَسْأَلَنِي أَحَدٌ عَنِ ذَلِكَ إِلَّا أَخْبَرْتَهُ بِهِ، كُنْتُ شَدِيدَ الوَقِيعَةِ فِي عَالِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَبَيْنَمَا أَنَا ذَاتَ لَيْلَةٍ نَائِمٌ إِذْ أَتَانِي آتٍ فِي مَنَامِي فَقَالَ لِي: أَنْتَ صَاحِبُ الوَقِيعَةِ فِي فَضْرَبِ شَقِّ وَجْهِهِ فَأَضْبَحْتَ وَشَقَّ وَجْهِي أَسْوَدَ كَمَا تَرَى<sup>(٣)</sup>.

وَذَكَرَ مُسْعِدَةَ عَنْ هِشَامِ بْنِ حَسَانَ عَنْ وَاصِلِ مَوْلَى أَبِي عُبَيْدَةَ عَنْ مُوسَى بْنِ عُبَيْدَةَ عَنْ صَفِيَّةِ بِنْتِ شَيْبَةَ قَالَتْ: كُنْتُ عِنْدَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَأَتَتْهَا امْرَأَةٌ مُتَشَمِّلَةٌ عَلَى يَدَيْهَا،

(١) هو علي بن أبي طالب القيرواني العابر تقدم ذكره ص (١).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المنامات»: (٢١٩)، والإمام أحمد في «فضائل الصحابة»: (٣٩٤) من طريق أبي بكر محمد بن المغيرة قال: حدثني محمد بن علي السمان قال: سمعت رضوان السمان يقول: كان لي جار في منزلي... فذكره. ورضوان السمان والراوي عنه لم أجد لهما ترجمة.

(٣) (ضعيف) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المنامات»: (٢٢٠)، وإسناده ضعيف لإبهام هذا الشيخ من قريش.

فَجَعَلْنَ النِّسَاءُ يُوَلِّعْنَ بِهَا فَقَالَتْ: مَا أَتَيْتُكَ إِلَّا مِنْ أَجْلِ يَدِي أَنْ أَبِي كَانَ رَجُلًا سَمَحًا، وَإِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ حِيَاضًا عَلَيْهَا رِجَالٌ مَعَهُمْ آيَةٌ يَسْقُونَ مِنْ أَتَاهُمْ فَرَأَيْتُ أَبِي فَقُلْتُ: أَيْنَ أُمِّي؟ فَقَالَ: انظري فَنظَرْتُ فَإِذَا بِأُمِّي لَيْسَ عَلَيْهَا إِلَّا قِطْعَةٌ خِرْقَةٌ فَقَالَ: غَنَّهَا لَمْ تَتَّصِدَّقْ قَطُّ إِلَّا بِبَيْتِكَ الْخِرْقَةَ وَشَحْمَةٌ مِنْ بَقْرَةٍ ذَبَحُوهَا فَتِلْكَ الشَّحْمَةُ تَذَابُ وَتَضْرِبُ بِهَا<sup>(١)</sup> وَهِيَ تَقُولُ: وَاعْطِشَاهُ قَالَتْ: فَأَخَذْتُ إِنَاءً مِنَ الْآيَةِ، فَسَقَيْتُهَا. فَجَاءَ جَاءً، فَقَالَ<sup>(٢)</sup>: مَنْ سَقَاهَا أَيْسَ اللَّهُ يَدَهُ. فَأَصْبَحَتْ يَدِي كَمَا تَرِينَ<sup>(٣)</sup>.

وَذَكَرَ الْحَارِثُ بْنُ أَسَدٍ الْمَحَاسِبِي، وَأَصْبَغُ، وَخَلْفُ بْنُ الْقَاسِمِ، وَجَمَاعَةٌ عَنْ سَعِيدِ بْنِ مَسْلَمَةَ قَالَ: بَيْنَمَا امْرَأَةٌ عِنْدَ عَائِشَةَ إِذْ قَالَتْ: بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَنْ لَا أَشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا أُسْرِقَ [وَلَا أَزْنِي] وَلَا أَقْتُلَ وَكَأَنِّي وَلَا آتِي بِبُهْتَانٍ أَفْتَرِيهِ بَيْنَ يَدَيْ وَرَجُلِيَّ وَلَا أَعْصِي فِي مَعْرُوفٍ فَوْفَيْتَ لِرَبِّي وَوَفَا لِي رَبِّي فَوَاللَّهِ لَا يُعَذِّبُنِي اللَّهُ فَأَتَاهَا فِي الْمَنَامِ مَلِكٌ فَقَالَ لَهَا: كَلَا إِنَّكَ تَتَّبَرِّجِينَ وَزَيْتِكَ تَبْدِينَ وَخَيْرِكَ تَكْنَدِينَ<sup>(٤)</sup> وَجَارِكَ تُؤْذِينَ وَزَوْجِكَ

(١) كذا في الأصل، ووقع في الجامع لمعمر: وتلك الشحمة في يدها، وهي تضرب بها في يدها الأخرى.  
(٢) في الأصل بياض في هذا الموضع قدر كلمتين، والمثبت من (ش) و(ف). وفي النسخ المطبوعة: فنوديت من فوقه.

(٣) موسى بن عبيدة لم يتبين لي من هو، فإن كان الربذي فهو ضعيف إلا أنني لم أجده له رواية عن صفية بنت شيبة ولا روى عنه واصل مولى أبي عيينة، وفي ترجمة واصل مولى أبي عيينة من "تهذيب الكمال" أنه روى عن موسى بن عبيد صاحب ميمون بن مهران ولم أجده له ترجمة أيضًا.

• وهذا الأثر قد أخرجه معمر في الجامع: (١١/٣٧٠)، ومن طريقة الحاكم: (٤/٤٧٢)، والبيهقي في "الشعب": (٢/٣٥٠) عن معمر قال: حدثني شيخ لنا أن امرأة جاءت إلى بعض أزواج النبي ﷺ فقالت: ادعي الله أن يطلق لي يدي.... فذكر هذه القصة، وإسناده ضعيف لإبهام هذا الشيخ.  
(٤) قوله: (تكندين) الكنود هو كفران النعمة وجحودها، "لسان العرب" (كند).

تعصين ثم وضع أصابعه الخمس على وجهها وقال خمس بخمس وكو زدت زدناك فأصبت وأثر الأصابع في وجهها<sup>(١)</sup>.

وقال عبد الرحمن بن القاسم صاحب مالك: سمعت مالكاً يقول: إن يعقوب بن عبد الله بن الأشج كان من خيار هذه الأمة نام في اليوم الذي استشهد فيه فقال لأصحابه: إني قد رأيت أمراً ولا أخبرنّه. إني رأيت كأنني أدخلت الجنة فسقيت لبناً فاستقاء فقاء اللبن واستشهد بعد ذلك<sup>(٢)</sup>.

<sup>(١)</sup> (معضل ضعيف) سعيد بن مسلمة ضعيف وبينه وبين عائشة أكثر من واحد، وقد أخرج الحاكم في «المستدرک»: (٤/ ٣٩٤-٣٩٥)، نحواً من هذه القصة، وليس فيها موضع الشاهد.

<sup>(٢)</sup> هذه القصة أخرجهما النسوي في «المعرفة»: (١/ ٦٦١-٦٦٢)، فقال: حدثنا زيد بن بشر حدثنا شعيب بن يحيى قال: قدم يعقوب بن الأشج... فذكر قصة مطولة وفيها ما ذكرها هنا، وظاهر الإسناد أنه حسن فإن زيد بن بشر هو أبو بشر الحضرمي ثقة، وشعيب بن يحيى هو ابن السائب التميمي المصري قال الحافظ: صدوق عابد، إلا أنه يغلب على الظن أنه منقطع بين شعيب ويعقوب فإن شعيباً من العاشرة توفي سنة (٢١١)، وقيل: (٢١٥)، ويعقوب من الخامسة توفي سنة: (١٢٢)، والله أعلم وللقصة إسناد آخر وهو الذي ذكره المصنف وذكره أيضاً ابن حجر.

قال الحافظ ابن حجر في «تهذيب التهذيب» ترجمة يعقوب: وقال عيسى بن دينار سمعت ابن القاسم يقول بلغني عن يعقوب بن عبد الله بن الأشج وكان من خيار هذه الأمة فذكر قصة قال: ولقد سمعت مالكا وغيره.... فذكر هذه القصة.

وهذا الإسناد الذي عندنا رجاله ثقات لكن يحتاج إلى نظر في من قبل عيسى بن دينار والله أعلم. وقد ذكر ابن قتيبة في «غريب الحديث»: (١/ ٦٢٣)، أن هذه القصة جاءت عن عطاء بن يسار فقال: ومنه حديث روي عن عطاء بن يسار أنه كان في سفينة في البحر فنام ثم استيقظ فقال: رأيت أنني أُدخِلت الجنة فسقيت فيها لبناً فقال لي بعض القوم: أفسمت عليك لما تقيأت فقاء لبناً يصد وما في السفينة لبن ولا شاة. ١. هـ ولم أقف على إسناده فالله أعلم.

قَالَ ابْنُ الْقَاسِمِ: كَانَ فِي غَزْوَةِ فِي الْبَحْرِ بِمَوْضِعِ لَا لَبْنِ فِيهِ. وَقَدْ سَمِعْتُ غَيْرَ مَالِكٍ يَذْكُرُهُ وَيَذْكُرُ أَنَّهُ مَعْرُوفٌ، فَقَالَ: إِنِّي رَأَيْتُ كَأَنِّي أَدْخَلْتُ الْجَنَّةَ فَسُقِيتُ فِيهَا لَبْنًا فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْقَوْمِ: أَفَسَمْتَ عَلَيْكَ لِمَا تَقِيَاتُ فِقَاءَ لَبْنًا يَصْلِدُ، وَمَا فِي السَّفِينَةِ لَبْنٌ وَلَا شَاةٌ.

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ<sup>(١)</sup>: قَوْلُهُ: يَصْلِدُ أَي: يَبْرُقُ يُقَالُ صَلَدَ اللَّبْنُ يَصْلِدُ، وَمِنْهُ حَدِيثُ عُمَرَ: أَنَّ الطَّبِيبَ سَقَاهُ لَبْنًا، فَخَرَجَ مِنَ الطَّعْنَةِ أبيضَ يَصْلِدُ<sup>(٢)</sup>.

وَكَانَ نَافِعُ الْقَارِي إِذَا تَكَلَّمَ يُشَمُّ مِنْ فِيهِ رَائِحَةَ الْمَسْكِ فَتَقِيلُ لَهُ: كَلِمًا قَعَدْتَ تَطْيِيتَ؟ فَقَالَ: مَا أَمَسُّ طَيِّبًا وَلَا أَقْرَبَهُ، وَلَكِنْ رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي الْمَنَامِ وَهُوَ يَقْرَأُ فِي فَمِي فَمَنْ ذَلِكَ الْوَقْتُ يَشَمُّ مِنْ فِي هَذِهِ الرَّائِحَةِ<sup>(٣)</sup>.

وَذَكَرَ مُسْعِدَةَ فِي كِتَابِهِ فِي «الرُّؤْيَا» عَنْ رَبِيعِ بْنِ يَزِيدِ الرَّقَاشِيِّ قَالَ: أَتَانِي رَجُلَانِ فَقَعَدَا إِلَيَّ فَاغْتَابَا رَجُلًا فَنَهَيْتُهُمَا فَاتَّانِي أَحَدُهُمَا بَعْدَ فَقَالَ: إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ زَنْجِيًّا

<sup>(١)</sup> هو أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري وقيل المروزي صاحب «التصانيف» توفي سنة: (٢٧٦)، انظر «سير أعلام النبلاء»: (٢٩٦/١٣) وكلامه هذا في كتابه «غريب الحديث»: (٦٢٣/١).

<sup>(٢)</sup> (صحيح) أخرجه أحمد: (٤٢/١)، وابن سعد في «الطبقات»: (٣/٣٤٥) مطولاً من طريق يعقوب حدثني أبي عن صالح بن كيسان قال ابن شهاب فقال: سالم فسمعت عبدالله بن عمر يقول... فذكره، وهذا إسناد على شرط الشيخين.

والحديث أخرجه البخاري: (٣٧٠٠) بلفظ: فأتي بنبيذ فشربه فخرج من جوفه ثم أتى بلبن فشربه فخرج من جرحه.

<sup>(٣)</sup> (ضعيف) ذكره ابن الجزري في «غاية النهاية» في «طبقات القراء»: (٣٣٢/٢) من طريق علي بن الحسن المعدل حدثنا محمد بن علي حدثنا محمد بن سعيد حدثنا أحمد بن هلال قال: قال لي الشيباني قال رجل ممن قرأ على نافع... فذكره، وهذا إسناد ضعيف لإبهام هذا الرجل الذي قرأ على نافع.

أَتَانِي بَطْبِقَ عَلَيْهِ جَنْبَ خِنْزِيرٍ لَمْ أَرُ لَحْمًا قَطُّ أَسْمَنُ مِنْهُ فَقَالَ لِي: كُلْ فَقُلْتُ: آكَلْتُ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَتَهْدِدُنِي فَأَكَلْتُ فَأَصْبَحْتُ وَقَدْ تَغَيَّرَ فَمِي فَلَمْ يَزَلْ يَجِدُ الرِّيحَ فِي فَمِهِ شَهْرَيْنِ<sup>(١)</sup>.  
وَكَانَ الْعَلَاءُ بْنُ زِيَادَ لَهُ وَقْتُ يَقُومُ فِيهِ فَقَالَ لِأَهْلِهِ تِلْكَ اللَّيْلَةُ: إِنِّي أَجِدُ فِتْرَةَ فَإِذَا كَانَ وَقْتُ كَذَا فَأَيْقِظُونِي فَلَمْ يَفْعَلُوا قَالَ: فَأَتَانِي آتٍ فِي مَنْامِي فَقَالَ: قُمْ يَا عَلَاءُ بْنُ زِيَادَ [اذكُرْ]<sup>(٢)</sup> اللهُ يَذْكُرُكَ وَأَخَذَ بِشَعْرَاتِي فِي مَقْدَمِ رَأْسِي فَقَامَتْ تِلْكَ الشَّعْرَاتُ فِي مَقْدَمِ رَأْسِهِ فَلَمْ تَزَلْ قَائِمَةً حَتَّى مَاتَ.

قَالَ يَحْيَى بْنُ بَسْطَامٍ: فَلَقَدْ غَسَلْنَاهُ يَوْمَ مَاتَ وَإِنْهُنَّ لِقِيَامٍ فِي رَأْسِهِ<sup>(٣)</sup>.  
وَذَكَرَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا: عَنْ أَبِي حَاتِمِ الرَّازِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ: كُنَّا بِمَكَّةَ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ قُعُودًا فَقَامَ رَجُلٌ نِصْفُ وَجْهِهِ أَسْوَدٌ وَنِصْفُهُ أَبْيَضٌ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْتَبَرُوا بِي فَإِنِّي كُنْتُ أَتَنَاوَلُ الشَّيْخَيْنِ وَأَشْتَمُهُمَا فَبَيِّنًا أَنَا ذَاتُ كَيْلَةٍ نَائِمٌ إِذْ أَتَانِي آتٍ فَرَفَعَ

<sup>(١)</sup> لم أفق على هذا الأثر ولا على ترجمة لرجاله، وقد أخرج ابن أبي الدنيا في «الصمت»: (١٨٢)، نحوًا من هذه القصة عن خالد الربيعي، وفي الإسناد عبدالله بن أبي بدر شيخ ابن أبي الدنيا مجهول حال ترجم له الخطيب في «تاريخه»: (٤٢٤/٩).

<sup>(٢)</sup> زيادة من الحلية يقتضيها السياق.

<sup>(٣)</sup> أخرجه أبو نعيم في «الحلية»: (٢/٢٤٤)، فقال: حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان حدثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل قال: حدثني محمد بن عبيد بن حساب حدثنا جعفر بن سليمان الضبعي حدثنا هشام بن زياد أخو العلاء بن زياد قال: كان العلاء... فذكره، وليس فيه قول يحيى بن بسطام، وهذا إسناد رجاله ثقات إلا جعفر بن سليمان فصدوق، وإلا هشام بن زياد وقد ذكره ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» وذكر أنه روى عنه ثلاثة، وذكره ابن حبان في «الثقات» وقال: روى عنه أهل البصرة، فهذا الإسناد محتمل للتحسين والله أعلم.



يده فلطم وجهي وقال لي: يا عدو الله يا فاسق ألسنت تسب أبا بكر وعمر رضي الله عنهما فأصبحت وأنا على هذه الحالة<sup>(١)</sup>.

وقال محمد بن عباد المهلبي: رأيت في المنام كآني في رحبة بني فلان وإذا النبي صلى الله عليه وسلم جالس على أكمة ومعه أبو بكر، وعمر واقف فدأمه فقال له عمر: يا رسول الله إن هذا يشتمني ويشتم أبا بكر فقال: جيء به يا أبا حفص فأتى برجل فإذا هو العماني وكان مشهوراً بسبها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: أضجعه فأضجعه ثم قال: اذبحه فذبحه قال: فما نهني إلا صياحه فقلت: مالي لا أخبره عسى أن يتوب فلما تقربت من منزله سمعت بكاء شديداً فقلت: ما هذا البكاء فقالوا: العماني ذبح البارحة على سريره قال: فدنوت من عنقه فإذا من أذنه إلى أذنه طريقة حمراء كالدّم المحصور<sup>(٢)</sup>.

وقال القيرواني: أخبرني شيخ لنا من أهل الفضل قال: أخبرني أبو الحسن المطلبي أمام مسجد النبي صلى الله عليه وسلم قال: رأيت بالمدينة عجبا كان رجل يسب أبا بكر وعمر رضي الله عنهما فبينما نحن يوماً من الأيام بعد صلاة الصبح إذ أقبل رجل وقد خرجت عيناه وسالتنا على خديه فسألناه ما قصتك فقال: رأيت البارحة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي بين يديه

<sup>(١)</sup> أخرجه ابن أبي الدنيا في «المنامات»: (٢٩٢)، وفي «العقوبات»: (٣١٢)، فقال: حدثني محمد بن إدريس حدثني أحمد بن علي: (كذا في «المنامات»، ووقع في «العقوبات» أحمد بن عبد الأعلى)، حدثني أبو روح رجل من الشيعة قال: ... فذكره. ومحمد بن إدريس هو أبو حاتم الرازي، وشيخه أحمد بن علي وذكره ابن القيم هنا محمد بن علي ووقع في «العقوبات» أحمد بن عبد الأعلى.

ولم أر في مشائخ أبي حاتم أحمد بن علي، ولا محمد بن علي، ولا أحمد بن عبد الأعلى، وأبو روح مجهول.  
<sup>(٢)</sup> (لم أرف عليه) هو محمد بن عباد بن عباد المهلبي الأمير روى عن أبيه وهشيم، وعنه إبراهيم الحربي وجماعة، قال الحربي: لم يكن بصيراً بالحدِيث، وذكروا أنه كان يصحّف «لسان الميزان»: (٥/٢١٨).

وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعَمْرٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الَّذِي يُؤْذِنَا وَيَسْبِنَا فَقَالَ لِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: مَنْ أَمْرُكَ بِهَذَا يَا أَبَا قَيْسٍ؟ فَقُلْتُ: لَهُ عَلِيٌّ وَأَشْرَتْ عَلَيْهِ فَأَقْبَلَ عَلِيٌّ عَلِيًّا بِوَجْهِهِ وَيَدَهُ وَقَدْ ضَمَّ أَصَابِعَهُ وَبَسَطَ السَّبَابَةَ وَالْوُسْطَى وَقَصَدَ بِهَا إِلَى عَيْنِي، فَقَالَ لِي: إِنْ كُنْتَ كَذَبْتَ فَفَقَأَ اللَّهُ عَيْنَيْكَ. وَأَدْخَلَ إِصْبِعِيهِ فِي عَيْنِي. فَانْتَبَهْتُ مِنْ نَوْمِي وَأَنَا عَلَى هَذِهِ الْحَالِ. فَكَانَ يَبْكِي وَأَخْبَرَ النَّاسَ وَأَعْلَنَ بِالتَّوْبَةِ<sup>(١)</sup>.

قَالَ الْقَيْرَوَانِي: وَأَخْبَرَنِي شَيْخٌ مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ قَالَ أَخْبَرَنِي فَقِيهِ قَالَ: كَانَ عِنْدَنَا رَجُلٌ يَكْثُرُ الصَّوْمَ وَيَسْرُدُهُ وَلَكِنَّهُ كَانَ يُؤَخِّرُ الْفِطْرَ فَرَأَى فِي الْمَنَامِ أَنَّ أَسْوَدِينَ أَخَذُوا بِضَبْعِيهِ وَأَتَيَا بِهِ إِلَى تَنْوُرٍ مُحْمَى لِيَلْقِيَاهُ فِيهِ. قَالَ: فَقُلْتُ لَهُمَا عَلَى مَاذَا؟ فَقَالَا: عَلَى خِلَافِكَ لِسَنَةِ رَسُولِ اللَّهِ فَإِنَّهُ أَمَرَ بِتَعْجِيلِ الْفِطْرِ وَأَنْتَ تُوَخِّرُهُ قَالَ: فَأَصَحَّ وَجْهَهُ قَدْ اسْوَدَّ مِنْ وَهَجِ النَّارِ فَكَانَ يَمْشِي مَتَرَقِعًا فِي النَّاسِ<sup>(٢)</sup>.

وَأَعْجَبَ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ يَرَى فِي الْمَنَامِ وَهُوَ شَدِيدُ الْعَطَشِ وَالْجُوعِ وَالْأَلْمِ أَنَّ غَيْرَهُ قَدْ سَقَاهُ وَأَطْعَمَهُ أَوْ دَاوَاهُ بِدَوَاءٍ فَيَسْتَيْقِظُ وَقَدْ زَالَ عَنْهُ ذَلِكَ كُلُّهُ. وَقَدْ رَأَى النَّاسُ مِنْ هَذَا عَجَائِبَ.

وَقَدْ ذَكَرَ مَالِكٌ عَنِ أَبِي الرَّجَالِ عَنِ عَمْرَةَ عَنِ عَائِشَةَ: أَنَّ جَارِيَةَ لَهَا سِحْرَتَهَا وَأَنَّ سِنْدِيًّا<sup>(٣)</sup> دَخَلَ عَلَيْهَا وَهِيَ مَرِيضَةٌ فَقَالَ: إِنَّكَ سُحْرَتِ قَالَتْ: وَمَنْ سِحْرَنِي قَالَ: جَارِيَةَ

(١) (ضعيف) لإبهام هذا الشيخ الذي أخبره، وأبو الحسن المطلبي لم أجد له ترجمة.

(٢) (ضعيف) كل رجال الإسناد مبهمون.

(٣) في الأصل و(ش) (سيدها). والمثبت من (ف) وهو الموافق لما في الموطأ.

قوله: (سندياً) أي: رجلاً منسوباً إلى السند: وهي بلاد بين الهند وكرمان وسجستان.

فِي حَجْرِهَا صَبِي قَدْ بَالَ عَلَيْهَا فَدَعَتْ جَارِيَتَهَا فَقَالَتْ: حَتَّى أَغْسَلَ بُولًا فِي ثَوْبِي فَقَالَتْ لَهَا: أَسَحَرْتَنِي قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَتْ: وَمَا دَعَاكَ إِلَى ذَلِكَ قَالَتْ: أَرَدْتُ تَعْجِيلَ الْعَتَقِ، فَأَمَرْتُ أَخَاهَا أَنْ يَبِيعَهَا مِنَ الْأَعْرَابِ مِمَّنْ يَسِيءُ مَلَكَهَا فَبَاعَهَا ثُمَّ إِنَّ عَائِشَةَ رَأَتْ فِي مَنَامِهَا أَنْ اغْتَسَلِي مِنْ ثَلَاثَةِ آبَارٍ يَمُدُّ بَعْضُهَا بَعْضًا فَأَسْتُسْقِي لَهَا فَاغْتَسَلْتُ فَبَرَأْتُ<sup>(١)</sup>.

وَكَانَ سَمَّاكُ بْنُ حَرْبٍ قَدْ ذَهَبَ بَصْرَةَ فَرَأَى إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ فِي الْمَنَامِ فَمَسَحَ عَلَى عَيْنَيْهِ وَقَالَ: أَذْهَبُ إِلَى الْفُرَاتِ فَاغْتَسِمُ فِيهِ ثَلَاثًا، فَفَعَلَ فَأَبْصَرَ<sup>(٢)</sup>.

وَكَانَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ بَلَّالِ الْخَضْرَمِيِّ قَدْ عَمِيَ فَأُتِيَ فِي الْمَنَامِ فَقِيلَ لَهُ: قَلْ يَا قَرِيبُ يَا مُجِيبُ يَا سَمِيعُ الدُّعَاءِ يَا لَطِيفُ لِمَا يَشَاءُ رُدْ عَلَيَّ بَصْرِي، فَقَالَ فَأَبْصَرَ. قَالَ اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ: أَنَا رَأَيْتُهُ قَدْ عَمِيَ ثُمَّ أَبْصَرَ<sup>(٣)</sup>.

وَوَقَعَ عِنْدَ الْحَاكِمِ: (٢١٩/٤): (رَجُلٌ مِنَ الزُّطِّ): وَهَمَّ جَيْلٌ أَسْوَدٌ مِنَ السَّنَدِ تَنْسَبُ إِلَيْهِمُ الثِّيَابُ الزُّطِيَّةُ، «لِسَانَ الْعَرَبِ»: (زَطَطَ).

<sup>(١)</sup> أَخْرَجَهُ مَالِكٌ فِي «الْمَوْطَأِ»: (١١١/٤)، ت. سَلِيمُ الْهَلَالِي، وَمِنْ طَرِيقَةِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ: (١٨٣/١٠)، عَنْ أَبِي الرَّجَالِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أُمِّهِ عَائِشَةَ بِهِ، وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ. وَأَخْرَجَهُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ: (١٨٧٥٠)، وَالْبَيْهَقِيُّ: (١٣٧/٨) مِنْ طَرِيقِ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ عَنْ أَبِي الرَّجَالِ بِهِ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَامَةُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْإِرْوَاءِ»: (١٧٥٧).

<sup>(٢)</sup> أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي كِتَابِهِ «مَجَابِي الدُّعْوَةِ»: (١١١) فَقَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ حَمَادِ بْنِ سَلْمَةَ عَنْ سَمَّاكِ بْنِ حَرْبٍ بِهِ، وَهَذَا إِسْنَادُ رِجَالِهِ ثِقَاتٌ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ هُوَ الْبَرْجَلَانِيُّ تَقَدَّمَ كَثِيرًا وَعَبِيدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ هُوَ الْعَيْشِيُّ ثِقَةٌ، وَانظُرْ «سِيرَ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ»: (٢٤٨/٥)، فَقَدْ ذَكَرَهُ مِنْ طَرِيقِ مَوْمِلِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بِهِ وَلَيْسَ فِيهِ مَسْحُ إِبْرَاهِيمَ عَلَى عَيْنَيْهِ، وَفِيهِ أَنَّهُ أَمَرَ أَنْ يَدْعُوَ اللَّهَ فَفَعَلَ ذَلِكَ.

<sup>(٣)</sup> (ضَعِيفٌ) أَخْرَجَهُ ابْنُ قَتَيْبَةَ فِي كِتَابِهِ «تَعْبِيرُ الرُّؤْيَا»: (ص ٥٩-٦٠)، قَالَ: وَبَلَّغْنِي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَالِحِ بْنِ اللَّيْثِ بِهِ، وَهَذَا إِسْنَادٌ ضَعِيفٌ لضعفِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَالِحِ كَاتِبِ اللَّيْثِ، وَمَعَ ضَعْفِهِ فَهُوَ مَنْقُطَعٌ ابْنُ قَتَيْبَةَ يَقُولُ بَلَّغْنِي.

وَقَالَ عبيد الله بن أبي جَعْفَرٍ: اشتكيت شكوى فجهدت مِنْهَا فَكُنْتَ أَقْرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ فَمَنْتَ فَإِذَا رَجَلَانِ قَائِمَانِ بَيْنَ يَدَيْ فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: إِنَّهُ لَيُقْرَأُ آيَةَ فِيهَا ثَلَاثِينَ وَسِتُّونَ رَحْمَةً أَفَلَا يُصِيبُ هَذَا الْمُسْكِينَ فِيهَا رَحْمَةٌ وَاحِدَةً فَاسْتَيْقِظَتْ فَوَجَدَتْ خَفَّةً<sup>(١)</sup>.

قَالَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا: اعتلت امرأة من أهل الحَيْرِ وَالصَّلَاحِ بوجع المعدة فرأت في المنام قَائِلًا يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْمُغْلَى وشراب الورد فشربته فأذهب الله عنها ما كانت تَجِدُ<sup>(٢)</sup>.

قَالَ: وَقَالَتْ أَيْضًا: رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنِّي أَقُولُ السَّيِّئِ وَالْعَسَلِ وَمَاءَ الْحِمِّصِ الْأَسْوَدِ شِفَاءً لَوْجِعِ الْأَوْزَاكِ فَلَمَّا اسْتَيْقِظَتْ أَتَتْنِي امْرَأَةٌ تَشْكُو وَجَعًا بَوْرِكْهَا فَوَصَفَتْ لَهَا ذَلِكَ فَانْتَفَعْتُ بِهِ<sup>(٣)</sup>.

وَقَالَ جَالِينُوسُ<sup>(٤)</sup>: السَّبَبُ الَّذِي دَعَانِي إِلَى فَصْدِ الْعُرُوقِ الضُّوَارِبِ أَنِّي أَمَرْتُ بِهِ فِي مَنَامِي مَرَّتَيْنِ قَالَ: وَكُنْتُ إِذْ ذَاكَ غُلَامًا قَالَ وَأَعْرَفَ إِنْسَانًا شَفَاهُ اللهُ مِنْ وَجَعٍ كَانَ بِهِ فِي جَنْبِهِ بِفِصْدِ الْعِرْقِ الضَّارِبِ لِرُؤْيَا رَأَاهَا فِي مَنَامِهِ.

(١) (لم أقف عليه) .

(٢) (لم أقف عليه) .

(٣) (لم أقف عليه) .

(٤) هو أشهر الأطباء اليونانيين بعد أبقراط واشتهر بالحكمة والفلسفة، وُلِدَ سنة: (١٣٠م) ، وعاش ثمانيناً وثمانين سنة وله مؤلفات كثيرة في الطب والحكمة، نقلاً عن حاشية "شرح الطحاوية" لابن أبي العز: (١٥١/١) ، ط الرسالة.

وَقَالَ ابْنُ الْجَزَارِ<sup>(١)</sup>: كُنْتُ أَعَالِجُ رَجُلًا مَعْمُودًا<sup>(٢)</sup> فَغَابَ عَنِّي ثُمَّ لَقَيْتَهُ فَسَأَلْتَهُ عَن حَالِهِ فَقَالَ: رَأَيْتَ فِي الْمَنَامِ إِنْسَانًا فِي زِيِّ نَاسِكَ مَتَوَكَّنًا عَلَى عَصَا وَقَفَ عَلَيَّ وَقَالَ: أَنْتَ رَجُلٌ مَعْمُودٌ فَقُلْتُ: نَعَمْ فَقَالَ: عَلَيْكَ بِالْكَيَِّا وَالْجُلْتَنَجِينَ فَأَصْبَحْتُ فَسَأَلْتُ عَنْهُمَا، فَقِيلَ لِي: الْكَيَِّا: الْمُصْطَكِيُّ<sup>(٣)</sup>، وَالْجُلْتَنَجِينَ: الْوَرْدُ الْمَرْبِيُّ بِالْعَسَلِ، فَاسْتَعْمَلْتُهُمَا أَيَّامًا فَبَرَأْتُ فَقُلْتُ لَهُ ذَلِكَ جَالِينُوسَ.

وَالْوَقَائِعُ فِي هَذَا الْبَابِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تَذَكَرَ<sup>(٤)</sup>، [حَتَّى] قَالَ بَعْضُ النَّاسِ: إِنْ أَصَلَ الطَّبُّ مِنَ الْمَنَامَاتِ، وَلَا رَيْبَ أَنْ كَثِيرًا مِنْ أَصُولِهِ مُسْتَتِدٌ إِلَى الرَّؤْيَا كَمَا أَنَّ بَعْضَهَا عَنِ التَّجَارِبِ، وَبَعْضَهَا عَنِ الْقِيَاسِ، وَبَعْضَهَا عَنِ الْهَامِ، وَمَنْ أَرَادَ الْوُقُوفَ عَلَى ذَلِكَ فَلْيَنْظُرْ فِي «تَارِيخِ الْأَطْبَاءِ» وَفِي كِتَابِ «الْبُسْتَانِ» لِلْقَيْرَوَانِيِّ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

<sup>(١)</sup> هو أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد القيرواني أبو جعفر الفيلسوف شيخ الطب تلميذ إسحاق بن سليمان الاسرائيلي من تصانيفه "زاد المسافر" في الطب، و"طب الفقراء"، و"ذم إخراج الدم"، كان حيًّا في دولة المعز بالله، وتوفي المعز بالله: (٣٦٥)، انظر "سير أعلام النبلاء": (١٥ / ٥٦١).

<sup>(٢)</sup> قوله: (معمودًا) أي: مصابًا بمرض في معدته قال في "لسان العرب": (معمود أي: ذربت معدته فلم يستمرئ ما يأكله).

<sup>(٣)</sup> قوله: (المصطكي) المصطكا هو شجر ينبت برِّيًّا في سواحل الشام وبعض الجبال المنخفضة ويستخرج منه علك، والأبيض منه نافع للمعدة والمقعدة والأمعاء والكبد والسعال المزمن شُرْبًا، والنكهة واللثة وتفتيق الشهوة وتفتيح السدد "القاموس" و"المعجم الوسيط": (مصطكا).

<sup>(٤)</sup> ومع كثرتها لا تسمن ولا تغني من جوع، فليت ابن القيم لم يذكر هذه المرائي التي بعضها شبه خرافات، ولم يكتفِ رحمته بالنقل عن مرائي المسلمين حتى نقل عن مرائي اليونان، وهذه المرائي لا حجة فيها - كما تقدم - حتى لو صحت أسانيدها فكيف وأكثرها ضعيف الإسناد، وفي أدلة الكتاب والسنة غُنيَّة عن مثل هذه الأمور والله سبحانه أعلم.

## فصل

الْوَجْهُ الثَّانِي بَعْدَ الْمِائَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ [الأعراف: ٤٠].  
 وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ تَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَهَذَا التَّفْتِيحُ هُوَ تَفْتِيحُهَا لِأَرْوَاحِهِمْ عِنْدَ الْمَوْتِ كَمَا تَقْدَمُ فِي الْأَحَادِيثِ الْمُسْتَفِيضَةِ: أَنَّ السَّمَاءَ تَفْتَحُ لِرُوحِ الْمُؤْمِنِ حَتَّى يُتْتَهَى بِهَا إِلَى بَيْنِ يَدَيْ الرَّبِّ تَعَالَى، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَلَا تَفْتَحُ لِرُوحِهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا تَفْتَحُ لَجَسَدِهِ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ.

## فصل

الْوَجْهُ الثَّلَاثُ بَعْدَ الْمِائَةِ: قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «يَا بَلَالُ مَا دَخَلْتَ الْجَنَّةَ إِلَّا سَمِعْتَ خَشْخَشَتَكَ بَيْنَ يَدَيْ فِيمَ ذَاكَ؟»، قَالَ: مَا أَحْدَثْتُ فِي لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ إِلَّا تَوَضَّأْتُ وَصَلَيْتُ رَكَعَتَيْنِ، قَالَ: «بِهَا»<sup>(١)</sup>.  
 وَمَعْلُومٌ أَيُّ: الَّذِي سَمِعَ خَشْخَشَتَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ هُوَ رُوحُ بَلَالٍ وَإِلَّا فَجَسَدُهُ لَمْ يَنْقَلِ إِلَى الْجَنَّةِ.

[الْوَجْهُ] الرَّابِعُ بَعْدَ الْمِائَةِ: الْأَحَادِيثُ وَالْآثَارُ الَّتِي فِي زِيَارَةِ الْقُبُورِ وَالسَّلَامِ عَلَى أَهْلِهَا وَمَخَاطَبَتِهِمْ وَالْأَخْبَارَ عَنِ مَعْرِفَتِهِمْ بِزَوَارِهِمْ وَرُدِّهِمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامَ، وَقَدْ تَقَدَّمَتِ الْإِشَارَةُ إِلَيْهَا<sup>(١)</sup>.

<sup>(١)</sup> (صحيح) بهذا اللفظ أخرجه أحمد: (٣٥٤/٥)، والترمذي: (٣٦٨٩) من طريق حسين بن واقد أخبرني عبد الله بن بريدة قال: سمعت أبي بريدة يقول فذكره، وإسناده حسن.  
 وأصل الحديث أخرجه البخاري: (١١٤٩)، ومسلم: (٢٤٥٨)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.  
 وأخرجه البخاري: (٣٦٧٩)، ومسلم: (٢٤٥٧) عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

**الوجه الخامس بعد المائة:** شكاية كثير من أرواح الموتى إلى أقاربهم وغيرهم أمورًا مؤذية فيجدونها كما شكوه فيزيلونها.

**الوجه السادس بعد المائة:** لو كانت الروح عبارة عن عرض من أعراض البدن أو جوهر مجرد ليس بجسم ولا حال فيه لكان قول القائل: خرجت وذهبت، وقمت وجئت، وقعدت وتحركت، ودخلت ورجعت، ونحو ذلك كله أقوالاً باطلة؛ لأن هذه الصفات ممتنعة الثبوت في حق الأعراض والمجردات، وكل عاقل يعلم صدق قوله وقول غيره ذلك، فالقدح في ذلك قدح في أظهر المعلومات فهو من باب السفسطة<sup>(١)</sup>.

ولا يقال حاصل هذا الدليل التمسك بالفاظ الناس وإطلاقاتهم وهي تحتمل الحقيقة والمجاز، فلعل مرادهم دخل جسمي وخرج، لأننا إنما استدللنا بشهادة العقل والفطرة بمعاني هذه الالفاظ فكل أحد يشهد عقله وحسه بأنه هو الذي دخل وخرج وانتقل لا مجرد بدنه، فشهادة الحس والعقل بمعاني هذه الالفاظ وإضافتها إلى الروح أصلاً وإلى البدن تبعاً من أصدق الشهادات، والاعتقاد على ذلك مجرد الإطلاق اللفظي.

**الوجه السابع بعد المائة:** أن البدن مركب ومحل لتصرف النفس، فكان دخول البدن وخروجه وانتقاله جارياً مجرى دخول مركبه من فرسه ودابته فلو كانت النفس

(١) راجع الكلام على هذه المسألة في المسألة الأولى من هذا الكتاب.

(٢) السفسطة: هي قياس مركب من الوهميات والغرض منه تغليب الخصم وإسكاته، "التعريفات" للدرجاني. وفي معجم اللغة العربية المعاصرة: سفسط الشخص: غالط في جداله وأتى بحكمة مضللة، جادل بالخطأ والتضليل. والسوفسطائية هم الذين ينكرون العلوم لهوس.

غير قابله للدخول والخروج والانتقال والحركة والسكون لكان ذلك بمنزلة دخول مركب الإنسان إلى الدار وخروجه منها دون دخوله هو، وهذا معلوم البطلان بالضرورة وكل أحد يعلم أن نفسه وروحه هي التي دخلت وخرجت وانتقلت وصرفت البدن وجعلته تبعاً لها في الدخول والخروج فهو لها بالأصل وللبدن بالتبع لكنه للبدن بالمشاهدة وللروح بالعلم والعقل.

**الوجه الثامن بعد المائة:** أن النفس لو كانت كما يقوله من يقول: إنهما عرض لكان الإنسان كل وقت قد تبدل مائة ألف نفس أو أكثر، والإنسان إنما هو إنسان بروحه ونفسه لا ببدنه، وكان الإنسان الذي هو الإنسان غير الذي قبله بلحظة وبعده بلحظة، وهذا من نوع الهوس<sup>(١)</sup>، ولو كانت الروح مجردة تعلقها بالبدن بالتدبير فقط لا بالمساكنة والمداخلة لم يمتنع أن ينقطع تعلقها بهذا البدن وتتعلق بغيره كما يجوز انقطاع تدبير المدبر لبيت أو مدينة عنها ويتعلق بتدبير غيرها، وعلى هذا التقدير فنصير شاكين في أن هذه النفس التي لزيد هي النفس الأولى أو غيرها، وهل زيد هو ذلك الرجل أم غيره؟ وعاقل لا يجوز ذلك فلو كانت الروح عرضاً أو أمراً مجرداً لحصل الشك المذكور.

**الوجه التاسع بعد المائة:** أن كل أحد يقطع أن نفسه موصوفة بالعلم، والفكر، والحب، والبغض، والرضا، والسخط وغيرها من الأحوال النفسانية، ويعلم أن الموصوف بذلك ليس عرضاً من أعراض بدنه ولا جوهرًا مجردًا منفصلاً عن بدنه غير محايث له، ويقطع ضرورة بأن هذه الإدراكات لأمر داخل في بدنه كما يقطع بأنه إذا سمع وأبصر وشم وذاق ولمس وتحرك وسكن فتلك أمور قائمة به مضافة إلى نفسه،

(١) الهوس بفتحيتين طرف من الجنون، "مختار الصحاح": (هوس).



وَأَنْ جَوْهَرَ النَّفْسِ هُوَ الَّذِي قَامَ بِهِ ذَلِكَ كُلُّهُ لَمْ يَقُمْ بِمُجَرَّدِهِ وَلَا بِعَرَضٍ بَلْ قَامَ بِمُتَحَيِّزٍ دَاخِلِ الْعَالَمِ مُنْتَقِلٍ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ يَتَحَرَّكُ وَيَسْكُنُ وَيَخْرُجُ وَيَدْخُلُ وَلَيْسَ إِلَّا هَذَا الْبَدَنَ وَالْجِسْمَ السَّارِي فِيهِ الْمَشَابِكُ لَهُ الَّذِي لَوْلَاهُ لَكَانَ بِمَنْزِلَةِ الْجَمَادِ.

**الرَّوْجُ الْعَاشِرُ بَعْدَ الْمِائَةِ:** أَنَّ النَّفْسَ لَوْ كَانَتْ مُجَرَّدَةً، [وَأَنَّ تَعْلُقَهَا بِالْبَدَنِ تَعْلُقُ التَّدْبِيرِ فَقَطَّ كَتَعْلُقِ الْمَلَّاحِ بِالسَّفِينَةِ وَالْجَمَّالِ بِجَمَلِهِ لِأَمْكِنَهَا تَرَكَ تَدْبِيرَ هَذَا الْبَدَنِ وَاشْتَغَالَهَا بِتَدْبِيرِ بَدَنِ آخَرَ كَمَا يُمَكِّنُ الْمَلَّاحُ وَالْجَمَّالُ ذَلِكَ، [وَفِي ذَلِكَ] تَجْوِيزَ تَنْقُلِ النَّفْسُ مِنْ أَدْبَانٍ إِلَى أَدْبَانٍ.

وَلَا يُقَالُ: إِنَّ النَّفْسَ اتَّحَدَتْ بِبَدَنِهَا فَامْتَنَعَ عَلَيْهَا الْإِنْتِقَالَ، أَوْ أَنَّهَا لَهَا عَشَقٌ طَبِيعِيٌّ وَشَوْقٌ ذَاتِيٌّ إِلَى تَدْبِيرِ هَذَا الْبَدَنِ، فَلِهَذَا السَّبَبُ امْتَنَعَ انْتِقَالُهَا. لِأَنَّا نَقُولُ: اتَّحَادٌ مَا لَا يَتَحَيِّزُ بِالْمُتَحَيِّزِ مَحَالٌ؛ وَلَا تَمَّتْ لَوْ اتَّحَدَتْ بِهِ لَبَطَلَتْ بِبُطْلَانِهِ؛ وَلَا تَمَّتْ بَعْدَ الْإِتِّحَادِ إِنْ بَقِيَ فِيهَا اثْنَانِ لَا وَاحِدٍ، وَإِنْ عَدَمَا مَعًا وَحَدَثَ ثَالِثٌ فَلَيْسَ مِنَ الْإِتِّحَادِ فِي شَيْءٍ، وَإِنْ بَقِيَ أَحَدُهُمَا وَعُدِمَ الْآخَرُ فَلَيْسَ بِاتِّحَادٍ أَيْضًا.

وَأَمَّا عَشَقُ النَّفْسِ الطَّبِيعِيُّ لِلْبَدَنِ فَالْتَّفُسُ إِتْمًا تَعَشَّقُهُ؛ لِأَنَّهَا تَنَالُ اللَّذَاتِ بِوِاسِطَتِهِ، وَإِذَا كَانَتْ الْأَبْدَانُ مُتَسَاوِيَةً فِي حُصُولِ مَطْلُوبِهَا كَانَتْ نَسَبَتُهَا إِلَيْهَا عَلَى السَّوَاءِ. فَقَوْلُكُمْ: إِنَّ النَّفْسَ الْمَعِينَةَ عَاشِقَةً لِلْبَدَنِ الْمَعِينِ بَاطِلٌ. وَمِثَالُ ذَلِكَ: الْعَطْشَانُ إِذَا صَادَفَ أَيْةً مُتَسَاوِيَةً كُلِّ مِنْهَا يُحْصِلُ غَرَضَهُ امْتَنَعَ عَلَيْهِ أَنْ يَعِشُقَ وَاحِدًا مِنْهَا بِعَيْنِهِ دُونَ سَائِرِهَا.

**الرَّوْجُ الْحَادِي عَشَرَ بَعْدَ الْمِائَةِ:** أَنَّ نَفْسَ الْإِنْسَانِ لَوْ كَانَتْ جَوْهَرًا مُجَرَّدًا لَا دَاخِلَ الْعَالَمِ وَلَا خَارِجَهُ وَلَا مُتَّصِلَةً بِالْعَالَمِ وَلَا مُنْفَصِلَةً عَنْهُ وَلَا مَبَايِنَةً وَلَا مُحَايِثَةً لَكَانَ يَعْلَمُ بِالضَّرُورَةِ أَنَّهُ مَوْجُودٌ بِهَذِهِ الصِّفَةِ؛ لِأَنَّ عِلْمَ الْإِنْسَانِ بِنَفْسِهِ وَصِفَاتِهَا أَظْهَرَ مِنْ كُلِّ مَعْلُومٍ، وَأَنَّ عِلْمَهُ بِمَا عَدَاهُ تَابِعٌ لِعِلْمِهِ بِنَفْسِهِ، وَمَعْلُومٌ قَطْعًا أَنَّ ذَلِكَ بَاطِلٌ فَإِنَّ جَمَاهِيرَ

أهل الأرض يعلمون أن إثبات هذا الموجود محال في العقول شاهداً وغائباً فمن قال ذلك في نفسه وربه فلا نفسه عرف ولا ربه عرف.

**الوجه الثاني عشر بعد المائة:** أن هذا البدن المشاهد محل لجميع صفات النفس وإدراكاتها الكلية والجزئية، ومحل للقدرة على الحركات الإرادية، فوجب أن يكون الحامل لتلك الإدراكات والصفات هو البدن وما سكن فيه، فأما أن يكون محلها جوهرًا مجردًا لا داخل العالم ولا خارجه فباطل بالضرورة.

**الوجه الثالث عشر بعد المائة:** أن النفس لو كانت مجردة عن الحجمية والتحيز لامتنع أن يتوقف فعلها على مماسة محل الفعل؛ لأن ما لا يكون متحيزًا يمتنع أن يصير مماسًا للمتحيز، ولو كان الأمر كذلك لكان فعلها على سبيل الاختراع من غير حاجة إلى حصول مماسة وملاقاة بين الفاعل وبين محل الفعل، فكان الواحد منا يقدر على تحريك الأجسام من غير أن يماسها أو يماس شيئًا يماسها، فإن النفس عندكم كما كانت قادرة على تحريك البدن من غير [أن يكون بينها وبينه مماسة كذلك لا تمتنع قدرتها على تحريك جسم غيره من غير مماسة له] ولا لما يماسه وذلك باطل بالضرورة، فعلم أن النفس لا تقوى على التحريك إلا بشرط أن تماس محل الحركة أو تماس ما يماسه وكل ما كان مماسًا للجسم أو لما يماسه فهو جسم.

فإن قيل: يجوز أن يكون تأثير النفس في تحريك بدنها الخاص غير مشروط بالمماسية وتأثيرها في تحريك غيره موقوف على حصول المماسية بين بدنها وبين ذلك الجسم؟

فالجواب: أنه لما كان قبول البدن لتصرفات النفس لا يتوقف على حصول المماسية بين النفس وبين البدن وجب أن تكون الحال كذلك في غيره من الأجسام؛ لأن الأجسام متساوية في قبول الحركة ونسبة النفس إلى جميعها سواء؛ لأنها إذا كانت مجردة عن الحجمية وعلائق الحجمية كانت نسبة ذاتها إلى الكل بالسوية، ومتى [كانت ذات

الْفَاعِلِ نَسْبَتَهَا إِلَى الْكُلِّ بِالسَّوِيَّةِ] والقوابل نسبتها إِلَى ذَلِكَ الْفَاعِلِ بِالسَّوِيَّةِ؟ كَانَ التَّأثيرِ بِالنَّسْبَةِ إِلَى الْكُلِّ عَلَى السَّوَاءِ، فَإِذَا اسْتغْنَى الْفَاعِلُ عَنِ مِمَاسَةِ مَحَلِّ الْفِعْلِ فِي حَقِّ الْبَعْضِ وَجِبَ أَنْ يَسْتغْنَى فِي حَقِّ الْجَمِيعِ وَإِنْ افْتَقَرَ إِلَى الْمِمَاسَةِ فِي الْبَعْضِ وَجِبَ افْتِقَارُهُ فِي الْجَمِيعِ.

فَإِنْ قِيلَ: النَّفْسُ عَاشِقَةٌ هَذَا الْبَدَنِ دُونَ غَيْرِهِ فَكَانَ تَأثيرُهَا فِيهِ أَقْوَى [مِنْ تَأثيرِهَا فِي غَيْرِهِ قِيلَ: هَذَا الْعِشْقُ الشَّدِيدُ يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ تَعَلُّقُهَا بِالْبَدَنِ أَكْثَرَ وَتَصَرُّفُهَا فِيهِ أَقْوَى] فَأَمَّا أَنْ يَتَغَيَّرَ مُقْتَضَى ذَاتِهَا بِالنَّسْبَةِ إِلَى هَذِهِ الْأَجْسَامِ فَذَلِكَ مَحَالٌ وَهَذَا دَلِيلٌ فِي غَايَةِ الْقُوَّةِ.

**الْوَجْهَ الرَّابِعَ عَشَرَ بَعْدَ الْمِائَةِ:** أَنَّ الْعُقَلَاءَ كُلَّهُمْ مَتَفَقُونَ عَلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ هُوَ هَذَا الْحَيِّ النَّاطِقِ الْمُتَغَذِّي النَّامِي الْحَسَّاسِ الْمُتَحَرِّكِ بِالْإِرَادَةِ، وَهَذِهِ الصِّفَاتُ نَوْعَانِ: صِفَاتُ لَبَدْنِهِ، وَصِفَاتُ لِرُوحِهِ وَنَفْسِهِ النَّاطِقَةِ، فَلَوْ كَانَتْ الرُّوحُ جَوْهَرًا مُجَرَّدًا لَا دَاخِلَ الْعَالَمِ وَلَا خَارِجَهُ وَلَا مُتَّصِلَةً بِهِ وَلَا مُنْفَصِلَةً عَنْهُ [لَكَانَ الْإِنْسَانُ لَا دَاخِلَ الْعَالَمِ وَلَا خَارِجَهُ وَلَا مُتَّصِلًا بِهِ وَلَا مُنْفَصِلًا عَنْهُ]، أَوْ كَانَ بَعْضُهُ فِي الْعَالَمِ وَبَعْضُهُ لَا خَارِجَ الْعَالَمِ وَلَا دَاخِلَهُ، وَكُلُّ عَاقِلٍ يَعْلَمُ بِالضَّرُورَةِ بَطْلَانَ ذَلِكَ وَأَنَّ الْإِنْسَانَ بِجَمَلَتِهِ دَاخِلَ الْعَالَمِ بَدَنَهُ وَرُوحَهُ، وَهَذَا فِي الْبَطْلَانِ يَضَاهِي قَوْلَ مَنْ قَالَ: أَنَّ نَفْسَهُ قَدِيمَةٌ غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ فَجَعَلُوا نِصْفَ الْإِنْسَانِ مَخْلُوقًا وَنِصْفَهُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ.

فَإِنْ قِيلَ: نَحْنُ نَسْلَمُ أَنَّ الْإِنْسَانَ كَمَا ذَكَرْتُمْ إِلَّا أَنَّا نُنْثَبِتُ جَوْهَرًا مُجَرَّدًا يَدْبُرُ الْإِنْسَانَ الْمَوْصُوفَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ.

قُلْنَا: فَذَلِكَ الْجَوْهَرُ الَّذِي أَثْبَتْنَاهُ مُغَايِرٌ لِلْإِنْسَانِ، أَمْ هُوَ حَقِيقَةٌ الْإِنْسَانِ وَلَا بُدَّ لَكُمْ مِنْ أَحَدِ الْأَمْرَيْنِ.

فَإِنْ قُلْتُمْ: [هو حقيقة الإنسان تناقضتم تناقضاً بيناً وإن قلتم:] هُوَ غَيْرُ الْإِنْسَانِ رَجَعَ كَلَامُكُمْ إِلَى أَنْكُمْ أَثَبْتُمْ لِلْإِنْسَانِ مُدَبِّرًا غَيْرَهُ سَمِيْتُمُوهُ نَفْسًا. وَكَلَامُنَا الْآنَ إِنَّمَا هُوَ [فِي] حَقِيقَةِ الْإِنْسَانِ لَا فِي مُدْبِرِهِ، فَإِنَّ مُدْبِرَ الْإِنْسَانِ وَجَمِيعَ الْعَالَمِ الْعُلُويِّ وَالسُّفْلِيِّ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ.

**الوجه الخامس عشر بعد المائة:** أَنْ كُلَّ عَاقِلٍ إِذَا قِيلَ لَهُ مَا الْإِنْسَانُ؟ فَإِنَّهُ يُشِيرُ إِلَى هَذِهِ الْبَنِيَةِ وَمَا قَامَ بِهَا لَا يَخْطُرُ بِيَالِهِ أَمْرًا مُغَايِرًا لَهَا مُجْرَدًا<sup>(١)</sup> لَيْسَ فِي الْعَالَمِ وَلَا خَارِجَهُ وَالْعِلْمُ بِذَلِكَ ضَرُورِيٌّ لَا يَقْبَلُ شَكًّا وَلَا تَشْكِيكًا.

**الوجه السادس عشر بعد المائة:** أَنْ عُقُولَ الْعَالَمِينَ قَاضِيهِ بِأَنَّ الْخُطَابَ مُتَوَجِّهٌ إِلَى هَذِهِ الْبَنِيَةِ وَمَا قَامَ بِهَا وَسَاكِنُهَا، وَكَذَلِكَ الْمَدْحُ وَالذَّمُّ وَالثُّوَابُ وَالْعِقَابُ وَالرَّغْبُوبُ وَالرَّهْبُوبُ، وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: الْمَأْمُورُ [و] الْمَنْهِي وَالْمَدْمُومُ وَالْمَخَاطَبُ [و] الْعَاقِلُ جَوْهَرٌ مُجْرَدٌ لَيْسَ فِي الْعَالَمِ وَلَا خَارِجَهُ وَلَا مُتَّصِلٌ بِهِ وَلَا مُتَّفَصِّلٌ عَنْهُ لِأَضْحَكِ الْعُقَلَاءِ عَلَى عَقْلِهِ وَلَا طَبَقُوا عَلَى تَكْذِيبِهِ، وَكُلُّ مَا شَهِدَتْ بِدَائِهِ الْعُقُولُ<sup>(٢)</sup> وَصَرَاحُهَا بِبُطْلَانِهِ كَانَ الْإِسْتِدْلَالَ عَلَى ثُبُوتِهِ اسْتِدْلَالًا عَلَى صِحَّةِ وَجُودِ الْمَحَالِّ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.

## فصل

### [أدلة المنازعين]

(١) كذا في كل النسخ، ووقع في النسخ المطبوعة: (لا يخطر بباله أمرٌ مغايرٌ لها مجرد). والذي وقع في النسخ الخطية له وجه ظاهرٌ وهو النصب على الحال.

(٢) بدائمه جمع بديهة وبداهة: وهي أول كل شيء وما يفجأ منه وفلان صاحب بديهة أي: يصيب الرأي في أول ما يفجأ به، "لسان العرب": (بده).

فإن قيل: قد ذكرتم الأدلة الدالة على جسميتها وتحيزها، فما جوابكم عن أدلة المنازعين لكم في ذلك؟ فإيهم استدلووا بوجوه<sup>(١)</sup>:

أحدها: اتِّفَاقُ الْعُقَلَاءِ عَلَى قَوْلِهِمُ الرُّوحَ وَالْجِسْمَ، وَالنَّفْسَ وَالْجِسْمَ، فَيَجْعَلُونَهَا شَيْئًا غَيْرَ الْجِسْمِ فَلَوْ كَانَتْ جِسْمًا لَمْ يَكُنْ لِهَذَا الْقَوْلِ مَعْنَى.

الثاني: وَهُوَ أَقْوَى مَا يَحْتَجُونَ بِهِ أَنَّهُ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ فِي الْمَوْجُودَاتِ مَا هُوَ غَيْرُ قَابِلٍ لِلْقِسْمَةِ كَالنَّقْطَةِ وَالْجَوْهَرِ الْفَرْدِ بِلِذَاتِهَا وَاجِبِ الْوُجُودِ، فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ الْعِلْمُ [بِذَلِكَ غَيْرُ قَابِلٍ لِلْقِسْمَةِ فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ الْمَوْصُوفُ بِذَلِكَ الْعِلْمِ] - وَهُوَ مَحَلُّهُ - غَيْرُ قَابِلٍ لِلْقِسْمَةِ وَهُوَ النَّفْسُ، فَلَوْ كَانَتْ جِسْمًا لَكَانَتْ قَابِلَةً لِلْقِسْمَةِ.

ويقرّر هذا الدليل على وجه آخر: وَهُوَ أَنَّ مَحَلَّ الْعُلُومِ الْكُلِّيَّةِ لَوْ كَانَ جِسْمًا أَوْ جِسْمَانِيًّا لَانْقَسَمَتْ تِلْكَ الْعُلُومُ؛ لِأَنَّ الْحَالَ فِي الْمُنْقَسَمِ مَنْقَسَمٌ، وَانْقِسَامُ تِلْكَ الْعُلُومِ مُسْتَحِيلٌ.

الثالث: أَنَّ الصُّورَ الْعَقْلِيَّةَ الْكُلِّيَّةَ مُجَرَّدَةٌ بِلَا شَكٍّ وَتَجْرَدُهَا إِمَّا أَنْ يَكُونَ سَبَبُ الْمَأْخُوذِ عَنْهُ أَوْ بِسَبَبِ الْآخِذِ، وَالْأَوَّلُ بَاطِلٌ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الصُّورَ إِنَّمَا أَخَذَتْ عَنِ الْأَشْخَاصِ الْمَوْصُوفَةِ بِالْمَقَادِيرِ الْمُخْتَلَفَةِ وَالْأَوْضَاعِ الْمَعِينَةِ فَثَبَّتَ أَنْ تَجْرَدُهَا إِنَّمَا هُوَ بِسَبَبِ الْآخِذِ لَهَا وَهُوَ الْقُوَّةُ الْعَقْلِيَّةُ الْمُسَمَّاةُ بِالنَّفْسِ.

(١) وكل هذه الوجوه التي استدلووا بها كلام فلسفي عقلائي لا يستند إلى كتاب ولا إلى سنة وإنما هو شبهة عقلائية لم يكن بحاجة إلى ذكرها هاهنا، ولكن إنها ذكرها للرد عليها وبيان بطلانها وزيفها وفيها تقدم من أدلة الكتاب والسنة كفاية لمن رزقه الله الهداية والله أعلم.

**الرابع:** أن القوة العاقلة تقوى على أفعال غير متناهية فإتّما تقوى على إدراكات لا تتناهي والقوة الجسمانية لا تقوى على أفعال غير متناهية؛ لأن القوة الجسمانية تنقسم بانقسام محلها فالذي يقوى عليه بعضها يجب أن يكون أقل من الذي يقوى عليه كلها، فالذي يقوى عليه الكل يزيد على الذي يقوى عليه البعض أضعافاً متناهية، والزائد على المتناهي بمتناهٍ متناهٍ.

**الخامس:** أن القوة العاقلة لو كانت حالة في آلة جسمانية لوجب أن تكون القوة العاقلة دائمة الإدراك لتلك الآلة أو ممتنعة الإدراك لها بالكليّة وكلاهما باطل؛ لأن إدراك القوة العاقلة لتلك الآلة إن كان عين وجودها فهو محال، وإن كان صورة مساوية لوجودها وهي حالة في القوة العقلية الحادثة في تلك الآلة لزم اجتماع صورتين متماثلتين وهو محال.

وإذا بطل هذا ثبت أن القوة العاقلة لو أدركت آلتها لكان إدراكها عبارة عن نفس حصول تلك الآلة عند القوة العاقلة فيجب حصول الإدراك دائماً إن كفى هذا القدر ضمن حصول الإدراك، وإن لم يكف امتنع حصول الإدراك في وقت من الأوقات إذ لو حصل في وقت دون وقت لكان بسبب أمر زائد على مجرد حضور صورة الآلة.

**السادس:** أن كل أحد يدرك نفسه، وإدراك الشيء: عبارة عن حضور ماهية المعلوم عند العالم، فإذا علمنا أنفسنا فهو إما أن يكون لأجل حضور ذاتنا [لذواتنا] أو لأجل حضور صورة مساوية لذواتنا في ذواتها، والقسم الثاني باطل وإلا لزم اجتماع المثليين فثبت أنه لا معنى لعلمنا بذاتنا إلا بحضور ذاتنا عند ذاتنا، وهذا إما يكون إذا كانت ذاتاً قائمة بالنفس غنية عن المحل؛ لإتّما لو كانت حالة في محل كانت حاضرة عند ذلك المحل فثبت أن هذا المعنى إما يحصل إذا كانت النفس قائمة بنفسها غنية عن محل تحمل فيه.

السَّابِع: مَا اِحْتَجَّ بِهِ أَبُو الْبَرَكَاتِ الْبَغْدَادِيُّ<sup>(١)</sup> وَأَبْطَل مَا سِوَاهُ فَقَالَ: لَا نَشْكُ أَنْ الْوَاحِدَ مِنْهُ أَنْ يَتَخَيَّلَ بَحْرًا مِنْ زَبَقٍ وَجِبَالًا مِنْ يَاقُوتٍ وَشَمُوسًا وَأَقْمَارًا فَهَذِهِ الصُّورُ الْخَيَالِيَّةُ لَا تَكُونُ مَعْدُومَةً؛ لِأَنَّ قُوَّةَ الْمُتَخَيَّلِ تُشِيرُ إِلَى تِلْكَ الصُّورِ وَتَمِيزُ بَيْنَ كُلِّ صُورَةٍ وَغَيْرِهَا، وَقَدْ يَقْوَى ذَلِكَ الْمُتَخَيَّلُ إِلَى أَنْ يَصِيرَ كَالْمَشَاهِدِ الْمَحْسُوسِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْعَدَمَ الْمَحْضَ وَالنَّفْيَ الصَّرْفَ لَا يَثْبِتُ فِيهِ ذَلِكَ وَنَحْنُ نَعْلَمُ بِالضَّرُورَةِ أَنَّ هَذِهِ الصُّورِ لَيْسَتْ مَوْجُودَةً فِي الْأَعْيَانِ فَتَبَّتْ أُمَّهَا مَوْجُودَةً فِي الْأَذْهَانِ فَتَقُولُ مَحَلُّ هَذِهِ الصُّورَةِ إِمَّا أَنْ يَكُونَ جِسْمًا أَوْ حَالًا فِي الْجِسْمِ أَوْ لَا جِسْمًا وَلَا حَالًا فِي الْجِسْمِ، وَالْقِسْمَانِ الْأَوَّلَانِ بَاطِلَانِ؛ لِأَنَّ صُورَةَ الْبَحْرِ وَالْجِبَلِ صُورَةٌ عَظِيمَةٌ وَالْدِمَاقُ وَالْقَلْبُ جِسْمٌ صَغِيرٌ، وَإِنْطَبَاعُ الْعَظِيمِ فِي الصَّغِيرِ مَحَالٌ فَتَبَّتْ أَنْ مَحَلُّ هَذِهِ الصُّورَةِ الْخَيَالِيَّةِ لَيْسَ بِجِسْمٍ وَلَا جِسْمَانِي.

الثَّامِن: لَوْ كَانَتْ الْقُوَّةُ الْعَقْلِيَّةُ جِسْمَانِيَّةً لَضَعُفَتْ فِي زَمَانِ الشَّيْخُوخَةِ دَائِمًا وَلَيْسَ كَذَلِكَ.

التَّاسِع: أَنَّ الْقُوَّةَ الْعَقْلِيَّةَ غَنِيَّةً فِي أفعالِهَا عَنِ الْجِسْمِ وَمَا كَانَ غَنِيًّا فِي فَعْلِهِ عَنِ الْجِسْمِ وَجِبَ أَنْ يَكُونَ غَنِيًّا فِي ذَاتِهِ عَنِ الْجِسْمِ.

<sup>(١)</sup> الفيلسوف شيخ الطب هبة الله بن علي بن ملكا البلدي كان يهوديًا ثم أسلم في أواخر عمره، وكان بارعًا في علم الفلسفة إلى الغاية توفي سنة نيف وخمسين وخمس مائة، وذكر بعضهم أنه توفي سنة: (٥٧٠)، انظر "سير أعلام النبلاء": (٤١٩/٢٠)، و"هداية العارفين": (٥٠٥/٢).

بَيَانُ الْأَوَّلِ: أَنَّ الْقُوَّةَ الْعَقْلِيَّةَ تَدْرِكُ نَفْسَهَا وَمِنَ الْمَحَالِ أَنْ يَحْصُلَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ نَفْسِهَا آلَةٌ مَتَوَسِّطَةٌ أَيْضًا وَتَدْرِكُ إِدْرَاكَهَا لِنَفْسِهَا وَكَيْسَ هَذَا إِدْرَاكُ آلَةٍ، وَأَيْضًا فَإِنَّهَا تَدْرِكُ الْجِسْمَ الَّذِي هُوَ آلتُهَا وَكَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ آلتِهَا آلَةٌ أُخْرَى.  
وَبَيَانٌ لِلثَّانِي مِنْ وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ الْقُوَّةَ الْجِسْمَانِيَّةَ كَالنَّازِرَةِ وَالسَّامِعَةَ وَالخِيَالَ وَالوَهْمَ لَمَّا كَانَتْ جِسْمَانِيَّةً تَعْذِرُ عَلَيْهَا إِدْرَاكُ ذَوَاتِهَا وَإِدْرَاكُهَا لَكُونِهَا مَدْرَكَةٌ لذَوَاتِهَا وَإِدْرَاكُهَا لِتِلْكَ الْأَجْسَامِ الْحَامِلَةِ لَهَا فَلَوْ كَانَتْ الْقُوَّةُ الْعَاقِلَةُ جِسْمَانِيَّةً لَتَعْذِرُ عَلَيْهَا هَذِهِ الْأُمُورُ الثَّلَاثَةُ.

الثَّانِي: أَنَّ مَصْدَرَ الْفِعْلِ هُوَ النَّفْسُ فَلَوْ كَانَتْ النَّفْسُ مُتَعَلِّقَةً فِي قَوَامِهَا وَوُجُودِهَا بِالْجِسْمِ لَمْ تَحْصُلْ تِلْكَ الْأَفْعَالُ إِلَّا بِشَرَكَةِ مِنَ الْجِسْمِ، وَلَمَّا ثَبِتَ أَنَّهُ لَيْسَ كَذَلِكَ ثَبِتَ أَنَّ الْقُوَّةَ الْعَقْلِيَّةَ غَنِيَّةً عَنِ الْجِسْمِ.

الْعَاشِرُ: أَنَّ الْقُوَّةَ الْجِسْمَانِيَّةَ تَكِلُّ بِكَثْرَةِ الْأَفْعَالِ وَلَا تَقْوَى عَلَى الْقُوَّةِ بَعْدَ الضَّعِيفِ؛ وَسَبَبُهُ ظَاهِرٌ، فَإِنَّ الْقُوَّةَ الْجِسْمَانِيَّةَ بِسَبَبِ مَزَاوَلَةِ الْأَفْعَالِ تَتَعَرَّضُ مَوَادِهَا لِلتَّحَلُّلِ وَالدَّبُولِ وَهُوَ يُوجِبُ الضَّعْفَ، وَأَمَّا الْقُوَّةُ الْعَقْلِيَّةُ فَإِنَّهَا لَا تَضْعَفُ بِسَبَبِ كَثْرَةِ الْأَفْعَالِ وَتَقْوَى عَلَى الْقُوَّةِ بَعْدَ الضَّعِيفِ فَوَجَبَ أَنْ لَا تَكُونَ جِسْمَانِيَّةً.

الْحَادِي عَشَرَ: أَنَا إِذَا حَكَمْنَا بِأَنَّ السَّوَادَ مُضَادٌ لِلْبَيَاضِ وَجَبَ أَنْ يَحْصُلَ فِي الدَّهْنِ مَا هِيَ السَّوَادُ وَالْبَيَاضُ، وَالبَدِيهَةُ حَاكِمَةٌ بِأَنَّ اجْتِمَاعَ السَّوَادِ وَالْبَيَاضِ وَالْحَرَارَةَ وَالْبُرُودَةَ فِي الْأَجْسَامِ مَحَالٌ، فَلَمَّا حَصَلَ هَذَا الْاجْتِمَاعُ فِي الْقُوَّةِ الْعَقْلِيَّةِ وَجَبَ أَنْ لَا تَكُونَ قُوَّةً جِسْمَانِيَّةً.

الثَّانِي عَشَرَ: أَنَّهُ لَوْ كَانَ مَحَلُّ الْإِدْرَاكَاتِ جِسْمًا وَكُلُّ جِسْمٍ يَنْقَسِمُ لَا مَحَالَةَ لَمْ يُمْنَعْ أَنْ يَقُومَ بِبَعْضِ أَجْزَاءِ الْجِسْمِ عَلْمٌ بِالشَّيْءِ وَبِالبَعْضِ الْآخِرِ مِنْهُ جَهْلٌ، وَحِينَئِذٍ فَيَكُونُ الْإِنْسَانُ فِي الْحَالِ الْوَاحِدِ عَالِمًا بِالشَّيْءِ وَجَاهِلًا بِهِ.



الثالث عشر: أن المادّة الجسمانية إذا حصلت فيها نفوس مخصوصة فإن وجود تلك النفوس فيها يمنع من حصول نفوس غيرها، وأما النفوس العقلية فبالضد من ذلك؛ لأن الأنفس إذا كانت خالية من جميع العلوم والإدراكات فإنه يصعب عليها التعلّم، فإذا تعلمت شيئاً صار حصول تلك العلوم معيناً على سهولة غيرها فالنفوس الجسمانية متغيرة متنافية والنفوس العقلية متعاونة متعاودة.

الرابع عشر: أن النفس لو كانت جسماً لكان بين إرادة العبد تحريك رجله وبين تحريكها زمان على قدر حركة الجسم وثقله فإن النفس هي المحركة للجسد والمريدة لحركته، فلو كان المحرك للرجل جسماً فإمّا أن يكون حاصلاً في هذه الأجزاء أو جائياً إليها فإن كان جائياً إليها احتاج إلى مُدَّة ولا بُدَّ وإن كان حاصلاً فيها فنحن إذا قطعنا تلك العضلة التي تكون بها الحركة لم يبق منها في العضو المتحرك شيء، فلو كان ذلك المتحرك حاصلاً فيه لبقى منه شيء في ذلك العضو.

الخامس عشر: لو كانت النفس جسماً لكانت منقسمة ولصح عليها أن يعلم بعضها كما يعلم كلها فيكون الإنسان عالماً ببعض نفسه جاهلاً بالبعض الآخر وذلك محال.

السادس عشر: لو كانت النفس جسماً لوجب أن يثقل البدن بدخولها فيه؛ لأن شأن الجسم الفارغ إذا ملأه غيره أن يثقل به كالزق الفارغ<sup>(١)</sup> والأمر بالعكس فأخف ما يكون البدن إذا كانت فيه النفس وأثقل ما يكون إذا فارقت.

(١) الزق بالكسر السقاء، أو جلد يُجَزُّ ولا ينتف، للشراب وغيره، «القاموس»: (الزق).

السابع عشر: لو كانت النفس جسماً لكانت على صفات سائر الأجسام التي لا يخلو شيء منها من الخفة والثقل، أو الحرارة والبرودة، أو النعومة والخشونة، أو السواد والبياض، وغير ذلك من صفات الأجسام وكمياتها، ومعلوم أن الكيفيات النفسانية إنما هي الفضائل والردائل لا تلك الكيفيات الجسمانية فالنفس ليست جسماً.

الثامن عشر: أمّا لو كانت جسماً لوجب أن تقع تحت جميع الحواس أو تحت حاسة منها أو حاستين أو أكثر فإننا نرى الأجسام كذلك منها ما يدرك بجميع الحواس ومنها ما يدرك بأكثرها ومنها ما يدرك بحاستين منها أو بواحدة، والنفس بريئة من ذلك كله. وهذه الحجّة التي احتج بها جهم على طائفة من الملاحدة حين أنكروا الخالق سبحانه وقالوا: لو كان موجوداً لوجب أن يدرك بحاسة من الحواس فعارضهم بالنفس وإنما تتم المعارضة إذا لم تكن جسماً وإلا فلو كانت جسماً لجاز إدراكها ببعض الحواس.

التاسع عشر: لو كانت جسماً لكانت ذات طول وعرض وعمق وسطح وشكل وهذه المقادير والأبعاد لا تقوم إلا ببادئة ومحل، فإن كانت مادتها ومحلها نفساً لزم اجتماع نفسين، وإن كان غير نفس كانت النفس مركبة من بدن وصورة وهي في جسد مركب من بدن وصورة فيكون الإنسان إنسانين.

العشرون: إن من خاصّة الجسم أن يقبل التجزي، والجزء الصّغير منه ليس كالكبير ولو قبلت التجزي فكل جزء منها إن كان نفساً لزم أن يكون للإنسان نفوس كثيرة لا نفس واحدة، وإن لم يكن نفساً لم يكن المجموع نفساً كما أن جزء الماء إن لم يكن ماء لم يكن مجموع ماء.

الْحَادِي وَالْعَشْرُونَ: أَنَّ الْجِسْمَ مُحْتَاجٌ فِي قَوَامِهِ وَحِفْظِهِ وَبِقَائِهِ إِلَى النَّفْسِ وَهَذَا  
يُضْمَلُ وَيَتَلَاشَى لِمَا تُفَارِقُهُ، فَلَوْ كَانَتْ جِسْمًا لَكَانَتْ مُحْتَاجَةً إِلَى نَفْسٍ أُخْرَى وَهَلُم  
جَرَاءً، وَيَتَسَلَّلُ الْأَمْرُ، وَهَذَا الْمَحَالُ إِنَّمَا لَزِمَ مِنْ كَوْنِ النَّفْسِ جِسْمًا.  
الثَّانِي وَالْعَشْرُونَ: لَوْ كَانَتْ جِسْمًا لَكَانَ اتِّصَالُهَا بِالْجِسْمِ إِنْ كَانَ عَلَى سَبِيلِ الْمُدَاخَلَةِ  
لَزِمَ تَدَاخُلُ الْأَجْسَامِ، وَإِنْ كَانَ عَلَى سَبِيلِ الْمَلَاصِقَةِ وَالْمَجَاوِرَةِ كَانَ الْإِنْسَانُ الْوَاحِدَ  
جِسْمَيْنِ مُتَلَاصِقَيْنِ أَحَدُهُمَا يُرَى وَالْآخَرُ لَا يُرَى.  
فَهَذَا كُلُّ مَا مَوَّهَتْ بِهِ هَذِهِ الطَّائِفَةُ الْمَبْطُلَةُ مِنْ مَنْخَنَقَةٍ وَمَوْقُودَةٍ وَمُتْرَدِيَةٍ وَنَحْنُ  
نَجِيهِمْ عَنِ ذَلِكَ كُلِّهِ فَصَلًّا بِفِصْلِ بِحَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ وَمَعُونَتِهِ.

### فصل

#### الجواب عن أدلة المنازعين

فَأَمَّا قَوْلُهُمْ: إِنَّ الْعُقَلَاءَ مُتَفَقِّهُونَ عَلَى قَوْلِهِمُ الرُّوحَ وَالْجِسْمَ وَالنَّفْسَ وَالْجِسْمَ، وَهَذَا  
يَدُلُّ عَلَى تَغَايِرِهِمَا.

فَالْجَوَابُ أَنْ يُقَالَ: إِنْ مُسَمِّي الْجِسْمِ فِي اصْطِلَاحِ الْمُتَفَلِّسَةِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ أَعْمَ مِنْ  
مُسَمَّاهُ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ وَعَرَفَ أَهْلُ الْعَرَفِ، فَإِنَّ الْفَلَّاسِفَةَ يَطْلُقُونَ الْجِسْمَ عَلَى قَابِلِ  
الْأَبْعَادِ الثَّلَاثَةِ<sup>(١)</sup>، خَفِيفًا كَانَ أَوْ ثَقِيلًا مَرْتِيًّا كَانَ أَوْ غَيْرَ مَرْتِيٍّ، فَيَسْمُونَ الْهُوَاءَ جِسْمًا  
وَالنَّارَ جِسْمًا وَالْمَاءَ جِسْمًا، وَكَذَلِكَ الدُّخَانُ وَالْبَخَارُ وَالْكُوكَبُ، وَلَا يَعْرِفُ فِي لُغَةِ

(١) قال التهانوي في "كشف اصطلاحات الفنون": (١/١٥٨): الأبعاد الثلاثة: هي الطول، والعرض،  
والعمق....

وقال الجرجاني في "التعريفات": الصورة الجسمية: هي جوهر متصل بسيط لا وجود لمحلله دونه، قابل  
للأبعاد الثلاثة المدركة من الجسم في بادئ النظر.

العَرَب تَسْمِيَةَ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ جِسْمًا أَلْبَتَهُ فَهَذِهِ لُغَتُهُمْ وَأَشْعَارُهُمْ، وَهَذِهِ النُّقُولُ عَنْهُمْ فِي كِتَابِ اللُّغَةِ.

قَالَ الْجَوْهَرِيُّ<sup>(١)</sup>: قَالَ أَبُو زَيْدٍ<sup>(٢)</sup>: الْجِسْمُ الْجَسَدُ، وَكَذَلِكَ الْجِسْمَانُ وَالْجِثْمَانُ، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ<sup>(٣)</sup>: الْجِسْمُ وَالْجِسْمَانُ الْجَسَدُ وَالْجِثْمَانُ الشَّخْصُ، وَقَدْ جَسَمَ الشَّيْءُ أَي: عَظَّمَ فَهُوَ عَظِيمٌ جَسِيمٌ، وَجَسَامٌ بِالضَّمِّ.

وَنَحْنُ إِذَا سَمِينَا النَّفْسَ جِسْمًا فَإِنَّهَا هُوَ بِاصْطِلَاحِهِمْ وَعَرَفَ خُطَابِهِمْ وَإِلَّا فَلَيْسَتْ جِسْمًا بِإِعْتِبَارِ وَضْعِ اللُّغَةِ، وَمَقْصُودُنَا بِكُونِهَا جِسْمًا إِثْبَاتِ الصِّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ وَالْأَحْكَامِ الَّتِي دَلَّ عَلَيْهَا الشَّرْعُ وَالْعَقْلُ، وَالْحَسُّ مِنَ الْحَرَكَةِ وَالِانْتِقَالِ، وَالصُّعُودِ وَبَنْزُولِ وَمُبَاشَرَةِ النَّعِيمِ وَالْعَذَابِ، وَاللَّذَّةِ وَالْأَلْمِ، وَكُونِهَا تَحْسُّسٌ وَتَرْسُلٌ وَتَقْبِضٌ وَتَدْخُلٌ وَتَخْرُجٌ فَلِذَلِكَ أَطْلَقْنَا عَلَيْهَا اسْمَ الْجِسْمِ تَحْقِيقًا لِهَذِهِ الْمَعَانِي، وَإِنْ لَمْ يُطْلَقْ عَلَيْهَا أَهْلُ اللُّغَةِ اسْمَ

(١) إمام اللغة أبو نصر إسماعيل بن حماد التركي الأتراري، وأترار هي مدينة فاراب، مصنف كتاب "الصحاح" وأحد من يضرب به المثل في ضبط اللغة، توفي سنة: (٣٩٣)، انظر "سير أعلام النبلاء" (٨٠ / ١٧). وكلامه هذا في كتابه "الصحاح": مادة: (جسم) (١٥٣٣ / ٤).

(٢) حجة العرب أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت بن بشير بن صاحب رسول الله ﷺ أبي زيد الأنصاري قال: السيرافي ويقال إن الأصمعي كان يحفظ ثلث اللغة، وكان أبو زيد يحفظ ثلثي اللغة توفي أبو زيد سنة: (٢١٥) انظر "سير أعلام النبلاء": (٤٩٤ / ٩).

(٣) حجة الأدب ولسان العرب أبو سعيد عبد الملك بن قُرَيْبِ الْأَصْمَعِيِّ البصري اللغوي الأخباري أحد الأعلام، وقد أثنى عليه أحمد بن حنبل في "السُّنَّة"، توفي سنة: (٢١٥) انظر "سير أعلام النبلاء": (١٧٥ / ١٠).

الجِسمَ فَالْكَلَامَ مَعَ هَذِهِ الْفُرْقَةِ الْمَبْطَلَةِ فِي الْمَعْنَى لَا فِي اللَّفْظِ، فَقَوْلُ أَهْلِ التَّخَاطُبِ الرُّوحِ وَالْجِسْمِ هُوَ بِهَذَا الْمَعْنَى<sup>(١)</sup>.

### فصل

وَأَمَّا الشُّبُهَةُ الثَّانِيَّةُ: فَهِيَ أَقْوَى شَبَهَهُمُ الَّتِي بِهَا يَصُولُونَ وَعَلَيْهَا يَعُولُونَ، وَهِيَ مَبْنِيَّةٌ عَلَى أَرْبَعِ مُقَدَّمَاتٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّ فِي الْوُجُودِ مَا لَا يَقْبَلُ الْقِسْمَةَ بِوَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ.

الثَّانِيَّةُ: أَنَّهُ يُمَكِّنُ الْعِلْمَ بِهِ.

الثَّلَاثَةُ: أَنَّ الْعِلْمَ بِهِ غَيْرُ مَنْقَسِمٍ.

الرَّابِعَةُ: أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مَحَلًّا لِلْعِلْمِ بِهِ كَذَلِكَ إِذْ لَوْ كَانَ جِسْمًا لَكَانَ مَنْقَسِمًا.

وَقَدْ نَازَعَهُمْ فِي ذَلِكَ جُمْهُورُ الْعُقَلَاءِ وَقَالُوا: لَمْ تُقِيمُوا دَلِيلًا عَلَى أَنَّ فِي الْوُجُودِ مَا لَا يَقْبَلُ الْقِسْمَةَ الْحِسْبَةَ وَلَا الْوَهْمِيَّةَ، وَإِنَّمَا بِأَيْدِيكُمْ دَعَاوٍ لَا حَقِيقَةَ لَهَا، وَإِنَّمَا أَثْبَتَمُوهُ مِنْ وَاجِبِ الْوُجُودِ وَهُوَ بِنَاءٍ عَلَى أَصْلِكُمُ الْبَاطِلِ عِنْدَ جَمِيعِ الْعُقَلَاءِ مِنْ أَهْلِ الْمَلَلِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ إِنْكَارِ مَا هِيَ الرَّبُّ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ، وَأَنَّهُ وَجُودٌ مُجَرَّدٌ لَا صِفَةَ لَهُ وَلَا مَا هِيَ، وَهَذَا قَوْلُ بَايْتِمُ بِهِ الْعُقُولُ وَجَمِيعِ الْكُتُبِ الْمَنْزُولَةِ مِنَ السَّمَاءِ وَإِجْمَاعِ الرُّسُلِ، وَنَفَيْتُمْ بِهِ عِلْمَ اللَّهِ

<sup>(١)</sup> وينحوه هذا الكلام قال شيخ الاسلام كما في "مجموع الفتاوى": (٣/ ٣٢-٣٣): وإطلاق القول عليها بأنها جسم أو ليست بجسم يحتاج إلى تفصيل فإن أهل اللغة يقولون: الجسم هو الجسد والبدن وبهذا الاعتبار فالروح ليست جسمًا..... فعلى هذا إن كانت الروح مما يشار إليها ويتبعها بصر الميت..... كانت الروح جسمًا بهذا الاعتبار.

وقدرته ومشيبته وسمعته وبصره وعلوه على خلقه ونفيتم به خلق السموات والأرض في ستة أيام وسميته توحيداً وهو أصل كل تعطيل.

قالوا: والنقطة التي استدلتتم بها هي من أظهر ما يبطل دليلكم فإنها غير منقسمة وهي حالة في الجسم المنقسم فقد حل في المنقسم ما ليس بمنقسم.

ثم إن مثبي الجوهر الفرد وهم جمهور المتكلمين ينازعونكم في هذا الأصل ويقولون: الجوهر حال في الجسم بل هو مركب منه فقد حل في المنقسم ما ليس بمنقسم، ولا يمكن تميم دليلكم إلا بنفي الجوهر الفرد.

فإن قلتم النقطة عبارة عن نهاية الخط وفنائه وعدمه فهي أمر عديم بطل استدلالكم بها، وإن كانت أمراً وجودياً فقد حلت في المنقسم فبطل الدليل على التقديرين.

قالوا وأيضاً: فلم لا يكون العلم حالاً في محله لا على وجه الشيوخ والسريان فإن حلول كل شيء في محله بحسبه، فحلول الحيوان في الدار نوع، وحلول الخط في الكتاب نوع، وحلول الدهن في السمس نوع، وحلول العرض في الجسم نوع، وحلول الروح في البدن نوع، وحلول العلوم والمعارف في النفس نوع.

قالوا: وأيضاً فالوحدة حاصلة فإن كانت جوهرًا فقد ثبت الجوهر الفرد وبطل دليلكم فإنه لا يتم إلا بنفيه، وإن كان عرضاً وجب أن يكون لها محل فمحلها إن كان منقسمًا فقد جاز قيام غير المنقسم بالمنقسم. وأن كان غير منقسم فهو الجوهر، وبطل الدليل.

فإن قلتم الوحدة أمر عديم لا وجود له في الخارج فكذلك ما أثبتتم به وجود ما لا ينقسم كلها أمور عدمية لا وجود لها في الخارج فإن واجب الوجود الذي أثبتتموه أمر عديم بل مستحيل الوجود.

قَالُوا: وَأَيْضًا فإِلْإِضَافَاتٍ عَارِضَةٌ لِلْأَجْسَامِ مِثْلَ الْفَوْقِيَّةِ وَالتَّحْتِيَّةِ، وَالمَالِكِيَّةِ وَالمَمْلُوكِيَّةِ، فَلَوْ انْقَسَمَ الْحَالُ بِانْقِسَامِ مَحَلِّهِ لَزِمَ انْقِسَامُ هَذِهِ الْإِضَافَاتِ فَكَأَنَّ يَكُونُ لِحَقِيقَةِ الْفَوْقِيَّةِ وَالتَّحْتِيَّةِ رُبْعٌ وَثَمَنٌ وَهَذَا لَا يَقْبَلُهُ الْعَقْلُ.

قَالُوا: وَإِنَّ الْقُوَّةَ الْوَهْمِيَّةَ وَالمَفْكَرَةَ جَسْمَانِيَّةً عِنْدَ زَعِيمِكُمْ ابْنَ سَيْنَاءَ فَيَلْزَمُ أَنَّ يَحْصُلَ لَهَا أَجْزَاءٌ وَأَبْعَاضٌ وَذَلِكَ مَحَالٌّ؛ لِأَنَّهَا لَوْ انْقَسَمَتْ لَكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ أَبْعَاضِهَا إِنْ كَانَ مِثْلَهَا كَانَ الْجُزْءُ مُسَاوِيًا لِلْكُلِّ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِثْلَهَا لَمْ تَكُنْ تِلْكَ الْأَجْزَاءُ كَذَلِكَ.

وَأَيْضًا فَإِنَّ الْوَهْمَ لَا مَعْنَى لَهُ إِلَّا كَوْنُ هَذَا صَدِيقًا وَهَذَا عَدُوًّا وَذَلِكَ لَا يَقْبَلُ الْقِسْمَةَ.

قَالُوا: وَإِنَّ الْوُجُودَ أَمْرٌ زَائِدٌ عَلَى المَاهِيَاتِ عِنْدَكُمْ فَلَوْ لَزِمَ انْقِسَامُ الْحَالِ لِانْقِسَامِ مَحَلِّهِ لَزِمَ انْقِسَامُ ذَلِكَ الْوُجُودِ بِانْقِسَامِ مَحَلِّهِ، وَهَذَا الْوَجْهَ لَا يَلْزَمُ مِنْ جَعْلِ وَجُودِ الشَّيْءِ عَيْنَ مَاهِيَتِهِ.

قَالُوا: وَأَيْضًا فَطَبَائِعُ الْأَعْدَادِ مَاهِيَاتٌ مُخْتَلِفَةٌ فَالمَفْهُومُ مِنْ كَوْنِ الْعَشْرَةِ عَشْرَةَ مَفْهُومٌ وَاحِدٌ وَمَاهِيَةٌ وَاحِدَةٌ فَتِلْكَ المَاهِيَّةُ إِمَّا أَنْ تَكُونَ عَارِضَةً لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ تِلْكَ الْآحَادِ وَهُوَ مَحَالٌّ أَيْضًا؛ لِأَنَّ المَفْهُومَ مِنْ كَوْنِ الْعَشْرَةِ عَشْرَةَ لَا يَقْبَلُ الْقِسْمَةَ نَعَمَ الْعَشْرَةُ تَقْبَلُ الْقِسْمَةَ لَا عَشْرِيَّتَهَا، قَالُوا: فَقَدْ قَامَ مَا لَا يَنْقَسِمُ بِالمَقْسَمِ.

قَالُوا: وَأَيْضًا فَالكِيفِيَّاتُ المَخْتَصَاتُ بِالكَمِيَّاتِ كَالِاسْتِدَارَةِ وَالتَّقْوُوشِ وَنَحْوَهُمَا عِنْدَ الفَلَسَفَةِ أَعْرَاضٌ مَوْجُودَةٌ فِي شِبْهِ الاسْتِدَارَةِ إِنْ كَانَ عَرَضًا، فِيمَا أَنْ يَكُونَ بِتِمَامِهِ قَائِمًا بِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْأَجْزَاءِ وَهُوَ مَحَالٌّ، وَإِمَّا أَنْ يَنْقَسِمَ ذَلِكَ الْعَرَضُ بِانْقِسَامِ الْأَجْزَاءِ وَيَقُومُ بِكُلِّ جُزْءٍ مِنْ أَجْزَاءِ الْخَطِّ جُزْءٌ مِنْ أَجْزَاءِ ذَلِكَ الْعَرَضِ وَهُوَ مَحَالٌّ؛ لِأَنَّ جُزْأَهُ إِنْ كَانَ اسْتِدَارَةً لَزِمَ أَنْ يَكُونَ جُزْءَ الدَّائِرَةِ دَائِرَةً، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ اسْتِدَارَةً فَعِنْدَ اجْتِمَاعِ الْأَجْزَاءِ

إن لم يحدث أمر زائد [وَجِبَ أَنْ لَا تَحْصُلَ الاستدارة، وَإِنْ حَدَثَ أَمْرٌ زَائِدٌ] فَإِنْ كَانَ منقسمًا عَادَ التَّقْسِيمُ، وَإِنْ لَمْ يَنْقَسِمِ كَانَ الْحَالُّ غيرَ منقسمٍ ومحلّه منقسمًا.

قلت: وَهَذَا لَا يُلْزِمُهُمْ فَإِنْ هُمْ أَنْ يَقُولُوا يَنْقَسِمُ بانقسام محله تبعًا لَهُ كَسَائِرِ الأَعْرَاضِ القَائِمَةِ بمحالتها من البياض والسواد، وَأَمَّا مَا لَا يَنْقَسِمُ كَالطَّوْلِ فَشَرَطَ حُصُولَهُ اجْتِمَاعَ الأَجْزَاءِ، وَالمُعَلَّقِ عَلَى الشَّرْطِ مُتَنَفِّ بِانْتِفَائِهِ.

قَالُوا: وَإِنْ هَذِهِ الأَجْسَامُ مُمَكِّنَةٌ بذواتها وَذَلِكَ صِفَةٌ عَرَضِيَّةٌ لَهَا خَارِجَةٌ عَنِ ماهيتها، فَإِنْ لَمْ تَنْقَسِمِ بانقسام محلها بطل الدليل، وَإِنْ انقسمت عَادَ المَحْذُورُ المَذْكُورُ مِنْ مُسَاوَاةِ الجُزْءِ لِلْكَلِّ أَوْ التَّسْلُسِ.

قلت: وَهَذِهِ أَيْضًا لَا يُلْزِمُ؛ لِأَنَّ الإِمْكَانَ لَيْسَ أَمْرًا يَدُلُّ عَلَى قَبُولِ المُمْكِنِ لِلوُجُودِ وَالعَدَمِ وَذَلِكَ القَبُولُ مِنْ لَوَازِمِ ذَاتِهِ لَيْسَ صِفَةً عَارِضَةً لَمْ وَلَكِنَّ الدَّهْنَ يَجْرَدُ هَذَا القَبُولُ عَنِ القَابِلِ فَيَكُونُ عَرُوضُهُ لِلماهية بتجريد الدَّهْنِ، وَأَمَّا قَضِيَّةُ مُسَاوَاةِ الجُزْءِ لِلْكَلِّ فَلَا امْتِنَاعَ فِي ذَلِكَ كَسَائِرِ المَاهِيَاتِ البَسِيطَةِ فَإِنْ جَزَأَهَا مَسَاوٍ لِكُلِّهَا فِي الحَدِّ وَالحَقِيقَةِ كَالْمَاءِ وَالتُّرَابِ وَالمُهْوَاءِ، وَإِنَّمَا المُمْتَنَعُ أَنْ يَتَسَاوَى الجُزْءُ وَالكُلُّ فِي الكَمِّ لَا فِي نَفْسِ الحَقِيقَةِ.

والمَعْوَلُ فِي إِبْطَالِ هَذِهِ الشُّبْهَةِ عَلَى أَنَّ العِلْمَ لَيْسَ بِصُورَةٍ حَالَّةٍ فِي النَفْسِ وَإِنَّمَا هُوَ نِسْبَةٌ وَإِضَافَةٌ بَيْنَ العَالَمِ وَالمَعْلُومِ كَمَا نَقُولُ فِي الإِبْصَارِ: إِنَّهُ لَيْسَ بِانطِبَاعِ صُورَةٍ مُسَاوِيَةٍ لِلْمَبْصَرِ فِي القُوَّةِ البَاصِرَةِ، وَإِنَّمَا هُوَ نِسْبَةٌ وَإِضَافَةٌ بَيْنَ القُوَّةِ البَاصِرَةِ وَالمَبْصَرِ.

وَعَامَةٌ شَبِهُهُمْ الَّتِي أوردوها فِي هَذَا الفَصْلِ مَبْنِيَّةٌ عَلَى انطِبَاعِ صُورَةِ المَعْلُومِ فِي القُوَّةِ العَالِمَةِ ثُمَّ بِنَا عَلَى ذَلِكَ أَنَّ انقسام مَا لَا يَنْقَسِمُ فِي المُنْقَسِمِ مَحَالٌّ.

وَقَوْلُهُمْ مَحَلُّ العُلُومِ الكُلِّيَّةِ لَوْ كَانَ جِسْمًا أَوْ جِسْمَانِيًّا لَانْقَسَمَتْ تِلْكَ العُلُومُ؛ لِأَنَّ الحَالَ فِي المُنْقَسِمِ مَنقَسِمٌ. وَلَمْ يَذْكُرُوا عَلَى صِحَّةِ هَذِهِ المَقْدَمَةِ دَلِيلًا وَلَا شُبْهَةً وَإِنَّمَا



بأيديهم مُجَرَّد الدَّعْوَى، وَلَيْسَتْ بديهيّة حتّى تَسْتَعْنِي عَن الدَّلِيل وَهِيَ مَبْنِيَّةٌ عَلَى أَنَّ العِلْمَ بِالشَّيْءِ عِبَارَةٌ عَن حُصُولِ صُورَةٍ مُسَاوِيَةٍ لِمَاهِيَةِ المَعْلُومِ فِي نَفْسِ العَالِمِ، وَهَذَا مِنْ أِبْطَلِ البَاطِلِ لِلوَجُوهِ الَّتِي تُذَكِّرُ هُنَاكَ.

وَأَيْضًا فَلَوْ سَلَمْنَا لَكُمْ ذَلِكَ كَانَ مِنْ أَظْهَرِ الأَدِلَّةِ عَلَى بَطْلَانِ قَوْلِكُمْ، فَإِنَّ هَذِهِ الصُّورَةَ إِذَا كَانَتْ حَالَةً فِي جَوْهَرِ النَّفْسِ النَّاظِقَةِ فَهِيَ صُورَةٌ جَزْئِيَّةٌ حَالَةٌ فِي نَفْسِ جَزْئِيَّةٍ تَقَارِنُهَا سَائِرُ الأَعْرَاضِ الحَالَةِ فِي تِلْكَ النَّفْسِ الجَزْئِيَّةِ، فَإِذَا عَاطَبْنَا تِلْكَ الصُّورَةَ مَعَ جَمَلَةٍ هَذِهِ اللُّوَاحِقِ لَمْ تَكُنْ صُورَةً مُجَرَّدَةً بَلْ مَقْرُونَةٌ بِلِوَاحِقِ وَعَوَارِضِ وَذَلِكَ يَمْنَعُ كَلِمَتَهَا.

فَإِنَّ قُلْتُمْ: المُرَادُ بِكُونِهَا كُليَّةٌ أَنَا إِذَا حَذَفْنَا عَنْهَا تِلْكَ اللُّوَاحِقِ وَعَاطَبْنَاهَا مِنْ حَيْثُ هِيَ هِيَ كَانَتْ كُليَّةٌ فَلَمَّا جَارَ هَذَا فَلَمْ يَجُوزْ أَنْ يُقَالَ هَذِهِ الصُّورَةُ حَالَةٌ فِي مَادَّةٍ جَسْمَانِيَّةٍ مَخْصُوصَةٍ بِمِقْدَارِ مَعِينٍ وَبِكُلِّ مَعِينٍ، إِلَّا أَنَا إِذَا حَذَفْنَا عَنْهَا ذَلِكَ وَعَاطَبْنَاهَا مِنْ حَيْثُ هِيَ هِيَ كَانَتْ بِمَنْزِلَةِ تِلْكَ الصُّورَةِ الَّتِي فَعَلْنَا بِهَا ذَلِكَ فَالمَعِينِ فِي مُقَابَلَةِ المَعِينِ المُطْلَقِ المَأْخُوذِ مِنْ حَيْثُ هُوَ هُوَ فِي مُقَابَلَةِ مَحَلِّهِ المُطْلَقِ، وَهَذَا هُوَ المَعْقُولُ الَّذِي شَهِدَتْ بِهِ العُقُولُ الصَّحِيحَةُ وَالمِيزَانُ الصَّحِيحُ.

فَظَهَرَ أَنَّ هَذِهِ الشُّبُهَةَ مِنْ أَفْسَدِ الشُّبُهَةِ وَأَبْطَلَهَا وَإِنَّمَا أَتَى القَوْمَ مِنَ الكَلِمَاتِ فَإِنَّهَا هِيَ الَّتِي خَرِبَتْ دُورَهُمْ وَأَفْسَدَتْ نَظَرَهُمْ وَمَنَاطِرَتَهُمْ، فَإِنَّهُمْ جَرَدُوا أُمُورًا كُليَّةً لَّا وَجُودَ لَهَا فِي الخَارِجِ ثُمَّ حَكَمُوا عَلَيْهَا بِأَحْكَامِ المَوْجُودَاتِ وَجَعَلُوهَا مِيزَانًا وَأَصْلًا لِلْمَوْجُودَاتِ، فَإِذَا جَرَدُوا صُورَ المَعْلُومَاتِ وَجَعَلُوهَا كُليَّةً جَرَدْنَا نَحْنُ مَحَلَّهَا وَجَعَلْنَاهَا كُليَّةً، وَإِنْ أَخَذْتَ جَزْئِيَّةً مُعَيَّنَةً فَمَحَلُّهَا كَذَلِكَ فَالْكَليُّ فِي مُقَابَلَةِ الكُليِّ وَالجَزْئِيُّ فِي مُقَابَلَةِ الجَزْئِيِّ.

على أننا نقول لَيْسَ فِي الدُّهْنِ كَلِيٌّ، وَإِنَّمَا فِي الدُّهْنِ صُورَةٌ مُعَيَّنَةٌ مُشَخَّصَةٌ مَنْطِقِيَّةٌ عَلَى سَائِرِ أَفْرَادِهَا فَإِنَّ سَمِيَّةَ كَلِيَّةٍ بِهَذَا الإِعْتِبَارِ فَلَا مَشَاحَةَ فِي الإِلْفَازِ وَهِيَ كَلِيَّةٌ وَجُزْئِيَّةٌ بِاعْتِبَارَيْنِ.

## فصل

**قَوْلُكُمْ فِي الرَّجْهِ الثَّلَاثُ:** أَنَّ الصُّورَ العَقْلِيَّةَ الكُلِّيَّةَ مُجَرَّدَةٌ وَتَجَرَّدُهَا إِنَّمَا هُوَ بِسَبَبِ الإِخْذِ لَهَا وَهُوَ القُوَّةُ العَقْلِيَّةُ؟  
جَوَابُهُ أَنَّ يُقَالُ: مَا الَّذِي تُرِيدُونَ بِهَذِهِ الصُّورَةَ العَقْلِيَّةَ الكُلِّيَّةَ أَتُرِيدُونَ بِهِ أَنَّ المَعْلُومَ حَصَلَ فِي ذَاتِ العَالَمِ أَوْ أَنَّ العِلْمَ حَصَلَ بِهِ فِي ذَاتِ العَالَمِ؟  
فَأَوَّلُ ظَاهِرِ الإِحَالَةِ.

وَالثَّانِي حَقٌّ إِلاَّ أَنَّهُ لَا يَفِيدُكُمْ شَيْئًا؛ لِأَنَّ الأَمْرَ الكُلِّيَّ المُشْتَرَكَ بَيْنَ الأَشْخَاصِ الإِنْسَانِيَّةِ هُوَ الإِنْسَانِيَّةُ لَا العِلْمَ بِهَا وَالإِنْسَانِيَّةُ لَا وَجُودَهَا فِي الخَارِجِ كَلِيَّةٌ [والموجود في الخارج للمعنيات فقط والعلم تابع للمعلوم، فكما أن المعلوم معين فالعلم به معين لكنه صورة منطقية على أفراد كثيرة فليس في الذهن ولا في الخارج] صُورَةٌ غَيْرُ مَنْقَسِمَةٍ البتَّة، وَكَمْ قَدْ غَلَطَ فِي هَذَا المَوْضِعِ طَوَائِفُ مِنَ العُقَلَاءِ لَا يُحْصِيهِمُ إِلاَّ اللهُ تَعَالَى فَالصُّورَةُ الكُلِّيَّةُ الَّتِي يَشْتَبُونَهَا وَيُزَعَمُونَ أَنَّهَا حَالَةٌ فِي النَّفْسِ فَهِيَ صُورَةٌ شَخْصِيَّةٌ مَوْصُوفَةٌ بِعَوَارِضِ شَخْصِيَّةٍ فَهَبْ أَنَّ هَذِهِ الصُّورَةَ العَقْلِيَّةَ حَالَةٌ فِي جَوْهَرٍ لَيْسَ بِجِسْمٍ وَلَا جِسْمَانِيٍّ فَإِنَّمَا غَيْرُ مُجَرَّدَةٌ عَنِ العَوَارِضِ.

فَإِنَّ قُلْتُمْ مَرَادَنَا بِكُونِهَا مُجَرَّدَةٌ النَّظْرُ إِلَيْهَا مِنْ حَيْثُ هِيَ هِيَ مَعَ قَطْعِ النَّظَرِ عَنِ تِلْكَ العَوَارِضِ.

قيل لكم: فلم لا يجوز أن تكون الصُّورَة الحَالَة فِي المَحَل الجَسَامِي منقسمة وَإِنَّمَا تكون مُجَرَّدَة إِذَا نَظَرْنَا إِلَيْهَا مِن حَيْثُ هِيَ هِيَ بِقَطْعِ النَّظَرِ عَن عَوَارِضِهَا.

### فصل

**قَوْلُكُمْ فِي الرَّابِعِ:** إِنْ القُوَّة العَقْلِيَّة تقوى عَلَى أفعالها غير متناهية وَلَا شَيْءٌ مِنَ القُوَى الجَسَمَانِيَّة كَذَلِكَ.

فَجَوَابُهُ: أَنَا لَا نَسْلَمُ أَنَّهَا تقوى عَلَى أفعال غير متناهية.

قَوْلُكُمْ: إِنَّهَا تقوى عَلَى إدراكات لَا تتناهى، وَالإِدْرَاكَات أَفعالٌ، مَقْدِمَتَانِ كَاذِبَتَانِ؛ فَإِنَّ إدراكاتها وَلَوْ بلغت مَا بلغت فَهِيَ متناهية فَلَوْ كَانَ لَهَا بِكُلِّ نَفْسٍ أَلْفٌ إِدْرَاكٌ لَتَنَاهَتْ إدراكاتها فَهِيَ قَطْعًا تَنْتَهِي فِي الإِدْرَاكَاتِ وَالْمَعَارِفِ إِلَى حَدٍّ لَا يُمَكِّنُهَا أَنْ تَزِيدَ عَلَيْهِ شَيْئًا كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف: ٧٦]، إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ العِلْمُ إِلَى مِنْ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمٌ فَهُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَحْدَهُ وَذَلِكَ مِنْ خَصَائِصِهِ الَّتِي لَا يَشْرِكُ فِيهَا سِوَاهُ.

فَإِنْ قُلْتُمْ: لَوْ انْتَهَى إِدْرَاكُهَا إِلَى حَدٍّ لَا يُمَكِّنُهَا الْمَزِيدَ عَلَيْهِ لَزِمَ انْقِلَابُ الشَّيْءِ مِنَ الإِمْكَانِ الذَّاتِي [إِلَى الإِمْتِنَاعِ الذَّاتِي].

قُلْنَا: فَهَذَا بِعَيْنِهِ لَوْ صَحَّ دَلٌّ عَلَى أَنَّ القُوَّةَ الجَسَمَانِيَّةَ تقوى عَلَى أفعال غير متناهية وَذَلِكَ يُوجِبُ سُقُوطَ الشُّبُهَةِ وَبَطْلَانَهَا.

وَأَيْضًا: فَإِنَّ قُوَّةَ التَّخِيلِ وَالتَّفَكُّرِ وَالتَّذَكُّرِ تقوى عَلَى اسْتِحْضَارِ المَتَخَيَّلَاتِ وَالمَتَذَكَّرَاتِ إِلَى غيرِ نِهَايَةٍ مَعَ أَنَّهَا عِنْدَكُمْ قُوَّةٌ جَسَمَانِيَّةٌ.

فَإِنْ قُلْتُمْ: لَا نَسْلَمُ أَنَّهَا تقوى عَلَى مَا لَا يَتَنَاهَى.

قِيلَ لَكُمْ: هَكَذَا يَقُولُ خِصُومُكُمْ فِي القُوَّةِ العَاقِلَةِ سِوَاكَ

وأما كذب المقدمة الثانية فإن الإدراك ليس بفعل فلا يلزم من تناهي فعلها تناهي إدراكها، وقد صرحتم بأن الجوهر العقلي قابل لصورة المعلوم لا أنه فاعل لها والشئ الواحد لا يكون فاعلاً وقابلاً عندكم، وقد صرحتم بأن الأجسام يمتنع عليها أفعال لا نهاية لها ولا يمتنع عليها قبولات وانفعالات لا تناهي.

وقد أورد ابن سينا على هذه الشبهة سؤالاً فقال: أليس النفس الفلكية المباشرة لتحريك الفلك قوة جسمانية مع أن الحركات الفلكية غير متناهية؟ وأجاب عنه: بآئها وإن كانت قوة جسمانية إلا أنها تستمد الكمالات من العقل المفارق، فلهدا السبب قدرت على أفعال غير متناهية.

فَنقول: فإذا كان الأمر عندك كذلك فلم لا يجوز أن يُقال النفس الناطقة تستمد الكمالات والقوة من فاطرها ومنشئها الذي له القوة جميعاً فلا جرم تقوى مع كونها جسمانية على ما لا يتناهي، فإذا قلت بذلك وافقت الرُّسل والعقل ودخلت مع زمرة المسلمين وفارقت العصبه المبطلين.

## فصل

**قولكم في الخامس:** لو كانت القوة العاقلة حالة في آلة جسمانية لوجب أن تكون دائمة الإدراك لتلك الآلة أو ممتعة الإدراك لها. فهو مبنى على أصلكم الفاسد أن الإدراك عبارة عن حصول صورة مساوية للمدرك في القوة المدركة.

ثم لو سلمنا لكم ذلك الأصل لم يقدكم شيئاً فإن حصول تلك الصورة يكون شرطاً لحصول الإدراك، فأما أن يقال: إن الإدراك عين حصول تلك الصورة فهذا لا يقوله عاقل. فلم لا يجوز أن يقال: القوة العقلية حالة في جسم مخصوص؟

ثم إن القُوَّة الناطقة قد تحصل لها حالة إضافية تسمى بالشعور والإدراك فَحِينَئِذٍ تصير القُوَّة العاقلة مدركة لتلك الآلة، وقد لا توجد تلك الحالة الإضافية فتصير غافلة عنها، وَإِذَا كَانَ هَذَا مُمَكَّنًا سَقَطَتْ تِلْكَ الشُّبْهَةُ رَأْسًا.

ثم نقول: أَتَدْعُونَ أَنَا إِذَا عَقَلْنَا شَيْئًا فَإِنَّ الصُّورَةَ الحَاضِرَةَ فِي العِقل مُسَاوِيَةً لِذَلِكَ المَعْقُولِ مِنْ جَمِيعِ الوُجُوهِ والاعتبارات أَوْ لَا يَجِبُ حُصُولُ هَذِهِ المَسَاوَاةِ مِنْ جَمِيعِ الوُجُوهِ [فالأول لا يقوله عاقل وهو أظهر من أن يُحتج لفساده. وإذا عَلِمَ أَنَّهُ لَا تَجِبُ المَسَاوَاةُ مِنْ جَمِيعِ الوُجُوهِ] لم يلزم من حُدُوثِ صُورَةٍ أُخْرَى فِي القَلْبِ وَالدِّمَاغِ اجْتِمَاعُ المَثَلِينَ.

وَأَيْضًا فَالقُوَّة العاقلة حالة فِي جَوْهَرِ القَلْبِ أَوْ الدِّمَاغِ، وَالصُّورَةُ الحَادِثَةُ حَالَةً فِي القُوَّة العاقلة فإحدى الصُّورَتَيْنِ محل للقوة العاقلة [والثانية حالة فيها، فلم لا يكفي هذا القدر من المغايرة]؟

وَأَيْضًا: فَنَحْنُ إِذَا رَأَيْنَا المَسَافَةَ الطَّوِيلَةَ وَالبعد الممتد فَهَلْ يَتَوَقَّفُ هَذَا الإِبْصَارُ عَلَى ارْتِسَامِ صُورَةِ المرئي فِي عَيْنِ الرَّائِي أَوْ لَا يَتَوَقَّفُ؟  
فَإِنَّ تَوَقُّفَ لَزْمِ اجْتِمَاعِ المَثَلِينَ؛ لِأَنَّ القُوَّةَ الباصرة عِنْدَكُمْ جَسْمَانِيَةً فَهِيَ فِي محل لَهُ حِجْمٌ وَمِقْدَارٌ، فَإِذَا حَصَلَ فِيهِ حِجْمُ المرئي وَمِقْدَارُهُ لَزْمُ اجْتِمَاعِ المَثَلِينَ، وَإِذَا جَاَزَ هُنَاكَ فَلَمْ لَا يَجُوزُ مِثْلُهُ فِي مَسْأَلَتِنَا؟

وَإِنْ كَانَ إِدْرَاكُ الشَّيْءِ لَا يَتَوَقَّفُ عَلَى حُصُولِ صُورَةِ المرئي فِي الرَّائِي بَطْلَ قَوْلِكُمْ:  
إِنَّ إِدْرَاكَ القَلْبِ وَالدِّمَاغِ يَتَوَقَّفُ عَلَى حُصُولِ صُورَةِ القَلْبِ وَالدِّمَاغِ فِي القُوَّة العاقلة.  
وَأَيْضًا فَقَوْلِكُمْ: لَوْ كَانَتْ القُوَّة العَقْلِيَّةُ حَالَةً فِي جِسْمٍ لَوَجَبَ أَنْ تَكُونَ دَائِمَةً الإِدْرَاكَ لِذَلِكَ الجِسْمِ، لَكِنْ إِدْرَاكُنَا لِقَلْبِنَا وَدِمَاغِنَا غَيْرَ دَائِمٍ، فَهَذَا إِنَّمَا يَلْزَمُ مِنْ يَقُولُ: إِنَّمَا حَالَةٌ فِي القَلْبِ أَوْ الدِّمَاغِ.

وَأَمَّا مَنْ يَقُولُ: إِنَّهَا حَالَةٌ فِي جِسْمٍ مَخْصُوصٍ وَهُوَ النَّفْسُ وَهِيَ مَشَابِكَةٌ لِلْبَدَنِ فَهَذَا  
الْإِلْزَامُ غَيْرُ وَارِدٍ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ يَقُولُ النَّفْسُ جِسْمٌ مَخْصُوصٌ وَالْإِنْسَانُ أَبَدًا عَالَمٌ بَأَنَّهُ جِسْمٌ  
مَخْصُوصٌ وَلَا يَزُولُ ذَلِكَ عَنِ عَقْلِهِ إِلَّا إِذَا عَرَضَتْ لَهُ الْغَفْلَةُ فَسَقَطَتِ الشُّبْهَةُ الَّتِي  
عَوْلْتُمْ عَلَيْهَا عَلَى كُلِّ تَقْدِيرٍ.

### فصل

**[قَوْلُكُمْ فِي السَّادِسِ:]** إِنْ كُلُّ أَحَدٍ يَدْرِكُ نَفْسَهُ وَالْإِدْرَاكُ عِبَارَةٌ عَنِ حُصُولِ مَا هِيَ  
الْمَعْلُومُ عِنْدَ الْعَالَمِ، وَهَذَا إِنَّمَا يَصِحُّ إِذَا كَانَتْ النَّفْسُ غَنِيَةً عَنِ الْمَحَلِّ إِلَى آخِرِهِ.  
جَوَابُهُ: أَنَّ ذَلِكَ مَبْنَى عَلَى الْأَصْلِ الْمُتَقَدِّمِ: وَهُوَ أَنَّ الْعِلْمَ عِبَارَةٌ عَنِ حُصُولِ صُورَةٍ  
مُسَاوِيَةٍ لِلْمَعْلُومِ فِي نَفْسِ الْعَالَمِ وَهَذَا بَاطِلٌ مِنْ وُجُوهِ كَثِيرَةٍ مَذْكُورَةٍ فِي مَسْأَلَةِ الْعِلْمِ  
حَتَّى لَوْ سَلِمَ ذَلِكَ فَالصُّورَةُ الْمَذْكُورَةُ شَرْطٌ فِي حُصُولِ الْعِلْمِ لَا أَنَّهَا نَفْسُ الْعِلْمِ.  
وَأَيْضًا: فَهَذِهِ الشُّبْهَةُ مَعَ رِكَازَةِ الْفَاعِلِ وَفَسَادِ مَقْدَمَاتِهَا مَنْقُوضَةٌ فَإِنَّمَا إِذَا أَخَذْنَا  
حِجْرًا أَوْ خَشَبَةً قُلْنَا: هَذَا جَوْهَرٌ قَائِمٌ بِنَفْسِهِ فَذَاتُهُ حَاضِرَةٌ عِنْدَ ذَاتِهِ فَيَجِبُ فِي هَذِهِ  
الْجِهَادَاتِ أَنْ تَكُونَ عَالِمَةٌ بِذَوَاتِهَا.

وَأَيْضًا فَجَمِيعَ الْحَيَوَانَاتِ مَدْرَكَةٌ لذَوَاتِهَا فَلَوْ كَانَ كَوْنُ الشَّيْءِ مَدْرَكًا لذَاتِهِ يَقْتَضِي  
كَوْنَ ذَاتِهِ جَوْهَرًا مُجَرَّدًا لَزِمَ كَوْنَ نَفُوسِ الْحَيَوَانَاتِ بِأَسْرَافِهَا جَوْاهِرَ مُجَرَّدَةٍ، وَأَنْتُمْ لَا  
تَقُولُونَ بِذَلِكَ.

### فصل

**[قَوْلُكُمْ فِي السَّابِعِ:]** إِنْ الْوَاحِدُ مِمَّنَا يَتَخِيلُ بَحْرًا مِنْ زَبْتٍ وَجِبَالًا مِنْ يَاقُوتٍ إِلَى  
آخِرِهِ.

وَهُوَ شُبْهَةُ أَبِي الْبَرَكَاتِ الْبَغْدَادِيِّ، فَشَبَّهُهُ دَاحِضَةً جَدًّا فَأَيَّتَهَا مَبْنِيَّةٌ عَلَى أَنْ تِلْكَ  
الْمُتَخَيَّلَاتُ أُمُورٌ مَوْجُودَةٌ وَأَيَّتَهَا مَنْطَبَعَةٌ فِي النَّفْسِ [الناطقة انطباع النقش] فِي مَحَلِّهِ،  
وَمَعْلُومٌ قَطْعًا أَنَّ هَذِهِ الْمَخِيلَاتُ لَا حَقِيقَةَ لَهَا فِي ذَاتِهَا وَإِنَّمَا الذَّهْنُ يَفْرِضُهَا تَقْدِيرًا  
وَلَيْسَتْ مَنْطَبَعَةٌ فِي النَّفْسِ، فَإِنَّ الْعُلُومَ الْخَارِجِيَّةَ لَا تَنْطَبَعُ صُورَهَا فِي النَّفْسِ فَكَيْفَ  
بِالْخَيَالَاتِ الْمَعْدُومَةِ فَهَذِهِ عَدَمِيَّةٌ مُحْضَةٌ.

وَلَا نَمْنَعُ مِنْ وَقُوعِ التَّمْيِيزِ بَيْنَ الْأَعْدَامِ الْمُضَافَةِ، فَإِنَّ الْعَقْلَ يُمَيِّزُ بَيْنَ عَدَمِ السَّمْعِ  
وَعَدَمِ الْبَصَرِ وَعَدَمِ الشَّمِّ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَلَا يَلْزِمُ مِنْ هَذَا التَّمْيِيزِ كَوْنَ هَذِهِ الْأَعْدَامِ  
مَوْجُودَةً بَلْ يُمَيِّزُ بَيْنَ أَنْوَاعِ الْمُسْتَحْيَلَاتِ الَّتِي لَا يُمَكِّنُ وُجُودَهَا الْبَتَّةَ.

ثُمَّ نَقُولُ: إِذَا عَقِلَ حُلُولَ الْأَشْكَالِ وَالْمُقَادِيرِ فِيمَا كَانَ مُجَرَّدًا عَنِ الْحَجْمِيَّةِ وَالْمُقَدَّارِ  
مِنْ كُلِّ الْوُجُوهِ فَلَأَنْ يُعْقَلَ حُلُولَ الْعِلْمِ بِالشَّكْلِ الْعَظِيمِ وَالْمُقَدَّارِ الْعَظِيمِ فِي الْجَسَدِ  
الصَّغِيرِ أَوْلَى.

وَأَيْضًا فَإِذَا كَانَ عَدَمُ الْإِنْطِبَاقِ مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ لَا يَمْنَعُ مِنْ حُلُولِ الصُّورَةِ  
وَالشَّكْلِ فِي الْجَوْهَرِ الْمَجْرَدِ فَعَدَمُ انْطِبَاقِ الْعَظِيمِ عَلَى الصَّغِيرِ أَوْلَى أَنْ لَا يَمْنَعُ مِنْ حُلُولِ  
الصُّورَةِ الْعَظِيمَةِ فِي الْمَحَلِّ الصَّغِيرِ.

وَأَيْضًا فَإِنَّ سَلْفَكُمْ مِنَ الْأَوَائِلِ أَقَامُوا الدَّلِيلَ عَلَى أَنَّ انْطِبَاقَ الصُّورَةِ الْخَيَالِيَّةِ فِي  
الْجَوْهَرِ الْمَجْرَدِ مَحَالٌّ وَذَكَرُوا لَهُ وَجُوهًا.

## فصل

**قَوْلُكُمْ فِي الثَّامِنِ:** لَوْ كَانَتْ الْقُوَّةُ الْعَقْلِيَّةُ جَسَدَانِيَّةً لَضَعُفَتْ فِي زَمَنِ الشَّيْخُوخَةِ  
وَلَيْسَ كَذَلِكَ.

جوابه من وجوه:

**الوجه الأول:** لم لا يجوز أن يقال القدر المحتاج إليه من صحة البدن في كمال القوة العقلية مقدار معين، وأما كمال حال البدن في الصحة فإنه غير معتبر في كمال حال القوة العقلية، وإذا احتتمل ذلك لم يبعد أن يقال ذلك القدر المحتاج إليه باقٍ إلى آخر الشيخوخة فبقي العقل إلى آخرها.

**الوجه الثاني:** أن الشيخ لعله إنما يمكنه أن يستمر في الإدراكات العقلية على الصحة أن عقله يبقى ببعض الأعضاء التي يتأخر الفساد والاستحالة إليها، فإذا انتهى إليها الفساد والاستحالة فسد عقله وإدراكه.

**الوجه الثالث:** أنه لا يمتنع أن يكون بعض الأمزجة أوفق لبعض القوى فلعل مزاج الشيخ أوفق للقوة العقلية فهذا السبب تقوى فيه القوة العاقلة.

**الوجه الرابع:** أن المزاج إذا كان في غاية القوة والشدة كانت سائر القوى قوية فتكون القوة الشهوانية والغضبية قوية جدًا وقوة هذه القوى تمنع العقل من الاستكمال، فإذا حصلت الشيخوخة وحصل الضعف حصل بسبب الضعف ضعف في هذه القوى المانعة للعقل من الاستكمال وحصل في العقل أيضًا ضعف، ولكن بقدر ما حصل في العقل من الضعف حصل ذلك في أضداده فينجبر النقصان من أحد الجانبين بالنقصان من الجانب الآخر فيقع الاعتدال.

**الوجه الخامس:** أن الشيخ حفظ العلوم والتجارب الكثيرة، ومارس الأمور ودرها وكثرت تجاربه وهذه الأحوال تعينه على وجوه الفكر وقوة النظر فتقاوم النقصان الحاصل بسبب ضعف البدن والقوى.

**الوجه السادس:** أن كثرة الأفعال [سبب] لحصول الملكات الراسخة فصارت الزيادة الحاصلة بهذا الطريق جابرًا للنقصان الحاصل بسبب اختلال البدن.



الْوَجْه السَّابِع: أنه قد ثبت في الصَّحِيح عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يهرم ابن آدم وتشب فيه خصلتان الحرص وطول الأمل»<sup>(١)</sup>، وَالْوَاقِعُ شَاهِدٌ لِهَذَا الْحَدِيثِ مَعَ أَنَّ الْحِرْصَ وَالْأَمَلَ مِنَ الْقَوَى الْجِسْمَانِيَةِ وَالصِّفَاتِ الْخَيَالِيَةِ، ثُمَّ إِنْ ضَعَفَ الْبَدَنُ لَمْ يُوجِبْ ضَعْفَ هَاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ فَعَلِمَ أَنَّهُ لَا يَلْزَمُ مِنْ اخْتِلَالِ الْبَدَنِ وَضَعْفِهِ ضَعْفَ الصِّفَاتِ الْبَدَنِيَّةِ.

الْوَجْه الثَّامِن: أَنَا نَرَى كَثِيرًا مِنَ الشُّيُوخِ يَصِيرُونَ إِلَى الْخَرْفِ وَضَعْفِ الْعَقْلِ بَلْ هَذَا هُوَ الْأَغْلَبُ وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا ﴾ [النحل: ٧٠]، فَالشَّيْخُ فِي أَرْدَلِ عَمْرِهِ يَصِيرُ كَالطِّفْلِ أَوْ أَسْوَأَ حَالًا مِنْهُ، وَأَمَّا مَنْ لَمْ يَحْصُلْ لَهُ ذَلِكَ فَإِنَّهُ لَا يَرُدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ.

الْوَجْه التَّاسِع: أَنَّهُ لَا تَلَازِمَ بَيْنَ قُوَّةِ الْبَدَنِ وَقُوَّةِ النَّفْسِ وَلَا بَيْنَ ضَعْفِهِ وَضَعْفِهَا فَقَدْ يَكُونُ الرَّجُلُ قَوِي الْبَدَنِ [ضَعِيفِ النَّفْسِ جَبَانًا خَوَّارًا، وَقَدْ يَكُونُ ضَعِيفِ الْبَدَنِ قَوِي النَّفْسِ فَيَكُونُ شَجَاعًا مَقْدَامًا عَلَى ضَعْفِ بَدَنِهِ.

الْوَجْه العَاشِر: أَنَّهُ لَوْ سَلِمَ لَكُمْ مَا ذَكَرْتُمْ لَمْ يَدُلَّ عَلَى كَوْنِ النَّفْسِ جَوْهَرًا مُجَرَّدًا لَا دَاخِلَ الْعَالَمِ وَلَا خَارِجَهُ، وَلَا هِيَ فِي الْبَدَنِ [وَلَا خَارِجَةَ عَنْهُ؛ لِأَنَّهَا إِذَا كَانَتْ جِسْمًا مَشْرَقًا صَافِيًا سَمَاوِيًّا مُخَالَفًا لِلْأَجْسَامِ الْأَرْضِيَّةِ لَمْ تَقْبَلِ الْإِنْحِلَالَ وَالذَّبُولَ وَالتَّبَدُّلَ كَمَا تَقْبَلُهُ الْأَجْسَامُ الْمُتَحَلِّلَةُ الْأَرْضِيَّةِ، فَلَا يَلْزَمُ مِنْ حُصُولِ الْإِنْحِلَالَ وَالذَّبُولِ فِي هَذَا الْبَدَنِ حُصُولُهُمَا فِي جَوْهَرِ النَّفْسِ.

<sup>(١)</sup> أخرجه البخاري: (٦٤٢١)، ومسلم: (١٠٤٧) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وبنحوه عند البخاري: (٦٤٢٠)، ومسلم: (١٠٤٦)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

## فصل

**قولكم في التاسع:** إن القوة العقلية غنية في أفعالها عن الجسم، وما كان غنياً عن الجسم في أفعاله كان غنياً عنه في ذاته إلى آخره.

جوابه: أن يقال لا يلزم من ثبوت حكم في قوة جسمانية ثبوت مثل ذلك الحكم في جميع القوى الجسمانية وليس معكم غير الدعوى المجردة والقياس الفاسد.

وأيضاً فالصور والأعراض محتاجة إلى محلها وليس احتياجها إلى تلك المحال إلا للمجرد ذواتها، ثم لا يلزم من استقلالها بهذا الحكم استغناؤها في ذواتها عن تلك المحال فلا يلزم من كون الشيء مستقلاً باقتضاء حكم من الأحكام أن يكون مستغنياً في ذاته عن المحال، والله أعلم.

## فصل

**قولكم في العاشر:** إن القوة الجسمانية تكمل بكثرة الأفعال ولا تقوى على القوي بعد الضعيف إلى آخره.

جوابه: أن القوة الخيالية جسمانية ثم إنَّها تقوى على تخيل الأشياء العظيمة مع تخيلها الأشياء الحقيرة فإنَّها يمكنها أن تتخيل الشعلة الصغيرة حال ما تخيل الشمس والقمر.

وأيضاً فإن إِبصار الأشياء القوية الفاهرة يمنع إِبصار الأشياء الضعيفة فكذلك نقول: المعقولات العظيمة العالية تمنع تعقل المعقولات الضعيفة، فإنَّ المُستغرق في معرفة جلال رب الأرض والسَّموات وأسمائه وصفاته يمتنع عليه في تلك الحال الفكر في ثبوت الجوهر الفرد وحقيقته.

## فصل

**قَوْلُكُمْ فِي الْحَادِي عَشْرَ:** إِنَّا إِذَا حَكَمْنَا بِأَنَّ السُّوَادَ يَضَادُ الْبِيَاضَ وَجِبَ أَنْ يَحْصَلَ فِي الذَّهْنِ مَا هِيَ السُّوَادُ وَالْبِيَاضُ مَعًا وَالْبَدِيهَةُ حَاكِمَةٌ بِأَنَّ اجْتِمَاعَهُمَا فِي الْجِسْمِ مَحَالٌ. جَوَابُهُ: أَنَّ هَذَا مَبْنَى عَلَى أَنَّ مَنْ أَدْرَكَ شَيْئًا فَقَدْ حَصَلَ فِي ذَاتِ الْمَدْرِكِ صُورَةٌ مُسَاوِيَةٌ لِلْمَدْرِكِ وَهَذَا بَاطِلٌ، وَاسْتِدْلَالُكُمْ عَلَى صِحَّتِهِ بَانْطِبَاعِ الصُّورَةِ فِي الْمَرَاةِ بَاطِلٌ فَإِنَّ الْمَرَاةَ لَمْ يَنْطَبِعْ فِيهَا شَيْءٌ الْبَتَّةَ كَمَا يَقُولُهُ جُمْهُورُ الْعُقَلَاءِ مِنَ الْفَلَسَفَةِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ وَغَيْرِهِمْ، وَالْقَوْلُ بِالْانْطِبَاعِ بَاطِلٌ مِنْ وُجُوهِ كَثِيرَةٍ. ثُمَّ نَقُولُ: إِذَا كُنْتُمْ قَدْ قُلْتُمْ: إِنَّ الْمَنْطَبِعَ فِي النَّفْسِ عِنْدَ إِدْرَاكِ السُّوَادِ وَالْبِيَاضِ رَسُومُهُمَا وَمِثَالُهُمَا لَا حَقِيقَتَهُمَا فَلَمْ لَا يَجُوزُ حُصُولُ رَسُومِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ فِي الْمَادَّةِ الْجِسْمَانِيَّةِ؟

### فصل

**قَوْلُكُمْ فِي الثَّانِي عَشْرَ:** إِنَّهُ لَوْ كَانَ مَحَلُّ الْإِدْرَاكَاتِ جِسْمًا وَكُلُّ جِسْمٍ مَنْقَسِمٌ لَمْ يَمْنَعْ أَنْ يَقُومَ بِبَعْضِ أَجْزَاءِ الْجِسْمِ عِلْمٌ بِالشَّيْءِ وَبِالْجُزْءِ الْآخَرَ مِنْهُ جَهْلٌ بِهِ فَيَكُونُ الْإِنْسَانُ عَالِمًا بِالشَّيْءِ جَاهِلًا بِهِ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ. جَوَابُهُ: أَنَّ هَذِهِ الشُّبْهَةَ مَنْتَقِضَةٌ عَلَى أَصُولِكُمْ، فَإِنَّ الشَّهْوَةَ وَالْغَضَبَ وَالتَّخِيلَ مِنَ الْأَحْوَالِ الْجِسْمَانِيَّةِ عِنْدَكُمْ وَمَحَلُّهَا مَنْقَسِمٌ فَلَزِمَكُمْ أَنْ تَجُوزُوا قِيَامَ الشَّهْوَةِ وَالْغَضَبِ بِأَحَدِ الْجُزْأَيْنِ وَضِدَهُمَا بِالْجُزْءِ الْآخَرَ فَيَكُونُ مُشْتَهِيًا لِلشَّيْءِ نَافِرًا عَنْهُ غَضْبَانٌ عَلَيْهِ غَيْرِ غَضْبَانٍ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ.

### فصل

**قَوْلُكُمْ فِي الثَّلَاثِ عَشَرَ: إِنْ الْمَادَّةَ الْجَسْمَانِيَّةَ إِذَا حَصَلَتْ فِيهَا نَفُوسٌ مَخْصُوصَةٌ اِمْتَنَعَ فِيهَا حُصُولُ مِثْلِهَا، وَالنَّفُوسَ الْعَقْلِيَّةَ<sup>(١)</sup> بَضْدَ ذَلِكَ إِلَى آخِرِهِ.**

**جَوَابُهُ: أَنْ غَايَةَ هَذَا أَنْ يَكُونَ قِيَاسًا تَمَثِيلِيًّا بَعِيرٍ جَامِعٍ، وَذَلِكَ لَا يُفِيدُ الظَّنَّ فَضْلًا عَنِ اليَقِينِ، فَإِنَّ النَّفُوسَ الْعَقْلِيَّةَ هِيَ الْعُلُومُ وَالْإِدْرَاكَاتُ، وَالنَّفُوسَ الْجَسْمَانِيَّةَ هِيَ الْأَشْكَالُ وَالصُّورُ، وَلَا رَيْبَ أَنَّ الْعُلُومَ مُخَالَفَةٌ بِحَقَائِقِهَا لِلصُّورِ وَالْأَشْكَالِ وَلَا يَلْزَمُ مِنْ ثُبُوتِ حَكْمٍ فِي نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْمَاهِيَاتِ ثُبُوتُهُ فِيهَا يُخَالَفُ ذَلِكَ النَّوْعَ.**

### فصل

**قَوْلُكُمْ فِي الرَّابِعِ عَشَرَ: لَوْ كَانَتْ النَّفْسُ جِسْمًا لَكَانَ بَيْنَ تَحْرِيكِ الْمَحْرُوكِ رِجْلِهِ وَبَيْنَ إِرَادَتِهِ لِلْحَرَكَةِ زَمَانٌ إِلَى آخِرِهِ.**

**جَوَابُهُ: أَنَّ النَّفْسَ مَعَ الْجَسَدِ لَا تَخْلُو مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْوَالٍ: إِمَّا أَنْ تَكُونَ لَابِسَةً لْجَمِيعِهِ مِنْ خَارِجِ كَالثَّوْبِ، أَوْ تَكُونَ فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ كَالْقَلْبِ وَالْمِغَاغِ، أَوْ تَكُونَ سَارِيَّةً فِي جَمِيعِ أَجْزَاءِ الْجَسَدِ.**

وَعَلَى كُلِّ تَقْدِيرٍ مِنْ هَذِهِ التَّقَادِيرِ فَتَحْرِيكُهَا لِمَا تُرِيدُ تَحْرِيكُهُ يَكُونُ مَعَ إِرَادَتِهَا لِذَلِكَ بِلَا زَمَانٍ كِإِدْرَاكِ الْبَصَرِ لِمَا يَلَاقِيهِ، وَإِدْرَاكِ السَّمْعِ وَالشَّمِّ وَالذُّوقِ وَإِذَا قَطَعْتَ الْعُضْوَ لَمْ يَنْقَطِعْ مَا كَانَ مِنْ جِسْمِ الْإِنْسَانِ مَتَخَلِّلاً لِذَلِكَ الْعُضْوِ سَوَاءً كَانَتْ لَابِسَةً لَهُ مِنْ دَاخِلِ

<sup>(١)</sup> في جميع النسخ (والنفوس البشرية) والصواب ما أثبتناه من (ف) لما سبق عند سرد هذه الأدلة، ولما سيأتي

بعده بسطرين في جواب المصنف رحمته.

أو من خارج بل تفارق العُضْو الذي بطل حسه في الوقت وتقلص عنه بلا زمان، وتكون مفارقتها لذلك العُضْو كمفارقة الهَوَاء للإِنَاء إذا ملئ ماء.

وأما إن كانت النَّفْس ساكنة في مَوْضِعٍ وَاحِدٍ من البدن لم يلزم أن تَبَيَّنَ مَعَ العُضْو المَقْطُوع.

وأما إن كانت لابسة للبدن من خارج لم يلزم أن يكون بين إرادتها لتحريكه ونفس التحريك زمان بل يكون فعلها حِينِيذٍ في تحريك الأَعْضَاء كفعل المغناطيس في الحديد وإن لم يلاصقه.

ثم نقول: هذا الهذيان الذي شغلتم به الزمان وَاِردَ عَلَيْكُمْ بَعِيْنَهُ فَإِنَّهَا عِنْدَكُمْ غير مُتَّصِلَةٌ بِالْبَدَنِ وَلَا مُنْفَصِلَةٌ عَنْهُ وَلَا دَاخِلَةٌ فِيهِ وَلَا خَارِجَةٌ عَنْهُ فَيَلْزَمُكُمْ مِثْلَ ذَلِكَ سواء.

### فصل

قَوْلُكُمْ فِي الْخَامِسِ عَشْرٍ: لَوْ كَانَتْ جِسْمًا لَكَانَتْ مُنْقَسِمَةً وَلَصَحَ عَلَيْهَا أَنْ تُعْلَمَ بَعْضُهَا وَتُجْهَلَ بَعْضُهَا، فَيَكُونُ الْإِنْسَانُ عَالِمًا بِبَعْضِ نَفْسِهِ جَاهِلًا بِالْبَعْضِ الْآخَرِ.

جوابه: أن هذه الشُّبُهَة مركبة من مقدمتين تلازميه واستثنائية<sup>(١)</sup>، والمنع واقع في كلا المقدمتين أو إحداهما فلا نسلم أنّها لو كانت جسمًا لَصَحَّ أَنْ تُعْلَمَ بَعْضُهَا وَتُجْهَلَ بَعْضُهَا

<sup>(١)</sup> المقدمة التلازمية أي: حصول شيء متوقف على حصول الآخر، فإن حصل الأول حصل الثاني والعكس صحيح، كقولنا: إذا كان النهار موجودًا فالشمس طالعة في الأفق.

فإن النفس بسيطة غير مركبة من هذه العناصر ولا من الأجزاء المختلفة فمتى شعرت بذاتها شعرت بجملتها فهذا منع المقدمة التلازمية.

وأما الاستثنائية فلا نسلم أنّها لا يصح أن تعلم بعضها حال غفلتها عن البعض الآخر، ولم تذكروا على بطلان ذلك شبهة فضلاً عن دليل.

ومن المعلوم أن الإنسان قد يشعر بنفسه من بعض الوجوه دون كلها، ويتفاوت الناس في ذلك فمنهم من يكون شعوره بنفسه أتم من غيره بدرجات كثيرة.

وقد قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ ﴾ [الحشر: ١٩]،

فهؤلاء نسوا نفوسهم لا من جميع الوجوه بل من الوجه الذي به مصالحها وكمالها وسعادتها، وإن لم ينسوها من الوجه الذي منه شهوتها وحظها وإرادتها فأنساهم مصالح نفوسهم أن يفعلوها ويطلبوها وعيوبها ونقائصها أن يزيلوها ويجتنبوها وكمالها الذي خلقت له أن يعرفوه ويطلبوه فهم جاهلون بحقائق أنفسهم من هذه الوجوه وإن كانوا عالمين بها من وجوه أخرى.

## فصل

**قولكم في السادس عشر:** لو كانت النفس جسماً لوجب ثقل البدن بدخولها فيه؛

[لأن] من شأن الجسم إذا زدت عليه جسماً آخر أن يثقل به.

والمقدمة الاستثنائية: هي مقدمة تتضمن احتمالين ثم يلحق بها استدراك ليرجح أحد الاحتمالين كقولنا سافر الحاج إما برّاً أو بحراً لكنه سافر برّاً. نقلاً عن حاشية «الروح» تحقيق بسام علي سلامة العموش ص (٤٥٢).

فَهَذِهِ شُبْهَةٌ فِي غَايَةِ الثَّقَالَةِ وَالْمَحْتَجِّ بِهَا أَثْقَلُ وَأَثْقَلُ! وَلَيْسَ كُلُّ جِسْمٍ زَيْدٍ عَلَيْهِ  
 جِسْمٌ آخَرَ ثِقْلُهُ، فَهَذِهِ الْحَسْبَةُ تَكُونُ ثَقِيلَةً فَإِذَا زَيْدٌ عَلَيْهِمَا جِسْمُ النَّارِ خَفَتْ جَدًّا، وَهَذَا  
 الظَّرْفُ يَكُونُ ثَقِيلًا فَإِذَا دَخَلَهُ جِسْمُ الْهَوَاءِ خَفَ، وَهَذَا إِنَّمَا يَكُونُ فِي الْأَجْسَامِ الثَّقَالِ  
 الَّتِي تَطْلُبُ الْمَرْكَزَ وَالْوَسْطَ بِطَبْعِهَا وَهِيَ تَتَحَرَّكُ بِالطَّبْعِ إِلَيْهِ، وَأَمَّا الْأَجْسَامُ الَّتِي تَتَحَرَّكُ  
 بِطَبْعِهَا إِلَى الْعُلُوِّ فَلَا يَعْضُرُ لَهَا ذَلِكَ بَلْ الْأَمْرُ فِيهَا بِالضَّدِّ مِنْ تِلْكَ الْأَجْسَامِ الثَّقَالِ بَلْ  
 إِذَا أُضِيفَتْ إِلَى جِسْمٍ ثَقِيلٍ أَكْسَبَتْهُ الْخِفَةَ، وَقَدْ أَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى بَعْضُهُمْ فَقَالَ:

ثقلت زجاجات أتتنا فرغاً      حتى إذا ملئت بصرف الراح  
 خفت فكادت أن تطير بها حوت      وكذا الجسوم تخف بالأرواح<sup>(١)</sup>.

## فصل

(١) اختُلفَ في قائلها: فقيل: إنها لأبي علي إدريس بن اليان العبدري، عزاها إليه التلمساني في "نفخ الطيب":  
 (٧٥/٤)، وابن سعد المغربي في كتابه "المغرب في حلى المغرب": (٩٦)، وابن سعيد الأندلسي في  
 "المرقصات والمطربات": (٢٧)، واليوسي في "زهر الأكم": (٢٠٩).  
 وقيل إنها لابن دريد، عزاها إليه العاملي في "الكشكول": (٣٧٢)، وبهاء الدين الأربلي في "رسالة الطيف":  
 (١٧).

**قولكم في السابع عشر:** لو كانت النفس جسماً لكانت على صفات سائر الأجسام التي لا تخلو منها من الخفة والثقل، والحرارة والبرودة، والرطوبة واليبوسة، والنعومة والخشونة إلى آخره.

**شبهة فاسدة، وحجة داحضة،** فإنه لا يجب اشتراك الأجسام في جميع الكيفيات والصفات، وقد فاوت الله سبحانه بين صفاتها وكيفياتها وطبائعها فمئها ما يرى بالبصر ويلمس باليد، ومئها ما لا يرى ولا يلمس، ومنا ما له لون ومئها ما لا لون له، ومئها ما يقبل الحرارة والبرودة، ومئها ما لا يقبله.

على أن للنفس من الكيفيات المختصة بها ما لا يشاركها فيها البدن ولها خفة وثقل وحرارة وبرودة ويبس ولين بحسبها، وأنت تجد الإنسان في غاية الثقالة وبدنه نحيل جداً وتجد في غاية الخفة وبدنه ثقيل، وتجد نفسها لينّة وادعة ونفساً يابسة قاسية ومن له حس سليم يشم رائحة بعض النفوس كالجيفة المتنتنة ورائحة بعضها أطيب من ريح المسك.

وقد كان رسول الله ﷺ إذا مر في طريق بقي أثر رائحته في الطريق ويعرف أنه مر بها<sup>(١)</sup>. وتلك رائحة نفسه وقلبه. وكانت رائحة عرقه من أطيب شيء<sup>(٢)</sup> وذلك تابع لطيب نفسه وبدنه.

<sup>(١)</sup> (حسن) أخرجه أبو يعلى: (٣١٢٥)، والبزار كما في "كشف الأستار": (٣/١٦٠-١٦١)، وأبو الشيخ في "أخلاق النبي ﷺ": (٢٢٥)، وأبو نعيم في "دلائل النبوة": (٢/٥٧٠)، والبخاري في "الأنوار في سائل النبي المختار": (١/١٦٠) من طرق عن عمر بن سعيد الأبيج عن سعيد عن قتادة عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ إذا مر في طريق من طرق المدينة وجدوا منه رائحة الطيب، وقالوا: مر رسول الله



من هذه الطريق. وإسناده ضعيف عمر بن سعيد الأبيح، قال أبو حاتم: ليس بقوي، وقال البخاري: منكر الحديث، وسعيد هو ابن أبي عروبة وكان قد اختلط.

قال البزار: ورواه أيضاً معاذ بن هشام عن أبيه عن قتادة عن أنس.

قلت: فهذه متابعة قوية انتفت بها علل الاسناد المتقدم:

١- ضعف عمر بن سعيد الأبيح حيث إنه قد تابعه معاذ بن هشام وهو صدوق.

٢- اختلاط سعيد بن أبي عروبة حيث إنه قد تابعه هشام الدستوائي وهو ثقة ثبت من رجال الجماعة. إلا أن هذه المتابعة - كما ترى - تحتاج إلى نظر في حال من قبل معاذ بن هشام ولم أقف عليها متصلة، إلا أن مثل هذه المتابعة يُستأنس بها فلم يذكرها البزار إلا لفائدة.

\* وللحديث طريق أخرى:

أخرجه ابن سعد في "الطبقات": (٣٩٨/١)، فقال: أخبرنا موسى بن إسماعيل أبو سلمة أخبرنا أبو بشر صاحب البصري أخبرنا يزيد الرقاشي: أن أنس بن مالك حدثهم قال: كنا نعرف خروج النبي ﷺ بريح الطيب. وهذا إسناد ضعيف، لضعف يزيد الرقاشي، وبقية رجاله مقبولون موسى بن إسماعيل أبو سلمة التبوذكي ثقة ثبت، وأبو بشر صاحب البصري هو بكر بن الحكم التميمي أبو بشر المزلق وثقة الإمام البزار وتلميذه أبو عبيدة الحداد وأبو سلمة التبوذكي، وقال أبو زرعة شيخ ليس بالقوي، قلت: فهو صدوق في أقل أحواله، وقال فيه الذهبي في "الميزان": صدوق. فهذه الطريق أيضاً يستأنس بها مع ما قبلها.

\* وقد جاء الحديث عن جابر بن عبد الله:

أخرجه الدارمي: (٢٠٧/١)، والبخاري في "التاريخ الكبير": (٣٩٩-٤٠٠)، وأبو نعيم في "دلائل النبوة": (٥٧١/٢)، والبعثي في "الأنوار": (١٦٠/١) من طريق إسحاق بن الفضل بن عبد الرحمن الهاشمي حدثنا مغيرة بن عطية عن أبي الزبير عن جابر: أن النبي ﷺ لم يسلك طريقاً - أو لا يسلك طريقاً - فيتبعه أحد إلا عرف أنه قد سلكه من طيب عرفه أو قال من ریح عرفه. وإسناده ضعيف؛ إسحاق بن الفضل وشيخه مغيرة بن عطية مجهولان، وأبو الزبير مدلس وقد عنعن.

\* وجاء مرسلًا:

أخرجه الدارمي: (٢٠٧/١)، وابن سعد في "الطبقات": (٣٩٩/١) من طرق عن الأعمش عن إبراهيم: كان رسول الله ﷺ يُعرف بالليل بطيب الريح. هذا لفظ الدارمي، ولفظ ابن سعد: يعرف بريح الطيب

وَأَخْبَرَ وَهُوَ أَصْدَقُ الْبَشَرِ: أَنَّ الرُّوحَ عِنْدَ الْمَفَارِقَةِ يُوجَدُ لَهَا كَأَطِيبِ نَفْحَةِ مَسْكَ [وُجِدَتْ] عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ<sup>(١)</sup>، أَوْ كَأَنَّ رِيحَ جَيْفَةٍ وَجَدْتَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، وَلَوْ لَا الرُّكَامُ الْغَالِبُ لَشَمَ الْحَاضِرُونَ ذَلِكَ. عَلَى أَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَجِدُ ذَلِكَ، وَقَدْ أَخْبَرَ بِهِ غَيْرَ وَاحِدٍ، وَيَكْفِي فِيهِ خَبَرُ الصَّادِقِ الْمَصْدُوقِ، وَكَذَلِكَ أَخْبَرَ بِأَنَّ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ مَشْرُوقَةٌ وَأَرْوَاحَ الْكُفَّارِ سَوْدٌ<sup>(٢)</sup>، وَبِالْجُمْلَةِ فَكَيْفِيَّاتِ النُّفُوسِ أَظْهَرَ مِنْ أَنْ يَنْكُرَهَا إِلَّا مِنْ هُوَ مِنْ أَجْهَلِ النَّاسِ بِهَا.

إذا أقبل. ورجاله ثقات لكنه معضل فإن إبراهيم وهو ابن يزيد النخعي تابعي صغير لم يسمع من أحد من الصحابة -وقد لقي بعضهم-.

هذا ما وقفت عليه من طرق هذا الحديث، وما جاء من الأحاديث في طيب عرق رسول الله ﷺ فهو شيء كثير كله يشهد لهذا الحديث:

فمن ذلك ما أخرجه البخاري: (٣٥٦١)، ومسلم: (٢٣٣٠) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ما شممت عنبراً قط ولا مسكاً ولا شيئاً أطيب من ريح رسول الله ﷺ.

ومنها ما أخرجه مسلم: (٢٣٢٩) عن جابر بن سمرة: أن النبي ﷺ مسح خده بيده قال: فوجدت ليده برداً أو ريحاً كأنها أخرجها من جؤنة عطار.

وبنحوه في «صحيح البخاري»: (٣٥٥٣) عن أبي جحيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفيه: فأخذت بيده فوضعتها على وجهي فإذا هي أبرد من الثلج وأطيب رائحة من المسك.

وقصة أم سليم في «صحيح مسلم»: (٢٣٣١)، وفيه: أنها كانت تجمع عرق رسول الله ﷺ من الفراش الذي ينام فيه وتجعله في قوارير وتقول هو من أطيب الطيب.

وغيرها كثير، فالحديث بهذه الطرق والشواهد لا ينزل عن درجة الحسن والله تعالى أعلم.

<sup>(١)</sup> انظر ما تقدم في التخريج السابق.

<sup>(٢)</sup> (صحيح) قطعة من حديث البراء الطويل تقدم في المسألة السادسة ص ( ).

<sup>(٣)</sup> لم أجده.

## فصل

**قَوْلُكُمْ فِي الثَّامِنِ عَشَرَ:** لَوْ كَانَتْ جِسْمًا لَوَجِبَ أَنْ تَقَعَ تَحْتَ جَمِيعِ الْحَوَاسِ أَوْ تَحْتَ حَاسَةٍ مِنْهَا إِلَى آخِرِهِ.

فَجَوَابُهُ بِمَنْعِ اللَّزُومِ، فَإِنَّكُمْ لَمْ تَذْكُرُوا عَلَيْهِ شُبُهَةً فَضْلًا عَنْ دَلِيلٍ وَمَعَ انْتِفَاءِ اللَّازِمِ فَإِنَّ الرُّوحَ تَدْرِكُ بِالْحَوَاسِ فَتَلْمَسُ وَتَرَى وَتَشْمُ لَهَا الرَّائِحَةَ الطَّيِّبَةَ وَالْحَبِيثَةَ كَمَا تَقْدَمُ فِي النُّصُوصِ الْمُسْتَفِيضَةِ، وَلَكِنْ لَا نَشَاهِدُ نَحْنُ ذَلِكَ.

وَهَذَا الدَّلِيلُ لَا يُمَكِّنُ مَنْ يَصَدِّقُ الرُّسُلَ أَنْ يَحْتَجَّ بِهِ فَإِنَّ الْمَلِكَ جِسْمٌ وَلَا يَقَعُ تَحْتَ حَاسَةٍ مِنْ حَوَاسِنَا، وَكَذَلِكَ الْجِنُّ وَالشَّيَاطِينُ أَجْسَامٌ لَطَافٌ لَا تَقَعُ تَحْتَ حَوَاسِنَا.

وَالْأَجْسَامُ مُتَّفَاوِتَةٌ فِي ذَلِكَ تَفَاوُتًا كَثِيرًا فَمِنْهَا مَا يَدْرِكُ بِأَكْثَرِ الْحَوَاسِ، وَمِنْهَا مَا [لَا] يَدْرِكُ بِأَكْثَرِهَا، وَمِنَا مَا يَدْرِكُ بِحَاسَةٍ وَاحِدَةٍ، وَمِنْهَا مَا لَا نَدْرِكُهُ نَحْنُ فِي الْغَالِبِ وَإِنْ أَدْرِكُ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ لِكَوْنِهِ لَمْ يَخْلُقْ لَنَا إِدْرَاكَهُ أَوْ لِمَنْعِهِ يَمْنَعُ مِنْ إِدْرَاكِهِ أَوْ لِلطَّفَةِ عَنْ إِدْرَاكِ حَوَاسِنَا فَمَا عَدَمُ اللَّوْنِ مِنَ الْأَجْسَامِ لَمْ يَدْرِكْ بِالْبَصْرِ كَالهَوَاءِ وَالنَّارِ فِي عِنَصْرِهَا وَمَا عَدَمُ الرَّائِحَةِ لَمْ يَدْرِكْ بِالشَّمِّ كَالنَّارِ وَالْحَصَا وَالزَّجَاجِ، وَمَا عَدَمُ الْمَجَسَّةِ<sup>(١)</sup> لَمْ يَدْرِكْ بِاللَّمْسِ كَالهَوَاءِ السَّاكِنِ.

وَأَيْضًا: فَالرُّوحُ هِيَ الْمُدْرِكَةُ لِمَدَارِكِ هَذِهِ الْحَوَاسِ بِوَسِطَةِ آلَاتِهَا فَالنَّفْسُ هِيَ الْحَاسَةُ الْمُدْرِكَةُ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مَحْسُوسَةً فَالْأَجْسَامُ وَالْأَعْرَاضُ مَحْسُوسَةٌ، وَالنَّفْسُ مَحْسُوسَةٌ بِهَا وَهِيَ الْقَابِلَةُ لِأَعْرَاضِهَا الْمُتَعَاقِبَةِ عَلَيْهَا مِنَ الْفَضَائِلِ وَالرَّذَائِلِ كَقَبُولِ الْأَجْرَامِ لِأَعْرَاضِهَا

<sup>(١)</sup> الجس هو اللمس باليد والمجسة ممسة ما تمس قال ابن سيده: جسه بيده يحسه جسًا واجتسه أي: مسه ولمسه والمجسة الموضع الذي تقع عليه يده إذا جسّه، «لسان العرب»: (جسس).

المتعاقبة عَلَيْهَا وَهِيَ المتحركة باختيارها المحركة للبدن قسراً وقهراً وَهِيَ مُؤَثَّرَةٌ فِي البدن متأثرة بِهِ تَأْلَمُ وتلد، وتفرح وتحزن، وترضى وتغضب، وتنعم وتبأس، وتحب وتكره، وتذكر وتنسى، وتصعد وتنزل، وتعرف وتنكر، فأثارها من أدل الدلائل على وجودها كَمَا أَنَّ آثارَ الخَالِقِ سُبْحَانَهُ دَالَّةٌ عَلَى وجوده وَعَلَى كَمَالِهِ فَإِنَّ دَلَالََةَ الأثرِ عَلَى مؤثره ضُرُورِيَّةٌ.

وتأثيرات النفوس بَعْضُهَا فِي بعضِ أَمْرٍ لَا يُنْكَرُهُ ذُو حَسٍّ سَلِيمٍ وَلَا عَقْلٍ مُسْتَقِيمٍ وَلَا سِيْمًا عِنْدَ تجردها نوع تجرد عَنِ العلائق والعوائق البدنيَّة، فَإِنَّ قواها تتضاعف وتتزايد بِحَسَبِ ذَلِكَ وَلَا سِيْمًا عِنْدَ مُخَالَفَةِ هَوَاهَا وَحَمَلِهَا عَلَى الأَخْلَاقِ العَالِيَةِ مِنَ العِفَّةِ والشجاعة والعَدْلِ والسخاء، وتجنبها سفاسف الأَخْلَاقِ ورذائلها وسافلها فَإِنَّ تأثيرها فِي العَالَمِ يَقْوَى جَدًّا، تَأْثِيرًا يَعْجِزُ عَنْهُ البدن وأعراضه: أَنَّ تنظرَ إِلَى حِجْرٍ عَظِيمٍ فَتَشْقَهُ أَوْ حَيَوَانَ كَبِيرٍ فَتَتَلَفَهُ أَوْ إِلَى نِعْمَةٍ فَتَزِيلُهَا، وَهَذَا أَمْرٌ قَدْ شَاهَدَهُ الأُمَّمُ عَلَى اخْتِلَافِ أَجْنَاسِهَا وَأَدْيَانِهَا وَهُوَ الَّذِي يَسْمَى إِصَابَةَ العَيْنِ فَيُضِيفُونَ الأثرَ إِلَى العَيْنِ وَلَيْسَ لَهَا فِي الحَقِيقَةِ وَإِنَّمَا هُوَ لِلنَّفْسِ المتكيفة بكيفية ردية سُمِّيَّة، وَقَدْ يَكُونُ بِوَاسِطَةِ نَظَرِ العَيْنِ، وَقَدْ لَا يَكُونُ بَلْ يُوصَفُ لَهُ الشَّيْءُ مِنْ بَعِيدٍ فَتَتَكَيَّفُ عَلَيْهِ نَفْسُهُ بِتِلْكَ الكَيْفِيَّةِ فَتَفْسُدُهُ وَأَنْتَ تَرَى تَأْثِيرَ النَّفْسِ فِي الأَجْسَامِ صَفْرَةَ وَحُمْرَةَ وَارْتِعَاشًا بِمَجْرَدِ مَقَابَلَتِهَا لَهَا وَقوتِهَا، وَهَذِهِ وَأَضْعَافُهَا آثَارُ خَارِجَةٍ عَنِ تَأْثِيرِ البدن وأعراضه فَإِنَّ البدنَ لَا يُؤْثِرُ إِلَّا فِيمَا لاقاه وَمَاسَهُ تَأْثِيرًا مَخْصُوصًا وَلَمْ تَزَلِ الأُمَّمُ تَشْهَدُ تَأْثِيرَ الهِمَمِ الفَعَالَةِ فِي العَالَمِ وَتَسْتَعِينُ بِهَا وَتَحْذَرُ أَثَرَهَا.

وَقَدْ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَنْ يَغْسِلَ الْعَائِنَ مَغَابِنَهُ وَمَوَاضِعَ الْقَدْرِ مِنْهُ ثُمَّ يَصُبُ ذَلِكَ الْمَاءَ عَلَى الْمَعِينِ فَإِنَّهُ يَزِيلُ عَنْهُ تَأْثِيرَ نَفْسِهِ فِيهِ <sup>(١)</sup> وَذَلِكَ بِسَبَبِ أَمْرٍ طَبِيعِيٍّ اقْتَضَتْهُ حِكْمَةُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، فَإِنَّ النَّفْسَ الْأَمَارَةَ لَهَا بِهَذِهِ الْمَوَاضِعِ تَعْلُقُ وَالْفُ وَالْأَرْوَاحَ الْخَبِيثَةَ الْخَارِجِيَّةَ تَسَاعِدُهَا وَتَأْلَفُ هَذِهِ الْمَوَاضِعَ غَالِبًا لِلْمُنَاسَبَةِ بَيْنَهَا وَبَيْنَهَا، فَإِذَا غَسَلْتَ بِالْمَاءِ طِفْئَتِ تِلْكَ النَّارِيَّةِ مِنْهَا كَانَتْ طِفْئَةً الْحَدِيدِ الْمَحْمَى بِالْمَاءِ فَإِذَا صَبَّ ذَلِكَ الْمَاءَ عَلَى الْمَصَابِ طِفْئَةً عَنِ تِلْكَ النَّارِيَّةِ الَّتِي وَصَلَتْ إِلَيْهِ مِنَ الْعَائِنِ، وَقَدْ وَصَفَ الْأَطِبَّاءُ الْمَاءَ الَّذِي يَطْفَأُ فِيهِ الْحَدِيدَ لِأَلَامٍ وَأَوْجَاعٍ مَعْرُوفَةٍ.

<sup>(١)</sup> (صحيح) أخرجه مالك: (١٨٧٧)، وأحمد: (٤٨٦/٣)، والنسائي في «الكبرى»: (٧٦١٧)، وابن ماجه: (٣٥٠٩) من طرق عن الزهري عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف أن أباه حدثه: أن رسول الله ﷺ خرج وساروا معه نحو مكة، حتى إذا كانوا بشعب الخزار من الجحفة اغتسل سهل بن حنيف وكان رجلاً أبيض حسن الجسم والجلد فنظر إليه عامر بن ربيعة أخو بني عدي بن كعب وهو يغتسل فقال: ما رأيت كالיום ولا جلد مخبأة، فلبط بسهل فأتي رسول الله ﷺ فقيل: يا رسول الله هل لك في سهل والله ما يرفع رأسه ولا يفيق قال: «هل تتهمون فيه من أحد؟» قالوا: نظر إليه عامر بن ربيعة، فدعا رسول الله ﷺ عامراً فتغيظ عليه قال: «علام يقتل أحدكم أخاه؟» هلا إذا رأيت ما يعجبك بركت ثم قال: اغتسل له فغسل وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخلة إزاره في قدح، ثم صب ذلك الماء عليه، يصبه رجل على رأسه وظهره من خلفه ثم يكفئ القدح وراءه ففعل به ذلك فراح سهل مع الناس وليس به بأس. وإسناده صحيح على شرط الشيخين.

وقد وقع فيه خلاف في وصله وإرساله، فمنهم من قال فيه: «أبو أمامة بن سهل بن حنيف أن أباه حدثه...» ومنهم من قال: «أبو أمامة بن سهل بن حنيف قال رأى عامر بن ربيعة...». انظر علل الدار قطني مسألة رقم: (٢٦٩).

وعلى كل فالحديث ثابت فإن أباً أمامة بن سهل صحابي صغير، ومع ذلك فالحديث له شاهد عن عامر بن ربيعة، أخرجه أحمد (١٥٧٠٠)، والنسائي في الكبرى (٧٤٦٩) وغيرهم.

وَقَدْ جَرَّبَ النَّاسُ مِنْ تَأْثِيرِ الْأَرْوَاحِ بَعْضَهَا فِي بَعْضٍ عِنْدَ تَجَرُّدِهَا فِي الْمَنَامِ عَجَائِبَ تَفُوتُ الْحُضَرَ، وَقَدْ نَبَهْنَا عَلَى بَعْضِهَا فِيمَا مَضَى فَعَالِمُ الْأَرْوَاحِ عَالِمٌ آخِرٌ أَعْظَمُ مِنْ عَالِمِ الْأَبْدَانِ وَأَحْكَامِهِ وَأَثَارِهِ أَعْجَبُ مِنْ أَثَارِ الْأَبْدَانِ؛ بَلْ كُلٌّ مَا فِي الْعَالَمِ مِنَ الْأَثَارِ الْإِنْسَانِيَةِ فَإِنَّهَا هِيَ مِنْ تَأْثِيرِ النَّفْسِ بِوَسِطَةِ الْبَدَنِ، فَالْنَفْسُ وَالْأَبْدَانُ يَتَعَاوَنَانِ عَلَى التَّأْثِيرِ تَعَاوَنَ الْمُشْتَرِكِينَ فِي الْفِعْلِ، وَتَنْفَرِدُ النَّفْسُ بِأَثَارِ لَا يَشَارِكُهَا فِيهَا الْبَدَنُ وَلَا يَكُونُ لِلْبَدَنِ تَأْثِيرٌ لَا تَشَارِكُهُ فِيهِ النَّفْسُ.

## فصل

**قَوْلُكُمْ فِي التَّاسِعِ عَشَرَ:** لَوْ كَانَتْ النَّفْسُ جِسْمًا لَكَانَتْ ذَاتَ طُولٍ وَعَرْضٍ وَعَمَقٍ وَشَكْلٍ وَسَطْحٍ وَهَذِهِ الْمَقَادِيرُ لَا تَقُومُ إِلَّا بِهَادَةِ إِلَى آخِرِهِ.

جَوَابُهُ: أَنَا نَقُولُ قَوْلَكُمْ هَذِهِ الْمَقَادِيرُ لَا تَقُومُ إِلَّا بِهَادَةِ، قُلْنَا: وَكَانَ مَاذَا وَالنَّفْسُ لَهَا مَادَّةٌ خَلَقَتْ مِنْهَا وَجَعَلَتْ عَلَى شَكْلِ مَعِينٍ وَصُورَةَ مُعَيَّنَةٍ.

قَوْلُكُمْ: مَادَتِهَا إِنْ كَانَتْ نَفْسًا لَزِمَ اجْتِمَاعُ نَفْسَيْنِ، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ نَفْسٍ كَانَتْ مَرْكَبَةً مِنْ بَدَنِ وَصُورَةَ.

قُلْنَا: مَادَتِهَا لَيْسَتْ نَفْسًا كَمَا أَنَّ مَادَّةَ الْإِنْسَانِ لَيْسَتْ إِنْسَانًا، وَمَادَةُ الْجِنِّ لَيْسَتْ جِنًّا، وَمَادَةُ الْحَيَوَانَاتِ لَيْسَتْ حَيَوَانًا.

قَوْلُكُمْ: يَلْزِمُ كَوْنَ النَّفْسِ مَرْكَبَةً مِنْ بَدَنِ وَصُورَةَ مُقَدَّمَةَ كَاذِبَةٍ، وَإِنَّمَا يَلْزِمُ كَوْنَ النَّفْسِ مَخْلُوقَةً مِنْ مَادَّةٍ وَلَهَا صُورَةٌ مُعَيَّنَةٌ، وَهَكَذَا نَقُولُ: سَوَاءٌ، وَلَمْ تَذَكُرُوا عَلَى بَطْلَانِ هَذِهِ شُبُهَةٌ فَضْلًا عَنِ حِجَّةِ ظَنِيَّةٍ أَوْ قَطْعِيَّةٍ.

## فصل

**قَوْلُكُمْ فِي الْوَجْهِ الْعِشْرِينَ:** إِنْ خَاصَّةَ الْجِسْمِ أَنْ يَقْبَلَ التَّجْزِيَّ، وَأَنَّ الْجُزْءَ الصَّغِيرَ [مِنْهُ] لَيْسَ كَالكَبِيرِ. فَلَوْ قَبِلَتِ التَّجْزِيَّ فَكُلُّ جُزْءٍ مِنْهَا إِنْ كَانَ نَفْسًا لَزِمَ أَنْ يَكُونَ لِلإِنْسَانِ نَفُوسٌ كَثِيرَةٌ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ نَفْسًا لَمْ يَكُنْ الْمَجْمُوعُ نَفْسًا.

**جَوَابُهُ:** إِنْ أَرَدْتُمْ أَنَّ كُلَّ جِسْمٍ يَقْبَلُ التَّجْزِيَّ فِي الْخَارِجِ فَكُذِبَ ظَاهِرُ فَإِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالْكَوَاكِبَ لَا تَقْبَلُ ذَلِكَ وَلَا يَلْزَمُ أَنَّ كُلَّ جِسْمٍ يَصِحُّ عَلَيْهِ التَّجْزِيُّ وَالتَّبْعِيضُ فِي الْخَارِجِ، أَمَا عَلَى قَوْلِ نَفَاةِ الْجَوْهَرِ الْفَرْدِ فَظَاهِرٌ، وَأَمَا عَلَى قَوْلِ مُثْبِتِيهِ فَإِنَّهُ عِنْدَهُمْ جَوْهَرٌ مُتَحَيِّزٌ لَا يَصِحُّ عَلَيْهِ قَبُولُ الانْقِسَامِ سَلْمًا أَنْهَا تَقْبَلُ الانْقِسَامَ، فَأَيُّ شَيْءٍ يَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ؟

**قَوْلُكُمْ:** إِنْ كَانَ كُلُّ جُزْءٍ مِنْ تِلْكَ الْأَجْزَاءِ نَفْسًا لَزِمَ اجْتِمَاعُ نَفُوسٍ كَثِيرَةٍ فِي الإِنْسَانِ.

**قُلْنَا:** إِنَّمَا يَلْزَمُ ذَلِكَ لَوْ انْقَسَمَتِ النَّفْسُ بِالْفِعْلِ إِلَى نَفُوسٍ كَثِيرَةٍ وَهَذَا مُحَالٌ. **قَوْلُكُمْ:** وَإِنْ لَمْ يَكُنْ كُلُّ جُزْءٍ نَفْسًا لَمْ يَكُنْ الْمَجْمُوعُ نَفْسًا مُقَدِّمَةً كَاذِبَةً مُتَقَضَّةً فَكُلُّ مَا هِيَ تَبَّتْ لَهَا حَكْمٌ عِنْدَ اجْتِمَاعِ أَجْزَائِهَا، فَإِنَّ ذَلِكَ الْحَكْمَ [لَا يَثْبُتُ لِكُلِّ جُزْءٍ مِنْ تِلْكَ الْأَجْزَاءِ] كَمَا هِيَ الْبَيْتُ وَالإِنْسَانُ وَالْعِشْرَةُ وَغَيْرُهَا.

### فصل

**قَوْلُكُمْ فِي الْوَجْهِ الْحَادِي وَالْعِشْرِينَ:** إِنْ الْجِسْمُ يَحْتَاجُ فِي قِوَامِهِ وَبِقَائِهِ وَحِفْظِهِ [إِلَى] النَّفْسِ فَلَوْ كَانَتِ النَّفْسُ جِسْمًا لَكَانَتْ مُحْتَاجَةً فِي قِوَامِهَا وَبِقَائِهَا [إِلَى] نَفْسٍ أُخْرَى وَيَلْزَمُ التَّسْلُسُ.

**جَوَابُهُ:** أَنَّهُ لَا يَلْزَمُ مِنْ افْتِقَارِ الْبَدَنِ إِلَى نَفْسٍ تَحْفَظُهُ افْتِقَارُ النَّفْسِ إِلَى نَفْسٍ تَحْفَظُهَا وَهَلْ ذَلِكَ إِلَّا مُجَرَّدُ دَعْوَةٍ كَاذِبَةٍ تَسْتَنْدُ إِلَى قِيَاسٍ قَدْ تَبَيَّنَ بَطْلَانَهُ، فَإِنَّ كُلَّ جِسْمٍ لَا يَفْتَقِرُ

إلى نفس تحفظه كأجسام المعادن وجسم الهواء والماء والنار والتراب وأجسام سائر الجهادات.

فإن قلتم: إن هذه ليست أحياء ناطقة بخلاف النفس فإنها حيّة ناطقة. قلنا: فحينئذ يبقى الدليل هكذا: إن كل جسم حي ناطق يحتاج في حفظه وقيامه إلى نفس تقوم به وهذه دعوى مجرّدة وهي كاذبة، فإن الجنّ والملائكة أحياء ناطقون وليسوا مفتقرين في قيامهم إلى أرواح آخر تقوم بهم.

فإن قلتم: وكلامنا معكم في الجنّ والملائكة فإنهم ليسوا بأجسام متحيزة. قلنا: الكلام مع من يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورأسله، وأما من كفر بذلك فالكلام معه في النفس ضائع وقد كفر بفاطر النفس ومبدعها وملائكته وما جاءت به رسله وكان تاركًا ما دلّ عليه العيان مع دليل الإيّن، فإن الآثار المشهودة في العالم من تأثيرات الملائكة والجنّ بإذن ربهم لا يمكن إنكارها ولا هي موجودة بنفسها ولا تقدر عليها القوى البشرية.

## فصل

**قولكم في الثاني والعشرين:** لو كانت جسمًا لكان اتصالها بالبدن إن كان على سبيل المداخلة لزم تداخل الأجسام، وإن كان على سبيل الملاصقة والمجاورة كان الإنسان الواحد جسمين متلاصقين، أحدهما يرى والآخر لا يرى. جوابه من وجوه:

أحدها: أن تداخل الأجسام المحال أن يتداخل جسمان كثيفان أحدهما في الآخر بحيث يكون حيزهما واحدًا، وأما أن يدخل جسم لطيف في كثيف يسرى فيه فهذا ليس بمحال.



الثاني: أن هذا باطلٌ بصور كثيرةٍ منها دُخولُ الماءِ في العودِ والسحابِ، ودُخولُ النارِ في الحديدِ، ودُخولُ الغذاءِ في جميعِ [أجزاء] البدنِ، ودُخولُ الجنِّ في المصروعِ، فالروحُ للطافتها لا يمتنعُ عليها مشابكةُ البدنِ والدُّخولُ في جميعِ أجزائه.

الثالث: أن حيزَ النَّفسِ البدنِ وحيزه مكانه المنفصل عنه، وهذا ليسَ بتداخلٍ مُمتنعٍ، فإذا فارقتَه صارَ لها حيزٌ آخرٌ غيرَ حيزه وحيزه فلا يتداخلان بل يصير لكلٍ منهما حيزٌ يُحصُّهُ، وبالجُملةِ فدخولُ الروحِ في البدنِ ألطفُ من دُخولِ الماءِ في الثرى والدهنِ في البدنِ، فهذه الشُّبهُ الفاسدةُ لا يُعارضُ بها ما دلَّ عليه نُصوصُ الوحيِ والأدلةُ العقليةُ وبِاللهِ التَّوفيقِ.



## فصل

## وأما المسألة العشرون

وَهِيَ: هَلِ النَّفْسُ وَالرُّوحُ شَيْءٌ وَاحِدٌ أَوْ شَيْئَانِ مُتَغَايِرَانِ؟

فاختلف النَّاسُ فِي ذَلِكَ<sup>(١)</sup>:

فَمَنْ قَائِلٌ: إِنْ مَسَاهَمَا وَاحِدٌ وَهَمَّ الْجُمْهُورُ. وَمَنْ قَائِلٌ: إِنَّهُمَا مُتَغَايِرَانِ.

وَنَحْنُ نَكْشِفُ سِرَّ الْمَسْأَلَةِ بِحَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ فَتَقُولُ: النَّفْسُ تَطْلُقُ عَلَى أُمُورٍ:

أَحَدَهَا: الرُّوحُ، قَالَ الْجَوْهَرِيُّ<sup>(٢)</sup>: «النَّفْسُ الرُّوحُ، يُقَالُ: خَرَجَتْ نَفْسُهُ، قَالَ أَبُو

خِرَاشٍ<sup>(٣)</sup>:

نَجَا سَالِمٌ وَالنَّفْسُ مِنْهُ بِشِدْقِهِ      وَلَمْ يَنْجُ إِلَّا جَفْنَ سَيْفٍ وَمِئْزَرَا

أَيُّ: بِجَفَنِ سَيْفٍ وَمِئْزَرٍ.

وَالنَّفْسُ: الدَّمُ، يُقَالُ: سَالَتْ نَفْسُهُ. وَفِي الْحَدِيثِ: «مَا لَا نَفْسَ لَهُ سَائِلَةٌ لَا يَنْجِسُ

المَاءَ إِذَا مَاتَ فِيهِ»<sup>(٤)</sup>.

<sup>(١)</sup> انظر «مجموع الفتاوى»: (٤/٢٢٥-٢٢٦) و (٩/٢٩٢-٢٩٤)، ذكر كلامًا نحو كلام ابن القيم هنا وأن الروح تطلق على النفس، وكذلك النفس تطلق على الروح، وأن النفس تطلق على أشياء غير الروح كالذات والدم والعين، وأن الروح تطلق على أشياء غير النفس كجبريل والقرآن وغير ذلك مما قد ذكره ابن القيم هنا بأدلته.

<sup>(٢)</sup> انظر «الصحاح»: (٢/٨٢٨) مادة: (نفس).

<sup>(٣)</sup> كذا في «الصحاح» نسبة هذا البيت لأبي خراش، بينما نسبته العسكري في «شرح أشعار الهذليين»: (٥٢/٢) لحذيفة بن أنس الهذلي.

<sup>(٤)</sup> ليس هذا بحديث وإنما هو من كلام الفقهاء، قال العلامة الألباني في حاشيته على شرح الطحاوية ص (٣٩٤): لا أعرف له أصلًا وإنما هو من كلام الفقهاء.

وَالنَّفْسَ الْجَسَدَ، قَالَ الشَّاعِرُ:

نَبِئْتُ أَنْ بَنِي سُحَيْمٍ أَدْخَلُوا  
أَبْنَاءَهُمْ تَامورَ نَفْسِ الْمُنْذَرِ<sup>(١)</sup>

والتامور: الدَّم.

وَالنَّفْسُ: الْعَيْنُ يُقَالُ أُصَابَتْ فَلَانًا نَفْسٌ أَي: عَيْنٌ.

قلت: لَيْسَ كَمَا قَالَ، بَلِ النَّفْسُ هَا هُنَا الرُّوحُ وَنَسَبَةُ الإِصَابَةِ إِلَى الْعَيْنِ تَوْسِعُ؛ لِأَنَّهَا  
تَكُونُ بِوَاسِطَةِ النَّظَرِ الْمُصِيبِ وَالَّذِي أَصَابَهُ إِنَّمَا هُوَ نَفْسُ الْعَائِنِ كَمَا تَقْدُمُ.

قلت: وَالنَّفْسُ فِي الْقُرْآنِ تَطْلُقُ عَلَى الذَّاتِ بِجَمَلَتِهَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ فَسَلِّمُوا عَلَيَّ  
أَنْفُسِكُمْ ﴾ [النور: ٦١]، وَقَوْلِهِ: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ  
نَفْسٍ مُجَادِلًا عَن نَّفْسِهَا ﴾ [النحل: ١١١]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾  
[المدثر: ٣٨].

وَتَطْلُقُ عَلَى الرُّوحِ وَحَدَهَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴾ [الفجر: ٢٧]،  
وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ [الأنعام: ٩٣]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ  
الْهَوَى ﴾ [النازعات: ٤٠]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ [يوسف: ٥٣].  
وَأَمَّا الرُّوحُ فَلَا تَطْلُقُ عَلَى الْبَدَنِ لَا بَانْفِرَادِهِ وَلَا مَعَ النَّفْسِ.

وَتَطْلُقُ الرُّوحُ عَلَى الْقُرْآنِ الَّذِي أَوْحَاهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى رَسُولِهِ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَكَذَلِكَ  
أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ﴾ [الشورى: ٥٢]، وَعَلَى الْوَحْيِ الَّذِي يُوحِيهِ إِلَى أَنْبِيَائِهِ

قلت: ومن جاء عنه هذا الأثر إبراهيم النخعي كما في "غريب الحديث" لابن قتيبة: (٣٥٥/١)،  
و"التمهيد" لابن عبد البر: (٣٣٨/١).

<sup>(١)</sup> هذا البيت لأوس بن حجر، كما في "الصحيح".

وَرُسُلُهُ قَالَ تَعَالَى: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾<sup>(١)</sup>  
 [غافر: ١٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ  
 أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ [النحل: ٢]، وسمى ذلك روحًا لما يحصل به من الحياة  
 النافعة، فإن الحياة بدونه لا تنفع صاحبها البتة، بل حياة الحيوان البهيم خير منها وأسلم  
 عاقبة.

وَسُمِّيَتِ الرُّوحُ رُوحًا؛ لِأَنَّ بِهَا حَيَاةَ الْبَدَنِ، وَكَذَلِكَ سُمِّيَتِ الرِّيحُ لِمَا يَحْصُلُ بِهَا مِنْ  
 الْحَيَاةِ وَهِيَ مِنْ ذَوَاتِ الْوَاوِ، وَهَذَا تَجْمَعُ عَلَى أَرْوَاحٍ قَالَ الشَّاعِرُ:

إِذَا ذَهَبَ الْأَرْوَاحُ مِنْ نَحْوِ أَرْضِكُمْ      وَجَدْتَ لِمَسْرَهَا عَلَى كَبِدِي بَرْدًا<sup>(٢)</sup>

وَمِنْهَا الرُّوحُ وَالرِّيَاحُ وَالِاسْتِرَاحَةُ فَسُمِّيَتِ النَّفْسُ رُوحًا؛ لِحُصُولِ الْحَيَاةِ بِهَا.

وَسُمِّيَتِ نَفْسًا إِذَا مِنْ الشَّيْءِ النَّفِيسِ لِنَفَاسَتِهَا وَشَرَفِهَا، وَإِذَا مِنْ تَنَفَسِ الشَّيْءِ إِذَا  
 خَرَجَ فَلَكَثْرَةَ خُرُوجِهَا وَدُخُولِهَا فِي الْبَدَنِ سُمِّيَتِ نَفْسًا، وَمِنْهُ النَّفْسُ بِالتَّحْرِيكِ فَإِنْ  
 الْعَبْدُ كُلَّمَا نَامَ خَرَجَتْ مِنْهُ فَإِذَا اسْتَيْقَظَ رَجَعَتْ إِلَيْهِ، فَإِذَا مَاتَ خَرَجَتْ خُرُوجًا كَلِيًّا  
 فَإِذَا دُفِنَ عَادَتْ إِلَيْهِ، فَإِذَا سُئِلَ خَرَجَتْ فَإِذَا بَعَثَ رَجَعَتْ إِلَيْهِ.

فَالْفَرْقُ بَيْنَ النَّفْسِ وَالرُّوحِ فَرْقٌ بِالصِّفَاتِ لَا فَرْقٌ بِالذَّاتِ.

وَإِنَّمَا سُمِّيَ الدَّمُّ نَفْسًا؛ لِأَنَّ خُرُوجَهُ الَّذِي يَكُونُ مَعَهُ الْمَوْتُ يَلِازِمُ خُرُوجَ النَّفْسِ،

وَإِنَّ الْحَيَاةَ لَا تَتِمُّ إِلَّا بِهِ كَمَا لَا تَتِمُّ إِلَّا بِالنَّفْسِ فَلِهَذَا قَالَ:

تَسِيلُ عَلَى حَدِّ الطُّبَّاتِ نَفُوسَنَا      وَكَيْسَتْ عَلَى غَيْرِ الطُّبَّاتِ تَسِيلُ<sup>(٣)</sup>

(١) هذا البيت لجران العود كما في كتاب "الصناعتين" للعسكري ص (٢٠٢)، ط المكتبة العصرية.

(٢) نسبه أبو البقاء العكبري في "شرح ديوان المتنبي": (٢٨٢/٣)، والنويري في "نهاية الأدب":

(٣/٢٢٥)، للسموأل، بينما نسبه أبو علي القالي في "الأمال": (١/٢٦٩) لعمر بن شأس ولفظه:

وَيُقَالُ: فَاضَتْ نَفْسَهُ وَخَرَجَتْ نَفْسَهُ، وَفَارَقَتْ نَفْسَهُ كَمَا يُقَالُ خَرَجَتْ رُوحَهُ، وَفَارَقَتْ، وَلَكِنَّ الْفَيْضَ الْإِنْدِفَاعَ وَهَلَةٌ وَاحِدَةٌ، وَمِنْهُ الْإِفَاضَةُ: وَهِيَ الْإِنْدِفَاعُ بِكَثْرَةٍ وَسُرْعَةٍ لَكِنَّ أَفَاضَ إِذَا دَفَعَ بِاخْتِيَارِهِ وَإِرَادَتِهِ، وَفَاضَ إِذَا أُنْدَفَعَ قَسْرًا وَقَهْرًا فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ هُوَ الَّذِي يَفِيضُهَا عِنْدَ الْمَوْتِ فَتَفِيضُ هِيَ.

### فصل

وَقَالَتْ فِرْقَةٌ أُخْرَى مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ: وَالْفِقْهُ وَالتَّصَوُّفُ الرُّوحَ غَيْرَ النَّفْسِ.  
قَالَ مِقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ: لِلْإِنْسَانِ حَيَاةٌ وَرُوحٌ وَنَفْسٌ، فَإِذَا نَامَ خَرَجَتْ نَفْسُهُ الَّتِي يَعْقِلُ بِهَا الْأَشْيَاءَ وَلَمْ تَفَارِقِ الْجَسَدَ بَلْ تَخْرُجُ كَحَبْلِ مَمْتَدٍ لَهُ شُعَاعٌ فَيَرَى الرَّؤْيَا بِالنَّفْسِ الَّتِي خَرَجَتْ مِنْهُ، وَتَبْقَى الْحَيَاةُ وَالرُّوحُ فِي الْجَسَدِ، فَبِهِ يَتَقَلَّبُ وَيَتَنَفَسُ فَإِذَا حَرَكَ رَجَعَتْ إِلَيْهِ أَسْرَعَ مِنْ طَرْفَةِ عَيْنٍ، فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَمِيتهُ فِي الْمَنَامِ أَمْسَكَ تِلْكَ النَّفْسَ الَّتِي خَرَجَتْ<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ أَيْضًا: إِذَا نَامَ خَرَجَتْ نَفْسُهُ فَصَعِدَتْ إِلَى فَوْقِ فَإِذَا رَأَتْ الرَّؤْيَا رَجَعَتْ فَأَخْبَرَتْ الرُّوحَ وَيَخْبِرُ الرُّوحَ الْقَلْبَ فَيُصْبِحُ يَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ رَأَى كَيْتٌ وَكَيْتٌ<sup>(٢)</sup>.  
قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَنْدَةَ: ثُمَّ اخْتَلَفُوا فِي مَعْرِفَةِ الرُّوحِ وَالنَّفْسِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: النَّفْسُ طِينِيَّةٌ نَارِيَّةٌ وَالرُّوحُ نُورِيَّةٌ رُوحَانِيَّةٌ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الرُّوحُ لَاهُوتِيَّةٌ وَالنَّفْسُ نَاسُوتِيَّةٌ<sup>(٣)</sup>، وَأَنَّ الْخَلْقَ بِهَا ابْتَلَى.

تسيل على حد الظلمات نفوسنا وليس على غير السيوف تسيل

<sup>(١)</sup> ذكره السيوطي في "شرح الصدور" ص (٤٣٣)، والسفاري في "لوامع الأنوار": (٣١ / ٢)، ولم أقف عليه مسندًا.

<sup>(٢)</sup> ولم أقف عليه.

وَقَالَتْ طَائِفَةٌ وَهُمْ أَهْلُ الْأَثَرِ: إِنَّ الرُّوحَ غَيْرَ النَّفْسِ وَالنَّفْسَ غَيْرَ الرُّوحِ، وَقَوَامِ النَّفْسِ بِالرُّوحِ، وَالنَّفْسُ صُورَةُ الْعَبْدِ وَالهُوَى وَالشَّهْوَةُ وَالْبَلَاءُ مَعْجُونٌ فِيهَا وَلَا عَدُوَّ أَعْدَى لِابْنِ آدَمَ مِنْ نَفْسِهِ، فَالنَّفْسُ لَا تُرِيدُ إِلَّا الدُّنْيَا وَلَا تَحِبُّ إِلَّا إِيَّاهَا، وَالرُّوحُ تَدْعُو إِلَى الْآخِرَةِ وَتُؤَثِّرُهَا، وَجَعَلَ الْهُوَى تَبَعًا لِلنَّفْسِ وَالشَّيْطَانُ تَبَعَ النَّفْسِ وَالهُوَى وَالْمَلِكُ مَعَ الْعَقْلِ وَالرُّوحِ وَاللَّهُ تَعَالَى يَمْدُهُمَا بِإِلْهَامِهِ وَتَوْفِيقِهِ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْأَرْوَاحُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ أَخْفَى حَقِيقَتَهَا وَعَلِمَهَا عَنِ الْخَلْقِ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْأَرْوَاحُ نُورٌ مِنْ نُورِ اللَّهِ وَحَيَاةٌ مِنْ حَيَاةِ اللَّهِ.

ثُمَّ اخْتَلَفُوا فِي الْأَرْوَاحِ هَلْ تَمُوتُ بِمَوْتِ الْأَبْدَانِ وَالنَّفْسِ أَوْ لَا تَمُوتُ؟<sup>(١)</sup>

فَقَالَتْ طَائِفَةٌ: الْأَرْوَاحُ لَا تَمُوتُ وَلَا تَبْلَى.

وَقَالَتْ الْجَمَاعَةُ: الْأَرْوَاحُ عَلَى صُورِ الْخَلْقِ لَهَا أَيْدٍ وَأَرْجُلٌ وَأَعْيُنٌ وَسَمْعٌ وَبَصَرٌ

وَلِسَانٌ.

وَقَالَتْ طَائِفَةٌ: لِلْمُؤْمِنِ ثَلَاثَةُ أَرْوَاحٍ وَلِلْمُنَافِقِ وَالْكَافِرِ رُوحٌ وَاحِدَةٌ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لِلْأَنْبِيَاءِ وَالصُّدُوقِ خَمْسُ أَرْوَاحٍ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْأَرْوَاحُ رُوحَانِيَةٌ خَلِقَتْ مِنَ الْمَلَكُوتِ فَإِذَا صَفَتْ رَجَعَتْ إِلَى

الْمَلَكُوتِ.

قلت: أما الرُّوحُ الَّتِي تَتَوَفَّى وَتَقْبُضُ فِيهَا رُوحٌ وَاحِدَةٌ وَهِيَ النَّفْسُ.

وَأَمَّا مَا يُؤَيِّدُ اللَّهُ بِهِ أَوْلِيَاءَهُ مِنَ الرُّوحِ فَهِيَ رُوحٌ أُخْرَى غَيْرَ هَذِهِ الرُّوحِ كَمَا قَالَ

تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وَكَذَلِكَ

الرُّوحُ الَّتِي أُيِّدَ بِهَا رُوحَهُ الْمَسْحُ بْنُ مَرْيَمَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ

<sup>(١)</sup> اللاهوتية نسبة إلى الله، و الناسوتية نسبة إلى الناس، "تاج العروس": (لهت).

<sup>(٢)</sup> تقدم الكلام على هذه المسألة، وعقد لها ابن القيم مسألة خاصة وهي المسألة الرابعة.

مَزِيْمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ اِذْ اَيْدَتْكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ ❖ [المائدة: ١١٠]، وَكَذَلِكَ  
 الرُّوحَ الَّتِي يَلْقِيهَا عَلٰى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ هِيَ غَيْرُ الرُّوحِ الَّتِي فِي الْبَدَنِ.  
 وَأَمَّا الْقَوَى الَّتِي فِي الْبَدَنِ فَاَيْمًا اَيْضًا تَسْمَى اُرُوَاحًا فَيُقَالُ: الرُّوحُ الْبَاصِرُ وَالرُّوحُ  
 السَّمْعُ وَالرُّوحُ الشَّمَامُ، فَهَذِهِ الْاُرُوَاحُ قَوَى مَوْدَعَةٌ فِي الْبَدَنِ تَمُوتُ بِمَوْتِ الْاَبْدَانِ، وَهِيَ  
 غَيْرُ الرُّوحِ الَّتِي لَا تَمُوتُ بِمَوْتِ الْبَدَنِ وَلَا تَبْلَى كَمَا يَبْلَى.  
 وَتُطْلَقُ الرُّوحُ عَلٰى اَخْصٍ مِنْ هَذَا كُلِّهِ وَهُوَ قُوَّةُ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ وَالْاِنَابَةِ اِلَيْهِ وَمَحَبَّتِهِ  
 وَانْبِعَاثِ الْهَمَّةِ اِلَى طَلْبِهِ وَاِرَادَتِهِ، وَنَسَبَةٌ هَذِهِ [الرُّوحُ] اِلَى الرُّوحِ كَنَسَبَةِ الرُّوحِ اِلَى الْبَدَنِ  
 فَاِذَا فَقَدْتَهَا الرُّوحُ كَانَتْ بِمَنْزِلَةِ الْبَدَنِ اِذَا فَقَدَ رُوحَهُ، وَهِيَ الرُّوحُ الَّتِي يُؤَيِّدُ بِهَا اَهْلُ  
 وَلَايَتِهِ وَطَاعَتِهِ، وَهَذَا يَقُولُ النَّاسُ: فَلَانٌ فِيهِ رُوحٌ وَفُلَانٌ مَا فِيهِ رُوحٌ وَهُوَ بُوٌّ<sup>(١)</sup> وَهُوَ  
 قَصَبَةٌ فَارِغَةٌ وَنَحْوُ ذَلِكَ.

فَللْعِلْمِ رُوحٌ، وَلِلْاَجْسَادِ رُوحٌ، وَلِلْاِخْلَاصِ رُوحٌ، وَلِلْمَحَبَّةِ وَالْاِنَابَةِ رُوحٌ،  
 وَلِلتَّوَكُّلِ وَالصَّدَقِ رُوحٌ، وَالنَّاسُ مُتَفَاوِتُونَ فِي هَذِهِ الْاُرُوَاحِ اَعْظَمُ تَفَاوُتٌ فَمِنْهُمْ مَنْ  
 تَغْلِبُ عَلَيْهِ هَذِهِ الْاُرُوَاحُ فَيَصِيرُ رُوحَانِيًّا وَمِنْهُمْ مَنْ يَفْقِدُهَا اَوْ اَكْثَرَهَا فَيَصِيرُ اَرْضِيًّا  
 بَهِيمِيًّا، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.



(١) (بُوٌّ) هو جلد الحوار -والحوار ولد الناقة - يُجَشَى ثَمَامًا اَوْ تَبْنًا فَيَقْرَبُ مِنْ اَمِّ الْفَصِيلِ فَتَعَطِفُ عَلَيْهِ فَتَدْرُ  
 "القاموس": (بوو) ، والمراد أنه إذا مات أخذ جلده فارغًا وجعل فيه شيء من التبن أو الحشيش حتى  
 تعطف عليه أمه فتدر اللبن.

## فصل

### وأما المسألة الحادية والعشرون

وهي: هل النفس واحدة أم ثلاثة؟

فقد وقع في كلام كثير من الناس أن لابن آدم ثلاثة أنفس: نفس مطمئنة، ونفس لوامة، ونفس أمارة، وأن منهم من تغلب عليه هذه ومنهم من تغلب عليه الأخرى، ويحتجون على ذلك بقوله تعالى: ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنِّةُ ﴿ [الفجر: ٢٧]، وبقوله تعالى: ﴿ لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ \* وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿ [القيامة: ١-٢]، وبقوله تعالى: ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴿ [يوسف: ٥٣].

والتحقيق أنّها نفس واحدة ولكن لها صفات فتسمى باعتبار كل صفة باسم<sup>(١)</sup>، فتسمى مطمئنة باعتبار طمأنيتها إلى ربها بعبوديته ومحبته والإنابة إليه والتوكل عليه والرّضا به والسكون إليه.

وإن سمة محبته وخوفه ورجائه فناؤها عن محبة غيره، وخوفه ورجائه فتفنى بمحبته عن حب ما سواه، وبذكرة عن ذكر ما سواه، وبالشوق إليه وإلى لقائه عن الشوق إلى ما سواه.

(١) قال شيخ الاسلام كما في "مجموع الفتاوى": (٩/ ٢٩٤) : ( ويقال النفوس ثلاثة أنواع: وهي " النفس الأمارة بالسوء " التي يغلب عليها اتباع هواها بفعل الذنوب والمعاصي. و " النفس اللوامة " وهي التي تذنّب وتتوب فعنها خير وشر لكن إذا فعلت الشر تابت وأنابت فتسمى لوامة؛ لأنها تلوم صاحبها على الذنوب؛ ولأنها تلوم أي تتردد بين الخير والشر، و " النفس المطمئنة " وهي التي تحب الخير والحسنات وتريده وتبغض الشر والسيئات وتكره ذلك، وقد صار ذلك لها خلقاً وعادة وملكة، فهذه صفات وأحوال لذات واحدة وإلا فالنفس التي لكل إنسان هي نفس واحدة وهذا أمر يجده الإنسان من نفسه ) .



فَالطَّمَانِينَةَ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ كَيْفِيَّةً تَرِدُ مِنْهُ سُبْحَانَهُ عَلَى قَلْبِ عَبْدِهِ تَجْمَعُهُ عَلَيْهِ وَتَرُدُّ قَلْبَهُ الشَّارِدَ إِلَيْهِ حَتَّى كَأَنَّهُ جَالِسٌ بَيْنَ يَدَيْهِ يَسْمَعُ بِهِ وَيَبْصُرُ بِهِ وَيَتَحَرَّكُ بِهِ وَيَبْطِشُ بِهِ فَتَسْرِي تِلْكَ الطَّمَانِينَةَ فِي نَفْسِهِ وَقَلْبِهِ وَمَفَاصِلِهِ وَقَوَاهُ الظَّاهِرَةَ وَالْبَاطِنَةَ فَتَنْجَذِبُ رُوحَهُ إِلَى اللَّهِ وَيَلِينُ جِلْدَهُ وَقَلْبَهُ وَمَفَاصِلَهُ إِلَى خِدْمَتِهِ وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ.

وَلَا يُمَكِّنُ حُصُولَ الطَّمَانِينَةِ الْحَقِيقِيَّةِ إِلَّا بِاللَّهِ وَنَذَكَرَهُ وَهُوَ كَلَامُهُ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، فَإِنَّ طَمَئِينَةَ الْقَلْبِ سَكُونُهُ وَاسْتِقْرَارُهُ بِزَوَالِ الْقَلْقِ وَالانزِعَاجِ وَالِاضْطِرَابِ عَنْهُ، وَهَذَا لَا يَتَأْتِي بِشَيْءٍ سِوَى اللَّهِ تَعَالَى وَذِكْرِهِ الْبَتَّةَ، وَأَمَّا مَا عَدَاهُ فَالطَّمَانِينَةُ إِلَيْهِ غُرُورٌ، وَالثِّقَةُ بِهِ عَجْزٌ.

قَضَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَضَاءً لَا مَرْدَ لَهُ أَنْ مَنْ اطْمَأَنَّ إِلَى شَيْءٍ سِوَاهُ أَتَاهُ الْقَلْقُ وَالانزِعَاجُ وَالِاضْطِرَابُ مِنْ جِهَتِهِ كَأَنَّ مَا كَانَ بَلْ لَوْ اطْمَأَنَّ الْعَبْدُ إِلَى عِلْمِهِ وَحَالِهِ وَعَمَلِهِ سُلْبِهِ وَزَايَلِهِ.

وَقَدْ جَعَلَ سُبْحَانَهُ نَفُوسَ الْمُطْمَئِنِّينَ إِلَى سِوَاهُ أَغْرَاضًا لِسَهَامِ الْبَلَاءِ<sup>(١)</sup>، لِيَعْلَمَ عِبَادَهُ وَأَوْلِيَاؤَهُ أَنَّ الْمُتَعَلِّقَ بِغَيْرِهِ مَقْطُوعٌ وَالْمُطْمَئِنُّ إِلَى سِوَاهُ عَنْ مَصَالِحِهِ وَمَقَاصِدِهِ مَصْدُودٌ وَمَمْنُوعٌ.

وَحَقِيقَةُ الطَّمَانِينَةِ الَّتِي تُصَوِّرُ بِهَا النَّفْسَ مُطْمَئِنَّةً: أَنَّ تَطْمِئِنَّ فِي بَابِ مَعْرِفَةِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَنَعُوتِ كَمَالِهِ إِلَى خَبْرِهِ الَّذِي أَخْبَرَ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ، وَأَخْبَرَتْ بِهِ عَنْهُ رُسُلُهُ، فَتَتَلَقَّاهُ بِالْقَبُولِ وَالتَّسْلِيمِ وَالِإِذْعَانَ وَانْشِرَاحَ الصَّدْرِ لَهُ وَفَرَحَ الْقَلْبِ بِهِ فَإِنَّهُ تَعَرَّفَ مِنْ تَعَرُّفَاتِ

(١) الغرض هو الهدف الذي يرمي فيه. «القاموس»: (غرض).

الرب سُبْحَانَهُ إِلَى عَبْدِهِ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ، فَلَا يَزِلُّ الْقَلْبُ فِي أَعْظَمِ الْقَلْقِ وَالْإِضْطِرَابِ فِي هَذَا الْبَابِ حَتَّى يَخَالِطَ الْإِيْمَانَ بِأَسْمَاءِ الرَّبِّ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ وَتَوْحِيدِهِ وَعُلُوِّهِ عَلَى عَرْشِهِ وَتَكْلِمِهِ بِالْوَحْيِ بِشَاشَةِ قَلْبِهِ فَيَنْزِلُ ذَلِكَ عَلَيْهِ نَزْوُلُ الْمَاءِ الزَّلَالِ عَلَى الْقَلْبِ الْمَلْتَهَبِ بِالْعَطْشِ فَيَطْمئنُ إِلَيْهِ وَيَسْكُنُ إِلَيْهِ وَيَفْرَحُ بِهِ وَيَلينُ إِلَيْهِ قَلْبُهُ وَمِفَاصِلُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ شَهِدُ الْأَمْرِ كَمَا أَخْبَرَتْ بِهِ الرَّسُلُ بَلْ يَصِيرُ ذَلِكَ لِقَلْبِهِ بِمَنْزِلَةِ رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِي الظَّهِيرَةِ لِعَيْنِهِ، فَلَوْ خَالَفَهُ فِي ذَلِكَ مِنْ بَيْنِ شَرْقِ الْأَرْضِ وَغَرْبِهَا لَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى خِلَافِهِمْ.

وَقَالَ: إِذَا اسْتَوْحَشَ مِنَ الْغَرْبَةِ قَدْ كَانَ الصَّدِيقَ الْأَكْبَرَ مَطْمئنًا بِالْإِيْمَانِ وَحَدَهُ وَجَمِيعَ أَهْلِ الْأَرْضِ يُخَالَفُهُ وَمَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ طَمَأْنِينَةٍ شَيْئًا فَهَذَا أَوَّلُ دَرَجَاتِ الطَّمَأْنِينَةِ، ثُمَّ لَا يَزَالُ يَقْوَى كَلِمًا سَمِعَ بِأَيَّةٍ مُتَضَمِّنَةٍ لَصِفَةٍ مِنْ صِفَاتِ رَبِّهِ وَهَذَا أَمْرٌ لَا نِهَآيَةَ لَهُ.

فَهَذِهِ الطَّمَأْنِينَةُ أَصْلُ أَصُولِ الْإِيْمَانِ الَّتِي عَلَيْهَا قَامَ بِنَاؤُهُ ثُمَّ يَطْمئنُ إِلَى خَبْرِهِ عَمَّا بَعْدَ الْمَوْتِ مِنْ أُمُورِ الْبَرْزَخِ وَمَا بَعْدَهَا مِنْ أَحْوَالِ الْقِيَامَةِ حَتَّى كَأَنَّهُ يُشَهِدُ ذَلِكَ كُلَّهُ عِيَانًا، وَهَذَا حَقِيقَةُ الْيَقِينِ الَّذِي وَصَفَ بِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَهْلَ الْإِيْمَانِ حَيْثُ قَالَ:

﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٤].

فَلَا يَحْصِلُ الْإِيْمَانُ بِالْآخِرَةِ حَتَّى يَطْمئنُ الْقَلْبُ إِلَى مَا أَخْبَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِهِ عَنْهَا طَمَأْنِينَتَهُ إِلَى الْأُمُورِ الَّتِي لَا يَشْكُ فِيهَا وَلَا يَرْتَابُ فَهَذَا هُوَ الْمُؤْمِنُ حَقًّا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ كَمَا فِي حَدِيثِ حَارِثَةَ: أَصْبَحْتُ مُؤْمِنًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ لِكُلِّ حَقٍّ حَقِيقَةٌ فَمَا حَقِيقَةٌ

إيمانك؟» قَالَ: عَزَفْتَ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا وَأَهْلِهَا وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي بَارِزًا وَإِلَى أَهْلِ الجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ فِيهَا وَأَهْلِ النَّارِ يُعَذَّبُونَ فِيهَا فَقَالَ: «عَبْدُ نَوَّرَ اللهُ قَلْبَهُ»<sup>(١)</sup>.

<sup>(١)</sup> (ضعيف) هذا الحديث جاء عن جماعة من الصحابة وهم:

١- أنس بن مالك:

أخرجه البزار كما في «كشف الأستار»: (٢٦/١)، والبيهقي في «الشعب»: (١٠٥٩٠) من طريق يوسف بن عطية الصفار حدثنا ثابت عن أنس أن النبي ﷺ لقي رجلاً من الأنصار يقال له حارثة فقال له: «كيف أصبحت يا حارثة؟»، فذكر الحديث، وهذا إسناد ضعيف جداً يوسف بن عطية الصفار متروك. ووقع عند البيهقي حارثة بن النعمان وهو خطأ وإنما هذه القصة في حارثة بن مالك كما نبه عليه البيهقي، قال البيهقي: (هذا منكر وقد خبط فيه يوسف فقال مرة: الحارث وقال مرة: حارثة)، نقله عنه الحافظ في «الإصابة» ترجمة الحارث بن مالك الأنصاري.

٢- الحارث بن مالك الأنصاري:

أخرجه الطبراني في «الكبير»: (٣٦٦/٣)، والبيهقي في «الشعب»: (١٠٥٩١) من طريق محمد بن عبدالله الحضرمي - مطين - حدثنا أبو كريب حدثنا زيد بن الحباب حدثنا ابن لهيعة عن خالد بن يزيد السكسكي عن سعيد بن أبي هلال عن محمد بن أبي الجهم عن الحارث بن مالك أنه مرَّ برسول الله ﷺ فقال له: «كيف أصبحت يا حارث...»، فذكره، وهذا إسناد ضعيف ابن لهيعة هو عبدالله ضعيف، ومحمد بن أبي الجهم هو ابن حذيفة العدوي ذكره ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» وقال: قتل يوم الحرة، وكذا قال سعد في «الطبقات»: فهو مجهول.

٣- أبو هريرة:

أخرجه ابن حبان في «المجروحين»: (١٥٠/١) من طريق أحمد بن الحسن بن أبان المصري عن أبي عاصم عن سفيان وشعبة عن سلمة بن كهيل عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: جاء حارثة إلى النبي ﷺ فقال له: .... فذكره، وهذا إسناد موضوع أحمد بن الحسن بن أبان المصري قال ابن حبان: كذَّابٌ دجال من الدجاجلة يضع الحديث عن الثقات، وقال ابن عدي: كان يسرق الحديث، وقال الدارقطني: كذَّابٌ، ذكره الذهبي في «الميزان» ثم قال: ومن بلاياه عن أبي عاصم عن شعبة وسفيان... فذكر هذا الحديث.

- وفي الباب مراسيل ومعضلات منها:

ما أخرجه عبد الرزاق في «التفسير»: (٢/٢٣٤) من طريق الثوري عن عمرو بن قيس الملائي عن زيد السلمي قال: قال رسول الله ﷺ للحارث بن مالك... فذكره، وزيد السلمي يبدو لي أنه زيد بن عطية الخثعمي ويقال السلمي مجهول من الثالثة، فهذا مرسل ضعيف.

\* ومنها ما أخرجه عبد الرزاق في «المصنف»: (١١/١٢٩)، وابن المبارك في «الزهد»: (٣١٤)، والبيهقي في «الشعب»: (١٠٥٩٢) عن معمر بن صالح بن مسمار وجعفر بن برقان: أن النبي ﷺ قال الحارث بن مالك... فذكره، وهذا معضل صالح بن مسمار وجعفر بن برقان كلاهما من السابعة تنبيه: وقع عند ابن المبارك عن صالح بن مسمار فقط.

\* ومنها ما أخرجه ابن أبي شيبة: (١١/٤٣) فقال: حدثنا ابن نمير حدثنا مالك بن مغول عن زبيد قال: قال رسول الله ﷺ... فذكره، وهذا معضل أيضاً زبيد، هو ابن الحارث الياصي من السادسة لم يسمع من أحد من الصحابة.

• ومنها ما أخرجه خُشيش بن أصرم في كتاب «الاستقامة» - ذكره الحافظ في «الإصابة» - فقال: حدثنا عبد العزيز بن أبان أخبرنا مالك بن مغول عن فضيل بن غزوان به، وعبد العزيز بن أبان كذبه ابن معين وغيره، ومع ذلك فإسناده معضل فضيل بن غزوان من السابعة. فالخلاصة: أن الحديث من هذه الطرق ضعيف، وقد ضعفه الأئمة فقد نقل الحافظ ابن حجر في «الإصابة» عن ابن صاعد أنه قال: هذا الحديث لا يثبت موصولاً، وذكره العقيلي في «الضعفاء»: (٤/٤٥٥) ثم قال: ليس لهذا الحديث إسناد يثبت.

فائدة:

جاء هذا الحديث من طريق أخرى في بعضها أن صاحب القصة عوف بن مالك وفي بعضها أنه معاذ بن جبل وكلها ضعيفة.

• فأما قصة عوف بن مالك فأخرجها ابن أبي شيبة: (١١/٤٢) قال: حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا أبو معشر عن محمد بن صالح الأنصاري: أن رسول الله ﷺ لقي عوف بن مالك فقال له: «كيف أصبحت يا عوف...» فذكر الحديث، وهذا إسناد معضل ضعيف أبو معشر هو نجيح بن عبد الرحمن السندي ضعيف، ومحمد بن صالح الأنصاري يظهر لي أنه محمد بن صالح بن دينار التمار مولى الأنصار من السابعة - أتباع التابعين - فالإسناد مع ضعفه معضل.

## فصل

والطمأنينة إلى أسماء الرب تعالى وصفاته نوعان:

طمأنينة إلى الإيمان بها وإثباتها واعتقادها، وطمأنينة إلى ما تقتضيه وتوجهه من آثار العبودية.

مثاله الطمأنينة إلى القدر، فإثباته والإيمان به يقتضي الطمأنينة إلى مواضع الأقدار التي لم يؤمر العبد بدفعها ولا قدرة له على دفعها فيسلم لها ويرضى بها ولا يتسخط ولا يشكو ولا يضطرب إيمانه فلا يأسى على ما فاتته ولا يفرح بما آتاه؛ لأن المصيبة فيه مقدرة قبل أن تصل إليه وقبل أن يخلق كما قال تعالى: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ \* لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ [الحديد: ٢٣]، قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ ﴾ [التغابن: ١١]، قَالَ غَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ: هُوَ الْعَبْدُ تَصِيْبِهِ الْمُصِيبَةُ فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَيَرْضَى وَيَسْلَمُ<sup>(١)</sup>.

• وأما قصة معاذ بن جبل فأخرجها القضاعي في «مسند الشهاب»: (١٠٢٨) عن أنس بن مالك أن معاذ بن جبل دخل على رسول الله ﷺ وهو متكئ فقال: «كيف أصبحت يا معاذ...» فذكر الحديث، وإسناده ضعيف جداً فيه إسحاق بن عبدالله بن كيسان المروزي قال البخاري: منكر الحديث، وأبوه عبدالله بن كيسان قال أبو حاتم: ضعيف، والله أعلم.

<sup>(١)</sup> جاء عن علقمة أخرج ابن جرير: (١٢٣/١٤) وهو صحيح ذكره ابن جرير من عدة طرق.

وجاء بنحوه عن ابن مسعود أخرج سعيّد بن منصور كما في «الدر المنثور»: (٢٢٧/٦).

فَهَذِهِ طَمَآنِينَةٌ إِلَى أَحْكَامِ الصِّفَاتِ وَمُوجِبَاتِهَا وَأَثَارِهَا فِي الْعَالَمِ وَهِيَ قَدْرُ زَائِدٍ عَلَى الطَّمَآنِينَةِ بِمُجَرَّدِ الْعِلْمِ بِهَا وَاعْتِقَادِهَا، وَكَذَلِكَ سَائِرِ الصِّفَاتِ وَأَثَارِهَا وَمَتَعَلِقَاتِهَا كَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالرِّضَا وَالغَضَبِ وَالْمَحَبَّةِ فَهَذِهِ طَمَآنِينَةُ الْإِيمَانِ.

وَأَمَّا طَمَآنِينَةُ الْإِحْسَانِ: فَهِيَ الطَّمَآنِينَةُ إِلَى أَمْرِهِ امْتِثَالًا وَإِخْلَاصًا وَنَصْحًا فَلَا يَقْدَمُ عَلَى أَمْرِهِ إِزَادَةً وَلَا هَوَى وَلَا تَقْلِيدًا فَلَا يَسَاكُنُ شُبُهَةً تَعَارَضَ خَبْرَهُ وَلَا شَهْوَةً تَعَارَضَ أَمْرَهُ، بَلْ إِذَا مَرَّتْ بِهِ أَنْزَلَهَا مِنْزَلَةَ الْوَسَاوِسِ الَّتِي لِأَنَّ يَخْرُجُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَجِدَهَا فَهَذَا كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «صَرِيحُ الْإِيمَانِ»<sup>(١)</sup>.

وَعَلَامَةٌ هَذِهِ الطَّمَآنِينَةُ: أَنْ يَطْمَئِنُّ مِنَ قَلْقِ الْمُعْصِيَةِ وَانزِعَاجِهَا إِلَى سُكُونِ التَّوْبَةِ وَحِلَاوَتِهَا وَفَرِحَتِهَا وَيَسْهَلُ عَلَيْهِ ذَلِكَ بِأَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللَّذَّةَ وَالْحِلَاوَةَ وَالْفَرِحَةَ الَّتِي فِي الظَّفْرِ بِالتَّوْبَةِ [أَضْعَافُ اللَّذَّةِ وَالْحِلَاوَةِ وَالْفَرِحَةِ الَّتِي فِي الظَّفْرِ بِالمُعْصِيَةِ]، وَهَذَا أَمْرٌ لَا يَعْرِفُهُ إِلَّا مَنْ ذَاقَ الْأَمْرَيْنِ وَبَاشَرَ قَلْبَهُ أَثَارَهُمَا.

فَلِلتَّوْبَةِ طَمَآنِينَةٌ تَقَابِلُ مَا فِي الْمُعْصِيَةِ مِنَ الْانزِعَاجِ وَالْقَلْقِ، وَلَوْ فَتَشَ الْعَاصِي عَنْ قَلْبِهِ لَوَجَدَهُ حَشْوَهُ الْمَخَافِ وَالْانزِعَاجِ وَالْقَلْقِ وَالْإِضْطِرَابِ، وَإِنَّمَا يُوَارِي عَنْهُ شُهُودَ ذَلِكَ سُكْرُ الْغَفْلَةِ وَالشَّهْوَةِ فَإِنَّ لِكُلِّ شَهْوَةٍ سُكْرًا يَزِيدُ عَلَى سُكْرِ الْخَمْرِ، وَكَذَلِكَ الْغَضَبُ لَهُ سُكْرٌ أَكْبَرُ مِنْ سُكْرِ الشَّرَابِ، وَلِهَذَا تَرَى الْعَاشِقَ وَالغَضِبَانَ يَفْعَلُ مَا لَا يَفْعَلُهُ شَارِبُ الْخَمْرِ.

(١) أخرجه مسلم: (١٣٢) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، فَسَأَلُوهُ: إِنَّا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا مَا يَتَعَاطَمُ أَحَدُنَا أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ، قَالَ: «وَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ؟» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «ذَلِكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ».

وَكَذَلِكَ يطمئن من قلق الغفلة والإعراض إلى سُكون الإقبال على الله وحلاوة ذكره وتعلق الروح بحبه ومعرفته فلا طمأنينة للروح بدون هذا أبدًا ولو أنصفت نفسها لرأتها إذا فقدت ذلك في غاية الانزعاج والقلق والإضطراب ولكن توارىها السكرة، فإذا كشف الغطاء تبين له حقيقة ما كان فيه.

### فصل

وَهَا هُنَا سرٌّ لطيف يجب التنبيه عليه والتنبيه له، والتوفيق له بيد من أزمته التوفيق

بيده:

وَهُوَ أَنْ الله سُبْحَانَهُ جعل لكل عضو من أعضاء الإنسان كما لا إن لم يحصل له وإلا فهو في قلق واضطراب وانزعاج بسبب فقد كماله الذي جعل له مثالاً كمال العين بالأبصار، وكمال الأذن بالسمع، وكمال اللسان بالنطق، فإذا عدت هذه الأعضاء القوى التي بها كمالها حصل الألم والنقص بحسب قووات ذلك.

وَجَعَلَ كَمَالَ القلب ونعيمه وسروره ولذته وابتهاجه في معرفته سُبْحَانَهُ وإرادته ومحبهه والإنابة إليه والإقبال عليه والشوق إليه والأنس به، فإذا عدم القلب ذلك كان أشد عذاباً واضطراباً من العين التي فقدت النور الباصر، ومن اللسان الذي فقد قوة الكلام والذوق، ولا سبيل له إلى الطمأنينة بوجهه من الوجوه ولو نال من الدنيا وأسبابها ومن العلوم ما نال إلا بأن يكون الله وحده هو محبوبه وإلهه ومعبوده وغاية مطلوبه، ويكون هو وحده مستعانه على تحصيل ذلك فحقيقة الأمر أنه لا طمأنينة له بدون التحقيق بـ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، وأقوال المفسرين في المطمئنة ترجع إلى ذلك.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: الْمُطْمَئِنَّةُ: الْمُصَدِّقَةُ <sup>(١)</sup>.

[وَقَالَ قَتَادَةُ: هُوَ الْمُؤْمِنُ اطمأنت نفسه إِلَى مَا وَعَدَ اللَّهُ <sup>(٢)</sup>.

وَقَالَ الْحَسَنُ: الْمُصَدِّقَةُ [بِمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى <sup>(٣)</sup>.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: هِيَ النَّفْسُ الَّتِي أَيْقَنْتَ بِأَنَّ اللَّهَ رَبَّهَا الْمُسْلِمَةَ لِأَمْرٍ فِيهَا هُوَ فَاعِلٌ بِهَا <sup>(٤)</sup>.

وَرَوَى مَنْصُورٌ عَنْهُ قَالَ: النَّفْسُ الَّتِي أَيْقَنْتَ أَنَّ اللَّهَ رَبَّهَا وَضَرِبْتَ جَأْشًا <sup>(٥)</sup> لِأَمْرِهِ

وَطَاعَتِهِ <sup>(٦)</sup>.

وَقَالَ ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ: عَنْهُ النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ الْمُخْبِتَةُ إِلَى اللَّهِ <sup>(٧)</sup>.

<sup>(١)</sup> (ضعيف) أخرجه ابن جرير: (١٩٠/٣٠) وإسناده ضعيف فيه أبو صالح عبدالله بن صالح ضعيف، وعلي بن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس.

<sup>(٢)</sup> (صحيح) أخرجه ابن جرير: (١٩٠/٣٠) من طريق بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة، وهذا إسناد صحيح بشر هو ابن معاذ العقدي، ويزيد هو ابن زريع، وسعيد هو ابن أبي عروبة.

<sup>(٣)</sup> (صحيح) أخرجه عبد الرزاق في "التفسير": (٣٧٢/٢)، وابن جرير: (١٩٠/٣٠) من طريق معمر عن الحسن، وهذا إسناد صحيح.

<sup>(٤)</sup> (صحيح) أخرجه ابن جرير: (١٩٠/٣٠-١٩١) بأسانيد كثيرة بعضها صحيح، وليس فيه: المسلمة لأمره فيما هو فاعل بها. وإنما هو من كلام ابن جرير قبل ذكره لهذه الآثار.

<sup>(٥)</sup> قوله: (جأشاً) قال الأزهري في "تهذيب اللغة": (١١/١٣٥) بعد أن ذكر أثر مجاهد: أي: قرت يقيناً واطمأنت كما يضرب البعير بصدرة الأرض إذا برك وسكن.

<sup>(٦)</sup> (صحيح) أخرجه ابن جرير: (١٩٠/٣٠) من طرق عن منصور عن مجاهد، وهذا إسناد صحيح، وهو الأثر المتقدم فلا أدري لماذا فرقه ابن القيم.

<sup>(٧)</sup> (صحيح) أخرجه ابن جرير: (١٩٠/٣٠) من طريق محمد بن عمرو حدثنا أبو عاصم حدثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد به، وهذا إسناد صحيح؛ محمد بن عمرو هو ابن العباس الباهلي ثقة مترجم في



وَقَالَ أَيضًا: هِيَ الَّتِي أَيْقَنْتَ بِلِقَاءِ اللَّهِ <sup>(١)</sup>.  
فَكَلَامُ السَّلَفِ فِي المِطْمَئِنَةِ يَدُورُ عَلَى هَذَيْنِ الأَصْلَيْنِ: طَمَأْنِينَةُ العِلْمِ وَالإِيْمَانِ،  
وِطَمَأْنِينَةُ الإِرَادَةِ وَالعَمَلِ.

### فصل

فَإِذَا اطْمَأْنَنْتَ مِنَ الشَّكِّ إِلَى اليَقِينِ، وَمَنِ الجُهْلِ إِلَى العِلْمِ، وَمَنِ العَفْلَةِ إِلَى الذِّكْرِ،  
وَمَنِ الخِيَانَةِ إِلَى التَّوْبَةِ، وَمَنِ الرِّيَاءِ إِلَى الإِخْلَاصِ، وَمَنِ الكَذِبِ إِلَى الصِّدْقِ، وَمَنِ  
العَجْزِ إِلَى الكَيْسِ، وَمَنِ صَوْلَةِ العَجَبِ إِلَى ذِلَّةِ الإِخْبَاتِ، وَمَنِ التَّيِّهِ إِلَى التَّوَاضُّعِ، وَمَنِ  
الفتورِ إِلَى العَمَلِ، فَقَدْ بَاشَرْتَ رُوحَ الطَّمَأْنِينَةِ.

وأصل ذلك كله ومنشؤه من اليقظة فهي أول مفاتيح الخير، فإن الغافل عن  
الاستعداد للقاء ربه والتزود لمعادته بمنزلة النائم بل أسوأ حالاً منه فإن الغافل <sup>(٢)</sup> يعلم  
وعد الله ووعيده وما تتقاضاه أوامر الرب تعالى ونواهيه وأحكامه من الحقوق، لكن  
يُجْبِهُهُ عَنِ حَقِيقَةِ الإِدْرَاكِ وَيَقْعُدُهُ عَنِ الإِسْتِذْرَاكِ سِنَةَ القَلْبِ وَهِيَ غَفْلَتُهُ الَّتِي رَقَدَ فِيهَا  
فَطَالَ رَقُودُهُ وَرَكَدَ وَأَخْلَدَ إِلَى نَوَازِعِ الشَّهَوَاتِ فَاشْتَدَّ إِخْلَادُهُ وَرَكَودُهُ، وَانْغَمَسَ فِي  
غَمَارِ الشَّهَوَاتِ وَاسْتَوْلَتْ عَلَيْهِ العَادَاتُ وَمَخَالَطَةُ أَهْلِ البَطَالَاتِ وَرَضِيَ بِالتَّشْبِهِ بِأَهْلِ  
إِضَاعَةِ الأَوْقَاتِ فَهُوَ فِي رِقَادِهِ مَعَ النَّائِمِينَ وَفِي سَكْرَتِهِ مَعَ المِخْمُورِينَ، فَمَتَى انْكَشَفَتْ

”تاريخ بغداد“: (٣/١٢٧)، وأبو عاصم هو الضحاك بن مخلد، وعيسى هو ابن ميمون المكي، وللاثر  
أسانيد أخرى صحيحة عند ابن جرير.

<sup>(١)</sup> أخرجه ابن جرير: (٣٠/١٩١) من طريق سعيد بن الربيع الرازي قال حدثنا سفيان عن منصور عن  
مجاهد به، ورجاله ثقات إلا سعيد بن الربيع فقد قال الشيخ أحمد شاكر: لم نجد له ترجمة بعد طول البحث.

<sup>(٢)</sup> في الأصل (العاقل) وفي (ش) (العالم) والمثبت من (ف) ويدل عليه سياق الكلام.

عَنْ قَلْبِهِ سِنَّةٌ هَذِهِ الْغَفْلَةُ بَزَجْرَةٍ مِنْ زَوَاجِرِ الْحَقِّ فِي قَلْبِهِ اسْتَجَابَ فِيهَا لَوَاعِظِ اللَّهِ فِي قَلْبِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ أَوْ هِمَّةٍ عَلَيْهِ أَثَارَهَا مَعُولِ الْفِكْرِ فِي الْمَحَلِّ الْقَابِلِ فَضْرَبَ بِمَعُولِ فِكْرِهِ وَكَبَّرَ تَكْبِيرَةً أَضَاءَتْ لَهُ مِنْهَا قُصُورَ الْجَنَّةِ فَقَالَ:

أَلَا يَا نَفْسُ وَيَحِكُ سَاعِدِي نِي  
يَسْعِي مِنْكَ فِي ظُلْمِ اللَّيَالِي

لَعَلَّكَ فِي الْقِيَامَةِ أَنْ تَفُوزِي  
بَطِيبِ الْعَيْشِ فِي تِلْكَ الْعَلَالِي

فَأَنَارَتْ لَهُ تِلْكَ الْفِكْرَةَ نَوْرًا رَأَى فِي ضَوْئِهِ مَا خُلِقَ لَهُ وَمَا سِيلِقَاهُ بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ حِينِ الْمَوْتِ إِلَى دُخُولِ دَارِ الْقَرَارِ، وَرَأَى سُرْعَةَ انْقِضَاءِ الدُّنْيَا وَعَدَمَ وَفَائِهَا لَبْنِيهَا وَقَتْلَهَا لِعِشَاقِهَا وَفَعَلَهَا بِهِمْ أَنْوَاعَ الْمَثَلَاتِ، فَهَضَّضَ فِي ذَلِكَ الضَّوِّءِ عَلَى سَاقِ عَزْمِهِ قَائِلًا: ﴿ يَا حَسْرَتًا عَلَى مَا قَرَّرْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ ﴾ [الزمر: ٥٦]، فَاسْتَقْبَلَ بَقِيَّةَ عَمْرِهِ الَّتِي لَا قِيَمَةَ لَهَا مَسْتَدْرِكًا بِهَا مَا فَاتَ حَيِّيًا بِهَا مَا أَمَاتَ مُسْتَقْبِلًا بِهَا مَا تَقَدَّمَ لَهُ مِنَ الْعَثَرَاتِ مَمْتَهْرًا فُرْصَةَ الْإِمْكَانِ الَّتِي إِنْ فَاتَتْ فَاتَهُ جَمِيعَ الْخَيْرَاتِ.

ثُمَّ يَلْحِظُ فِي نَوْرِ تِلْكَ الْيَقِظَةِ وَفُودٍ<sup>(١)</sup> نِعْمَةَ رَبِّهِ عَلَيْهِ مِنْ حِينِ اسْتَقَرَّ فِي الرَّحِمِ إِلَى وَقْتِهِ وَهُوَ يَتَقَلَّبُ فِيهَا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، لَيْلًا وَنَهَارًا، يَقِظَةً وَمَنَامًا، سِرًّا وَعَلَانِيَةً، فَلَوْ اجْتَهَدَ عَلَى إِحْصَاءِ أَنْوَاعِهَا لَمَا قَدَّرَ، وَيَكْفِي أَنْ أَدْنَاهَا نِعْمَةُ النَّفْسِ، وَاللَّهُ عَلَيْهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ نِعْمَةٍ فَمَا ظَنَنْكَ بغيرِهَا<sup>(٢)</sup>.

(١) كذا في المخطوطتين و(ف)، وأشار في الأصل إلى أنها أيضا (وفور) بالراء. وكذلك وقعت في بعض المطبوعات.

(٢) هذا بناء على أن الإنسان يتنفس في اليوم واللييلة أربعة وعشرين ألف نفس، وقد ذكر ابن القيم رحمه الله هذا الكلام في عدة مواضع من كتبه، بعضه أوضح من هذا الموضع منها ما قاله في "شفاء العليل" ص: (١١٤): (ويكفي أن النفس من أدنى نعيم التي لا يكادون يعدونها وهو أربعة وعشرون ألف نفس في كل

ثُمَّ يَرَى فِي ضَوْءِ ذَلِكَ النُّورِ أَنَّهُ آيِسٌ مِنْ حَصْرِهَا وَإِحْصَائِهَا عَاجِزٌ عَنِ أَدَاءِ حَقِّهَا، وَأَنَّ الْمُنْعَمَ بِهَا إِنْ طَالَبَهُ بِحَقُوقِهَا اسْتَوْعَبَ جَمِيعَ أَعْمَالِهِ حَقَّ نِعْمَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْهَا فَيَتَيَقَّنُ حَيْثُئِذٍ أَنَّهُ لَا مَطْمَعَ لَهُ فِي النِّجَاةِ إِلَّا بِعَفْوِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ وَفَضْلِهِ.

ثُمَّ يَرَى فِي ضَوْءِ تِلْكَ الْيَقِظَةِ أَنَّهُ لَوْ عَمِلَ أَعْمَالَ الثَّقَلَيْنِ مِنَ الْبِرِّ لاحتقرها بالنسبة إلى جنب عظمة الرب تعالى وما يستحقه بجلال وجهه وعظيم سلطانه، هذا لو كانت أعماله منه فكيف وهي مجرد فضل الله ومنته وإحسانه حيث يسرها له وأعانها عليها وهياها لها وشاءها منه وكونها، ولو لم يفعل ذلك لم يكن له سبيل إليها فحيث لا يرى أعماله منه، وإن الله سبحانه لن يقبل عملاً يراه صاحبه من نفسه حتى يرى عين توفيق الله له وفضله عليه ومنته عليه، وأنه من الله لا من نفسه، وأنه ليس له من نفسه إلا الشر وأسبابه، وما به من نعمة فمن الله وحده صدقة تصدق بها عليه وفضل منه ساقه إليه من غير أن يستحقه بسبب أو يستأهله بوسيلة، فيرى ربه ووليه ومعبوده أهلاً لكل خير ويرى نفسه أهلاً لكل شر، وهذا أساس جميع الأعمال الصالحة الظاهرة والباطنة وهو الذي يرفعها ويجعلها في ديوان أصحاب اليمين.

يوم وليلة، فله على العبد في النفس خاصة أربعة وعشرون ألف نعمة كل يوم وليلة، دع ما عدا ذلك من أصناف نعمه على العبد).

وقال في "طريق المهجرتين" ص (٣١٥): (ويكفي أن من بعض أنواعه نعمة النفس التي لا تكاد تخطر ببال العبد، وله عليه في كل يوم وليلة فيه أربعة وعشرون ألف نعمة، فإنه يتنفس في اليوم والليلة أربعة وعشرين ألف نفس، وكل نفس نعمة منه سبحانه، فإذا كان أدنى نعمة عليه في كل يوم أربعة وعشرون ألف نعمة فما الظن بما فوق ذلك وأعظم منه: ﴿وَأِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤].

ونحوه في "مفتاح دار السعادة": (٥٤/٢).

ثُمَّ تَبْرُق لَهُ فِي نَورِ تِلْكَ الِيقَظَةِ بَارِقَةٌ أُخْرَى يَرَى فِي ضَوْئِهَا عُيُوبَ نَفْسِهِ وَأَفَاتَ عَمَلِهِ وَمَا تَقَدَّمَ لَهُ مِنَ الْجِنَايَاتِ وَالْإِسَاءَاتِ وَهَتَكَ الْحَرَمَاتِ وَالتَّقَاعِدَ عَن كَثِيرٍ مِنَ الْحُقُوقِ وَالْوَاجِبَاتِ، فَإِذَا انْضَمَّ ذَلِكَ إِلَى شُهُودِ نَعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَأَيَادِيهِ لَدَيْهِ رَأَى أَنَّ حَقَّ الْمُنْعَمِ عَلَيْهِ فِي نَعْمِهِ وَأَوَامِرِهِ لَمْ يَبْقَ لَهُ حَسَنَةٌ وَاحِدَةٌ يَرْفَعُ بِهَا رَأْسَهُ فَيَطْمئن قَلْبَهُ وَانْكَسَرَتْ نَفْسُهُ وَخَشَعَتْ جَوَارِحُهُ وَسَارَ إِلَى اللَّهِ نَاكِسَ الرَّأْسِ بَيْنَ مُشَاهَدَةِ نَعْمِهِ وَمَطَالَعَةِ جِنَايَاتِهِ وَعُيُوبِ نَفْسِهِ وَأَفَاتِ عَمَلِهِ قَائِلًا: «أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ [لَكَ] بِذُنُوبِي فَاعْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ»<sup>(١)</sup>.

فَلَا يَرَى لِنَفْسِهِ حَسَنَةً وَلَا يَرَاهَا أَهْلًا لِخَيْرٍ فَيُوجِبُ لَهُ أَمْرَيْنِ عَظِيمَيْنِ:  
أَحَدُهُمَا: اسْتِكْثَارَ مَا مِنَ اللَّهِ عَلَيْهِ.

وَالثَّانِي: اسْتِقْلَالَ مَا مِنْهُ مِنَ الطَّاعَةِ كَائِنَةً مَا كَانَتْ، ثُمَّ تَبْرُقُ لَهُ بَارِقَةٌ أُخْرَى يَرَى فِي ضَوْئِهَا عِزَّةَ وَقْتِهِ وَخَطَرَهِ وَشَرَفَهُ، وَأَنَّهُ رَأْسُ مَالِ سَعَادَتِهِ فَيُخَلِّ بِه أَنْ يَضِيعَ فِيهَا لَا يَقْرِبُهُ إِلَى رَبِّهِ فَإِنَّ فِي إِضَاعَتِهِ الْخُسْرَانَ وَالْحَسْرَةَ وَالنَّدَامَةَ وَفِي حِفْظِهِ وَعِمَارَتِهِ الرِّيحَ وَالسَّعَادَةَ فَيُشِحُّ بِأَنْفَاسِهِ أَنْ يَضِيعَ فِيهَا لَا يَنْفَعُهُ يَوْمَ مَعَادِهِ.

### فصل

ثُمَّ يَلْحَظُ فِي ضَوْءِ تِلْكَ الْبَارِقَةِ مَا تَقْتَضِيهِ يَقْظَتُهُ مِنْ سَنَةِ غَفْلَتِهِ مِنَ التَّوْبَةِ وَالْمَحَاسِبَةِ وَالْمِرَاقَبَةِ وَالغَيْرَةِ لِرَبِّهِ أَنْ يُؤْثِرَ عَلَيْهِ غَيْرَهُ وَعَلَى حَظِّهِ مِنْ رِضَاً وَقَرْبِهِ وَكَرَامَتِهِ أَنْ يَبِيعَهُ

(١) قطعة من حديث سيد الاستغفار أخرجه البخاري: (٦٣٢٣) عن شداد بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

بِشْمَنِ بَحْسٍ فِي دَارِ سَرِيعَةِ الزَّوَالِ، وَعَلَى نَفْسِهِ أَنْ يُمَلِّكَ رَقِّهَا لِمَعْشُوقٍ لَوْ فُكِرَ فِي مُنْتَهَى حَسَنِهِ وَرَأَى آخِرَهُ بِعَيْنِ بَصِيرِهِ لِأَنْفِ لَهَا مِنْ مَحَبَّتِهِ.

فَهَذَا كُلُّهُ مِنْ آثَارِ الْيَقِظَةِ وَمَوْجِبَاتِهَا وَهِيَ أَوْلُ مَنَازِلِ النَّفْسِ الْمُطْمَئِنَّةِ الَّتِي نَشَأُ مِنْهَا سَفَرُهَا إِلَى اللَّهِ وَالِدَّارِ الْآخِرَةِ.

### فصل

وَأَمَّا النَّفْسُ اللَّوَامَةُ، وَهِيَ الَّتِي أَقْسَمَ بِهَا سُبْحَانَهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ﴾ [القيامة: ٢]، فَاخْتَلَفَ فِيهَا:

فَقَالَتْ طَائِفَةٌ: هِيَ الَّتِي لَا تَثْبِتُ عَلَى حَالٍ وَاحِدَةٍ، أَخَذُوا اللَّفْظَةَ مِنَ التَّلَوُّمِ: وَهُوَ التَّرَدُّدُ فِيهَا كَثِيرَةَ التَّقَلُّبِ وَالتَّلَوُّنِ، وَهِيَ مِنْ أَعْظَمِ آيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّهَا مَخْلُوقٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ تَتَقَلَّبُ وَتَتَلَوَّنُ فِي السَّاعَةِ الْوَاحِدَةِ فَضْلاً عَنِ الْيَوْمِ وَالشَّهْرِ وَالْعَامِ وَالْعُمُرِ أَلْوَانًا مُتَلَوِّنَةً فَتَذَكُرُ وَتَغْفَلُ، وَتَقْبَلُ وَتَعْرُضُ، وَتَلَطِّفُ وَتَكْتَشِفُ، وَتَنْبِيبُ وَتَجْفُو، وَتَحِبُّ وَتَبْغُضُ، وَتَفْرَحُ وَتَحْزَنُ، وَتَرْضَى وَتَغْضَبُ، وَتَطِيعُ وَتَعْصِي، وَتَنْقِي وَتَفْجِرُ، إِلَى أَضْعَافٍ أَضْعَافٍ ذَلِكَ مِنْ حَالَاتِهَا وَتَلَوْنِهَا، فَهِيَ تَتَلَوَّنُ كُلَّ وَقْتٍ أَلْوَانًا كَثِيرَةً فَهَذَا قَوْلٌ.

وَقَالَتْ طَائِفَةٌ: اللَّفْظَةُ مَا أُخُوذَةُ مِنَ اللَّوْمِ<sup>(١)</sup>، ثُمَّ اخْتَلَفُوا، فَقَالَتْ فِرْقَةٌ: هِيَ نَفْسُ الْمُؤْمِنِ وَهَذَا مِنْ صِفَاتِهَا الْمَحْمُودَةِ، قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَا تَرَاهُ إِلَّا يَلُومُ

(١) وهذا القول استظهره المؤلف في "إغاثة اللفهان": (١/١٢٩)، حيث قال: (والأول - أي: أنها من اللوم - أظهر، فإن هذا المعنى لو أريد لقليل: المتلومة كما يقال: المتلونة والمترددة ولكن هو من لوازم القول الأول فإنها لتلومها وعدم ثباتها تفعل الشيء ثم تلوم عليه فالتلوم من لوازم اللوم).

نفسه دائماً يَقُول: مَا أَرَدْتُ بِهَذَا؟ لِمَ فَعَلْتُ هَذَا؟ كَأَنَّ غَيْرَ هَذَا أَوْلَى وَنَحْوَ هَذَا مِنْ الْكَلَامِ<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ غَيْرُهُ: هِيَ نَفْسُ الْمُؤْمِنِ تَوَقَّعُهُ فِي الذَّنْبِ ثُمَّ تَلُومُهُ عَلَيْهِ، فَهَذَا اللُّومُ مِنَ الْإِيْمَانِ بِخِلَافِ الشَّقِيِّ فَإِنَّهُ لَا يَلُومُ نَفْسَهُ عَلَى ذَنْبٍ بَلْ يَلُومُهَا وَتَلُومُهُ عَلَى فَوَاتِهِ.  
وَقَالَتْ طَائِفَةٌ: بَلْ هَذَا اللُّومُ لِلنَّوْعَيْنِ فَإِنَّ كُلَّ أَحَدٍ يَلُومُ نَفْسَهُ بَرًّا كَانَ أَوْ فَاجِرًا، فَالْسَّعِيدُ يَلُومُهَا عَلَى ارْتِكَابِ مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَتَرْكِ طَاعَتِهِ، وَالشَّقِيُّ لَا يَلُومُهَا إِلَّا عَلَى فَوَاتِ حَظِّهَا وَهَوَاهَا، وَقَالَتْ فِرْقَةٌ أُخْرَى: هَذَا اللُّومُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَإِنَّ كُلَّ أَحَدٍ يَلُومُ نَفْسَهُ إِنْ كَانَ مَسِيئًا عَلَى إِسَاءَتِهِ وَإِنْ كَانَ مُحْسِنًا عَلَى تَقْصِيرِهِ.  
وَهَذِهِ الْأَقْوَالُ كُلُّهَا حَقٌّ وَلَا تَنَافِي بَيْنَهَا فَإِنَّ النَّفْسَ مَوْصُوفَةً بِهَذَا كُلِّهِ وَباعتبارِهِ سَمِيَتْ لَوَامَةً<sup>(٢)</sup> وَلَكِنَّ اللُّوَامَةَ نَوْعَانِ:

لَوَامَةٌ مَلُومَةٌ: وَهِيَ النَّفْسُ الْجَاهِلَةُ الظَّالِمَةُ الَّتِي يَلُومُهَا اللَّهُ وَمَلَائِكَتُهُ.  
وَلَوَامَةٌ غَيْرُ مَلُومَةٍ: وَهِيَ الَّتِي لَا تَزَالُ تَلُومُ صَاحِبَهَا عَلَى تَقْصِيرِهِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ مَعَ بَذْلِ جَهْدِهِ فَهَذِهِ غَيْرُ مَلُومَةٍ.

<sup>(١)</sup> (ضعيف) أخرجه ابن أبي الدنيا في "محاسبة النفس": (٤)، والشجري في "الأمالى الخميسية" كما في ترتيبها (١٣٨٦) قرة بن خالد سمعت الحسن فذكره. وإسناده صحيح.

<sup>(٢)</sup> قال ابن جرير بعد أن ذكر جملة من هذه الأقوال: وهذه الأقوال التي ذكرناها عن ذكرناها عنه وإن اختلفت بها ألفاظ قائلها فمقاربات المعاني وأشبه القول في ذلك بظاهر التنزيل أنها تلوم صاحبها على الخير والشر وتندم على ما فات.

وأشرف النفوس من لامت نفسها في طاعة الله واحتملت ملام اللائمين في مرضاته فلا تأخذها فيه لومة لائم فهذه قد تخلصت من لوم الله لها، وأما من رضيت بأعمالها ولم تلم نفسها ولم تحتمل في الله ملام اللوام فهي التي يلومها الله عز وجل.

### فصل

وأما النفس الأمارة: فهي المذمومة فإنها التي تأمر بكل سوء. وهذا من طبيعتها إلا ما وفقها الله وثبتها وأعانها فما تخلص أحد من شر نفسه إلا بتوفيق الله [له] كما قال تعالى حاكياً عن امرأة العزيز: ﴿ وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [يوسف: ٥٣]، وقال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا ﴾ [النور: ٢١]، وقال تعالى لأكرم خلقه عليه وأحبهم إليه: ﴿ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٤]، وكان النبي ﷺ يعلمهم خطبة الحاجة: «إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ وَأَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يَضِلَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ»<sup>(١)</sup>. فالشر كامن في النفس وهو يوجب سيئات الأعمال فإن

<sup>(١)</sup> (صحيح) أخرجه أحمد: (٣٩٣/١)، وأبو داود: (٢١١٨)، والترمذي: (١١٠٥)، والنسائي: (٣٢٧٧)، وابن ماجه (١٨٩٢)، من طرق عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم، أبو إسحاق هو عمرو بن عبد الله السبيعي ثقة مدلس وتدليسه هنا مأمون؛ لأن الراوي عنه شعبة في بعض الطرق وهو الذي يقول: كفيتمكم تدليس ثلاثة ومنهم: أبو إسحاق، وأبو الأحوص هو عوف بن مالك بن نضلة الجشمي.

وقد وقع في الحديث اختلاف على أبي إسحاق ولكن كل طريقه محفوظة كما قاله الدار قطني في "العلل": (٣٠٩/٥-٣١٤)، وكذا الترمذي عقب حديث رقم: (١١٠٥)، والله أعلم.

خَلَّى اللهُ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ نَفْسِهِ هَلْكَ بَيْنَ شَرِّهَا وَمَا تَقْتَضِيهِ مِنْ سَيِّئَاتِ الْأَعْمَالِ، وَإِنْ وَفَّقَهُ وَأَعَانَهُ نَجَاهُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ فَسَأَلَ اللهُ الْعَظِيمُ أَنْ يَعِيدَنَا مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا.

وَقَدْ اِمْتَحَنَ اللهُ سُبْحَانَهُ الْإِنْسَانَ بِهَاتَيْنِ النَّفْسَيْنِ الْأَمَارَةِ وَاللَّوَامَةِ كَمَا أَكْرَمَهُ بِالْمُطْمَئِنَةِ فَهِيَ نَفْسٌ وَاحِدَةٌ تَكُونُ أَمَارَةً ثُمَّ لَوَامَةً ثُمَّ مُطْمَئِنَةً، وَهُوَ غَايَةٌ كَمَا هِيَ وَصِلَاحُهَا.

وَأَيَّدَ الْمُطْمَئِنَةَ بِجُنُودٍ عَدِيدَةٍ فَجَعَلَ الْمَلِكُ قَرِينَهَا وَصَاحِبَهَا الَّذِي يَلِيهَا وَيَسُدُّهَا وَيَقْذِفُ فِيهَا الْحَقَّ وَيَرْغَبُهَا فِيهِ، وَيُرِيهَا حَسْنَ صُورَتِهِ وَيُزْجِرُهَا عَنِ الْبَاطِلِ وَيُزْهَدُهَا فِيهِ وَيُرِيهَا قُبْحَ صُورَتِهِ، وَأَمْدَهَا بِمَا عِلْمَهَا مِنَ الْقُرْآنِ وَالْأَذْكَارِ وَأَعْمَالِ الْبِرِّ وَجَعَلَ الْوُفُودَ الْخَيْرَاتِ، وَأَمْدَادَ التَّوْفِيقِ تَنْتَابَهَا وَتَصِلُ إِلَيْهَا مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ، وَكَلِمًا تَلْقَتْهَا بِالْقَبُولِ وَالشُّكْرِ وَالْحَمْدِ لِلَّهِ وَرُؤْيَا أَوْلِيَّتِهِ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ أَزْدَادَ مَدَدِهَا فَتَقْوَى عَلَى مُحَارَبَةِ الْأَمَارَةِ فَمَنْ جَنَدَهَا وَهُوَ سُلْطَانٌ عَسَاكِرُهَا وَمَلِكُهَا الْإِيْمَانُ وَالْيَقِينُ، فَالْجِيُوشُ الْإِسْلَامِيَّةُ كُلُّهَا تَحْتَ لَوَائِهِ نَازِرَةٌ إِلَيْهِ إِنْ ثَبَتَ ثَبَتَتْ وَإِنْ انْهَزَمَ وَلَتْ عَلَى أَدْبَارِهَا.

ثُمَّ أَمْرَاءَ هَذَا الْجَيْشِ وَمَقْدَمُو عَسَاكِرِهِ شَعْبُ الْإِيْمَانِ الْمُتَعَلِّقَةُ بِالْجَوَارِحِ عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهَا كَالصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصِّيَامِ، وَالْحَجِّ، وَالْجِهَادِ، وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَنُصِيحَةِ الْخَلْقِ، وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ بِأَنْوَاعِ الْإِحْسَانِ، وَشَعْبَةُ الْبَاطِنَةِ الْمُتَعَلِّقَةُ بِالْقَلْبِ كَالْإِخْلَاصِ، وَالتَّوَكُّلِ، وَالْإِنَابَةِ، وَالتَّوْبَةِ، وَالْمُرَاقِبَةِ، وَالصَّبْرِ، وَالْحِلْمِ، وَالتَّوَاضُعِ، وَالْمَسْكِنَةِ، وَامْتِلَاءِ الْقَلْبِ مِنْ مَحَبَّةِ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَتَعْظِيمِ أَوْامِرِ اللهِ وَحَقُوقِهِ، وَالغَيْرَةِ لِلَّهِ وَفِي اللهِ، وَالشُّجَاعَةِ، وَالْعَفَةِ، وَالصَّدَقِ، وَالشَّفَقَةِ، وَالرَّحْمَةِ.

وَمَلَائِكَةُ ذَلِكَ كُلِّهِ الْإِخْلَاصُ وَالصَّدَقُ، فَلَا يَتَعَنَّى الصَّادِقُ الْمَخْلُصُ فَقَدْ أَقِيمَ عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ فَيَسَارُ بِهِ وَهُوَ رَاقِدٌ وَلَا يَتَعَنَّى مِنْ حُرْمِ الصَّدَقِ وَالْإِخْلَاصِ، فَقَدْ



قَطِعتَ عَلَيْهِ الطَّرِيقَ واستهوته الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حيرانَ، فَإِنْ شاءَ فليعملْ وَإِنْ شاءَ فليتركْ، فَلَا يزيدهُ عمله من الله إِلَّا بعدًا.

وَبِالجُمْلَةِ فَمَا كَانَ لله وَبِاللهِ فَهُوَ من جند النَّفْسِ المِطمئنة.

وَأما النَّفْسُ الأَمارةُ فَجَعَلَ الشَّيْطَانُ قَرِينَهَا وصاحبها الَّذِي يَلِيهَا فَهُوَ يَعدها ويمنيها، ويقذفُ فِيهَا الباطِلَ ويأمرها بالسوءِ ويزينه لها، ويطيلُ فِي الأملِ ويربها الباطِلَ فِي صُورةٍ تَقلبها وتستحسنها، ويمدها بأنواع الإمدادِ الباطِلِ من الأمانِي الكاذبة والشهواتِ المهلكة، ويستعينَ عَلَيْهَا بهواها وإرادتها، فَمِنْهُ يَدْخُلُ عَلَيْهَا وَيَدْخُلُ عَلَيْهَا كُلَّ مَكْرُوهٍ فَمَا اسْتَعَانَ على النَّفْسِ بِشَيْءٍ هُوَ أَبْلغُ من هَواها وإرادتها ألبتة، وَقَدْ علمَ ذَلِكَ إخوانه من شياطينِ الإنسِ فَلَا يستعينون على الصُّورِ الممنوعةِ مِنْهُم بِشَيْءٍ أَبْلغُ من هَواهم وإرادتهم، فَإِذا أُعيتهم صُورةٌ طَلَبُوا بجهدهم ما تحبه وتهاوه ثمَّ طَلَبُوا بجهدهم تَحْصِيلَهُ فاصطادوا به تِلْكَ الصُّورةَ، فَإِذا فَتحتْ لَهُمُ النَّفْسُ بابَ الهوى دَخَلُوا مِنْهُ فجاجسوا خلالَ الديارِ فعاثوا وأفسدوا وفتكوا وسبوا وفعلوا ما يَفْعَلُهُ العَدُوُّ بِبلادِ عدوه إِذا تَحَكَّمَ فِيهَا فهدموا معالمَ الإِيْمانِ وَالقُرْآنِ وَالذِّكْرِ وَالصَّلَاةِ وَخربوا المَساجِدَ وعَمروا البِيعَ وَالكَنائِسَ والحاناتِ والمواخير<sup>(١)</sup>، وقصدوا إِلَى المَلِكِ فَأَسْرَوْه وسلبوه ملكه ونقلوه من عِبادةِ الرَّحْمَنِ إِلَى عِبادةِ البِغايا والأوثانِ، وَمَنْ عَزَّ الطَّاعةَ إِلَى ذلِّ المَعْصيةِ، وَمَنْ السَّماعِ الرَّحْمانيِ إِلَى السَّماعِ الشَّيطانيِ، وَمَنْ الاسْتعدادَ للقاءِ رَبِّ العالَمينِ إِلَى الاسْتعدادِ

(١) المواخير جمع ماخور وهو مجلس الريبة، ومجمع أهل الفسق والفساد، وبيوت الخمارين، "لسان العرب": (مخر)، وكذلك معنى الحانات أي: أماكن الخمر.

للقاء إخوان الشياطين، فبينما هو يُراعى حقوق الله وما أمره به إذ صار يرعى الخنازير، وبينما هو منتصب لخدمة العزيز الرحيم إذ صار منتصباً لخدمة كل شيطان رجيم.

والمقصود أن الملك قرين النفس المطمئنة والشيطان قرين الأمانة، وقد روى أبو الأحوص عن عطاء بن السائب عن مرة عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «إن للشيطان لمةً بابن آدم وللملك لمةً فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم» ثم قرأ: ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء﴾ [البقرة: ٢٦٨] (١).

(١) (صحيح موقوفاً) أخرجه الترمذي: (٢٩٨٨)، والنسائي في «الكبرى»: (١١٠٥١)، وابن جرير (٨٨/٣) من طريق أبي الأحوص به، وعطاء بن السائب مختلط، وأبو الأحوص هو سلام بن سليم الحنفي ثقة قال الترمذي: لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث أبي الأحوص.

قلت: قد خالفه إسماعيل بن علية عند ابن جرير: (٨٨/٣)، وحماد بن سلمة عند ابن جرير أيضاً: (٨٩/٣)، فروياه عن عطاء عن مرة عن عبد الله موقوفاً - إلا أنه وقع في طريق ابن علية قال: عطاء عن أبي الأحوص أو عن مرة - ومن وافقهم على روايته عن عطاء موقوفاً عمرو بن قيس الملائي وجرير بن عبد الحميد عند ابن جرير: (٨٨/٣) إلا أن هاتين الروايتين من طريق محمد بن حميد شيخ الطبري، وقد كذبه جماعة.

\* وقد صح عن ابن مسعود موقوفاً من غير هذه الطريق:

فأخرجه عبد الرزاق في «التفسير»: (١٠٩/١)، ومن طريقه ابن جرير: (٨٨/٣)، عن معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عبد الله بن مسعود به موقوفاً، وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين.

وأخرجه ابن جرير: (٨٩/٣)، فقال: حدثنا المثنى حدثنا سويد بن نصر أخبرنا ابن المبارك عن فطر عن المسيب بن رافع عن عامر بن عبدة عن عبد الله بن مسعود به موقوفاً.

فيظهر من هذا أن الموقوف أصح من المرفوع، وقد صحح الموقوف أبو حاتم وأبو زرعة الرازيان كما في «العلل»: لابن أبي حاتم: (٢/٢٤٤/٢٤٥) رقم (٢٢٢٤)، وإليه يشير كلام الترمذي المتقدم، وبنحوه لابن كثير في «تفسيره»: عند الآية: (٢٦٨) من سورة البقرة.

وَقَدْ رَوَاهُ عَمْرُو عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ وَزَادَ فِيهِ عَمْرُو قَالَ: سَمِعْنَا فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّهُ كَانَ يُقَالُ: «إِذَا أَحْسَسَ أَحَدُكُمْ مِنْ لَمَمَةِ الْمَلِكِ شَيْئًا فَلِيَحْمَدِ اللَّهَ وَلِيَسْأَلَهُ مِنْ فَضْلِهِ. وَإِذَا أَحْسَسَ مِنْ لَمَمَةِ الشَّيْطَانِ شَيْئًا فَلِيَسْتَغْفِرِ اللَّهَ وَلِيَتَعَوَّذَ مِنَ الشَّيْطَانِ»<sup>(١)</sup>.

### فصل

فَالْمَلِكُ وَجَنده مِنَ الْإِيمَانِ يَقْتَضِيَانِ مِنَ النَّفْسِ الْمَطْمَئِنَّةِ التَّوْحِيدَ وَالْإِحْسَانَ وَالْبِرَّ وَالتَّقْوَى وَالصَّبْرَ وَالتَّوَكُّلَ وَالتَّوْبَةَ وَالْإِنَابَةَ وَالْإِقْبَالَ عَلَى اللَّهِ وَقَصْرَ الْأَمَلِ وَالِاسْتِعْدَادَ لِلْمَوْتِ، وَمَا بَعْدَهُ وَالشَّيْطَانَ وَجَنده مِنَ الْكُفْرِ يَقْتَضِيَانِ مِنَ النَّفْسِ الْأَمَارَةِ ضِدَّ ذَلِكَ. وَقَدْ سَلَّطَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الشَّيْطَانَ عَلَى كُلِّ مَا لَيْسَ لَهُ وَلَمْ يَرِدْ بِهِ وَجْهَهُ وَلَا هُوَ طَاعَةٌ لَهُ وَجَعَلَ ذَلِكَ إِقْطَاعَهُ فَهُوَ يَسْتَنْبِيبُ النَّفْسَ الْأَمَارَةَ عَلَى هَذَا الْعَمَلِ وَالْإِقْطَاعِ، وَيَتَقَاضَاهَا أَنْ تَأْخُذَ الْأَعْمَالَ مِنَ النَّفْسِ الْمَطْمَئِنَّةِ، فَتَجْعَلُهَا قُوَّةً لَهَا، فَهِيَ أَحْرَصُ شَيْءٍ عَلَى تَخْلِيصِ الْأَعْمَالَ كُلِّهَا لَهَا، وَأَنْ تَصِيرَ مِنْ حَظوظِهَا، فَأَصْعَبُ شَيْءٍ عَلَى النَّفْسِ الْمَطْمَئِنَّةِ تَخْلِيصِ الْأَعْمَالَ مِنَ الشَّيْطَانِ وَمِنِ الْأَمَارَةِ لِهَلَاكِهَا وَفَلَوْ وَصَلَ مِنْهَا عَمَلٌ وَاحِدٌ كَمَا يَنْبَغِي لِنَجَايِهِ الْعَبْدُ، وَلَكِنْ أَبَتْ الْأَمَارَةُ وَالشَّيْطَانُ أَنْ يَدْعَا لَهَا عَمَلًا وَاحِدًا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ كَمَا قَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ بِاللَّهِ وَبِنَفْسِهِ: وَاللَّهُ لَوْ أَعْلَمَ أَنَّ لِي عَمَلًا [وَاحِدًا] وَصَلَ إِلَى اللَّهِ لَكُنْتُ أَفْرَحُ بِالْمَوْتِ مِنَ الْغَائِبِ يَقْدَمُ عَلَى أَهْلِهِ<sup>(٢)</sup>.

<sup>(١)</sup> أخرجه ابن جرير: (٨٨/٣) من طريق محمد بن حميد الرازي وقد كُذِّب، ثم هو منقطع فعمرو هو ابن قيس الملائي يروي عن أتباع التابعين فقلوه هنا: سمعنا في هذا الحديث أنه كان يقال. الله أعلم ممن سمعه. ولكن قوله هذا، قد صح في أثر ابن مسعود المتقدم.

<sup>(٢)</sup> لم أفهم عليه.

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو: لَوْ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ مِنِّي سَجْدَةً وَاحِدَةً لَمْ يَكُنْ غَائِبًا أَحَبَّ إِلَيَّ مِنَ الْمَوْتِ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧] <sup>(١)</sup>.

### فصل

وَقَدْ انْتَصَبَتِ الْأَمَارَةُ فِي مُقَابَلَةِ الْمُطْمَئِنَّةِ فَكُلُّ مَا جَاءَتْ بِهِ تِلْكَ مِنْ خَيْرِ ضَاهَتِهَا هَذِهِ وَجَاءَتْ مِنَ الشَّرِّ بِمَا يُقَابَلُهُ حَتَّى تَفْسُدَهُ عَلَيْهَا، فَإِذَا جَاءَتْ بِالْإِيمَانِ وَالتَّوْحِيدِ جَاءَتْ هَذِهِ بِمَا يَقْدَحُ فِي الْإِيمَانِ مِنَ الشَّكِّ وَالتَّفَاقُ، وَمَا يَقْدَحُ فِي التَّوْحِيدِ مِنَ الشَّرْكِ وَمَحَبَّةِ غَيْرِ اللَّهِ وَخَوْفِهِ وَرَجَائِهِ وَلَا تَرْضَى حَتَّى تَقْدَمَ مَحَبَّةَ غَيْرِهِ وَخَوْفَهُ وَرَجَائِهِ عَلَى مَحَبَّةِ سُبْحَانِهِ وَخَوْفِهِ وَرَجَائِهِ فَيَكُونُ مَالَهُ عِنْدَهَا هُوَ الْمُؤَخَّرُ وَمَا لِلْخَلْقِ هُوَ الْمُقَدَّمُ وَهَذَا حَالُ أَكْثَرِ هَذَا الْخَلْقِ.

وَإِذَا جَاءَتْ تِلْكَ بِتَجْرِيدِ الْمُتَابَعَةِ لِلرَّسُولِ جَاءَتْ هَذِهِ بِتَحْكِيمِ آرَاءِ الرِّجَالِ وَأَقْوَالِهِمْ عَلَى الْوَحْيِ، وَأَتَتْ مِنَ الشُّبْهِ الْمُضِلِّ بِمَا يَمْنَعُهَا مِنْ كَمَالِ الْمُتَابَعَةِ وَتَحْكِيمِ السُّنَّةِ

<sup>(١)</sup> (ضعيف) أخرجه ابن عساکر في "تاريخ دمشق": (١٤٦/٣١)، وابن عبد البر في "التمهيد": (٢٥٥-٢٥٦/٤) من طريق هشام بن عمار حدثنا هشام بن يحيى الغساني عن أبيه قال: جاء سائل ابن عمر... فذكره وفيه قصة، وإسناده ضعيف هشام بن عمار قال الحافظ: صدوق مقرئ كبر فصار يتلقن فحديثه القديم أصح، وهشام بن يحيى الغساني مجهول حال ذكره ابن حبان في الثقات.

\* وقد جاء نحو هذا الأثر عن أبي الدرداء أخرجه ابن أبي حاتم - كما في "تفسير ابن كثير" عند الآية: (٢٧)، من سورة المائدة - من طريق تميم بن مالك المقرئ قال سمعت أبا الدرداء يقول: لأن أستيقن أن الله قد تقبل لي صلاة واحدة أحب إلي من الدنيا وما فيها إن الله يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]، وإسناده ضعيف تميم بن مالك مجهول تفرد بالرواية عنه صفوان بن عمرو السكسكي، وذكره البخاري في "التاريخ الكبير"، وابن أبي حاتم في "الجرح والتعديل"، ولم يذكر فيه جرْحًا ولا تعديلاً.

وَعَدَمِ الْإِلْتِفَاتِ إِلَى آرَاءِ الرَّجَالِ فَتَقُومُ الْحَرْبُ بَيْنَ هَاتَيْنِ النَّفْسَيْنِ وَالْمَنْصُورِ مِنَ نَصْرِهِ  
اللَّهِ.

وَإِذَا جَاءَتْ تِلْكَ بِالْإِخْلَاصِ وَالصِّدْقِ وَالتَّوَكُّلِ وَالْإِنَابَةِ وَالْمِرَاقِبَةِ جَاءَتْ هَذِهِ  
بِأُضْدَادِهَا، وَأَخْرَجَتْهَا فِي عِدَّةِ قَوَالِبٍ وَتَقَسَّمَ بِاللَّهِ مَا مَرَادُهَا إِلَّا الْإِحْسَانَ وَالتَّوْفِيقَ،  
وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهَا كَاذِبَةٌ، وَمَا مَرَادُهَا إِلَّا مُجَرَّدَ حَظِّهَا وَاتِّبَاعِ هَوَاهَا وَالتَّفَلُّتِ مِنْ سَجَنِ  
الْمُتَابَعَةِ وَالتَّحْكِيمِ الْمَحْضِ لِلسَّنَةِ إِلَى فَضَاءٍ إِرَادَتِهَا وَشَهْوَتِهَا وَحَظْوْظِهَا، وَلَعَمْرُ اللَّهِ مَا  
تَخَلَّصَتْ إِلَّا مِنْ فَضَاءِ الْمُتَابَعَةِ وَالتَّسْلِيمِ إِلَى سَجَنِ الْهَوَى وَالْإِرَادَةِ وَضَيْقِهِ وَظَلَمَتِهِ  
وَوَحْشَتِهِ، فَهِيَ مَسْجُونَةٌ فِيهِ فِي هَذَا الْعَالَمِ وَفِي الْبَرَزْخِ فِي أَضْيَقِ مِنْهُ وَيَوْمَ الْمِعَادِ الثَّانِي فِي  
أَضْيَقِ مِنْهَا.

وَمَنْ أَعْجَبَ أَمْرَهَا: أَنَّهَا تَسْحَرُ الْعَقْلَ وَالْقَلْبَ فَتَأْتِي إِلَى أَشْرَفِ الْأَشْيَاءِ وَأَفْضَلِهَا  
وَأَجْلَهَا فَتَخْرُجُهُ فِي صُورَةٍ مَذْمُومَةٍ، وَأَكْثَرَ الْخَلْقِ صَبِيانَ الْعُقُولِ أَطْفَالَ الْأَحْلَامِ لَمْ  
يَصِلُوا إِلَى حَدِّ الْفِطَامِ الْأَوَّلِ عَنِ الْعَوَائِدِ وَالْمَأْلُوفَاتِ فَضَلًّا عَنِ الْبُلُوغِ الَّذِي يُمَيِّزُ بِهِ  
الْعَاقِلُ الْبَالِغَ بَيْنَ خَيْرِ الْخَيْرِينَ فَيُؤَثِّرُهُ وَشَرِّ الشَّرِّينَ فَيَجْتَنِبُهُ، فَتَرِيهِ صُورَةَ تَجْرِيدِ التَّوْحِيدِ  
الَّتِي هِيَ أَيْبَى مِنْ صُورَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ فِي صُورَةِ التَّنْقِيسِ الْمَذْمُومِ وَهَضْمِ الْعِظْمَاءِ  
مَنَازِلِهِمْ وَحَطِّهِمْ مِنْهَا إِلَى مَرْتَبَةِ الْعُبُودِيَّةِ الْمَحْضَةِ وَالْمَسْكَنَةِ وَالذَّلِّ وَالْفَقْرِ الْمَحْضِ الَّذِي  
لَا مَلِكَةَ لَهُمْ مَعَهُ وَلَا إِرَادَةَ وَلَا شَفَاعَةَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِ اللَّهِ فَتَرِيهِمُ النَّفْسَ السَّحَارَةَ هَذَا  
الْقَدْرِ غَايَةَ تَنْقِيسِهِمْ وَهَضْمِهِمْ وَنَزُولِ أَقْدَارِهِمْ وَعَدَمِ تَمَيُّزِهِمْ عَنِ الْمَسَاكِينِ الْفُقَرَاءِ  
فَتَنْفَرُ نُفُوسُهُمْ مِنْ تَجْرِيدِ التَّوْحِيدِ أَشَدَّ النِّفَارِ وَيَقُولُونَ: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ  
هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾ [ص: ٥].

وَتَرِيهِمْ تَجْرِيدَ الْمُتَابَعَةِ لِلرَّسُولِ ﷺ وَمَا جَاءَ بِهِ وَتَقْدِيمِهِ عَلَى آرَاءِ الرَّجَالِ فِي صُورَةِ  
تَنْقِيسِ الْعِلْمَاءِ وَالرَّغْبَةِ عَنْ أَقْوَالِهِمْ وَمَا فَهَمُوهُ عَنِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ، وَإِنْ هَذَا إِسَاءَةٌ

أَدَبَ عَلَيْهِمْ وَتَقَدَّمَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَهُوَ مَفْضٌ إِلَى إِسَاءَةِ الظَّنِّ بِهِمْ، وَأَنَّهُمْ قَدْ فَاتَهُمُ الصَّوَابُ وَكَيْفَ لَنَا قُوَّةَ أَنْ نَرُدَّ عَلَيْهِمْ وَنَفُوزَ وَنَحْظَى بِالصَّوَابِ دُونَهُمْ فَتَنَفَرُ مِنْ ذَلِكَ أَشَدَّ النَّفَارِ وَتَجْعَلُ كَلَامَهُمْ هُوَ الْمُحْكَمُ الْوَاجِبُ الْإِتِّبَاعَ، وَكَلَامُ الرَّسُولِ ﷺ هُوَ الْمُتَشَابَهُ الَّذِي يُعْرَضُ عَلَى أَقْوَامِهِمْ فَمَا وَافَقَهَا قَبْلَنَا وَمَا خَالَفَهَا رَدَدْنَاهُ أَوْ أَوْلَانَاهُ أَوْ فَوَضْنَاهُ، وَتُقَاسِمُ النَّفْسُ السَّخَّارَةَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا أَوْلَيْكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ.

### فصل

وَتُرِيهِ صُورَةَ الْإِخْلَاصِ فِي صُورَةِ يَنْفَرُ مِنْهَا: وَهِيَ الْخُرُوجُ عَنْ حُكْمِ الْعَقْلِ الْمَعِيشِيِّ وَالْمُدَارَاةِ وَالْمُدَاهَنَةِ الَّتِي بِهَا انْدِرَاجُ حَالِ صَاحِبِهَا وَمَشِيهِ بَيْنَ النَّاسِ فَمَنْ أَخْلَصَ أَعْمَالَهُ وَلَمْ يَعْمَلْ لِأَحَدٍ شَيْئًا تَجَنَّبَهُمْ وَتَجَنَّبُوهُ، وَأَبْغَضَهُمْ وَأَبْغَضُوهُ، وَعَادَاهُمْ وَعَادَوْهُ، وَسَارَ عَلَى جَادَّةٍ وَهُمْ عَلَى جَادَّةٍ، فَيَنْفَرُ مِنْ ذَلِكَ أَشَدَّ النَّفَارِ، وَغَايَتُهُ أَنْ يُخْلِصَ فِي الْقَدْرِ الْيَسِيرِ مِنْ أَعْمَالِهِ الَّتِي لَا تَتَعَلَّقُ بِهِمْ، وَسَائِرِ أَعْمَالِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ.

### فصل

وَتُرِيهِ صُورَةَ الصَّدَقِ مَعَ اللَّهِ وَجِهَادِ مَنْ خَرَجَ عَنْ دِينِهِ وَأَمْرِهِ فِي قَالِبِ الْإِنْتِصَابِ لِعِدَاوَةِ الْخَلْقِ وَأَذَاهُمْ وَحَرْبِهِمْ، وَأَنَّهُ يُعْرَضُ نَفْسُهُ مِنَ الْبَلَاءِ لِمَا لَا يُطِيقُ، وَأَنَّهُ يُصِيرُ غَرَضًا لِسَهَامِ الطَّاعِنِينَ، وَأَمْثَالِ ذَلِكَ مِنَ الشَّبْهِ الَّتِي تَقِيمُهَا النَّفْسُ السَّخَّارَةُ وَالْخِيَالَاتُ الَّتِي تَخِيلُهَا.

وَتُرِيهِ حَقِيقَةَ الْجِهَادِ فِي صُورَةِ تَقْتُلُ فِيهَا النَّفْسَ وَتَنْكُحُ الْمَرْأَةَ وَيُصِيرُ الْأَوْلَادَ يَتَامَى وَيَقْسِمُ الْمَالَ.

وَتُرِيهِ حَقِيقَةَ الزَّكَاةِ وَالصَّدَقَةِ فِي صُورَةِ مُفَارَقَةِ الْمَالِ وَنَقْصِهِ وَخَلْوِ الْيَدِ مِنْهُ وَاحْتِيَاجِهِ إِلَى النَّاسِ وَمَسَاوَاتِهِ لِلْفَقِيرِ وَعَوْدِهِ بِمَنْزِلَتِهِ.

وَتُرِيهِ حَقِيقَةَ إِثْبَاتِ صِفَاتِ الْكَمَالِ لِلَّهِ فِي صُورَةِ التَّشْبِيهِ وَالتَّمثِيلِ فَيَنْفِرُ مِنَ التَّصَدِيقِ بِهَا وَيَنْفِرُ غَيْرَهُ، وَتُرِيهِ حَقِيقَةَ التَّعْطِيلِ وَالْإِلْحَادِ فِيهَا فِي صُورَةِ التَّنْزِيهِ وَالتَّعْظِيمِ.

وَأَعْجَبَ مِنْ ذَلِكَ: أَنَّهَا تَضَاهِي مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﷺ مِنَ الصِّفَاتِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْأَفْعَالِ بِمَا يَبْغِضُهُ مِنْهَا، وَتَلْبَسُ عَلَى الْعَبْدِ أَحَدَ الْأَمْرَيْنِ بِالْآخِرِ، وَلَا يُجَلِّصُ هَذَا مِنْ هَذَا إِلَّا أَرْبَابَ الْبَصَائِرِ، فَإِنَّ الْأَفْعَالَ تَصْدُرُ عَنِ الْإِرَادَاتِ وَتَظْهَرُ عَلَى الْأَرْكَانِ مِنَ النَّفْسِ الْأَمَارَةِ وَالْمُطْمَئِنَّةِ فَيَتَبَايَنُ الْفَعْلَانِ فِي الْبَطْلَانِ وَيَشْتَبِهَانِ فِي الظَّاهِرِ.

وَلِذَلِكَ أَمْثَلَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا: الْمَدَارَاةُ وَالْمَدَاهِنَةُ، فَالْأُولَى مِنَ الْمُطْمَئِنَّةِ، وَالثَّانِي مِنَ الْأَمَارَةِ، وَخَشُوعُ الْإِيْمَانِ وَخَشُوعُ النِّفَاقِ، وَشَرَفُ النَّفْسِ وَالتَّيِّبَةِ، وَالْحَمِيَّةُ وَالْجَفَاءُ، وَالتَّوَاضُعُ وَالْمَهَانَةُ، وَالْقُوَّةُ فِي أَمْرِ اللَّهِ وَالْعُلُوُّ فِي الْأَرْضِ، وَالْحَمِيَّةُ لِلَّهِ وَالْغَضَبُ لَهُ وَالْحَمِيَّةُ لِلنَّفْسِ وَالْغَضَبُ لَهَا، وَالْجُودُ وَالسَّرْفُ، وَالْمَهَابَةُ وَالْكَبْرُ، وَالصِّيَانَةُ وَالتَّكَبُّرُ، وَالشُّجَاعَةُ وَالْجِرَاءَةُ، وَالْحَزْمُ وَالْجَبْنُ، وَالْاِقْتِصَادُ وَالشَّحُّ، وَالْاِحْتِرَازُ وَسُوءُ الظَّنِّ، وَالْفِرَاسَةُ وَالظَّنُّ، وَالنَّصِيحَةُ وَالْغَيْبَةُ، وَالْهَدِيَّةُ وَالرِّشْوَةُ، وَالصَّبْرُ وَالْقَسْوَةُ، وَالْعَفْوُ وَالذَّلُّ، وَسَلَامَةُ الْقَلْبِ وَالْبَلَاءُ وَالْغَفْلَةُ، وَالثَّقَةُ وَالْغِرَّةُ، وَالرَّجَاءُ وَالتَّمَنِّيُّ، وَالتَّحَدُّثُ بِنِعْمِ اللَّهِ وَالْفَخْرُ بِهَا، وَفَرَحُ الْقَلْبِ وَفَرَحُ النَّفْسِ، وَرَقَّةُ الْقَلْبِ وَالْجَزَعُ، وَالْمَوْجِدَةُ وَالْحَقْدُ، وَالْمَنَافَسَةُ وَالْحَسَدُ، وَحُبُّ الرِّيَاسَةِ وَحُبُّ الْإِمَامَةِ وَالدَّعْوَةُ إِلَى اللَّهِ، وَحُبُّ اللَّهِ وَحُبُّ مَعَ اللَّهِ، وَالتَّوَكُّلُ وَالْعَجْزُ، وَالْإِحْتِيَاطُ وَالْوَسْوَسَةُ، وَإِلْهَامُ الْمَلِكِ وَإِلْهَامُ

الشَّيْطَان، والأناة والتسويق، والاقتصاد والتَّقْصِير، وَالْإِجْتِهَاد والغلو، والنصيحة والتأنيب، والمبادرة والعجلة، والإخبار بالحال عند الحاجة والشكوى<sup>(١)</sup>.

فالشيء الواحد تكون صورته واحدة وهو منقسم إلى محمود ومذموم كالفرح والحزن والأسف والغضب والغيرة والخيلاء والطمع والتجمل والخشوع والحسد والغبطة والجرأة والتجسس والحرص والشفاف، وإظهار النعمة والحلف والمسكنة والصمت والزهد والورع والتخلي والعزلة والأنفة والحمية والغيبة.

وفي الحديث: «إِنَّ مِنَ الْغَيْرَةِ مَا يُحِبُّهَا اللَّهُ، وَمِنْهَا مَا يَكْرَهُهُ، فَالْغَيْرَةُ الَّتِي يُحِبُّهَا: الْغَيْرَةُ فِي رِيَّة، وَالتِّي يَكْرَهُهَا: الْغَيْرَةُ فِي غَيْر رِيَّة، وَإِنْ مِنَ الْخِيَلَاءِ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ، وَمِنْهَا مَا يَكْرَهُهُ، فَالتِّي يَحِبُّ: الْخِيَلَاءِ فِي الْحَرْبِ»<sup>(٢)</sup>.

<sup>(١)</sup> ومن هذا الفصل إلى آخر الكتاب هو بيان للفروق بين هذه الأمور التي ذكرها هاهنا وهو فصل ممتع ومفيد جداً، وهو أوسع موضع تكلم فيه ابن القيم عن الفروق، وقد ذكر الشيخ بكر أبو زيد رحمته الله أنه تتبع ما ذكره ابن القيم من الفروق في عامة مؤلفاته المطبوعة فتحصل له مائة وتسعة وعشرون فرقاً بالإضافة إلى ما في كتاب "الروح" وهي أربعون فرقاً، انظرها جميعاً في كتاب "التقريب لعلوم ابن القيم" ص (٦٧-٧٤).  
<sup>(٢)</sup> (حسن) أخرجه أحمد: (٤٤٥/٥)، وأبو داود: (٢٦٥٩)، والنسائي: (٢٥٥٨) من طرق عن يحيى بن أبي كثير قال: حدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي عن ابن جابر بن عتيك عن أبيه، وهذا إسناد رجاله ثقاته غير ابن جابر بن عتيك فهو مجهول، ولجابر بن عتيك ولدان أحدهما: عبد الرحمن والثاني: أبو سفيان كما في "التهذيب" وعبد الرحمن مجهول، وأبو سفيان قال العلامة الألباني: لم أجد من ذكره والظاهر أنه مجهول كأخيه.

\* وللحديث شاهد عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أخرجه عبد الرزاق: (٤٠٩/١٠)، ومن طريقه أحمد: (٤/١٥٤)، بإسناد رجاله ثقات عن عبدالله بن زيد الأزرق عن عقبة بن عامر به، وعبدالله بن زيد الأزرق تفرد بالرواية عنه أبو سلام مطور الحبشي وذكره ابن حبان في الثقات.



\* وللفقرة الأولى منه - ما يتعلق بالغيرة - شاهد عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخرجه ابن ماجه: (١٩٩٦) ، بإسناد رجاله ثقات عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سهم - أو أبو سهم - عن أبي هريرة به. وأبو سهم وفي بعض النسخ أبو سهم وَهَمَّ، والصواب أبو سلمة بن عبد الرحمن كما نبه عليه الحافظ أبو الحجاج المزي في "تهذيب الكمال".

وعلى هذا فحديث أبي هريرة إسناده صحيح وهو شاهد للفقرة الأولى من حديث جابر بن عتيك.

\* وللفقرة الثانية منه - ما يتعلق بالخيلاء - شاهد مرسل أخرجه ابن إسحاق في "السير والمغازي" ص (٣٢٦) ، فقال: حدثني جعفر بن عبدالله بن أسلم مولى عمر بن الخطاب عن رجل من الأنصار من بني سلمة قال: قال رسول الله ﷺ حين رأى أبا دجاجة يتبختر: «إنها لمشية يبغضها الله إلا في هذا الموطن». وجعفر بن عبدالله بن أسلم روى عنه ثلاثة وذكره ابن حبان في الثقات وقال الحافظ في "التقريب": مقبول، وشيخه (رجل من الأنصار)، قد جاء تسميته أنه معاوية بن معبد بن كعب بن مالك أخرجه البيهقي في "الدلائل": (٣/٢٣٣-٢٣٤) من طريق ابن إسحاق وسماه كذلك وهو تابعي مجهول حال روى عن جابر وروى عنه ابن ابنه عاصم بن سويد بن معاوية وجعفر بن عبدالله بن أسلم، وسئل عنه ابن معين فقال: لا أعرفه، قال ابن أبي حاتم: يعني أنه مجهول.

\* ولهذا المرسل طريق أخرى متصلة فقد أخرجه البخاري في "تاريخه الكبير": (٣/١٥٤) ، والطبراني في "الكبير": (٧/١٠٤) ، ومن طريقه أبو نعيم في "معرفة الصحابة": (٣/١٤٣٧) من طريق محمد بن طلحة التيمي عن خالد بن سليمان بن عبدالله بن خالد بن سمالك بن خرشة عن أبيه عن جده أن أبا دجاجة يوم أحد أعلم بعصاة حمراء فنظر إليه رسول الله ﷺ وهو يختال بمشيته بين الصفيين فقال: «إنها مشية يبغضها الله إلا في هذا الموضع».

محمد بن طلحة التيمي هو ابن عبد الرحمن بن طلحة المعروف بابن الطويل صدوق، وخالد بن سليمان ذكره ابن أبي حاتم في "الجرح والتعديل" والبخاري في "التاريخ الكبير" ولم يذكر فيه جرماً ولا تعديلاً، وأبوه لم أقف له على ترجمة وكذلك جده.

فالخاص من هذا أن الحديث بتمامه حسن على أقل أحواله، إذ الفقرة الأولى منه إسنادها في حديث أبي هريرة صحيح لذاته، والفقرة الثانية منه لا تنزل عن درجة الحسن، والله أعلم.

وَفِي "الصَّحِيحِ" أَيضًا: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا وَسُلْطَةً عَلَى هَلَكْتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيَعْلَمُهَا»<sup>(١)</sup>.

وَفِي "الصَّحِيحِ" أَيضًا: «إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يَحِبُّ الرَّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطَى عَلَى الْعَنْفِ»<sup>(٢)</sup>.

وَفِيهِ أَيضًا: «مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرَّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الْخَيْرِ»<sup>(٣)</sup>.

فالرفق شيء والتواني والكسل شيء، فإن المتواني يتناقل عن مصلحته بعد إمكانها فيتقاعد عنها، والرفيق يتلطف في تحصيلها بحسب الإمكان مع المطاولة.

<sup>(١)</sup> أخرجه البخاري: (٧٣)، ومسلم: (٨١٦) عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

<sup>(٢)</sup> أخرجه مسلم: (٢٥٩٣)، وأخرج البخاري بعضه: (٦٩٢٧) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

<sup>(٣)</sup> أخرجه أحمد: (٤٥١/٦)، والترمذي: (٢٠١٣) من طريق سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن ابن أبي مليكة عن يعلى بن مملك عن أم الدرداء عن أبي الدرداء به مرفوعًا، ورجال إسناده ثقات غير يعلى بن مملك فقد تفرد بالرواية عنه عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة، وذكره ابن حبان في الثقات وقال النسائي: ليس بذلك المشهور.

\* وللحديث شاهد عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أخرجه أحمد: (١٥٩/٦)، وأبو يعلى (٤٥٣٠) من طريق عبد الصمد بن عبد الوارث حدثنا محمد بن مهزم حدثنا عبد الرحمن بن القاسم حدثنا القاسم عن عائشة: أن النبي ﷺ قال لها: «إنه من أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من خير الدنيا والآخرة».

وإسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين إلا محمد مهزم، وقد وثقه ابن معين وقال أبو حاتم: ليس به بأس كما في تعجيل المنفعة، فالحديث الأول صحيح بشاهده هذا.

**تنبيه:** قول ابن القيم: «وفيه أيضا» يعني: في «الصحيح» كأنه أراد في الحديث الصحيح؛ لأن الحديث لم يخرج أحد من أصحاب الصحيح كما رأيت.

وَكَذَلِكَ الْمُدَارَاةُ صِفَةٌ مَدْحٌ، وَالْمُدَاهِنَةُ صِفَةٌ ذَمٌّ، وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا: أَنَّ الْمُدَارِيَّ يَتَلَطَّفُ بِصَاحِبِهِ حَتَّى يَسْتَخْرِجَ مِنْهُ الْحَقَّ أَوْ يَرُدُّهُ عَنِ الْبَاطِلِ، وَالْمُدَاهِنُ يَتَلَطَّفُ بِهِ لِيَقْرَهُ عَلَى بَاطِلِهِ وَيَتْرَكُهُ عَلَى هَوَاهُ، فَالْمُدَارَاةُ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ، وَالْمُدَاهِنَةُ لِأَهْلِ النِّفَاقِ.

وَقَدْ ضُرِبَ لِدَلِّكَ مِثْلُ مُطَابِقٍ وَهُوَ حَالُ رَجُلٍ بِهِ قَرْحَةٌ قَدْ آتَتْهُ فَجَاءَهُ الطَّبِيبُ الْمُدَارِي الرَّفِيقُ فَتَعَرَّفَ حَالَهَا ثُمَّ أَخَذَ فِي تَلِينِهَا حَتَّى إِذَا نَضِجَتْ أَخَذَ فِي بَطِّهَا<sup>(١)</sup> بِرِفْقٍ وَسَهُولَةٍ حَتَّى أَخْرَجَ مَا فِيهَا، ثُمَّ وَضَعَ عَلَى مَكَانِهَا مِنَ الدَّوَاءِ وَالْمَرْهَمِ مَا يَمْنَعُ فَسَادَهَا وَيَقْطَعُ مَادَتَهَا، ثُمَّ تَابَعَ عَلَيْهَا بِالْمَرَاهِمِ الَّتِي تَنْبِتُ اللَّحْمَ، ثُمَّ يَذُرُّ عَلَيْهَا بَعْدَ نَبَاتِ اللَّحْمِ مَا يَنْشِفُ رَطوبَتَهَا، ثُمَّ يَشُدُّ عَلَيْهَا الرِّبَاطَ، وَلَمْ يَزَلْ يُتَابِعُ ذَلِكَ حَتَّى صَلَحَتْ، وَالْمُدَاهِنُ قَالٌ لِمُصَاحِبِهَا: لَا بَأْسَ عَلَيْكَ مِنْهَا وَهَذِهِ لَا شَيْءَ فَاسْتِرْهَا عَنِ الْعِيُونِ بِخَرْقَةٍ ثُمَّ أَلْهَ عَنْهَا فَلَا تَزَالُ مَادَّتَهَا تَقْوَى وَتَسْتَحْكَمُ حَتَّى عَظُمَ فَسَادُهَا.

وَهَذَا الْمِثْلُ أَيْضًا مُطَابِقٌ كُلُّ الْمُطَابَقَةِ لِحَالِ النَّفْسِ الْأَمَارَةِ مَعَ الْمُطْمَئِنَّةِ فَتَأْمَلُهُ، فَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ حَالُ قَرْحَةٍ بِقَدْرِ الْحِمَّصَةِ فَكَيْفَ بِسُقْمِ هَاجٍ مِنْ نَفْسِ أَمَارَةٍ بِالسُّوءِ هِيَ مَعْدُنُ الشَّهَوَاتِ وَمَأْوَى كُلِّ فَسَقٍ، وَقَدْ قَارَنَهَا شَيْطَانٌ فِي غَايَةِ الْمَكْرِ وَالْخِدَاعِ يَعْدهَا وَيَمْنِيهَا وَيَسْحَرُهَا بِجَمِيعِ أَنْوَاعِ السِّحْرِ حَتَّى يُحِيلَ إِلَيْهَا النَّافِعَ ضَارًّا وَالضَّارَّ نَافِعًا، وَالْحَسَنَ قَبِيحًا وَالْقَبِيحَ جَمِيلًا، وَهَذَا لَعَمْرُ اللَّهِ مِنْ أَعْظَمِ أَنْوَاعِ السِّحْرِ، وَهَذَا يَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿فَأَنى تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٩].

وَالَّذِي نَسَبُوا إِلَيْهِ الرَّسُلُ مِنْ كَوْنِهِمْ مَسْحُورِينَ هُوَ الَّذِي أَصَابَهُمْ بَعِينُهُ وَهَمُّ أَهْلِهِ لَا رَسُلَ اللَّهُ صَلَوَاتِ اللَّهِ وَسَلَامِهِ عَلَيْهِمْ، كَمَا أَنَّهُمْ نَسَبُوهُمْ إِلَى الضَّلَالِ وَالْفَسَادِ فِي

(١) بَطَّ الْجَرْحُ وَالْقَرْحَةُ أَي: شَقَّهَا، الْقَامُوسُ "مَخْتَارُ الصَّحَاحِ": (بَطَّ).

الأَرْضَ وَالْجُنُونَ وَالسَّفَهَاءَ، وَمَا اسْتَعَاذَتِ الْأَنْبِيَاءُ وَالرَّسُلَ وَأَمَرُوا الْأُمَّمَ بِالْإِسْتِعَاذَةِ مِنْ شَرِّ النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ وَصَاحِبِهَا وَقَرِينِهَا الشَّيْطَانِ؛ إِلَّا لِأَنَّهَا أَصْلُ كُلِّ شَرٍّ وَقَاعِدَتُهُ وَمَنْبَعُهُ وَهُمَا مُتَسَاعِدَانِ عَلَيْهِ مُتَعَاوِنَانِ:

رضيحي لبانٍ ثدي أم تقاسمًا بأسحَمَ داجٍ عَوْضٍ لَا نَتَفَرَّقُ<sup>(١)</sup>

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]، وَقَالَ: ﴿وَأَمَّا يَنْزِعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠]، وَقَالَ: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ \* وَأَعُوذُ بِكَ رَبُّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٧-٩٨].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ \* مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ \* وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ \* وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ \* وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ١-٥]، فَهَذَا اسْتِعَاذَةٌ مِنْ شَرِّ النَّفْسِ وَقَالَ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ \* مَلِكِ النَّاسِ \* إِلَهِ النَّاسِ \* مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ \* الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ \* مِنَ الْخَيْرِ وَالنَّاسِ﴾ [الناس: ١-٦]، فَهَذَا اسْتِعَاذَةٌ مِنْ شَرِّ قَرِينِهَا وَصَاحِبِهَا وَبَسَسَ الْقَرِينِ وَالصَّاحِبِ.

فَأَمَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ نَبِيَهُ وَأَتْبَاعَهُ بِالْإِسْتِعَاذَةِ بِرَبوبيته التَّامَّةِ الْكَامِلَةِ مِنْ هَذَيْنِ الْخَلْقَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ شَأْنَهُمَا فِي الشَّرِّ وَالْفَسَادِ.

وَالْقَلْبَ بَيْنَ هَذَيْنِ الْعَدُوَيْنِ لَا يَزَالُ شَرُّهُمَا يَطْرُقُهُ وَيَتَنَابَهُ، وَأَوَّلُ مَا يَدْبُ فِيهِ السَّقَمُ مِنَ النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ مِنَ الشَّهْوَةِ وَمَا يَتَّبِعُهَا مِنَ الْحَبِّ، وَالْحَرَصِ، وَالطَّلْبِ، وَالغَضَبِ، وَمَا يَتَّبِعُهُ مِنَ الْكِبَرِ، وَالْحَسَدِ، وَالظُّلْمِ، وَالتَّسَلُّطِ، فَيَعْلَمُ الطَّيِّبُ الْغَاشِ الْخَائِنُ بِمَرَضِهِ

(١) البيت للأعشى في "ديوانه": ص (١٢٩).

فيعوده ويصف له أنواع السموم والمؤذيات ويخيل إليه بسحره أن شفاؤه فيها، ويتفق ضعف القلب بالمرض وقوة النفس الأمانة والشيطان وتتابع أمدادهما، وأنه نقد حاضر ولذة عاجلة، والداعي إليه يدعو من كل ناحية، والهوى ينفذ، والشهوة تهون، والتأسي بالأكثر والتشبه بهم والرضا بأن يصيبه ما أصابهم. فكيف يستجيب مع هذه القواطع وأضعافها لداعي الإيمان ومنادي الجنة إلا من أمده الله بأمداد التوفيق، وأيده برحمته، وتولى حفظه وحمايته، وفتح بصيرة قلبه فرأى سرعة انقطاع الدنيا وزوالها وتقلبها بأهلها وفعلها بهم، وأتمها في الحياة الدائمة كغمس إصبع في البحر بالنسبة إليه.

### فصل

والفرق بين خشوع الإيمان وخشوع النفاق: أن خشوع الإيمان هو خشوع القلب لله بالتعظيم والإجلال والوقار والمهابة والحياء، فينكسر القلب لله كسرة ملتئمة من الوجل، والخجل، والحب، والحياء، وشهود نعم الله وجنایاته هو فيخشع القلب لا محالة فيتبعه خشوع الجوارح.

وأما خشوع النفاق: فيبدو على الجوارح تصنعاً وتكلفاً والقلب غير خاشع، وكان بعض الصحابة يقول: «أعوذ بالله من خشوع النفاق، قيل له: وما خشوع النفاق؟ قال: أن يرى الجسد خاشعاً والقلب غير خاشع»<sup>(١)</sup>.

<sup>(١)</sup> أخرجه أحمد في «الزهد»: (١٤٢)، والبيهقي في «الشعب»: (٦٩٦٦) من طريق يحيى بن آدم حدثنا محمد بن خالد الضبي عن محمد بن سعد الأنصاري عن أبي الدرداء به، ومحمد بن سعد الأنصاري صدوق من السادسة، وهذه طبقة من لم يسمع من أحد من الصحابة فالأثر بهذا الإسناد منقطع.

\* وقد أخرجه ابن أبي شيبة: (٥٩/١٤) من طريق محمد بن خالد الضبي عن شيخ عن أبي الدرداء، وهذا إسناد ضعيف لجهالة شيخ محمد بن خالد الضبي ويحتمل احتمالاً كبيراً أنه محمد بن سعد الأنصاري

فالخاشع لله عبد قد خمدت نيران شهوته وسكن دخانها عن صدره فانجلى الصدر وأشرق فيه نور العظمة فماتت شهوات النفس للخوف والوقار الذي حشي به، وخمدت الجوارح وتوقر القلب وأطمأن إلى الله وذكره بالسكينة التي نزلت عليه من ربه فصار محبباً له، والمخبت المطمئن، فإن الحبت من الأرض ما تطامن فاستنقع فيه الماء فكذلك القلب المخبت قد خشع وأطمأن كالبقعة المطمئنة من الأرض التي يجري إليها الماء

المتقدم في الإسناد السابق، وتقدم أنه من السادسة مع أن محمد بن خالد الضبي من الخامسة فشيخه أنزل طبقة منه فلعله لهذا الغرض أهمه.

\* وأخرجه ابن المبارك في «الزهد»: (١٤٣) فقال: أخبرنا سفيان عن أبي يحيى أنه بلغه أن أبا الدرداء أو أبا هريرة قال فذكره، وأبو يحيى هو القتات ضعيف، والإسناد فيه انقطاع فالله أعلم بواسطة من بلغه؛ لأن أبا يحيى القتات لم يسمع من أحد من الصحابة.

\* وقد جاء مرفوعاً أخرجه البيهقي في «الشعب»: (٦٩٦٧)، والحكيم الترمذي في «نوادير الأصول»: (٥٨٢/١) من طريق مسلم بن إبراهيم أخبرنا الحارث بن عبيد أخبرنا مسلم بن سفيان السكري عن أبي بكر بن عمرو بن حزم قال: خطب أبو بكر الصديق فذكره مرفوعاً.

مسلم بن إبراهيم لم يتبين لي من هو، والحارث بن عبيد الإيادي قال الحافظ: صدوق يخطئ، ومسلم بن سفيان السكري - ووقع عند الحكيم الترمذي مسلم بن سليمان اليشكري - لم أجد له ترجمة، وفي «تهذيب الكمال» ذكر ضمن مشايخ الحارث بن عبيد مسلم بن شقير اليشكري وهو كذلك لم أجد له ترجمة، وأبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ثقة من الخامسة وهو يروي الحديث عن أبي بكر الصديق ولم يدركه فإن أبا بكر بن محمد بن عمرو توفي سنة عشرين ومائة - عند الأكثرين - قال الواقدي: وهو ابن أربع وثمانين سنة بينما توفي الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سنة ثلاث عشرة، فمعناه: أن ولادة أبي بكر بن محمد بن عمرو كانت بعد وفاة الصديق بثلاث وعشرين سنة، وقد وقع عند الحكيم الترمذي ذكر مالك بن أوس بين أبي بكر بن محمد بن عمرو وأبي بكر الصديق.

وأنا في شك من هذه الزيادة إذ أن هذه الزيارة إنما وقعت عند الحكيم الترمذي وشيخه فيها عمر بن أبي عمر وهو العبدي وإياه قاله الحافظ في «ذيل لسان الميزان» كما في «مصباح الأديب» فالحديث من هذه الطريق ضعيف.

فِيَسْتَقِرُّ فِيهَا، وَعَلَامَتُهُ: أَنْ يَسْجُدَ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ إِجْلَالًا لَهُ وَذَلًّا وَانْكَسَارًا بَيْنَ يَدَيْهِ  
سَجْدَةً لَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ عَنْهَا حَتَّى يَلْقَاهَا، وَأَمَّا الْقَلْبُ الْمَتَكَبِّرُ فَإِنَّهُ قَدْ اهْتَزَّ بِتَكْبَرِهِ وَرَبًّا فَهُوَ  
كَبْقَعَةٌ رَابِيَةٌ مِنَ الْأَرْضِ لَا يَسْتَقِرُّ عَلَيْهَا الْمَاءُ.  
فَهَذَا خَشُوعُ الْإِيمَانِ.

وَأَمَّا التَّمَاوُتُ وَخَشُوعُ النَّفَاقِ فَهُوَ حَالُ عَبْدٍ تَكَلَّفَ إِسْكَانَ الْجَوَارِحِ تَصْنَعًا وَمِرَايَةً  
وَنَفْسَهُ فِي الْبَاطِنِ شَابَةَ طَرِيَّةٍ ذَاتِ شَهْوَاتٍ وَإِرَادَاتٍ فَهُوَ يَتَخَشَّعُ فِي الظَّاهِرِ، وَحَيَّةُ  
الْوَادِي وَأَسَدُ الْغَابَةِ رَابِضٌ بَيْنَ جَنْبَيْهِ يَنْتَظِرُ الْفَرِيْسَةَ.

### فصل

وَأَمَّا شَرَفُ النَّفْسِ، فَهُوَ صِيَانَتُهَا عَنِ الدُّنْيَا وَالرِّذَائِلِ وَالْمَطَامِعِ الَّتِي تَقْطَعُ أَعْنَاقَ  
الرِّجَالِ فَرَبًّا بِنَفْسِهِ<sup>(١)</sup> عَنِ أَنْ يَلْقِيَهَا فِي ذَلِكَ بِخِلَافِ التَّيِّهِ فَإِنَّهُ خَلَقَ مَتَوْلِدًا بَيْنَ أَمْرَيْنِ  
إِعْجَابُهُ بِنَفْسِهِ وَإِزْرَائِهِ بِغَيْرِهِ فَيَتَوْلَدُ مِنْ بَيْنِ هَذَيْنِ التَّيِّهِ.  
وَالأَوَّلُ يَتَوْلَدُ مِنْ بَيْنِ خَلْقَيْنِ كَرِيمَيْنِ: إِعْزَازِ النَّفْسِ وَإِكْرَامِهَا وَتَعْظِيمِ مَالِكِهَا  
وَسَيِّدِهَا أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ دُنْيَا وَضِعْمًا خَسِيسًا فَيَتَوْلَدُ مِنْ بَيْنِ هَذَيْنِ الْخَلْقَيْنِ شَرَفُ النَّفْسِ  
وَصِيَانَتُهَا.

وَأَصْلُ هَذَا كُلُّهُ اسْتِعْدَادٌ وَتَهْيُؤُهَا وَإِمْدَادٌ وَلِيَّهَا وَمَوْلَاهَا لَهَا، فَإِذَا فَقَدَ الْاسْتِعْدَادَ  
وَالْإِمْدَادَ فَقَدَ الْحَيَّرَ كُلَّهُ.

### فصل

(١) أي: رفعها عن هذا الأمر، «لسان العرب»: (رباً).

وَكَذَلِكَ الْفَرْقُ بَيْنَ الْحَمِيَّةِ وَالْجَفَاءِ، فَإِنَّ الْحَمِيَّةَ: فَطَامَ النَّفْسَ عَنِ رِضَاعِ اللَّوْمِ مِنْ ثَدِي هُوَ مَصَّبُ الْحَبَائِثِ وَالرِّذَائِلِ وَالِدُنْيَا وَلَوْ غَزَرَ لَبْنُهُ وَتَهَالَكَ النَّاسُ عَلَيْهِ، فَإِنَّ لَهُمْ فَطَامًا تَنْتَقِعُ مَعَهُ الْأَكْبَادُ حَسِرَاتٍ فَلَا بُدَّ مِنَ الْفِطَامِ، فَإِنَّ شِئْتَ عَجَلْتَ وَأَنْتَ مُحَمَّدٌ مَشْكُورٌ، وَإِنْ شِئْتَ أَخَّرْتَ وَأَنْتَ غَيْرُ مَاجُورٍ، بِخِلَافِ الْجَفَاءِ فَإِنَّهُ غَلِظَةُ فِي النَّفْسِ وَقِسَاوَةٌ فِي الْقَلْبِ وَكَثَافَةٌ فِي الطَّبَعِ يَتَوَلَّدُ عَنْهَا خَلْقٌ يُسَمَّى الْجَفَاءَ.

### فصل

وَالْفَرْقُ بَيْنَ التَّوَاضُّعِ وَالْمَهَانَةِ: أَنَّ التَّوَاضُّعَ يَتَوَلَّدُ مِنْ بَيْنِ الْعِلْمِ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ وَمَعْرِفَةِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَنِعْوَتِ جَلَالِهِ وَتَعْظِيمِهِ وَمَحَبَّتِهِ وَإِجْلَالِهِ وَمِنْ مَعْرِفَتِهِ بِنَفْسِهِ وَنِقَائِصِهَا، وَعِيُوبِ عَمَلِهِ وَأَفَاتِمَا، فَيَتَوَلَّدُ مِنْ بَيْنِ ذَلِكَ كُلِّهِ خَلْقٌ هُوَ التَّوَاضُّعُ: وَهُوَ انْكَسَارُ الْقَلْبِ لِلَّهِ وَخَفْضُ جَنَاحِ الذَّلِّ وَالرَّحْمَةِ لِعِبَادِهِ فَلَا يَرَى لَهُ عَلَى أَحَدٍ فَضْلًا وَلَا يَرَى لَهُ عِنْدَ أَحَدٍ حَقًّا بَلْ يَرَى الْفَضْلَ لِلنَّاسِ عَلَيْهِ وَالْحَقُوقَ لَهُمْ قَبْلَهُ وَهَذَا خَلْقٌ إِنَّمَا يُعْطِيهِ اللَّهُ عِزًّا وَجَلًّا مِنْ يُحِبُّهُ وَيَكْرُمُهُ وَيَقْرِبُهُ.

وَأَمَّا الْمَهَانَةُ: فَهِيَ الدَّنَاءَةُ وَالْخَسَةُ وَبِذَلِّ النَّفْسِ وَابْتِدَالِهَا فِي نَيْلِ حَظِّهَا وَشَهْوَاتِهَا كَتَوَاضُّعِ السَّفَلِ فِي نَيْلِ شَهْوَاتِهِمْ، وَتَوَاضُّعِ الْمَفْعُولِ بِهِ لِلْفَاعِلِ، وَتَوَاضُّعِ طَالِبِ كُلِّ حَظٍّ لِمَنْ يَرْجُو نَيْلَ حَظِّهِ مِنْهُ، فَهَذَا كُلُّهُ ضِعَةٌ لَا تَوَاضُّعَ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يَجِبُ التَّوَاضُّعُ وَيَبْغِضُ الضِعَّةَ وَالْمَهَانَةَ.

وَفِي «الصَّحِيحِ» عَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَأَوْحِيَ إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه مسلم: (٧٢١٠/٢٨٦٥) عن عياض بن حمار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



والتواضع المحمود على نُوَعَيْنِ:

أحدهما: تواضع العبد عند أمر الله امتثالاً وعند نهيهِ اجتناباً، فَإِنَّ النَّفْسَ لَطَلِبَ الرَّاحَةِ تَتَلَكَّأُ فِي أَمْرِهِ فَيَبْدُو مِنْهَا نَوْعَ إِبَاءٍ وَشِرَادٍ هَرَبًا مِنَ الْعُبُودِيَّةِ، وَتَثْبُتُ عِنْدَ نَهْيِهِ طَلَبًا لِلظَّفْرِ بِمَا مَنَعَ مِنْهُ، فَإِذَا وَضَعَ الْعَبْدُ نَفْسَهُ لِأَمْرِ اللَّهِ وَنَهْيِهِ فَقَدْ تَوَاضَعَ لِلْعُبُودِيَّةِ.

وَالنَّوْعُ الثَّانِي: تَوَاضَعَهُ لِعِظَمَةِ الرَّبِّ وَجَلَالِهِ وَخُضُوعَهُ لِعِزَّتِهِ وَكِبْرِيَاءِهِ، فَكَلِمًا شَمَخَتْ نَفْسُهُ ذَكَرَ عِظَمَةَ الرَّبِّ تَعَالَى وَتَفَرَّدَهُ بِذَلِكَ وَغَضِبَهُ الشَّدِيدَ عَلَى مَنْ نَازَعَهُ ذَلِكَ فَتَوَاضَعَتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ وَانكسر لِعِظَمَةِ اللَّهِ قَلْبُهُ وَتَطَامَنَ لِهَيْبَتِهِ وَأَخْبَتَ لِسُلْطَانِهِ، فَهَذَا غَايَةُ التَّوَاضُعِ وَهُوَ يَسْتَلْزِمُ الْأَوَّلَ مِنْ غَيْرِ عَكْسٍ وَالتَّوَاضُعِ حَقِيقَةً مِنْ رِزْقِ الْأَمْرَيْنِ وَاللَّهِ الْمُسْتَعَانَ.

## فصل

وَكَذَلِكَ الْقُوَّةُ فِي أَمْرِ اللَّهِ هِيَ مِنْ تَعْظِيمِهِ وَتَعْظِيمِ أَوْامِرِهِ وَحَقُوقِهِ حَتَّى يَقِيمَهَا اللَّهُ، وَالْعُلُوفُ فِي الْأَرْضِ هُوَ مِنْ تَعْظِيمِ نَفْسِهِ وَطَلْبِ تَفَرُّدِهَا بِالرِّيَاسَةِ وَنَفَازِ الْكَلِمَةِ سِوَاءَ عِزِّ أَمْرِ اللَّهِ أَوْ هَانِ، بَلْ إِذَا عَارَضَهُ أَمْرُ اللَّهِ وَحَقُوقِهِ وَمَرْضَاتِهِ فِي طَلْبِ عُلُوِّهِ لَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى ذَلِكَ وَأَهْدَرَهُ وَأَمَاتَهُ فِي تَحْصِيلِ عُلُوِّهِ.

وَكَذَلِكَ الْحَمِيَّةُ لِلَّهِ وَالْحَمِيَّةُ لِلنَّفْسِ، فَالْأَوْلَى يَثِيرُهَا تَعْظِيمُ الْأَمْرِ وَالْأَمْرِ، وَالثَّانِيَّةُ يَثِيرُهَا تَعْظِيمُ النَّفْسِ وَالْعَضْبُ لِقَوَاتِ حِظُوظِهَا، فَالْحَمِيَّةُ لِلَّهِ أَنْ يَحْمِيَ قَلْبَهُ لَهُ مِنْ تَعْظِيمِ

حُتُّوقه وَهِيَ حَال عبد قد أشرق على قلبه نور سُلْطَان الله فَاَمْتَلَأَ قلبه بذلك التُّور، فَاِذَا غضب فَاِنَّمَا يَغْضَب من أَجل نور ذَلِكَ السُّلْطَان الَّذِي القى على قلبه.  
وَكَانَ رَسُوْل الله ﷺ إِذَا غضب اِحْمَرَّتْ وَجنتاه<sup>(١)</sup>.  
وبدا بَيْن عَيْنَيْهِ عرق يُدِرُّهُ الغَضْب، وَلَمْ يَقم لغضبه شَيْءٌ حَتَّى يَنْتَقم لله<sup>(٢)</sup>.

<sup>(١)</sup> (صحيح لغيره) أخرجه البزار في "مسنده": (١٤٥٦) فقال: حدثنا معمر بن سهل قال: أخبرنا عبيد الله بن موسى قال: أخبرنا إسرائيل عن مخارق عن طارق بن شهاب عن عبد الله بن مسعود به، ورجال إسناده كلهم ثقات إلا معمر بن سهل وهو الأهوازي فقد روى عنه جمع، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال شيخ متقن يغرب.

\* وللحديث طريق أخرى عند البزار: (١٤٥٥)، والطبراني في "الكبير": (٩٧٩١) من طرق عن أبي يحيى التيمي عن إسماعيل بن إبراهيم عن مخارق به، وهذا إسناده رجاله ثقات إلا أبا يحيى التيمي فإنه ضعيف. فالحديث بهذين الطريقتين صحيح لغيره.

\* وقد أخرج البخاري: (٩١)، ومسلم: (٤٤٩٩/١٧٢٢) عن زيد بن خالد الجهني: أن النبي ﷺ سئل عن ضالة الإبل فغضب حتى احمرت وجنتاه أو احمر وجهه. والوجنتان: هما ما ارتفع من الخدين، "لسان العرب": (وجن).

<sup>(٢)</sup> (ضعيف جداً) أخرجه الترمذي في "الشعائل": (٨) و (٢٢٦)، فقال: حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا جميع بن عمير بن عبد الرحمن العجلي - إملاءً علينا من كتابه - أخبرني رجل من بني تميم من ولد أبي هالة زوج خديجة يكنى أبا عبد الله عن ابن لأبي هالة عن الحسن بن علي قال: سألت خالي هند بن أبي هالة وكان وصافاً عن حلية رسول الله ﷺ فذكره، وهذا إسناده ضعيف فيه عدة علل:  
١- سفيان بن وكيع قال عنه الحافظ كان صدوقاً إلا أنه ابتلى بورآقه فأدخل عليه ما ليس من حديثه فنصح فلم يقبل فسقط حديثه.

٢- جميع بن عمير ضعيف قال أبو داود أحشى أن يكون كذاباً، وقال الحافظ: ضعيف رافضي.

٣- أبو عبد الله التيمي من ولد أبي هالة مجهول.

٤- إبهام الراوي عن الحسن بن علي.

وروى زيد بن أسلم عن أبيه: أن موسى بن عمران كان إذا غضب اشتعلت قلنسوته ناراً<sup>(١)</sup>.

وهذا بخلاف الحمية للنفس فإنها حرارة تهيج من نفسه لفوات حظها أو طلبه، فإن الفتنة في النفس والفتنة هي الحريق والنفس متلظية بنار الشهوة والغضب، فإنما هما حرارتان تظهران على الأركان حرارة من قبل النفس المطمئنة أثارها تعظيم حق الله وحرارة من قبل النفس الأمانة أثارها استشعارها فوت الحظ.

### فصل

والفرق بين الجود والسرف: أن الجواد حكيم يضع العطاء مواضعه، والمسرف: مبذر قد يصادف عطاؤه موضعه وكثيراً لا يصادفه.

وإيضاح ذلك أن الله سبحانه بحكمته جعل في المال حقوقاً وهي نوعان: حقوق موظفة، وحقوق ثابتة، فالحقوق الموظفة: كالزكاة والنفقات الواجبة على من تلزمه نفقته. والثابتة: كحق الصَّيْف ومكافأة المهدي وما وقى به عرضه ونحو ذلك.

\* وللحديث طريق أخرى عند البيهقي في "الدلائل": (٢٨٥/١) من طريق الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسين بن جعفر وكان متهمًا بالكذب قاله الذهبي في "الميزان": (٥٢١/١)، ثم ذكر له بعض الأحاديث الموضوعية وقال: فهذان دالان على كذبه وعلى رفضه.

<sup>(١)</sup> (لم أقف عليه مسنداً) وقد ذكره العيني في "عمدة القاري": (١٤٩/٨)، والمناوي في "فيض القدير": (٤٦٣/٣)، ويبدو لي أنه من الاسرائيليات، وأسلم العدوي - والد زيد - بينه وبين نبي الله موسى مفاوز فمن الذي أخبره بهذا، وذكره السيوطي في "الدر المنثور" عند الآية: (١٥٠) من سورة الأعراف: أن أبا الشيخ أخرجه عن زيد بن أسلم من قوله.

فالجواد يتوخى بهأله أداء هذه الحقوق على وجه الكمال طيبة بذلك نفسه راضية مؤملة للخلف في الدنيا والثواب في العقبى فهو يخرج ذلك بساحة قلب وسخاوة نفس وانسراح صدر، بخلاف المبدر فإنه ييسط يده في ماله بحكم هواه وشهوته جزافاً لا على تقدير ولا مراعاة مصلحة، وإن اتفقت له.

فالأول بمنزلة من بذر حبة في الأرض تنبت وتوخى بذره مواضع المغل<sup>(١)</sup> والإنبات فهذا لا يعد مبدراً ولا سفيهاً.

والثاني بمنزلة من بذر حبة في سبخ وعزاز<sup>(٢)</sup> من الأرض، وإن اتفق بذره في محل النبات بذر بذرًا متراكماً بعضه على بعض فذلك المكان البذر فيه ضائع معطل، وهذا المكان بذره متراكماً بعضه على بعض فلذلك يحتاج أن يقلع بعض زرعه ليصلح الباقي ولئلا تضعف الأرض عن تربيته.

والله سبحانه هو الجواد على الإطلاق بل كل جود في العالم العلوي والسفلي بالنسبة إلى جوده أقل من قطرة في بحار الدنيا وهي من جوده، ومع هذا فإنها ينزل بقدر ما يشاء، وجوده لا يناقض حكمته ويضع عطاءه مواضعه وإن خفي على أكثر الناس أن تلك مواضعه فالله يعلم حيث يضع فضله وأي المحال أولى به؟

## فصل

(١) المغل الأرض الكثيرة العمل وهو النبت الكثير. "لسان العرب": (مغل).

(٢) السبخ جمع سبخة وهي الأرض المالحة، والعزاز المكان الصلب من الأرض الذي يسرع سيل مطره.

"لسان العرب": (سبخ) (عزز).

وَالْفَرْقَ بَيْنَ الْمَهَابَةِ وَالْكَبَرِ: أَنَّ الْمَهَابَةَ أَثْرٌ مِنْ أَثَارِ امْتِلَاءِ الْقَلْبِ بِعِظْمَةِ اللَّهِ وَمَحَبَّتِهِ وَإِجْلَالِهِ، فَإِذَا امْتَلَأَ الْقَلْبُ بِذَلِكَ حَلَّ فِيهِ النُّورُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِ السَّكِينَةُ، وَأُلْبِسَ رِذَاءَ الْهَيْبَةِ فَانْتَسَى وَجْهَهُ الْحَلَاوَةَ وَالْمَهَابَةَ فَأَخَذَ بِمَجَامِعِ الْقُلُوبِ مَحَبَّةً وَمَهَابَةً فَحَنَّتْ إِلَيْهِ الْأَفْتَدَةُ، وَقَرَّتْ بِهِ الْعُيُونُ، وَأَنْسَتْ بِهِ الْقُلُوبُ، فَكَلَّامَهُ نُورٌ وَمُدْخَلُهُ نُورٌ وَمُخْرَجُهُ نُورٌ وَعَمَلُهُ نُورٌ، إِنْ سَكَتَ عِلَاةُ الْوَقَارِ وَإِنْ تَكَلَّمَ أَخَذَ بِالْقُلُوبِ وَالْأَسْمَاعِ.

وَأَمَّا الْكَبَرُ: فَآثَرٌ مِنْ أَثَارِ الْعِجْبِ وَالْبَغْيِ مِنْ قَلْبٍ قَدْ امْتَلَأَ بِالْجَهْلِ وَالظُّلْمِ، تَرَحَّلَتْ مِنْهُ الْعُبُودِيَّةُ وَنَزَلَ عَلَيْهِ الْمَقْتُ فَنَظَرَهُ إِلَى النَّاسِ شِزْرًا<sup>(١)</sup>، وَمَشِيهٍ بَيْنَهُمْ تَبْخَتِرُ، وَمَعَامَلَتِهِ لَهُمْ مُعَامَلَةَ الْاسْتِثْنَاءِ لَا الْإِثَارِ وَلَا الْإِنْصَافِ، ذَاهِبٍ بِنَفْسِهِ تَيْهًا لَا يَبْدَأُ مِنْ لِقَائِهِ بِالسَّلَامِ وَإِنْ رَدَّ عَلَيْهِ رَأَى أَنَّهُ قَدْ بَالِغٌ فِي الْإِنْعَامِ عَلَيْهِ، لَا يَنْطَلِقُ لَهُمْ وَجْهَهُ وَلَا يَسْعَهُمْ خَلْقَهُ، لَا يَرَى لِأَحَدٍ عَلَيْهِ حَقًّا وَيَرَى حُقُوقَهُ عَلَى النَّاسِ، وَلَا يَرَى فَضْلَهُمْ عَلَيْهِ وَيَرَى فَضْلَهُ عَلَيْهِمْ، لَا يَزِدُّدَادَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا بَعْدًا وَمِنَ النَّاسِ إِلَّا صَغَارًا وَبَغْضًا.

### فصل

وَالْفَرْقَ بَيْنَ الصِّيَانَةِ وَالتَّكْبَرِ: أَنَّ الصَّائِنَ لِنَفْسِهِ بِمَنْزِلَةِ رَجُلٍ قَدْ لَبَسَ ثَوْبًا جَدِيدًا نَقِيَ الْبَيَاضَ ذَا ثَمَنِ فَهُوَ يَدْخُلُ بِهِ عَلَى الْمَلُوكِ فَمِنْ دُونِهِمْ فَهُوَ يَصُونُهُ عَنِ الْوَسْخِ وَالْعُبَارِ وَالطَّبُوعِ وَأَنْوَاعِ الْآثَارِ إِبْقَاءً عَلَى بِيَاضِهِ وَنِقَائِهِ، فَتَرَاهُ صَاحِبَ تَعَزُّزٍ وَهَرُوبٍ مِنَ الْمَوَاضِعِ الَّتِي يُخْشَى مِنْهَا عَلَيْهِ التَّلُوثُ فَلَا يَسْمَحُ بِأَثَرٍ وَلَا طَبْعٍ وَلَا لَوَاثٍ يَعْלוُ ثَوْبَهُ، وَإِنْ أَصَابَهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ عَلَى غَرَّةٍ بَادَرَ إِلَى قَلْعِهِ وَإِزَالَتِهِ وَمَحْوِ أَثَرِهِ.

(١) نَظَرَ شِزْرًا أَي: فِيهِ إِعْرَاضٌ كَنَظَرِ الْمَعَادِيِّ الْمُبْغِضِ. «لسان العرب»: (شزر).

وَهَكَذَا الصَّائِن لِقَلْبِهِ وَدِينَهُ تَرَاهُ يَجْتَنِبُ طَبُوعَ [الدُّنُوبِ وَأَثَارَهَا فَإِنَّ لَهَا فِي الْقَلْبِ طَبُوعًا وَأَثَارًا أَعْظَمَ مِنَ الطَّبُوعِ] الْفَاحِشَةِ فِي الثُّوبِ النَّقِيِّ لِلْبِيَاضِ، وَلَكِنْ عَلَى الْعِيُونِ غِشَاوَةٌ أَنْ تَدْرِكَ تِلْكَ الطَّبُوعَ فَتَرَاهُ يَهْرَبُ مِنْ مِظَانِ التَّلَوُّثِ وَيَحْتَرِسُ مِنَ الْخَلْقِ وَيَتَبَاعَدُ مِنْ تَخَالُطِهِمْ مَخَافَةً أَنْ يَحْصَلَ لِقَلْبِهِ مَا يَحْصُلُ لثُوبِ الَّذِي يَخَالُطُ الدِّبَاغِينَ وَالدِّبَاحِينَ وَالتَّبَاطِخِينَ وَنَحْوَهُمْ، بِخِلَافِ صَاحِبِ الْعُلُوِّ فَإِنَّهُ وَإِنْ شَابَهُ هَذَا فِي تَحْرِزِهِ وَتَجَنُّبِهِ فَهُوَ يَقْصِدُ أَنْ يَعْلُو رِقَابَهُمْ وَيَجْعَلُهُمْ تَحْتَ قَدَمِهِ. فَهَذَا لَوْنٌ وَذَلِكَ لَوْنٌ.

### فصل

وَالْفَرْقُ بَيْنَ الشَّجَاعَةِ وَالْجِرَاءَةِ: أَنَّ الشَّجَاعَةَ مِنَ الْقَلْبِ وَهِيَ ثَبَاتُهُ وَاسْتِقْرَارُهُ عِنْدَ الْمَخَافِ وَهُوَ خَلْقٌ يَتَوَلَّدُ مِنَ الصَّبْرِ وَحَسَنِ الظَّنِّ، فَإِنَّهُ مَتَى ظَنَّ الظَّفْرَ وَسَاعَدَهُ الصَّبْرُ ثَبَتَ كَمَا أَنَّ الْجُبْنَ يَتَوَلَّدُ مِنْ سُوءِ الظَّنِّ وَعَدَمِ الصَّبْرِ فَلَا يَظُنُّ الظَّفْرَ وَلَا يَسَاعِدُهُ الصَّبْرُ. وَأَصْلُ الْجُبْنِ مِنْ سُوءِ الظَّنِّ وَوَسُوسَةِ النَّفْسِ بِالسُّوءِ، وَهُوَ يَنْشَأُ مِنَ الرَّئَةِ فَإِذَا سَاءَ الظَّنُّ وَوَسُوسَتِ النَّفْسُ بِالسُّوءِ انْتَفَخَتِ الرَّئَةُ فَزَاحَمَتِ الْقَلْبَ فِي مَكَانِهِ وَضَيَّقَتِ عَلَيْهِ حَتَّى أَزْعَجَتَهُ عَنِ مَسْتَقَرِّهِ فَأَصَابَهُ الزَّلَازِلُ وَالْإِضْطِرَابُ لِإِزْعَاجِ الرَّئَةِ لَهُ وَتَضْيِيقِهَا عَلَيْهِ، وَهَذَا فِي حَدِيثِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ الَّذِي رَوَاهُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «سَرَّ مَا

فِي الْمَرْءِ جِبْنَ خَالِعٍ وَشَحِّ هَالِعٍ<sup>(١)</sup>. فَسُمِيَ الْجَبْنُ خَالِعًا؛ لِأَنَّهُ يَخْلَعُ الْقَلْبَ عَنِ مَكَانِهِ لِانْتِفَاحِ السَّحْرِ وَهُوَ الرَّئَةُ كَمَا قَالَا أَبُو جَهْلٍ لِعْتَبَةَ بِنِ رَيْبَعَةَ يَوْمَ بَدْرٍ: انْتَفَخَ سَحْرُكَ<sup>(٢)</sup>. فَإِذَا زَالَ الْقَلْبُ عَنِ مَكَانِهِ ضَاعَ تَدْبِيرُ الْعَقْلِ فَظَهَرَ الْفَسَادُ عَلَى الْجَوَارِحِ فَوَضَعَتْ الْأُمُورُ عَلَى غَيْرِ مَوَاضِعِهَا، فَالشَّجَاعَةُ حَرَارَةُ الْقَلْبِ وَغَضَبُهُ وَقِيَامُهُ وَانْتِصَابُهُ وَثَبَاتُهُ، فَإِذَا رَأَتْهُ الْأَعْضَاءُ كَذَلِكَ أَعَانَتْهُ فَإِنَّهَا خَدِمَتْ لَهُ وَجُنُودًا، كَمَا أَنَّهُ إِذَا وُلِيَ وَلَتْ سَائِرُ جُنُودِهِ. وَأَمَّا الْجِرَاءَةُ: فَهِيَ إِقْدَامٌ [سَبَبُهُ قَلَّةُ الْمَبَالَاةِ وَعَدَمُ النَّظَرِ فِي الْعَاقِبَةِ بَلْ تَقْدِمُ النَّفْسُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِ الْإِقْدَامِ] مَعْرُوضَةٌ عَنِ مَلَا حِظَّةِ الْعَارِضِ فَإِمَّا عَلَيْهَا وَإِمَّا لَهَا. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

### فصل

وَأَمَّا الْفَرْقُ بَيْنَ الْحَزْمِ وَالْجَبْنِ: فَالْحَزْمُ هُوَ الَّذِي قَدْ جَمَعَ عَلَيْهِ هَمُّهُ وَإِرَادَتُهُ وَعَقْلُهُ وَوَزْنُ الْأُمُورِ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ فَأَعَدَّ لِكُلِّ مِنْهَا قِرْنَ، وَلَفْظَةُ الْحَزْمِ تَدُلُّ عَلَى الْقُوَّةِ وَالْإِجْمَاعِ، وَمِنْهُ: حَزْمَةُ الْحَطْبِ، فَحَزْمُ الرَّأْيِ هُوَ الَّذِي اجْتَمَعَتْ لَهُ شُؤُونُ رَأْيِهِ وَعَرَفَ مِنْهَا خَيْرَ الْخَيْرِينَ وَشَرَّ الشَّرِّينَ، فَأَحْجَمَ فِي مَوْضِعِ الْإِحْجَامِ رَأْيًا وَعَقْلًا لَا جَبْنًا [وَلَا] ضَعْفًا:

<sup>(١)</sup> (صحيح) أخرجه أحمد: (٣٠٢/٢)، وأبو داود: (٢٥١١)، وابن أبي شيبة: (٩٨/٩) من طرق عن موسى بن علي عن أبيه عن عبد العزيز بن مروان عن أبي هريرة به، وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات. ولم أقف عليه من حديث عمرو بن العاص.

<sup>(٢)</sup> (ضعيف) أخرجه ابن إسحاق كما في "سيرة ابن هشام": (٦٢٢-٦٢٣)، ضمن قصة مطولة في غزوة بدر، فقال: حدثني أبي إسحاق بن يسار وغيره من أهل العلم عن أشياخ من الأنصار فذكره. وهذا إسناد ضعيف لإيهام هؤلاء الأشياخ، قال ابن هشام عقب الأثر: السحر الرئة وما حولها مما يتعلق بالحلوقوم من فوق السرة، وما كان تحت السرة فهو القصب.

كعَاجِزِ الرَّأْيِ مَضِياعَ لِفِرصَتِهِ

حَتَّى إِذَا فَاتَ أَمْرٌ عَاتَبَ الْقَدْرَ<sup>(١)</sup>

### فصل

والفرق بين الاقتصاد والشح: أن الاقتصاد خلق محمود يتوَلَّد من خلقين: عدل وحكمة. فبالعدل يعتدل في المنع والبذل، وبالحكمة يضع كل واحد منهما موضعه الذي يليق به، فيتولد من بينهما الاقتصاد وهو وسط بين طرفين مذمومين كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [الأعراف: ٣١].

وأما الشح: فهو خلق ذميم يتوَلَّد من سوء الظن وضعف النفس ويمده وعدو الشيطان حتى يصير هالعا، والهلع شدة الحرص على الشيء والشرة به، فيتولد عنه المنع لبذله والجزع لفقده كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا \* إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا \* وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ [المعارج: ٢١].

### فصل

والفرق بين الاحتراز وسوء الظن: أن المحترز بمنزلة رجل قد خرج بهاله ومركوبه مسافرا، فهو يحترز بجهد من كل قاطع للطريق وكل مكان يتوقع منه الشر، وكذلك يكون مع التأهب والاستعداد وأخذ الأسباب التي بها ينجو من المكروه، فالمحترز

(١) هذا البيت نسبه ابن قتيبة في "عيون الأخبار": (١٥٦/٢)، وكذا ابن حمدون في "التذكرة الحمدونية": (٣/٣٠٤)، للرياشي.

بينما نسبه الثعالبي في "المنتخل": (١/١٣٩)، للخليل بن أحمد الفراهيدي.



كالتسلح المتدرع الذي قد تأهب للقاء عدوه وأعدَّ له عدته فهيمته في تهيئة أسباب النجاة ومحاربة عدوه قد أشغلته عن سوء الظن [به]، وكلمها ساء به الظن أخذ في أنواع العُدَّة والتَّأهَّب.

وأما سوء الظن: فهو امتلاء قلبه بالظنون السيئة بالناس حتى يطفح على لسانه وجوارحه فهم معه أبداً في الهمز واللمز والطعن والعيب والبغض، يبغضهم ويبغضونه، ويلعنهم ويلعنونه، ويحذرهم ويحذرون منه.

فالأول يخالطهم ويحترز منهم، والثاني يتجنبهم ويلحقه أذاهم، الأول داخل فيهم بالنصيحة والإحسان مع الاحتراز، والثاني خارج منهم مع الغش والدغل<sup>(١)</sup> والبغض.

### فصل

والفرق بين الفراسة والظن: أن الظن يخطئ ويصيب وهو يكون مع ظلمة القلب ونوره وطهارته ونجاسته، ولهذا أمر تعالى باجتنب كثير منه وأخبر أن بعضه إثم. وأما الفراسة: فأنتى على أهلها ومدحهم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٥]، قال ابن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** وغيره: أي للمتفرسين<sup>(٢)</sup>، وقال

(١) الدغل: هو دخل مفسد في الأمور، كتاب "العين" للخليل: (دغل).

(٢) لم أفق عليه مسنداً عن ابن عباس، وقد ذكره عنه الواحدي في "تفسيره" فقال: قال عطاء عن ابن عباس: للمتفرسين. والذي ذكره ابن جرير عن ابن عباس أنه قال: للناظرين. وإسناده ضعيف من طريق عبدالله بن صالح وهو ضعيف، وفيه انقطاع بين علي بن أبي طلحة وابن عباس.

\* وقد جاء تفسير الآية بالمتفرسين عن مجاهد أخرجه ابن جرير: (٤٦/١٤-٤٧)، بعدة أسانيد بعضها صحيح.

تَعَالَى: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ [البقرة: ٢٧٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [محمد: ٣٠].  
فالفراصة الصادقة لقلب قد تطهَّر وتصفَّى وتنزَّه من الأدناس وقرب من الله فهو ينظر بنور الله الَّذِي جعله في قلبه، وفي «الترمذي» وغيره من حديث أبي سعيد قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ»<sup>(١)</sup>.

وهذه الفراسة نشأت له من قرب من الله، فإن القلب إذا قرب من الله انقطعت عنه معارضات السوء المانعة من معرفة الحق وإدراكه، وكان تلقيه من مشكاة قريبة من الله بحسب قرب منة وأضاء له النور بقدر قرب فرأى في ذلك النور ما لم يره البعيد والمحجوب كما ثبت في «الصحيح» من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ فيما يروى

\* وجاء عن جعفر بن محمد الصادق أخرجه أبو نعيم في «الخلية»: (٣/١٩٤)، وفي إسناده عمران بن أبان ضعيف كما في «التقريب»، وبقية رجال الإسناد لم أقف على تراجمهم.

<sup>(١)</sup> (ضعيف) أخرجه الترمذي: (٣١٢٧)، وابن جرير: (٤٦/١٤)، والعقيلي في «الضعفاء»: (٤/١٢٩) من طرق عن عمرو بن قيس الملائي عن عطية عن أبي سعيد. وهذا إسناد ضعيف، عطية هو ابن سعد العوفي ضعيف ومدلس، وقد كان يروي عن الكلبي ويكنيه بأبي سعيد إيهاماً أنه الخدري، وأيضاً الأسانيد إلى عمرو بن قيس الملائي ضعيفة؛ فإن الذي رواه عنه كذلك محمد بن كثير الكوفي القرشي - وهو ضعيف - ومصعب بن سلام - وهو ضعيف كذلك - وخالفهم سفيان الثوري فرواه عن عمرو بن قيس الملائي قال: كان يقال.... فذكره، أخرجه العقيلي في «الضعفاء»: (٤/١٢٩) وقال: وهذا أولى.

\* وأخرجه الخطيب في «تاريخه»: (٣/١٩١) من الطريق الأولى ثم قال: وهو غريب من حديث عطية العوفي عن أبي سعيد لا نعلم رواه عنه غير عمرو بن قيس الملائي، وتفرد به محمد بن كثير عن عمرو وهو وهم والصواب ما رواه سفيان عن عمرو بن قيس الملائي قال: كان يقال وساق الحديث كذلك....  
\* وقد جاء الحديث عن أبي أمامة وأبي هريرة وعبدالله بن عمر وثوبان وكلها شديدة الضعف، وأحسنها حالاً حديث أبي أمامة وليس له ما يقويه، راجع تخريج هذه الأحاديث في «السلسلة الضعيفة»: (١٨٢١).

عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ قَالَ: «مَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِمِثْلِ مَا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أَحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتَهُ كُنْتُ سَمِعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يَبْصُرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، فِي يَسْمَعُ وَيَبْصُرُ وَيَبْطِشُ وَيَمْشِي»<sup>(١)</sup>.

فَأَخْبَرَ سُبْحَانَہُ أَنْ تَقَرَّبَ عَبْدُهُ مِنْهُ بِفِيْدِهِ مَحْبَبَتِهِ لَهُ، فَإِذَا أَحْبَبَهُ قَرَبَ مِنْ سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ وَيَدِهِ وَرِجْلِهِ، فَسَمِعَ بِهِ، وَأَبْصَرَ بِهِ، وَبَطَشَ بِهِ، وَمَشَى بِهِ، فَصَارَ قَلْبُهُ كَالْمِرَاةِ الصَّافِيَةِ تَتَبَدَّى فِيهَا صُورَ الْحَقَائِقِ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ فَلَا تَكَادُ تَخْطِئُ لَهُ فِرَاسَةً، فَإِنِ الْعَبْدُ إِذَا أَبْصَرَ بِاللَّهِ أَبْصَرَ الْأَمْرَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ، وَإِذَا سَمِعَ بِاللَّهِ سَمِعَهُ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ.

وَلَيْسَ هَذَا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ بَلْ عِلَامُ الْغُيُوبِ قَدْ فِ الْحَقِّ فِي قَلْبِ قَرِيبٍ مِنْهُ مُسْتَتِيرٍ بِنُورِهِ غَيْرِ مَشْغُولٍ بِنَقُوشِ الْأَبَاطِيلِ وَالْخِيَالَاتِ وَالْوَسَاوِسِ الَّتِي تَمْنَعُهُ مِنْ حُصُولِ صُورِ الْحَقَائِقِ [فِيهِ]، وَإِذَا غَلَبَ عَلَى الْقَلْبِ النُّورُ فَاضَ عَلَى الْأَرْكَانِ وَبَادَرَ مِنَ الْقَلْبِ إِلَى الْعَيْنِ فَيَكْشِفُ بَعَيْنَ بَصَرِهِ بِحَسَبِ ذَلِكَ النُّورِ.

وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرَى أَصْحَابَهُ فِي الصَّلَاةِ وَهُمْ خَلْفَهُ كَمَا يَرَاهُمْ أَمَامَهُ<sup>(٢)</sup>.

<sup>(١)</sup> أخرجه البخاري: (٦٥٠٢) دون قوله: «فبي يسمع وبى يبصر...». وقد جاءت هذه الزيادة في بعض روايات الحديث خارج «الصحيح» كذا ذكر ابن كثير في «تفسيره» عند الآية: (٧٧) من سورة النحل، والحافظ ابن حجر في شرح هذا الحديث من «فتح الباري»، غير أنى لم أقف على إسناده. وقال العلامة الألباني في «الصحيحة»: (١٩١ / ٤): «... أن شيخ الإسلام ابن تيمية أورد هذا الحديث في عدة أماكن من «مجموع الفتاوى» من رواية البخاري بزيادة: «فبي يسمع وبى يبصر وبى يبطش وبى يمشي» ولم أر هذه الزيادة عند البخاري ولا عند غيره ممن ذكرناه من المخرجين، وقد ذكرها الحافظ في أثناء شرحه للحديث نقلاً عن الطوفي ولم يعزها لأحد».

<sup>(٢)</sup> أخرجه البخاري: (٤١٨)، ومسلم: (٤٢٣) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَرَأَى بَيْتَ الْمُقَدَّسِ عَيَانًا وَهُوَ بِمَكَّةَ <sup>(١)</sup>.

وَرَأَى قُصُورَ الشَّامِ وَأَبْوَابَ صَنْعَاءَ وَمَدَائِنَ كَسْرَى وَهُوَ بِالْمَدِينَةِ يُحْفَرُ الْخَنْدَقَ <sup>(٢)</sup>.

وأخرجه البخاري: (٤١٩)، ومسلم: (٤٢٥) عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

<sup>(١)</sup> أخرجه البخاري: (٣٨٨٦)، ومسلم: (١٧٠) عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأخرجه مسلم: (١٧٢) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

<sup>(٢)</sup> (صحيح لغيره) هذا الحديث جاء عن جماعة من الصحابة:

١- البراء بن عازب:

أخرجه أحمد: (٣٠٣/٤)، والنسائي في «الكبرى»: (٨٨٥٨)، وأبو يعلى: (١٦٨٥) من طرق عن عوف بن أبي جميلة الأعرابي عن ميمون أبي عبد الله عن البراء به مطولاً في قصة حفر الخندق، وإسناده ضعيف لضعف ميمون أبي عبد الله البصري الكندي.

٢- سلمان الفارسي:

أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة»: (٤١٧/٣) بإسناد لا بأس به عن ابن إسحاق قال: حَدَّثْتُ عَنْ سَلْمَانَ فَذَكَرَهُ، وَإِسْنَادُهُ مُتَقَطِعٌ كَمَا هُوَ ظَاهِرٌ.

٣- رجل من أصحاب النبي ﷺ:

أخرجه النسائي: (٣١٧٦) فقال: أَخْبَرَنَا عَيْسَى بْنُ يُونُسَ حَدَّثَنَا ضَمْرَةَ عَنْ أَبِي زُرْعَةَ السَّيْبَانِيِّ عَنْ أَبِي سَكِينَةَ رَجُلٍ مِنَ الْمُحَرَّرِينَ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَذَكَرَهُ، وَفِيهِ فَتْحُ مَدَائِنِ كَسْرَى وَقَيْصِرِ وَالْحَبْشَةِ. وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ، عَيْسَى بْنُ يُونُسَ الْفَاخُورِيُّ صَدُوقٌ، وَضَمْرَةُ هُوَ ابْنُ رَيْبَعَةَ الْفَلَسْطِينِيِّ صَدُوقٌ، وَأَبُو زُرْعَةَ السَّيْبَانِيُّ هُوَ يَحْيَى بْنُ أَبِي عَمْرٍو ثِقَّةٌ، وَأَبُو سَكِينَةَ مُخْتَلَفٌ فِي صَحْبَتِهِ فَإِنْ كَانَ صَحَابِيًّا فَلَا أَمْرَ وَاضِحٌ؛ لِأَنَّ الصَّحَابَةَ كُلَّهُمْ عَدُولٌ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ فَهُوَ تَابِعِي رَوَى عَنْهُ أَرْبَعَةٌ - وَهُمْ بِلَالُ بْنُ سَعْدٍ وَيَحْيَى بْنُ أَبِي عَمْرٍو السَّيْبَانِيُّ وَجَمِيلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَجَعْفَرُ بْنُ بَرْقَانَ - فَمِثْلُ هَذَا تَطْمِئِنُّ النَّفْسُ إِلَى تَحْسِينِ حَدِيثِهِ، لَا سِيَّامِثَلُ هَذَا الْحَدِيثِ الَّذِي قَدْ جَاءَ عَنْ عِدَّةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ.

٤- عبد الله بن عباس:

أخرجه الطبراني في «الكبير»: (٣٧٦/١١)، حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني سعيد بن محمد الجرمي حدثنا أبو تميلة حدثنا نعيم بن سعيد العبدي أن عكرمة حدث عن ابن عباس فذكره، وفيه فتح فارس والروم، وهذا إسناد رجاله ثقات إلا نعيم بن سعيد العبدي فلم أجد له ترجمة ولم يذكره المزي في

وَرَأَى أَمْرًا بِمَوْتِهِ وَقَدْ أَصِيبُوا وَهُوَ بِالْمَدِينَةِ<sup>(١)</sup>.

«التهذيب» من الرواة عن عكرمة ولا من مشايخ أبي تميلة - يحيى بن واضح - ولكن ذكر الهيثمي أنه ثقة فقد ذكر الحديث في «مجمع الزوائد»: (١٣١ / ٦) ، وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير عبدالله بن أحمد بن حنبل ونعيم العبدي وهما ثقتان اهـ.

٥ - عبدالله بن عمرو:

أخرجه الطبراني في «الكبير»: (٣٥٨٢ / ١١) ، ط مؤسسة الريان، بإسناد رجاله ثقات عن عبد الرحمن بن زياد حدثنا عبدالله بن يزيد عن عبدالله بن عمرو به، وإسناده ضعيف عبد الرحمن بن زياد هو ابن أنعم الأفرقي ضعيف، ولكن قد تابعه حيي بن عبدالله المعافري - وهو صدوق يهيم قاله الحافظ - أخرجه الطبراني في «الكبير»: (٣٥٩٠ / ١١) ط مؤسسة الريان، فقال: حدثنا إسماعيل بن الحسن الحفاف حدثنا أحمد بن صالح حدثنا ابن وهب حدثنا حيي بن عبدالله المعافري عن أبي عبد الرحمن الحلي - عبد الله بن يزيد - به، وهذا إسناد رجاله ثقات إلا إسماعيل بن الحسن شيخ الطبراني فقد أكثر عنه الطبراني ولم أجد له ترجمة.

فالحديث بهذه الطرق والشواهد صحيح لغيره.

على أن حديث حفر الخندق أصله في البخاري: (٤١٠١) ، ومسلم: (٢٠٣٩) عن جابر بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.  
فائدة:

قد جاء الحديث عن عمرو بن عوف المزني أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة»: (٤١٨ / ٣) من طريق كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف المزني قال: حدثني أبي عن أبيه فذكره، وفيه فتح فارس والروم وصنعاء، وإسناده ضعيف جداً كثير بن عبدالله قال النسائي والدارقطني: متروك، وقال أبو داود والشافعي: أحد الكذابين، قال الحافظ في «التقريب»: ضعيف أفرط من نَسَبَهُ إلى الكذب.

<sup>(١)</sup> حديث أمراء غزوة مؤتة أخرجه البخاري: (١٢٤٦) عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وليس فيه أنه رآهم وإنما فيه أنه أخبر أصحابه بقتلهم وقد يكون أتاه خبرهم بالوحي والله أعلم.

وَرَأَى النَّجَاشِيَّ بِالْحَبَشَةِ لَمَّا مَاتَ وَهُوَ بِالْمَدِينَةِ فَخَرَجَ إِلَى الْمَصَلِيِّ فَصَلَّى عَلَيْهِ<sup>(١)</sup>.  
وَرَأَى عَمْرَ سَارِيَّةَ بِنَهَاوَنْدَ مِنْ أَرْضِ فَارَسٍ هُوَ وَعَسَاكِرُ الْمُسْلِمِينَ وَهُمْ يُقَاتِلُونَ  
عَدُوَّهُمْ فَنَادَاهُ يَا سَارِيَّةَ الْجَبَلِ<sup>(٢)</sup>.

(١) صلاة النبي ﷺ على النجاشي عند البخاري: (١٢٤٥)، ومسلم: (٩٥١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعند البخاري: (١٣١٧)، ومسلم: (٩٥٢) عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعند مسلم: (٩٥٣) عن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وليس في شيء من هذه الأحاديث أنه رآه، وأما ما جاء عن ابن عباس أنه قال: «كُشِفَ لِلنَّبِيِّ ﷺ عَنْ سَرِيرِ النِّجَاشِيِّ حَتَّى رَأَاهُ وَصَلَّى عَلَيْهِ». فقد ذكره الواقدي بغير إسناد كما في «فتح الباري» وراجع كلاماً حول هذه المسألة في «فتح الباري» لابن حجر عند حديث رقم: (١٣١٨).

(٢) قصة نداء عمر لسارية أخرجها أحمد في «فضائل الصحابة»: (٣٥٥)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة»: (٥٢٦)، وابن عساکر في «تاريخ دمشق»: (٢٠/٢٤-٢٥) من طرق عن ابن وهب عن يحيى بن أيوب عن ابن عجلان عن نافع عن ابن عمر أن عمر بن الخطاب بعث جيشاً وأمر عليهم رجلاً يدعى سارية فبينما عمر يخاطب الناس يوماً فأقبل يصيح وهو على المنبر: «يا سارية الجبل يا سارية الجبل»، فقدم رسول الجيش فسأله فقال: يا أمير المؤمنين لقينا عدونا فهزمونا فإذا صائح يصيح: يا سارية الجبل فاستندنا بأظهورنا إلى الجبل فهزمهم الله فقبل لعمر: إنك كنت تصيح بذلك.

وهذا إسناد حسن ابن وهب هو عبد الله ثقة حافظ، ويحيى بن أيوب هو الغافقي مختلف فيه وثقة جماعة وضعفه آخرون وقال: فيه الحفاظ صدوق ربما أخطأ، وابن عجلان محمد صدوق قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٠/١٧٥): وهذا إسناد جيد حسن ثم ذكر له طرقاً أخرى وقال: فهذه طرق يشد بعضها بعضاً.

وحسنه العلامة الألباني في «الصحيحة»: (١١١٠) من هذه الطريق وذكر أن ما عدا هذه الطريق فهي طرق ضعيفة جداً.

قلت: وليس فيه أن عمر رأى سارية -كما قال ابن القيم- وإنما الشأن كما قال العلامة الألباني في «الصحيحة»: وما لا شك فيه أن النداء المذكور إنما كان إلهاماً من الله تعالى لعمر وليس ذلك بغريب عنه،

وَدَخَلَ عَلَيْهِ نَفْرٌ مِنْ مَذْحَجٍ فِيهِمْ الْأَشْرُ النَّخَعِيُّ فَصَعَدَ فِيهِ الْبَصْرَ وَصَوَّبَهُ وَقَالَ: «أَيُّهُمْ هَذَا؟»، قَالُوا: مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ، فَقَالَ: «مَا لَهُ قَاتَلَهُ اللَّهُ إِنْ لَأَرَى لِلْمُسْلِمِينَ مِنْهُ يَوْمًا عَصِيْبًا»<sup>(١)</sup>.

فإنه «محدث» كما ثبت عن النبي ﷺ ولكن ليس فيه أن عمر كشف له حال الجيش، وأنه رأى رأي العين.

<sup>(١)</sup> (ضعيف) هذه القصة ذكرها الخطيب في «تاريخه»: (١١٩-١٢١) من عدة طرق:

الأولى: من طريق الهيثم بن عدي عن عبدالله بن عمرو بن مرة عن أبيه عن عبدالله بن سلمة قال: دخلنا على عمر... فذكره.

الثانية: من طريق بشار بن موسى الخفاف عن يزيد بن زريع عن شعبة عن عمرو بن مرة عن عبدالله بن سلمة به.

الثالثة: من طريق العباس بن طالب قال: حدثنا يزيد بن زريع قال: حدثنا شعبة حدثنا عمرو بن مرة حدثنا عبدالله بن سلمة به.

فالطرق كلها مدارها على عبدالله بن سلمة وهو المرادي قال الحافظ: صدوق تغير حفظه.

قلت: والراوي عنه في جميع الطرق عمرو بن مرة وهو إنما روى عنه بعد ما كبر، وكان يقول عنه: إنه يحدثنا وإنما نعرف وننكر، ثم الطرق كلها إلى عمرو بن مرة فيها ضعف.

فالطريق الأولى فيها الهيثم بن عدي وهو كذاب، والثانية: فيها بشار بن موسى الخفاف، وهو ضعيف كثير الغلط كثير الحديث - قاله الحافظ -، والثالثة فيها العباس بن طالب ضعيف وقد ذكر الحافظ في «لسان الميزان» هذه القصة من مناكيره.

وهذه القصة أنكرها أحمد وابن معين على بشار بن موسى الخفاف وأنها إنما هي عن الهيثم بن عدي - وهو كذاب - فذكر أحمد في كتابه «العلل ومعرفة الرجال»: (٣١٥/١): أنه قرأه في كتاب عمه صالح بن حنبل عن الهيثم بن عدي عن عبدالله بن عمرو بن مرة عن أبيه ولما بلغ ابن معين أن بشار بن موسى يحدث بهذه القصة عن يزيد بن زريع عن عمرو بن مرة عن عبدالله بن سلمة. قال -ابن معين-: ما له فعل الله به وفعل، والله ما حدث بهذا يزيد بن زريع قط ولا سمعه شعبة من عمرو بن مرة، فقال له خلف بن سالم: يا أبا زكريا فأيش الحجة عندك قال: سرقوه من حديث الهيثم بن عدي عن ابن عمرو بن مرة عن أبيه. ا.هـ.

وَدَخَلَ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ عَلَى الْحَسَنِ فَقَالَ: هَذَا سَيِّدُ الْفَتِيَانِ إِنْ لَمْ يَحْدِثْ<sup>(١)</sup>.  
 وَقِيلَ: إِنَّ الشَّافِعِيَّ وَمُحَمَّدَ بْنَ الْحَسَنِ جَلَسَا فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَدَخَلَ رَجُلٌ فَقَالَ:  
 مُحَمَّدٌ أَتَفْرَسُ أَنَّهُ نَجَارٌ فَقَالَ الشَّافِعِيُّ: أَتَفْرَسُ أَنَّهُ حَدَادٌ فَسَأَلَاهُ فَقَالَ: كُنْتُ حَدَادًا وَأَنَا  
 الْيَوْمَ أَنْجَرٌ<sup>(٢)</sup>.

وَدَخَلَ أَبُو الْحَسَنِ الْبُوشَنجِيُّ وَالْحَسَنُ الْحَدَادُ عَلَى أَبِي الْقَاسِمِ الْمَنَادِيِّ يَعُودَانِهِ  
 فَاشْتَرِيَا فِي طَرِيقِهِمَا بِنَصْفِ دِرْهَمٍ تَفَاحًا نَسِيئَةً فَلَمَّا دَخَلَا عَلَيْهِ قَالَ: مَا هَذِهِ الظُّلْمَةُ؟  
 فَخَرَجَا وَقَالَا: مَا عَلِمْنَا لَعَلَّ هَذَا مِنْ قَبْلِ ثَمَنِ التَّفَاحِ فَأَعْطَانَا الثَّمَنَ ثُمَّ عَادَا إِلَيْهِ وَوَقَعَ  
 بَصْرَهُ عَلَيْهِمَا فَقَالَ: يُمَكِّنُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الظُّلْمَةِ بِهَذِهِ السَّرْعَةِ أَخْبَرَانِي عَنْ شَأْنِكُمَا

وقد يقال: إن بشار بن موسى قد تابعه العباس بن طالب فرواه عن يزيد بن زريع... به، فالجواب كما قال  
 الحافظ في "لسان الميزان": فالظاهر أن العباس يسرقه أيضًا، ويحتمل أن يكون جميعًا سمعاه من يزيد بن  
 زريع إن كان ضابطًا والله أعلم. اهـ. فتبين بهذا أن القصة ضعيفة والله أعلم.

\* وأما الأثر النخعي صاحب القصة فهو مالك بن الحارث بن عبد يغوث المعروف بالأشتر أدرك الجاهلية  
 وكان من أصحاب علي وشهد معه الجمل وصفين ومشاهده كلها، وكان ممن سعى في الفتنة وألب على  
 عثمان وشهد حصره، كما في "سير أعلام النبلاء": (٣٤/٤)، وراجع أيضًا "تاريخ الطبري": (٦٣٦/٢)  
 وما بعدها).

<sup>(١)</sup> (صحيح) أخرجه الفسوي في "المعرفة والتاريخ": (٢/٢٦٠)، ومن طريقه الخطيب في "تاريخ بغداد":  
 (١٧٠/١٢) عن أبي بكر الحميدي قال: قال سفيان: رأى الحسنُ أيوب فقال: هذا سيد شباب أهل  
 البصرة، ورأى عمرو بن عبيد فقال: هذا سيد شباب أهل البصرة إن لم يحدث. وإسناده صحيح، أبو بكر  
 هو عبدالله بن الزبير وسفيان هو ابن عينته.

<sup>(٢)</sup> أخرجه البيهقي في "مناقب الشافعي": (٢/١٣٠-١٣١)، بإسناد رجاله ثقات إلا قيس بن أنيف  
 البخاري فهو مجهول حال له ترجمة في الأنساب للسمعاني روى عنه اثنان ولم أجد فيه جرحًا ولا تعديلاً.



فَأَخْبَرَاهُ بِالْقِصَّةِ فَقَالَ: نَعَمْ كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمَا يَعْتَمِدُ عَلَى صَاحِبِهِ فِي إِعْطَاءِ الثَّمَنِ وَالرَّجُلُ مُسْتَحِقٌّ مِنْكُمَا فِي التَّقَاضِي (١).

وَكَانَ بَيْنَ زَكَرِيَّا النَّخْشِي (٢) وَبَيْنَ امْرَأَةٍ سَبَبٌ قَبْلَ تَوْبَتِهِ فَكَانَ يَوْمًا وَاقِفًا عَلَى رَأْسِ أَبِي عُثْمَانَ الْحِيرِيِّ فَتَفَكَّرَ فِي شَأْنِهَا فَرَفَعَ أَبُو عُثْمَانَ إِلَيْهِ رَأْسَهُ وَقَالَ: أَلَا تَسْتَحِي (٣).

وَكَانَ شَاهُ الْكِرْمَانِيِّ جَيْدَ الْفِرَاسَةِ لَا تَخْطِئُ فِرَاسَتُهُ وَكَانَ يَقُولُ: مَنْ غَضَّ بَصَرَهُ عَنِ الْمَحَارِمِ وَأَمْسَكَ نَفْسَهُ عَنِ الشَّهَوَاتِ وَعَمَرَ بَاطِنَهُ بِدَوَامِ الْمُرَاقَبَةِ وَظَاهِرَهُ بِاتِّبَاعِ السَّنَةِ وَتَعَوَّدَ أَكْلَ الْحَلَالِ لَمْ تَخْطِئُ فِرَاسَتُهُ (٤).

وَكَانَ شَابٌ يَصْحَبُ الْجُنَيْدَ يَتَكَلَّمُ عَلَى الْخَوَاطِرِ فَذَكَرَ لِلْجُنَيْدِ فَقَالَ: أَيُّ هَذَا الَّذِي ذَكَرَ لِي عَنْكَ؟ فَقَالَ لَهُ: اعْتَقَدْتُ شَيْئًا فَقَالَ لَهُ الْجُنَيْدُ: اعْتَقَدْتُ، فَقَالَ الشَّابُّ: اعْتَقَدْتُ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ الْجُنَيْدُ: لَا، فَقَالَ: اعْتَقَدْتُ ثَانِيًا، قَالَ: اعْتَقَدْتُ، فَقَالَ الشَّابُّ: اعْتَقَدْتُ

(١) ذكره أبو القاسم القشيري في «الرسالة القشيرية» ص: (٢٢٩)، ط مؤسسة الكتب الثقافية باب الفراسة فقال: وقيل: كان أبو القاسم المنادي مريضًا... وهذه القصص التي ذكرها ابن القيم هنا -في شأن الفراسة- كلها مأخوذة من ذلك الكتاب وهو من كتب الصوفية ومؤلفه صوفي وفي هذا الكتاب قصص وخرافات من أحوال الصوفية.

(٢) كذا في الأصل و(ش)، ووقع في (ف) (النخشي)، وفي الرسالة القشيرية (الشخني).

(٣) ذكره القشيري في «الرسالة القشيرية» ص: (٢٣٠).

(٤) (ضعيف). ذكره أبو القاسم القشيري في «الرسالة القشيرية» ص: (٢٣٠) فقال: سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت جدي أبا عمرو بن نجيد يقول كان شاه الكرماني... فذكره.

وهذا إسناد ضعيف أبو عبد الرحمن السلمي هو محمد بن الحسين بن موسى بن خالد من كبار الصوفية قال الخطيب: قال لي محمد بن يوسف القطان النيسابوري: كان أبو عبد الرحمن السلمي غير ثقة وكان يضع للصوفية الأحاديث، وقال الذهبي في «الميزان»: تكلموا فيه وليس بعمدة، وجده أبو عمرو بن نجيد هو إسماعيل بن نجيد من كبار الصوفية أيضًا.

كَذًا وَكَذًا، فَقَالَ الْجُنَيْدُ: لَا، قَالَ: فَأَعْتَقِدُ ثَالِثًا قَالَ: اعْتَقَدْتُ، قَالَ الشَّابُّ: هُوَ كَذًا وَكَذًا قَالَ: لَا فَقَالَ الشَّابُّ: هَذَا عَجَبٌ أَنْتَ صَدُوقٌ وَأَنَا أَعْرِفُ قَلْبِي! فَقَالَ الْجُنَيْدُ: صَدَقْتَ فِي الْأُولَى وَالثَّانِيَةِ وَالثَّلَاثَةِ لَكِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَمْتَحِنَكَ هَلْ يَتَغَيَّرُ قَلْبُكَ<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخِرَازِيُّ<sup>(٢)</sup>: دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ فَدَخَلَ فَقِيرٌ عَلَيْهِ خِرْقَتَانِ يَسْأَلُ شَيْئًا فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: مِثْلُ هَذَا كُلُّهُ عَلَى النَّاسِ. فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَقَالَ: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾. قَالَ: فَاسْتَغْفِرْتُ فِي سِرِّي فَنَادَانِي وَقَالَ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ [الشورى: ٢٥]<sup>(٣)</sup>.

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ الْحَوَاصِيُّ: كُنْتُ فِي الْجَامِعِ فَأَقْبَلَ شَابٌّ طِيبَ الرَّائِحَةِ حَسَنَ الْوَجْهِ حَسَنَ الْحُرْمَةِ فَقُلْتُ لِأَصْحَابِنَا: يَقَعُ لِي أَنَّهُ يَهُودِيٌّ فَكَلِمُهُ كَرِهَ ذَلِكَ فَخَرَجْتُ وَخَرَجَ الشَّابُّ ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: إِيشَ قَالَ الشَّيْخُ فِي؟ فَاحْتَشَمُوهُ، فَالْحَ عَلَيْنِهِمْ، فَقَالُوا: قَالَ إِنَّكَ يَهُودِيٌّ. فَجَاءَ فَأَكَبَّ عَلَى يَدِي، فَاسْأَلِم. فَقُلْتُ: مَا السَّبَبُ؟ فَقَالَ: نَجِدُ فِي كِتَابِنَا أَنَّ

<sup>(١)</sup> ذكره أبو القاسم القشيري في "الرسالة القشيرية" ص: (٢٣٣)، فقال: سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت عبد الله بن علي يقول: سمعت أبا عمرو بن علوان يقول: كان شاب يصحب الجنيد... فذكره. ومحمد بن الحسين يغلب على الظن أنه أبو عبد الرحمن السلمى المتقدم في الإسناد الذي قبله وهو ضعيف كما تقدم، وبقية رجال الإسناد لم أعرفهم.

<sup>(٢)</sup> كذا في كل النسخ، والذي في الرسالة القشيرية (أبو سعيد الخراز)، وأظنه تصحيحاً؛ فلم أجد ترجمة لأبي سعيد الخراز، وأما أبو سعيد الخراز فهو معروف من كبار الصوفية، ترجم له الذهبي في "سير أعلام النبلاء": (٤١٩/١٣) واسمه أحمد بن عيسى البغدادي، يقال: إنه أول من تكلم في علم الفناء والبقاء قال الذهبي: فَأَيُّ سَكَنَةٍ فَاتَتْهُ؟! فَصَدَّ خَيْرًا فَوَلَّدَ أَمْرًا كَبِيرًا تَشَبَّهَتْ بِهِ كُلُّ اتِّحَادِي ضَالٍ. ولأبي سعيد الخراز ألفاظ مجملة أنكرها عليه أهل مصر وكفره بعضهم بسببها.

<sup>(٣)</sup> ذكره أبو القاسم القشيري في "الرسالة القشيرية" ص: (٢٣٤)، بدون إسناد.

الصَّدِيقُ لَا تَخْطِئُ فِرَاسَتُهُ فَقُلْتُ: اِمْتَحِنِ الْمُسْلِمِينَ فَتَأَمَّلْتَهُمْ، فَقُلْتُ: إِنْ كَانَ فِيهِمْ صَدِيقٌ فَفِي هَذِهِ الطَّائِفَةِ. فَلَبَسْتُ عَلَيْكُمْ، فَلَمَّا اطَّلَعَ هَذَا الشَّيْخُ عَلَيَّ وَتَفَرَّسَنِي عَلِمْتُ أَنَّهُ صَدِيقٌ<sup>(١)</sup>.

وَهَذَا عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَقَدْ رَأَى امْرَأَةً فِي الطَّرِيقِ فَتَأَمَّلَ مُحَاسِنَهَا فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ: يَدْخُلُ عَلَيَّ أَحَدُكُمْ وَأَثَرُ الزَّانَا ظَاهِرٌ عَلَى عَيْنَيْهِ! فَقُلْتُ: أَوْحِي بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: لَا وَلَكِنْ تَبْصُرَةٌ وَبِرْهَانٌ وَفِرَاسَةٌ صَادِقَةٌ<sup>(٢)</sup>. فَهَذَا شَأْنُ الْفِرَاسَةِ وَهِيَ نُورٌ يَقْذِفُهُ اللَّهُ فِي الْقَلْبِ فَيَخْطُرُ لَهُ الشَّيْءُ فَيَكُونُ كَمَا خَطَرَ لَهُ وَيَنْفِذُ إِلَى الْعَيْنِ فَتَرَى مَا لَا يَرَاهُ غَيْرَهَا.

### فصل

وَالْفَرْقُ بَيْنَ النَّصِيحَةِ وَالْغَيْبَةِ: أَنَّ النَّصِيحَةَ يَكُونُ الْقَصْدُ فِيهَا تَحْذِيرَ الْمُسْلِمِ مِنْ مُبْتَدِعٍ أَوْ فَتَانٍ أَوْ غَاشٍ أَوْ مُفْسِدٍ فَتَذَكَّرُ مَا فِيهِ إِذَا اسْتَشَارَكَ فِي صَحْبَتِهِ وَمَعَامَلَتِهِ

(١) ذكره أبو القاسم القشيري في "الرسالة القشيرية: (ص ٢٣٤-٢٣٥) فقال: وحكي عن إبراهيم الخواص... فذكره.

(٢) ذكره أبو القاسم القشيري في "الرسالة القشيرية: ص: (٢٣٤)، فقال: ويروى عن أنس بن مالك قال دخلت على عثمان....

وذكره أيضاً ابن القيم في "مدارج السالكين": (٢/٤٨٦)، ولم أقف عليه مستنداً. قال الشيخ محمد حامد الفقي في تعليقه على "مدارج السالكين": هذه روايات غير مستندة إلى ما يطمئن قلب المؤمن إليه وبالأخص بالنسبة إلى أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خادم رسول الله ﷺ، على أن هذه ليست فِرَاسَةً وإنما هي معرفة الغيب، وأنتى لعثمان أن يجزم بالزنى هذا الجزم، إلا أن يكون حياً أو دعوى علم الغيب، وكلها منتفٍ. اهـ.

والتعلق به كما قال النبي ﷺ لفاطمة بنت قيس وقد استشارته في نكاح معاوية وأبي جهم فقال: «أما معاوية فصعلوك، وأما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه»<sup>(١)</sup>.  
وقال عن بعض أصحابه لمن سافر معه: «إذا هبطت بلاد قومه فاحذره»<sup>(٢)</sup>.  
فإذا وقعت الغيبة على وجه النصيحة لله ورسوله وعباده المسلمين فهي قربة إلى الله من جملة الحسنات، وإذا وقعت على وجه ذم أخيك وتمزيق عرضه والتفكك بلحمه والغصص [منه] لتضع منزله من قلوب الناس فهي الداء العضال، ونار الحسنات التي تأكلها كما تأكل النار الحطب.

### فصل

والفرق بين الهدية والرشوة وإن اشتبهت في الصورة القصد: فإن الراشي قصده بالرشوة التوصل إلى إبطال حق أو تحقيق باطل فهذا الراشي الملعون على لسان رسول الله ﷺ، فإن رشا لدفع الظلم عن نفسه اختص المرتشي وحده باللعنة.

(١) أخرجه مسلم: (١٤٨٠) عن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها.

(٢) (ضعيف) أخرجه أحمد: (٥/٢٨٩)، وأبو داود: (٤٨٦١) من طريق ابن إسحاق عن عيسى بن معمر عن عبد الله بن عمرو بن الفغواء الخزاعي عن أبيه قال: دعاني رسول الله ﷺ وقد أراد أن يعثني بهال إلى أبي سفيان يقسمه في قريش بمكة بعد الفتح قال فقال: «التمس صاحباً» قال: فجاءني عمرو بن أمية الضمري قال: بلغني أنك تريد الخروج وتلتمس صاحباً قال قلت: أجل، قال: فأنا لك صاحب قال: فجئت رسول الله ﷺ فقلت قد وجدت صاحباً وكان رسول الله ﷺ قال: «إذا وجدت صاحباً فأذني» قال: فقال: «من؟» قلت: عمرو بن أمية الضمري، قال: فقال «إذا هبطت بلاد قومه فاحذره فإنه قد قال القائل: أخوك البكري ولا تأمنه....». وهذا إسناد ضعيف فإن عبد الله بن عمرو بن الفغواء مستور قاله الحافظ ابن حجر، وقال الذهبي: لا يعرف، وكذلك عيسى بن معمر قال الحافظ: فيه لين، وأما عنعنة ابن إسحاق فإنه قد صرح عند البخاري في «التاريخ الكبير»: (٣٩/٧)، فعلى هذا تكون علة الحديث جهالة ابن الفغواء. وقد ضعف الحديث العلامة الألباني رحمه الله في «الضعيفة»: (١٢٠٥).

وأما المُهْدِي، فقصدُه استجلاب المودَّة والمعرفة والإحسان فإن قصد المكافأة فهو معاوض، وإن قصد الربح فهو مستكثر.

### فصل

والفرق بين الصبر والقسوة: أن الصبر خلق كسبي يتخلق به العبد وهو حبس النفس عن الجزع والهلع والتشكي، فيحبس النفس عن التسخط، واللسان عن الشكوى، والجوراح عما لا ينبغي له فعله، وهو ثبات القلب على الأحكام القدرية والشرعية.

وأما القسوة: فيس في القلب يمنع من الانفعال، وغلظة تمنعه من التأثر بالنوازل، فلا يتأثر بها لغلظته وقساوته لا لصبره واحتماله.

وتحقيق هذا أن القلوب ثلاثة: قلب قاس غليظ بمنزلة اليد اليابسة، وقلب مائع رقيق جداً. فالأول: لا يفعل خيراً بمنزلة الحجر، والثاني بمنزلة الماء، وكلاهما ناقص. وأصح القلوب: القلب الرقيق الصافي [الصلب] فهو يرى الحق من الباطل بصفائه ويقبله ويؤثره برقته ويحفظه ويحارب عدوه بصلابته، وفي أثر: القلوب آية الله في أرضه، فأحبها إليه أرقها وأصلبها وأصفاها<sup>(١)</sup>. وهذا القلب الزجاجي فإن الزجاجه جمعت الأوصاف الثلاثة.

<sup>(١)</sup> أخرجه الطبراني في "مسند الشاميين": (٨٤٠) من طريق بقية بن الوليد عن محمد بن زياد عن أبي عنبه الخولاني يرفعه إلى النبي ﷺ قال: «إن لله آية من أهل الأرض، وآية ربكم قلوب عباده الصالحين وأحبها إليه ألينها وأرقها». وهذا إسناد ضعيف بقية بن الوليد مدلس وقد عنعن.

وأبغض القلوب إلى الله: القلب القاسي قَالَ تَعَالَى: ﴿قَوِيلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: ٥٣]، فَذَكَرَ الْقَلْبَيْنِ الْمُنْحَرِفِينَ عَنِ الْإِعْتِدَالِ هَذَا بِمَرَضِهِ وَهَذَا بِقَسْوَتِهِ، وَجَعَلَ الْقَاءَ الشَّيْطَانِ فِتْنَةً لِأَصْحَابِ هَذَيْنِ الْقَلْبَيْنِ وَرَحْمَةً لِأَصْحَابِ الْقَلْبِ الثَّلَاثِ وَهُوَ الْقَلْبُ الصَّافِي الَّذِي مَيَّزَ بَيْنَ الْقَاءِ الشَّيْطَانِ وَالْقَاءِ الْمَلِكِ بِصِفَائِهِ وَقَبْلَ الْحَقِّ بِإِخْبَاتِهِ وَرِقَّتِهِ وَحَارِبِ النَّفُوسِ الْمَبْطَلَةِ بِصَلَابَتِهِ وَقُوَّتِهِ فَقَالَ تَعَالَى: عَقِيبَ ذَلِكَ: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ آثَرُوا الْعِلْمَ أَنَّهٗ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الحج: ٥٤].

## فصل

وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْعَفْوِ وَالذَّلِّ: أَنَّ الْعَفْوَ إِسْقَاطُ حَقِّكَ جَوْدًا وَكِرْمًا وَإِحْسَانًا مَعَ قَدْرَتِكَ عَلَى الْإِتْتِقَامِ، فَتَوَثَّرَ التَّرْكَ رَغْبَةً فِي الْإِحْسَانِ وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ بِخِلَافِ الذَّلِّ فَإِنَّ

وقد ذكر العلامة الألباني في "الصحيحة": (١٦٩١) - نقلًا عن العراقي -: أن الحديث أخرجه الطبراني في "الكبير" وفيه تصريح ببقية عن شيخه.

قلت: ولا يكفي هذا فإن بقية يدللس تدليس تسوية ومعلوم كلام أهل العلم فيمن هذا شأنه أنه لا بد أن يصرح عن شيخه وشيخ شيخه عند بعضهم، وعند البعض الآخر لا بد أن يصرح في جميع طبقات الاسناد، وهنا لم يحصل شيء من ذلك فالإسناد لا يزال ضعيفًا، وأبو عتبة الخولاني مختلف في صحبته كما في "الاصابة" لابن حجر.

\* وقد جاء مقطوعًا أخرجه الإمام أحمد في "الزهد": (٣٨٤) فقال: حدثنا عبد الله بن الحارث حدثني ثور بن يزيد عن خالد بن معدان قال: «إن الله تبارك وتعالى في الأرض آنية وأحب آنية الله إليه ما رق منها وصفاء وآنية الله في الأرض قلوب عباده الصالحين»، وهذا إسناد صحيح إلى خالد بن معدان.

صَاحِبِهِ يَتْرُكُ الْإِنْتِقَامَ: عَجْزًا وَخَوْفًا وَمِهَانَةً نَفْسَ فَهَذَا مَذْمُومٌ غَيْرُ مَحْمُودٍ، وَلَعَلَّ الْمُنْتَقَمَ بِالْحَقِّ أَحْسَنَ حَالًا مِنْهُ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٩]، فمدحهم بقوتهم على الإلتصار لنفوسهم وتقاضيتهم منها ذلك حتى إذا قدرُوا على من بغى عَلَيْهِمْ وتمكنوا من استيفاء ما لهم عَلَيْهِ نَدَبُهُمْ إِلَى الْخَلْقِ الشَّرِيفِ مِنَ الْعَفْوِ وَالصَّفْحِ فَقَالَ: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [الشورى: ٤٠]، فَذَكَرَ الْمَقَامَاتِ الثَّلَاثَةَ: الْعَدْلَ، وَأَبَاحَهُ، وَالْفَضْلَ وَنَدْبَ إِلَيْهِ وَالظُّلْمَ وَحَرَمَهُ.

فَإِنْ قِيلَ: فَكَيْفَ مَدَحَهُمْ عَلَى الْإِنْتِصَارِ وَالْعَفْوِ وَهُمَا مُتَنَافِيَانِ؟  
قِيلَ: لَمْ يَمْدَحَهُمْ عَلَى الْإِسْتِيفَاءِ وَالْإِنْتِقَامِ وَإِنَّمَا مَدَحَهُمْ عَلَى الْإِنْتِصَارِ وَهُوَ الْقُدْرَةُ وَالْقُوَّةُ عَلَى اسْتِيفَاءِ حَقِّهِمْ، فَلَمَّا قَدَرُوا نَدَبَهُمْ إِلَى الْعَفْوِ.  
قَالَ [بَعْضُ] السَّلَفِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: كَانُوا يَكْرَهُونَ أَنْ يَسْتَدْلُوا فَإِذَا قَدَرُوا عَفَا<sup>(١)</sup>.  
فَمَدَحَهُمْ عَلَى عَفْوٍ بَعْدَ قُدْرَةٍ لَا عَلَى عَفْوٍ ذَلِّ وَعَجْزٍ وَمِهَانَةٍ، وَهَذَا هُوَ الْكَمَالُ الَّذِي مَدَحَ سُبْحَانَهُ بِهِ نَفْسَهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٤٩]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المتحنة: ٧].

(١) (صحيح) جاء هذا الأثر عن إبراهيم النخعي أخرجه ابن أبي حاتم - كما في "تفسير ابن كثير" عند الآية: (٣٧) من سورة الشورى - وعبد بن حميد - كما في "تغليق التعليق": (٣/٣٣٢) - من طرق عن منصور عن إبراهيم به، وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين، منصور هو ابن المعتمر.

وَفِي أَثَرِ مَعْرُوفٍ: «حَمَلَةُ الْعَرْشِ أَرْبَعَةٌ: اثْنَانِ يَقُولَانِ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، لَكَ الْحَمْدُ عَلَى حِلْمِكَ بَعْدَ عِلْمِكَ، وَاثْنَانِ يَقُولَانِ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى عَفْوِكَ بَعْدَ قُدْرَتِكَ»<sup>(١)</sup>.

وَهَذَا قَالَ الْمَسِيحُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]، أَي: إِنْ غَفَرْتَ لَهُمْ غَفَرْتَ عَنْ عِزَّةِ وَهِيَ كَمَالُ الْقُدْرَةِ وَحِكْمَةِ وَهِيَ كَمَالُ الْعِلْمِ. فَغَفَرْتَ بَعْدَ أَنْ عَلِمْتَ مَا عَمِلُوا وَأَحَاطْتَ بِهِمْ قُدْرَتِكَ إِذْ الْمَخْلُوقُ قَدْ يَغْفِرُ لِعِجْزِهِ عَنِ الْإِنْتِقَامِ وَجَهْلِهِ بِحَقِيقَةِ مَا صَدَرَ مِنَ الْمَسِيءِ، وَالْعَفْوُ مِنَ الْمَخْلُوقِ ظَاهِرُهُ ضِيمٌ وَذَلٌّ وَبَاطِنُهُ عِزٌّ وَمَهَابَةٌ، وَالْإِنْتِقَامُ ظَاهِرُهُ عِزٌّ وَبَاطِنُهُ

<sup>(١)</sup> جاء هذا الأثر عن شهر بن حوشب أخرجه عبد الرزاق في "تفسيره": (٢/ ٣١٤-٣١٥) عن جعفر بن سليمان قال: أخبرني هارون بن دياب عن شهر بن حوشب قال: «حملة العرش ثمانية»، قال: «أربعة منهم يقولون: سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك، وأربعة منهم يقولون: سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك، كأنهم ينظرون إلى أعمال بني آدم». وإسناده حسن هارون بن دياب - كذا وقع هنا بالبدال والياء - وفي "التهذيب" هارون بن رثاب - بالراء والهمزة - وهو ثقة.

\* وجاء عن هارون بن رثاب نفسه أخرجه البيهقي في "الشعب": (٣٦٤) فقال: حدثني أبو سعيد بن أبي عمرو حدثنا أبو العباس الأصم حدثنا العباس بن الوليد بن مزيد قال: أخبرني أبي قال: سمعت الأوزاعي قال: حدثني هارون بن رثاب فذكره، وفيه أنهم ثمانية كالذي قبله، وإسناده صحيح رجاله ثقات أبو سعيد بن أبي عمرو هو محمد بن موسى بن الفضل بن شاذان.

\* وجاء عن حسان بن عطية أخرجه أبو نعيم في "الحلية": (٦/ ٧٤) فقال: حدثنا أحمد بن إسحاق حدثنا عبدالله حدثنا عباس بن الوليد بن مزيد أخبرني أبي حدثنا الأوزاعي عن حسان بن عطية به وفيه أنهم ثمانية ورجالهم ثقات إلا أحمد بن إسحاق، وقد أكثر عنه أبو نعيم جداً ولم يتبين لي من هو، وقد ذكر هذا الأثر الذهبي في "العلو" وقال: إسناده قوي.



ذل، فَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عَزًّا لَا انْتِقَمَ أَحَدٌ لِنَفْسِهِ إِلَّا ذَلٌّ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا بِفَوَاتِ عِزِّ الْعَفْوِ، وَهَذَا (مَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِنَفْسِهِ قَطًّا)<sup>(١)</sup>.

وَتأمل قَوْلَهُ سُبْحَانَهُ: ﴿ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴾ [الشورى: ٣٩]، كَيْفَ يَفْهَمُ مِنْهُ أَنَّ فِيهِمْ مِنَ الْقُوَّةِ مَا يَكُونُونَ هَمَّ بِهَا الْمُنْتَصِرِينَ لِأَنْفُسِهِمْ، لَا أَنَّ غَيْرَهُمْ هُوَ الَّذِي يَنْصِرُهُمْ، وَمَا كَانَ الْإِنْتِصَارَ لَا تَقِفُ النُّفُوسُ فِيهِ عَلَى حَدِّ الْعَدْلِ غَالِبًا بَلْ لَا بُدَّ مِنَ الْمَجَاوِزَةِ شَرَعَ فِيهِ سُبْحَانَهُ الْمَاهِلَةَ وَالْمَسَاوَاةَ وَحَرَمَ الزِّيَادَةَ وَنَدَبَ إِلَى الْعَفْوِ.

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ الْعَفْوَ مِنْ أَخْلَاقِ النَّفْسِ الْمَطْمَئِنَّةِ وَالذَّلَّ مِنْ أَخْلَاقِ الْإِمَارَةِ.

وَنَكْتَةُ الْمَسْأَلَةِ: أَنَّ الْإِنْتِقَامَ شَيْءٌ وَالْإِنْتِصَارَ شَيْءٌ، فَالْإِنْتِصَارُ: أَنْ يَنْتَصِرَ لِحَقِّ اللهِ وَمَنْ أَجَلُهُ وَلَا يَقْوَى عَلَى ذَلِكَ إِلَّا مَنْ تَخَلَّصَ مِنْ ذَلِّ حَظِّهِ وَرِقِّ هَوَاهُ فَإِنَّهُ حَيْثُذُ يَنَالُ حَظًّا مِنَ الْعِزِّ الَّذِي قَسَمَ اللهُ لِلْمُؤْمِنِينَ، فَإِذَا بُغِيَ عَلَيْهِ انْتَصَرَ مِنَ الْبَاغِيِّ مِنْ أَجْلِ عِزِّ اللهِ الَّذِي أَعْزَّهُ بِهِ غَيْرَةً عَلَى ذَلِكَ الْعِزِّ أَنْ يُسْتَضَامَ وَيُقَهَّرَ، وَحِمِيَّةٌ لِلْعَبْدِ الْمَنْسُوبِ إِلَى الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ أَنْ يُسْتَدَلَّ، فَهُوَ يَقُولُ لِلْبَاغِيِّ عَلَيْهِ: أَنَا مَمْلُوكٌ مِنْ لَا يُدُلُّ مَمْلُوكَهُ وَلَا يَجِبُ أَنْ يُذَلَّهُ أَحَدٌ.

وَإِذَا كَانَتْ نَفْسُهُ الْأَمَارَةَ قَائِمَةً عَلَى أَصُولِهَا، لَمْ تُجْتَثَّ بَعْدُ، طَلِبَتْ الْإِنْتِقَامَ وَالْإِنْتِصَارَ لِحَظِّهَا وَظَفَرِهَا بِالْبَاغِيِّ، تَشْفِيًّا فِيهِ وَإِذْلَالًا لَهُ، وَأَمَّا النَّفْسُ الَّتِي خَرَجَتْ مِنْ ذَلِّ حَظِّهَا وَرِقِّ هَوَاهَا إِلَى عِزِّ تَوْحِيدِهَا وَإِنَابَتِهَا إِلَى رَبِّهَا فَإِذَا نَالَهَا الْبَغِيَّةَ قَامَتْ بِالْإِنْتِصَارِ حِمِيَّةً وَنِصْرَةً لِلْعِزِّ الَّذِي أَعْزَّاهَا اللهُ بِهِ وَنَالَتهُ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ حِمِيَّةٌ لِرَبِّهَا وَمَوْلَاهَا.

(١) أخرجه البخاري: (٣٥٦٠)، ومسلم: (٢٣٢٧) عن عائشة رضي الله عنها.

وَقَدْ ضُرِبَ لَذَلِكَ مَثَلًا بَعِيدِينَ مِنْ عَبِيدِ الْغَلَّةِ<sup>(١)</sup>: حَرَاثِينَ ضَرَبَ أَحَدَهُمَا صَاحِبَهُ فَعَفَا الْمَضْرُوبَ عَنِ الضَّارِبِ نَصْحًا مِنْهُ لَسَيِّدِهِ وَشَفَقَةً عَلَى الضَّارِبِ أَنْ يَعَاقِبَهُ السَّيِّدُ فَلَمْ يُجَشِّمْ سَيِّدَهُ كُلفَةً عُقُوبَتَهُ وَإِفْسَادَهُ بِالضَّرْبِ فَشَكَرَ الْعَافِي عَلَى عَفْوِهِ، وَوَقَعَ مِنْهُ بِمَوْقِعٍ.

وَعَبْدٌ آخَرَ قَدْ أَقَامَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَجَمَلَهُ وَأَلْبَسَهُ ثِيَابًا يَقِفُ بِهَا بَيْنَ يَدَيْهِ فَعَمِدَ بَعْضُ سُؤَاسِ الدَّوَابِّ<sup>(٢)</sup> وَأَضْرَاهُمْ وَلَطَخَ تِلْكَ الثِّيَابَ بِالْعُدْرَةِ أَوْ مَزَقَهَا فَلَوَّ عَفَا عَمَّنْ فَعَلَ بِهِ ذَلِكَ لَمْ يُوَافِقْ عَفْوَهُ رَأَى سَيِّدَهُ وَلَا مُحِبَّتَهُ، وَكَانَ الْإِنْتِصَارَ أَحَبَّ إِلَيْهِ وَأَوْفَقَ لِمَرْضَاتِهِ كَأَنَّهُ يَقُولُ: إِنَّمَا فَعَلَ هَذَا بِكَ جَرَاءَ عَلِيٍّ وَاسْتِخْفَافًا بِسُلْطَانِي، فَإِذَا مَكَّنْتَهُ مِنْ عُقُوبَتِهِ فَأَذَلَّهُ وَقَهَرَهُ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ يَبْطِشَ بِهِ فَذَلَّ وَانْكَسَرَ قَلْبُهُ فَإِنْ سَيِّدَهُ يَجِبُ مِنْهُ أَنْ لَا يُعَاقِبَهُ حُظَّةً، وَأَنْ يَأْخُذَ مِنْهُ حَقَّ السَّيِّدِ فَيَكُونَ انْتِصَارَهُ حِينَئِذٍ لِمَحْضِ حَقِّ سَيِّدِهِ لَا لِنَفْسِهِ.

كَمَا رَوَى عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ مَرَّ بِرَجُلٍ فَاسْتِغَاثَ بِهِ وَقَالَ: هَذَا مَنَعَنِي حَقِّي وَلَمْ يُعْطِنِي إِيَّاهُ فَقَالَكَ أَعْطَهُ حَقَّهُ فَلَمَّا جَاوَزَهُمَا لَجَّ الظَّالِمُ وَلَطَمَ صَاحِبَ الْحَقِّ فَاسْتِغَاثَ بَعْلِي فَرَجَعَ وَقَالَ: أَتَاكَ الْعَوْتُ فَقَالَ لَهُ: اسْتَعِدَّ لَطْمَتِكَ، فَقَالَ: قَدْ عَفَوْتُ يَا أَمِيرَ

(١) الغلّة هي الدّخل من كراء دار وأجر غلام وفائدة أرض، وقال ابن الأثير: الغلّة: الدخل الذي يحصل من الزرع والشمر واللبن والإجارة والتّاج ونحو ذلك. "لسان العرب": (غلل).

(٢) سُؤَاس جمع سائس، يقال: هو يسوس الدواب إذا قام عليها وراضها. "لسان العرب": (سوس).

المؤمنين. فَضْرِبُهُ عَلَيَّ تَسْعَ دُرْرًا، وَقَالَ: قَدْ عَفَا عَنْكَ مِنْ لَطْمَتِهِ وَهَذَا حَقُّ السُّلْطَانِ، فَعَاقِبَهُ عَلَيَّ لَمَّا اجْتَرَأَ عَلَى سُلْطَانِ اللَّهِ وَلَمْ يَدْعِهِ<sup>(١)</sup>.

وَيُشْبِهُ هَذَا قِصَّةَ الرَّجُلِ الَّذِي جَاءَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** فَقَالَ: اِحْمَلْنِي فَوَاللَّهِ لَأَنَا أَفْرَسٌ مِنْكَ وَمَنْ أَبِيكَ، وَعِنْدَهُ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ فَحَسَرَ عَنْ ذِرَاعِهِ وَصَكَ بِهَا أَنْفَ الرَّجُلِ فَسَالَ الدَّمَّ فَجَاءَ قَوْمُهُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** فَقَالُوا: أَقْدَنَا مِنَ الْمُغِيرَةِ فَقَالَ: أَنَا أَقِيدُكُمْ مِنْ وَرَعَةِ اللَّهِ<sup>(٢)</sup>؟! لَا أَقِيدُكُمْ مِنْهُ<sup>(٣)</sup>.

<sup>(١)</sup> أخرجه ابن جرير الطبري في "تاريخه": (١٦٣/٣-١٦٤) فقال: حدثني إسماعيل بن موسى الفزاري قال: حدثنا عبد السلام بن حرب عن ناجية القرشي عن عمه يزيد بن عدي بن عثمان قال: رأيت عليًا عليه السلام خارجًا من همدان... فذكره، وناجية القرشي وعمه يزيد بن عدي لم أجد لهما ترجمة. \* وله طريق أخرى عند الطبري: (١٦٤/٣) من طريق المسعودي عن ناجية عن أبيه فذكره، والمسعودي كان قد اختلط وناجية وأبوه لم أعرفهما.

<sup>(٢)</sup> قوله: وزعة الله: الوزعة جمع وازع وهو الذي يكف الناس ويحبس أولهم على آخرهم، أراد: أفيد من الذين يكفون الناس عن الإقدام على الشر. "النهاية": (وزع).

<sup>(٣)</sup> (صحيح) أخرجه الطبراني في "الكبير": (٤٠٣/٢٠-٤٠٤) فقال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني أبي حدثنا أبو أسامة عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم أخبرني المغيرة بن شعبة به نحوه، وهذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات، أبو أسامة هو حماد بن أسامة والباقون معروفون. وله طريق أخرى أخرجه ابن قتيبة في "غريب الحديث": (٥٥٧/١) فقال: حدثني محمد بن عبيد حدثنا أبو أسامة عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن أبي بكر به، ورجال إسناده ثقات إلا محمد بن عبيد شيخ ابن قتيبة فلم أتبينه، إلا أنه يحتمل أن يكون محمد بن عبيد بن سفيان والد أبي بكر بن أبي الدنيا، فإن ابن قتيبة قد روى في موضع آخر عن محمد بن عبيد قال: حدثني سفيان بن عيينة، ومحمد بن عبيد الراوي عن ابن عيينة هو هذا - والد ابن أبي الدنيا - فإن يكن هو فقد قال عنه الخطيب: روى عنه ابنه أبو بكر أحاديث مستقيمة.

فَرَأَى أَبُو بَكْرٍ أَنَّ ذَلِكَ انتصارٌ من المغيرة، وحميةٌ لله وللعزِّ الَّذِي أعزَّ بِهِ خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيَتِمَّكَنَ بِذَلِكَ العِزِّ من حسنِ خِلافتهِ وإِقَامَةِ دينه، فَتَرَكَ قَوْدَهُ لِاجْتِرائه على عزِ الله وسُلطانهِ الَّذِي أعزَّ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ وَدينه وخليفته. فَهَذَا لَوْنٌ، وَالضَّرْبُ حِمِيَّةٌ لِلنَّفْسِ الأَمَّارَةِ لَوْنٌ.

### فصل

وَالفَرْقُ بَيْنَ سَلَامَةِ القَلْبِ وَالبَلَهِ وَالتَغْفُلِ: أَنَّ سَلَامَةَ القَلْبِ تَكُونُ مِنْ إِرَادَةِ الشَّرِّ بَعْدَ مَعْرِفَتِهِ، فَيَسْلَمُ قَلْبُهُ مِنْ إِرَادَتِهِ وَقَصْدِهِ لَا مِنْ مَعْرِفَتِهِ وَالعِلْمِ بِهِ، وَهَذَا بِخِلَافِ البَلَهِ وَالعِفْلَةِ فَإِنَّهَا جَهْلٌ وَقِلَّةُ مَعْرِفَةٍ، وَهَذَا لَا يَحْمَدُ إِذْ هُوَ نَقْصٌ وَإِنَّمَا يَحْمَدُ النَّاسُ مِنْ هُوَ كَذَلِكَ لِسَلَامَتِهِمْ مِنْهُ.

وَالكَمَالُ أَنَّ يَكُونُ القَلْبُ عَارِفًا بِتَفَاصِيلِ الشَّرِّ سَلِيمًا مِنْ إِرَادَتِهِ قَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لَسْتُ بِخَبِّ وَلَا يَخْدَعُنِي الخَبُّ<sup>(١)</sup>، وَكَانَ عُمَرُ أَعْقَلَ مِنْ أَنْ يُخْدَعَ وَأَوْرَعَ مِنْ أَنْ يَخْدَعَ<sup>(٢)</sup>.

(١) لم أقف عليه عن عمر مسندًا، وقد ذكره عنه شيخ الإسلام كما في «مجموع الفتاوى»: (٣٠٢/١٠)، وكذا ابن القيم في «إعلام الموقعين»: (١٨٩/٥)، والماوردي في «أدب الدنيا والدين» ص: (٢٩).  
\* وقد أخرج وكيع في «أخبار القضاة»: (٣٤٨/١)، والمزي في «تهذيب الكمال»: (٤١٨/٣)، وابن عساكر في «تاريخه»: (١٩/١٠) من طريق قريش بن أنس حدثنا حبيب بن الشهيد قال: قال لي إياس بن معاوية فذكره من قوله، وحبيب بن الشهيد ثقة وقريش بن أنس صدوق إلا أنه اختلط قبل موته بست سنين.

(٢) ذكره الماوردي في «أدب الدنيا والدين» ص (٢٩) من قول المغيرة وفيه: (أفضل) مكان (أعقل).

وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ \* إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾  
 [الشعراء: ٨٨-٨٩]، فَهَذَا هُوَ السَّلِيمُ مِنَ الْآفَاتِ الَّتِي تَعْرِى الْقُلُوبَ الْمَرِيضَةَ مِنْ مَرَضِ  
 الشُّبُهَةِ الَّتِي تَوْجِبُ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَرَضِ الشَّهْوَةِ الَّتِي تَوْجِبُ اتِّبَاعَ مَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ،  
 فَالْقَلْبُ السَّلِيمُ: الَّذِي سَلِمَ مِنْ هَذَا وَهَذَا. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

### فصل

وَالْفَرْقُ بَيْنَ الثِّقَّةِ وَالغَرَّةِ: أَنَّ الثِّقَّةَ سُكُونٌ يَسْتَنْدِ إِلَى أَدِلَّةٍ وَأَمَارَاتٍ يَسْكُنُ الْقَلْبُ  
 إِلَيْهَا، فَكَلِمًا قَوِيَّةً تَلِكَ الْأَمَارَاتِ قَوِيَّةِ الثِّقَّةِ وَاسْتَحْكَمَتْ وَلَا سِيَّمَا عَلَى كَثْرَةِ  
 التَّجَارِبِ وَصَدَقَ الْفِرَاسَةُ.

وَاللَّفْظَةُ كَأَنَّهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ مِنَ الْوِثَاقِ وَهُوَ الرِّبَاطُ، فَالْقَلْبُ قَدْ ارْتَبَطَ بِمَنْ وَثِقَ بِهِ  
 تَوَكَّلًا عَلَيْهِ وَحَسَنَ ظَنِّ بِهِ فَصَارَ فِي وَثَاقِ مَحَبَّتِهِ وَمَعَامَلَتِهِ وَالِاسْتِنَادِ إِلَيْهِ وَالِاعْتِمَادِ عَلَيْهِ  
 فَهُوَ فِي وَثَاقِهِ بِقَلْبِهِ وَرُوحِهِ وَبَدَنِهِ، فَإِذَا صَارَ الْقَلْبُ إِلَى اللَّهِ وَانْقَطَعَ إِلَيْهِ تَقْيِيدَ بَحْبِهِ وَصَارَ  
 فِي وَثَاقِ الْعُبُودِيَّةِ فَلَمْ يَبْقَ لَهُ مَفْرَعٌ فِي النَّوَابِثِ وَلَا مَلْجَأٌ غَيْرُهُ وَيَصِيرُ عَدَّتَهُ فِي شِدَّتِهِ،  
 وَذَخِيرَتَهُ فِي نَوَابِثِهِ، وَمَلْجَأَهُ فِي نَوَازِلِهِ، وَمُسْتَعَانَهُ فِي حَوَائِجِهِ وَضُرُورَاتِهِ.

وَأَمَّا الْغَرَّةُ: فَهِيَ حَالُ الْمَغْتَرِ الَّذِي غَرَّتْهُ نَفْسُهُ وَشَيْطَانُهُ وَهَوَاهُ وَأَمَلُهُ الْخَائِبُ  
 الْكَاذِبُ بَرَبَهُ حَتَّى اتَّبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِي.

وَالْغُرُورُ ثِقَّتُكَ بِمَنْ لَا يُوثِقُ بِهِ وَسُكُونُكَ إِلَى مَنْ لَا يُسْكُنُ إِلَيْهِ وَرَجَاؤُكَ النَّفْعَ مِنْ  
 الْمَحَلِّ الَّذِي لَا يَأْتِي بِخَبَرٍ كَحَالِ الْمَغْتَرِ بِالسَّرَابِ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ  
 كَسَرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فُوقَاهُ  
 حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [النور: ٣٩]، وَقَالَ تَعَالَى فِي وَصْفِ الْمَغْتَرِينَ: ﴿قُلْ هَلْ  
 نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا \* الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسَبُونَ أَنَّهُمْ

يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿ [الكهف: ١٠٣-١٠٤]، فَهَؤُلَاءِ إِذَا انْكَشَفَ الْغَطَاءَ وَثَبَتَ حَقَائِقَ الْأُمُورِ  
 عَلِمُوا أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا عَلَى شَيْءٍ. ﴿ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾.  
 وَفِي أَثَرِ مَعْرُوفٍ: «إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَزِيدُكَ مِنْ نِعْمَةٍ وَأَنْتَ مُقِيمٌ عَلَى مَعْصِيَتِهِ  
 فَاحْذَرِهِ فَإِنَّهَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ يَسْتَدْرِكُ بِهِ»<sup>(١)</sup>.

<sup>(١)</sup> (حسن لغيره) أخرجه أحمد: (١٤٥/٤) من طريق رشدين بن سعد عن حرملة بن عمران التميمي عن  
 عقبة بن مسلم عن عقبة بن عامر عن النبي ﷺ قال: «إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى مَعْصِيَتِهِ مَا  
 يَجِبُ، فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿ قَلَمًا نَسُوا مَا دُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ  
 حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٤]». وهذا إسناد رجاله ثقات إلا  
 رشدين بن سعد؛ فإنه ضعيف. ولكنه متابع:

١- تابعه عبدالله بن صالح كاتب الليث أخرجه الطبراني في «الكبير» (٣٣٠-٣٣١)، و«الأوسط»  
 (٩٢٦٨)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٤٤١/٢) وعبدالله بن صالح هذا ضعيف.

٢- وتابعه حجاج بن سليمان الرعيبي أخرجه الدولابي في «الكنى»: (١١١/١)، وحجاج هذا قال: ابن  
 يونس في حديثه مناكير، وقال أبو زرعة: منكر الحديث، وقال ابن عدي: إذا روى عن غير ابن لهيعة  
 فحديثه مستقيم.

٣- وتابعه أيضًا أبو الصلت أخرجه ابن جرير: (١٩٥/٧)، وأبو الصلت هذا لم أجد له ترجمة إنما ذكره  
 الحافظ المزي في «التهذيب» ضمن مشايخ ضبارة بن عبدالله بن مالك، وهذه المتابعة من طريق بقية بن  
 الوليد عن ضبارة بن مالك عن أبي الصلت، وبقية مدلس وقد عنعن وضبارة بن مالك هو ابن عبدالله بن  
 مالك مجهول حال.

\* وقد أخرج الحديث ابن جرير: (١٩٥/٧)، وابن أبي الدنيا في «الشكر»: (٣٢) من طريق ابن لهيعة عن  
 عقبة بن مسلم عن عقبة بن عامر به نحوه، وابن لهيعة ضعيف ولكنه هنا في المتابعات، فالحديث حسن  
 لغيره من هذه الطرق والله أعلم، وقد صححه العلامة الألباني في «الصحيحة»: (٤١٣).

وَشَاهِدْ هَذَا فِي الْقُرْآنِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٤]، فَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْغُرَّةِ أَنْ تَرَاهُ يُتَابِعُ عَلَيْكَ نِعْمَهُ وَأَنْتِ مُقِيمٌ عَلَى مَا يَكْرَهُ.

فالشيطان موكل بالغرور، وطبع الأنفس الأمارة: الاغترار، فإذا اجتمع الزاني والبغي، والمرابي والمحتاج، والشيطان الغرور والنفس المغتر لم يقع هناك خلاف، فالشياطين غروا المغترين بالله وأطمعوههم مع إقامتهم على ما يسخط الله ويغضبه في عفوهِ وتجاوزهِ، وحدوثهم بالتوبة لتسكن قلوبهم ثم دافعوههم بالتسويق حتى هجم الأجل فأخذوا على أسوأ أحوالهم وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَغَرَّتْكُمْ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّتْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾ [الحديد: ١٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾ [فاطر: ٥]، وَأَعْظَمُ النَّاسِ غُرُورًا بِرَبِّهِ مَنْ إِذَا مَسَّهُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ، قَالَ: هَذَا لِي أَيْ أَنَا أَهْلُهُ وَجَدِيرٌ بِهِ وَمَسْتَحِقٌّ لَهُ ثُمَّ قَالَ: ﴿ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً ﴾ [فصلت: ٥٠]، فَظَنَّ أَنَّهُ أَهْلٌ لِمَا أَوْلِيَهُ مِنَ النِّعَمِ مَعَ كُفْرِهِ بِاللَّهِ ثُمَّ زَادَ فِي غُرُورِهِ فَقَالَ: ﴿ وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ ﴾ [فصلت: ٥٠]، يَعْنِي: الْجَنَّةَ وَالْكَرَامَةَ، وَهَكَذَا تَكُونُ الْغُرَّةُ بِاللَّهِ فَالْمَغْتَرُ بِالشَّيْطَانِ مَغْتَرٌ بِوَعْدِهِ وَأَمَانِيهِ وَقَدْ سَاعَدَ اغْتِرَارَهُ بِدُنْيَاهُ وَنَفْسِهِ فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَتَرَدَّى فِي آبَارِ الْهَلَاكِ.

### فصل

وَالْفَرْقُ بَيْنَ الرَّجَاءِ وَالتَّمَنِّي: أَنَّ الرَّجَاءَ يَكُونُ مَعَ بَذْلِ الْجُهْدِ وَاسْتِفْرَاغِ الطَّاقَةِ فِي الْإِتْيَانِ بِأَسْبَابِ الظَّفَرِ وَالْفَوْزِ، وَالتَّمَنِّي: حَدِيثُ النَّفْسِ بِحُصُولِ ذَلِكَ مَعَ تَعْطِيلِ الْأَسْبَابِ الْمَوْصَلَةِ إِلَيْهِ قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢١٨]، فَطَوَى سُبْحَانَهُ بِسَاطِ الرَّجَاءِ إِلَّا عَنِ هَوَالَاءِ.

وَقَالَ الْمُغْتَرُونَ: إِنَّ الَّذِينَ ضَيَعُوا أَمْرَهُمُ وَارْتَكَبُوا نَوَاهِيهِ فَاتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَهُ وَتَجَنَّبُوا مَا يَرْضِيهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَهُ، وَلَيْسَ هَذَا بِيَدِهِ مِنْ غُرُورِ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ هُتَمٌ، فَالرَّجَاءُ لِعَبْدٍ قَدْ امْتَلَأَ قَلْبُهُ مِنَ الْإِيْمَانِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَمَثَلُ بَيْنِ عَيْنَيْهِ مَا وَعَدَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ كَرَامَتِهِ وَجَنَّتِهِ فَامْتَدَّ الْقَلْبُ مَائِلًا إِلَى ذَلِكَ شَوْقًا إِلَيْهِ وَحِرْصًا عَلَيْهِ فَهُوَ شَبِيهُ بِالْمَادِ عُنُقِهِ إِلَى مَطْلُوبٍ قَدْ صَارَ نَصَبَ عَيْنَيْهِ.

وعلاوة الرَّجَاءِ الصَّحِيحِ: أَنَّ الرَّاجِيَ خَوْفِ قَوْتِ الْجَنَّةِ وَذَهَابِ حَظِّهِ مِنْهَا يَتْرِكُ مَا يَخَافُ أَنْ يَحُولَ بَيْنَهُ وَيَبِينَ دُخُولَهَا فَمَثَلُهُ مِثْلُ رَجُلٍ خَطَبَ امْرَأَةً كَرِيمَةً فِي مَنْصَبٍ وَشَرَفٍ إِلَى أَهْلِهَا فَلَمَّا آنَ وَقْتُ الْعَقْدِ وَاجْتِمَاعِ الْأَشْرَافِ وَالْأَكَابِرِ وَإِتْيَانِ الرَّجُلِ إِلَى الْحُضُورِ أَعْلِمَ عَشِيَّةَ ذَلِكَ الْيَوْمِ لِيَتَأَهَّبَ لِلْحُضُورِ فَيَرَاهُ أَهْلَ الْمَرْأَةِ وَأَكَابِرَ النَّاسِ فَأَخَذَ فِي التَّأَهُّبِ وَالتَّزْيِينِ وَالتَّجْمِيلِ فَأَخَذَ مِنْ فَضُولِ شَعْرِهِ وَتَنْظِيفِ وَتَطْيِيبِ وَلَبَسَ أَجْمَلَ ثِيَابِهِ وَأَتَى إِلَى تِلْكَ الدَّارِ مَتَقِيًّا فِي طَرِيقِهِ كُلِّ وَسَخٍ وَدَنْسٍ وَأَثَرٍ يُصِيبُهُ أَشَدَّ تَقْوَى حَتَّى الْعُبَارِ وَالِدُّخَانِ وَمَا هُوَ دُونَ ذَلِكَ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الْبَابِ رَحَّبَ بِهِ رَبُّهَا وَمَكَّنَ لَهُ فِي صَدْرِ الدَّارِ عَلَى الْفُرْشِ وَالْوَسَائِدِ وَرَمَقْتَهُ الْعُيُونُ وَقَصَدَ بِالْكَرَامَةِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ.

فَلَوْ أَنَّهُ ذَهَبَ بَعْدَ أَخْذِ هَذِهِ الزَّيْنَةِ فَجَلَسَ فِي الْمَزَابِلِ وَتَمَرَّغَ عَلَيْهَا وَتَمَعَّكَ بِهَا وَتَلَطَّحَ فِي بَدْنِهِ وَثِيَابِهِ بِمَا عَلَيْهَا مِنْ عَذْرَةٍ وَقَدْرٍ وَدَخَلَ ذَلِكَ فِي شَعْرِهِ وَبَشْرِهِ وَثِيَابِهِ فَجَاءَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ إِلَى تِلْكَ الدَّارِ وَقَصَدَ دُخُولَهَا لِلْوَعْدِ الَّذِي سَبَقَ لَهُ لِقَامِ إِلَيْهِ الْبُؤَابِ بِالصَّرْبِ وَالطَّرْدِ وَالصِّيَاحِ عَلَيْهِ وَالْإِبْعَادِ لَهُ مِنْ بَابِهَا وَطَرِيقِهَا فَرَجَعَ مَتَحِيزًا خَاسِنًا.

فَالْأَوَّلُ حَالُ الرَّاجِي وَهَذَا حَالُ الْمُتَمَنِّي.

وَإِنْ شِئْتَ مِثْلَتَ حَالِ الرَّجُلَيْنِ بِمَلِكٍ هُوَ مِنْ أَغْنَى النَّاسِ وَأَعْظَمِهِمْ أَمَانَةً وَأَحْسَنَهُمْ مُعَامَلَةً لَا يُضَيِّعُ لَدَيْهِ حَقَّ أَحَدٍ وَهُوَ يُعَامِلُ النَّاسَ مِنْ وَرَاءِ سِتْرٍ لَا يَرَاهُ أَحَدٌ وَبِضَائِعِهِ وَأَمْوَالِهِ وَتِجَارَاتِهِ وَعَيْبِهِ وَإِمَاؤُهُ ظَاهِرٌ بَارِزٌ فِي دَارِهِ لِلْمُعَامِلِينَ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ



رَجُلَانِ فَكَانَ أَحَدُهُمَا يَعامِلُهُ بِالصِّدْقِ وَالْأَمَانَةِ وَالنَّصِيحَةِ لَمْ يَجْرِبْ عَلَيْهِ غِشًّا وَلَا خِيَانَةً وَلَا مَكْرًا فَبَاعَهُ بِضَاعَهُ كُلِّهَا وَاعْتَمَدَ مَعَ مَمَالِيكِهِ وَجَوَارِيهِ مَا يَجِبُ أَنْ يَعتَمِدَ مَعَهُمْ، فَكَانَ إِذَا دَخَلَ إِلَيْهِ بِبِضَاعَةٍ تَخِيرُ لَهُ أَحْسَنَ البِضَائِعِ وَأَحَبُّهَا إِلَيْهِ، وَإِنْ صَنَعَهَا بِيَدِهِ بَدَلَ جَهْدِهِ فِي تَحْسِينِهَا وَتَمْيِيقِهَا وَجَعَلَ مَا خَفِيَ مِنْهَا أَحْسَنَ مِمَّا ظَهَرَ وَتَسَلَّمَ الْمُؤَنَّةَ مِمَّنْ أَمَرَهُ أَنْ يَتَسَلَّمَ مِنْهُ، وَامْتَثَلَ مَا أَمَرَهُ بِهِ السَّفِيرُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فِي مِقْدَارِ مَا يَعْمَلُهُ وَصِفَتِهِ وَهَيْئَتِهِ وَشَكْلِهِ وَوَقْتِهِ وَسَائِرِ شُؤْنِهِ.

وَكَانَ الْآخِرُ إِذَا دَخَلَ [دَخَلَ] بِأَخْسَرِ بِضَاعَةٍ يَجِدُهَا لَمْ يَخْلُصْهَا مِنَ الْغِشِّ، وَلَا نَصَحَ فِيهَا، وَلَا اعْتَمَدَ فِي أَمْرِهَا مَا قَالَهُ الْمُتَرَجِّمُ عَنِ الْمَلِكِ وَالسَّفِيرِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الصَّنَاعِ وَالنَّجَّارِ بَلْ كَانَ يَعْمَلُهَا عَلَى مَا يَهْوَاهُ هُوَ، وَمَعَ ذَلِكَ فَكَانَ يَجُودُ الْمَلِكُ فِي دَارِهِ إِذْ هُوَ غَائِبٌ عَنِ عَيْنِهِ فَلَا يَلُوحُ لَهُ طَمَعٌ إِلَّا خَانَةٌ وَلَا حُرْمَةٌ لِلْمَلِكِ إِلَّا مَدَّ بَصْرَهُ إِلَيْهَا وَحَرَصَ عَلَى إِفْسَادِهَا، وَلَا شَيْءٍ يَسْخِطُ الْمَلِكُ إِلَّا ارْتَكَبَهُ إِذَا قَدَرَ عَلَيْهِ.

فَمَضَى عَلَى ذَلِكَ مُدَّةً ثُمَّ قِيلَ إِنَّ الْمَلِكَ يَبْرُزُ الْيَوْمَ لِمَعَامِلِهِ حَتَّى يَجَاسِبَهُمْ وَيُعْطِيَهُمْ حُقُوقَهُمْ فَوْقَ الرِّجَالِ بَيْنَ يَدَيْهِ فَعَامِلُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِمَا يَسْتَحِقُّهُ.

فَتَأْمَلُ هَذَيْنِ الْمُثَلِّينِ فَإِنَّ الْوَاقِعَ مُطَابِقٌ لُهُمَا فَالرَّاجِي عَلَى الْحَقِيقَةِ لَمَّا صَارَتِ الْجَنَّةُ نَصَبَ عَيْنِهِ وَرَجَاءَهُ وَأَمَلَهُ امْتَدَّ إِلَيْهَا قَلْبُهُ وَسَعَى لَهَا سَعِيهَا - فَإِنَّ الرَّجَاءَ هُوَ امْتِدَادُ الْقَلْبِ وَمِيلُهُ - وَحَقَّقَ رَجَاءَهُ كَمَا أَلِ التَّأَهُبِ، وَخَوْفُ الْفَوْتِ، وَالْأَخْذُ بِالْحَذَرِ. وَأَصْلُهُ مِنَ التَّنَحِّيِّ. وَرَجَا الْبُئْرُ: نَاحِيَتُهُ، وَأَرْجَاءُ السَّمَاءِ: نَوَاحِيهَا. وَامْتِدَادُ الْقَلْبِ إِلَى الْمَحْبُوبِ مُنْقَطِعًا عَمَّا يَقْطَعُهُ عَنْهُ هُوَ تَنَحُّجٌ عَنِ النَّفْسِ الْأَمَارَةِ وَأَسْبَابِهَا وَمَا تَدْعُو إِلَيْهِ.

وَهَذَا الْاِمْتِدَادُ وَالْمِيلُ وَالْحَوْفُ مِنْ شَأْنِ النَّفْسِ الْمُطْمَئِنَّةِ، فَإِنَّ الْقَلْبَ إِذَا انْفَسَحَتْ بِصِيرَتِهِ فَرَأَى الْآخِرَةَ وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ فِيهَا لِأَهْلِ طَاعَتِهِ وَأَهْلِ مَعْصِيَتِهِ خَافَ وَخَفَ مَرْتَحِلًا إِلَى اللَّهِ وَالذَّارِ الْآخِرَةَ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ مُطْمَئِنًّا إِلَى النَّفْسِ، وَالنَّفْسِ إِلَى الشَّهَوَاتِ وَالذُّنُوبِ

فَلَمَّا انْكَشَفَ عَنْهُ غِطَاءُ النَّفْسِ خَفَ وَارْتَحَلَ عَنْ جَوَارِهَا طَالِبًا جَوَارَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ فِي  
جَنَّاتِ النَّعِيمِ.

وَمِنْ هُنَا صَارَ كُلُّ خَائِفٍ رَاجِيًا وَكُلُّ رَاجٍ خَائِفًا فَأُطْلِقُ اسْمَ أَحَدِهِمَا عَلَى الْآخَرِ،  
فَإِنَّ الرَّاجِي قَلْبُهُ قَرِيبُ الصِّفَةِ مِنْ قَلْبِ الْخَائِفِ هَذَا الرَّاجِي قَدْ نَحَى قَلْبَهُ عَنِ مَجَاوِرَةِ  
النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ مَرْتَحِلًا إِلَى اللَّهِ قَدْ رُفِعَ لَهُ مِنَ الْجَنَّةِ عِلْمٌ فَشَمِرَ إِلَيْهِ وَأَمَّهُ مَا دَا إِلَى قَلْبِهِ  
كُلُّهُ، وَهَذَا الْخَائِفُ فَارٍ مِنْهُجٍ وَارْتَحَلَ إِلَى اللَّهِ مِنْ حَبْسِهَا لَهُ فِي سَجْنِهَا فِي الدُّنْيَا  
فَيَحْبَسُ مَعَهَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَإِنَّ الْمَرْءَ مَعَ قَرِينِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَلَمَّا سَمِعَ  
الْوَعْدَ ارْتَحَلَ مِنْ مَجَاوِرَةِ جَارِ السُّوءِ فِي الدَّارَيْنِ فَأَعْطَى اسْمَ الْخَائِفِ وَمَا سَمِعَ الْوَعْدَ  
امْتَدَّ وَاسْتَطَالَ شَوْقًا إِلَيْهِ، وَفَرَحًا بِالظَّفْرِ بِهِ، فَأَعْطِيَ اسْمَ الرَّاجِي. وَحَالَهُ مُتَلَازِمَانِ لَا  
يَنْفَكُ عَنْهُمَا فَكُلُّ رَاجٍ خَائِفٌ مِنْ قَوَاتٍ مَا يَرِجُوهُ كَمَا أَنَّ كُلَّ خَائِفٍ رَاجٍ أَمْنَهُ مِمَّا يَخَافُ  
فَلذَلِكَ تَدَاوَلُ (١) الْأَسْمَانُ عَلَيْهِ قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ [نوح: ١٣]،  
قَالُوا فِي تَفْسِيرِهَا: لَا تَخَافُونَ لِلَّهِ عِظَمَةَ (٢).

(١) انظر كتاب «الوجوه والنظائر في القرآن العظيم» لمقاتل بن سليمان ص: (٢١٥)، فقد ذكر أن الرجاء في القرآن يأتي بمعنى الطمع ويأتي بمعنى الخشية وذكر عدة آيات.

(٢) جاء هذا الأثر عن ابن عباس ومجاهد والضحاك أخرجهما ابن جرير عند الآية: (١٣) من سورة نوح:  
\* فأنث ابن عباس ضعيف؛ له عنه إسنادان، الأول: فيه عبدالله بن صالح ضعيف، وعلي بن أبي طلحة لم  
يسمع من ابن عباس.

والثاني: من طريق العوفيين وهو إسناد مسلسل بالضعفاء.

\* وأثر مجاهد صحيح، له عنه عدة أسانيد بعضها صحيح.

\* وأثر الضحاك منقطع يقول فيه ابن جرير: حَدَّثْتُ عَنْ الْحُسَيْنِ...

وقد تقدم أن الله سبحانه طوى الرجاء إلا عن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا، وقد فسر النبي ﷺ الإيمان: بأنه ذو شعب وأعمال ظاهرة وباطنة<sup>(١)</sup>.  
 وفسر الهجرة: بأنها هجرة ما نهي الله عنه، والجهاد: بأنه جهاد النفس في ذات الله فقال: «المهاجر من هجر ما نهي الله عنه»<sup>(٢)</sup>، «والمجاهد من جاهد نفسه في ذات الله»<sup>(٣)</sup>.  
 والمقصود أن الله سبحانه جعل أهل الرجاء من آمن وهاجر وجاهد وأخرج من سواهم من هذه الأمم.

وأما الأماني: فإنها رؤوس أموال المفاليس أخرجوها في قالب الرجاء و﴿تلك أمانيتهم﴾ [البقرة: ١١١] وهي تصدر من قلب تزاومت عليه وساوس النفس فاظلم من دخانها فهو يستعمل قلبه في شهواتها، وكلما فعل ذلك مته حسن العاقبة والنجاة وأحالته على العفو والمغفرة والفضل، وأن الكريم لا يستوفي حقه ولا تضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة ويسمي ذلك رجاء، وإنما هو وساوس وأماني باطلة تقذف بها النفس إلى القلب الجاهل فيستروح إليها قال تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٢٣].

فإذا ترك العبد ولاية الحق ونصرته ترك الله ولايته ونصرته ولم يجد له من دون الله وليًّا ولا نصيرًا، وإذا ترك ولايته ونصرته تولته نفسه والشيطان فصارا وليين له ووكيل

(١) أخرجه البخاري: (٩)، ومسلم: (٥٨/٣٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري: (١٠) عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد: (٦/٢٠ و ٢١ و ٢٢)، والحاكم (١/١٠-١١)، والترمذي: (١٦٢١) من طرق عن أبي هانئ الخولاني عن عمرو بن مالك الجنبي قال: حدثني فضالة بن عبيد به، وإسناده صحيح أبو هانئ هو حميد بن هانئ قال أبو حاتم: صالح وقال الدارقطني: لا بأس به ثقة، وعمرو بن مالك الجنبي ثقة.

إلى نفسه فَصَارَ انتصاره لها بَدَلًا من نَصْرَةِ الله وَرَسُولِهِ، فاستبدل بِوَلَايَةِ الله وَوَلَايَةِ نَفْسِهِ وشيطانه، وبنصرته نَصْرَةَ نَفْسِهِ وهَوَاهُ فلم يدع للرجاء موضعًا.

فَإِذَا قَالَتْ لَكَ النَّفْسُ: أَنَا فِي مَقَامِ الرَّجَاءِ فَطالِبُهَا بِالْبِرِّهَانِ: وَقُلْ هَذِهِ أُمْنِيَّةٌ: ف ﴿ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [النمل: ٦٤].

فالكيس يَعْمَلُ أَعْمَالَ الْبِرِّ عَلَى الطَّمَعِ وَالرَّجَاءِ وَالْأَحْمَقُ الْعَاجِزُ يَعْطَلُ أَعْمَالَ الْبِرِّ وَيَتَكَلَّمُ عَلَى الْأَمَانِيِّ الَّتِي يَسْمِيهَا رَجَاءً، وَاللهُ الْمُوفِقُ لِلصَّوَابِ.

### فصل

وَالْفَرْقُ بَيْنَ التَّحَدُّثِ بِنِعْمِ اللهِ وَالْفَخْرِ بِهَا: أَنَّ التَّحَدُّثَ بِالنِّعْمَةِ مَخْبِرٌ عَنِ صِفَاتِ وَلِيِّهَا وَمَحْضٌ جُودِهِ وَإِحْسَانِهِ فَهُوَ مِثْلُ مَنْ عَلِيهِ بِإِظْهَارِهَا وَالتَّحَدُّثُ بِهَا شَاكِرٌ لَهُ نَاشِرٌ لِجَمِيعِ مَا أَوْلَاهُ مَقْصُودٌ بِذَلِكَ إِظْهَارُ صِفَاتِ اللهِ وَمَدْحُهُ وَالثَّنَاءُ عَلَيْهِ، وَبَعَثُ النَّفُوسِ عَلَى الطَّلَبِ مِنْهُ دُونَ غَيْرِهِ وَعَلَى مَحَبَّتِهِ وَرَجَائِهِ، فَيَكُونُ دَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِظْهَارِ نِعْمِهِ وَنَشْرِهَا وَالتَّحَدُّثُ بِهَا.

وَأَمَّا الْفَخْرُ بِالنِّعْمِ: فَهُوَ أَنْ يَسْتَطِيلَ بِهَا عَلَى النَّاسِ وَيُرِيهِمْ أَنَّهُ أَعَزُّ مِنْهُمْ وَأَكْبَرُ، فَيَرْكَبُ أَعْنَاقَهُمْ وَيَسْتَعْبِدُ قُلُوبَهُمْ وَيَسْتَمِيلُهَا إِلَيْهِ بِالتَّعْظِيمِ وَالتَّخْدِيمِ.

قَالَ النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ: إِنَّ لِلشَّيْطَانِ مَصَالِي (١) وَفَخَوْخًا وَإِنْ مِنْ مَصَالِيهِ وَفَخَوْخُهُ  
الْبَطْشُ بِنِعْمِ اللَّهِ، وَالْكِبْرُ عَلَى عِبَادِ اللَّهِ، وَالْفَخْرُ بِعَطِيَّةِ اللَّهِ وَالهُونُ فِي غَيْرِ ذَاتِ اللَّهِ (٢).

### فصل

وَالْفَرْقُ بَيْنَ فَرَحِ الْقَلْبِ وَفَرَحِ النَّفْسِ ظَاهِرٌ فَإِنَّ الْفَرَحَ بِاللَّهِ وَمَعْرِفَتَهُ وَمَحَبَّتَهُ وَكَلَامَهُ  
مِنَ الْقَلْبِ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ [الرعد:  
٣٦]، فَإِذَا كَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يَفْرَحُونَ بِالْوَحْيِ فَأَوْلِيَاءُ اللَّهِ وَأَتْبَاعُ رَسُولِهِ أَحَقُّ بِالْفَرَحِ بِهِ.  
وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَزِيدُهُ هَذِهِ إِيمَانًا قَامًا  
الَّذِينَ آمَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٤].

(١) المصالي شبيهة بالشرك واحداً مصلاة، أراد ما يستغفر به الناس من زينة الدنيا وشهواتها، يقال: صليت  
لفلان إذا عملت له في أمر تريد أن تحمل به، «النهاية»: (صلا).

(٢) (حسن موقوفاً) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد»: (٥٥٣)، والخرائطي في «مساوى الأخلاق»:  
(٥٩٤)، وابن عساکر في «تاريخ دمشق»: (١٢٤/٦٢) من طرق عن إسماعيل بن عياش حدثني أبو  
رواحة يزيد بن أيهم عن الهيثم بن مالك الطائي قال: سمعت النعمان بن بشير يقول فذكره موقوفاً، وهذا  
إسناد حسن إسماعيل بن عياش صدوق في رواية عن الشاميين وهي هنا كذلك، ويزيد بن أيهم روى عنه  
جمع وذكره ابن حبان في الثقات ولم أجد فيه جرماً لأحد، والهيثم بن مالك ثقة.

\* وقد روي مرفوعاً أخرجه الفسوي في «المعرفة والتاريخ»: (٤٤٦/٢)، والبيهقي في «الشعب»:  
(٨١٨٠)، وابن عساکر في «تاريخ دمشق»: (١٢٤/٦٢) من طريق أبي اليمان حدثنا إسماعيل بن عياش  
عن أبي رواحة يزيد بن أيهم عن الهيثم بن مالك الطائي قال: سمعت النعمان بن بشير يقول فذكره مرفوعاً.  
فالحديث مداره على إسماعيل بن عياش والذي رواه عنه موقوفاً هم عبدالله بن المبارك وعلي بن حجر ومحمد  
بن كليب أبو عبدالله البصري وكلهم ثقات.

والذي رواه عنه مرفوعاً أبو اليمان الحكم بن نافع - وهو ثقة أيضاً - إلا أن الذي يظهر لي أن الموقوف أصح  
وأن الاختلاف فيه من قبل إسماعيل بن عياش؛ لأن الذين رووه عنه على الوجهين كلهم ثقات والله أعلم.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾

[يونس: ٥٨].

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ: فَضَلَ اللَّهُ الْقُرْآنَ وَرَحْمَتَهُ أَنْ جَعَلَكُمْ مِنْ أَهْلِهِ<sup>(١)</sup>.  
 وَقَالَ هِلَالُ بْنُ يَسَافٍ: فَضَلَ اللَّهُ وَرَحْمَتَهُ الْإِسْلَامَ الَّذِي هَدَاكُمْ إِلَيْهِ وَالْقُرْآنَ الَّذِي  
 عَلَّمَكُمْ هُوَ خَيْرٌ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ الَّذِي تَجْمَعُونَ<sup>(٢)</sup>.  
 وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنُ وَقَتَادَةُ وَجُمْهُورُ الْمُفَسِّرِينَ: فَضَلَ اللَّهُ: الْإِسْلَامَ، وَرَحْمَتَهُ:  
 الْقُرْآنَ<sup>(٣)</sup>.

فَهَذَا فَرَحُ الْقَلْبِ وَهُوَ مِنَ الْإِيمَانِ وَيَثَابُ عَلَيْهِ الْعَبْدُ، فَإِنْ فَرِحَ بِهِ يَدُلُّ عَلَى رِضَا  
 بِهِ بَلْ هُوَ فَوْقَ الرِّضَا فَالْفَرَحُ بِذَلِكَ عَلَى قَدَرِ مَحَبَّتِهِ، فَإِنَّ الْفَرَحَ إِتْمًا يَكُونُ بِالظَّفَرِ

<sup>(١)</sup> (ضعيف) أخرجه ابن جرير: (١٢٤/١١)، وابن أبي حاتم: (١٩٥٨/٦)، وغيرهم من طريق حجاج عن عطية عن أبي سعيد الخدري، وهذا إسناد ضعيف حجاج هو ابن أرتاة قال الحافظ: صدوق كثير الخطأ والتدليس. وقد عنعن هنا، وعطية هو ابن سعد العوفي ضعيف ومدلس، وقد كان يروي عن محمد بن السائب الكلبي - وهو متهم بالكذب - ويدلسه بأبي سعيد فيتوهم السامع أنه الخدري وإنما هو الكلبي.  
<sup>(٢)</sup> هذه ثلاثة آثار عن هلال بن يساف جمعها ابن القيم وساقها مساقاً واحداً، أخرجها مفرقة ابن جرير: (١٢٤/١١-١٢٥)، واحد منها بلفظ: (فضل الله الاسلام ورحمته القرآن)، وإسناده صحيح، وبقيتها فيها ضعف.

<sup>(٣)</sup> أثر ابن عباس أخرجه ابن جرير: (١٢٥/١١)، وإسناده ضعيف من طريق عبدالله بن صالح كاتب الليث.

وأثر الحسن أخرجه ابن جرير: (١٢٥/١١) فقال: حدثنا محمد بن عبد الأعلى حدثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن به، وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات.

وأثر قتادة أخرجه ابن جرير: (١٢٥/١١) فقال: حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة به، وهذا إسناد صحيح.

بالمحبوب وعلى قدر محبته يفرح بحصوله له، فالفرح بالله وأسمائه وصفاته ورُسُوله  
وسته وكلامه مُحض الإيمان وصفوهُ ولُبُّهُ، وله عبودية عَجِيْبَةٌ وأثر القلب لا يعبر عنه.  
فابتهاج القلب وسروره وفرحه بالله وأسمائه وصفاته وكلامه ورُسُوله ولقائه  
أفضل ما يعطاه بل هو جلّ عطاياه، والفرح في الآخرة بالله ولقائه بحسب الفرح به  
ومحبته في الدنيا، فالفرح بالوصول إلى المحبوب يكون على حسب قُوَّةِ المحبَّة وضعفها،  
فهَذَا شَأْنُ فرح القلب.

وله فرح آخر وهو فرحه بما منَّ الله به عليه من مُعَامَلَتِهِ وَالْإِحْلَاصَ لَهُ والتوكل  
عليه والثقة به وخوفه ورجائه، وكلما تمكَّن في ذَلِكَ قوي فرحه وابتهاجه.  
وله فرحة أُخْرَى عَظِيْمَةٌ الوقع عَجِيْبَةٌ الشَّأْنُ وَهِيَ الفرحة الَّتِي تحصل له بِالتَّوْبَةِ،  
فإن لها فرحة عَجِيْبَةٌ لَا نِسْبَةَ لفرحة المعصية إِلَيْهَا البتَّةُ فَلو علم العاصي أن لَذَّةَ التَّوْبَةِ  
وفرحتها تزيد على لَذَّةِ المعصية وفرحتها أضعافاً مضاعفة لبادر إِلَيْهَا أعظم من مبادرته  
إلى لَذَّةِ المعصية.

وسر هذا الفرح إنَّما يُعلمه من علم سر فرح الرب تعالَى بتوبة عبده أشدَّ فرحٍ يُقدَّر،  
ولقد ضرب له رُسُولٌ مثلاً لَيْسَ في أنواع الفرح في الدُّنْيَا أعظم منه وهو فرح رجل قد  
خرج براحته الَّتِي عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ في سفر ففقدتها في أرض دوية مهلكة فاجتهد في  
طلبها فلم يجدها فيئس منه فَجَلَسَ يَنْتَظِرُ المَوْتَ حَتَّى إذا طلع البدر رأى في ضوئه  
راحلته وقد تعلق زمامها بشجر فقال من شدَّة فرحه: اللّهُمَّ أنتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ أَخْطَأُ  
من شدَّة الفرح فالله أفرح بتوبة عبده من هذا براحلته.<sup>(١)</sup>

(١) أخرجه البخاري: (٦٣٠٩)، ومسلم: (٢٧٤٧) عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

فَلَا يُنْكَرُ أَنْ يَحْصَلَ لِلتَّائِبِ نَصِيبٌ وَافِرٌ مِنَ الْفَرَحِ بِالتَّوْبَةِ، وَلَكِنْ هَاهُنَا أَمْرٌ يَجِبُ التَّنْبِيهُ عَلَيْهِ وَهُوَ أَنَّه لَا يَصِلُ إِلَى ذَلِكَ إِلَّا بَعْدَ تَرَحُّاتٍ وَمَضْضٍ<sup>(١)</sup> وَمَحْنٍ لَا تَثْبُتُ لَهَا الْجِبَالُ فَإِنْ صَبَرَ لَهَا ظَفَرُ بِلْدَةِ الْفَرَحِ وَإِنْ ضَعْفَ عَنْ حَمَلِهَا وَلَمْ يَصْبِرْ لَهَا لَمْ يَظْفَرْ بِشَيْءٍ وَآخِرُ أَمْرِهِ فَوَاتٌ مَا آثَرَهُ مِنْ فَرَحَةِ الْمُعْصِيَةِ وَلذَاتِهَا فِيفُوتُهُ الْأَمْرَانِ وَيَحْصَلُ عَلَى ضِدِّ اللَّذَّةِ مِنَ الْأَلْمِ الْمَرْكَبِ مِنْ وَجُودِ الْمُؤْذِي وَفُوتِ الْمَحْبُوبِ، فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ.

### فصل

وَهَا هُنَا فَرَحَةٌ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا كُلِّهِ: وَهِيَ فَرَحَتُهُ عِنْدَ مُفَارَقَتِهِ الدُّنْيَا إِلَى اللَّهِ إِذَا أُرْسِلَ إِلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ فَبَشَرُوهُ بِلِقَائِهِ وَقَالَ لَهُ مَلِكُ الْمَوْتِ: أَخْرِجِي أَيُّهَا الرُّوحُ الطَّيِّبَةُ كَأَنَّ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ ابْشَرِي بِرُوحِ وَرَيْحَانٍ وَرَبِّ غَيْرِ غَضْبَانَ، أَخْرِجِي رَاضِيَةً مَرْضِيًّا عَنْكَ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ \* ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً \* فَادْخُلِي فِي عِبَادِي \* وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠].

فَلَوْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ يَدَيْ التَّائِبِ إِلَّا هَذِهِ الْفَرَحَةُ وَحَدَهَا لَكَانَ الْعَقْلُ يَأْمُرُ بِإِيثَارِهَا فَكَيْفَ وَمِنْ بَعْدِهَا أَنْوَاعٌ مِنَ الْفَرَحِ مِنْهَا: صَلَاةُ الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ عَلَى

وأخرجه البخاري: (٦٣٠٨)، ومسلم: (٢٧٤٤) عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأخرجه مسلم: (٢٧٤٦) عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأخرجه مسلم: (٢٧٤٥) عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وليس في روايات الصحيحين أنه رآها حين طلع البدر، بل أكثر الروايات أن راحلته رجعت إليه، وفي حديث البراء أنها مرت بجذال شجرة فتعلق زمامها فوجدها متعلقة به.

(١) الترح: هو الهم وهو نقيض الفرح. «القاموس» «لسان العرب»: (ترح).

المضض: هو الحرقه ووجع المصيبة. «لسان العرب»: (مضض).



روحه<sup>(١)</sup>. وَمِنْهَا: فَتَحَ أَبْوَابَ السَّمَاءِ لَهَا، وَصَلَاةَ مَلَائِكَةِ السَّمَاءِ عَلَيْهَا، وَتَشْيِيعَ مَقْرِبِيهَا لَهَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَتَفْتَحُ لَهَا وَيُصَلِّي عَلَيْهَا أَهْلَهَا وَشِيْعَهَا مَقْرِبُوهَا هَكَذَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَكَيْفَ يُقَدَّرُ فَرَحُهَا وَقَدْ اسْتَوْذَنَ لَهَا عَلَى رَبِّهَا وَوَلِيَّهَا وَحَبِيْبِهَا فَوَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَذِنَ لَهَا بِالسُّجُودِ فَسَجَدَتْ ثُمَّ سَمِعَتْهُ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي عِلْمَيْنِ، ثُمَّ يَذْهَبُ بِهِ فَيَرَى الْجَنَّةَ وَمَقْعَدَهُ فِيهَا وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ وَيُلْقِي أَصْحَابَهُ وَأَهْلَهُ فَيَسْتَبْشِرُونَ بِهِ وَيَفْرَحُونَ بِهِ وَيَفْرَحُ بِهِمُ الْغَائِبُ يَقْدَمُ عَلَى أَهْلِهِ فَيَجِدُهُمْ عَلَى أَحْسَنِ حَالٍ وَيَقْدَمُ عَلَيْهِمْ بِخَيْرِ مَا قَدَّمَ بِهِ مُسَافِرًا.

هَذَا كُلُّهُ قَبْلَ الْفَرَحِ الْأَكْبَرِ يَوْمَ حَشْرِ الْأَجْسَادِ بِجُلُوسِهِ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ وَشَرْبِهِ مِنَ الْحَوْضِ وَأَخَذَهُ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ وَثَقَلَ مِيزَانُهُ وَبَيَّاضَ وَجْهُهُ وَإِعْطَاهُ النُّورَ التَّامَّ وَالنَّاسَ فِي الظِّلْمَةِ وَقَطَعَهُ جِسْرَ جَهَنَّمَ بِلَا تَعْوِيقٍ وَانْتَهَاهُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ وَقَدْ أَرْزَلَتْ لَهُ فِي الْمَوْقِفِ، وَتَلْقَى خَزْنَتَهَا لَهُ بِالترْحِيبِ وَالسَّلَامِ وَالبِشَارَةِ وَقُدُومِهِ عَلَى مَنْزِلِهِ وَقُصُورِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَسِرَارِيهِ.

وَبَعْدَ ذَلِكَ فَرَحٍ آخَرَ لَا يَقْدَرُ قُدْرَهُ وَلَا يَعْبُرُ عَنْهُ تَتَلَاشَى هَذِهِ الْأَفْرَاحَ كُلَّهَا عِنْدَهُ، وَإِنَّمَا يَكُونُ لِأَهْلِ السَّنَةِ الْمُصْذِقِينَ بُرُؤِيَّةٌ وَجَهَ رَبِّهِمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْ فَوْقِهِمْ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ وَتَكْلِيمُهُ إِيَّاهُمْ وَمَحَاضِرَتُهُ لَهُمْ:

لذِي التَّرْحَاتِ فِي دَارِ الرِّزَايَا

لَعَلَّكَ أَنْ تَفُوزَ بِذِي الْعَطَايَا

وَلَيْسَتْ هَذِهِ الْفَرَحَاتُ إِلَّا

فَشْمٌ مِمَّا اسْتَطَعْتَ السَّاقَ وَاجْهَدْ

<sup>(١)</sup> تقدم التنبيه على أن هذه الزيادة لم تثبت في الحديث، وأنها من طريق يونس بن خباب وهو منكر الحديث وقد خالفه غيره انظر ص ( ) .

وَصُمْ عَنْ لَذَّةِ حُشِيَّتِ بِلَاءٍ  
وَدَعْ أَمْنِيَّةَ إِنْ لَمْ تَنْلَهَا  
وَلَا تَسْتَبْطِ وَعَدًّا مِنْ رَسُولٍ  
فَهَذَا الْوَعْدُ أَدْنَى مِنْ نَعِيمٍ  
لِلذَّاتِ خَلَصْنَ مِنَ الْبَلَايَا  
تَعَذَّبَ أَوْ تُنَلَّ كَانَتْ مَنَايَا  
أَتَى بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّ الْبَرَايَا  
مَضَى بِالْأَمْسِ لَوْ وُفِّقَتْ رَايَا

### فصل

وَالْفَرْقُ بَيْنَ رِقَّةِ الْقَلْبِ وَالْجُزَعِ: أَنْ الْجُزْعَ ضَعْفٌ فِي النَّفْسِ وَخَوْفٌ فِي الْقَلْبِ يَمِدُّهُ شِدَّةُ الطَّمَعِ وَالْحِرْصِ وَيَتَوْلَدُ مِنْ ضَعْفِ الْإِيمَانِ بِالْقَدْرِ، وَإِلَّا فَمَتَى عَلِمَ أَنَّ الْمَقْدَرَ كَائِنٌ وَلَا بُدَّ كَانَ الْجُزْعَ عِنَاءً مَحْضًا وَمُصِيبَةً ثَانِيَةً قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ \* لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴿ [الحديد: ٢٢-٢٣]، فَمَتَى آمَنَ الْعَبْدُ بِالْقَدْرِ وَعَلِمَ أَنَّ الْمُصِيبَةَ مَقْدَرَةٌ فِي الْحَاصِلِ وَالْغَائِبِ، لَمْ يَجْزَعْ، وَلَمْ يَفْرَحْ.

وَلَا يُنَافِي هَذَا رِقَّةَ الْقَلْبِ، فَإِنَّهَا نَاشِئَةٌ مِنْ صِفَةِ الرَّحْمَةِ الَّتِي هِيَ كَمَالٌ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ إِنَّمَا يَرْحَمُ مِنْ عِبَادِهِ الرَّحْمَاءَ، وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَرْقَ النَّاسِ قَلْبًا وَأَبْعَدَهُمْ مِنَ الْجُزَعِ، فَرِقَّةُ الْقَلْبِ رَحْمَةٌ وَرَأْفَةٌ، وَجُزَعُهُ مَرَضٌ وَضَعْفٌ.

فَالْجُزْعُ حَالٌ قَلْبٍ مَرِيضٍ بِالدُّنْيَا قَدْ غَشِيَهُ دُخَانُ النَّفْسِ الْأَمَارَةِ فَأَخَذَ بِأَنْفَاسِهِ وَضَيَّقَ عَلَيْهِ مَسَالِكَ الْأَخْرَةِ وَصَارَ فِي سَجْنِ الْهَوَى وَالنَّفْسِ وَهُوَ سَجْنُ ضَيْقِ الْأَرْجَاءِ مَظْلَمِ الْمَسَالِكِ، فَلَانْحِصَارِ الْقَلْبِ وَضَيْقِهِ يَجْزَعُ مِنْ أَدْنَى مَا يُصِيبُهُ وَلَا يَحْتَمِلُهُ، فَإِذَا أَشْرَقَ فِيهِ نُورُ الْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ بِالْوَعْدِ وَامْتَلَأَ مِنْ مَحَبَّةِ اللَّهِ وَإِجْلَالِهِ رَقَّ وَصَارَتْ فِيهِ

الرأفة وَالرَّحْمَةَ فتراه رَحِيمًا رَقِيقَ القلبِ بِكُلِّ ذِي قَرْبَى وَمُسْلِمٍ، يرحم النملة في جحرها وَالطير في وَكره فضلًا عَن بني جنسه، فَهَذَا أَقْرَبَ القُلُوبِ مِنَ اللَّهِ.

قَالَ أَنَسٌ كَانَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَزْحَمَ النَّاسِ بِالْعِيَالِ<sup>(١)</sup>.

وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْحَمَ عَبْدًا أَسْكَنَ فِي قَلْبِهِ الرَّأْفَةَ وَالرَّحْمَةَ، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَعْذِبَهُ نَزَعَ مِنْ قَلْبِهِ الرَّحْمَةَ وَالرَّأْفَةَ وَأَبْدَلَهُ بِهَا الْغُلْظَةَ وَالْقَسْوَةَ، وَفِي الْحَدِيثِ الثَّابِتِ: «لَا تَنْزِعِ الرَّحْمَةَ إِلَّا مِنْ شَقِيٍّ»<sup>(٢)</sup>.

وَفِيهِ: «مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يَرْحَمُ»<sup>(٣)</sup>.

وَفِيهِ: «ارْحَمُوا مِنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مِنْ فِي السَّمَاءِ»<sup>(٤)</sup>.

<sup>(١)</sup> أخرجه مسلم: (٢٣١٦).

<sup>(٢)</sup> (حسن لغيره) أخرجه أحمد: (٣٠١/٢)، وأبو داود: (٤٩٤٢)، والترمذي: (١٩٢٣) من طرق عن شعبة عن منصور عن أبي عثمان عن أبي هريرة به مرفوعًا، ورجال إسناده ثقات إلا أبا عثمان وهو التبان مولى المغيرة بن شعبة وقد روى عنه ثلاثة وذكر الحافظ ابن حجر في «التهذيب»: أن ابن حبان ذكره في الثقات فهو تابعي مستور.

والحديث له أصول وشواهد كثيرة في معناه فمن حسنه بها فلا بأس، وقد حسنه العلامة الألباني في «صحيح الأدب المفرد»: (٣٧٤/٢٨٨) وجزم ابن القيم هنا أنه حديث ثابت.

<sup>(٣)</sup> أخرجه البخاري: (٥٩٩٧)، ومسلم: (٢٣١٨) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأخرجه البخاري: (٦٠١٣) عن جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

<sup>(٤)</sup> (صحيح) أخرجه أحمد: (١٦٠/٢)، وأبو داود: (٤٩٤١)، والترمذي: (١٩٢٤)، وغيرهم من طرق عن سفيان عن عمرو بن دينار عن أبي قابوس مولى لعبد الله بن عمرو عن عبد الله بن عمرو به، وهذا إسناد رجاله ثقات إلا أبا قابوس فقد تفرد بالرواية عنه عمرو بن دينار وذكره ابن حبان في الثقات وقال ابن حجر: مقبول، وقال الذهبي في «الميزان»: لا يُعرف.

وَفِيهِ: «أهل الجنة ثلاثة: ذُو سُلْطَانٍ مَقْسُطٌ مُتَّصِدِقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ بِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٌ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ»<sup>(١)</sup>.

وَالصَّدِيقُ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** إِنَّمَا فَضَّلَ الْأُمَّةَ بِمَا كَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الرَّحْمَةِ الْعَامَّةِ زِيَادَةً عَلَى الصَّدِيقِيَّةِ، وَهَذَا ظَهَرَ أَثَرُهَا فِي جَمِيعِ مَقَامَاتِهِ، حَتَّى فِي الْأَسَارَى يَوْمَ بَدْرٍ وَاسْتَقَرَّ الْأَمْرُ عَلَى مَا أَشَارَ بِهِ<sup>(٢)</sup>.

وَضُرِبَ لَهُ النَّبِيُّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** مِثْلًا بِعِيسَى وَإِبْرَاهِيمَ<sup>(٣)</sup>.

\* وقد أخرجه أحمد: (١٦٥/٢) فقال: حدثنا يزيد أخبرنا حريز حدثنا حبان الشرعي عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً: «ارحموا تُرحموا...». وهذا إسناد صحيح رجال ثقات يزيد هو ابن هارون، وحريز هو ابن عثمان، وحبان هو ابن زيد الشرعي الحمصي ثقة - لكونه روى عنه حريز وقد قال أبو داود: مشايخ حريز ثقات - ولذا قال الحافظ: ثقة، وهو متابع لأبي قابوس في الإسناد الذي قبله وإن اختلف اللفظ شيئاً يسيراً فإنه بمعناه.

\* ومن شواهد الحديث ما أخرجه البخاري ومسلم عن أسامة بن زيد مرفوعاً: «إنما يرحم الله من عباده الرحماء».

وله شواهد كثيرة عن نَيْفٍ وعشرين صحابياً قاله ابن ناصر الدين الدمشقي كما في «السلسلة الصحيحة»: (٩٢٥): فالحديث صحيح والله أعلم.

<sup>(١)</sup> أخرجه مسلم: (٢٨٦٥) عن عياض بن همار المجاشعي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

<sup>(٢)</sup> أخرجه مسلم: (١٧٦٣) عن ابن عباس قال: حدثني عمر بن الخطاب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

<sup>(٣)</sup> أخرجه أحمد: (٣٨٣-٣٨٤)، وابن أبي شيبة في «مسنده»: (٢٤٤/١) من طريق أبي معاوية، وأخرجه أحمد: (٣٨٤/١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره»: (١٧٣١/٥) من طريق جرير بن حازم، كلاهما عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن عبد الله قال: فذكره ضمن حديث طويل في قصة أسارى بدر، وهذا إسناد رجاله ثقات رجال الشيخين إلا أنه منقطع، أبو عبيدة هو ابن عبد الله بن مسعود ولم يسمع من أبيه، نص عليه غير واحد من الأئمة كما في «جامع التحصيل».

\* وقد تويع أبو عبيدة، تابعه زر بن حبيش فرواه عن عبدالله بن مسعود مختصراً أخرجه الطبراني في «الكبير»: (١٤٣/١٠)، إلا أن هذه المتابعة من طريق موسى بن مطير وقد كذبه ابن معين وقال أبو حاتم والنسائي وجماعة: متروك كما في «لسان الميزان»، فهذه متابعة وجودها كعدمها.

\* وقد جاءت شواهد لتشبيه النبي ﷺ لأبي بكر بإبراهيم عليه الصلاة والسلام منها:

حديث ابن عباس أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة»: (١٤٢٤)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة»: (٢٥١٣)، وأبو نعيم في «الحلية»: (٣٠٤/٤)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق»: (١٢١/٣٠) من طرق عن أبي عامر العقدي - عبد الملك بن عمرو - حدثنا رباح بن أبي معروف عن سعيد بن عجلان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ: «أَلَا أُخْبِرُكُمَا بِمَثَلِكُمَا فِي الْمَلَائِكَةِ وَمَثَلِكُمَا فِي الْأَنْبِيَاءِ، أَمَّا مَثَلُكَ أَنْتَ يَا أَبَا بَكْرٍ فِي الْمَلَائِكَةِ كَمَثَلِ مِيكَائِيلَ يَنْزِلُ بِالرَّحْمَةِ، وَمَثَلُكَ فِي الْأَنْبِيَاءِ كَمَثَلِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ كَذَبَهُ قَوْمُهُ وَصَنَعُوا مَا صَنَعُوا، فَقَالَ: «فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي، وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ»، وَمَثَلُكَ يَا عُمَرُ فِي الْمَلَائِكَةِ كَمَثَلِ جِبْرِيلَ يَنْزِلُ بِالْبَأْسِ وَالشَّدَّةِ وَالنَّقْمَةِ عَلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ، وَمَثَلُكَ فِي الْأَنْبِيَاءِ مِثْلَ نُوحٍ إِذْ قَالَ: «رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا».

رباح بن أبي معروف فيه ضعف، وسعيد بن عجلان قال الأزدي: فيه نظر، وقال ابن حبان: يخطئ ويخالف، وبقية رجاله ثقات.

ومنها:

حديث أم سلمة أخرجه أحمد في «فضائل الصحابة»: (٣٠٠)، والطبراني في «الكبير»: (٢٣/٣١٥-٣١٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق»: (٦٠-٦١/٤٤) من طرق عن بشر بن عبيس حدثني النضر بن عربي الكوفي عن خارجة بن عبدالله عن عبدالله بن أبي سفيان عن أبيه عن أم سلمة أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ فِي السَّمَاءِ مَلَكَينِ، أَحَدُهُمَا يَأْمُرُ بِالشَّدَّةِ، وَالْآخَرُ يَأْمُرُ بِاللِّينِ، وَكُلُّ مُصِيبٍ: أَحَدُهُمَا جِبْرِيلُ، وَالْآخَرُ مِيكَائِيلُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَنَبِيَّانِ أَحَدُهُمَا يَأْمُرُ بِاللِّينِ، وَالْآخَرُ يَأْمُرُ بِالشَّدَّةِ، وَكُلُّ مُصِيبٍ إِبْرَاهِيمُ وَنُوحٌ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَلِي صَاحِبَانِ، أَحَدُهُمَا يَأْمُرُ بِاللِّينِ، وَالْآخَرُ يَأْمُرُ بِالشَّدَّةِ، وَكُلُّ مُصِيبٍ. وَذَكَرَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا».

وهذا إسناد لا بأس به رجاله ثقات إلا خارجة بن عبدالله الأنصاري فقال الحافظ: صدوق له وأوهام، وإلا عبدالله بن أبي سفيان، وقد روى عنه جمع وذكره ابن حبان في الثقات، وقال ابن القطان: لا يعرف حاله، وقال الذهبي: لا يعرف من هو.

ومنها:

والرب تَعَالَى هُوَ الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ، وَأَقْرَبُ الْخَلْقِ إِلَيْهِ أَعْظَمُهُمْ رَأْفَةً وَرَحْمَةً، كَمَا أَنَّ أَبْعَدَهُمْ مِنْهُ مَنْ اتَّصَفَ بِضِدِّ صِفَاتِهِ، وَهَذَا بَابٌ لَا يَلِجُهُ إِلَّا أَفْرَادٌ فِي الْعَالَمِ.

## فصل

وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْمَوْجِدَةِ وَالْحَقْدِ: أَنَّ الْوَجْدَ الْإِحْسَاسَ بِالْمَوْثُومِ وَالْعِلْمَ بِهِ وَتَحْرُكَ النَّفْسِ فِي دَفْعِهِ فَهُوَ كَمَا لَمْ، وَأَمَّا الْحَقْدُ فَهُوَ إِضْهَارُ الشَّرِّ، وَتَوْقُّعُهُ كُلَّ وَقْتٍ فِيمَنْ وَجَدْتَ عَلَيْهِ، فَلَا يَزِيلُ الْقَلْبَ أَثَرُهُ.

وَفَرْقٌ آخَرٌ وَهُوَ أَنَّ الْمَوْجِدَةَ لَمَّا يَنَالُكَ مِنْهُ، وَالْحَقْدَ لَمَّا يَنَالُهُ مِنْكَ؛ فَاَلْمَوْجِدَةُ وَجُودَ مَا نَالَكَ مِنْ أَذَاهُ، وَالْحَقْدَ تَوْقِعَ وَجُودَ مَا يَنَالُهُ مِنَ الْمُقَابَلَةِ، فَاَلْمَوْجِدَةُ سَرِيعَةُ الزَّوَالِ وَالْحَقْدُ بَطِيءُ الزَّوَالِ، وَالْحَقْدُ يَجِيءُ مَعَ ضَيْقِ الْقَلْبِ وَاسْتِيْلَاءِ ظِلْمَةِ النَّفْسِ وَدِخَانِهَا عَلَيْهِ بِخِلَافِ الْمَوْجِدَةِ فَإِنَّهَا تَكُونُ مَعَ قُوَّتِهِ وَصَلَابَتِهِ وَقُوَّةِ نُورِهِ وَإِحْسَاسِهِ.

حديث ابن عمر أخرجه ابن بشران في "الأملية" رقم: (٨٥٠) فقال: حدثنا حمزة بن محمد بن العباس حدثنا الحسن بن سلام حدثنا عبد الرحمن بن حفص حدثنا زياد يعني البكائي حدثنا عثمان بن عبد الرحمن عن الزهري عن سالم بن عبد الله بن عمر عن عبد الله بن عمر، قَالَ: لَمَّا اسْتَشَارَ النَّبِيُّ ﷺ النَّاسَ فِي أَسَارِي بَدْرٍ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَلَكَانِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ: أَحَدُهُمَا أَحَلَى مِنَ الشَّهَدِ، وَالْآخَرُ أَمْرٌ مِنَ الصَّبْرِ، فَأَمَّا النَّبِيَّانِ فَنُوحٌ إِذْ قَالَ: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ وَالْآخَرُ: إِبْرَاهِيمُ إِذْ يَقُولُ: ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، وَأَمَّا الْمَلَكَانِ فَجَبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، هَذَا صَاحِبُ الشَّدَةِ، وَهَذَا صَاحِبُ اللَّيْنِ، مِثْلُهُمَا مِنْ أُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ».

زياد البكائي هو ابن عبد الله فيه ضعف، وعبد الرحمن بن حفص وعثمان بن عبد الرحمن لم يتبين لي من هما. ووقع عند ابن بشران برقم: (٣٨٥) تسميته عمر بن عبد الرحمن، بدل عثمان ابن عبد الرحمن.

قلت: فتشبهه النبي ﷺ لأي بكر بإبراهيم، ثابت بمجموع هذه الطرق بلا شك، وأما تشبيهه له بعيسى فلم أقف عليه إلا في الطريق الأولى وتقدم أنها منقطعة، والله أعلم.

## فصل

وَالْفَرْقَ بَيْنَ الْمُنَافَسَةِ وَالْحَسَدِ: أَنَّ الْمُنَافَسَةَ الْمُبَادَرَةُ إِلَى الْكَمَالِ الَّذِي تَشَاهِدُهُ مِنْ غَيْرِكَ فَتُنَافِسُهُ فِيهِ حَتَّى تَلْحَقَهُ أَوْ تَجَاوِزَهُ فَهِيَ مِنْ شَرَفِ النَّفْسِ وَعُلُوِّ الْهَمَّةِ وَكِبَرِ الْقَدْرِ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

وَأَصْلُهَا مِنَ الشَّيْءِ النَّفِيسِ الَّذِي تَتَعَلَّقُ بِهِ النَّفُوسُ طَلَبًا وَرَغْبَةً، فَيُنَافِسُ فِيهِ كُلٌّ مِنَ النَّفْسِينَ الْأُخْرَى، وَرُبَّمَا فَرِحَتْ إِذَا شَارَكْتَهَا فِيهِ كَمَا كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَتَنَافَسُونَ فِي الْحَيْرِ وَيَفْرَحُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ بِاشْتِرَاكِهِمْ فِيهِ، بَلْ يَحْضُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَلَيْهِ مَعَ تَنَافُسِهِمْ فِيهِ وَهِيَ نَوْعٌ مِنَ الْمُسَابَقَةِ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْحَيَاتِ﴾ [البقرة: ١٤٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ﴾ [الحديد: ٢١].

وَكَانَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَسَابِقُ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَلَمْ يَظْفَرْ بِسَبْقِهِ أَبَدًا، فَلَمَّا عَلِمَ أَنَّهُ قَدْ اسْتَوْلَى عَلَى الْأَمْدِ قَالَ: وَاللَّهِ لَا أَسَابِقُكَ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا<sup>(١)</sup>.  
وَقَالَ: وَاللَّهِ مَا سَبَقْتَهُ إِلَى خَيْرٍ إِلَّا وَجَدْتَهُ قَدْ سَبَقَنِي إِلَيْهِ<sup>(٢)</sup>.  
وَالْمُنَافَسَانُ كَعَبْدَيْنِ بَيْنَ يَدَيْ سَيِّدِهِمَا يَتَبَارِعَانِ وَيَتَنَافَسَانِ فِي مَرْضَاتِهِ وَيَتَسَابِقَانِ إِلَى مَحَابِهِ فَيَسِيدُهُمَا يُعْجِبُهُ ذَلِكَ مِنْهُمَا وَيَحْتِثُّهَا عَلَيْهِ وَكُلٌّ مِنْهُمَا يَجِبُ الْآخَرَ وَيَحْرُضُهُ عَلَى مَرْضَاةِ سَيِّدِهِ.

(١) (حسن) تقدم ص (.)

(٢) (صحيح) تقدم ص (.)

والحسد: خلقُ نفسٍ ذميمةٍ وضيعةٍ ساقطةٍ، لیسَ فيها حرصٌ على الخير، فلعجزها ومهانتها تحسد من يكسب الخير والمحامد، ويفوز بها دونها وتتمنى أن لو فاته كسبها حتى يساويها في العدم كما قال تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ [النساء: ٨٩]، وقال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩].

فالحسود عدو النعمة متمن زوالها عن المحسود كما زالت عنه هو والمنافس سابق النعمة متمن تمامها عليه وعلى من ينافسه فهو ينافس غيره أن يعلو عليه ويحب لحاقه به أو مجاوزته له في الفضل، والحسود يحب انحطاط غيره حتى يساويه في النقصان، وأكثر النفوس الفاضلة الخيرة تتنفع بالمنافسة فمن نصب عينيه شخصاً من أهل الفضل والسبق فنافسه انتفع به كثيراً فإنه يتشبه به ويطلب اللحاق به والتقدم عليه وهذا لا نذمه.

وقد يطلق اسم الحسد على المنافسة المحمودة كما في الصحيح عن النبي ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وأطراف النهار، ورجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق»<sup>(١)</sup>، فهذا حسد منافسة وغبطة يدل على علو همة صاحبه وكبر نفسه وطلبها للتشبه بأهل الفضل.

(١) شرطه الأول عن ابن مسعود، وشرطه الثاني عن ابن عمر رضي الله عنهما.

\* فحديث ابن مسعود أخرجه البخاري: (٧٣)، ومسلم: (٨١٦)، ولفظه: «لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها».

\* وحديث ابن عمر أخرجه البخاري: (٥٠٢٥) ومسلم: (٨١٥) ولفظه: «لا حسد إلا على اثنتين: رجل آتاه الله القرآن، فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالا، فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار».



## فصل

وَالْفَرْقَ بَيْنَ حُبِّ الرِّيَاسَةِ وَحُبِّ الإِمَامَةِ لِلدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ: هُوَ الْفَرْقُ بَيْنَ تَعْظِيمِ أَمْرِ اللَّهِ وَالنَّصْحِ لَهُ، وَتَعْظِيمِ النَّفْسِ وَالسَّعْيِ فِي حِظِّهَا، فَإِنَّ النَّاصِحَ لِلَّهِ الْمُعْظِمَ لَهُ الْمُحِبَّ لَهُ يَجِبُ أَنْ يَطَاعَ رَبَّهُ فَلَا يَعْصِي، وَأَنْ تَكُونَ كَلِمَتُهُ الْعَلِيَا، وَأَنْ يَكُونَ الدِّينَ كُلَّهُ لِلَّهِ، وَأَنْ يَكُونَ الْعِبَادَ مِمْتَلِينَ أَوْامِرِهِ مَجْتَنِبِينَ نَوَاهِيهِ، فَقَدْ نَاصِحَ اللَّهُ فِي عِبُودِيتهِ وَنَاصِحَ خَلْقِهِ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ فَهُوَ يَجِبُ الإِمَامَةَ فِي الدِّينِ بَلْ يَسْأَلُ رَبَّهُ أَنْ يَجْعَلَهُ لِلْمُتَّقِينَ أَمَامًا يَقْتَدِي بِهِ الْمُتَّقُونَ كَمَا اقْتَدَى هُوَ بِالْمُتَّقِينَ، فَإِذَا أَحَبَّ هَذَا الْعَبْدَ الدَّاعِيَ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَكُونَ فِي أَعْيُنِ النَّاسِ جَلِيلًا وَفِي قُلُوبِهِمْ مَهِيْبًا وَإِلَيْهِمْ حَبِيْبًا، وَأَنْ يَكُونَ فِيهِمْ مُطَاعًا لِكَيْ يَأْتُمُوا بِهِ وَيَقْتَفُوا أَثَرَ الرَّسُولِ ﷺ عَلَى يَدِهِ لَمْ يَضُرَّهُ ذَلِكَ بَلْ يَحْمَدُ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ دَاعٍ إِلَى اللَّهِ يَجِبُ أَنْ يَطَاعَ وَيُعْبَدَ وَيُوحَدَ، فَهُوَ يَجِبُ مَا يَكُونُ عَوْنًا عَلَى ذَلِكَ مُوَصِّلًا إِلَيْهِ.

وَهَذَا ذَكَرَ سُبْحَانَهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ اخْتَصَمَهُ لِنَفْسِهِ وَأَثْنَى عَلَيْهِمْ فِي تَنْزِيلِهِ وَأَحْسَنَ جِزَاءَهُمْ يَوْمَ لِقَائِهِ فَذَكَرَهُمْ بِأَحْسَنِ أَعْمَالِهِمْ وَأَوْصَفَهُمْ ثُمَّ قَالَ: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا فُرْقَةً أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]، فَسَأَلُوهُ أَنْ يَقْرَأَ عَلَيْهِمْ بِطَاعَةِ أَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ لَهُ سُبْحَانَهُ، وَأَنْ يَسِرَ قُلُوبَهُمْ بِاتِّبَاعِ الْمُتَّقِينَ لَهُمْ عَلَى طَاعَتِهِ وَعِبُودِيتهِ، فَإِنَّ الإِمَامَ وَالْمُؤْتَمَّ مَتَعَاوِنَانِ عَلَى الطَّاعَةِ فَإِنَّمَا سَأَلُوهُ مَا يِعَانُونَ بِهِ الْمُتَّقِينَ عَلَى مَرْضَاتِهِ وَطَاعَتِهِ وَهُوَ دَعْوَتُهُمْ إِلَى اللَّهِ بِالإِمَامَةِ فِي الدِّينِ الَّتِي أُسَّسَهَا الصَّبْرُ وَالْيَقِينُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

فَسْأَلُوهُمْ: أَنْ يَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً لِلْمُتَّقِينَ هُوَ سُؤَالٌ أَنْ يَهْدِيَهُمْ وَيُوفِّقَهُمْ وَيَمُنَّ عَلَيْهِمْ بِالْعُلُومِ النَّافِعَةِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا الَّتِي لَا تَتِمُّ الإِمَامَةُ إِلَّا بِهَا.

وَتَأْمَلُ كَيْفَ نَسَبِهِمْ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ إِلَى اسْمِهِ الرَّحْمَنِ جَلَّ جَلَالُهُ لِيُعْلَمَ خَلْقُهُ أَنْ هَذَا إِنَّمَا نَالُوهُ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ وَمَحْضِ جُودِهِ وَمُنْتَهَى وَتَأْمَلُ كَيْفَ جَعَلَ جَزَاءَهُمْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ الْغُرْفِ وَهِيَ الْمَنَازِلُ الْعَالِيَّةُ فِي الْجَنَّةِ لَمَا كَانَتْ الْإِمَامَةَ فِي الدِّينِ مِنَ الرَّتَبِ الْعَالِيَّةِ بَلْ مِنْ أَعْلَى مَرْتَبَةٍ يَعْطَاهَا الْعَبْدُ فِي الدِّينِ كَانَ جَزَاؤُهُ عَلَيْهَا الْغُرْفَةُ الْعَالِيَّةُ فِي الْجَنَّةِ.

وَهَذَا بِخِلَافِ طَلَبِ الرِّيَاسَةِ: فَإِنَّ طُلَّابَهَا يَسْعُونَ فِي تَحْصِيلِهَا لِيَنَالُوا بِهَا أَغْرَاضَهُمْ مِنَ الْعُلُوفِ فِي الْأَرْضِ وَتَعْبُدِ الْقُلُوبَ هُمْ وَمِيلِهَا إِلَيْهِمْ وَمَسَاعِدَتِهِمْ هُمْ عَلَى جَمِيعِ أَغْرَاضِهِمْ مَعَ كَوْنِهِمْ عَالِينَ عَلَيْهِمْ قَاهِرِينَ هُمْ، فَتَرْتَبُ عَلَى هَذَا الطَّلَبِ مِنَ الْمَفَاسِدِ مَا لَا يُعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ مِنَ الْبَغْيِ، وَالْحَسَدِ، وَالطَّغْيَانِ، وَالْحَقْدِ، وَالظُّلْمِ، وَالْفِتْنَةِ، وَالْحَمِيَةِ لِلنَّفْسِ دُونَ حَقِّ اللَّهِ، وَتَعْظِيمِ مَنْ حَقَرَهُ اللَّهُ، وَاحْتِقَارِ مَنْ أَكْرَمَهُ اللَّهُ، وَلَا تَتِمُّ الرِّيَاسَةُ الدُّنْيَوِيَّةُ إِلَّا بِذَلِكَ وَلَا تَنَالُ إِلَّا بِهِ وَبِأَضْعَافِهِ مِنَ الْمَفَاسِدِ.

وَالرُّؤْسَاءُ فِي عَمَى عَنْ هَذَا فَإِذَا كَشَفَ الْغَطَاءَ تَبَيَّنَ لَهُمْ فَسَادُ مَا كَانُوا عَلَيْهِ وَلَا سِيَّامًا إِذَا حَشَرُوا فِي صُورِ الذَّرِّ يَطُؤُهُمْ أَهْلُ الْمَوْقِفِ بِأَرْجُلِهِمْ<sup>(١)</sup>؛ إِهَانَةً لَهُمْ وَتَحْقِيرًا وَتَصْغِيرًا كَمَا صَغُرُوا أَمْرَ اللَّهِ وَحَقَرُوا عِبَادَهُ.

<sup>(١)</sup> يشير إلى ما أخرجه الإمام أحمد: (١٧٩/٢)، والترمذي: (٢٤٩٢) من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال: «يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الناس يعلوهم كل شيء من الصغار...». وإسناده حسن.

وقد جاء بلفظ: «يُبْعَثُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاسًا فِي صُورِ الذَّرِّ، يَطُؤُهُمُ النَّاسُ بِأَفْدَامِهِمْ، فَيَقَالُ: مَا هَؤُلَاءِ فِي صُورِ الذَّرِّ؟ فَيَقَالُ: هَؤُلَاءِ الْمُتَكَبِّرُونَ فِي الدُّنْيَا». أخرجه البزار كما في كشف الأستار (٣٤٢٩) من طريق القاسم بن عبد الله، يعني: العُمَرِيُّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ، عَنْ جَابِرٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ. وإسناده ضعيف جدا القاسم بن عبد الله متروك وكذبه أحمد.

## فصل

وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْحَبِّ فِي اللَّهِ وَالْحَبِّ مَعَ اللَّهِ، وَهَذَا مِنْ أَهَمِّ الْفُرُوقِ وَكُلُّ أَحَدٍ مُحْتَاجٌ بِلِ  
مُضْطَرِّ إِلَى الْفَرْقِ بَيْنَ هَذَا وَهَذَا.

فَالْحَبُّ فِي اللَّهِ: هُوَ مِنْ كَمَالِ الْإِيمَانِ.

وَالْحَبُّ مَعَ اللَّهِ: هُوَ عَيْنُ الشَّرْكِ.

وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا: أَنَّ الْحَبَّ فِي اللَّهِ تَابِعٌ لِمَحَبَةِ اللَّهِ، فَإِذَا تَمَكَّنْتَ مَحَبَّتَهُ مِنْ قَلْبِ الْعَبْدِ  
أَوْجَبَتْ تِلْكَ الْمَحَبَّةَ أَنْ يَجِبَ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ، فَإِذَا أَحَبَّ مَا أَحَبَّهُ رَبُّهُ وَوَلِيَّهُ كَانَ ذَلِكَ الْحَبَّ لَهُ  
وَفِيهِ كَمَا يَجِبُ رَسَلُهُ وَأَنْبِيَآءُهُ وَمَلَائِكَتُهُ وَأَوْلِيَآئُهُ لِكَوْنِهِ تَعَالَى يُحِبُّهُمْ، وَيَبْغِضُ مَنْ يَبْغِضُهُ  
لِكَوْنِهِ تَعَالَى يَبْغِضُهُ.

وَعَلَامَةُ هَذَا الْحَبِّ وَالْبَغْضِ فِي اللَّهِ أَنَّهُ لَا يَنْقَلِبُ بَغْضُهُ لِبَغِيضِ اللَّهِ حَبًّا لِإِحْسَانِهِ  
إِلَيْهِ وَخِدْمَتِهِ لَهُ وَقَضَاءِ حَوَائِجِهِ، وَلَا يَنْقَلِبُ حُبُّهُ لِحُبِّ اللَّهِ بَغْضًا إِذَا وَصَلَ إِلَيْهِ مِنْ  
جِهَتِهِ مَا يَكْرَهُهُ وَيُؤَلِّمُهُ إِمَّا خَطَأً وَإِمَّا عَمْدًا، مُطِيعًا لِلَّهِ فِيهِ، أَوْ مُتَأَوَّلًا وَمُجْتَهِدًا، أَوْ بَاغِيًا  
نَازِعًا تَائِبًا.

وَالدِّينُ كُلُّهُ يَدُورُ عَلَى أَرْبَعِ قَوَاعِدٍ حُبٌّ وَبَغْضٌ، وَبِتَرْتِّبِ عَلَيْهِمَا فَعَلٌ وَتَرْكٌ، فَمَنْ  
كَانَ حُبُّهُ وَبَغْضُهُ وَفَعَلُهُ وَتَرْكُهُ لِلَّهِ فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ بِحَيْثُ إِذَا أَحَبَّ أَحَبَّ لِلَّهِ، وَإِذَا  
أَبْغَضَ أَبْغَضَ لِلَّهِ، وَإِذَا فَعَلَ فَعَلَ لِلَّهِ، وَإِذَا تَرَكَ تَرَكَ لِلَّهِ، وَمَا نَقَصَ مِنْ إِضَافَةِ هَذِهِ  
الْأَرْبَعَةِ إِلَى اللَّهِ نَقَصَ مِنْ إِيْمَانِهِ وَدِينِهِ بِحَسْبِهِ.

وَهَذَا بِخِلَافِ الْحَبِّ مَعَ اللَّهِ فَهُوَ نَوْعَانِ: يَقْدَحُ فِي أَصْلِ التَّوْحِيدِ وَهُوَ شَرْكٌ، وَنَوْعٌ  
يَقْدَحُ فِي كَمَالِ الْإِحْلَاصِ وَمَحَبَةِ اللَّهِ وَلَا يَخْرُجُ مِنَ الْإِسْلَامِ.

فَالْأَوَّلُ: كَمَحَبَةِ الْمُشْرِكِينَ لِأَوْثَانِهِمْ وَأَنْدَادِهِمْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ  
مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، فَهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ يَجِبُونَ أَوْثَانَهُمْ

وأصنامهم وأهلتهم مع الله كما يحبون الله، فهذه محبة تأله وموالاته يتبعها الخوف والرجاء والعبادة والدعاء، وهذه المحبة هي محض الشرك الذي لا يغفره الله ولا يتم الإيمان إلا بمعاداة هذه الأنداد وشدة بغضها وبغض أهلها ومعاداتهم ومحاربتهم وبذلك أرسل الله جميع رسله، وأنزل جميع كتبه، وخلق النار لأهل هذه المحبة الشركية، وخلق الجنة لمن حارب أهلها وعاداهم فيه وفي مرضاته، فكل من عبد شيئاً من لدن عرشه إلى قرار أرضه فقد اتخذ من دونه إلهاً وولياً وأشرك به كائناً ذلك المعبود ما كان ولا بُد أن يتبرأ منه أحوج ما كان إليه.

**والتَّوَعُّبُ الثَّانِي:** محبة ما زينه الله للنفوس من النساء، والبنين، والذهب، والفضة، والخبث المسومة، والأنعام، والحرث، فيحبها محبة شهوة كمحبة الجائع للطعام والظمان للماء، فهذه المحبة ثلاثة أنواع:

فإن أحبها الله توصلاً بها إليه واستعانة على مرضاته وطاعته أثيب عليها وكانت من قسم الحب لله، فيثاب عليها، ويلتذ بالتمتع بها، وهذا حاله أكمل الخلق الذي (حب إليه من الدنيا النساء والطيب)<sup>(١)</sup>.

<sup>(١)</sup> (صحيح لغيره) أخرج الإمام أحمد: (١٢٨/٣)، والنسائي: (٣٩٣٩)، والبيهقي: (٧٨/٧) من طرق عن سلام أبي المنذر عن ثابت عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «حب إلي من الدنيا: النساء والطيب وجعل قرعة عيني في الصلاة».

وهذا إسناد حسن فإن سلام أبا المنذر صدوق، قال الذهبي: أخرجه النسائي وإسناده قوي. «الميزان» ترجمة سلام، وحسنه الحافظ في «التلخيص الحبير»: (٤٢٩/٣).

\* وقد توبع سلام على روايته هذا الحديث تابعه جعفر بن سليمان الضبعي فرواه عن ثابت به، أخرجه النسائي: (٣٩٤٠)، والحاكم: (١٦٠/٢) ولكن رواية جعفر عن ثابت متكلم فيها قال ابن المديني كما في «سير أعلام النبلاء»: (١٧٦/٨): أكثر عن ثابت البناني وكتب عنه مراسيل فيها مناكير.

- \* وتابعه أيضاً سلام ابن أبي الصهباء أخرجه أبو الشيخ في أخلاق "النبي وآدابه": (٢٣١)، وسلام هذا قال عنه أبو حاتم: شيخ، وقال البخاري: منكر الحديث، فهؤلاء ثلاثة يروون الحديث عن ثابت عن أنس مرفوعاً، وخالفهم حماد بن زيد ومحمد بن عثمان - كما في "العلل" للدارقطني - فروياه عن ثابت مرسلًا وهما أرجح ممن تقدم ولذا قال الدارقطني في "العلل": (١٢/٤٠-٤١): المرسل أشبه بالصواب.
- \* وللحديث طريق أخرى: أخرجه النسائي: (٣٥٦٤)، وأبو الشيخ في "أخلاق النبي وآدابه": (٤٤٥) من طريق أحمد بن حفص قال: حدثني أبي قال: حدثني إبراهيم بن طهمان عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس قال: لم يكن شيء أحب إلى رسول الله ﷺ بعد النساء من الخيل. وهذا إسناد حسن.
- \* وله شاهد عن معقل بن يسار أخرجه أحمد: (٢٧/٥)، وإسناده ضعيف من طريق أبي هلال الراسي محمد بن سليم وهو ضعيف، وفيه انقطاع بين قتادة ومعقل بن يسار، وقد جاء في بعض الطرق ذكر الوسطة بين قتادة ومعقل بن يسار وأنه الحسن، ولكن الطريق المنقطعة أرجح. انظر "علل الدارقطني": (١٢/١٤٩).
- \* والفقرة الأخيرة في الحديث: «جُعِلت قرّة عيني في الصلاة». ثابتة من طريق أخرى:
- \* فقد أخرجه الطبراني في "الصغير": (٧٤١) والخطيب في "تاريخ بغداد": (١٤/١٩٠)، والضياء في "المختارة": (١٥٣٣)، وغيرهم من طرق عن يحيى بن عثمان الحربي حدثنا الهقل عن الأوزاعي عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس: أن رسول الله ﷺ قال: «جعل قرّة عيني في الصلاة».
- وهذا إسناد حسن من أجل يحيى بن عثمان الحربي فإنه صدوق، وقد تكلم في روايته عن الهقل بن زياد، ولكنه متابع فقد تابعه عمرو بن هاشم البيروتي أخرجه الضياء في "المختارة": (١٥٣٢)، وعمرو بن هاشم صدوق.
- \* وقد روي مرسلًا أخرجه الخطيب في "تاريخ بغداد": (١٤/١٩٠) من طريق الوليد بن مسلم قال: حدثني الأوزاعي عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة به مرسلًا.
- والذي يظهر لي أن الموصول أصح فإن الذي رواه كذلك هقل بن زياد وهو أثبت الناس في الأوزاعي - نص عليه أحمد وأبو زرعة وأبو مسهر وغيرهم كما في "تهذيب الكمال" -.
- \* وله شاهد عن المغيرة بن شعبة أخرجه الطبراني في "الكبير": (٢٠/٤٢٠) فقال: حدثنا حفص بن عمر الرقي ومحمد بن الحسن بن كيسان المصيبي قالوا: حدثنا أبو حذيفة حدثنا سفيان عن زياد بن علاقة عن المغيرة بن شعبة قال: قال رسول الله ﷺ: «جُعِلت قرّة عيني في الصلاة».

وَكَانَتْ مَحَبَّتُهُ لَهَا عَوْنًا لَهُ عَلَى مَحَبَّةِ اللَّهِ وَتَبْلِيغِ رِسَالَاتِهِ وَالْقِيَامِ بِأَمْرِهِ.  
وَإِنْ أَحْبَبَهَا لِمُوافَقَةِ طَبْعِهِ وَهَوَاهُ وَإِرَادَتِهِ وَلَمْ يُؤْثِرْهَا عَلَى مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ؛ بَلْ نَالَهَا  
بِحُكْمِ الْمِيلِ الطَّبِيعِيِّ كَانَتْ مِنْ قِسْمِ الْمُبَاحَاتِ وَلَمْ يُعَاقَبْ عَلَى ذَلِكَ وَلَكِنْ يَنْقُصُ مِنْ  
كَمَالِ مَحَبَّتِهِ لِلَّهِ وَالْمَحَبَّةِ فِيهِ، وَإِنْ كَانَتْ هِيَ مَقْصُودَهُ وَمَرَادَهُ، وَسَعِيهِ فِي تَحْصِيلِهَا وَالظَّفَرِ  
بِهَا وَقَدَمِهَا عَلَى مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ مِنْهُ كَانَ ظَالِمًا لِنَفْسِهِ مُتَّبِعًا لِهَوَاهُ.

فَالأولى: مَحَبَّةُ السَّابِقِينَ.

وَالثَّانِيَّةُ: مَحَبَّةُ الْمُقْتَصِدِينَ.

وَالثَّالِثَةُ: مَحَبَّةُ الظَّالِمِينَ.

وهذا إسناد رجاله كلهم ثقات إلا أبا حذيفة وهو موسى بن مسعود النهدي فإنه صدوق سيء الحفظ وكان  
يُصَحِّفُ -قاله الحافظ-، وأما محمد بن الحسن بن كيسان فهو بصري صالح -قاله الدارقطني- إلا أنه  
وقع هنا مقرونًا بحفص بن عمر وقد وثقه الدارقطني.

\* وأما محبته ﷺ للطيب فهو أمر مشهور عند من عرف سيرته عليه الصلاة والسلام ففي "صحيح  
البخاري" عن أنس: أن رسول الله ﷺ: كان لا يرد الطيب.

وأخرج أبو داود: (٤١٦٢)، والترمذي في "الشمال": (٢١٧) من طرق عن عبدالله بن مختار عن موسى بن  
أنس عن أبيه قال: كانت لرسول الله ﷺ سكة يتطيب منها. وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم.

وفي صحيح البخاري: (١٥٣٩) ومسلم: (٢٨٣٨/١١٩٠) عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا  
أراد أن يجرم يتطيب بأطيب ما يجد. هذا لفظ مسلم.

وفي "صحيح مسلم": (٢٢٥٤) عن نافع، قال: كان ابن عمر إذا استجمر استجمر بالألوة غير مطراة،  
وبكافور يطرحه مع الألوة ثم قال: هكذا كان يستجمر رسول الله ﷺ.

وغيرها من الأحاديث كثير، وقد عقد أبو الشيخ الأصبهاني في كتابه "أخلاق النبي وآدابه": (٤٩/٢)، بابًا  
في ذكر محبته للطيب وتطيبه ﷺ ثم ذكر جملة من الأحاديث، وقبله الترمذي في "الشمال" باب ما جاء في  
تعطر رسول الله ﷺ وذكر جملة من الأحاديث، وكذلك غيرهم، فالحديث بهذه الطرق والشواهد  
صحيح لغيره والله أعلم.

فَتأمل هَذَا الموضع وَمَا فِيهِ من الجَمع وَالفرق فَإِنَّهُ معترك النَّفس الأَمارة والمطمئنة،  
والمُهْدِي من هداه الله.

### فصل

وَالفرق بَيْن التَّوَكُّلِ وَالعجز: أَنَّ التَّوَكُّلَ عمل القلب وعبوديته اعْتِمَادًا على الله وثقة بِهِ والتجاء إِلَيْهِ وتفويضًا إِلَيْهِ ورضا بِمَا يَقْضِيهِ لَهُ لِعلمه بكفايته سُبحَانَهُ وَحَسَن اختياره لِعَبْدِهِ إِذَا فوض إِلَيْهِ مَعَ قِيَامِهِ بالأسباب المأمور بِهَا واجتهاده فِي تَحْصِيلِهَا فقد كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أعظم المتوكلين على الله، وَكَانَ يلبس لِأُمَّتِهِ وَدِرْعَهُ<sup>(١)</sup>، بل ظاهِر يَوْمَ أحد بَيْن درعين<sup>(٢)</sup>، واختفى فِي العَارِ ثَلَاثًا<sup>(٣)</sup>، فَكَانَ متوكلًا فِي السَّبَبِ لَا على السَّبَبِ.

<sup>(١)</sup> (صحيح) أخرج الإمام أحمد: (٣/٣٥١)، بإسناد رجاله ثقات عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله -في سياق غزوة أحد-: فلبس رسول الله ﷺ لِأُمَّتِهِ.... إنه ليس لنبِيِّ إِذَا لبس لِأُمَّتِهِ أن يضعها. ورجال إسناده ثقات، إلا أن فيه عنعنة أبي الزبير وهو مدلس، لكن ذكر الحافظ ابن حجر أن أبا الزبير قد صرح بالتحديث في بعض روايات أحمد. انظر «الفتح»: (١٢/٥٢٧) عند حديث رقم: (٧٠٣٥)، فعلى هذه الرواية يكون الإسناد صحيحًا.

\* وللحديث شاهد عن ابن عباس وفيه: فما زالوا به حتى لبس أداته.... أخرجه الحاكم: (١٢٨-١٢٩)، ومن طريقه البيهقي: (٧/٤١) من طريق ابن أبي الزناد عن أبيه عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ورجال إسناده ثقات إلا ابن أبي الزناد وهو عبد الرحمن ففيه ضعف.

<sup>(٢)</sup> (صحيح) أخرجه الترمذي في «الشائل»: (١١٢)، وابن ماجه: (٢٨٠٦)، والنسائي في «الكبرى»: (٨٥٨٣) من طرق عن سفيان بن عيينة عن يزيد بن خصيفة عن السائب بن يزيد: أن النبي ﷺ كان عليه يوم أحد درعان قد ظاهر بينهما. وإسناده صحيح على شرط مسلم.

<sup>(٣)</sup> أخرجه البخاري: (٣٩٠٥) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ضمن حديث طويل في قصة الهجرة إلى المدينة.

وَأَمَّا الْعَجْزُ فَهُوَ تَعْطِيلُ الْأَمْرَيْنِ أَوْ أَحَدَهُمَا، فَإِمَّا أَنْ يَعْطِلَ السَّبَبَ عَجْزًا عَنْهُ وَيَزْعُمُ أَنْ ذَلِكَ تَوَكُّلٌ. وَلِعَمْرُ اللَّهِ إِنَّهُ لِعَجْزٍ وَتَفْرِيطٍ، وَإِمَّا أَنْ يَقُومَ بِالسَّبَبِ نَاطِرًا إِلَيْهِ مُعْتَمِدًا عَلَيْهِ غَافِلًا عَنِ الْمُسَبَّبِ مَعْرُضًا عَنْهُ وَإِنْ خَطَرَ بِبَالِهِ لَمْ يَثْبِتْ مَعَهُ ذَلِكَ الْخَاطِرَ وَلَمْ يَلْقَ قَلْبَهُ بِهِ تَعَلُّقًا تَامًا بِحَيْثُ يَكُونُ قَلْبُهُ مَعَ اللَّهِ وَبَدَنُهُ مَعَ السَّبَبِ فَهَذَا تَوَكُّلُهُ عَجْزٌ وَعَجْزُهُ تَوَكُّلٌ.

وَهَذَا مَوْضِعٌ انْقَسَمَ فِيهِ النَّاسُ طَرَفَيْنِ وَوَسَطًا فَأَحَدُ الطَّرَفَيْنِ عَطَلَ الْأَسْبَابَ مُحَافِظَةً عَلَى التَّوَكُّلِ، وَالثَّانِي: عَطَلَ التَّوَكُّلَ مُحَافِظَةً عَلَى السَّبَبِ، وَالْوَسْطُ عَلِمَ أَنَّ حَقِيقَةَ التَّوَكُّلِ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِالْقِيَامِ بِالسَّبَبِ، فَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ فِي نَفْسِ السَّبَبِ.

وَأَمَّا مَنْ عَطَلَ السَّبَبَ وَزَعَمَ أَنَّهُ مَتَوَكَّلٌ فَهُوَ مَغْرُورٌ مَخْدُوعٌ مَتَمَنُّ كَمَنْ عَطَلَ النَّكَاحَ وَالتَّسْرِيَّ وَتَوَكَّلَ فِي حُصُولِ الْوَلَدِ وَعَطَلَ الْحَرْثَ وَالْبَذْرَ، وَتَوَكَّلَ فِي حُصُولِ الزَّرْعِ وَعَطَلَ الْأَكْلَ وَالشَّرْبَ، وَتَوَكَّلَ فِي حُصُولِ الشَّبَعِ وَالرِّيِّ، فَالتَّوَكُّلُ نَظِيرُ الرَّجَاءِ، وَالْعَجْزُ نَظِيرُ التَّمَنِّيِّ.

فحقيقة التَّوَكُّلِ: أَنْ يَتَّخِذَ الْعَبْدُ رَبَّهُ وَكَيْلًا لَهُ قَدْ فَوَّضَ إِلَيْهِ كَمَا يُفَوِّضُ الْمُوَكَّلُ إِلَى وَكَيْلِهِ الْعَالَمَ بِكِفَايَتِهِ وَنَهْضَتِهِ، وَنَصَحِهِ وَأَمَانَتِهِ، وَخَبْرَتِهِ وَحَسَنَ اخْتِيَارِهِ، وَالرَّبُّ سُبْحَانَهُ قَدْ أَمَرَ عَبْدَهُ بِالْإِحْتِيَالِ وَتَوَكُّلِ لَهُ أَنْ يَسْتَخْرِجَ لَهُ مِنْ حِيلَتِهِ مَا يَصْلِحُهُ فَأَمْرُهُ أَنْ يَحْرَثَ وَيَبْذُرَ وَيَسْعَى وَيَطْلُبُ رِزْقَهُ فِي ضَمَنِ ذَلِكَ كَمَا قَدَرَهُ سُبْحَانَهُ وَدَبَّرَهُ وَاقْتَضَتْهُ حِكْمَتُهُ، وَأَمْرُهُ أَنْ لَا يَلْقَى قَلْبَهُ بِغَيْرِهِ بَلْ يَجْعَلُ رَجَاءَهُ لَهُ وَخَوْفَهُ مِنْهُ وَثِقَتَهُ بِهِ وَتَوَكُّلَهُ عَلَيْهِ، وَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ الْمَلِيَّ بِالْوَكَاةِ الْوَفِيِّ بِالْكَفَالَةِ.

فالعاجز من رمي هذا كله وراء ظهره وقعد كسلان طالبًا للراحة مؤثرًا للدعة يقول: الرزق يطلب صاحبه كما يطلبه أجله، وسيأتيني ما قدر لي على ضعفي ولن أنال ما لم يقدر لي مع قوتي، ولو إني هربت من رزقي كما هرب من الموت للحقني فيقال له:



نعم هَذَا كُلُّهُ حَقٌّ وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ الرِّزْقَ مُقَدَّرٌ فَمَا يَدْرِيكَ كَيْفَ قَدَرَ لَكَ بِسَعِيكَ أَمْ بِسَعِي غَيْرِكَ، وَإِذَا كَانَ بِسَعِيكَ فَبِأَيِّ سَبَبٍ وَمِنْ أَيِّ جِهَةٍ، وَإِذَا خَفِيَ عَلَيْكَ هَذَا كُلُّهُ فَمَنْ أَيْنَ عَلِمْتَ أَنَّهُ يَقْدِرُ لَكَ إِتْيَانَهُ عَفْوًا بِلَا سَعِي وَلَا كَدٍ، فَكَمْ مِنْ شَيْءٍ سَعَيْتَ فِيهِ فَقُدِّرَ لغيرِكَ رِزْقًا، وَكَمْ مِنْ شَيْءٍ سَعَى فِيهِ غَيْرُكَ فَقُدِّرَ لَكَ رِزْقًا، فَإِذَا رَأَيْتَ هَذَا عَيَانًا فَكَيْفَ عَلِمْتَ أَنَّ رِزْقَكَ كُلَّهُ بِسَعِي غَيْرِكَ.

وَأَيْضًا فَهَذَا الَّذِي أوردته عَلَيْكَ النَّفْسُ يَجِبُ عَلَيْكَ طرده فِي جَمِيعِ الْأَسْبَابِ مَعَ مَسبباتها حَتَّى فِي أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ وَالنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ، فَهَلْ تُعْطِلُهَا اعْتِمَادًا عَلَى التَّوَكُّلِ أَمْ تَقُومُ بِهَا مَعَ التَّوَكُّلِ؟

بلى لِنِ تَخْلُوِ الْأَرْضَ مِنْ مَتَوَكِّلٍ صَبَرَ نَفْسَهُ لِلَّهِ وَمَلَأَ قَلْبَهُ مِنَ الثِّقَةِ بِهِ وَرَجَاءِهِ وَحَسَنِ الظَّنِّ بِهِ فَضَاقَ قَلْبُهُ مَعَ ذَلِكَ عَنِ مُبَاشَرَةِ بَعْضِ الْأَسْبَابِ فَسَكَنَ قَلْبُهُ إِلَى اللَّهِ وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ وَوَثِقَ بِهِ، وَكَانَ هَذَا مِنْ أَقْوَى أَسْبَابِ حُصُولِ رِزْقِهِ فَلَمْ يَعْطِلِ السَّبَبَ وَإِنَّمَا رَغِبَ عَنِ سَبَبٍ إِلَى سَبَبٍ أَقْوَى مِنْهُ فَكَانَ تَوَكُّلُهُ أَوْثَقَ الْأَسْبَابِ عِنْدَهُ فَكَانَ اشْتِغَالَ قَلْبِهِ بِاللَّهِ وَسُكُونُهُ إِلَيْهِ وَتَضَرُّعُهُ إِلَيْهِ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ اشْتِغَالِهِ بِسَبَبٍ يَمْنَعُهُ مِنْ ذَلِكَ أَوْ مِنْ كَمَالِهِ. فَلَمْ يَتَسَّعِ قَلْبُهُ لِلْأَمْرَيْنِ فَأَعْرَضَ أَحدهمَا إِلَى الْآخَرِ، وَلَا رَيْبَ أَنَّ هَذَا أَكْمَلُ حَالًا مِمَّنْ امْتَنَأَ قَلْبَهُ بِالسَّبَبِ وَاشْتَغَلَ بِهِ عَنِ رَبِّهِ.

وَأَكْمَلُ مِنْهُمَا مِنْ جَمْعِ الْأَمْرَيْنِ وَهِيَ حَالُ الرُّسُلِ وَالصَّحَابَةِ فَقَدْ كَانَ زَكَرِيَّا نَجَارًا<sup>(١)</sup>، وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ نوحًا أَنْ يَصْنَعَ السَّفِينَةَ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الصَّحَابَةِ مَنْ يَعْطِلُ السَّبَبَ اعْتِمَادًا عَلَى التَّوَكُّلِ بَلْ كَانُوا أَقْوَمَ النَّاسِ بِالْأَمْرَيْنِ أَلَا تَرَى أَنَّهُمْ بَدَلُوا جَهْدَهُمْ فِي مُحَارَبَةِ

(١) أخرجه مسلم: (٢٣٧٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كان زكرياء نجارًا».

أَعْدَاءَ الدِّينِ بِأَيْدِيهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ وَقَامُوا فِي ذَلِكَ بِحَقِيقَةِ التَّوَكُّلِ وَعَمَرُوا أَمْوَالَهُمْ وَأَصْلَحُواهَا وَأَعَدُّوا لِأَهْلِهِمْ كِفَايَتَهُمْ مِنَ الْقُوَّةِ بِسَيِّدِ الْمُتَوَكِّلِينَ صَلَوَاتِ اللَّهِ وَسَلَامِهِ عَلَيْهِ.

### فصل

وَالْفَرْقَ بَيْنَ الْإِحْتِيَاظِ وَالْوَسُوسَةِ: أَنَّ الْإِحْتِيَاظَ الْإِسْتِقْصَاءَ وَالْمُبَالَغَةَ فَيَأْتِبَاعِ السَّنَةِ وَمَا كَانَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ مِنْ غَيْرِ غُلُوٍّ وَمَجَاوِزَةٍ وَلَا تَقْصِيرٍ وَلَا تَفْرِيطٍ فَهَذَا هُوَ الْإِحْتِيَاظُ الَّذِي يَرْضَاهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ.

وَأَمَّا الْوَسُوسَةُ: فَهِيَ ابْتِدَاعُ مَا لَمْ تَأْتِ بِهِ السَّنَةُ وَلَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَا أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ زَاعِمًا أَنَّهُ يَصِلُ بِذَلِكَ إِلَى تَحْصِيلِ الْمَشْرُوعِ وَضَبْطِهِ كَمَنْ يَخْتَاظُ بِزَعْمِهِ وَيَغْسِلُ أَعْضَاءَهُ فِي الْوُضُوءِ فَوْقَ الثَّلَاثَةِ فَيَسْرِفُ فِي صَبِّ الْمَاءِ فِي وَضُوئِهِ وَغَسَلِهِ وَيَصْرَحُ بِالتَّلْفِظِ بِنِيَةِ الصَّلَاةِ مَرَارًا أَوْ مَرَّةً وَاحِدَةً، وَيَغْسِلُ ثِيَابَهُ مِمَّا لَا يَتَيَقَّنُ نَجَاسَتَهُ احْتِيَاظًا، وَيَرْغَبُ عَنِ الصَّلَاةِ فِي نَعْلِهِ احْتِيَاظًا، إِلَى أَضْعَافٍ أَضْعَافٍ هَذَا مِمَّا اتَّخَذَهُ الْمُسُوسُونَ دِينًا وَزَعَمُوا أَنَّهُ احْتِيَاظٌ، وَقَدْ كَانَ الْإِحْتِيَاظُ اتِّبَاعَ هَدْيِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَا كَانَ عَلَيْهِ أَوْلَى بِهِمْ<sup>(١)</sup>، فَإِنَّهُ الْإِحْتِيَاظُ الَّذِي مِنْ خَرَجٍ عَنْهُ فَقَدْ فَارَقَ الْإِحْتِيَاظَ وَعَدَلَ عَنِ سَوَاءِ الصِّرَاطِ، فَالْإِحْتِيَاظُ كُلُّ الْإِحْتِيَاظِ الْخُرُوجِ عَنِ خِلَافِ السَّنَةِ وَلَوْ خَالَفَتْ أَكْثَرُ أَهْلِ الْأَرْضِ بَلْ كَلِمِهِمْ.

### فصل

(١) كذا في الأصل، وفي (ش) (وقد كان الاحتياط في اتباع هدي رسول الله) وفي (ف) (وقد كان اتباع هدي رسول الله).

والفرق بين إلهام الملك وإلقاء الشيطان من وجوه:

منها: أن ما كان لله موافقاً لمرضاته، وما جاء به رسوله فهو من الملك، وما كان لغيره غير موافق لمرضاته فهو من القاء الشيطان.

ومنها: أن ما أثمر إقبالاً على الله وإنابة إليه وذكر له وهمة صاعدة إليه فهو من القاء الملك، وما أثمر ضد ذلك فهو من القاء الشيطان.

ومنها: أن ما أورث أنساً ونوراً في القلب وانسراحاً في الصدر فهو من الملك وما أورث ضد ذلك فهو من الشيطان.

ومنها: أن ما أورث سكيناً وطمأنينة فهو من الملك، وما أورث قلقاً وانزعاجاً واضطراباً فهو من الشيطان، فالإلهام الملكي يكثر في القلوب الطاهرة النقية التي قد استنارت بنور الله فللملك بها اتصال وبينه وبينها مناسبة فإنه طيب طاهر لا يجاور إلا قلباً يناسبه فتكون لمة الملك بهذا القلب أكثر من لمة الشيطان، وأما القلب المظلم الذي قد اسود بدخان الشهوات والشبهات فإلقاء الشيطان [و] لمة به أكثر من لمة الملك.

## فصل

والفرق بين الاقتصاد والتقصير: أن الاقتصاد هو التوسط بين طرفي الإفراط والتفريط، وله طرفان هما ضدان له تقصير ومجازة.

فالمتصد قد أخذ بالوسط وعدل عن الطرفين، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسِطِ ﴾ [الإسراء: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا

وَلَا تُشْرِكُوا ﴿ [الأعراف: ٣١]، وَالَّذِينَ كُلَّهُ بَيْنَ هَذَيْنِ الطَّرْفَيْنِ بِلِ الْإِسْلَامِ قَصْدٌ بَيْنَ الْمَلَلِ،  
وَالسُّنَّةُ قَصْدٌ بَيْنَ الْبِدْعِ، وَدِينُ اللَّهِ بَيْنَ الْغَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ.

وَكَذَلِكَ الْاجْتِهَادُ هُوَ بَذَلُ الْجُهْدِ فِي مُوَافَقَةِ الْأَمْرِ، وَالْغُلُوُّ مَجَاوِزَتُهُ وَتَعَدُّيهِ، وَمَا أَمَرَ  
اللَّهُ بِأَمْرٍ إِلَّا وَلِلشَّيْطَانِ فِيهِ نَزْعَتَانِ: فِيمَا إِلَى غُلُوٍّ وَمَجَاوِزَةٍ، وَإِمَا إِلَى تَفْرِيطٍ وَتَقْصِيرٍ. وَهُمَا  
أَفْتَانٌ لَا يَخْلُصُ مِنْهُمَا فِي الْإِعْتِقَادِ وَالْقَصْدِ وَالْعَمَلِ إِلَّا مَنْ مَشَى خَلْقَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ  
وَتَرَكَ أَقْوَالَ النَّاسِ وَأَرَءَاهُمْ لَمَّا جَاءَ بِهِ، لَا مَنْ تَرَكَ مَا جَاءَ بِهِ لِأَقْوَاهُمْ وَأَرَءَاهُمْ.

وَهَذَانِ الْمَرْضَانِ الْمُخْطِرَانِ قَدْ اسْتَوْلِيَا عَلَى أَكْثَرِ بَنِي آدَمَ وَهَذَا حَذْرُ السَّلَفِ مِنْهُمَا  
أَشَدُّ التَّحْذِيرِ وَخَوْفُوا مِنْ بُلِيٍّ بِأَحَدِهِمَا بِالْهَلَاكِ، وَقَدْ يَجْتَمِعَانِ فِي الشَّخْصِ الْوَاحِدِ كَمَا  
هُوَ الْحَالُ أَكْثَرَ الْخَلْقِ يَكُونُ مَقْصَرًا مَفْرَطًا فِي بَعْضِ دِينِهِ غَالِيًا مَتَجَاوِزًا فِي بَعْضِهِ  
وَالْمُهْدِي مِنْ هِدَاةِ اللَّهِ.

### فصل

وَالْفَرْقُ بَيْنَ النَّصِيحَةِ وَالتَّأْنِيبِ: أَنَّ النَّصِيحَةَ إِحْسَانٌ إِلَى مَنْ تَنْصَحُهُ بِصُورَةِ الرَّحْمَةِ  
لَهُ وَالشَّفِيقَةَ عَلَيْهِ وَالغَيْرَةَ لَهُ وَعَلَيْهِ فَهُوَ إِحْسَانٌ مَحْضٌ يَصْدُرُ عَنِ الرَّحْمَةِ وَرَقَةٍ، وَمُرَادُ  
النَّاصِحِ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ وَرِضَاؤُهُ وَالْإِحْسَانُ إِلَى خَلْقِهِ فَيَتَلَطَّفُ فِي بَدَلِهَا غَايَةَ التَّلَطُّفِ وَيَحْتَمِلُ  
أَذَى الْمَنْصُوحِ وَلَائِمَّتِهِ وَيَعَامِلُهُ مُعَامَلَةَ الطَّيِّبِ الْعَالَمِ الْمَشْفُوقِ لِلْمَرِيضِ الْمُسْبَعِ مَرَضًا،  
وَهُوَ يَحْتَمِلُ سُوءَ خَلْقِهِ وَشِرَاسَتِهِ وَنَفْرَتَهُ وَيَتَلَطَّفُ فِي وُصُولِ الدَّوَاءِ إِلَيْهِ بِكُلِّ مُمْكِنٍ فَهَذَا  
شَأْنُ النَّاصِحِ.

وَأَمَّا الْمُؤَنَّبُ: فَهُوَ رَجُلٌ قَصَدَهُ التَّعْيِيرُ وَالْإِهَانَةُ وَذَمُّ مَنْ يُؤَنَّبُهُ، وَشَتْمُهُ فِي صُورَةِ  
النَّصِيحِ، فَهُوَ يَقُولُ لَهُ: يَا فَاعِلُ كَذَا وَكَذَا، يَا مُسْتَحَقًّا لِلذَّمِّ وَالْإِهَانَةِ، فِي صُورَةِ نَاصِحِ  
مُشْفُوقٍ، وَعَلَامَةٌ هَذَا: أَنَّهُ لَوْ رَأَى مِنْ يُجِبُهُ وَيَحْسِنُ إِلَيْهِ عَلَى مِثْلِ عَمَلِ هَذَا أَوْ شَرَّ مِنْهُ لَمْ

يعرض له ولم يقل له شيئاً ويطلب له وجوه المعاذير، فإن غلب قال: وأينا ضمنت له العصمة، والإنسان عرضة الخطأ، ومحاسنه أكثر من مساويه، والله غفور رحيم ونحو ذلك.

فيا عجباً كيف كان هذا المنّ يُجبهه دون من يبغضه؟ وكيف كان ذلك منك التائب في صورة النصح وحظ هذا منك رجاء العفو والمغفرة وطلب وجوه المعاذير. ومن الفروق بين الناصح والمؤنب: أن الناصح لا يعاديك إذا لم تقبل نصيحته وقال: قد وقع أجري على الله قبلت أو لم تقبل ويدعو لك بظهر العيب ولا يذكر عيوبك ويثبها في الناس، والمؤنب بضد ذلك.

### فصل

والفرق بين المبادرة والعجلة: أن المبادرة انتهاز الفرصة في وقتها ولا يتركها حتى إذا فاتت طلبها فهو لا يطلب الأمور في إدبارها ولا قبل وقتها بل إذا حضر وقتها بادر إليها ووثب عليها وثوب الأسد على فريسته فهو بمنزلة من يبادر إلى أخذ الثمرة وقت كمال نضلها وإدراكها.

والعجلة: طلب أخذ الشيء قبل وقته فهو لشدة حرصه عليه بمنزلة من أخذ الثمرة قبل أوان إدراكها، فالمبادرة وسط بين خلقين مذمومين أحدهما: التفريط والإضاعة، والثاني: الاستعجال قبل الوقت.

ولهذا كانت العجلة من الشيطان فإنها خفة وطيش وحدة في العبد تمنعه من الثبت والوقار والحلم وتوجب له وضع الأشياء في غير مواضعها وتجلب عليه أنواعاً من الشرور وتمنعه أنواعاً من الخير، وهي قرين الندامة فقل من استعجل إلا ندم، كما أن الكسل قرين القوت والإضاعة.

## فصل

وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْأَخْبَارِ بِالْحَالِ وَبَيْنَ الشُّكُوفِ، وَإِنْ اشْتَبَهَتْ صُورَتَهُمَا: أَنْ الْأَخْبَارَ بِالْحَالِ يَقْصِدُ الْمَخْبِرَ بِهِ قَصْدًا صَحِيحًا مِنْ عِلْمِ سَبَبِ إِدَانَتِهِ أَوْ الْإِعْتِدَارَ لِأَخِيهِ مِنْ أَمْرِ طَلَبِهِ مِنْهُ أَوْ يَجْذِرُهُ مِنَ الْوُقُوعِ فِي مِثْلِ مَا وَقَعَ فِيهِ فَيَكُونُ نَاصِحًا بِإِخْبَارِهِ لَهُ أَوْ حَمَلَهُ عَلَى الصَّبْرِ بِالتَّأْسِي بِهِ، كَمَا يَذْكَرُ عَنِ الْأَحْنَفِ أَنَّهُ شَكَا إِلَيْهِ رَجُلٌ شَكُوهُ فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي لَقَدْ ذَهَبَ ضَوْءُ عَيْنِي مِنْ كَذَا وَكَذَا سَنَةً فَمَا أَعْلَمْتُ بِهِ أَحَدًا<sup>(١)</sup>.

فَفِي ضَمَنِ هَذَا الْأَخْبَارِ مِنْ حَمَلِ الشَّاكِي عَلَى التَّأْسِي وَالصَّبْرِ مَا يُثَابِعُ عَلَيْهِ الْمَخْبِرَ وَصُورَتَهُ صُورَةَ الشُّكُوفِ، وَلَكِنْ الْقَصْدُ مِيزَ بَيْنَهُمَا.

<sup>(١)</sup> أخرجه عبد الله بن أحمد في "زوائد الزهد" لأبيه ص: (٢٨٨)، والبيهقي في "الشعب": (١٠٠٥٦)، طريقه ابن عساکر في "تاريخ دمشق": (٣٢٥/٢٤) من طريق عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن مغيرة قال: شكى ابن أخي الأحنف بن قيس وجعاً بضره فقال الأحنف: لقد ذهب عيني منذ ثلاثين سنة فما شكوتها لأحد. ووقع في "الزهد": منذ أربعين سنة. ورجال إسناده كلهم ثقات رجال الشيخين إلا أنه يبدو لي أنه منقطع بين مغيرة والأحنف فإن الأحنف توفي: (٦٧)، وقيل: (٧٢)، بينما توفي مغيرة: (١٣٦)، فبين وفاتيها نحو: (٦٥) عامًا، والله أعلم.

وقد جاء نحو هذه القصة عن عطاء بن أبي رباح أخرجه البيهقي في "الشعب": (١٠٠٥٦)، ومن طريقه ابن عساکر في "تاريخ دمشق": (٤٠٠/٤٠) فقال: حدثنا أبو طاهر الفقيه أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان أخبرنا أحمد بن يوسف السلمي أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا عمر بن زر عن يعقوب بن عطاء قال: كَانَ عَطَاءٌ يُرِيدُ الْمَسْجِدَ فَيَلْبَسُ ثِيَابَهُ وَيَرَى أَنْ لَيْسَ عِنْدَهُ أَحَدٌ، قَالَ: وَهُوَ لَا يُبْصِرُ مِنْ أَحَدٍ شَقِيهِ، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَهْ، كَأَنَّكَ تَشْتَكِي عَيْنَكَ هَذِهِ؟ قَالَ: وَقَطِنْتَ لَهَا؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: مَا أَبْصَرْتُ مِنْهَا مُنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَمَا عَلِمْتُ بِذَلِكَ بِذَلِكَ أُمَّكَ.

والإسناد إلى يعقوب بن عطاء لا بأس به رجاله ثقات إلا شيخ البيهقي وقد وُصِفَ بأنه إمام أهل الحديث في زمنه، وكذلك شيخه محمد بن الحسين القطان روى عنه جمع ووصفه الذهبي بأنه مسند خراسان، وأما يعقوب بن عطاء فهو ضعيف، ولكن لا يضر ضعفه هنا فإنه يحكي قصة شهداها.

وَلَعَلَّ مِنْ هَذَا قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ لَمَّا قَالَتْ عَائِشَةُ: وَارَأْسَاهُ فَقَالَ: «بَلْ أَنَا وَارَأْسَاهُ»<sup>(١)</sup>،  
 أَي: الوجد القوي بي أنا دونك فتأسي بي، فَلَا تَشْتَكِي.

ويلوح لي فيه معنى آخر وهو أَنَّمَا كَانَتْ حَبِيبَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَلْ كَانَتْ أَحَبَّ  
 النِّسَاءِ إِلَيْهِ عَلَى الإِطْلَاقِ فَلَمَّا اشْتَكَتْ إِلَيْهِ رَأْسَهَا أَخْبَرَهَا أَنْ بِمَحَبَّتِهَا مِنَ الأُمِّ مِثْلَ الَّذِي  
 بِهَا وَهَذَا غَايَةُ المُوَافَقَةِ بَيْنَ المَحَبِّ وَمُحَبُّوهُ يَتَأَلَّمُ بِتَأَلُّمِهِ وَيَسِرُّ بِسُرُورِهِ حَتَّى إِذَا أَلَمَهُ عُضْوٌ مِنْ  
 أَعْضَائِهِ آلَمَ المَحَبِّ ذَلِكَ العُضْوُ بِعَيْنِهِ وَهَذَا مِنْ صِدْقِ المَحَبَّةِ وَصَفَاءِ المَوَدَّةِ.

فَالْمَعْنَى الأَوَّلُ يُفْهَمُ: أَنَّكَ لَا تَشْتَكِي وَاصْبِرِي فَيَبِي مِنَ الوجدِ مِثْلَ مَا بَكَ فَتَأْسِي بِي  
 فِي الصَّبْرِ وَعَدَمِ الشُّكْوَى.

وَالْمَعْنَى الثَّانِي: يُفْهَمُ إِعْلَامُهَا بِصِدْقِ مَحَبَّتِهِ لَهَا أَي: انظري قُوَّةَ مَحَبَّتِي لَكَ كَيْفَ  
 وَاسَيْتِكَ فِي أَلَمِكَ وَوَجَعَ رَأْسِكَ فَلَمْ تَكُونِي مَتَوَجِّعَةً، وَأَنَا سَلِيمٌ مِنَ الوجدِ بَلْ يُؤْلَمُنِي مَا  
 يُؤْلَمُكَ كَمَا يَسْرُنِي مَا يَسْرُكَ كَمَا قِيلَ<sup>(٢)</sup>:

وَإِنْ أَوْلَى البَرَايَا أَنْ تَوَاسِيَهُ عِنْدَ السُّرُورِ الَّذِي وَاسَاكَ فِي الحَزَنِ

وَأَمَّا الشُّكْوَى: فَالإِخْبَارُ العَارِي عَنِ القَصْدِ الصَّحِيحِ بَلْ يَكُونُ مَصْدَرُهُ السُّخْطُ،  
 وَشِكَايَةُ المَبْتَلِي إِلَى غَيْرِهِ، فَإِنْ شَكَا إِلَيْهِ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ شُّكْوَى بَلْ اسْتِعْطَافٌ وَتَمَلُّقٌ

<sup>(١)</sup> أخرجه البخاري: (٥٦٦٦) عن عائشة رضي الله عنها.

<sup>(٢)</sup> هذا البيت ومعه بيت آخر وهو:

إن الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا من كان يألفهم في المنزل الحشن

تنسب لأبي تمام، نسبها إليه ابن حمدون في «التذكرة الحمدونية» ص: (٦٧)، والبيتان في ديوانه ص: (٣١٧)

ط دار الكتب العلمية.

بيننا نسبها ابن عبد البر في «بهجة المجالس»: (٧١٦/١) لدعبل، قال: ويروى لحبيب الشاعر.

واسترحام له كَقَوْلِ أَيُّوبَ: ﴿ أَيُّ مَسْنِي الضُّرِّ وَأَنْتِ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٣]،  
وَقَوْلِ يَعْقُوبَ: ﴿ إِنَّمَا أَشْكُوا بِنِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ﴾ [يوسف: ٨٦].

وَقَوْلِ مُوسَى: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، وَإِلَيْكَ الْمُشْتَكِي، وَأَنْتَ الْمُسْتَعَانُ، وَبِكَ  
الْمُسْتَعَاثُ، وَعَلَيْكَ التُّكْلَانُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ»<sup>(١)</sup>.

وَقَوْلِ سَيِّدِ وَلَدِ آدَمَ: «اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي وَقِلَّةَ حِيلَتِي وَهَوَانِي عَلَى  
النَّاسِ، أَنْتَ رَبُّ الْمُسْتَضَعْفِينَ، وَأَنْتَ رَبِّي. إِلَى مَنْ تَكَلِّمُنِي؟ إِلَى بَعِيدٍ يَتَجَهَّمَنِي، أَوْ إِلَى  
عَدُوٍّ مَلَكَتْهُ أَمْرِي؟ إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ غَضَبٌ عَلَيَّ فَلَا أَبَالِي، غَيْرَ أَنْ عَافَيْتِكَ أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ  
بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، أَنْ يَجِلَّ عَلَيَّ  
غَضَبُكَ، أَوْ يَنْزِلَ بِي سَخَطُكَ، لَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ»<sup>(٢)</sup>.

فَالشُّكْوَى إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ لَا تَنَافِي الصَّبْرُ بِوَجْهِهِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ عَنْ أَيُّوبَ: ﴿ إِنَّا  
وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ [ص: ٤٤]، مَعَ إِخْبَارِهِ عَنْهُ بِالشُّكْوَى إِلَيْهِ فِي قَوْلِهِ:

<sup>(١)</sup> (صحيح) أخرجه الطبراني في "الأوسط": (٤/٢٣٣)، و"الصغير" رقم: (٣٣٩)، والخراطي في  
"فضيلة الشكر": (١١)، والبيهقي في "الدعوات الكبير": (٢٣٣)، وابن جميع الصيداوي في "معجم  
الشيوخ": (٣٣٨-٣٣٩) من طريقين عن الأعمش عن أبي وائل شقيق بن سلمة عن عبدالله بن مسعود  
قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أعلمك الكلمات التي تكلم بها موسى ﷺ حين جاوز البحر ببني  
إسرائيل...». فذكره، وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين.

تنبيه: وقع في "الأوسط": جعفر بن الفضل الواسطي، والصواب: جعفر بن النضر الواسطي كما في  
"الصغير" وكما في ترجمته من "الجرح والتعديل".

<sup>(٢)</sup> (ضعيف) أخرجه الطبراني في "الكبير": (١١/٣٦١٦)، ط مؤسسة الريان، وفي "الدعاء": (١٠٣٦)،  
ومن طريقه الضياء في "المختارة": (٩/١٨٠-١٨١) من طريق محمد بن إسحاق عن هشام بن عروة عن  
أبيه عن عبدالله بن جعفر به، وهذا إسناد ضعيف محمد بن إسحاق مدلس وقد عنعن، وبه ضعفه العلامة  
الألباني في "الضعيفة": (٢٩٣٣).



﴿مَسْنِي الضَّرِّ﴾، وَأَخْبَرَ عَن نَّبِيهِ يَعْقُوبُ أَنَّهُ وَعَدَ مِنْ نَفْسِهِ بِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ، وَالنَّبِيُّ إِذَا قَالَ وَفَى مَعَ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]، وَلَمْ يَجْعَلْ ذَلِكَ نَقْصًا لِّصَبْرِهِ.

وَلَا يَلْتَمِتُ إِلَى غَيْرِ هَذَا مِنْ تَرَهَاتِ الْقَوْمِ كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ لَمَّا قَالَ: ﴿مَسْنِي الضَّرِّ﴾ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا﴾ [ص: ٤٤]، وَلَمْ يَقُلْ صَبُورًا حَيْثُ قَالَ: ﴿مَسْنِي الضَّرِّ﴾. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَمْ يَقُلْ اِزْهَمْنِي وَإِنَّمَا قَالَ: + وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَلَمْ يَزِدْ عَلَى الْإِخْبَارِ بِحَالِهِ وَوَصْفِ رَبِّهِ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّمَا شَكَا مَسَّ الضَّرِّ حِينَ ضَعَفَ لِسَانَهُ عَنِ الذِّكْرِ فَشَكَا مَسَّ ضَرِّ ضَعْفِ الذِّكْرِ لَا ضَرَّ الْمَرَضِ وَالْأَلَمِ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: اسْتَخْرَجَ مِنْهُ هَذَا الْقَوْلَ لِيَكُونَ قَدْوَةً لِلضَّعْفَاءِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ. وَكَانَ هَذَا الْقَائِلُ رَأَى أَنَّ الشُّكُوبَ إِلَى اللَّهِ تَنَافَى الصَّبْرَ وَغَلَطَ أَقْبَحَ الْغَلَطِ، فَلَمَنَافَى لِلصَّبْرِ شُكُوبًا لَا الشُّكُوبَ إِلَيْهِ، فَاللَّهُ يَبْتَلِي عَبْدَهُ لِيَسْمَعَ تَضَرُّعَهُ وَدُعَاءَهُ وَالشُّكُوبَ إِلَيْهِ وَلَا يَجِبُ التَّجَلُّدُ عَلَيْهِ، وَأَحَبُّ مَا إِلَيْهِ انْكَسَارُ قَلْبِ عَبْدِهِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَدَلُّلُهُ لَهُ وَإِظْهَارُ ضَعْفِهِ وَفَاقَتِهِ وَعَجْزِهِ وَقَلَّةِ صَبْرِهِ.

فاحذر كل الحذر من إظهار التجلُّد عليه، وَعَلَيْكَ بِالتَضَرُّعِ وَالتَّمَسُّكِنِ، وَإِبْدَاءِ الْعَجْزِ وَالفَاقَةِ وَالدَّلِّ وَالضَّعْفِ، فَرِحْمَتِهِ أَقْرَبُ إِلَى هَذَا الْقَلْبِ مِنَ الْيَدِ لِلْفَمِ.

### فصل

وَهَذَا بَابٌ مِنَ الْفُرُوقِ مَطُولٌ وَلَعَلَّ إِن سَاعَدَ الْقَدْرُ أَنْ نَفْرُدَ فِيهِ كِتَابًا كَبِيرًا، وَإِنَّمَا نَبَهْنَا بِمَا ذَكَرْنَا عَلَى أَصُولِهِ وَاللَّبِيبُ يَكْتَفِي بِبَعْضِ ذَلِكَ.

وَالَّذِينَ كُفِرُوا فَرْقًا، وَكَتَابَ اللَّهِ فَرْقَانًا، «وَمُحَمَّدٌ فَرْقٌ بَيْنَ النَّاسِ»<sup>(١)</sup>، وَمَنْ اتَّقَى اللَّهَ جَعَلَ لَهُ فَرْقَانًا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأَنْفَال: ٢٩]، وَاسْمُ يَوْمِ بَدْرٍ يَوْمُ الْفَرْقَانِ؛ لِأَنَّهُ فَرْقٌ بَيْنَ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ وَأَعْدَائِهِ، فَالْهُدَى كُلُّهُ فَرْقَانٌ. وَالضَّلَالُ أَصْلُهُ الْجَمْعُ، كَمَا جَمَعَ الْمُشْرِكُونَ بَيْنَ عِبَادَةِ اللَّهِ وَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَمَحَبَّةِ وَمَحَبَّةِ الْأَوْثَانِ وَبَيْنَ مَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ وَبَيْنَ مَا قَدَرَهُ وَقَضَاهُ، فَجَعَلُوا الْأَمْرَ وَاحِدًا وَاسْتَدَلُّوا بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ عَلَى مَحَبَّتِهِ وَرَضَاهُ. وَجَمَعُوا بَيْنَ الرَّبِّ وَالْبَيْعِ فَقَالُوا: ﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرَّبِّ﴾، وَجَمَعُوا بَيْنَ الْمُذَكِّيِّ وَالْمَيْتَةِ فَقَالُوا: كَيْفَ نَأْكُلُ مَا قَتَلْنَا وَلَا نَأْكُلُ مَا قَتَلَ اللَّهُ. وَجَمَعَ الْمُنْسَلِحُونَ عَنِ الشَّرَائِعِ بَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ فَقَالُوا: هَذِهِ الْمَرْأَةُ خَلَقَهَا اللَّهُ وَهَذِهِ خَلَقَهَا وَهَذَا الْحَيَوَانُ خَلَقَهُ وَهَذَا خَلَقَهُ، فَكَيْفَ يَحِلُّ هَذَا وَيَحْرَمُ هَذَا؟ وَجَمَعُوا بَيْنَ أَوْلِيَاءِ الرَّحْمَنِ وَأَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ. وَجَاءَتْ طَائِفَةٌ مِنَ الْإِتْحَادِيَّةِ فَطَمُّوا الْوَادِيَّ عَلَى الْقَرِيِّ<sup>(٢)</sup>، وَجَمَعُوا الْكُلَّ فِي ذَاتٍ وَاحِدَةٍ وَقَالُوا: هِيَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ،

<sup>(١)</sup> أخرجه البخاري: (٧٢٨١) عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومعناه: أنه يفرق بين المؤمنين والكافرين بتصديقه وتكذيبه قاله ابن الأثير في «النهاية»: (فرق).

<sup>(٢)</sup> هذا مثل يضرب عند تجاوز الشر حدّه، ذكره الميداني في «مجمع الأمثال»: (١/١٩٩-٢٠٠)، ولفظه: جَرَى الْوَادِيَّ فَطَمَّ عَلَى الْقَرِيِّ، ومعناه: كما قال الميداني أي: جرى سيل الوادي فطم أي: دفن يقال: طم السيل الركبة أي دفنها، والقري: مجرى الماء في الروضة، والجمع أقرية وقربان. و«على» من صلة المعنى: أي: أتى على القري، يعني أهلكه بأن دفنه.

وَقَالَ صَاحِبُ فَصُوصِهِمْ وَوَضَعَ نَصُوصَهُمْ<sup>(١)</sup>، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأَمْرَ قِرَانٌ لَا فَرْقَانَ:

مَا الْأَمْرُ إِلَّا نَسَقٌ وَاحِدٌ      مَا فِيهِ مِنْ مَدْحٍ وَلَا ذَمٍّ

وَإِنَّمَا الْعَادَةُ قَدْ خَصَصَتْ      وَالطَّبِيعُ وَالشَّرَاعُ بِالْحُكْمِ<sup>(٢)</sup>

وَالْمَقْصُودُ: أَنَّ أَرْبَابَ الْبَصَائِرِ هُمْ أَصْحَابُ الْفَرْقَانِ، فَأَعْظَمُ النَّاسِ فَرْقَانًا بَيْنَ الْمَشْتَبِهَاتِ أَعْظَمُ النَّاسِ بَصِيرَةً، وَالتَّشَابُهَ يَقَعُ فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَحْوَالِ وَالْأَمْوَالِ وَالرِّجَالِ، وَإِنَّمَا أَتَى أَكْثَرَ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنَ الْمَشَابِهَاتِ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ، وَلَا يَحْصِلُ الْفَرْقَانُ إِلَّا بِنُورٍ يَقْذِفُهُ اللَّهُ فِي قَلْبٍ مِنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ يَرَى فِي ضَوْئِهِ حَقَائِقَ الْأُمُورِ وَيُمَيِّزُ بَيْنَ حَقِّهَا وَبَاطِلِهَا وَصَحِيحِهَا وَسَقِيمِهَا: ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾.

<sup>(١)</sup> هو محيي الدين أبو بكر محمد بن علي بن محمد بن أحمد الطائي المشهور بـ (ابن عربي) له كتاب "فصوص الحكم" قال عنه الذهبي: ومن أبدأ تواليفه كتاب "الفصوص" فإن كان لا كفر فيه فما في الدنيا كفر. توفي سنة: (٦٣٨). انظر "سير أعلام النبلاء": (٤٨/٢٣).

وذكر شيخ الإسلام بعض أقواله ثم قال: وهذا كفر، مخالف لما جاءت به الرسل. انظر "مجموع الفتاوى" (٤/١٣١)، وقال أيضًا: فابن عربي وأمثالهم وإن ادعوا أنهم من الصوفية فهم من صوفية الملاحدة والفلاسفة. (١١/٢٣٣).

وقال ابن كثير في "البداية والنهاية": (١٧/٢٥٣): وله الكتاب المسمى "بفصوص الحكم" فيه أشياء كثيرة ظاهرها كفر صريح. وفيات سنة: (٦٣٨).

\* وقد صرح بكفر ابن عربي جماعة من العلماء ذكرهم البقاعي في كتابه: "تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي" ضمن كتاب: "مصرع التصوف".

ومع هذا فإن الصوفية الضلال يعظمون هذا الرجل، ويشنون عليه، وينشرون أقواله وكتبه بين المسلمين، على ما عنده من الكفر والإلحاد، فنسأل الله أن يعاملهم بما يستحقون.

<sup>(٢)</sup> هذان البيتان نسبهما شيخ الإسلام إلى القاضي، تلميذ صاحب "الفصوص" انظر "مجموع الفتاوى" (٢/٩٩).

وَلَا تَسْتَطِيعُ هَذَا الْفَضْلُ، فَلَعَلَّهُ مِنْ أَنْفَعِ فُصُولِ الْكِتَابِ، وَالْحَاجَةُ إِلَيْهِ شَدِيدَةٌ فَإِنْ رَزَقَكَ اللَّهُ فِيهِ بَصِيرَةً خَرَجْتَ مِنْهُ إِلَى فِرْقَانٍ أَعْظَمَ مِنْهُ وَهُوَ الْفَرْقُ بَيْنَ تَوْحِيدِ الْمُرْسَلِينَ وَتَوْحِيدِ الْمُعْطَلِينَ، وَالْفَرْقُ بَيْنَ تَنْزِيهِ الرَّسُلِ وَتَنْزِيهِ أَهْلِ التَّعْطِيلِ، وَالْفَرْقُ بَيْنَ إِثْبَاتِ الصِّفَاتِ وَالْعُلُوِّ وَالتَّكْلُمِ وَالتَّكْلِيمِ حَقِيقَةً وَبَيْنَ التَّشْبِيهِ وَالتَّمْثِيلِ، وَالْفَرْقُ بَيْنَ تَجْرِيدِ التَّوْحِيدِ الْعَمَلِيِّ الْإِرَادِيِّ وَبَيْنَ هُضْمِ أَرْبَابِ الْمَرَاتِبِ مَرَاتِبَهُمُ الَّتِي أَنْزَلَهُمُ اللَّهُ أَيَّاهَا، وَالْفَرْقُ بَيْنَ تَجْرِيدِ مُتَابَعَةِ الْمَعْصُومِ وَبَيْنَ إِهْدَارِ أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ وَإِلْغَائِهَا وَعَدَمِ الْإِلْتِمَاتِ إِلَيْهَا، وَالْفَرْقُ بَيْنَ تَقْلِيدِ الْعَالَمِ وَبَيْنَ الْإِسْتِضَاءِ بِنُورِ عِلْمِهِ وَالِاسْتِعَانَةَ بِفَهْمِهِ، وَالْفَرْقُ بَيْنَ أَوْلِيَاءِ الرَّحْمَنِ وَأَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ، وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْحَالِ الْإِيمَانِيِّ الرَّحْمَانِيِّ وَالْحَالِ الشَّيْطَانِيِّ الْكُفْرِيِّ وَالْحَالِ النَّفْسَانِيِّ، وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْحُكْمِ الْمُنْزَلِ الْوَاجِبِ الْإِتْبَاعِ [عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ وَالْحُكْمِ الْمُؤُولِ الَّذِي نَهَيْتَهُ أَنْ يَكُونَ جَائِزَ الْإِتْبَاعِ] عِنْدَ الضَّرُورَةِ وَلَا دَرَكٍ عَلَى مَخَالِفِهِ<sup>(١)</sup>.

### فصل

وَنَحْنُ نَخْتَمُ الْكِتَابَ بِإِشَارَةِ لَطِيفَةٍ إِلَى الْفُرُوقِ بَيْنَ هَذِهِ الْأُمُورِ إِذْ كُلُّ فَرْقٍ مِنْهَا يَسْتَدْعِي بَسْطَهُ كِتَابًا كَبِيرًا.

فَالْفَرْقُ بَيْنَ تَوْحِيدِ الْمُرْسَلِينَ وَتَوْحِيدِ الْمُعْطَلِينَ: أَنْ تَوْحِيدَ الرَّسُلِ إِثْبَاتُ صِفَاتِ الْكَمَالِ لِلَّهِ عَلَى وَجْهِ التَّفْصِيلِ وَعِبَادَتُهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فَلَا يُجْعَلُ لَهُ نَدٌّ فِي قِصْدٍ وَلَا حُبٌّ وَلَا خَوْفٌ وَلَا رَجَاءٌ وَلَا لَفْظٌ وَلَا حَلْفٌ وَلَا نَذْرٌ بَلْ يَرْفَعُ الْعَبْدُ الْإِنْدَادَ لَهُ مِنْ قَلْبِهِ وَقِصْدِهِ وَلِسَانِهِ وَعِبَادَتِهِ كَمَا أَمَّتْهَا مَعْدُومَةٌ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ لَا وَجُودَ لَهَا الْبَتَّةَ فَلَا يُجْعَلُ لَهَا وَجُودًا فِي قَلْبِهِ وَلَا لِسَانِهِ.

(١) الدَّرَكُ هُوَ التَّبَعَةُ وَهِيَ مَا يَلْحَقُ مِنَ النَّوَاتِبِ، «لسان العرب»: (درك)، و«النهاية»: (تبع).

وَأَمَّا تَوْحِيدَ الْمُعْطَلِينَ فَفَنَى حَقَائِقَ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَتَعْطِيلِهَا وَمَنْ أَمَكْنَهُ مِنْهُمْ تَعْطِيلِهَا مِنْ لِسَانِهِ عَطَلَهَا فَلَا يَذْكُرُهَا وَلَا يَذْكُرُ آيَةَ تَتَضَمَّنُهَا وَلَا حَدِيثًا يُصْرَحُ بِشَيْءٍ مِنْهَا، وَمَنْ لَمْ يُمَكِّنْهُ تَعْطِيلَ ذِكْرُهَا سَطًا عَلَيْهَا بِالتَّحْرِيفِ وَفَنَى حَقِيقَتَهَا وَجَعَلَهَا اسْمًا فَارْعًا لَا مَعْنَى لَهُ أَوْ مَعْنَاهُ مِنْ جِنْسِ الْأَلْغَازِ وَالْأَحَاجِي، عَلَى أَنْ مِنْ طَرْدِ تَعْطِيلِهِ مِنْهُمْ عِلْمٌ أَنَّهُ يَلْزِمُهُ فِي مَا حَرَّفَ إِلَيْهِ النَّصُّ مِنَ الْمَعْنَى نَظِيرَ مَا فَرَمْنَاهُ سَوَاءً، فَإِنْ لَزِمَ تَمَثُّيلٌ أَوْ تَشْبِيهٌ أَوْ حُدُوثٌ فِي الْحَقِيقَةِ لَزِمَ فِي الْمَعْنَى الَّذِي حَمَلَ عَلَيْهِ النَّصُّ، وَإِنْ لَمْ يَلْزَمْ فِي هَذَا فَهُوَ أَوْلَى أَنْ لَا يَلْزَمْ فِي الْحَقِيقَةِ، فَلَمَّا عِلْمٌ هَذَا لَمْ يُمَكِّنْهُ إِلَّا تَعْطِيلَ الْجَمِيعِ فَهَذَا طَرْدٌ لِأَصْلِ التَّعْطِيلِ وَالْفَرْقِ أَقْرَبُ مِنْهُ وَلَكِنَّهُ مُتَنَاقِضٌ يَتَحَكَّمُ بِالْبَاطِلِ حَيْثُ أَثْبَتَ اللَّهُ بَعْضَ مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ وَفَنَى عَنْهُ الْبَعْضَ الْآخَرَ، وَاللَّازِمُ الْبَاطِلُ فِيهِمَا وَاحِدٌ وَاللَّازِمُ الْحَقُّ لَا يَفْرُقُ بَيْنَهُمَا.

وَالْمَقْصُودُ أَنَّهُمْ سَمَوْا هَذَا التَّعْطِيلَ تَوْحِيدًا وَإِنَّمَا هُوَ إِحْدَادٌ فِي أَسْمَاءِ الرَّبِّ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ وَتَعْطِيلَ لِحَقَائِقِهَا.

### فصل

وَالْفَرْقُ بَيْنَ تَنْزِيهِ الرَّسُلِ وَتَنْزِيهِ الْمُعْطَلَةِ: أَنَّ الرَّسُلَ نَزَّهَهُ سُبْحَانَهُ عَنِ النِّقَائِصِ وَالْعِيُوبِ الَّتِي نَزَّهَ نَفْسَهُ عَنْهَا وَهِيَ الْمَنَافِيَةُ لِكَمَالِهِ وَكَمَالِ رَبُوبِيَّتِهِ وَعَظَمَتِهِ كَالسَّنَةِ، وَالنَّوْمِ. وَالغَفْلَةِ، وَالْمَوْتِ، وَاللَّغُوبِ، وَالظُّلْمِ، وَإِرَادَتِهِ، وَالتَّسْمِيِ بِهِ، وَالشَّرِيكِ، وَالصَّاحِبَةِ، وَالظَّهْرِ، وَالْوَالِدِ، وَالشَّفِيعِ بِدُونِ إِذْنِهِ، وَأَنْ يَتْرَكَ عِبَادَةَ سُدَى هَمَلًا، وَأَنْ يَكُونَ خَلْقُهُمْ عَبَثًا، وَأَنْ يَكُونَ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا لَا لِثَوَابٍ وَلَا عِقَابٍ وَلَا أَمْرٍ وَلَا نَهْيٍ، وَأَنْ يَسُوِيَ بَيْنَ أَوْلِيَائِهِ وَأَعْدَائِهِ وَبَيْنَ الْأَبْرَارِ وَالْفَجَّارِ وَبَيْنَ الْكُفَّارِ وَالْمُؤْمِنِينَ، وَأَنْ يَكُونَ فِي مَلِكِهِ مَا لَا يَشَاءُ وَأَنْ يَخْتِجَ إِلَى غَيْرِهِ بِوَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ،

وَأَنْ يَكُونَ لغيره مَعَهُ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ، وَأَنْ يَعْضُ لهُ غَفْلَةٌ أَوْ سَهْوٌ أَوْ نِسْيَانٌ، وَأَنْ يَخْلِفَ وَعْدَهُ أَوْ تَبْدِلَ كَلِمَاتِهِ أَوْ يُضَافَ إِلَيْهِ الشَّرُّ اسْمًا أَوْ وَصْفًا أَوْ فِعْلًا بَلْ أَسْمَاؤُهُ كُلِّهَا حَسَنِي وَصِفَاتِهِ كُلِّهَا كَمَالٌ وَأَفْعَالُهُ كُلِّهَا خَيْرٌ وَحِكْمَةٌ وَمَصْلِحَةٌ فَهَذَا تَنْزِيهِ الرَّسُولِ لِرَبِّهِمْ.

وَأَمَّا الْمُعْطَلُونَ فَتَزْهُوهُ عَمَّا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ مِنَ الْكَمَالِ فَتَزْهُوهُ عَنِ أَنْ يَتَكَلَّمَ أَوْ يَكَلِّمَ أَحَدًا، وَتَزْهُوهُ عَنِ اسْتِوَائِهِ عَلَى عَرْشِهِ، وَأَنْ تَرْفَعَ إِلَيْهِ الْأَيْدِي، وَأَنْ يَصْعَدَ إِلَيْهِ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ، وَأَنْ يَنْزِلَ مِنْ عِنْدِهِ شَيْءٌ أَوْ تَعْرَجَ إِلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ، وَأَنْ يَكُونَ فَوْقَ عِبَادِهِ وَفَوْقَ جَمِيعِ مَخْلُوقَاتِهِ عَالِيًّا عَلَيْهَا.

وَتَزْهُوهُ أَنْ يَقْبِضَ السَّمَوَاتِ بِيَدِهِ وَالْأَرْضَ بِالْيَدِ الْأُخْرَى، وَأَنْ يَمْسِكَ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ وَالْأَرْضَ عَلَى إِصْبَعٍ وَالْجِبَالَ عَلَى إِصْبَعٍ وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ.

وَتَزْهُوهُ أَنْ يَكُونَ لهُ وَجْهٌ وَأَنْ يَرَاهُ الْمُؤْمِنُونَ بِأَبْصَارِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، وَأَنْ يَكَلِّمَهُمْ وَيَسْلَمَ عَلَيْهِمْ وَيَتَجَلَّى لَهُمْ ضَاحِكًا، وَأَنْ يَنْزِلَ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ: مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأَعْطِيهِ، فَلَا نَزُولَ عِنْدَهُمْ وَلَا قَوْلَ.

وَتَزْهُوهُ أَنْ يَفْعَلَ شَيْئًا لَشَيْءٍ بَلْ أَفْعَالُهُ لَا لِحِكْمَةٍ وَلَا لِعَرَضٍ مَقْصُودٍ.

وَتَزْهُوهُ أَنْ يَكُونَ تَامَ الْمَشِيئَةِ نَافِذَ الْإِرَادَةِ بَلْ يَشَاءُ الشَّيْءَ وَيَشَاءُ عِبَادَهُ خِلَافَهُ فَيَكُونَ مَا شَاءَ الْعَبْدُ دُونَ مَا شَاءَ الرَّبُّ، وَلَا يَشَاءُ الشَّيْءَ فَيَكُونَ مَا لَا يَشَاءُ، وَيَشَاءُ مَا لَا يَكُونُ، وَسَمُوا هَذَا عَدْلًا كَمَا سَمُوا ذَلِكَ التَّنْزِيهِ تَوْحِيدًا.

وَتَزْهُوهُ عَنِ أَنْ يَجِبَ أَوْ يَجِبَ.

وَتَزْهُوهُ عَنِ الرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالغَضَبِ وَالرُّضَا.

وَتَزْهُوهُ آخِرُونَ عَنِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَآخِرُونَ عَنِ الْعِلْمِ، وَتَزْهُوهُ آخِرُونَ عَنِ الْوُجُودِ فَقَالُوا: الَّذِي فَرَّ إِلَيْهِ هُوَ لِأَنَّ الْمَنْزُوهُونَ مِنَ التَّشْبِيهِ وَالتَّمَثِيلِ يَلْزِمُنَا فِي الْوُجُودِ فَيَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَنْزِهُهُ عَنْهُ فَهَذَا تَنْزِيهِ الْمُلْحِدِينَ وَالْأُولَ تَنْزِيهِ الْمُرْسَلِينَ.

## فصل

الفرق بين إثبات حقائق الأسماء والصفات وبين التشبيه والتمثيل، ما قاله الإمام أحمد ومن وافقه من أئمة الهدى: أن التشبيه والتمثيل أن تقول: يدٌ كيدي، أو سمعٌ كسمعي، أو بصرٌ كبصري، ونحو ذلك<sup>(١)</sup>، وأما إذا قلت: سمعٌ وبصرٌ ويدٌ ووجهٌ واستواءٌ لا يماثل شيئاً من صفات المخلوقين، بل بين الصفة والصفة من الفرق كما بين الموصوف والموصوف، فأبي تمثيل ههنا وأي تشبيه لولا تلبس الملحدين؟

فمدار الحق الذي اتفقت عليه الرُّسل على أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تشبيه ولا تمثيل، إثبات الصفات ونفى مشابهة المخلوقات فمن شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد حقائق ما وصف الله به نفسه فقد كفر، ومن أثبت له حقائق الأسماء والصفات ونفى عنه مشابهة المخلوقات فقد هدى إلى صراطٍ مستقيم.

## فصل

والفرق بين تجريد التوحيد وبين هضم أرباب المراتب: أن تجريد التوحيد أن لا يعطى المخلوق شيئاً من حق الخالق وخصائصه فلا يُعبد، ولا يُصلَّى له ويُسجد، ولا يُحلف باسمه، ولا يُندَر له، ولا يُتوكَّل عليه، ولا يُؤلَّه، ولا يُقسَم به على الله، ولا يُعبد ليقرب إلى الله زلفى، ولا يساوى ربِّ العالمين في قول القائل: ما شاء الله وشئت، وهذا منك ومن الله، وأنا بالله وبك، وأنا متوكل على الله وعليك، والله لي في السماء وأنت في

(١) ذكره عن أحمد القاضي أبو يعلى بن الفراء في كتابه "إبطال التأويلات لأخبار الصفات" ص: (٤٣ و٤٥).

الأرض، وهذا من صدقاتك وصدقات الله، وأنا تائب إلى الله وإليك، وأنا في حسب الله وحسبك، فيسجد للمخلوق كما يسجد المشركون لشيوخهم، ويحلق رأسه له، ويحلف باسمه، وينذر له، ويسجد لقبره بعد موته، ويستغيث به في حوائجه ومهمات، ويرضيه بسخط الله، ولا يسخطه في رضا الله، ويتقرب إليه أعظم مما يتقرب إلى الله، ويحبه ويخافه ويرجوه أكثر مما يحب الله ويخافه ويرجوه، أو يساويه به.

فإذا هضم المخلوق خصائص الربوبية، وأنزل منزلة العبد المحض الذي لا يملك لنفسه -فضلاً عن غيره- ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً لم يكن هذا تنقصاً له ولا خطأ من مرتبته ولو زعم المشركون.

وقد صحح عن سيد ولد آدم صلوات الله وسلامه عليه أنه قال: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإتما أنا عبد فقولوا عبد الله ورَسُوله»<sup>(١)</sup>.

وقال: «أيها الناس ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي»<sup>(٢)</sup>.

وقال: «لا تتخذوا قبري عيداً»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه البخاري: (٣٤٤٥) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) (صحيح) أخرجه أحمد (١٥٣/٣) و (٢٤١/٣)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٠٧٧) و (١٠٠٧٨) من

طرق عن حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أنس بن مالك به، وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم.

(٣) (صحيح) أخرجه أحمد: (٣٦٧/٢)، وأبو داود: (٢٠٤٢) من طريقين عن عبدالله بن نافع عن ابن أبي

ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة به، ورجال إسناده ثقات إلا عبدالله بن نافع وهو الصائغ فإنه صدوق صحيح الكتاب، وهذا الحديث من كتابه كما صرح به الراوي عند أبي داود فإنه أخرجه من طريق

أحمد بن صالح قال: قرأت على عبدالله بن نافع فذكره، فالحديث صحيح والله أعلم.



وَقَالَ: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثْنَا يَعْبُدُ»<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ: «لَا تَقُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ وَ مُحَمَّد»،<sup>(٢)</sup>.

وَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مَا شَاءَ اللَّهُ وَ شئتَ فَقَالَ: «أَجْعَلْتَنِي اللَّهُ نَدًّا»<sup>(٣)</sup>.

وَقَالَ لَهُ رَجُلٌ قَدْ أَذْنَبْتُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَتُوبُ إِلَيْكَ وَلَا أَتُوبُ إِلَيَّ مُحَمَّدٌ فَقَالَ: «عَرَفَ

الْحَقَّ لِأَهْلِهِ»<sup>(٤)</sup>.

<sup>(١)</sup> (صحيح) أخرجه أحمد: (٢٤٦/٢) فقال: حدثنا سفيان عن حمزة بن المغيرة عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة به، وهذا إسناد جيد، سفيان هو ابن عيينة، وحمزة بن المغيرة هو ابن نشيط المخزومي روى عنه جمع وذكره ابن حبان في الثقات وقال ابن معين: لا بأس به. وهذه اللفظة من ابن معين معناها ثقة، وسهيل بن أبي صالح دون الثقة وفوق الصدوق وأبوه ثقة، وله شاهد مرسل عن عطاء بن يسار أخرجه مالك في «الموطأ»: (٤٥٢) عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن النبي ﷺ به، وهذا مرسل صحيح الإسناد فيكون شاهداً لحديث أبي هريرة يرتقي به إلى الصحة.

<sup>(٢)</sup> (صحيح لغیره) أخرجه أحمد: (٧٢/٥)، وابن ماجه: (٢١١٨)، والحاكم: (٣/٤٦٢-٤٦٣)، والدارمي (٢٦٩٩) من طرق عن عبد الملك بن عمير عن ربعي بن حراش عن الطفيل بن سخبرة به مطولاً، وهذا إسناد حسن، وله شواهد منها حديث ابن عباس الذي بعده وغيره فالحديث صحيح، وقد روي الحديث على أوجه غير ما ذكرها هنا، انظرها في حاشية «مسند أحمد»: (٢٩٧/٣٤)، وهذا الذي ذكرناه هنا أصحها، انظر «تاريخ البخاري الكبير»: (٤/٣٦٤)، و«مسند البزار»: (٧/٢٥٣).

<sup>(٣)</sup> (حسن) أخرجه أحمد: (٢١٤/١) و (٢٢٤/١)، والبخاري في «الأدب المفرد»: (٧٨٣) والنسائي في «الكبرى»: (١٠٨٢٥)، والطبراني في «الكبير»: (٢٤٤/١٢) من طرق عن الأجلح عن يزيد بن الأصم عن ابن عباس به، وهذا إسناد ضعيف لضعف الأجلح وهو ابن عبدالله.

وللحديث شواهد منها حديث طفيل بن سخبرة المتقدم، ومنها حديث قتيلة أخرجه أحمد: (٦/٣٧١-٣٧٢)، فالحديث حسن.

<sup>(٤)</sup> (ضعيف) أخرجه أحمد: (٤٣٥/٣)، والحاكم: (٤/٢٥٥)، والطبراني في «الكبير»: (١/٢٨٦) من عن محمد بن مصعب القرقيساني حدثنا سلام بن مسكين ومبارك بن فضالة عن الحسن عن الأسود بن

وَقَدْ قَالَ اللَّهُ [لَهُ]: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

وَقَالَ: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

وَقَالَ: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [يونس: ٤٩].

وَقَالَ: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا \* قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ

أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ [الجن: ٢١-٢٢]، أي: لن أجد من دونه من ألتجئ إليه واعتمد عليه.

وَقَالَ لَا بِنْتَهُ فَاطِمَةَ وَلِعَمَّهُ الْعَبَّاسُ وَعَمَّتَهُ صَفِيَّةُ: «لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا»<sup>(١)</sup>،

وَفِي لَفْظٍ فِي «الصَّحِيحِ»: «لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا»<sup>(٢)</sup>.

فَعَظُمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ بِشِوْخِهِمْ وَأَهْتَمُّوا وَأَبُوا ذَلِكَ كُلَّهُ وَادْعُوا لِشِوْخِهِمْ

وَمَعْبُودِيهِمْ خِلَافَ هَذَا كُلَّهُ وَزَعَمُوا أَنَّ مِنْ سَلْبِهِمْ ذَلِكَ فَقَدْ هَضَمَهُمْ مَرَاتِبَهُمْ

وَتَنَقَّصَهُمْ، وَقَدْ هَضَمُوا جَانِبَ الْإِلَهِيَّةِ غَايَةَ الْهَضْمِ وَتَنَقَّصُوهُ فَالْهَمُّ نَصِيبٌ وَافِرٌ مِنْ قَوْلِهِ

تَعَالَى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ

دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر: ٤٥].

سريع به، وهذا إسناد ضعيف فإن محمد بن مصعب فيه ضعف، والحسن لم يسمع من الأسود بن سريع

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

<sup>(١)</sup> أخرجه البخاري: (٣٥٢٧) و (٤٧٧١)، ومسلم: (٢٠٤) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأخرجه مسلم: (٢٠٥) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

<sup>(٢)</sup> أخرجه البخاري: (٢٧٥٣)، ومسلم: (٢٠٦) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

## فصل

وَالْفَرْقَ بَيْنَ تَجْرِيدِ مُتَابَعَةِ الْمَعْصُومِ وَإِهْدَارِ أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ وَالْغَائِثِهَا: أَنْ تَجْرِيدَ الْمُتَابَعَةَ أَنْ لَا تَقْدَمَ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ قَوْلُ أَحَدٍ وَلَا رَأْيُهُ كَائِنًا مِنْ كَانَ، بَلْ تَنْظُرْ فِي صِحَّةِ الْحَدِيثِ أَوَّلًا فَإِذَا صَحَّ لَكَ نَظَرْتَ فِي مَعْنَاهُ ثَانِيًا، فَإِذَا تَبَيَّنَ لَكَ لَمْ تَعْدِلْ عَنْهُ وَلَوْ خَالَفَكَ مِنْ بَيْنِ الْمَشْرِقِ الْمَغْرِبِ.

وَمَعَادَ اللَّهِ أَنْ تَتَفَقَّ الْأُمَّةُ عَلَى مُخَالَفَةِ مَا جَاءَ بِهِ نَبِيِّهَا بَلْ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ فِي الْأُمَّةِ مَنْ قَالَهُ بِهِ وَلَوْ لَمْ تَعْلَمْهُ، فَلَا تَجْعَلْ جِهْلَكَ بِالْقَائِلِ بِهِ حِجَّةً عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ بَلْ أَذْهَبْ إِلَى النَّصِّ وَلَا تَضْعَفْ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ قَالَهُ بِهِ قَائِلٌ قَطْعًا وَلَكِنْ لَمْ يَصِلْ إِلَيْكَ هَذَا مَعَ حِفْظِ مَرَاتِبِ الْعُلَمَاءِ وَمَوَالَاتِهِمْ وَاعْتِقَادِ حُرْمَتِهِمْ وَأَمَانَتِهِمْ وَاجْتِهَادِهِمْ فِي حِفْظِ الدِّينِ وَضَبْطِهِ فَهَمْ دَائِرُونَ بَيْنَ الْأَجْرِ وَالْأَجْرَيْنِ وَالْمَغْفِرَةِ، وَلَكِنْ لَا يُوجِبُ هَذَا إِهْدَارَ النَّصُوصِ وَتَقْدِيمَ قَوْلِ الْوَاحِدِ مِنْهُمْ عَلَيْهَا لِشُبُهَةِ أَنَّهُ أَعْلَمَ بِهَا مِنْكَ، فَإِنْ كَانَ كَذَلِكَ فَمَنْ ذَهَبَ إِلَى النَّصِّ أَعْلَمَ بِهِ مِنْكَ أَيْضًا، فَهَلَا وَافَقْتَهُ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا.

فَمَنْ عَرَضَ أَقْوَالَ الْعُلَمَاءِ عَلَى النَّصُوصِ وَوَزَنَهَا بِهَا وَخَالَفَ مِنْهَا مَا خَالَفَ النَّصَّ لَمْ يَهْدِرْ أَقْوَاهُمْ وَلَمْ يَهْضُمْ جَانِبَهُمْ بَلْ اقْتَدَى بِهِمْ فَأَيَّتَهُمْ كَلِمَهُمْ أَمَرُوا بِذَلِكَ فَامْتَبِعَهُمْ حَقًّا مِنْ امْتَثَلِ مَا أَوْصُوا بِهِ لَا مِنْ خَالَفَهُمْ، فَخَالَفَهُمْ فِي الْقَوْلِ الَّذِي جَاءَ النَّصُّ بِخِلَافِهِ أَسْهَلُ مِنْ مَخَالَفَتِهِمْ فِي الْقَاعِدَةِ الْكُلِّيَّةِ الَّتِي أَمَرُوا وَدَعَا إِلَيْهَا مِنْ تَقْدِيمِ النَّصِّ عَلَى أَقْوَاهُمْ.

وَمِنْ هُنَا يَتَبَيَّنُ الْفَرْقَ بَيْنَ تَقْلِيدِ الْعَالَمِ فِي كُلِّ مَا قَالَهُ وَبَيْنَ الْإِسْتِعَانَةِ بِفَهْمِهِ وَالِاسْتِضَاءَةِ بِنُورِ عِلْمِهِ، فَلِأَوَّلِهِ: يَأْخُذُ قَوْلُهُ مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ فِيهِ وَلَا طَلَبِ لِدَلِيلِهِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ بَلْ يَجْعَلُ ذَلِكَ كَالْحَبْلِ الَّذِي يَلْقِيهِ فِي عُنُقِهِ يَقْلُدُهُ بِهِ وَلِذَلِكَ سُمِّيَ تَقْلِيدًا، بِخِلَافِ مَنْ اسْتَعَانَ بِفَهْمِهِ وَاسْتِضَاءَ بِنُورِ عِلْمِهِ فِي الْوُصُولِ إِلَى الرَّسُولِ

صلوات الله وسلامه عليه فإنه يجعلهم بمنزلة الدليل إلى الدليل الأول، فإذا وصل إليه استغنى بدلالته عن الاستدلال بغيره فمن استدلل بالنجم على القبلة فإنه إذا شاهدها لم يبق لاستدلاله بالنجم معنى.

قال الشافعي: أجمع الناس على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد<sup>(١)</sup>.

### فصل

والفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان: أن أولياء الرحمن: ﴿ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [يونس: ٦٢]، هم: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ [يونس: ٦٣]، وهم المذكورون في أول سورة البقرة إلى قوله: ﴿ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة: ٥]، وفي وسطها في قوله: ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ [البقرة: ١٧٧]، إلى قوله: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وفي أول الأنفال إلى قوله: ﴿ لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٤]، وفي أول سورة المؤمنين إلى قوله: ﴿ هُمُ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١]، وفي آخر سورة الفرقان، وفي قوله: ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، إلى آخر الآية، وفي قوله: ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ \* الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣]، وفي قوله: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ [النور: ٥٢]، وفي قوله: ﴿ إِلَّا الْمُصَلِّينَ \* الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴾ [المعارج: ٢٢-٢٣]، إلى قوله: ﴿ فِي جَنَّاتٍ

(١) بنحوه في اختلاف الحديث للشافعي: (٥٠٥)، وكذلك في كتابه "الأم" (١٧٧/١) و (٢٧٥/٧).

مُكْرَمُونَ ﴿ [المعارج: ٣٥]، وَفِي قَوْلِهِ: ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ ﴾ [التوبة: ١١٢]، إِلَى آخِرِ الْآيَةِ.

فأولياء الرَّحْمَنِ: هم المخلصون لربهم المحكمون لرسوله في الدُّقِّ والجِلِّ<sup>(١)</sup>، الَّذِينَ يَخْلِفُونَ غَيْرَهُ لِسُنَّتِهِ، وَلَا يَخْلِفُونَ سُنَّتَهُ لَغَيْرِهَا فَلَا يَبْتَدِعُونَ وَلَا يَدْعُونَ إِلَى بَدْعَةٍ وَلَا يَتَحِيزُونَ إِلَى فِتْنَةٍ غَيْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَلَا يَتَّخِذُونَ دِينَهُمْ هَوًّا وَوَلَعْبًا، وَلَا يَسْتَحِبُّونَ سَمَاعَ الشَّيْطَانِ عَلَى سَمَاعِ الْقُرْآنِ، وَلَا يُوَثِّرُونَ صُحْبَةَ الْأَنْتَانِ<sup>(٢)</sup> عَلَى مَرَضَةِ الرَّحْمَنِ، وَلَا الْمَعَازِفِ وَالْمَثَانِي عَلَى السَّبْعِ الْمَثَانِي:

بِرُّنَّا إِلَى اللَّهِ مِنْ مِعْشَرٍ	بِهِمْ مَرَضٌ مُورِدٌ لِلضَّنَى
وَكَمْ قَلْتُ يَا قَوْمُ، أَنْتُمْ عَلَى	شَفَا جُرْفٍ مَا سَمَاعِ الْغِنَا
فَلَمَّا اسْتَهَأْتُوا بَتِّيهِنَا	تَرَكَنَا غَوِيًّا وَمَا قَدْ جَنَا
وَهَلْ يَسْتَجِيبُ لِدَاعِي الْهَدَى	غَوِيًّا أَصَارَ الْغِنَا دَيْدِنَا
فَعِشْنَا عَلَى مِلَّةِ الْمُصْطَفَى	وَمَاتُوا عَلَى تَائِبَتِنَا تَنْتِنَا <sup>(٣)</sup>

وَلَا يَشْتَبِهَ أَوْلِيَاءَ الرَّحْمَنِ بِأَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ إِلَّا عَلَى فَاقِدِ الْبَصِيرَةِ وَالْإِيْمَانِ، وَأَتَى يَكُونُ الْمَعْرُضُونَ عَنْ كِتَابِهِ وَهَدَى وَرَسُولِهِ وَسُنَّتِهِ الْمَخَالِفُونَ لَهُ إِلَى غَيْرِهِ أَوْلِيَاءَهُ، وَقَدْ ضَرَبُوا لِمُخَالَفَتِهِ جَاشًا وَعَدَلُوا عَنْ هَدَى نَبِيِّهِ وَطَرِيقَتِهِ: ﴿ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٤].

(١) في الأصل (الفرق والحل) والمثبت من (ش) و(ف).

(٢) المراد بالأتان الصبيان والمردان قال النووي رحمه الله في كتابه «التيبان في آداب حملة القرآن» ص (٩٣):

«وأفويل السلف في التنفير منهم أكثر من أن تحصى، وقد سموهم «الأتان» لكونهم مستقذرين شرعا».

(٣) ذكر هذه الأبيات أيضًا في «إغاثة اللفهان»: (١/ ٣٤٦)، على اختلاف بينهما وبين ما ذكر هنا.

فأولياء الرَّحْمَنِ المتلبسون بِمَا يُحِبُّهُ وليهم الداعون إِلَيْهِ المحاربون لمن خرج عَنْهُ،  
وأولياء الشَّيْطَانِ المتلبسون بِمَا يُحِبُّهُ وليهم قولاً وَعَمَلًا يدعون إِلَيْهِ ويحاربون من تَهَاهُم  
عَنْهُ.

فَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَجِبُ السَّمَاعَ الشَّيْطَانِيَّ وَمُؤَذِّنَ الشَّيْطَانِ وَإِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ  
وَيَدْعُو إِلَى مَا يَجِبُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الشَّرْكِ وَالْبَدْعِ وَالْفَجُورِ عَلِمْتَ أَنَّهُ مِنْ أَوْلِيَاءِهِ، فَإِنَّ  
اشْتَبَهَ عَلَيْكَ فَاكشِفْهُ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ: فِي صَلَاتِهِ، وَمَحَبَّتِهِ لِلسَّنَةِ وَأَهْلِهَا وَتَقَرُّبِهِ عَنْهُمْ،  
وَدَعْوَتِهِ إِلَى اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَتَجْرِيدِ التَّوْحِيدِ وَالْمَتَابَعَةِ وَتَحْكِيمِ السَّنَةِ، فَرِنُهُ بِذَلِكَ، لَا تَزْنَهُ  
بِحَالٍ وَلَا كَشْفٍ وَلَا خَارِقٍ، وَلَوْ مَشَى عَلَى الْمَاءِ وَطَارَ فِي الْهَوَاءِ.

### فصل

وَبِهَذَا يَعْلَمُ الْفَرْقَ بَيْنَ الْحَالِ الْإِيمَانِيِّ وَالْحَالِ الشَّيْطَانِيِّ:

فَإِنَّ الْحَالَ الْإِيمَانِيَّ ثَمَرَةُ الْمَتَابَعَةِ لِلرَّسُولِ وَالْإِخْلَاصِ فِي الْعَمَلِ وَتَجْرِيدِ التَّوْحِيدِ،  
وَنَتِيجَةُ مَنَفَعَةِ الْمُسْلِمِينَ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، وَهُوَ إِنَّمَا يَصَحُّ بِالِاسْتِقَامَةِ عَلَى السَّنَةِ  
وَالْوُقُوفِ مَعَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ.

وَالْحَالِ الشَّيْطَانِيِّ: يَسْبَبُهُ إِمَّا شَرِكٌ أَوْ فَجُورٌ وَهُوَ يَنْشَأُ مِنْ قَرَبِ الشَّيَاطِينِ وَالِاتِّصَالِ  
بِهِمْ وَمِشَابَهَتِهِمْ، وَهَذَا الْحَالُ يَكُونُ لِعِبَادِ الْأَصْنَامِ وَالصُّلْبَانَ وَالنِّيرَانَ وَالشَّيْطَانَ، فَإِنَّ  
صَاحِبَهُ لَمَّا عَبْدَ الشَّيْطَانَ خَلَعَ عَلَيْهِ حَالًا يَصْطَادُ بِهِ ضَعْفَاءَ الْعُقُولِ وَالْإِيمَانَ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا  
اللَّهُ كَمَ هَلَكَ بِهِؤَلَاءِ مِنَ الْخَلْقِ: ﴿لِيُرْذُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾  
فَكَلَّ حَالٍ خَرَجَ صَاحِبُهُ عَنِ حُكْمِ الْكِتَابِ وَمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ فَهُوَ شَيْطَانِيٌّ كَأَنَّ مَا  
كَانَ.

وَقَدْ سَمِعْتُ بِأَحْوَالِ السَّحَرَةِ وَعِبَادِ النَّارِ وَعِبَادِ الصَّلِيبِ وَكَثِيرٍ مِمَّنْ يَنْتَسِبُ إِلَى  
الإِسْلَامِ ظَاهِرًا وَهُوَ بَرِيءٌ مِنْهُ فِي الْبَاطِنِ لَهُ نَصِيبٌ مِنْ هَذَا الْحَالِ بِحَسَبِ مَوَالَاتِهِ  
لِلشَّيْطَانِ وَمَعَادَاتِهِ لِلرَّحْمَنِ.

وَقَدْ يَكُونُ الرَّجُلُ صَادِقًا وَلَكِنْ يَكُونُ مَلْبُوسًا عَلَيْهِ بِجَهْلِهِ فَيَكُونُ حَالَهُ شَيْطَانِيًّا مَعَ  
زُهْدٍ وَعِبَادَةٍ وَإِخْلَاصٍ لَكِنْ لُبْسٌ عَلَيْهِ الْأَمْرَ لِقَلَّةِ عِلْمِهِ بِأُمُورِ الشَّيَاطِينِ وَالْمَلَائِكَةِ  
وَجَهْلِهِ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ.

وَقَدْ حَكِيَ هُوْلَاءِ وَهُوْلَاءِ مِنْ لَيْسَ مِنْهُمْ بَلْ هُوَ مَتَشَبِهٌ صَاحِبِ مِحَالٍ<sup>(١)</sup> وَمُخَارِقٍ،  
وَوَقَعَ النَّاسُ فِي الْبَلَاءِ بِسَبَبِ عَدَمِ التَّمْيِيزِ بَيْنَ هُوْلَاءِ وَهُوْلَاءِ فَحَسَبُوا كُلَّ سَوْدَاءٍ تَمْرَةً،  
وَكُلَّ بَيْضَاءٍ شَحْمَةً، وَالْفَرْقَانِ أَعَزَّ مَا فِي هَذَا الْعَالَمِ، وَهُوَ نُورٌ يَقْذِفُهُ اللَّهُ فِي الْقَلْبِ يَفْرُقُ  
بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَيُزِنُ بِهِ حَقَائِقَ الْأُمُورِ خَيْرَهَا وَشَرَّهَا وَصَالِحَهَا وَفَاسِدَهَا، فَمَنْ  
عَدِمَ الْفَرْقَانَ وَقَعَ وَلَا بُدَّ فِي أَشْرَاكِ الشَّيْطَانِ، فَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ وَعَلَيْهِ التَّكْلَانِ.

### فصل

وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْحُكْمِ الْمُنْزَلِ الْوَاجِبِ الْإِتِّبَاعِ وَالْحُكْمِ الْمُؤُولِ الَّذِي غَايَتُهُ أَنْ يَكُونَ جَائِزٌ  
الْإِتِّبَاعِ: أَنَّ الْحُكْمَ الْمُنْزَلَ [هُوَ] الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ، وَحُكْمٌ بِهِ بَيْنَ عِبَادِهِ، وَهُوَ  
حُكْمُهُ الَّذِي لَا حُكْمَ لَهُ سِوَاهُ.

وَأَمَّا الْحُكْمُ الْمُؤُولُ: فَهُوَ أَقْوَالُ الْمُجْتَهِدِينَ الْمُخْتَلَفَةِ الَّتِي لَا يَجِبُ اتِّبَاعُهَا وَلَا يَكْفُرُ  
وَلَا يَفْسُقُ مِنْ خَالَفَهَا، فَإِنْ أَصْحَابَهَا لَمْ يَقُولُوا هَذَا حُكْمَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، بَلْ قَالُوا اجْتَهِدْنَا

(١) المحال مأخوذ من المحل وهو المكر والكيد والحيلة.

برأينا فمن شاء قبله ومن شاء لم يقبله ولم يلزموا به الأمة؛ بل قال أبو حنيفة: هذا رأي فمن جاءني بخير منه قبلناه<sup>(١)</sup>.

ولو كان هو عين حكم الله لما ساع لأبي يوسف ومحمد وغيرهما مخالفته فيه. وكذلك مالك استشاره الرشيد أن يحمل الناس على ما في الموطأ فمعه من ذلك، وقال: قد تفرق أصحاب رسول الله ﷺ في البلاد وصار عند كل قوم علم غير ما عند الآخرين<sup>(٢)</sup>.

<sup>(١)</sup> ذكره الذهبي في كتابه "مناقب الإمام أبي حنيفة" وصاحبيه: (ص ٣٤) من طريق محمد بن شجاع الثلجي سمعت إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة يقول قال أبو حنيفة: هذا الذي نحن فيه رأي ولا نجبر عليه أحداً، ولا نقول يجب على أحد قبوله، فمن كان عنده أحسن منه فليأت به.

وهذا إسناد ضعيف جداً محمد بن شجاع الثلجي كذاب، وإسماعيل بن حماد ضعيف.

\* وذكر له طريقاً أخرى عن الحسن بن زياد اللؤلؤي قال: قال أبو حنيفة: علمنا هذا رأي، وهو أحسن ما قدرنا عليه ومن جاء بأحسن منه قبلناه منه.

واللؤلؤي هذا كذاب كذب ابن معين وابن نمير وأبو داود وغيرهم كثير كما في "لسان الميزان".

<sup>(٢)</sup> (صحيح عن أبي جعفر المنصور) هذه القصة أخرجها أبو نعيم في "الحلية": (٦/٣٣٢) فقال: حدثنا سليمان بن أحمد - إملاءً - حدثنا المقدم بن داود حدثنا عبدالله بن عبد الحكم قال: سمعت مالك بن أنس يقول شاورني هارون الرشيد في ثلاث: ١- في أن يعلق الموطأ في الكعبة ويحمل الناس على ما فيه....). وإسناده ضعيف لضعف المقدم بن داود بن عيسى بن تليد الرعيني قال عنه النسائي: ليس بثقة، وقال الدار قطني: ضعيف.

\* وقد جاء أن الذي أراد أن يحمل الناس على ما في "الموطأ" هو أبو جعفر المنصور أخرج ابن أبي حاتم في مقدمة "الجرح والتعديل": (١/٢٨) فقال: حدثني أبي أخبرنا أبو يوسف محمد بن أحمد بن الحجاج الصيدلاني - كذا وقع والصواب الصيدلاني - أخبرنا أبو خليل يعني عتبة بن حماد القارئ الدمشقي عن مالك بن أنس قال: قال لي أبو جعفر.... فذكره، وإسناده حسن رجاله ثقات إلا عتبة بن حماد فهو صدوق.



وَهَذَا الشَّافِعِيُّ يَنْهَى أَصْحَابَهُ عَنِ تَقْلِيدِهِ وَيُوصِيهِمْ بِتَرْكِ قَوْلِهِ إِذَا جَاءَ الْحَدِيثَ بِخِلَافِهِ<sup>(١)</sup>.

وَهَذَا الْإِمَامُ أَحْمَدُ يُنْكَرُ عَلَى مَنْ كَتَبَ فَتَاوَاهُ وَدَوَّنَهَا وَيَقُولُ: لَا تَقْلُدْنِي وَلَا تَقْلُدْ فَلَانًا وَلَا فَلَانًا وَخُذْ مِنْ حَيْثُ أَخَذُوا<sup>(٢)</sup>.

وللقصة عن أبي جعفر المنصور مع مالك أسانيد أخرى ذكرها ابن عساكر في «كشف المغطأ في فضل الموطأ»: (ص ٥٣-٥٥)، فالقصة صحيحة.

\* وقد جاء أن الذي أراد أن يحمل الناس على ذلك هو المهدي ابن أبي جعفر المنصور أخرج ابن عبد البر في «الانتقاء في فضل الأئمة الثلاثة الفقهاء»: (ص ٨٠)، وفي إسناد إبراهيم بن حماد الزهري ضعفه الدارقطني.

وأخرجه ابن عساكر في «كشف المغطأ»: (ص ٥٦)، وفي إسناده من لم أعرفه، وقد جاء في الأثر السابق عن المنصور أنه أوصى مالكاً أن يكتب «الموطأ» لولده محمد المهدي.

فتبين من هذا أن الذي أراد هذا الأمر من مالك هو أبو جعفر المنصور، ولذا لما ذكر ابن كثير هذه القصة في اختصار علوم الحديث قال: وقد طلب المنصور من الإمام مالك أن يجمع الناس على كتابه فلم يجبه إلى ذلك... فنسبها إلى المنصور دون غيره. والله أعلم.

<sup>(١)</sup> جاء في هذا عن الشافعي عدة آثار، انظرها في «مقدمة صفة صلاة النبي ﷺ» للعلامة الألباني: (ص ٥٢-٥٣).

<sup>(٢)</sup> جاء في هذا عن أحمد عدة آثار انظرها في «مقدمة صفة صلاة النبي ﷺ» للعلامة الألباني: (ص ٥٢-٥٣). وانظر فصلاً مفيداً في نهي الأئمة الأربعة عن التقليد في «إعلام الموقعين» لابن القيم: (٣/٤٦٩-٤٧٠)، ط دار ابن الجوزي.

وَلَوْ عَلِمُوا رِضْوَانَهُ أَنَّ أَقْوَاهُمْ وَحِيٌّ يَجِبُ اتِّبَاعَهُ لِحُرْمَةِ عَلَى أَصْحَابِهِمْ مَخَالَفَتِهِمْ،  
وَلَمَّا سَاعَ لِأَصْحَابِهِمْ أَنْ يَفْتُوا بِخِلَافِهِمْ فِي شَيْءٍ، وَلَمَّا كَانَ أَحَدُهُمْ يَقُولُ الْقَوْلَ ثُمَّ يُفْتِي  
بِخِلَافِهِ، فَيُرْوَى عَنْهُ فِي الْمَسْأَلَةِ الْقَوْلَانِ وَالثَّلَاثَةَ وَأَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، فَالرَّأْيُ وَالِاجْتِهَادُ  
أَحْسُ أَحْوَالِهِ أَنْ يَسُوعَ اتِّبَاعَهُ وَالْحُكْمَ الْمُنْزَلَ لَا يَجِلُ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُخَالِفَهُ وَلَا يَجْرُجُ عَنْهُ.  
وَأَمَّا الْحُكْمُ الْمُبْدَلُ: وَهُوَ الْحُكْمُ بغيرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَلَا يَجِلُ تَنْفِيذُهُ وَلَا الْعَمَلُ بِهِ وَلَا  
يَسُوعَ اتِّبَاعَهُ وَصَاحِبِهِ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْفُسُوقِ وَالظُّلْمِ.

وَالْمَقْصُودُ التَّنْبِيهِ عَلَى بَعْضِ أَحْوَالِ النَّفْسِ الْمُطْمَئِنَّةِ وَاللُّوَامَةِ وَالْأَمَارَةِ وَمَا تَشْتَرِكُ  
فِيهِ النَّفُوسُ الثَّلَاثَةُ وَمَا يَتَمَيَّزُ بِهِ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَأَفْعَالُ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا وَاخْتِلَافُهَا  
وَمَقَاصِدُهَا وَنِيَاتُهَا، وَفِي ذَلِكَ تَنْبِيهِ عَلَى مَا وَرَاءَهُ.

وَهِيَ نَفْسٌ وَاحِدَةٌ تَكُونُ أَمَارَةً تَارَةً وَلُوَامَةً أُخْرَى وَمُطْمَئِنَّةً أُخْرَى، وَأَكْثَرُ النَّاسِ  
الْغَالِبُ عَلَيْهِمُ الْأَمَارَةُ، وَأَمَّا الْمُطْمَئِنَّةُ فَهِيَ أَقْلُ النَّفُوسِ الْبَشَرِيَّةِ عِدَدًا وَأَعْظَمُهَا عِنْدَ اللَّهِ  
قَدْرًا وَهِيَ الَّتِي يُقَالُ لَهَا: ﴿ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ﴾ \* فَادْخُلِي فِي عِبَادِي \*  
وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿ [الفجر: ٢٨ - ٣٠].



وبهذا أكون قد انتهيت من تخريج أحاديث هذا الكتاب وآثاره والتعليق عليه

وكان الفراغ منه بعون الله وفضله

(٥/ جمادى الآخرة / ١٤٣٢ هـ)

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

دار الحديث بدماج - اليمن - حفظها الله وحفظ القائمين عليها

إنه على كل شيء قدير

وَاللّٰهُ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالٰى الْمَسْئُوْلُ الْمَرْجُو الْاِجَابَةَ، اَنْ يَجْعَلَ نَفُوْسَنَا مَطْمِئِنَةً اِلَيْهِ عَاكِفَةً  
بِهَمَّتْهَا عَلَيْهِ، رَاهِبَةً مِنْهُ، رَاغِبَةً فِيْمَا لَدَيْهِ، وَاَنْ يَعِيْذَنَا مِنْ شُرُوْر اَنْفُسِنَا وَسِيْئَاتِ اَعْمَالِنَا،  
وَاَنْ لَا يَجْعَلْنَا مِمَّنْ اَغْفَلَ قَلْبُهُ عَنِ ذِكْرِهِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ اَمْرُهُ فَرْطًا، وَلَا يَجْعَلْنَا مِنَ  
الْاٰخْسَرِيْنَ اَعْمَالًا الَّذِيْنَ ضَلَّ سَعِيْهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُوْنَ اَنْهُمْ يَحْسَبُوْنَ صِنْعًا،  
اِنَّهٗ سَمِيْعُ الدُّعَاۗءِ وَاَهْلُ الرَّجَاۗءِ، وَهُوَ حَسْبُنَا وَنَعْمَ الْوَكِيْلُ.



## فهارس الآيات

- ٤٢٨..... ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ﴾
- ٦٠١..... ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾
- ٥٧٩..... ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾
- ٢١٦..... ﴿أَقْمِنَ يَعْلَمُ أَنَّمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾
- ٤٧٢..... ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾
- ٦٨٨..... ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ \* الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾
- ٦٨٨..... ﴿إِلَّا إِنْ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ﴾
- ٣٨٠..... ﴿إِلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾
- ٦٨٩..... ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ﴾
- ١١٧..... ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَّهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ﴾
- ٤١٩..... ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾
- ١٥٢..... ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾
- ٥٨١..... ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾
- ١٦٣..... ﴿الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ﴾
- ٤٦٨..... ﴿الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾
- ٥٩٨..... ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾
- ٤١٨..... ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾
- ٥٠٠..... ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾
- ٤٦٨..... ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ﴾
- ٢٤٢..... ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾
- ٢٤٢..... ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ﴾
- ٢٨٩..... ﴿التَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾
- ٣٧٨..... ﴿أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ﴾
- ٢٧٨..... ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾
- ٦٢٠..... ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾
- ٣٧٧..... ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾
- ٣٧٧..... ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾
- ٣٧٧..... ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْطَغِي \* أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى﴾
- ٦٤٣..... ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾

- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾ ..... ٣٠١
- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا ﴾ ..... ٥٣٠
- ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ ..... ٨٣
- ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ﴾ ..... ٦٨٨
- ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ ..... ٥٩٥، ٥٨٠، ٥٧٥، ٤٣٨
- ﴿ إِنَّ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ ﴾ ..... ٦٣٦
- ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ ..... ٦٢١
- ﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴾ ..... ٢٤٢
- ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ ﴾ ..... ٤٦٥
- ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ ﴾ ..... ٤٧٥
- ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ ..... ٦٧٦
- ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ ﴾ ..... ١٧٤
- ﴿ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ﴾ ..... ٦٧٧، ٦٧٦
- ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﴾ ..... ٤٣٨، ٤١٧، ٤١٦
- ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ ..... ٦٠٠، ٣٧٠
- ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ ..... ٤٨١
- ﴿ إِنِّي خَالِقٌ بَثْرًا مِنْ طِينٍ \* فَإِذَا سَوَّيْتُهُ ﴾ ..... ٤٨٢
- ﴿ أَيُّ مَسْنِي الضُّرِّ وَأَنْتِ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ ..... ٦٧٦
- ﴿ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا ﴾ ..... ٤٦٦، ٤٥١
- ﴿ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ ﴾ ..... ٥٧٨، ٤٣٧
- ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ..... ٥٨٧، ٤١٩
- ﴿ إِنَّمَا السَّبْعُ مِثْلُ الرِّبَا ﴾ ..... ٦٧٨
- ﴿ إِثْتِبَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ﴾ ..... ٢٤٣، ٩١
- ﴿ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ﴾ ..... ٦٤٧
- ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ ﴾ ..... ٢٦٣، ٢٦٢
- ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا ﴾ ..... ٢٢١
- ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ﴾ ..... ٤٣٧
- ﴿ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ﴾ ..... ٤١٥
- ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ﴾ ..... ٦٣٤، ٢٤٣
- ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النُّبُلِ قَالَتْ نُمْلَةٌ ﴾ ..... ٤٦١

- ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ ..... ٤٨٢
- ﴿ خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ ..... ٤٣٩
- ﴿ رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ ﴾ ..... ١٨٢، ١٦٦، ١٦٣، ١٤٢، ١٣٨
- ﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ ..... ٤٧١
- ﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ ..... ٦٥٩، ٣٨٦
- ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا ﴾ ..... ٢٠٨
- ﴿ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ ﴾ ..... ٤٦٣
- ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ ..... ٤٦٣
- ﴿ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ ..... ٤٥٣، ٤٥١، ٤٤٦، ٢٩٦
- ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ﴾ ..... ٦٠٨
- ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا ﴾ ..... ٤٦٠، ٤٤١، ٤١٧
- ﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾ ..... ٦٥٩
- ﴿ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾ ..... ٢٩٨
- ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ﴾ ..... ٤٧٣، ٤٤٦
- ﴿ فَالْيَوْمَ لَا تُظَلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ﴾ ..... ٣٨٤
- ﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ ..... ٣٠٠، ٢٩٨، ٢٥١
- ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾ ..... ٦٣٥
- ﴿ فَإِنْ تَنَارَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ ..... ٣٩٩
- ﴿ فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾ ..... ١٩٦
- ﴿ فَأَنى تُسْحَرُونَ ﴾ ..... ٦٠٧
- ﴿ فَبِمَا نَفْسِهِمْ مِيثَاقُهُمْ لَعَنَاهُمْ ﴾ ..... ٤٦٩
- ﴿ فَذَرُهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ ﴾ ..... ٢٤٩، ١٤٣
- ﴿ فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ﴾ ..... ٥٧٥
- ﴿ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾ ..... ٤٧٧
- ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا ﴾ ..... ٦٤٣، ٦٤٢
- ﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ ﴾ ..... ٢٨٠
- ﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْخُلُوفَ ﴾ ..... ٤٢٧، ٢٥٠، ٢٢٢
- ﴿ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمْ ﴾ ..... ٤٢٨
- ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ ..... ٣٧٧
- ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ..... ٢٨٠
- ﴿ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا ﴾ ..... ٢٤٩

- ﴿ قَوْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ ..... ٦٣٤
- ﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ ..... ٣٤٥
- ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ ..... ٦٠٨
- ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ ..... ٦٠٨
- ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ ..... ٤٩٩، ٤٩١، ٤٣٦، ٤٣٥، ٤٣٣، ٤٣٢، ٤٣١، ٤٢٩، ٤٢٨، ٤١٤
- ﴿ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ﴾ ..... ٦٨٦
- ﴿ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴾ ..... ٦٨٦
- ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾ ..... ٦٥٠، ٢١٦
- ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ﴾ ..... ٤٥٢
- ﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾ ..... ٦٨٦
- ﴿ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ﴾ ..... ٢٩١
- ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ ﴾ ..... ٤٣٧
- ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾ ..... ٦٤١
- ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ ﴾ ..... ٥١٧، ١٨٥
- ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ ..... ١٣٨
- ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ ..... ١٣٨
- ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ ..... ٥٧٥
- ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ ..... ٤٣٨، ٢٤٦
- ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ ﴾ ..... ٣٢٩
- ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينَ ﴾ ..... ٢٧٨
- ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ﴾ ..... ١٨٢، ١٨١، ١٦٦، ١٦٣، ١٤٢
- ﴿ لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ ..... ٥٨٠
- ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى ﴾ ..... ١٤٢
- ﴿ لَيْسَ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴾ ..... ١١٨
- ﴿ لَنْ نَضْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ ﴾ ..... ٤٨٠
- ﴿ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ ..... ٢٤٣
- ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ ﴾ ..... ٣٨٤، ٣٧٠
- ﴿ لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ ..... ٦٨٨
- ﴿ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً ﴾ ..... ٦٣٤
- ﴿ لِيُرِدُّوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ﴾ ..... ٦٩٠

- ٦٤٧..... ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيَّ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾
- ٥١..... ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾
- ٦٨٦..... ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾
- ٢٨٢..... ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْحَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾
- ٥٨٥..... ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾
- ٦٥٤، ٥٨٥، ٤٢٥..... ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ﴾
- ٦٤٦..... ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾
- ٢٩١..... ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾
- ٢٤٣، ١٦٣..... ﴿مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾
- ٣٨٠..... ﴿مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾
- ٢٩٠..... ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾
- ٤٨٢..... ﴿مَنْ صَلَّاهُ كَالْفَخَّارِ﴾
- ٤٣٧..... ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلْبِرِّ لِحَبِيلٍ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ﴾
- ١٧٨، ١٦٧..... ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾
- ٤٣٧..... ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾
- ٤٢٩..... ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ﴾
- ٤٤٦..... ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى﴾
- ٤٨٣، ٤٢٠..... ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ﴾
- ٦٨٨..... ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾
- ٢٤٨..... ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾
- ٥١..... ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾
- ٤٦٨..... ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لُبِّيئْتُهُ﴾
- ٤٦٧..... ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾
- ٤٧٣، ٤٦٣، ٤٦٠، ٤٤٩، ٤٤٦، ٤٤٣، ٣٣٩، ٣٣٨، ٢٩٦..... ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾
- ٤٧٦، ٤٧٤
- ٤٦٩، ٤٤٦..... ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾
- ٤٨٠..... ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾
- ٦٨٦..... ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾
- ٦٤٩..... ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْتُ سُورَةً﴾
- ٢٤٨..... ﴿وَإِذْ كُنَّا مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُمْ﴾
- ٤٦٨..... ﴿وَإِذْ كُنَّا نَعْمَةً اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾



- ﴿ وَأَصْحَابَ الشَّمَالِ ﴾ ..... ٤٥١
- ﴿ وَأَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴾ ..... ٤٥١
- ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ ﴾ ..... ٦٣٠
- ﴿ وَالَّتِي أَحْصَنْتَ فَرَجَهَا فَتَفَخْنَا فِيهَا ﴾ ..... ٤٤٠
- ﴿ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ ﴾ ..... ٦٤٩ ، ٢١٦
- ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴾ ..... ٦٣٥
- ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا ﴾ ..... ٦٧١ ، ٦٢٠
- ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَآتَيْنَاهُمْ دُرِّيَّاتِهِمْ ﴾ قراية سبعة ..... ٣٧٩
- ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ ﴾ ..... ٣٥٩
- ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بَقِيعةٍ ﴾ ..... ٦٤١
- ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا ﴾ ..... ٦٦١
- ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ﴾ ..... ٤٨٦
- ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ ..... ٤١٩
- ﴿ وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ..... ٦٣٥
- ﴿ وَإِنَّمَا يَنْزِعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ ﴾ ..... ٦٠٨
- ﴿ وَأَنْ سَعِيهَ سَوْفَ يُرَى ﴾ ..... ٣٧٧
- ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ ..... ٤٠١ ، ٣٨٠ ، ٣٧٩ ، ٣٧٦ ، ٣٧٤ ، ٣٧٢ ، ٣٧٠ ، ٣٥٧
- ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ ..... ٢٤٢
- ﴿ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ ..... ٢٤٨
- ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ ..... ٤٦٨
- ﴿ وَيَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾ ..... ٦٤٢
- ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ﴾ ..... ٦٣٥
- ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ ..... ٦٦١
- ﴿ وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ ﴾ ..... ٦٦٠
- ﴿ وَدُّوا لَوْ تُكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ﴾ ..... ٦٦٠
- ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾ ..... ٤٣٩
- ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ ..... ٣٢٨
- ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ ﴾ ..... ٤٣٥ ، ٤٢٨ ، ٤١٧ ، ٤١٥
- ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ ..... ٣٣٣
- ﴿ وَعَرَّثَكُمْ الْأَمَانِي ﴾ ..... ٦٤٣

- ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ ..... ٥٥١
- ﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ ..... ٦٥٩ ، ٣٨٦
- ﴿ وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكْ شَيْئًا ﴾ ..... ٤١٨
- ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴾ ..... ٦٠٨
- ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ﴾ ..... ٥٧٥ ، ٤٣٧
- ﴿ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ ﴾ ..... ٤٧٢
- ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ﴾ ..... ٦٧٢ ، ٦٢٠
- ﴿ وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾ ..... ٥٩٣ ، ٥٨٠ ، ٤٣٨
- ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾ ..... ٦٧١ ، ٦٢٠
- ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ﴾ ..... ٤٦٢ ، ٣٤٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٦ ، ١٥٨ ، ١٥٦ ، ١٣٨ ، ١٠١
- ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ ..... ٣٨٠ ، ٣٧٧
- ﴿ وَلَا تُطْعَمُونَ مِنْهُمْ أَيْمَانًا أَوْ كُفُورًا ﴾ ..... ٤٧٥
- ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ ..... ٥٧٥
- ﴿ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ ثُوْعِدُونَ ﴾ ..... ٢٠٩
- ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ ﴾ ..... ٥٦٢
- ﴿ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾ ..... ٢٩١
- ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ ﴾ ..... ٢٩٠
- ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ ﴾ ..... ٥٠٠
- ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴾ ..... ٤٨٠
- ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ﴾ ..... ٤٨٩ ، ٤٨٨ ، ٤٨٠ ، ٤٧٨ ، ٤٤٣ ، ٤١٩ ، ٣٣٨ ، ٢٩٦
- ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ﴾ ..... ٤٨٠
- ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ ﴾ ..... ٣٣٣ ، ٢٩٤
- ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ ..... ٦٨٨
- ﴿ وَاللَّهُ يَسْجُدُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ ..... ٤٦٤
- ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ ﴾ ..... ٢٥٠ ، ٢٤٩
- ﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ..... ٤٥٤ ، ٤٥٢
- ﴿ وَاللَّهُمَّ اللَّعْنَةُ ﴾ ..... ٣٧٩
- ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ ﴾ ..... ٥١٦ ، ٥٠٠ ، ٢٤٨ ، ١٨٤ ، ١٥٢
- ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِمَاهُمْ ﴾ ..... ٦٢٢
- ﴿ وَلَوْلَا أَنْ تَبَتَّنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ ﴾ ..... ٥٩٥
- ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ﴾ ..... ٥٩٥

- ٦٣٤ ..... ﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾
- ٦٤٣ ..... ﴿وَلَيْنَ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْبَىٰ﴾
- ٤٧٢ ..... ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ﴾
- ٢٠٣ ..... ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾
- ٢٨٢ ..... ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾
- ٦٤٣ ..... ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾
- ٤٢٨ ..... ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ﴾
- ١٧٤ ، ١٦٤ ، ٩١ ، ٨٨ ، ٥٤ ، ٥٣ ..... ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾
- ٢٠٨ ..... ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾
- ٣٧٨ ..... ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾
- ٣٧٨ ..... ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوَمِّنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾
- ٦٨٩ ..... ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ﴾
- ٢٨٣ ..... ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ﴾
- ٤٥٤ ، ٤٤٦ ..... ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ﴾
- ٣٧٨ ..... ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾
- ٦٦٣ ..... ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا﴾
- ٦٧٩ ..... ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ﴾
- ٣٣٦ ، ٢٤٤ ..... ﴿وَمِنَ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾
- ٢٧٧ ، ١٦٢ ..... ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ﴾
- ٩٣ ، ٩٢ ، ٩١ ..... ﴿وَمَن يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾
- ٦٨٨ ..... ﴿وَمَن يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ﴾
- ٥٥٧ ..... ﴿وَمِنْكُمْ مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلٍ﴾
- ٤٦٤ ..... ﴿وَتَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ﴾
- ٤٦٤ ..... ﴿وَتَادَىٰ أَصْحَابُ الْجُنَّةِ﴾
- ٤٦٤ ..... ﴿وَتَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ﴾
- ١٤٩ ، ١٤١ ، ١٤٠ ، ١٣٩ ..... ﴿وَتُفَعَّ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ﴾
- ٤٨٢ ، ٤٤٠ ، ٤٣٨ ، ٤١٥ ..... ﴿وَتَفَخَّتْ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾
- ٤٣٨ ، ١٥٢ ..... ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾
- ٥٧٥ ..... ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾
- ٥٠٠ ، ١٠٤ ..... ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾

- ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ﴾ ..... ٦٣٠
- ﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ ..... ٢١٦
- ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَحْبَبْتُمْ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ..... ٢٨٠
- ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴾ ..... ٦٥٢، ٥٨٠، ٥٧٥، ٥٠٦، ٥٠٠، ٤٣٨، ٣٠١، ٢٥١، ١٥٢، ٩٣
- ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا ﴾ ..... ٣٧٧
- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ ﴾ ..... ٦٧٨
- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾ ..... ٨٥، ٨٣
- ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ ﴾ ..... ٤٩٠، ٤٥٦، ٣
- ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ ﴾ ..... ٤٨٠
- ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾ ..... ٦٤٣
- ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ ﴾ ..... ٤٨٨، ٤٥٥
- ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَىٰ اللَّهِ ﴾ ..... ٤٢٧
- ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ ..... ٢١٦
- ﴿ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ ﴾ ..... ٤٦١، ٢٤٢
- ﴿ يَا حَسْرَتًا عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ ﴾ ..... ٥٩٠
- ﴿ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴾ ..... ١١٧، ٧٤، ٧٣
- ﴿ يَا وَيْلَتَا مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدِنَا ﴾ ..... ٢٨٩
- ﴿ يُدَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ ﴾ ..... ٢٨٢، ٢٧٧، ٢٧٥، ٢٠٣، ١٩٥، ١٩٤
- ﴿ يُحْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ ﴾ ..... ٦٢٢
- ﴿ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ ﴾ ..... ٥٧٦، ٤٣٧
- ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ ﴾ ..... ٥٧٦
- ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ مُجَادِلًا عَنْ نَفْسِهَا ﴾ ..... ٥٧٥
- ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴾ ..... ٦٤١
- ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا ﴾ ..... ٤٣٧، ٤٣٠
- ﴿ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ ..... ٥٨٢

## فهارس الأحاديث

- ١١٠..... «أبشر فَإِنِّي لم أر مثل حسن الظنِّ بِاللَّهِ شَيْئًا».....
- ٢٣٢..... «أخبر النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الدَّجَالِ: أَنَّهُ يَأْتِي مَعَهُ بِيَاءٌ وَنَارٌ».....
- ٥١٧..... «إِذَا تَوَفَّى الْمُؤْمِنَ بَعَثَ إِلَيْهِ مَلَكَانَ» «عبد الله بن عمرو».....
- ٧٨..... «إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ فَسُوَيْتُمْ عَلَيْهِ التُّرَابُ».....
- ٩٨..... «إِذَا مَاتَ الرَّجُلُ اسْتَقْبَلَهُ وَلَدَهُ كَمَا يَسْتَقْبَلُ الْغَائِبُ».....
- ٩٨..... «إِذَا مَاتَ الْمَيِّتُ تَلَقَّتْهُ الْأَرْوَاحُ يَسْتَخْبِرُونَهُ كَمَا يَسْتَخْبِرُ الرَّكْبُ مَا فَعَلَ فَلَانَ مَا فَعَلَ فَلَانَ؟».....
- ٥٠٢..... «ارجعي إلى ربك» هذا عند الموت «أبو صالح».....
- ٣٩٣..... «الخلق عيال الله فأحبهم إِلَيْهِ».....
- ٦١..... «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَمَلٍ أَحْزَى بِهِ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ».....
- ٣٦٥..... «أمر بنت المرأة التي نذرت صوم شهر أن تصوم عنها».....
- ٦٨..... «إن أفضل ما نعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وإني كنت على أطباق ثلاث».....
- ١٢٩..... «إن الأرواح جنود مجنونة تلتقى في الهواء فتشام».....
- ٧٧..... «إن الرجل ليشير في قبره بصلاح ولده من بعده».....
- ٩٨..... «إن نفس المؤمن إذا قبضت تلقاها أهل الرحمة من عند الله».....
- ٥٩..... «أنس الله وحشتكم ورحم غربتكم وتجاوز عن مسيئكم».....
- ١١٥..... «أي الأعمال وجدت أفضل؟ قال: ما أريد به وجه الله عز وجل».....
- ٨٦..... «أثتوني بالسكين أشق الوالد بينكم».....
- ٦٠..... «بلغني أن أعمال الأحياء تعرض على أقاربهم الموتى».....
- ٢٤٣..... «تسيح الطعام وهو يؤكل».....
- ٦٥..... «جزى الله أهل الدنيا خيرًا أقرهم منا السلام فإنه يدخل علينا من دعائهم نور أمثال الجبال».....
- ٢٤٣..... «حديث حنين الجذع».....
- ٢٤٤..... «حديث من أوصى بنيه أن يحرقوه».....
- ١٦٩..... «رأى إبراهيم فسبه بنفسه».....
- ١٦٨..... «رأى إبراهيم مُسندًا ظهره إلى البيت المعمور».....
- ٦٢٦..... «رأى النجاشي بالحبشة لما مات وهو بالمدينة».....
- ٦٢٥..... «رأى امرأة بموتة وقد أصيبوا».....
- ٦٢٤..... «رأى بيت المقدس عيانًا وهو بمكة».....
- ١٦٩..... «رأى عيسى يقطر رأسه».....

- رَأَى قُصُورَ الشَّامِ وَأَبْوَابَ صِنْعَاءَ ..... ٦٢٤
- رَأَى مُوسَى آدَمَ ضَرْبًا طَوَالًا ..... ١٦٩
- رَأَى مُوسَى قَائِمًا يَصَلِّي فِي قَبْرِهِ ..... ١٧٢
- رَأَيْتُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ فِي النَّوْمِ فَقُلْتُ: أَوْصِنِي قَالَ: أَقَلُّ مِنَ مَعْرِفَةِ النَّاسِ ..... ١١٠
- رَأَيْتُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ فِي النَّوْمِ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا فَعَلَ اللَّهُ بِكَ؟ قَالَ لَقِيتُ مُحَمَّدًا وَحَزَبَهُ ..... ٩٥
- رَأَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْمُبَارَكِ فِي النَّوْمِ بَعْدَ مَوْتِهِ فَقُلْتُ: أَلَيْسَ قَدِمْتَ؟ ..... ٩٥
- سَجُودَ الْبَعِيرِ ..... ٤٦١
- ظَاهِرُ يَوْمِ أَحَدَيْنِ دَرَعَيْنِ ..... ٦٦٧
- عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ ذِكْرِ اللَّهِ فِيوَشُكَ أَنْ تَغْتَبِطِي بِذَلِكَ فِي قَبْرِكَ ..... ١١١
- فَأَيُّ الْأَعْمَالِ وَجَدْتُمُوهَا أَفْضَلَ؟ قَالَ: الْبُكَاءُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ ..... ١١٤
- كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَزْهَمَ النَّاسِ بِالْعِيَالِ ..... ٦٥٥
- كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرَى أَصْحَابَهُ فِي الصَّلَاةِ وَهُمْ خَلْفَهُ ..... ٦٢٣
- كَانَتْ رَائِحَةُ عِرْقِهِ مِنْ أَطْيَبِ شَيْءٍ ..... ٥٦٤
- لَسْتُ مِنْهُمْ بَلْ تَعِيشَ بِخَيْرٍ وَتَمُوتَ بِخَيْرٍ ..... ٨٣
- لَسْتُ مِنْهُمْ بَلْ تَعِيشَ حَمِيدًا وَتَقْتُلَ شَهِيدًا وَتَدْخُلَ الْجَنَّةَ ..... ٨٤
- لَمْ أَرَ لِلْعَبْدِ خَيْرًا مِنْ رَبِّهِ ..... ١١٢
- لَمَّا أُسْرِ النَّبِيُّ ﷺ لِقِي إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ ..... ٩٣
- لَوْلَا أَنْ لَا تَدَافِنُوا لَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يَسْمَعَكُمْ ..... ١٩٠
- مَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ قَطًّا ..... ٦٣٧
- مَا فِي الْقُلُوبِ قَلْبٌ إِلَّا وَلَهُ سَحَابَةٌ كَسَحَابَةِ الْقَمَرِ ..... ١٣٠
- مَا لِي إِنْ قَتَلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ ..... ٣٥٠
- مَا مِنْ رَجُلٍ يَزُورُ قَبْرَ أَخِيهِ فَيَجْلِسُ عِنْدَهُ إِلَّا ..... ٧٥
- مَا مِنْ رَجُلٍ يَزُورُ قَبْرَ أَخِيهِ وَيَجْلِسُ عِنْدَهُ إِلَّا اسْتَأْنَسَ بِهِ [عَنْ عَائِشَةَ، ضَعِيفٌ جَدًّا] ..... ٥٥
- مَا مِنْ رَجُلٍ يَمُرُّ بِقَبْرِ أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ كَانَ يَعْرِفُهُ فَيَسْلَمُ عَلَيْهِ ..... ٧٤
- مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُرُّ بِقَبْرِ أَخِيهِ كَانَ يَعْرِفُهُ فِي الدُّنْيَا ..... ٥٢
- مَا مِنْ مَيِّتٍ يَمُوتُ إِلَّا وَهُوَ يَعْلَمُ مَا يَكُونُ فِي أَهْلِهِ بَعْدَهُ ..... ٧٧
- مَا يَبْكُوكَ يَا فُلَانًا ..... ٩٣
- مَا يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نُنْفِرَكَ فِي الدُّنْيَا فَإِذَا مِتَ رَفَعْتَ فَوْقَنَا فَلَمْ نَرَكَ ..... ٩٢
- مَنْ أَقْرَبُ أَصْحَابِكَ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْهَجْرُ بِذِكْرِ اللَّهِ ..... ١٢١

- ٩٦..... «نعم وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ يَا أُمَّ بَشْرٍ إِنَّهُمْ لِيَتَعَارَفُونَ»
- ١١٢..... «هَيْهَاتَ بَلِيَّتِ الْأَجْسَادِ وَإِنَّمَا تَتَلَقَى الْأَرْوَاحَ»
- ٦٠..... «وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَحِي مِنَ الْأَمْوَاتِ كَمَا اسْتَحِي مِنَ الْأَحْيَاءِ»
- ١٠٩..... «يَا أَبَا الْمَقْدَامِ إلامَ صِرْتُمْ؟ قَالَ: إِلَى خَيْرٍ»
- ٨٠..... «يَا أُمَّ شَيْبٍ قَوْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَلَمَّا دَفِنْتَهَا قُمْتَ عِنْدَ قَبْرِهَا»
- ٥٩٢..... «أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ» شداد بن أوس.....
- ٦٢٢..... «اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ» أَبِي سَعِيدٍ وَغَيْرِهِ. ضَعِيفٌ
- ٢٠٨..... «أَتَى بِفَرَسٍ فَحَمَلَ عَلَيْهِ» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ. ضَعِيفٌ
- ٦٨٥..... «أَجْعَلْتَنِي لِلَّهِ نَدَاً» ابْنُ عَبَّاسٍ.....
- ٦٦٧..... «اخْتَفَى فِي الْغَارِ ثَلَاثًا» عَائِشَةُ.....
- ٥٩٩..... «إِذَا أَحْسَسَّ أَحَدُكُمْ مِنْ لَمَمَةِ الْمَلِكِ شَيْئًا»
- ١٩٨..... «إِذَا حَضَرَ الْمُؤْمِنُ أَتَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ»
- ٦٤٢..... «إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَزِيدُكَ مِنْ نِعْمَةٍ»
- ٣٦٠..... «إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَى الْمَيِّتِ»
- ٣١٦..... «إِذَا عَرَجَ مَلِكُ الْمَوْتِ بِرُوحِ الْمُؤْمِنِ»
- ١٩١..... «إِذَا فَرَّغَ أَحَدُكُمْ مِنَ الشَّهَادَةِ الْأَخِيرَةِ»
- ١٩٧..... «إِذَا قُبِرَ أَحَدُكُمْ أَوْ الْإِنْسَانُ أَنَاهُ مَلَكَانِ»
- ٣٥٨..... «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ»
- ٣٨٢، ٣٧٠..... «إِذَا مَاتَ الْعَبْدُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ»
- ٦٣٢..... «إِذَا هَبَطَتْ بِأَلَدِ قَوْمِهِ فَاحْذَرْهُ»
- ٣٦٨..... «أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ عَلَى أَبِيكَ دِينَ»
- ٣٦٧..... «أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ عَلَى أُمِّكَ دِينَ»
- ٦٥٥..... «ارْحَمُوا مِنْ فِي الْأَرْضِ»
- ٣٤٦، ١٥٥..... «أَرْوَاحُ الشَّهَدَاءِ فِي طَيْرِ خَضِرٍ»
- ٣١٦..... «أَرْوَاحُ الْمُؤْمِنِينَ فِي طَيْرِ خَضِرٍ كَالزَّرَازِيرِ»
- ٣٤٥، ٣٤٣، ٣٠٧، ١٥٥..... «أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْوَابِ طَيْرِ خَضِرٍ»
- ٣٠٨..... «أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرِ خَضِرٍ تَسْرَحُ فِي الْجَنَّةِ»
- ٣٩٧، ٦٦..... «أَرَى رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَأَتْ»
- ٤١٠..... «أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ سَقِي الْمَاءِ»

- ٤٠٤..... « اقضه عَنْهَا »
- ٣٦٨..... « الآن بردت عَلَيْهِ جلدته » جابر. « زيادة معلقة »
- ٢٨٧..... « السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنَ الْعَذَابِ »
- ٣٦١، ٧٦..... « السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ »
- ٣١٤..... « الشُّهَدَاءُ عَلَى بَارِقٍ نَهْرٍ بِبَابِ الْجَنَّةِ »
- ٣٠٦..... « الشُّهَدَاءُ يَغْدُونَ وَيُرْوَحُونَ »
- ٣٦٠..... « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ، وَعَافِهِ »
- ٣٣٤، ٢٥١..... « اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى »
- ٦٧٦..... « اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي »
- ٣٦٠..... « اللَّهُمَّ إِنْ فَلَانَا ابْنُ فَلَانَ فِي ذِمَّتِكَ »
- ٤٢٥..... « اللَّهُمَّ أَنْتَ خَلَقْتَ نَفْسِي »
- ١٩١..... « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ »
- ٢٨٥..... « اللَّهُمَّ فِيهِ عَذَابُ الْقَبْرِ »
- ٦٨٥..... « اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يَعْبُدُ »
- ٦٧٦..... « اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، وَإِلَيْكَ الْمُسْتَكِي »
- ٢٧٠..... « المبطون شهيد »
- ١٩٤..... « المسلم إذا سئل في قبره »
- ٣٨٣..... « المؤمن للمؤمن كالبنيان »
- ٣٦٤..... « أما أبوك، فلو أقر بالتوحيد »
- ٥٠١..... « أما أن الملك سيقولها لك عند الموت »
- ٦٣٢..... « أما معاوية فصعلوك »
- ٢٠٧..... « أمر بعبد من عباد الله أن يضرب »
- ٢٩٩..... « أن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده »
- ٣١٥..... « إن أزواج المؤمنين في حواصل طير خضر »
- ٣٨١..... « إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه »
- ٥٩٥..... « إن الحمد لله نحمده ونستعينه »
- ٥٠٢..... « إن الروح إذا قبض تبعه البصر »
- ٥٠٣..... « إن الروح ليلقى الروح »
- ١٦٠..... « إن العبد المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة »



- « أن الله حرم الجنة على الأنبياء حتى يدخلها هو » ..... ١٧٠
- « إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء » ..... ١٧١
- « إن الله خلق أزواج العباد قبل العباد » ..... ٤٥٥
- « إن الله خلق خلقه في ظلمة » ..... ٤١٤
- « إن الله رقيق يحب الرفق » ..... ٦٠٦
- « إن الله قبض أرواحكم حين شاء » ..... ٤٢٤
- « إن الله لما أخرج ذرية آدم من ظهره » ..... ٤٤٧
- « إن الله مسح ظهر آدم فأخرج منه ذرية » ..... ٤٦١
- « أن الله وكل بقبوره ملائكة يبلغونه » ..... ١٧١
- « أن الله يرفع درجة العبد في الجنة » ..... ٣٦٢
- « إن المؤمن إذا حضر الموت » ..... ١٩٩
- « إن الميت إذا وضع في قبره إنه يسمع خفق نعالهم » ..... ١٩٤
- « إن الميت إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه » ..... ١٩٦
- « إن الميت تحضره الملائكة » ..... ١٨٣
- « إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه » ..... ٢٨٧
- « أن الميت يسمع قرع نعالهم إذا ولوا منصورين » ..... ٨٠
- « أن الناس يصعقون يوم القيامة » ..... ١٤٣، ١٤٨
- « أن أهل الجنة يسرون لعمل أهل الجنة » ..... ٤٥٨
- « إن أول من جحد آدم » ..... ٤٤٥
- « إن خلق ابن آدم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً » ..... ٤٨٧
- « إن سورة: ثلاثين آية شفعت في صاحبها » ..... ٢٦٣
- « إن كنت لأرى لو أن أحدكم أعفي من عذاب القبر » ..... ٢٠١
- « إن لكل حق حقيقة » ..... ٥٨٢
- « إن للشيطان لله بائن آدم وللملك لله » ..... ٥٩٨
- « إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته » ..... ٣٥٨
- « إن من الغيرة ما يحبها الله » ..... ٦٠٤
- « إن نفس المؤمن إذا قبضت تلقاها أهل الرحمة » ..... ٩٨
- « إن هذه الأمة تبتلى في قبورها » ..... ٢٨٣، ٢٨٢، ٢٧٦، ١٩٠
- « أنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة » ..... ١٤٨

- ١٤٨..... «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر»
- ٢٨٣..... «إنكم بي تمحنون، وعني تسألون»
- ٣٠١..... «إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة»
- ١٩٢..... «إنهم ليعذبون في قبورهم عذابا تسمعه البهائم»
- ٢١٢..... «إنهما ليعذبان في غير كبير»
- ١٩٠..... «إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير»
- ٤٢٤..... «إني أخاف أن تناموا فمن يوقظنا للصلاة»
- ٢٤٨..... «إني أوتيت الكتاب ومثله معه»
- ٢٧٠..... «إني رأيت البارحة عجباً»
- ٦٥٦..... «أهل الجنة ثلاثة»
- ٢٨٤..... «أوحى إلي أنكم تفتنون في قبوركم»
- ٦٧٥..... «بل أنا وارأساه»
- ١٩٠..... «تعوذوا بالله من عذاب النار»
- ٦٦٤..... «حب إليه ﷺ من الدنيا النساء والطيب»
- ٤٠٦..... «حج عن نفسك ثم حج عن شربة»
- ٢١٠..... «حديث الإسراء من رواية أبي سعيد الخدري»
- ٤٤٣..... «خلق الله آدم ثم مسح ظهره بيمينه»
- ٢٠٢..... «ذكرت ابنتي وضعفها، وعذاب القبر»
- ٢٢٦..... «ذلك أبو جهل بن هشام يعذب»
- ٣٢٠..... «ذلك عبد الله، ألم تعلم أن الله قبض أزواجهم»
- ٣٥١..... «رأيت صاحبكم محبوباً على باب الجنة»
- ٢٧٣..... «رأيت كأن سيفي انقطع فأولته»
- ٢٧٣..... «رأيت كأننا في دار عقبة بن رافع»
- ٢٥٨..... «رباط يوم وكيلة خير من صيام شهر وقيامه»
- ٤٦٥..... «رفع القلم عن ثلاث»
- ٣٣٤..... «زويت لي الأرض مشارقها ومغاربها»
- ٣٧١..... «سبع يجرى على العبد أجرهن»
- ٧٩..... «سلوا لأخيكم التثبيت فإنه الآن يسأل»
- ٦١٩..... «شر ما في المرء جبن خالع»

- ١٩٢ ..... صدقت، إنهم يُعذبون عذاباً تسمعه البهائم «
- ٦٨٥ ..... عرف الحق لأهله «
- ٣٢٢ ..... فأصبح ربك يطوف في الأرض «
- ٢٩٠ ..... فخشف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها «
- ٢١٠ ..... فصعدت أنا وجبريل فاستفتح جبريل «
- ٣٦٥ ..... فصومي عن أمك «
- ١٥٠ ..... فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي «
- ٤٣٩ ..... فيأتون آدم فيقولون: أنت آدم أبو البشر «
- ٤٢٠ ..... كان الله ولم يكن شيء غيره «
- ٦١٤ ..... كان رسول الله ﷺ إذا غضب احمرت وجنتاه «
- ٥٦٤ ..... كان رسول الله ﷺ إذا مر في طريق بقي أثر رائحته «
- ٢٥٩ ..... كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة «
- ٢٥٩ ..... كل ميت يُنخم على عمله إلا الذي مات مرابطاً «
- ٣٥٢ ..... كلاً والذي نفسي بيده إن الشملة التي غلها لتشتعل عليه «
- ٦٨٦ ..... لا أغني عنكم من الله شيئاً «
- ٦٨٦ ..... لا أملك لكم من الله شيئاً «
- ٦٨٤ ..... لا تتخذوا قريبي عبداً «
- ٣٥٩ ..... لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول «
- ٦٨٥ ..... لا تقولوا ما شاء الله ومحمد «
- ٦٥٥ ..... لا تنزع الرحمة إلا من شقي «
- ٦٦٠، ٦٠٦ ..... لا حسد إلا في اثنتين «
- ٤٠١ ..... لا يصلي أحد عن أحد «
- ٢٠١ ..... لقد ضم صاحبكم في القبر صمّة «
- ٣١١، ٢٥٩ ..... للشهيد عند الله ست خصال «
- ٢٠٠ ..... للقبر ضغطة لو نجا منها أحد لنجا «
- ٤٤٩، ٤٤٤ ..... لما خلق الله آدم مسح ظهره «
- ٢٥٣، ٢١١ ..... لما عرج بي مررت بقوم هم أطفال من نحاس «
- ٢٦٢ ..... لوددت أنّها في قلب كل إنسان من امتي «
- ٢٨٣ ..... لو لا أن الكلاب أمة من الأمم «

- ٦٢٣..... « مَا تَقْرَبُ إِلَيَّ عَبْدِي بِمِثْلِ مَا افْتَرَضْتَ عَلَيْهِ »
- ١٣٠..... « مَا مِنْ عَبْدٍ يَتَمَلَّى نَوْمًا »
- ٢٦٤..... « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ »
- ٣٠٤..... « مَنْ أَعْتَقَ نَسَمَةَ مُؤْمِنَةٍ »
- ٦٠٦..... « مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرَّفْقِ »
- ٤١٢..... « مَنْ دَعَا إِلَيَّ هَدَى فَلَهُ مِنَ الْأَجْرِ »
- ٢٠٦..... « مَنْ رَأَى مِنْكُمْ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا؟ »
- ٣٥٩..... « مَنْ سَنَّ خَيْرًا فَاسْتَنَّ بِهِ كَانَ لَهُ أَجْرُهُ »
- ٣٥٨..... « مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سَنَةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا »
- ٢٦٤..... « مَنْ قَتَلَهُ بَطْنُهُ لَمْ يَعْذَبْ فِي قَبْرِهِ »
- ٦٥٥..... « مَنْ لَا يَرِحُمْ لَا يَرِحُ »
- ٢٦٥..... « مَنْ مَاتَ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ أَوْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ »
- ٢٧٠..... « مَنْ مَاتَ مَرِيضًا مَاتَ شَهِيدًا »
- ٣٦٤..... « مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ »
- ٤٠٢، ٤٠٠، ٣٩٨، ٣٧٣، ٣٦٦، ٣٦٤..... « مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ »
- ٣٦٢..... « نَعَمْ » جواب عن سؤال: الأمة المتوفاة أجر أن تصدق عنها
- ٣٦٤..... « نَعَمْ فَدَيْنَ اللَّهِ أَحَقُّ أَنْ يَقْضَى »
- ٣٦٧..... « نَعَمْ لَوْ كَانَ عَلَى أُمَّهَا دَيْنٌ فَقَضْتَهُ عَنْهَا »
- ٧٥..... « نَعَمْ وَأَرُدُّ عَلَيْهِمْ »
- ٤٠٨..... « نَعَمْ وَلَكَ أَجْرٌ »
- ٢٠٠..... « هَذَا الَّذِي تَحْرِكُ لَهُ الْعَرْشَ »
- ١٧١..... « هَكَذَا نَبِعثُ »
- ٢٦٢..... « هِيَ الْمَانِعَةُ هِيَ الْمُنْجِيَةُ »
- ٥٢..... « وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعُ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ وَلَكِنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ جَوَابًا »
- ٥١٦، ١٨٤..... « وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا مِنْ نَفْسٍ تَفَارَقَ الدُّنْيَا »
- ٦١٢..... « وَأَوْحِي إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا »
- ٢٤٥..... « وَتَوْؤَمِنُ بِالْبَعْثِ الْآخِرِ »
- ٣٦٥..... « وَجِبَ أَجْرُكَ وَرَدَهَا »
- ١٥٣..... « وَقَدْ أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ: أَنْ بَصَرَ الْمَيِّتَ يَتَّبِعُ نَفْسَهُ إِذَا قَبِضَتْ » أم سلمة

- ٦٧٨..... «وَمُحَمَّدٌ فَرَقٌ بَيْنَ النَّاسِ»
- ٣٠٨..... «يَا أُمَّ حَارِثَةَ إِنَّهَا جَنَّانٌ»
- ٥٣٠..... «يَا بِلَالُ مَا دَخَلْتَ الْجَنَّةَ إِلَّا»
- ٨٢..... «يَا ثَابِتُ أَمَا تَرْضِي أَنْ تَعِيشَ حَمِيدًا»
- ٣١٢..... «يُعْطَى الشَّهِيدُ سِتَّ خِصَالٍ»
- ٥٥٧..... «يَهْرَمُ ابْنُ آدَمَ وَتَشَبَّ فِيهِ خِصْلَتَانِ»
- ١٩١..... «يَهُودٌ تَعَذَّبُ فِي قُبُورِهَا»
- ١٤٦..... «اجْتَمَعَ ﷺ بِالْأَنْبِيَاءِ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ» عن أبي هريرة وأنس وأبي ذر
- ٥٤..... «الجنة» قالها لمن سأله: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارُ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ»
- ٥٤..... «أَنَّ الْمَيِّتَ يَسْمَعُ قِرْعَ قَرَعِ نَعَالِ الْمَشِيعِينَ لَهُ إِذَا انْصَرَفُوا عَنْهُ»
- ٤٦١..... «حَدِيثُ النَّخْلَةِ فِي انْقِيَادِهَا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»
- ٧٣..... «لَقِنُوا مَوْتَاكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»
- ٦٨..... «مَا لَكَ يَا عَمْرُو؟»
- ٧٥..... «مَا مِنْ أَحَدٍ يَسْلَمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللَّهُ عَلَى رُوحِي حَتَّى أُرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ»
- ٦٦..... «أَرَى رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَأَتْ» في الصحيحين عن ابن عمر
- ٧٣..... «اقرأوا يس» عند موتاكم ضعيف
- ٦٨..... «أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله» في مسلم-شياسة المهري وفيه قصة عمرو
- ٣٦٣..... «أي الصدقة أفضل؟ قال: الماء»
- ٦٨٤..... «أيها الناس ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي»
- ٣٢٢..... «حديث دنو الله عشية عرفة»
- ٦٤..... «سَلَامٌ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ» في مسلم عن بريدة
- ١٨..... «سلوه عن الروح... فأنزل الله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾» ابن عباس في البخاري وغيره
- ٤٢٩..... «قال الله للجنة: «أنت رحمتي»
- ٢٦٧..... «نعم: «قالها لعمر لما سأله: وأنا على مثل حالتني هذه»
- ٣٦٣..... «هل ينفعها إن تصدقت عنها؟ قال: «نعم»
- ٥١٢..... «وفي حديث الصُّور: «أن إسرأفيل عليه السَّلَامُ يَدْعُو الْأَرْوَاحَ»

## فهارس الآثار

- ٣٣١ ..... أبغض بقعة في الأرض (علي).
- ٤٥٠ ..... أخذهم كما يؤخذ بالمشط في الرأس (ابن عمر).
- ٧٠ ..... إذا أنامت فضعني في اللحد (العلاء بن الحلاج).
- ٥٠٩ ..... إذا خرجت روح المؤمن تلقاه ملكان (أبي هريرة).
- ٣٢٩ ..... إذا قبض روح العبد المؤمن (الضحك).
- ٤٠٦ ..... إذا كان عليه صيام شهر فصام عنه (الحسن البصري).
- ٥٥ ..... إذا مر الرجل بقبر يعرفه فسلم عليه (أبو هريرة).
- ٣٦٦ ..... إذا مرض الرجل في رمضان ولم يصم (ابن عباس).
- ١٣٢ ..... إذا نام الإنسان عرج بروجه (أبو الدرداء).
- ٣٢٤ ..... إذا نام الإنسان فإن له سبباً (عكرمة ومجاهد).
- ٣٠٨ ..... أرواح الشهداء تجول في أجواف طير خضر (ابن عباس).
- ٣٠٩ ..... أرواح الشهداء في طير كالزراير (ابن عمر).
- ٣٣١، ٣٣٠، ٢٩٤ ..... أرواح المؤمنين بالجابية (ابن عمر).
- ٣٣٦، ٢٩٥ ..... أرواح المؤمنين في برزخ من الأرض (سلمان الفارسي).
- ٣٣٤، ٢٩٥ ..... أرواح المؤمنين في عليين في السماء السابعة (كعب).
- ٦٠٩ ..... أعوذ بالله من خشوع النفاق (أبو الدرداء/ أبو هريرة).
- ٦٥ ..... أقبلت من الشام إلى البصرة فنزلت منزلاً (أبو قلابة).
- ٤٥٢ ..... أقرؤا له بالإيمان والمعرفة الأرواح (محمد بن كعب القرظي).
- ٢٩٩ ..... الأرواح على أفنية القبور سبعة أيام (مجاهد).
- ٣٢٧ ..... الأرواح موقوفة عند الرحمن (أبو اليان).
- ١٠٦ ..... النبي عبد الله بن سلام وسلمان الفارسي (سعيد بن المسيب).
- ٤٣٥ ..... الروح أمر من أمر الله عز وجل (ابن عباس).
- ٦٣٣ ..... القلوب آنية الله في أرضه (خالد بن معدان).
- ٥٨٨ ..... المطمئنة: المصدقة (ابن عباس).
- ٥٨٨ ..... المطمئنة: المصدقة بما قال الله تعالى (الحسن).

- المؤمن اطمأنت نفسه إلى ما وعد الله. (قتادة)..... ٥٨٨
- النَّفْسَ الَّتِي أَيْقَنْتَ بِأَنَّ اللَّهَ رَبَّهَا. (مجاهد)..... ٥٨٨
- النَّفْسَ الْمُحِبَّةَ إِلَى اللَّهِ (مجاهد)..... ٥٨٨
- أَمْرٌ أَنْ يَقْرَأَ عِنْدَ قَبْرِهِ (ابن عمر)..... ٦٩
- إِنْ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ تَتَلَقَى عَلَى مَسِيرَةِ يَوْمٍ (عبد الله بن عمرو)..... ٣٢٤
- إِنْ الْأَرْوَاحَ جَنُودَ مَجْنُودَةٍ تَتَلَقَى فَتَشَامُ (ابن مسعود)..... ١٣٢
- إِنْ الزَّبِيرِ حَلٍ مِنْ مُتَعَةِ الْحَجِّ (ابن عباس)..... ٣٧٦
- أَنْ اللَّهُ أَخْرَجَ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ يَوْمَ خَلَقَهُ (الضحاك)..... ٤٥٣
- إِنْ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لَمَا خَلَقَ آدَمَ أَرَاهُ كَرَامَةً (سعيد بن المسيب)..... ٤٥٣
- إِنْ اللَّهُ ضَرَبَ مِنْكَبِهِ الْأَيْمَنَ (ابن عباس)..... ٤٥٠
- إِنْ الْمُؤْمِنَ لَا تَرَاهُ إِلَّا يَلُومُ نَفْسَهُ ذَاتِيًّا (الحسن البصري)..... ٥٩٤
- أَنَّ قُرَيْشًا اجْتَمَعَتْ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ (ابن عباس)..... ٤٣٦
- إِنْ كَانَ لِيُصَلِّيَ عَلَى الْمَنُفُوسِ (سعيد بن المسيب)..... ٢٨٦
- أَنَا أَقِيدُكُمْ مِنْ وَرَعَةِ اللَّهِ (أبو بكر)..... ٦٣٩
- أَنَا الَّذِي أَمَرْتَنِي فَقَصَرْتِ (عمر بن عبد العزيز)..... ٢٢١
- أُمَّهَا الدُّنْيَا الَّتِي فَتَحَهَا اللَّهُ عَلَى أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ - (ابن عباس)..... ٣٣٣
- إِنِّي أَجِدُ فِتْرَةَ (العلاء بن زياد)..... ٥٢٤
- إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ أَمْرًا وَلَا خَبْرَتَهُ (يعقوب بن عبد الله الأشج)..... ٥٢٢
- أَهْلَ الْقُبُورِ يَتَوَكَّفُونَ الْأَخْبَارَ (عبيد بن عمير)..... ٩٧
- بَشَرْتُ بِالْجَنَّةِ عِنْدَ الْمَوْتِ (زيد بن أسلم)..... ٥٠٢
- بَعَثْتُ قُرَيْشَ عَقَبَةَ بْنِ أَبِي مَعِيْطٍ (ابن عباس)..... ٤٣١
- بَلَّغْنَا أَنَّ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ فِي صُورِ طَيْرٍ بَيْضٍ (قتادة)..... ٣٠٩
- بَلَّغْنِي أَنَّ أَرْوَاحَ الْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ تَلْتَقِي (ابن عباس)..... ١٠٢
- بَلَّغْنِي أَنَّ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ كَطَيْرٍ خَضِرٍ (الزهري)..... ٢٩٩
- بَلَّغْنِي أَنَّ الْمَوْتَى يَعْلَمُونَ بَزْوَارِهِمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ (محمد بن واسع)..... ٥٧

- بَيْنَا أَنَا أُسِيرُ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ (عبد الله بن عمر) ..... ٢٢٩
- بَيْنَا أَنَا أَمْشِي فِي الْمَقَابِرِ وَإِذَا صَوْتٌ (ثابت البناني) ..... ٢٣٥
- بَيْنَمَا امْرَأَةٌ عِنْدَ عَائِشَةَ (سعيد بن مسلمة) ..... ٥٢١
- بَيْنَمَا رَاكِبٌ يَسِيرُ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ (عروة بن الزبير) ..... ٢٢٩
- تَخْرُجُ رُوحُ الْمُؤْمِنِ أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ الْمَسْكَ (أبو موسى) ..... ٣٢٧
- تَعْرُضُ أَعْمَالُ الْأَحْيَاءِ عَلَى الْمَوْتَى فَإِذَا رَأَوْا حَسَنًا (أبو أيوب الأنصاري) ..... ٦٠
- تَفْسِيرُ الْإِسْتِثْنَاءِ مِنَ الصَّعْقِ فِي الْآيَةِ
- تَفْسِيرٌ: (يرثها عبادي الصالحون) هِيَ أَرْضُ الْجَنَّةِ (ابن عباس) ..... ٣٣٣
- جَمْعُهُمْ لَهُ يَوْمٌ مِثْلُ جَمِيعًا مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ (أبي بن كعب) ..... ٤٤٦
- حَمَلَةُ الْعَرْشِ أَرْبَعَةٌ (شهر بن حوشب) ..... ٦٣٦
- خَرَجْتُ إِلَى الْجَبَابَةِ فَجَلَسْتُ فِيهَا (زيد بن وهب) ..... ٦٥
- خَرَجْنَا إِلَى الرَّبِيعِ فِي زَمَانِهِ (مطرف بن عبد الله) ..... ٦٥
- خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ ثُمَّ قَالَ بِيَدَيْهِ فَقَبَضَهُمَا (عبد الله بن سلام) ..... ٤٤٨
- خَيْرٌ بَثْرٌ فِي الْأَرْضِ رَمْزَمٌ (علي) ..... ٣٣١
- عَجِبْتُ لِرُؤْيَا الرَّجُلِ يَرَى الشَّيْءَ (عمر بن الخطاب) ..... ١٣١
- عَلَى الْقَلْبِ طَخَاةٌ كَطَخَاةِ الْقَمَرِ (عمر بن الخطاب) ..... ١٣١
- عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالصَّبْرِ (عبد الله بن عمر) ..... ٣٢٧
- فَضَّلَ اللَّهُ الْقُرْآنَ وَرَحْمَتَهُ أَنْ جَعَلَكُمْ مِنْ أَهْلِهِ (أبو سعيد الخدري) ..... ٦٥٠
- فَضَّلَ اللَّهُ وَرَحْمَتَهُ الْإِسْلَامَ الَّذِي هَدَاكُمْ إِلَيْهِ (هلال بن يساف) ..... ٦٥٠
- فَضَّلَ اللَّهُ: الْإِسْلَامَ، وَرَحْمَتَهُ: الْقُرْآنَ (ابن عباس والحسن وقتادة) ..... ٦٥٠
- فِي تَفْسِيرٍ: (وله أسلم من في السماوات والأرض) يَوْمٌ أَخَذَهُ الْمِيثَاقَ (أبو العالية) ..... ٤٥٤
- قِصَّةُ الصَّعْبِ بْنِ جَثَامَةَ وَعُوفِ بْنِ مَالِكٍ ..... ٨١
- قِصَّةُ ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ الشَّاسِ ..... ٨٣
- كَانَ عَمْرٌو أَعْقَلَ مِنْ أَنْ يُجْدَعَ (المغيرة) ..... ٦٤٠
- كَانَ لَا يُفَسِّرُ أَرْبَعَةَ أَشْيَاءَ (عكرمة) ..... ٤٣٥
- كَانَتْ الْأَنْصَارُ إِذَا مَاتَ هُمْ (الشعبي) ..... ٧١



- كَانُوا يَكْرَهُونَ أَنْ يَسْتَذِلُّوا (النخعي) ..... ٦٣٥
- كُنْتُ أَشْتَهِي أَنْ أَرَى عَمْرًا فِي الْمَنَامِ (العباس بن عبد المطلب) ..... ١٠٧
- كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ (عبد الحميد بن محمود) ..... ٢٣٦
- كُنْتُ عِنْدَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَأَتَتْهَا امْرَأَةٌ مُتَشَمِّلَةٌ (صفية بنت شيبة) ..... ٥٢٠
- كُنْتُ عِنْدَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَمَرَّتْ جَنَازَةَ صَبِيٍّ (رجل) ..... ٢٠٢
- كُنْتُ فِي مَنْ دَلَّى الْوَلِيدُ بِنَ عَبْدِ الْمَلِكِ (عمر بن عبد العزيز) ..... ٢٣٦
- لَا تَخَافُونَ لِلَّهِ عَظَمَةَ (ابن عباس) ..... ٦٤٦
- لَا يَصِلِي أَحَدٌ عَنِّي أَحَدٌ (ابن عباس) ..... ٤٠٢
- لَسْتُ بِحَبٍِّّ وَلَا يَخْدَعُنِي الْحَبُّ (عمر) ..... ٦٤٠
- لَمَّا أَخْرَجَ اللَّهُ آدَمَ مِنَ الْجَنَّةِ (ابن مسعود) ..... ٤٥١
- لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ (أبو هريرة) ..... ٤٤٨
- لَمَّا فَرَّغَ اللَّهُ مِنْ خَلْقِ مَا أَحَبَّ (ابن مسعود) ..... ٤٨١
- لَوْ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ تَقْبَلُ مِنِّي سَجْدَةً وَاحِدَةً (عبد الله بن عمر) ..... ٦٠٠
- لَوْ إِنِّي آيَسٌ مِنْ لِقَاءِ مَنْ مَاتَ مِنْ أَهْلِي (عبيد بن عمير) ..... ٩٨
- لَيْسَ هِيَ فِي الْجَنَّةِ، وَلَكِنْ يَأْكُلُونَ مِنْ ثَمَارِهَا (مجاهد) ..... ٣١٤، ٢٩٨
- مَا أَجِيرُ مِنْ ضَغْطَةِ الْقَبْرِ أَحَدٌ (ابن أبي مليكة) ..... ٢٠٠
- مَا أَسْكَنَ ظَوَاهِرَكَ وَفِي دَاخِلِكَ الدَّوَاهِي (أبو الدرداء) ..... ٢٣٤
- مَا أَنْتُمْ بِإِنْسٍ وَلَا جَانٍ (عمر بن عبد العزيز) ..... ٢٢١
- مَا تَزَالُ الْحُصُومَةُ بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (ابن عباس) ..... ٥١٤
- مَا لَهُ قَاتِلُهُ اللَّهُ (عمر) ..... ٦٢٧
- مَرْحَبًا بِمَلَائِكَةِ رَبِّي (محمد بن واسع) ..... ٢٢٢
- مَسَحَ رَبُّكَ ظَهْرَ آدَمَ فَخَرَجَتْ مِنْهُ كُلُّ نَسَمَةٍ (ابن عباس) ..... ٤٤٩
- مَنْ زَارَ قَبْرًا يَوْمَ السَّبْتِ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ (الضحك) ..... ٥٧
- مُوسَى بْنُ عَمْرَانَ كَانَ إِذَا غَضِبَ (أسلم العدوي) ..... ٦١٥
- (قل الروح من أمر ربي) قد نزل من القرآن بمنزلة (كن). (ابن عباس) ..... ٤٣٥

- (قل الروح من أمر ربي) يعني: خلقا من خلقي (ابن عباس). ٤٣٦.....
- هَذَا الصَّبِيِّ بَكَتَتْ لَهُ شَفَقَةً عَلَيْهِ (عائشة) ..... ٢٨٦، ٢٠٢
- هي التي أيقنت بقاء الله. (مجاهد) ..... ٥٨٩
- هم الشهداء. (أبو هريرة وابن عباس وسعيد بن جبير) ..... ١٣٩
- والذي فلق الحبة وبرأ النسمة (علي) ..... ٣٠٤
- وَالله لَا أسَابِقُكَ إِلَى خَيْرٍ أَبَدًا (عمر) ..... ٣٨٦
- وَالله مَا سَابِقُنِي أَبُو بَكْرٍ إِلَى خَيْرٍ إِلَّا سَبِقَنِي إِلَيْهِ (عمر) ..... ٣٨٦
- وَمَا يَمْنَعُنِي مِنَ الصَّبْرِ (أسماء) ..... ٣٢٨
- (ولقد كتبنا في الزبور) هي الأرض التي يجتمع إليها أرواح المؤمنين (عامر بن عبد الله) ..... ٢٩٤
- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ﴿﴾ آدَمَ، ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ﴿﴾، لذريته (ابن عباس) ..... ٤٧٩
- يَا رَسُولَ اللهِ لَيْتَ ذَلِكَ الْحَيْنَ (عمر) ..... ٤٨٣
- يَا سَارِيَةَ الْجَبَلِ (عمر) ..... ٦٢٦
- يَا كَعْبُ: كُلِّ مَا فِي الْقُرْآنِ، قد عرفت غير (ابن عباس) ..... ٣٢٨
- يَا لَهُم مِّنْ عَسْكَرٍ مَا أَسْكَنَهُم (الحسن) ..... ٢٣٥
- يَا مُسْلِمَةَ مِنْ دَفْنِ أَبِيكَ؟ (عمر بن عبد العزيز) ..... ٢٣٥
- يَا يَزِيدُ اتَّقِ اللهَ (عمر بن عبد العزيز) ..... ٢٣٦
- يَدْخُلُ عَلَيَّ أَحَدُكُمْ وَأَثَرُ (عثمان بن عفان) ..... ٦٣١
- يَصَامُ عَنْهُ فِي النَّدْرِ وَيَطْعَمُ عَنْهُ (ابن عباس) ..... ٤٠٥

## فهارس الشعر

- إذا ذهبت الأزواح من نحو أرضكم ..... ٥٧٦
- أطلُّ نهارِي مُسْتَهَامَا وتلتقي ..... ١٣٢
- أَلَا يَا نَفْسُ وَيَحِكِ سَاعِدِي ..... ٥٩٠
- بأعظم منك تُقَى في الحساب ..... ٣٠٤
- برئنا إلى الله من معشرٍ ..... ٦٨٩
- تسيل على حدِّ الطُّبَاتِ نفوسنا ..... ٥٧٦
- تتازع النَّاسُ حَتَّى لَا اتِّفَاقَ لَهُمْ ..... ١٣٩
- ثقلت زجاجات أتنا فرغًا ..... ٥٦٣
- حباني إلهي في الجنان بقبّة ..... ١١٨
- رضيعي لبانٍ ثدي أم تقاسمًا ..... ٦٠٨
- سَقِيًّا لَطِيفِكَ من زور أتك به ..... ١٣٣
- شهد الحطيئة حين يلقي ربه ..... ٤٧٥
- ضَمِنَ القَنَا ن لِفَقْعَسِ سَوَاتِمَا ..... ٤٦٦
- كأجارف الجولان هُلك ربّه ..... ٤٦٦
- كعاجز الرأى مضيع لفرصته ..... ٦٢٠
- لو رأيت الحسان في الخلد حولي ..... ١٢٢
- ما الأمر إلا نسق واجد ..... ٦٧٩
- نبئت أن بني سُحيم أدخلوا ..... ٥٧٥
- نجا سالم والنفس منه بشدّفه ..... ٥٧٤
- نظرت إلى ربّي عيانًا فقال لي ..... ١١٨
- والله لو لا الله ما اهتدينا ..... ٣٧٨
- وإن أولى البرايا أن تواسيه ..... ٦٧٥
- وتشرّق بالقول الذي قد أدعته ..... ٤٧٧
- وفلاة كأتها ظهر ترس ..... ٣٠٥
- وكم من عائب قولاً صحيحًا ..... ٢١٩
- وليسست هذه الفرحات إلا ..... ٦٥٣
- ومجنّبات ما يدفن علوقه ..... ٣٠٥
- يا خادم الجسم كم تشقى بخدمته ..... ٤٢٠

## فهارس موضوعات الكتاب

- ٣ ..... مقدمة المحقق
- ٨ ..... ترجمة المصنف رحمه الله
- ٨ ..... اسمه ونسبه:
- ٨ ..... مولده:
- ٨ ..... نشأته وطلبه للعلم:
- ٩ ..... أخلاقه وعبادته:
- ١٠ ..... محبته لجمع الكتب:
- ١١ ..... علاقته بشيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله:
- ١٢ ..... سعة علمه:
- ١٤ ..... مشايخه:
- ١٤ ..... تلاميذه:
- ١٥ ..... مؤلفاته:
- ١٧ ..... وفاته:
- ١٨ ..... التعريف بالروح عموماً
- ٢٣ ..... تحقيق نسبة كتاب الروح إلى مصنفه الإمام ابن القيم:
- ٣٠ ..... التعريف بكتاب الروح
- ٣٠ ..... أولاً: سبب تأليفه:
- ٣١ ..... ثانياً: مكانته:
- ٣٢ ..... ثالثاً: موضوعاته:
- ٣٢ ..... رابعاً: مختصراته:
- ٣٣ ..... فائدة:
- ٣٣ ..... خامساً: طبعاته:
- ٣٤ ..... ما امتازت به نسختنا هذه:
- ٣٥ ..... فمما امتازت به هذا النسخة:
- ٣٥ ..... سادساً: المؤاخذات على الكتاب:
- ٣٩ ..... المصنفات في موضوع الروح

- فائدة:..... ٤١
- وصف النسخ الخطية التي اعتمدت عليها في تحقيق الكتاب ..... ٤٢
- خطبة الكتاب ..... ٥١
- المسألة الأولى: هل تعرف الأموات بزيارة الأحياء وسلامهم عليهم أم لا؟ ..... ٥٢
- فصل: كلام عبد الحق الأشبيلي في سؤال الموتى عن الأحياء ومعرفتهم ..... ٧٤
- فصل: في تلقين الميت في قبره ..... ٧٧
- القضاء باللوث في الأموال والدماء وغيرها ..... ٨٥
- المسألة الثانية: أن أرواح الموتى هل تتلاقى وتتزاور وتتذاكر أم لا ..... ٩١
- المسألة الثالثة: هل تتلاقى أرواح الأحياء وأرواح الأموات أم لا ..... ١٠٢
- حقيقة الرؤيا وأنواعها واضطراب الناس في أمرها ..... ١٢٤
- المسألة الرابعة: أن الروح هل تموت أم الموت للبدن وحده ..... ١٣٨
- عند النفخ في الصور هل تبقى الأرواح حية كما هي، أو تموت ثم تحيا؟ ..... ١٣٩
- أهل العلم في الكلام على قول النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الناس يصعقون يوم القيامة..) الحديث ..... ١٤٣
- المسألة الخامسة: حال الأرواح بعد مفارقتها للأبدان إذا تجردت ..... ١٥١
- المسألة السادسة: هل تعاد الروح إلى الميت في قبره وقت السؤال ..... ١٦٠
- الرد على ابن حزم فيما ذهب إليه أن القول بإحياء الميت في قبره قبل يوم القيامة خطأ ..... ١٦٣
- ذكر تعلق الروح بالبدن في خمسة أنواع متغايرة ..... ١٦٧
- هل رأى النبي عليه الصلاة والسلام ليلة الإسراء أرواح الأنبياء وأشباحهم، أو أرواحهم فقط؟ ..... ١٦٨
- مسألة ملحقة بالسادسة: هل عذاب القبر ونعميه على النفس والبدن ..... ١٨٧
- جواب شيخ الإسلام ابن تيمية عن المسألة ..... ١٨٧
- فصل: مذهب سلف الأمة وأئمتها ..... ١٨٩
- فصل: الأدلة على مذهب السلف: أحاديث عذاب القبر ..... ١٩٠
- فصل: أقوال الإمام أحمد في عذاب القبر ومنكر ونكير ..... ٢٠٣
- أقوال أهل البدع والضلال ..... ٢٠٤
- فصل: عذاب القبر هو عذاب البرزخ، فكل ميت مستحق للعذاب يناله نصيبه منه قبر أم لم يُقبر ..... ٢٠٦

**المسألة السابعة: في الرد على الملاحدة والزنادقة المنكرين لعذاب القبر ونعيمه .. ..... ٢١٥**

- الأمر الأول من الأمور التي يعلم بها الجواب: أخبار الرسل قسماً ..... ٢١٦
- فصل: الأمر الثاني: أن يفهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم مراده من غير غلو ولا تقصير ... ٢١٧
- فصل: الأمر الثالث: الدور ثلاثة: الدنيا والبرزخ ودار القرار، ولكل دار أحكام مختصة بها .... ٢١٨
- فصل: الأمر الرابع: أن الله سبحانه حجب الآخرة عن إدراك المكلفين في هذه الدار، وذلك من كمال حكمته..... ٢١٩
- نزول الملائكة على المحتضّر ..... ٢١٩
- فصل: نار القبر وخضرته ليست من نار الدنيا وزراعتها ..... ٢٢٤
- فصل: حجب الله بني آدم عن كثير مما يحدثه في الأرض وهو بينهم ..... ٢٣٩
- فصل: غير ممتنع أن ترد الروح إلى المصلوب والغريق والمحترق، ونحن لا نشعر بها، إذ ذلك الرد نوع آخر غير المعهود..... ٢٤١
- فصل: الأمر الثامن: عذاب القبر ونعيمه اسم لعذاب البرزخ ونعيمه، وسمي عذاب القبر ونعيمه باعتبار غالب الخلق ..... ٢٤٤
- فصل: جعل الله لابن آدم بعثين ومعادين..... ٢٤٥

**المسألة الثامنة، قول السائل: ما الحكمة من عدم ذكر عذاب القبر في القرآن مع شدة**

- الحاجة ..... ٢٤٨**
- الجواب المجمع ..... ٢٤٨
- الجواب المفصل: الآيات التي ذكر فيها عذاب القبر..... ٢٤٨

**المسألة التاسعة: ما الأسباب التي يعذب بها أصحاب القبور..... ٢٥٢**

- الجواب المجمع ..... ٢٥٢
- الجواب المفصل ..... ٢٥٢

**المسألة العاشرة: ما هي الأسباب المنجية من عذاب القبر..... ٢٥٨**

- الجواب المجمع ..... ٢٥٨
- الجواب المفصل: الأحاديث الواردة فيما ينجي من عذاب القبر..... ٢٥٨
- هل الصديق يسأل في قبره كما يسأل غيره..... ٢٦٧
- هل يسأل الأنبياء في قبورهم ..... ٢٦٩
- حال حديث عبد الرحمن بن سمرة: (إني رأيت البارحة عجبا..... ٢٧٠

- المسألة الحادية عشرة: سؤال القبر هل هو عام في حق المسلم والكافر أم خاص بالمسلم والمنافق..... ٢٧٥
- المسألة الثانية عشرة: سؤال منكر ونكير هل هو خاص بهذه الأمة أم لها ولغيرها ..... ٢٨١
- المسألة الثالثة عشرة: هل الأطفال يمتحنون في قبورهم..... ٢٨٥
- المسألة الرابعة عشرة: هل عذاب القبر دائم أم منقطع..... ٢٨٨
- المسألة الخامسة عشرة: أين مستقر الأرواح ما بين الموت إلى يوم القيامة.. ..... ٢٩٣
- ذكر الأقوال المختلفة في المسألة:..... ٢٩٣
- فصل: في قول من قال: إن الأرواح في الجنة..... ٣٠٠
- فصل: في قول مجاهد: إنها ليست في الجنة، ولكن تأكل من ثمارها وتجدر ريحها..... ٣١٤
- غلط أكثر الناس في اعتقادهم: أن الروح من جنس الأجسام التي إذا شغلت مكانا لا يمكن أن تكون في غيره..... ٣١٨
- للروح شأن آخر غير شأن البدن..... ٣٢١
- فصل: اختلاف شأن الروح بحسب قوتها وضعفها وكبرها وصغيرها..... ٣٢٣
- فصل: في قول من قال: أرواح المؤمنين عند الله تعالى ولم يزد على ذلك..... ٣٢٦
- فصل: في قول من قال: إن أرواح المؤمنين بالجابية، وأرواح الكفار بحضرموت ببهروت..... ٣٣٠
- فصل: في قول من قال: إنها تجتمع في الأرض التي قال الله فيها: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾..... ٣٣٣
- فصل: في قول من قال: أرواح المؤمنين في عليين، في السماء السابعة، وأرواح الكفار في سجين في الأرض السابعة..... ٣٣٤
- فصل: في قول من قال: أرواح المؤمنين تجتمع في بئر زمزم..... ٣٣٥
- فصل: في قول من قال: أرواح المؤمنين في برزخ من الأرض تذهب حيث شاءت..... ٣٣٥
- فصل: في قول من قال: إن أرواح المؤمنين عن يمين آدم وأرواح الكفار عن يساره..... ٣٣٦
- فصل: في قول ابن حزم: إن مستقرها حيث كانت قبل خلق أجسادها..... ٣٣٨
- فصل: في قول من قال: إن مستقرها العدم المحض..... ٣٤٠
- فصل: في قول من قال: مستقرها أبدانٌ آخر غير هذه الأبدان..... ٣٤٣
- القول الراجح في المسألة:..... ٣٤٩
- لا تعارض بين الآثار الصحيحة في ذلك..... ٣٥٣

- ٣٥٤ ..... أربع دور للأنفس.
- المسألة السادسة عشرة: هل تنتفع أرواح الموتى بشيء من سعي الأحياء أم لا. ٣٥٥**
- ٣٥٧ ..... الدليل على انتفاع الميت بما تسبب إليه في حياته.
- ٣٥٩ ..... فصل: الدليل على انتفاعه غير ما تسبب فيه.
- ٣٦٢ ..... فصل: وصول ثواب الصدقة.
- ٣٦٤ ..... فصل: وصول ثواب الصوم.
- ٣٦٧ ..... فصل: وصول ثواب الحج.
- ٣٧٠ ..... قول المانعين من وصول الثواب.
- ٣٧٣ ..... قول المقتصرين على وصول العبادات التي يدخلها النيابة كالصدقة والحج.
- ٣٧٦ ..... فصل: قول أصحاب الوصول.
- ٣٧٦ ..... الكلام على قول الله تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾.
- ٣٨١ ..... جواب أبي الوفاء بن عقيل.
- ٣٨٤ ..... فصل: الكلام على قوله تعالى: ﴿وَلَا تُحْزَنُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.
- فصل: الجواب عن الاستدلال بقوله صلى الله عليه وسلم: «إِذَا مَاتَ الْعَبْدُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ» الحديث.
- ٣٨٤ ..... فصل: قوله (الإهداء حوالة).
- ٣٨٥ ..... فصل: قولهم: الإيثار بسبب الثواب مكروه.
- ٣٨٥ ..... فصل: قولهم: لو سَاعَ الإهداء إِلَى المَيِّتِ لسَاعَ إِلَى الْحَيِّ.
- ٣٨٦ ..... فصل: قولهم: لو سَاعَ ذَلِكَ لسَاعَ إهداء نصف الثَّوَابِ وربعه إِلَى المَيِّتِ.
- ٣٨٩ ..... فصل: قولهم: لو سَاعَ ذَلِكَ لسَاعَ إهداؤه بعد أن يعملهُ لِنَفْسِهِ.
- ٣٨٩ ..... فصل: قولهم: لو سَاعَ الإهداء لسَاعَ إهداء ثَوَابِ الوَاجِبَاتِ الَّتِي تَجِبُ عَلَى الْحَيِّ.
- ٣٩١ ..... فصل: قولهم: إن التكاليف امتحان وابتلاء، لَا تقبل البَدَل.
- ٣٩٢ ..... فصل: قولهم: لو نَفَعَهُ عمل غَيْرِهِ لَنَفَعَهُ تَوْبَتُهُ عَنْهُ وَإِسْلَامُهُ عَنْهُ.
- ٣٩٥ ..... فصل: قولهم: العبادات نوعان.
- ٣٩٦ ..... فصل: ردهم حديث: «مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ صَامَ عَنْهُ وَلِيهِ».
- ٣٩٨ ..... فصل: قولهم: ابن عباس راوي حديث الصوم عن الميت وهو الذي قال: لا يصوم أحد عن أحد.
- ٣٩٩ ..... فصل: قولهم: ابن عباس راوي حديث الصوم عن الميت وهو الذي قال: لا يصوم أحد عن أحد.



- فصل: قولهم: إنه حديث اختلف في إسناده..... ٤٠٠
- قولهم: إنه معارض بنص القرآن..... ٤٠١
- قولهم: إنه معارض بما رواه النسائي (لا يصلي أحد عن أحد)..... ٤٠١
- إنه معارض بحديث ابن عمر:..... ٤٠٢
- قولهم: إنه معارض بالقياس الجلي على الصلاة والإسلام والتوبة..... ٤٠٢
- فصل: قول الشافعي في تغليط راوي حديث ابن عباس..... ٤٠٣
- فصل: أقوال أهل العلم في الصوم عن الميت..... ٤٠٥
- فصل: الجواب عن قولهم: يصل إليه في الحج ثواب النفقة دون أفعال المناسك..... ٤٠٦
- فصل: هل يشترط في وصول الثواب أن يهديه بلفظه أم يكفي مجرد نية العامل..... ٤٠٨
- هل يتعين على المهدي تعليق الإهداء..... ٤٠٩
- ما الأفضل أن يهدى إلى الميت..... ٤٠٩
- إهداء قراءة القرآن تطوعاً بغير أجره..... ٤١٠
- الجواب عن القول بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يرشد إلى إهداء القراءة..... ٤١١
- الإهداء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم..... ٤١٢
- المسألة السابعة عشرة: هل الروح قديمة أم محدثة مخلوقة..... ٤١٣**
- اختلاف الأقوال في الروح..... ٤١٤
- فصل: الأدلة على كون الروح مخلوقة..... ٤١٨
- فصل: ما احتج به القائلون بقدم الروح..... ٤٢٨
- الكلام على قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥]..... ٤٢٨
- اضطراب الروايات عن ابن عباس في تفسير الآية..... ٤٣٣
- سؤالان مهملان..... ٤٤٠
- المسألة الثامنة عشرة: هل تقدم خلق الأرواح على الأجساد أو تأخر خلقها عنها..... ٤٤٣**
- أدلة القائلين بتقدم خلقها على خلق البدن..... ٤٤٣
- فصل: الدليل على أن خلق الأرواح بعد خلق الأبدان، والجواب عن استدلال الأولين..... ٤٥٥
- الكلام على قول تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾..... ٤٦٠
- قول جمهور المفسرين من أهل الأثر..... ٤٦٠
- فصل: منازعة الآخرين في معنى الآية..... ٤٦٣

فصل: استدلال ابن حزم بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ ..... ٤٧٨

فصل: الدليل على أن خلق الأرواح متأخر عن خلق أبدانها ..... ٤٨١

### المسألة التاسعة عشرة: ما هي حقيقة النفس؟ هل هي جزء من أجزاء البدن، أو عرض من

أعراضه ..... ٤٩٠

- أقوال الناس في حقيقة النفس ..... ٤٩١

- ضبط ابن الخطيب لمذاهب الناس في النفس ..... ٤٩٦

(الصواب في المسألة والأدلة عليه) ..... ٤٩٩

(الأدلة العقلية) ..... ٤٩٩

فصل: الدليل الرابع والخمسون ..... ٥٠٧

فصل: الدليل الرابع والستون ..... ٥٠٨

فصل: الدليل الحادي والسبعون ..... ٥٠٩

فصل: الدليل الحادي والثمانون ..... ٥١١

**فصل: الدليل المائة** ..... ٥١٩

فصل: الوجه الثاني بعد المائة ..... ٥٣٠

فصل: الوجه الثالث بعد المائة ..... ٥٣٠

(الأدلة العقلية) ..... ٥٣١

الوجه السادس بعد المائة ..... ٥٣١

- الوجه السادس عشر بعد المائة ..... ٥٣٦

فصل: أدلة المنازعين، وهي اثنان وعشرون وجهًا ..... ٥٣٦

فصل: الجواب عن أدلة المنازعين ..... ٥٤٣

- الشبهة الأولى: تغاير النفس والجسم ..... ٥٤٣

فصل: الشبهة الثانية: لو كانت النفس جسمًا لكانت قابلة للقسمة ..... ٥٤٥

فصل: الشبهة الثالثة: تجرد الصورة العقلية الكلية إنما هو بسبب الأخذ لها، وهو القوة العقلية المسماة

بالنفس ..... ٥٥٠

فصل: الشبهة الرابعة: القوة العقلية تقوى على أفعال غير متناهية خلافاً للقوى الجسمانية ..... ٥٥١

فصل: الشبهة الخامسة: حلول القوة العقلية في آلة جسمية يوجب أن تكون دائمة الإدراك لتلك

الآلة أو ممتعة الإدراك لها، وكلاهما باطل ..... ٥٥٢

- فصل: الشبهة السادسة: كل أحد يدرك نفسه، وإنما يحصل ذلك إذا كانت النفس غنية عن المحل  
٥٥٤.....
- فصل: الشبهة السابعة: انطباع الصور الخيالية العظيمة في الجسم الصغير محال  
٥٥٤.....
- فصل: الشبهة الثامنة: لو كانت النفس جسمانية لضعفت في زمن الشيخوخة  
٥٥٥.....
- فصل: الشبهة التاسعة: القوة العقلية غنية في أفعالها عن الجسم  
٥٥٨.....
- الشبهة العاشرة: القوة الجسمانية تكلُّ بكثرة الأفعال  
٥٥٨.....
- فصل: الشبهة الحادية عشرة: اجتماع السواد والبياض معاً في الجسم محال  
٥٥٨.....
- فصل: الشبهة الثانية عشرة: لو كان محل الإدراكات جسمًا لكان الإنسان عالمًا بالشيء وجاهلاً به في  
وقت واحد  
٥٥٩.....
- فصل: الشبهة الثالثة عشرة: النفوس الجسمانية متغايرة متنافية، والنفوس العقلية متعاونة متعاضدة  
٥٥٩.....
- فصل: الشبهة الرابعة عشرة: لو كانت النفس جسمًا لكان بين تحريك المحرك رجله وبين إرادته  
للحركة زمان  
٥٦٠.....
- فصل: الشبهة الخامسة عشرة: لو كانت جسمًا لكانت منقسمة وكان الإنسان عالمًا ببعض نفسه  
جاهلاً ببعض الآخر  
٥٦١.....
- فصل: الشبهة السادسة عشرة: لو كانت جسمًا لوجب ثقل البدن بدخولها فيه  
٥٦٢.....
- فصل: الشبهة السابعة عشرة: لو كانت جسمًا لكانت على صفات سائر الأجسام  
٥٦٣.....
- فصل: الشبهة الثامنة عشرة: لو كانت جسمًا لوجب أن تقع تحت جميع الحواس أو تحت حاسة منها  
٥٦٧.....
- فصل: الشبهة التاسعة عشرة: لو كانت جسمًا لكانت ذات طول وعرض وعمق وشكل وسطح  
٥٧٠.....
- فصل: الشبهة العشرون: خاصة الجسم أنه يقبل التجزي  
٥٧٠.....
- فصل: الشبهة الحادية والعشرون: الجسم يحتاج في قوامه وبقائه إلى النفس  
٥٧١.....
- فصل: الشبهة الثانية والعشرون: لو كانت جسمًا لزم تداخل الأجسام أو كون الإنسان الواحد  
جسمين متلاصقين  
٥٧٢.....
- المسألة العشرون: هل النفس والروح شيء واحد أو شيئين متغايران..... ٥٧٤**
- قول الجمهور: إن مسألهما واحد..... ٥٧٤

- فصل: قول فرقة من أهل الحديث والفقه والتصوف: الروح غير النفس..... ٥٧٧
- أقوال أخرى في الروح ..... ٥٧٨
- قول المصنف..... ٥٧٨
- المسألة الحادية والعشرون: هل النفس واحدة أم ثلاثة..... ٥٨٠**
- الطمأنينة إلى الله سبحانه..... ٥٨١
- حقيقة الطمأنينة..... ٥٨١
- فصل: الطمأنينة إلى أسماء الرب تعالى وصفاته نوعان..... ٥٨٥
- طمأنينة الإحسان..... ٥٨٦
- فصل: سرٌ لطيف يجب التنبيه عليه والتنبيه له..... ٥٨٧
- أقوال السلف في النفس المطمئنة..... ٥٨٧
- فصل: اليقظة أول مفاتيح الخير..... ٥٨٩
- فصل: آثار اليقظة موجباتها..... ٥٩٢
- فصل: النفس اللوامة..... ٥٩٣
- فصل: النفس الأمانة..... ٥٩٥
- جنود النفس المطمئنة..... ٥٩٦
- الشيطان قرين النفس الأمانة..... ٥٩٧
- فصل: ما يطلبه جنود المطمئنة وجنود الأمانة..... ٥٩٩
- فصل: انتصاب الأمانة في مقابلة المطمئنة، وكيدها لها، وتلييسها للحقائق وإظهارها في صور منفردة..... ٦٠٠
- فصل: مثال آخر من تلييس الأمانة: تريه صورة الإخلاص في صورة ينفر منها..... ٦٠٢
- فصل: أمثلة أخرى..... ٦٠٢
- أمثلة أخرى، ومنها: خصال تنقسم إلى محمودة ومذمومة..... ٦٠٣
- [الفروق]- الفرق بين الرفق والتواني..... ٦٠٦
- الفرق بين المداراة والمداهنة..... ٦٠٦
- فصل: الفرق بين خشوع الإيمان وخشوع النفاق..... ٦٠٩
- فصل: الفرق بين شرف النفس والتبه..... ٦١١
- فصل: الفرق بين الحمية والجفاء..... ٦١١

- ٦١٢..... فصل: الفرق بَيْنَ التَّوَّاضَعِ وَالْمَهَانَةِ.....
- ٦١٣..... فصل: الفرق بين القوة في أمر الله والعلو في الأرض.....
- ٦١٣..... - الفرق بين الحمية لله والحمية للنفس.....
- ٦١٥..... فصل: الفرق بين الجود والسرف.....
- ٦١٦..... فصل: الفرق بَيْنَ الْمَهَابَةِ وَالْكَبَرِ.....
- ٦١٧..... فصل: الفرق بَيْنَ الصِّيَانَةِ وَالتَّكْبَرِ.....
- ٦١٨..... فصل: الفرق بَيْنَ الشَّجَاعَةِ وَالْجِرَاءَةِ.....
- ٦١٩..... فصل: الفرق بَيْنَ الْحَزْمِ وَالْجَبِينِ.....
- ٦٢٠..... فصل: الفرق بَيْنَ الْاِقْتِصَادِ وَالشَّحِّ.....
- ٦٢٠..... فصل: الفرق بَيْنَ الْاِحْتِرَازِ وَسُوءِ الظَّنِّ.....
- ٦٢١..... فصل: الفرق بَيْنَ الْفِرَاسَةِ وَالظَّنِّ.....
- ٦٣١..... فصل: الفرق بَيْنَ النَّصِيحَةِ وَالْغِيْبَةِ.....
- ٦٣٢..... فصل: الفرق بَيْنَ الْهَدْيَةِ وَالرِّشْوَةِ.....
- ٦٣٣..... فصل: الفرق بَيْنَ الصَّبْرِ وَالْقَسْوَةِ.....
- ٦٣٥..... فصل: الفرق بَيْنَ الْعَفْوِ وَالذَّلِّ.....
- ٦٣٧..... - الفرق بين الانتقام والانتصار.....
- ٦٤٠..... فصل: الفرق بَيْنَ سَلَامَةِ الْقَلْبِ وَالْبَلَهِ وَالتَّغْفُلِ.....
- ٦٤١..... فصل: الفرق بَيْنَ الثَّقَةِ وَالْغَرَّةِ.....
- ٦٤٣..... فصل: الفرق بَيْنَ الرَّجَاءِ وَالتَّمَنِّيِّ.....
- ٦٤٨..... فصل: الفرق بَيْنَ التَّحَدُّثِ بِنِعْمِ اللَّهِ وَالْفَخْرِ بِهَا.....
- ٦٤٩..... فصل: الفرق بَيْنَ فَرَحِ الْقَلْبِ وَفَرَحِ النَّفْسِ.....
- ٦٥٢..... فصل: فرحة أعظم من هَذَا كُلِّهِ.....
- ٦٥٤..... فصل: الفرق بَيْنَ رِقَةِ الْقَلْبِ وَالْجُزَعِ.....
- ٦٥٨..... فصل: الفرق بَيْنَ الْمَوْجِدَةِ وَالْحَقْدِ.....
- ٦٥٩..... فصل: الفرق بَيْنَ الْمُنَافَسَةِ وَالْحَسَدِ.....
- ٦٦١..... فصل: الفرق بَيْنَ حُبِّ الرِّيَاسَةِ وَحُبِّ الْإِمَامَةِ لِلدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ.....
- ٦٦٣..... فصل: الفرق بَيْنَ الْحُبِّ فِي اللَّهِ وَالْحُبِّ مَعَ اللَّهِ، وَهَذَا مِنْ أَهَمِّ الْفُرُوقِ.....

- فصل: الفرق بَيْن التَوَكُّلِ وَالْعَجْزِ ..... ٦٦٧
- فصل: الفرق بَيْن الإِحْتِيَاطِ وَالْوَسْوَسَةِ ..... ٦٧٠
- فصل: الفرق بَيْن إِهَامِ الْمَلِكِ وَإِقَاءِ الشَّيْطَانِ ..... ٦٧٠
- فصل: الفرق بَيْن الإِقْتِصَادِ وَالتَّقْصِيرِ ..... ٦٧١
- الفرق بين الاجتهاد والغلو ..... ٦٧٢
- فصل: الفرق بَيْن النَّصِيحَةِ وَالتَّأْنِيبِ ..... ٦٧٢
- فصل: الفرق بَيْن الْمُبَادَرَةِ وَالْعَجَلَةِ ..... ٦٧٣
- فصل: الفرق بَيْن الْأَخْبَارِ بِالْحَالِ وَبَيْن الشُّكُوفِ ..... ٦٧٤
- فصل: الدِّينُ كُلُّهُ فَرْقٌ ..... ٦٧٧
- فصل: الفرق بَيْن تَوْجِيهِ الْمُرْسَلِينَ وَتَوْحِيدِ الْمُعْطَلِينَ ..... ٦٨٠
- فصل: الفرق بَيْن تَنْزِيهِ الرُّسُلِ وَتَنْزِيهِ الْمُعْطَلَةِ ..... ٦٨١
- فصل: الفرق بَيْن إِثْبَاتِ حَقَائِقِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَبَيْن التَّشْبِيهِ وَالتَّمْثِيلِ ..... ٦٨٣
- فصل: الفرق بَيْن مَجْرِيهِ التَّوْحِيدِ وَبَيْن هُضْمِ أَرْبَابِ الْمَرَاتِبِ ..... ٦٨٣
- فصل: الفرق بَيْن مَجْرِيهِ مُتَابَعَةِ الْمُعْصُومِ وَإِهْدَارِ أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ ..... ٦٨٧
- فصل: الفرق بَيْن الْحَالِ الْإِيمَانِيِّ وَالْحَالِ الشَّيْطَانِيِّ ..... ٦٩٠
- فصل: الفرق بَيْن الْحُكْمِ الْمُنزَلِ الْوَاجِبِ الْإِتْبَاعِ وَالْحُكْمِ الْمُؤُولِ الَّذِي غَايَتُهُ أَنْ يَكُونَ جَائِزَ الْإِتْبَاعِ ..... ٦٩١
- فهارس الآيات ..... ٦٩٦
- فهارس الأحاديث ..... ٧٠٥
- فهارس الآثار ..... ٧١٤
- فهارس الشعر ..... ٧١٩
- فهارس موضوعات الكتاب ..... ٧٢٠